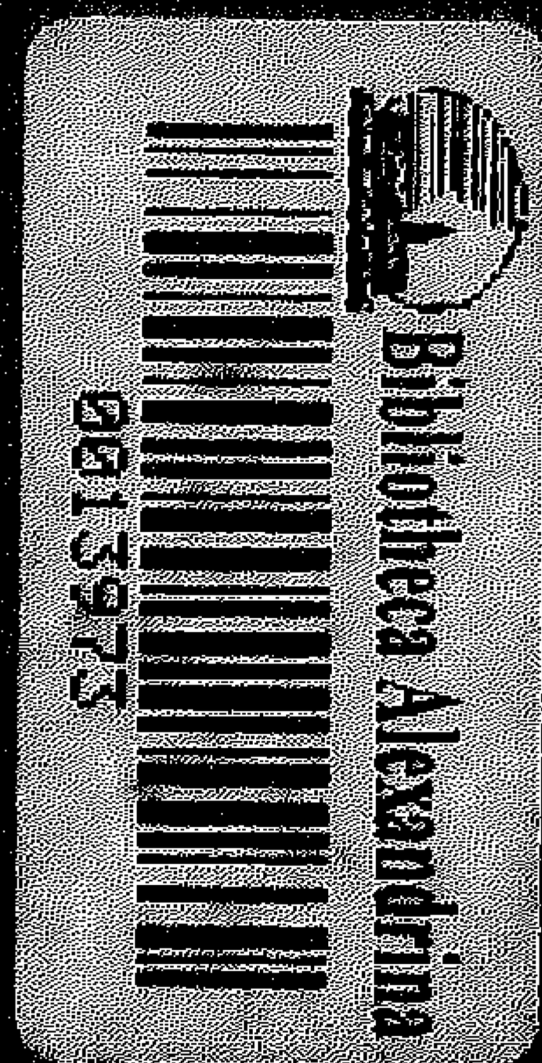
تفسير العهد الجديد


وليم باركلي


أعمال الرسل
كورنثوس الأولى
غلاطية

رومية
كورنثوس الثانية
أفسس

المجلد الثالث






دار الثقافة

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلي

استاذ العهد الجديد بجامعة جلاسجو

المجلد الثالث

سفر أعمال الرسل (ترجمة : الاستاذ جوزيف صابر)

رسالة رومية (ترجمة : الدكتور القس منيس عبد النور)

رسالتا كورنثوس (ترجمة : القس باقي صدقة)

رسالتا غلاطية وأفسس (ترجمة : الدكتور القس عبد المسيح اسطفانوس)



طبعــة أولــى

صــدر عن دار الثقافــة - ص . ب ١٢٩٨ - القاهــرة

١٠ / ٤٩٧ - ط١ / ٥ - ٥ / ٩١
رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٣٢٣ / ١٩٩١
جمع فـى سيـويـرس .
طبع بمطبعة دار نـوبـار للطبـاعـة - شـبـرا - القاهـرة .

مجلس التحرير

هذه السلسلة

الدكتور وليم باركلى من كبار المفكرين والباحثين فى العالم المسيحى فى هذا العصر ، وهو أستاذ العهد الجديد فى جامعة جلاسجو باسكتلندا . وقد قام باعداد دراسات مسلسلة فى العهد الجديد تدل على تعمق فى البحث والدرس ، وطلاوة فى حسن التعبير ، وطرافة فى المعنى ، وسهولة فى الاستيعاب . وقد بيع من هذه السلسلة التى تشمل أسفار العهد الجديد كلها مليون نسخة فى عام واحد فى بريطانيا وحدها ، وأعيد طبعها حتى الآن خمس مرات ، وما يزال الإقبال عليها شديداً .

وقد صحت عزيمة دار الثقافة على إصدار هذه السلسلة تباعاً ، ويقدمها فى العربية نخبة من المترجمين فى أسلوب سهل خال من الحذلقة اللغوية والإعجاز اللفظى .

ومما يقوله المؤلف فى مقدمته العامة أن الهدف من إصدار هذه السلسلة هو وضع نتائج أبحاث العلم الحديثة تحت تصرف القارىء العادى ، الذى لم ينل حظاً موفوراً من الدراسات اللاهوتية ، ثم تطبيق تعاليم أسفار العهد الجديد على الحياة العملية فى هذا العصر .

وليست هذه السلسلة تفسيراً بالمعنى الذى نفهمه عادة من التفاسير الأخرى ، ولكنها دراسات تحليلية فى الآيات والفقرات والأمثال والأحداث بأسلوب شائق فيه جاذبية التاريخ ، وعذوبة الخيال ، وقوة العظة ، وعمق التحليل ، وروحانية المعنى .

ودعاؤنا أن تقود هذه الدراسات جميع القراء إلى معرفة الرب يسوع المسيح ، فى وضوح وجلاء أكثر ، وإلى محبته حباً أغزر ، وإلى السير وراءه فى خطوات أقرب .

مجلس التحرير

محتويات سفر أعمال الرسل

محتويات الرسالة الى أهل رومية

محتويات الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس

محتويات الرسالة الثانية الى أهل كورنثوس

محتويات الرسالة الى غلاطية

محتويات الرسالة إلى أفسس

سفر

أعمال الرسل

سفر أعمال الرسل

كتاب ثمين :

يمكن القول إن سفر الأعمال من أهم أسفار العهد الجديد الذى لولاه لما استطعنا التعرف على مرحلة تكوين الكنيسة الأولى (فيما عدا بعض الإشارات البسيطة التى وردت فى رسائل بولس الرسول) .

وهناك طريقتان لكتابة التاريخ : الطريقة الزمنية أى محاولة تتبع الحوادث سنة بعد سنة وأسبوع بعد أسبوع ومن يوم ليوم أو أن يحاول المؤرخ إلقاء الأضواء على بعض المواقف الحية والشخصيات البارزة فى فترة معينة . والطريقة الأخيرة هى التى اتبعها كاتب سفر أعمال الرسل . ولكن هذا السفر لم يحاول أن يعطينا تفاصيل عن كل أعمال الرسل فلم يذكر هذا السفر غير ثلاثة من الرسل (خلاف بطرس وبولس) ففى أع ١٢ : ٢ نرى جملة مختصرة أن هيرودس قتل يعقوب أخا يوحنا ويرد ذكر يوحنا فى القصة ولكنه لا يتحدث فيها . فهو يركز على شخصية بطرس ويعطينا تفصيلات حقيقية عن هذه الشخصية الرائدة ثم سرعان ما تختفى هذه الشخصية من مسرح القيادة (*) . فالغرض الرئيسى لهذا السفر أن يعطينا سلسلة من أعمال ومغامرات أبطال الكنيسة الأولى .

كاتب السفر :

ولو أن اسم الكاتب غير مذكور صراحة إلا أنه من المتعارف عليه من أقدم العصور أن لوقا هو الكاتب . ونحن نعرف عن لوقا القليل فلم يرد ذكره إلا فى ثلاثة مواضع فى العهد الجديد : كولوسى ٤ : ١٤ ، فليمون ٢٤ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١١ . ومن هذه النصوص نستنتج شيئين بصفة قاطعة :

أولا : أن لوقا كان طبيباً . ثانياً : أنه كان من أهم مساعدى بولس وأكثر أصدقائه إخلاصاً ، إذ كان رفيقه فى سجنه الأخير .

لكننا نستنتج أولاً أنه كان أممياً ، ففى كولوسى ٤ : ١١ يرد ذكر تحيات من مجموعة من الأشخاص الذين هم من الختان أى من اليهود وابتداء من العدد ١٢ فيذكر الرسول مجموعة أخرى يمكن أن نستنتج بداهة أنهم من الأمم . ومن هذا نرى أن لوقا هو الأممى الوحيد الذى كتب كتباً فى العهد الجديد .

(*) إن ترجمة اسم السفر فى اللغة العربية (أعمال الرسل) أدق من الترجمة الانجليزية سفر الأعمال (The Acts of The Apostles) .

ويمكن إستنتاج أن لوقا كان طبيباً لأنه كان يستخدم بعض الألفاظ الطبية . ففى لوقا ٤ : ٣٥ عندما يتكلم عن الإنسان الذى به روح نجس فإنه يستخدم كلمة طبية صحيحة (فصرعه الشيطان) . وفى لوقا ٩ : ٣٨ يرسم لوقا صورة للإنسان الذى طلب من المسيح « يامعلم أطلب إليك . أنظر إلى ابنى » وهذا التعبير صورة لما يقوم به الطبيب عند الكشف على مريض .

ومن أطرف الأمثلة على ميل لوقا لاستخدام التعبيرات الطبية كلامه عن الجمل وثقب الإبرة . فقد ورد ذكر هذه الجملة فى ثلاثة أناجيل « متى ١٩ : ٢٤ ، مرقس ١٠ : ٢٥ ، لو ١٨ : ٢٥ » . ولكن متى ومرقس يكتبان عن إبرة الخياط (raphis) ولكن لوقا وحده يتكلم عن إبرة الجراح (belonè) فقد كان لوقا طبيباً لذلك كان قلمه يكتب الكلمات الطبية كما تعود .

المرسل إليه :

كتب لوقا إنجيله وسفر الأعمال إلى شخص يدعى ثاوفيلس (لو ١ : ٣ ، أع ١ : ١) وليس أمامنا إلا التخمين لمعرفة شخصية هذا الرجل . ففى لو ١ : ٣ نرى لوقا يخاطبه « أيها العزيز ثاوفيلس » وفى الإنجليزية « Your excellency » أى ياصاحب السعادة . فلابد أن يكون ثاوفيلس هذا شخصاً فى مركز ممتاز فى خدمة الحكومة الرومانية . وهناك إحتمالات ثلاثة بخصوص شخصية ثاوفيلس :

١ ـــ قد يكون ثاوفيلس اسماً وهمياً أو اسماً مستعاراً . ففى تلك الأيام كان من الخطورة على أى إنسان إعتناق المسيحية . ولكن كلمة ثاوفيلس(*) معناها الذى « يحب الله » لذلك يحتمل أن يكون لوقا قد كتب هذا السفر لشخص يحب الله ولم يكتب اسمه صراحة خوفا مما يترتب عن ذلك من إضرار بالشخص المخاطب .

٢ ـــ ولكن إذا كان ثاوفيلس شخصاً حقيقياً له مركزه الاجتماعى فربما قصد لوقا من توجيه هذه الكتب إليه أن يظهر له أن المسيحية دين سام وأن المسيحيين أناس ممتازون . بل ربما قصد بسفر الأعمال الدفاع عن المسيحية وإغراء هذا الموظف الكبير حتى لا يضطهد المسيحية .

٣ ـــ هناك نظرية فيها الكثير من الخيال أكثر من سابقتها . فلوقا كان طبيباً والأطباء فى ذلك العصر كانوا من طبقة العبيد . فربما كان لوقا طبيب ثاوفيلس الخاص وقد تعرض هذا الخطر الموت من مرض خطير عالجه لوقا بمهارة مما دعا ثاوفيلس أن يعبر عن شكره وعرفانه بالجميل فمنحه الحرية وأطلقه حراً . وقد أراد لوقا أن يعبر عن امتنانه لهذه المنحة فكان أعز ما يستطيع أن يقدمه له قصة

(*) Theos الله
Phillein محبة

يسوع المسيح التى كتبها وأرسلها له تعبيراً عن هذا الشعور .

غرض لوقا من كتابة سفر الأعمال :

عندما يكتب شخص رسالة فإنه يكتبها لسبب أو لعدة أسباب فلنرى معاً بعض هذه الأسباب التى دعت لوقا لكتابة سفر الأعمال .

١ ـــ أحد هذه الأسباب أن يحبذ Commend المسيحية فى نظر الرؤساء الرومان فكثيراً ما نراه يشير إلى المعاملة الطيبة التى كان يلقاها بولس من الرؤساء الرومان . ففى أع ١٣ : ١٢ نرى سرجيوس بولس والى قبرص يؤمن بالمسيح وفى ١٨ : ١٢ نرى غاليون فى موقف غير متحيز فى كورنثوس وفى ١٩ : ٣١ نجد أناساً من وجوه أسيا فى أفسس اهتموا بحياة بولس حتى لا يقتل وكأن لوقا يريد أن يشير إلى أن الحكام الرومان فى السنين السابقة للسفر كانوا عادلين وغير متحيزين ضد المسيحية . كما نرى أن لوقا يجهد نفسه لكى يظهر المسيحيين مواطنين مخلصين وأنه كان ينظر إليهم دائماً على هذه الصورة ففى ١٨ : ١٤ يعلن غاليون أنه لم يجد فى الأمر ظلماً أو خبثاً ردياً . وفى ١٩ : ٣٧ يشهد كاتب أفسس (السكرتير) للمسيحية شهادة طيبة وفى ٢٣ : ٢٩ نجد كلوديوس ليسياس حريصاً على أن يذكر أن بولس لم يفعل شيئاً يستحق الموت أو القيود . وفى ٢٥ : ٢٥ نرى فستوس يعلن أنه لم يجد شيئاً على بولس يستحق عليه الموت وفى نفس الأصحاح نجد فستوس وأغريباس يتفقان على أنه كان من الممكن إطلاق سراحه لو لم يرفع دعواه لقيصر .

لقد كان لوقا يكتب فى وقت كان فيه المسيحيون مكروهين ومضطهدين وقد كتب هذا السفر مظهراً أن الرؤساء الرومان كانوا عادلين بالنسبة للمسيحية وأنهم لم يعاملوا المسيحيين قط كأثمة أو مجرمين .

ومن أطرف ما قيل إن سفر الأعمال ما هو إلا المذكرة التى أعدت للدفاع عن بولس أمام امبراطور روما عند محاكمته .

٢ ـــ ومن أغراض هذا السفر أيضاً إظهار أن المسيحية دين عالمى لكل الناس من كل البلاد والأجناس . وهذه الفكرة من أصعب الأفكار التى واجهت اليهود . فقد كانوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأن الله لا يستخدم أى أمة أخرى ولا يتعامل معها . ولكن لوقا يبرهن أن هذه الفكرة غير حقيقية . فهو يكتب عن فيلبس الذى بشر فى السامرة وكذلك استفانوس الذى استشهد لأنه جعل من المسيحية ديناً عالمياً . أما بطرس فقد قبل كرينليوس فى الكنيسة .

والمسيحيون الأوائل بشروا الأمم فى أنطاكية . وهو يصور لنا بولس يجوب الأقطار يربح أناساً من كل الأجناس للمسيح . وفى أصحاح ١٥ يبين أن الكنيسة قررت أن تقبل الأمم على قدم المساواة

كاليهود تماماً . لاشك أن لوقا أراد أن يبين أن المسيحية دين لا يرتبط بقيود .

٣ ــ ولكن كل هذه الأغراض السابقة تعتبر أغراضاً ثانوية أمام الغرض الأسمى وهو أن يوضح أن كلمات المسيح المقام قد تحققت « وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض ١ : ٨ » لقد كان غرض لوقا الأعظم أن يبين مدى انتشار المسيحية لكى يوضح أن الدين الذى بدأ فى بقعة صغيرة من فلسطين وصل الى روما نفسها فى ثلاثين سنة أو أكثر قليلاً .

وقد أشار تيرنر (C . H . Turner) إلى أن سفر الأعمال ينقسم إلى ستة أقسام ينتهى كل قسم منها بتقرير عن مدى تقدم المسيحية وانتشارها وهى كما يأتى :

(أ) ١ : ١ إلى ٦ : ٧

وهذا القسم يخبرنا عن كنيسة أورشليم ووعظ بطرس وتنتهى بالملخص « وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الله » .

(ب) من ٦ : ٨ إلى ٩ : ٣١

وهو يبين انتشار المسيحية فى فلسطين واستشهاد استفانوس ثم تبشير السامرة . وينتهى بالملخص « وأما الكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام وكانت تبنى وتسير فى خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » .

(ج) من ٩ : ٣٢ إلى ١٢ : ٢٤

وهذا القسم يشمل تجدد بولس وانتشار المسيحية حتى أنطاكية وقبول كرنيليوس الأممى فى الكنيسة بواسطة بطرس والملخص « وأما كلمة الله فكانت تنمو وتزيد » .

(د) من ١٢ : ٢٥ إلى ١٦ : ٥

وهذا الجزء يبين انتشار المسيحية فى أسيا الصغرى ومركز التبشير فى غلاطية وينتهى بالقول « فكانت الكنائس تتشدد فى الإيمان وتزداد فى العدد كل يوم » .

(هـ) من ١٦ : ٦ إلى ١٩ : ٢٠

وصول البشارة إلى أوربا وعمل بولس فى مدن الأمم الكبرى مثل كورنثوس وأفسس والخلاصة « هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى شدة » .

(و) من ١٩ : ٢١ إلى ٢٨ : ٣١ .

وهى تبين وصول بولس إلى روما وسجنه هناك وتنتهى بصورة بولس كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » .

هذا التقسيم يوضح غرض السفر الأساسى الذى قد يبدو لأول وهلة محيراً . لماذا ينتهى السفر

بالنهاية التى نراها ؟ إنه ينتهى وبولس فى السجن ينتظر المحاكمة . فكم كنا نشتاق أن نعرف ما حدث لبولس ولكن النهاية محوطة بالغموض . ولكن لوقا توقف عن الكتابة عندما وجد أنه قد حقق غرضه . فقد بين كيف أن المسيحية بدأت من أورشليم واكتسحت العالم حتى وصلت إلى روما المدينة العظيمة . ذكر أحد كبار علماء العهد الجديد أن عنوان سفر الأعمال يمكن أن يكون : « كيف أمكن نشر بشارة الأخبار الطيبة من أورشليم إلى روما » . لقد كان غرض لوقا أن يضع أمام أعين الناس Wellmigh الانتشار المعجزى للإنجيل فترك قلمه عندما وصل بنا إلى المسيحية فى قلب روما .

مصادر لوقا :

لقد كان لوقا مؤرخاً ومن المهم أن نعرف المصادر التى استقى منها معلوماته وفى هذا الصدد ينقسم السفر إلى قسمين :

١ ــ الأسفار الخمسة عشر الأولى تبين لنا أن لوقا لم يشهد هذه الحوادث بنفسه ولذلك علم بها من .

(أ) الكنائس المحلية . وغالباً لم تكن هذه الحوادث مكتوبة ولكن الكنائس تعرف هذه الحوادث وفى هذا القسم نميز ثلاثة مصادر : الكنيسة فى أورشليم التى نجدها فى الأصحاحات من ١ ــ ٥ وفى الأصحاحات ١٥ ، ١٦ ثم الكنيسة فى قيصرية وهى تغطى الحوادث من ٨ : ٢٦ ــ ٤٠ ، ٩ : ٣١ إلى ١٠ : ٤٨ . ثم كنيسة أنطاكية ١١ : ١٩ ــ ٣٠ ، ١٢ : ٢٥ إلى ١٤ : ٢٨ .

(ب) ولاشك أنه كانت هناك روايات تروى عن أبطال الكنيسة الأوائل وغالبا تلك القصص عن أعمال بطرس وأعمال يوحنا وأعمال فيلبس وأعمال استفانوس كما أن صداقة لوقا لبولس أتاحت له الفرصة للاتصال بكل الناس المشهورين فى الكنائس المختلفة مما أتاح له فرصة سماع قصصهم ورواياتهم .

(٢) أما الأصحاحات من ١٦ ــ ٢٨ فمعظم ما جاء بها يدل على أن لوقا هو مصدرها الأساسى وكانت له خبرة شخصية بحوادثها . وعندما نقرأ سفر الأعمال بإمعان نلاحظ شيئاً غريباً . ففى بعض الأجزاء يكتب لوقا « أما هم فقد فعلوا .. كذا » ثم فجأة يقول « لقد فعلنا .. كذا » ونحن نجد ضمير المتكلم « نحن أو نا » فى الشواهد التالية :

١٦ : ١٠ ــ ١٧ ، ٢٠ : ٥ ــ ١٦ ، ٢١ : ١ ــ ١٨ ، ٢٧ : ١ ــ ٢٨

وتدل هذه الحوادث على أن لوقا كان حاضراً وأنه كان يدون مشاهداته فى مفكرته الخاصة فهى وصف شاهد عيان .

أما الحوادث التى لم يرها بنفسه فقد سمعها من بولس فى الأوقات التى صرفها معه فى رحلاته وفى سجنه . كما أنه من المؤكد أن لوقا كان يعرف كل الشخصيات الكنسية معرفة شخصية وكان يحصل منهم فى مقابلاته معهم على خبراتهم الشخصية .

عندما نقرأ سفر أعمال الرسل نشعر أننا واثقون أنه لم تتح لأى مؤرخ كل هذه المصادر ولم يتوخ أى مؤرخ الدقة والأمانة فى استخدام مصادره كما فعل لوقا .

التفسير

الاصحاح الاول

قوة للعمل

(أع ١ : ١ ـــ ٥)

يمكن اعتبار سفر أعمال الرسل المجلد الثانى من رواية مسلسلة وذلك لسببين :

أولا : لأن هذا السفر هو الجزء الثانى فعلاً من قصة يسوع التى كتبها لوقا وأرسلها إلى ثاوفيلس . ففى الجزء الأول (إنجيل لوقا) تكلم البشير عن حياة السيد المسيح على الأرض أما فى هذا الجزء فهو يتكلم عن قصة الكنيسة .

ثانيا : إن موضوع الإنجيل هو قصة ما ابتدأ يسوع يعمله ويعلّم به ولكن حياة المسيح على الأرض كانت بداية لعمل كبير لا نهاية له .

هنالك أنواع مختلفة من الخلود :

(أ) **خلود الشهرة** : ففى رواية هنرى الخامس لشكسبير ، يخاطب الملك أتباعه واعدأ إياهم بالشهرة والذكرى الخالدة إذا انتصروا فى معركة أجنكورت **agincourt** :

« ستكون قصتكم قصة خالدة
يرويها الآباء للابناء
ومن اليوم إلى نهاية العالم
سيذكرنا الناس دائماً » .

ولا شك أن المسيح قد حقق هذا النوع من الخلود . فاسم المسيح لا ينسى .

(ب) **خلود السلطان** : فبعض الناس يتركون تأثيراً خاصاً فى العالم .

فالسير فرانسيس دريك كان أعظم البحارة الإنجليز وإلى يومنا هذا يسمي المعسكر الملكى للبحرية فى بليموث باسمه حتى يتوج اسمه الخالد البحارة الإنجليز . والمسيح ترك أثراً خالداً لا تمحوه السنون وذلك لما صنعه فى العالم ومع الناس الذين تعامل معهم .

ولكن فوق كل هذا هناك القوة المستمرة الخالدة وحضور المسيح نفسه فيما بيننا . فلم يترك المسيح لنا مجرد ذكرى خالدة لاسمه وسلطانه ولكنه ما زال حياً قوياً . فهو لم يكن حياً فى فترة زمنية انتهى بانتهائها لكنه ما زال حياً وحياته مستمرة خالدة .

ويمكننا أن نقول إن موضوع سفر الأعمال تقريباً هو أن حياة المسيح مستمرة فى كنيسته . حدثنا دكتور فوستر عن هندوسى جاء إلى أسقف هندى بعد أن قرأ العهد الجديد بمفرده وتأثر غاية التأثر وشعر بأن يسوع يجتذبه إليه . فقد قرأ فى الأناجيل قصة يسوع وما عمله وما قاساه . وفى سفر الأعمال قرأ ما عمله الرسل وما علموا به وما فكروا فيه وكأنهم كانوا يكملون رسالة المسيح على الأرض . فقال الهندوسى للأسقف : « لابد أن أنضم إلى الكنيسة التى تكمل الرسالة

التى بدأها المسيح » . فسفر الأعمال يظهر لنا الكنيسة التى تحمل المشعل وتتمم رسالة المسيح .

وفى هذا الفصل الكتابى نرى كيف امتلأت الكنيسة بالقوة لتؤدى هذه الرسالة . فقد امتلأت بقوة الروح القدس لتقوم بدورها .

إننا غالباً نطلق على الروح القدس اسم الروح المعزى وهذه التسمية تنسب إلى ويكلف Wycliff . ولكن فى أيامه كانت كلمة المعزى تعنى أمراً آخر . فأصلها اللاتينى فورتس « Fortis » أى الشجاع ، والمعزى هو الشخص الذى يملأ الناس شجاعة وقوة . وفى سفر الأعمال كما فى كل أسفار العهد الجديد ليس من السهل أن نفصل بين عمل الروح القدس وعمل المسيح المقام . وفى الحقيقة لسنا فى حاجة إلى هذا الفاصل لأن مجىء الروح القدس هو تحقيق لوعد المسيح « وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » مت ٢٨ : ٢٠ .

ولنتأمل شيئاً آخر . لقد فرض على التلاميذ أن ينتظروا حلول الروح القدس . ولا شك أننا سنزداد قوة وشجاعة وسلاماً إذا تعلمنا أن ننتظر . ففى أعمالنا فى الحياة نحتاج أن نتعلم كيف ننتظر « وأما منتظرو الرب فيجددون قوة » إش ٤٠ : ٣١ . ففى وسط زحمة العمل والانهماك فى المشاغل يجب أن تكون لنا فرصة للسكون والهدوء الواعى . وبينما نحن نسعى ونكد ونطلب يجب أن نترك فرصة لنأخذ .

الملكوت وشهوده

(أعمال ١ : ٦ ــ ٨)

فى خدمة يسوع على الأرض كان يعانى من مشكلة كبرى ، فقد كان لب رسالته ملكوت الله (مر ١ : ١٤) ولكن المشكلة كانت فى الاختلاف على معنى الملكوت . فقد كان يسوع يعنى معنى مختلف كل الاختلاف عما فى ذهن السامعين . فقد كان فى فكر اليهود دائماً أنهم شعب الله المختار ، وفسروا ذلك بأنهم يجب أن يتمتعوا بامتيازات خاصة وأن يسودوا العالم . ولكن مجرى التاريخ أثبت أنه من وجهة النظر البشرية لم يمكن تحقيق ذلك . ففلسطين دولة صغيرة ، لا تزيد عن ١٢٠ ميلاً طولاً ، ٤٠ ميلاً عرضاً . وقد تمتعت بالاستقلال بعض الوقت ، لكنها فى معظم تاريخها كانت مستعمرة للبابليين والفرس واليونان والرومان . لذلك كان اليهود ينتظرون اليوم الذى يتدخل فيه الله فى التاريخ الإنسانى ويعمل بقوته الإلهية ما لم يستطيعوا هم أنفسهم أن يحققوه ، أى أن يتحقق حلمهم فى سيادة العالم . لذلك فهموا الملكوت بهذا المعنى السياسى .

ولكن ماذا كان يقصد المسيح بالملكوت ؟ دعونا ندرس الصلاة الربانية حيث نجد طلبتين متجاورتين « ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . » ومن خصائص الأسلوب العبرى ــ كما هو واضح فى المزامير ــ أن تقال الجملة بتعبيرين متماثلين حيث تكون الجملة الثانية تكرارا للأولى أو تكبيراً لها . وهذا ما نراه فى هاتين الطلبتين . فالطلبة الثانية تعريف للأولى . أى أن الملكوت هو مجتمع على الأرض تنفذ فيه إرادة الله تماماً كما فى السماء . وبناء على هذا المفهوم ، فالملكوت يبنى على الحب لا القوة .

وللوصول إلى هذا احتاج الناس إلى الروح القدس . وقد تكلم لوقا مرتين عن انتظار حلول الروح . ويجب ألا نظن أن الروح القدس وجد لأول مرة فى هذه المناسبة . فمن المحتمل أن توجد قوة ، ولكن الإنسان لا يختبرها أو يستفيد منها إلى وقت . فالروح موجود دائماً ولكن الناس اختبروه فى ذلك العصر فقط . فالله الأب والإبن والروح القدس منذ الأزل ولكن جاء وقت معين اختبر فيه الناس الروح القدس بكل قوة مع أن هذه القوة كانت موجودة منذ البدء .

وكان الغرض من القوة التى يعطيها الروح القدس أن يجعل من التلاميذ شهوداً للمسيح . هذه الشهادة تعمل فى مجال مكون من سلسلة من الدوائر المتحدة المركز أولاً فى أورشليم ، ثم فى اليهودية ، ثم السامرة (المنطقة التى تعتبر متهودة حتى تكون معبراً للعالم) حتى تصل الرسالة إلى أقصى الأرض .

ودعونا نلاحظ بعض الأشياء على الشهادة المسيحية :

أولا : الشاهد هو الشخص الذى يقول أنا أعلم أن هذا حق ففى المحكمة لا يستطيع الشاهد أن ينقل معلومات عن شخص آخر بل يجب أن يقول ما يعرفه هو شخصياً .

لقد مر يوحنا بنيان بفترة كان يعانى فيها من عدم التأكد من رسالة المسيح ، ولقد كان يعانى من فكرة كل دين ينادى بأنه الأفضل ، فماذا يكون الحال لو أن المسيحية أيضا كانت دين الظن ؟

إن الشاهد لا يقول أنا أظن ولكنه يقول أنا أعلم .

ثانيا : إن الشاهد الحقيقى لا يشهد بالأقوال بل بالأفعال . لما وجد هـ . م ستانلى المرسل لفنجستون فى أفريقيا وقضى معه بعض الوقت ، قال « لو قضيت معه مدة أطول لوجدت نفسى مضطراً أن أصبح مسيحياً رغم أنه لم يكلمنى أبداً فى هذا الموضوع » إن شهادة هذا الرجل بحياته كانت لا تقاوم .

ثالثا : من الحقائق التى تدعو للتفكير أن كلمة شهادة فى اليونانية (كما فى اللغة العربية) من نفس كلمة الاستشهاد . فالشاهد يجب أن يكون مستعداً للشهادة والاستشهاد . فلكى نشهد يجب أن نخلص للرسالة مهما كان الثمن .

أمجاد الرحيل وأمجاد المجىء

(أعمال ١ : ٩ ــ ١١)

هذا الفصل القصير يوقفنا أمام مفهومين من أصعب المفاهيم فى العهد الجديد .

أولا : قصة صعود المسيح . وينفرد البشير لوقا وحده بسرد هذه الرواية وقد أوردها فى إنجيله (لو ٢٤ : ٥٠ ــ ٥٣) ولم يعد موضوع الصعود موضع شك هذه الأيام . والصعود كان أمراً لازماً لسببين :

(أ) كان لابد من وجود لحظة حاسمة يعود فيها المسيح إلى مجده . لقد مرت الأيام الأربعون

التى كان يظهر فيها وواضح أنها كانت فترة معينة لم يكن ممكناً أن تستمر للأبد . لذلك كان لابد أن تنتهى فترة الظهورات أيضاً فى لحظة محددة . فمن الخطأ أن تنتهى فترة الظهورات تدريجياً . فالمسيح الذى نزل إلى الأرض فى لحظة معينة كان يجب أن يترك العالم أيضاً فى لحظة محددة .

(ب) إذا سرحنا بخيالنا إلى الوقت الذى حدثت فيه تلك الأمور لاستطعنا أن ندرك أهمية الصعود . فكلنا نعرف الآن أن السماء ليست مجرد مكان فوق الأرض بقدر ما هى حالة من السعادة والبركة نكون فيها كل حين مع الله دون أن يفصلنا عنه شيء . لكن حادث الصعود حدث منذ ألفى سنة عندما كان المفهوم العام حتى عند أحكم الحكماء أن السماء مكان معين فوق طبقات الجو لذلك أراد المسيح أن يترك لتلاميذه برهاناً لا يقبل الشك فكان لابد من الصعود ليعرف التلاميذ أنه قد عاد إلى الأمجاد السماوية . لكن يجب ألا ننسى أن البشير لوقا عندما ذكر هذا الحادث فى إنجيله أضاف وصفاً معيناً « ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم » (لو ٢٤ : ٥٢) فالبرغم من الصعود أو ربما بسببه فإن التلاميذ كانوا متأكدين أن المسيح لم يتركهم بل هو معهم للأبد .

ثانيا : هذا الفصل يوقفنا أمام موضوع المجيء الثانى . وبخصوص هذا الموضوع يجب أن نضع فى اعتبارنا أمرين :

(أ) أن البحث فى زمان وكيفية المجيء بحث غير مجد لأن المسيح نفسه قال « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الإبن إلا الآب » (مر ١٣ : ٣٢) فالبحث فى هذه الأمور لا يخلو من شيء من التجديف إذ نحاول أن نعرف ما لا يعرفه الابن نفسه .

(ب) أن جوهر تعليم المسيحية هو أن الله عنده مخطط للإنسان وللعالم كله . ولابد أن نؤمن أن التاريخ ليس مجرد حوادث جزافية حدثت بمجرد الصدفة ولا يقود إلى شيء . ولكننا نثق أن العالم يسير إلى هدف معين وأن هناك حدث إلهى معين يسير العالم كله بما فيه من مخلوقات نحو هذا الحدث . ونؤمن أنه متى جاءت النهاية فإن يسوع المسيح سيكون قاضياً دياناً وسيداً للعالم أجمع . فليس المجيء الثانى مجرد موضوع لمجرد البحث وحب الاستطلاع ولكنه اليوم العظيم الذى نشتاق إليه والذى نجهز أنفسنا له .

نهاية الخائن

(أع ١ : ١٢ ــ ٢٠)

وقبل أن نتقدم إلى مصير يهوذا الخائن يجدر بنا أن نلاحظ بعض الملاحظات فى هذا الفصل . فالبنسبة لليهودى كان يوم السبت يوم الراحة الكاملة يمنع فيه القيام بأى عمل . ولم يكن يسمح فيه بالسير أكثر من ٢٠٠٠ ذراع . وكانت هذه المسافة تسمى سفر سبت . ولما كان الذراع يساوى ١٨ بوصة لذلك فإن سفر السبت يزيد قليلاً عن نصف ميل .

ومن العجيب أن نرى هنا أخوة يسوع مع التلاميذ فى حين أنهم كانوا فى صفوف أعداء يسوع فى حياته (مر ٣ : ٢١) . وربما كان موت يسوع (كما كان للكثيرين غيرهم) هو سبب فتح أعينهم ونخس قلوبهم .

فما لم تفعله حياة يسوع فيهم فعله موته فى تغييرهم .

كما أننا نجد أن عدد التلاميذ حوالى ١٢٠ . وهذا العدد من أهم ما يؤثر فى حياتنا فى العهد الجديد . فقد كان عدد المؤمنين بيسوع مائة وعشرون فقط وغالباً لم يخرج أحد منهم خارج حدود فلسطين فى حياته . فإذا عرفنا أن سكان فلسطين وحدها كان حوالى ٤ مليون يهودى فإن نسبة المسيحيين إلى جملة السكان تكون أقل من ١ : ٣٠٠٠ . وهؤلاء المائة والعشرون البسطاء أمروا أن يذهبوا للعالم أجمع ليكرزوا بالإنجيل . إن كانت هناك أشياء بدأت بداية صغيرة فالكنيسة المسيحية بدأت أصغر بداية . قد نكون قلة قليلة من المسيحيين فى أعمالنا فى المتجر ، فى المصنع ، فى المكتب ، فى الدائرة التى نعيش فيها لكن كما قام هؤلاء الأبطال برسالتهم بشجاعة هكذا ينبغى أن نفعل نحن . وربما نكون نحن أيضاً البداية الصغيرة التى ينتشر منها ملكوت الله .

ولكن أهم موضوع فى هذا الفصل هو مصير يهوذا الخائن . ومعنى هذا الفصل باللغة اليونانية غير واضح تماماً ولكننا نجد فى رواية متى (مت ٢٧ : ٣ ــ ٥) أن يهوذا قد أقدم على الانتحار ما فى ذلك شك .

وأننا لنعجب دائماً لماذا خان يهوذا يسوع . وهناك بعض الأسباب المحتملة :

١ ــ يرى البعض أن كلمة أسخريوطى نسبة إلى قرية أسخريوط (Merioth) فإن كان الأمر كذلك يكون يهوذا هو التلميذ الوحيد غير الجليلى . وربما وجد نفسه منذ البداية شاذاً ومنعزلاً حتى فعل فعلته الشنعاء .

٢ ــ ربما فكر يهوذا أن يجعل من نفسه شاهد ملك حتى ينجو بجلده ثم أحس بالجريمة التى ارتكبها .

٣ ــ ربما فعل ذلك لمجرد طمعه وحبه للمال . فإن كان الأمر كذلك فإن هذه الصفقة الرهيبة تكون أرخص صفقة فى العالم . إذ باع سيده بثلاثين من الفضة أى أقل من أربعة جنيهات .

٤ ــ ربما كان يهوذا يكره المسيح . فقد كان يستطيع أن يخفى قلبه الأسود عن الآخرين لكنه لم يستطع أن يخفيه عن أعين يسوع التى تخترق الظلام كالأشعة السينية وتصل إلى أعماق نفسه . لذلك ربما فكر أن يسلم هذا الذى يعرف كل شيء عن حقيقته .

٥ ــ ربما كان معنى أسخريوط من كلمة يونانية تعنى حامل الخنجر . وكان حاملو الخناجر جماعة من الوطنيين الغيورين الذين اشتهروا بالعنف وقد كانوا يرتكبون أى شيء حتى القتل فى سبيل تحرير فلسطين . وربما رأى يهوذا فى يسوع الشخص العجيب الذى يتمتع بإمكانات هائلة لقيادة حركة تحرير فلسطين فلما رأى أن يسوع يرفض طرق العنف تحول ضده وفى مرارة يأسه خانه .

٦ ــ ولكن أكثر الأسباب احتمالاً أن يهوذا لم يكن يقصد قتل يسوع بل كان يريد أن يضع يسوع فى موقف يضطر فيه إلى استخدام قوته ضد الدولة الرومانية ليخلص نفسه . فإن كان هذا هو تفكير يهوذا فقد خاب فأله وفشلت خطته فشلا ذريعاً لذلك ذهب فى فشله وخنق نفسه .

وعلى كل حال فإنه إذا ذكر اسم يهوذا فى التاريخ يذكر كأسوأ مثل للخيانة بين الناس . حقاً لا سلام للشخص الذى يخون المسيح والذى يكون غير أمين لسيده .

مؤهلات الرسول

(أع ١ : ٢١ ــ ٢٦)

أولا : يحسن أن نلقى نظرة سريعة على طريقة اختيار شخص ليحل محل يهوذا بين التلاميذ . والأمر يبدو غريباً علينا أن يلجأ التلاميذ لإلقاء القرعة . ولكن هذه الطريقة كانت مألوفة عند اليهود إذ كانوا يشغلون كل وظائف الهيكل بهذه الطريقة . فقد كانوا يكتبون أسماء المرشحين على قطع صغيرة من الحجارة ، ثم يضعونها فى إناء يهزونه حتى يسقط أحد هذه الأحجار فيكون الاسم المكتوب عليه هو الشخص الذى يختار للوظيفة . ولكن ما يهمنا فى هذا الفصل أنه يبين لنا حقيقتين هامتين :

أولا : أنه يبين لنا وظيفة الرسول . فقد كانت وظيفة الرسول أن يكون شاهداً للقيامة . فالعلامة المميزة للمسيحى ليس أنه يعرف عن المسيح بل أنه يعرف المسيح . من الأخطاء المنتشرة فى المسيحية أن نعتبر المسيح شخصاً تاريخياً عاش ومات ثم نقرأ قصته لنعرف تاريخ حياته . إن المسيح ليس مجرد شخصية فى كتاب لكنه وجود حى والمسيحى هو الشخص الذى خصص حياته كلها ليشهد عن الرب المقام الذى يعرفه والذى تقابل معه .

ثانيا : أنه يبين لنا مؤهلات الرسول . لقد كان من أهم مؤهلات الرسول أن يكون قد لازم المسيح . إن المسيحى الحقيقى هو الشخص الذى يحيا مع المسيح كل يوم . قيل عن الواعظ جون براون إنه كان يتوقف لحظة أثناء الوعظ وكأنه كان يستمع لصوت يكلمه . وقيل عن إسكافى عجوز إنه كان يترك باب دكانه مفتوحاً فلما سئل عن السبب قال « حتى يدخل يسوع عندما يمر بى » . إننا كثيراً ما نتصور ماذا كان يحدث لو كان المسيح حاضراً معنا وكيف كنا نتصرف لو كان المسيح حاضراً فى بيوتنا وفى محال أعمالنا . ثارت إبنة ثورة شديدة وبعد أن هدأت جلست معها أمها لتخفف عنها فقالت الابنة : « ليت يسوع يأتى ويمكث فى بيتنا دائماً » لكن الحقيقة أن المسيح موجود والمسيحى الحقيقى والرسول الحقيقى هو الشخص الذى يقضى كل عمره مع المسيح .

الاصحاح الثانى

نسمة الله

(أع ٢ : ١ – ١٣)

كان اليهود يحتفلون بثلاثة أعياد رئيسية وكان على كل يهودى يسكن حول أورشليم على مسافة لا تزيد عن ٢٠ ميلاً أن يذهب ليعيد أعياد الفصح – والباكورة – والمظال . والحصاد هو يوم الخمسين أو عيد الأسابيع وسمى عيد الخمسين لأنه يقع بعد خمسين يوماً من الفصح أو بعد سبعة أسابيع . وكان عيد الفصح فى منتصف أبريل فيكون عيد الخمسين فى أوائل يونيو . ويظهر أن المواصلات فى ذلك العصر كانت فى أحسن حالاتها وكان كثيرون يحضرون عيد الخمسين ربما أكثر من عيد الفصح نفسه . ويظهر هذا من سجل البلاد المذكور فى هذا الفصل . فلم يكن يجتمع فى أورشليم مثل هذا العدد الكبير إلا فى عيد الباكورة .

ولهذا العيد معنيان أساسيان :

١ – كان له أساس تاريخى فقد كان يوافق يوم إعطاء الله الشريعة لموسى على جبل سيناء .

٢ – وكان له أساس زراعى . فقد كان اليهودى يقدم لله فى عيد الفصح أول حزمة يحصدها من الشعير أما فى عيد الباكورة فقد كان يقدم رغيفين من الشعير للشكر على المحصول الذى جمع وقد ذكر فى الشريعة أنه يوم راحة لا يعمل فيه أى عمل (لا ٢٣ : ٢١ ، عد ٢٨ : ٢٦) لذلك كان الجميع يخرجون إلى الشوارع فى هذا العيد .

ماذا حدث يوم عيد العنصرة . لا نعلم ، ولكن من المؤكد أن التلاميذ اختبروا فيضان الروح القدس بصورة لم يعهدوها من قبل . ويجب ألا ننسى أن لوقا الذى كتب وصف ما حدث لم يكن أحد الحاضرين فى ذلك اليوم وهو يصف ما حدث على اعتبار أن الرسل أعطوا أن يتكلموا بلغات أجنبية ولكن هذا بعيد الاحتمال(*) لسببين :

١ – انتشرت فى الكنيسة الأولى ظاهرة لم نزل نشاهدها هى ظاهرة التكلم بألسنة (أع ١٠ : ٤٦ ؛ ١٩ : ٦) وقد خصص أصحاح كامل لوصف التكلم بألسنة فى ١ كو ١٤ ولكن ما كان يحدث أن الشخص فى حالة هيام روحى .

كان يصدر فيضاً من كلمات غير مفهومة بلغة غير معروفة وكان المفهوم أن هذا الكلام بوحى من الروح القدس . ولو أن هذا يبدو غريباً لنا لكن الناس كانوا يشتهون هذه العطية ويتوقون إليها

(*) هذا رأى المؤلف ولكننا نعتقد أن الله أعطى هذه المعجزة لتكون شهادة للأمم كما يقول بولس (١ كو ١٤ : ٢٢) « إذا الألسنة آية لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين » ، (عب ٢ : ٤) « شاهدا الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته » .

وبولس لم يوافق عليها كثيراً ولكنه فضل عليها الرسالة المفهومة حتى إذا ما دخل غريب لا يظن أنه بين جماعة تهذى (١ كو ١٤ : ٢٣) وهذا يتفق تماما مع ما نقرأه فى أع ٢ : ١٣ .

فالذين يتكلمون بألسنة يظهرون وكأنهم سكارى فى نظر الذين لم يعرفوا هذه الظاهرة .

وعلى هذا الأساس فإننا نرجح احتمال أن يكون هذا الفصل وصفاً للعطية الغريبة المشتهاة وهى التكلم بألسنة .

٢ ـــ لم يكن هناك داع للتكلم بلغات أجنبية فالفصل الذى نحن بصدده يقول بأن الجمهور كان مكوناً من خمسة من اليهود وعشرة دخلاء ، وهؤلاء الدخلاء عبارة عن الأمم الذين تعبوا من تعدد الآلهة والذين زهدوا فى الحياة اللاأخلاقية فجاءوا إلى المجمع ليتعلموا عن الإله الواحد وطريق النقاوة ثم آمنوا بالديانة اليهودية وبأسلوب الحياة اليهودى لذلك فى جمع كهذا لم يكن هناك داع لأكثر من لغتين . فمعظم اليهود كانوا يتكلمون الآرامية وحتى أولئك الذين فى الشتات فى بلاد أخرى كانوا يتكلمون اللغة اليونانية وهى اللغة الدولية فى ذلك العصر . فكل شخص فى العالم كان يعرف اليونانية إلى جانب لغته الأصلية . وعلى ذلك فإن اليونانية والآرامية (ولابد أنهما كانتا من اللغات التى نطقوا بها) كانتا كافيتين فى ذلك المقام . لذلك نشك أن لوقا الأممى خلط بين التكلم بألسنة والتكلم بلغات أخرى .

ولكن ما يهمنا أن جميع الحاضرين سمعوا كلمة الله لأول مرة فى حياتهم بطريقة وصلت إلى عمق قلوبهم ففهموها . وقد تجلت قوة الروح القدس فى إعطاء أولئك الرسل البسطاء رسالة وأسلوباً أوصلها إلى كل قلب .

أول عظة مسيحية

يعتبر الفصل (أع ٢ : ١٤ ـــ ٤٢) من أمتع فصول العهد الجديد . لأنه عبارة عن سرد لأول عظة مسيحية ألقيت . وقد كان فى الكنيسة الأولى أربعة أنواع من المواعظ .

١ ـــ كان هناك ما يسمى كريجما (Kerugma) ومعناها حرفياً (إعلان البشير) أى الحقائق المسيحية ، وقد رأى الوعاظ الأوائل أنها حقائق أساسية لا تناقش ولا يمكن إنكارها .

٢ ـــ وكان هناك ما يسمى ديداخ (didache) ومعناه الحرفى التعليم أى دراسة المعانى المتضمنة فى الحقائق التى نادوا بها . وفى لغة العصر الحاضر نفرض أن شخصاً قدم للحاضرين بعض الحقائق التى لا تحتمل المناقشة فسأله أحد الحاضرين ولكن ما فائدة هذا ؟ . إن الديداخ عبارة عن الإجابة على هذا السؤال .

٣ـــ وكان هناك الباراقليسز (Paraklesis) وهى تعنى حرفيا الحث وكان هدف هذا النوع من الوعظ حث الناس ـــ على تطبيق ما تعلموه من الكريجما والديداخ على حياتهم .

٤ ـــ وكان هناك الهوميليا (homilia) ومعناها معالجة أى موضوع أو جزء من الحياة فى ضوء

الرسالة المسيحية .

وعلى العموم كان الوعظ يشمل جزءاً من كل نوع من هذه الأنواع الأربعة . فقد بسطوا الحقائق المسيحية الواضحة فى كلمة الله ثم شرحوا هذه الحقائق ثم حثوا الناس على تطبيقها على حياتهم ومعالجة كل النشاط الإنسانى فى ضوء الرسالة المسيحية .

وسفر الأعمال معظمه من (الكريجما) لأنه ينادى بحقائق الإنجيل لأولئك الذين لم يسمعوها من قبل . وهذه الكريجما تتبع نمطاً يتكرر مرات عديدة فى كل العهد الجديد كما يلى :

١ ــ فنجد البراهين على أن كل ما حدث ليسوع هو تتميم لما جاء فى نبوات العهد القديم . ولكن فى عصرنا الحاضر يقل اهتمامنا تدريجياً بتحقيق النبوات . فنحن نعتبر أن النبى ليس مجرد راء يرى المستقبل ويتكلم عنه بقدر ما هو مناد بالحقائق الإلهية للناس . ولكن التأكيد على تحقق النبوات ينبر على حقيقة هامة وهى أن التاريخ ليس مجرد حوادث تحدث جزافاً لكن هناك معنى وقانونا أخلاقياً يعمل فى العالم .

وتصديقنا بإمكانية التنبؤ يؤكد إيماننا بسلطان الله وأنه يعمل على تنفيذ أغراضه .

٢ ــ وفى يسوع جاء المسيا المنتظر وتحققت النبوات عن المسيا وأشرق عهد جديد .

ولقد أحست الكنيسة الأولى إحساسا قوياً أن يسوع هو بيت القصيد فى التاريخ وبمجيئه اقتحمت الأبدية الزمن ودخل الله حلبة الصراع الإنسانى وبناء عليه لابد أن تتغير الحياة والعالم كله . إذ أن مجىء المسيح معناه بزوغ حدث هائل لا يتكرر .

٣ ــ اتجه الوعظ فى العصور الأولى إلى سرد الحقائق عن ميلاد المسيح من سلسلة نسب داود ، وعن تعاليمه ومعجزاته التى أجراها ، وعن صلبه وقيامته ، وأنه صعد ليكون على يمين الله . لقد كانت الكنيسة الأولى واثقة تمام الثقة أن الديانة المسيحية لها أساس تاريخى مؤسس على حياة المسيح على الأرض وأنه لابد من رواية تلك القصة . ولكنها كانت تثق أيضاً أن حياته على الأرض لم تنته بالموت بل أنه قادم . ومع أن الحقائق التاريخية كانت هى الأساس لكنها لم تكن هى كل شىء فيسوع بالنسبة لهم لم يكن مجرد شخصية تاريخية قرأوا عنها أو سمعوها بل شخصية تقابلوا معها وعرفوها واختبروها . لم يكن مجرد إنسان عاش ومات وجاء ذكره فى كتاب لكنه حضور حقيقى حى للأبد .

٤ ــ وقد أصر الوعاظ القدامى على إثبات حقيقة أن يسوع سيجىء ثانية بمجد ليؤسس ملكوته على الأرض . بمعنى أن الكنيسة الأولى آمنت بكل جوارحها بالمجىء الثانى . لقد كادت هذه الحقيقة تختفى من وعظنا الحديث . ولكن هذه الفكرة (المجىء الثانى) تحمل فى طياتها أنه فى يوم ما ، فى وقت ما ، ستأتى النهاية .

٥ ــ وتنتهى العظة بالقول بأنه بيسوع وحده الخلاص وأن من يؤمن به يقبل الروح القدس ومن لا يؤمن ستكون نهايته أليمة . أى أن العظة كانت تنتهى بوعد وتهديد . وهذا يشبه ما سمعه

بنيان من خلفه « هل تترك خطاياك وتذهب للسماء أم تحتفظ بها وتذهب للجحيم ؟ » .

وإذ نقرأ عظة بطرس الآن نجد فيها هذه العناصر الخمسة متداخلة معاً .

جاء يوم الرب

(أع ٢ : ١٤ — ٢١)

فى العدد ١٥ يصر بطرس على أن هؤلاء الناس ليسوا سكارى لأنها الساعة الثالثة من النهار . واليوم اليهودى كان يبدأ من السادسة صباحا وينتهى فى السادسة مساء وعلى ذلك تكون الساعة الثالثة موافقة للساعة التاسعة صباحا بتوقيتنا .

وهذا الفصل كله يوقفنا وجهاً لوجه أمام مفهوم أساسى ساد فى العهدين القديم والجديد ألا وهو مفهوم يوم الرب . هناك مواضع كثيرة فى العهدين لا يمكن فهمها فهماً دقيقا ما لم نعى الأفكار التى يتضمنها هذا المفهوم . لم ينس اليهود لحظة واحدة عقيدتهم أنهم شعب الله المختار وقد فسروا هذه العقيدة على أن الله اختارهم ليعطيهم شرفاً وامتيازا خاصاً بين الشعوب . لقد كانوا دائما أمة صغيرة . وكان التاريخ بالنسبة لهم سلسلة طويلة من المصائب . ولقد أدركوا أنهم لا يمكن أن يصلوا إلى الوضع اللائق بهم كشعب مختار بأى وسيلة بشرية . لذلك توصلوا شيئاً فشيئاً إلى أن غير المستطاع عند الناس مستطاع لدى الله . لذلك توقعوا أن يتدخل الله يوماً ما مباشرة فى التاريخ ويرفعهم إلى المستوى اللائق الذى يحلمون به . واليوم الذى يتدخل فيه الله هو يوم الرب . وقد قسموا الزمن إلى قسمين : الدهر الحاضر وهو دهر شرير وهالك لا محالة ، والدهر الآتى هو العصر الذهبى لله . وبين هذين الدهرين يقع يوم الرب وهو يوم عصيب لأنه يمثل آلام ولادة دهر جديد . وسيأتى هذا اليوم فجأة كلص فى الليل وسيهتز من أساساته ويختل نظام الكون وسيكون يوم قضاء مرعب .

وفى كل الكتب النبوية فى العهد القديم وفى معظم العهد الجديد نجد أوصافاً لهذا اليوم .

ومن أشهر هذه الفصول إشعياء ٢ : ١٢ ، ١٣ : ٦ ، عاموس ٥ : ١٨ ، صفنيا ١ : ٧ ، يوئيل ٢ ، ١ تسالونيكى ٥ : ٢ ، ٢ بطرس ٣ : ١٠ .

وفى هذا الفصل يقول بطرس لليهود « لقد كنتم تحلمون بيوم الرب من سنين عديدة يوم يتدخل الله فى التاريخ ، والآن تحقق هذا فى يسوع » وخلف كل هذه الصورة تظهر الحقيقة العظيمة : أن يسوع — الله المتجسد — ظهر على مسرح التاريخ البشرى .

رب ومسيح

(أع ٢ : ٢٢ ــ ٣٦)

هنا نجد فصلاً مليئاً بفكر الوعاظ الأول :

١ ــ فهو يؤكد أن الصليب لم يكن حدثاً عارضاً بل كان فى خطة الله الأزلية (عدد ٢٣) ونجد هذا المعنى نفسه المرة تلو الأخرى فى سفر الأعمال (٣ : ١٨ ، ٤ : ٢٨ ، ١٣ : ٢٩) وذلك ليحفظنا من خطأين خطيرين فى تفكيرنا عن موت يسوع . (أ) ليس الصليب مجرد حدث طارىء استخدمه الله عندما فشلت الطرق الأخرى لكنه جزء لا يتجزأ من الله نفسه . (ب) يجب أن لا يتطرق إلى أذهاننا أن أى شىء عمله يسوع غير اتجاه الله نحو الناس . ولا أن نقارن بين لطف يسوع ومحبته وبين غضب الله وانتقامه فإن الله هو الذى أرسل يسوع .

لكن يمكن أن نصور الأمر كما لو أن الصليب يشبه نافذة فى جدار الزمن نستطيع أن نرى خلالها محبة الله المتأججة فى قلبه للأبد .

٢ ــ ولكن سفر الأعمال يبين أنه ولو أن الأمر كذلك إلا أن هذا لا يقلل من جريمة أولئك الذين صلبوا يسوع . وفى كل إشارة للصليب فى هذا السفر نجد لمحة من الاشمئزاز والرعب للجريمة البشعة التى ارتكبها الناس (أع ٢ : ٢٣ ،٣٠ : ١٣ ، ٤ : ١٠ ، ٥ : ٣٠) . وبغض النظر عن أى شىء آخر فالصلب أعظم جريمة فى التاريخ . وهو يبين أن الخطية تعمل عملها وأنها تستطيع أن تقضى على أعظم حياة شاهدها العالم وتحطمها على الصليب .

٣ ــ كما أن سفر الأعمال يثبت أن آلام المسيح وموته هما تتميم للنبوات .

لقد كان الوعاظ الأوائل يهتمون بذلك لأنه بالنسبة لليهود كانت فكرة صلب المسيا شىء لا يصدق . فقد كان ناموسهم يقول « ملعون كل من علق على خشبة » (تث ٢١ : ٢٣) وبالنسبة لليهودى المتمسك بدينه كان الصليب هو الإثبات الواضح على أن يسوع لا يمكن أن يكون المسيا . فكانت مهمة الوعاظ الأوائل أن يجيبوا عليهم « لو كنتم تهتمون فقط بقراءة الكتب بطريقة صحيحة فسترون أن كل ما حدث مكتوب فى الأسفار المقدسة » .

٤ ــ وسفر الأعمال ينبر على أن قيامة المسيح هى البرهان الذى ما بعده برهان على أن يسوع هو فى الحقيقة الفتى المختار(*) . لذلك يلقب سفر الأعمال بإنجيل القيامة . وبالنسبة للكنيسة الأولى كان للقيامة الأهمية الأولى . ويجب ألا ننسى أنه بدون قيامة لما قامت الكنيسة المسيحية على الإطلاق . وعندما كان التلاميذ يجعلون القيامة محور مواعظهم فقد كانوا يشهدون باختبارهم الشخصى . فبعد الصلب كانوا مشتتين مهزومين تبددت أحلامهم وأسدل الستار على حياتهم ولكن القيامة غيرت كل هذا فأصبح اليائسون أناساً ممتلئين حماساً وثقة وأصبح الجبناء أبطالاً . إنها لمأساة أن تكتفى

(*) إش ٤٢ : ١ ، مت ١٢ : ١٨

الكنيسة هذه الأيام بالوعظ عن القيامة فى عيد القيامة فقط ولكن كل يوم أحد هو يوم الرب نحفظه لأنه يوم القيامة . وفى الكنيسة الشرقية كان الناس يتبادلون تحيات العيد بالقول « الرب قام » ويكون الرد « حقا قام » . إن المسيحى هو الشخص الذى لا ينسى أبداً أن يعيش ويمشى مع الرب المقام .

خلصوا أنفسكم

(أع ٢ : ٣٧ ــ ٤١)

١ ــ هذا الفصل يرينا بوضوح تام تأثير الصليب . فعندما أظهر للناس ما فعلوه عندما صلبوا يسوع كسرت قلوبهم . قال يسوع : « وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع » (يو ١٢ : ٣٢) . إن كانت خطية الإنسان هى السبب فى صلب يسوع فخطيتنا إذاً تشترك فى هذه المسئولية .

فكل إنسان كان له يد فى هذه الفعلة الشنعاء . قيل إن أحد المرسلين كان يحكى قصة يسوع فى إحدى قرى الهند ، ثم عرض عليهم صوراً بالفانوس السحرى . ولما عرض صورة المسيح على الصليب اندفع أحد الهنود وهو يصرخ « انزل يا ابن الله من على هذا الصليب فأنا ــ لا أنت ــ الذى يستحق الصلب » . إننا عندما ندرك ما فعله يسوع على الصليب نشعر بأن الصليب قد اخترق قلوبنا .

٢ ــ هذا العمل يتطلب رد فعل من الناس . لذلك يقول بطرس « توبوا » توبوا أولا وللنهاية . ما معنى التوبة ؟ إن الكلمة الأصلية تعنى إعادة التفكير أو التفكير مرة ثانية . وغالباً يثبت التفكير للمرة الثانية أن الفكرة الأولى كانت خاطئة ، فالكلمة إذاً تعنى تغيير الفكر . فإن كان الإنسان أميناً فإن تغيير التفكير يستلزم تغيير الأفعال . فالتوبة تتضمن تغيير الفكر والفعل . فقد يغير إنسان فكره فيكتشف أن أعماله كانت خاطئة ولكنه يحب طرقه القديمة ولا يريد أن يغيرها . وقد يغير إنسان أفعاله إما بدافع الخوف أو بدافع حب الظهور لكن فكره يظل كما هو دون تغيير ويظل قلبه متعلقاً بطرقه القديمة حتى إذا ما أتيحت له الفرصة عاد إلى سيرته الأولى . لكن التوبة الحقيقية هى تغيير الفكر والعمل .

٣ ــ وعندما نتوب يحدث شىء هام لماضينا ألا وهو غفران الخطايا . فالله يغفر لنا ماضينا . لكن ليكن واضحاً أن آثار خطايانا السابقة لا تمحى . حتى الله نفسه لا يستطيع أن يمحو آثارها . فعندما نخطىء نسىء إلى أنفسنا وإلى الآخرين وهذه الإساءات لا تمحى .

دعنا نعطى هذا المثل لتوضيح هذه الفكرة . فعندما كنا أولاداً صغاراً وكنا نخطىء كنا نجد حاجزاً غير منظور بيننا وبين والدينا . ولكن عندما كنا نتأسف لهم تفتح أمنا ذراعيها وتحتضننا فتعود علاقتنا معها مرة أخرى . إن الغفران لا يزيل نتائج ما صنعنا لكنه يعيد العلاقة الصحيحة بيننا وبين الله حيث يزول منا كل خوف أو شعور بالغربة عن الله ويعود سلامنا مع الله .

٤ ــ وعندما نتوب يحدث شيء هام لمستقبلنا أيضاً . فتقبل عطية الروح القدس . فإن تبنا فكيف نضمن عدم الوقوع فى الخطية مرة ومرات ؟ وهنا يجيء دور الروح القدس الذى يملأ حياتنا بقوة عجيبة ، وبهذه القوة نستطيع أن ننتصر فى المعارك التى لم نكن نتوقع أن ننتصر فيها ونقاوم الأشياء التى كنا عاجزين عن مقاومتها قبلاً .

فى لحظة التوبة الحقيقية نتحرر من النفور والخوف من الماضى ثم نتسلح لخوض معارك المستقبل .

مميزات الكنيسة

(أع ٢ : ٤٢ ــ ٤٧)

هذا الفصل يلخص حالة الكنيسة فيلقى ضوءاً على مميزات الكنيسة الأولى :

١ ــ إنها كانت كنيسة مقبلة على التعليم . فالكلمة تعليم (عدد ٤٢) تفيد استمرار الرسل فى التعليم وإقبال الكنيسة على سماع هذا التعليم .

إن الكنيسة التى تعيش فى دين جامد ، تنظر للخلف لا للأمام ، فى خط داهم . فبما أن غنى المسيح لا يستقصى ولا يفنى ؛ لذلك يجب أن نسير للأمام باستمرار . فالمسيحى فى رحلته يجب ألا يهتم بغروب الشمس بل بشروقها . لنحسبها خسارة عظيمة إذا مرّ علينا يوم لم نتعلم فيه شيئاً جديداً ولم ندخل فيه إلى أعماق جديدة من حكمة الله ونعمته .

٢ ــ كانت كنيسة الشركة . أو كما وصفها أحدهم بأنها كانت تتمتع بإحدى الصفات العظيمة وهى الوحدة والترابط . وصف القائد نيلسون إحدى معاركه التى انتصر فيها فقال « كان لى حظ قيادة فرقة من الإخوة المتحابين » . إن الكنيسة الحقيقية هى التى تتكون من فرقة من الإخوة .

٣ ــ كانت كنيسة مصلية . كان أولئك المسيحيون يعلمون تماماً أنهم لا يستطيعون أن يقابلوا الحياة بقوتهم ولم يكونوا فى حاجة إلى ذلك . فقد كانوا دائماً يكلمون الله قبل أن يتكلموا مع الناس . لقد كانوا يدخلون ليقابلوا الله قبل أن يخرجوا ليقابلوا الناس . لقد استطاعوا أن يواجهوا مشاكل الحياة لأنهم تقابلوا مع الله أولاً .

٤ ــ كانت كنيسة وقورة . إن الكلمة المترجمة خوف فى (عدد ٤٣) تعنى الاحترام والوقار . قيل عن أحد عظماء اليونان إنه كان يسير فى العالم كما لو كان يسير فى معبد . والمسيحى يعيش فى وقار واحترام لأنه يعلم أن كل الأرض هى هيكل لله الحى .

٥ ــ كانت هناك أشياء تحدث فى الكنيسة : كانت هناك آيات وعجائب (٤٣) إن كنا نتوقع من الله إنتظارات عظيمة وإن كنا نحاول أن نعمل أعمالاً عظيمة لله فلابد أن تحدث . فإن ضاع الإيمان تضيع معه كل انتظاراتنا وأعمالنا . ولاشك أن أشياء عظيمة ستحدث لو آمنا أننا مع الله قادرون على عملها .

٦ ــ كانت كنيسة مشاركة (عدد ٤٤ ، ٤٥) كان هؤلاء المسيحيون الأوائل يشعرون بالمسئولية نحو بعضهم . قيل عن رجل اسمه وليام موريس إنه عندما كان يرى شخصاً مخموراً كان يتأثر لأنه كان يحس بمسئولية خاصة من نحوه . إن المسيحي الحقيقى لا يشعر بالسرور والراحة إن كان يملك الكثير بينما يرى الآخرين لا يملكون إلا القليل .

٧ ــ كانت كنيسة متعبدة (عدد ٤٦) لم ينس الناس بيت الله . يجب ألا ننسى أن الله لا يعرف شيئاً اسمه الدين الانفرادى . إن نصف ما يعترينا من سرور وبهجة عندما نشاهد حفلاً رياضياً أو موسيقياً هو اعجابنا بانسجام الفرد مع المجموعة . وروح الله يرف على الناس الذين يعبدون الله معاً .

٨ ــ كانت كنيسة سعيدة (عدد ٤٧) كانوا يشعرون بالإبتهاج . وعلى ذلك فالمسيحى العابس يختلف عن تلك الصورة ، إن فرح المسيحى لا يظهر على شكل صياح وتهريج ولكنه فرح عميق فى القلب لا يستطيع أحد أن ينتزعه منه .

٩ ــ لقد كانت كنيسة مكونة من أناس لا يستطيع الإنسان إلا أن يحبهم . فى اللغة اليونانية كلمتان بمعنى « حسن » (agathos) وهى تصف الشىء بأنه حسن أما Kolos فهى تعنى أن الشىء ليس حسناً فقط لكن منظره الخارجى جذاب أيضاً . إن المسيحية الحقيقية جميلة . هنالك أناس طيبون ولكن عليهم مسحة من الجمود البغيض حتى أنك لا تأنس إليهم ، إنهم مثل الجبال الثلجية .

كان ستردرس (Struthers) يقول إن أكثر ما يفيد الكنيسة أن يكون المسيحيون طيبين مرحين . لقد كان على أعضاء الكنيسة الأولى مسحة السرور والابتهاج والمرح .

الاصحاح الثالث

عمل مجيدٌ يعملُ

(أع ٣ : ١ ــ ١٠)

كان اليوم اليهودى يبدأ الساعة السادسة صباحاً وينتهى فى السادسة مساءاً . وعلى ذلك تكون الساعة الثالثة معادلة للساعة التاسعة صباحاً والسادسة معادلة للساعة الثانية عشر ظهراً والتاسعة معادلة للثالثة بعد الظهر . واليهودى المدقق كان يواظب على الصلاة فى التاسعة صباحاً وفى الظهر والثالثة بعد الظهر . ومع أنهم كانوا يعرفون أن الصلاة مفيدة فى أية ساعة من ساعات النهار إلا أنهم كانوا يقدرون الصلاة فى الهيكل تقديراً خاصاً . ومما يثير الإعجاب أن نرى التلاميذ يواظبون على العادات والتقاليد التى درجوا عليها . لقد ذهب بطرس ويوحنا فى ساعة الصلاة إلى الهيكل لقد صار لهما إيمان جديد لكنهما لم يتخذا من عقيدتهما الجديدة تكئة وعذراً ، لتحطيم التقاليد . لقد كانا واثقين أن الإيمان الجديد والنظام القديم يمكن أن يسيرا جنباً إلى جنب .

وقد جرت عادة المتسولين فى الشرق أن يستعطوا على باب الهيكل أو المعبد . ولقد كان هذا الموقع وما يزال أحسن مكان للاستجداء حيث أن الذاهبين إلى أماكن العبادة يشعرون بحاجة الآخرين .

قال شحاذ مرة إنه حيثما حل فى مدينة يبحث عن الكنيسة ويجلس أمامها ليستعطى . وقد وجد بخبرته أن الناس فى هذا المكان يكونون أكثر كرماً . حقاً إن حب الإنسان وحب الله يجب أن يسيرا جنبا إلى جنب .

وهذه الحادثة توقفنا وجهاً لوجه أمام قضية المعجزات فى العصر الرسولى . فهناك أشياء محددة يجب ذكرها فى هذا المقام :

١ ــ لقد حدثت هذه المعجزات فعلاً . ففى أعمال ٤ : ١٦ نقرأ عن السنهدريم وكيف اضطر أن يوافق على المعجزة لأنهم لم يستطيعوا أن ينكروها .

لقد كان أعداء المسيحية أولى الناس لإنكار المعجزات لو لم تكن قد حدثت فعلاً لكنهم لم يحاولوا إنكارها .

٢ ــ لماذا انقطعت المعجزات إذاً ؟ ونورد هنا بعض الردود المقترحة .

(١) لقد كانت المعجزات ضرورة فى وقت ما . عبر أحدهم عن ذلك فقال إن المعجزات كانت كالأجراس تدعو الناس للكنيسة المسيحية . لقد كانت المعجزات هى ضمان صحة المسيحية وقوة الرسالة . فى بدء غزوها للعالم .

(ب) فى ذلك العصر تلاقى طرفان خاصان : أولا ، شخصيات الرسل الذين كانت لهم علاقات

شخصية قوية مع يسوع المسيح وثانياً شخصيات الناس وقد كانوا يعيشون فى جو من التوقع وكانوا مستعدين لتقبل أى شىء حتى ليمكن أن نقول إن الإيمان كان فى ذروته . وحدث من التقاء هذين الطرفين تأثيرات متآلفة .

٣ ــ لكن السؤال الحقيقى ليس « لماذا توقفت المعجزات ؟ » بل « هل توقفت المعجزات ؟ » ، من الحقائق البسيطة أن أى طبيب أو جراح يستطيع أن يفعل أشياء كانت فى عصر الرسل تعتبر معجزات . فالحقيقة المعروفة فى العالم كله أن الله لا يعمل للناس شيئاً طالما كانوا يستطيعون عمله . لذلك فقد كشف الله حقائق جديدة ومعلومات جديدة للناس وبهذا الكشف يستطيع الناس عمل المعجزات . قال طبيب عظيم « أنا أربط الجروح ولكن الله هو الذى يشفيها » . وبالنسبة للمسيحى ما زالت المعجزات تجرى فى مختلف المجالات ، فقط عليه أن يراها .

جريمة الصلب

(أع ٣ : ١١ ــ ١٦)

فى هذا الفصل نلمح ثلاث ملاحظات بارزة فى الوعظ المسيحى فى العصور الأولى .

١ــ كان الوعاظ الأوائل يؤكدون دائماً حقيقة هامة : إن الصليب كان أعظم جريمة فى تاريخ البشرية . وكلما جاء ذكر هذه الجريمة كانوا يذكرونها بصوت متهدج من الرعب . كان يسوع القدوس البار الذى ما أن تراه حتى تحبه وحتى الوالى الرومانى نفسه كان متأكداً أن الصلب وصمة فى جبين العدالة . لقد أنقذ الناس شخصاً قاتلاً وصلبوا ذاك الذى جال يصنع خيراً . لقد حاول الوعاظ الأول أن يستثيروا الفكر البشرى بتذكيرهم ببشاعة جريمة الصلب وكأنهم يقولون « أنظروا ماذا تستطيع أن تفعل الخطية » .

٢ ــ لقد أكد الوعاظ الأول حقيقة القيامة . فمن الحقائق المعروفة أنه لولا القيامة لما قامت للكنيسة قائمة . وبدون قيامة كان يسوع يصبح مجرد ذكرى تخبو تدريجياً ، ولكن القيامة كانت برهاناً قوياً على ألوهية المسيح وأنه رب الحياة والموت وأنه حى إلى الأبد . لقد كانت القيامة البرهان الذى ما بعده برهان أن الله كان فى المسيح ومعه ولذا فهو القوة التى لا توقف .

٣ ــ كما أكد الوعاظ الأول قوة الرب المقام . لم يعتبروا أنفسهم قط أنهم مصدر قوة . بل مجرد مجرى لها . لقد أدركوا حدود إمكاناتهم ولكنهم عرفوا أنه لا حدود لما يستطيع الرب المقام أن يصنعه فيهم وبهم . وهنا يكمن سر الحياة المسيحية . فالمسيحى يعرف تماماً أنه طالما فكر فيما يستطيع عمله وما يستطيع أن يصل إليه فلا نتيجة إلا الفشل والحيرة والخوف .

ولكنه إذا فكر فى « لا أنا بل المسيح فىّ » فلا يوجد فى حياته إلا السلام والقوة .

درجات الوعظ

(أع ٣ : ١٧ ــ ٢٦)

إن كل نغمات الوعظ نجدها واضحة فى هذا الفصل :

١ ــ فهو يبدأ بنغمة الرحمة والتحذير مرتبطين معاً . لقد فعل اليهود فعلتهم الشنعاء بصلب يسوع بجهل . لكن هذا الجهل لن يستمر . ولا عذر لهم بعد فى رفض يسوع . ونغمة المسئولية المخيفة الناتجة عن المعرفة نجدها تتكرر فى كل العهد الجديد . « لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية . ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية . » (يو ٩ : ٤١) « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم » (يو ١٥ : ٢٢) « فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له » (يعقوب ٤ : ١٧) . إن رؤية كمال نور الله وإعلانه امتياز عظيم ولكنها فى الوقت نفسه مسئولية مخيفة .

٢ ــ والمعرفة تضعنا أمام مسئولية التوبة والرجوع . وهما كلمتان متلازمتان . فالتوبة قد تعنى فقط تغيير الفكر . وتغيير الفكر أسهل من تغيير الحياة . ولكن هذا التغيير الفكرى يظهر فى الرجوع عن الطرق القديمة والاتجاه إلى الجديدة .

٣ ــ هذه التوبة لها نتائج خاصة . فهى تؤثر فى الماضى . فالخطايا تمحى وهى كلمة مليئة بالمعانى والحياة . فالكتابة القديمة كانت على أوراق البردى والأحبار المستخدمة لم تكن تتفاعل مع الورق بل كانت الكتابة سطحية ، فإذا أراد الكاتب أن يمحو أى سطر ما عليه إلا أن يبلل إسفنجة ويمحوه ببساطة . وهكذا يمحو الله خطايا الإنسان عند غفرانها . كما أن المحو يؤثر على المستقبل إذ يمتعنا بأوقات منتعشة فتزدان الحياة بالقوة فى وقت الضعف والراحة فى وقت التعب .

٤ ــ ثم ينتقل بطرس للكلام عن مجىء المسيح الثانى . ومع أن هذا التعليم له معانى كثيرة إلا أنه يعنى بصفة خاصة أن التاريخ يتجه اتجاها خاصاً . فهو لا يسير على غير هدى بل إلى هدف محدد .

٥ ــ يصر بطرس على أن كل ما حدث سبق التنبؤ به . لقد رفض اليهود أن يتقبلوا فكرة الشخص المختار من الله ليتألم ولكن بطرس يصر أنهم لو فتشوا الكتب لوجدوا كل هذه الأفكار مدونة فيها .

٦ ــ ثم إن بطرس يذكرهم بامتياز أمتهم . فقد كان اليهود شعب الله المختار .

٧ ــ وأخيراً يوضح لهم الحقيقة التى لا يمكن الهروب منها وهى أن هذا الامتياز الخاص يضعهم أمام واجب خاص أيضاً ذلك أن عليهم أن يتصرفوا لا كما يرغبون هم بل كما يريدهم الله أن يتصرفوا . فليس الامتياز لمجرد التشريف بل إنه امتياز تكليف وخدمة .

الاصحاح الرابع

القاء القبض

(أع ٤ : ١ — ٤)

لقد تم شفاء الأعرج فى رحاب الهيكل فى جزء دائم الازدحام بالناس .

لقد تركزت الأضواء بطريقة لا يمكن تفاديها على هذه الحادثة . لقد كان باب الجميل يوصل بين رواق الأمم ورواق النساء . ولقد كان رواق الأمم من أشد الأروقة إزدحاما إذ كان يسمح للأمم من كل الجنسيات فى التردد عليه ما داموا يدخلونه باحترام . وقد كان يجلس فى هذا الرواق الصيارفة وبائعو الذبائح . وحول الهيكل كان هناك صفان متعامدان من البواكى يتلاقيان عند رواق الأمم أحدهما يدعى الرواق الملكى والآخر رواق سليمان . وقد كانا مزدحمين بالناس الذين جاءوا للعبادة وللتعلم وللتفرج والمشاهدة . وكان من الطبيعى أن تسترعى هذه الحادثة وسلسلة الحوادث الأخرى انتباه الجماهير . ومن خلال هذا الزحام ظهر الكهنة والصدوقيون والمشرف على الهيكل وهو المساعد بل الذراع الأيمن لرئيس الكهنة . وكان من مهامه الإشراف على نظام الهيكل وترتيبه . ولما ازدحم الناس كان من الطبيعى أن يحضر المشرف وأتباعه من حرس الهيكل . كما جاء الصدوقيون وهم الطبقة الارستقراطية الثرية . ولم يكن عددهم كبيراً ولكنهم كانوا أغنياء ذوى نفوذ كبير وقد ضايقهم هذا الموضوع جداً لسببين : أولا لأنهم لم يصدقوا القيامة من الأموات وهو موضوع حديث الرسل . وثانياً لأنهم كانوا الطبقة الغنية الارستقراطية المتعاونة مع المستعمرين . فقد حاولوا أن يكونوا أصدقاء الرومان حتى يحتفظوا بثرائهم وقوتهم ونفوذهم . وأخيراً فقد كانوا يهدفون إلى إلصاق تهمة إثارة الشغب بالتلاميذ . لقد كانت الحكومة الرومانية تتساهل فى أمور كثيرة لكنها كانت تضرب بلا رحمة كل محاولة لإثارة الشغب . وقد توقع الصدوقيون تدخل الدولة الرومانية لإخماد الشغب إذا ترك التلاميذ يبشرون . وهم يخافون من تدخل الرومان لئلا يصيبهم شيء لذلك قرروا مقاومة التلاميذ منذ البداية وهذا ما أدى إلى إلقاء القبض على بطرس ويوحنا بسرعة . وهذه الحادثة تعطينا نموذجاً واضحا لما تقوم به جماعة من الناس للمحافظة على كيانهم حتى أنهم لا يستمعون للحق ولا يتركون الفرصة لأى شخص أن يستمع إليه .

أمام السنهدريم

(أع ٤ : ٥ — ١٢)

لقد أحضر بطرس ويوحنا للمحاكمة أمام السنهدريم . لقد كان السنهدريم المحكمة العيا . وقد كان لهذه المحكمة سلطة إلقاء القبض حتى فى أيام حكم الرومان والشيء الوحيد الذى لم تكن تملك إصدار الحكم فيه هو الإعدام إلا فى حالة واحدة : إذا دنس أممى الهيكل من الداخل . كان

السنهدريم مكوناً من ٧١ عضواً ، ورئيس الكهنة كان يعتبر رئيساً شرفياً . وكان من ضمن أعضاء السنهدريم كهنة وكانوا جميعا من الصدوقيين لأنهم كانوا يحاولون أن يحافظوا على مراكزهم حتى لا يقل دخلهم من الوظائف . وكان من ضمن الأعضاء بعض الكتبة وهم خبراء التقاليد . وفريسيون متعصبون للناموس . وشيوخ محترمون فى المجتمع . ثم بعض أقرباء الكهنة وكان يطلق عليهم أحياناً رؤساء الكهنة وكانوا من طبقتين :

أولا : رؤساء الكهنة السابقين . لقد كان لليهود فى أيام مجدهم رئيس كهنة يحصل على مركزه بالوراثة ولمدى الحياة . أما فى أيام الرومان فقد تدخلت عوامل أخرى فى اختيار رئيس الكهنة مثل الرشوة والفساد . لذلك أقام الرومان رؤساء الكهنة وخلعوهم حتى أنه فيما بين ٣٧ ق . م ، ٦٧ ميلادية كان هناك ما لا يقل عن ٢٨ رئيس كهنة ولكن كان رئيس الكهنة المخلوع يبقى قوة كبيرة لا يستهان بها .

ثانيا : ولو أن نظام الوراثة فى اختيار رئيس الكهنة انتهى إلا أن الاختيار كان محصوراً فى عائلات معينة فالرؤساء الثمانية والعشرون الذين ذكرناهم جاءوا جميعا — فيما عدا ستة فقط — من أربع عائلات كهنوتية . وكان لأفراد هذه العائلات مركز خاص وهؤلاء هم الذين كان يطلق عليهم رؤساء الكهنة .

والآن عندما نقرأ خطاب بطرس نستطيع أن ندرك لمن قال هذا الخطاب وعندما نتذكر هذا ندرك أن هذا الخطاب أعظم نموذج للشجاعة فى العالم . لقد وجه بطرس هذا الخطاب إلى أغنى الناس وأكثرهم نفوذاً وقوة وأكثرهم ذكاء وفطنة ومع هذا يقف بطرس الصياد البسيط عملاقاً أمام هذه الجماعة كما لو كان هو القاضى وهم المتهمون .

والأهم من ذلك أن هذه المحكمة هى نفسها التى أدانت المسيح وساقته للصلب . لقد كان بطرس يعلم ذلك جيدا وكان يعلم أنه يضع رأسه على كفه وهو يلقى خطابه أمامهم . هناك نوعان من الشجاعة : الشجاعة التى تسير فى طريقها غير عابئة بالأخطار . ولكن هناك نوع أسمى من ذلك هى الشجاعة الهادئة التى تدرك الخطر المحدق بها لكنها لا تتراجع . لقد أظهر لنا بطرس مثالاً نادرا لهذا النوع الثانى من الشجاعة . عندما قيل لأشيل المحارب اليونانى القديم إنه سيلاقى حتفه لا محالة إن خرج للحرب قال قولته المأثورة « ولو فأنا سأذهب » . لقد علم بطرس فى تلك اللحظات بالخطر المحدق به لكنه بالرغم من ذلك قال سأذهب أيضاً .

لا ولاء إلا لله

(أع ٤ : ١٣ — ٢٧)

فى هذا ألفصل نرى بوضوح مدى حيوية العدو فى الهجوم ومدى حيوية الدفاع المسيحى . ففى هجوم الأعداء نرى شيئين مميزين :

أولا : احتقار . فقد رأى السنهدريم فى يوحنا وبطرس أنهما عاميان غير متعلمين بل جاهلين . وعديمى العلم هنا معناها أنهما غير مثقفين ثقافة عالمية فى شئون النظام والقانون . أما معنى عاميين فهو أنهما علمانيان أى ليس لهما مؤهلات وظيفية خاصة . أى أن السنهدريم رأى أنهما إنسانان غير جامعيين ولا يشغلان وظائف هامة .

وليس سهلا على الإنسان العادى أن يقابل ما نسميه عنجهية العلماء . لكن الإنسان الذى يسكن المسيح فى قلبه يكسبه هالة من الاحترام أفضل من هالة العلم أو المركز .

ثانيا : التهديدات . لقد أخبر بمصيرهما إذا استمرا فى الطريق الذى اختاراه لنفسيهما . لكن تهديدات البشر لا قيمة لها فى زحزحة المسيحى لأنه يعلم أن ما يعمله الإنسان إنما هو للحظة أما أعمال الله فهى للأبد .

وأمام هذا الهجوم قدم يوحنا وبطرس دفاعهما .

أولا : قدما دفاعاً يشمل حقيقة لا يمكن الإجابة عليها . فمثلاً لا يمكن إنكار شفاء الرجل . إن أهم وأعظم برهان للمسيحية هو الإنسان المسيحى نفسه . قد لا يكون للكلمات قيمة ، ولكننا نستطيع إثبات المسيحية للآخرين بتقديم البرهان الذى لا يمكن أن يدحر ألا وهو شخصية المسيح .

ثانيا : قدما ما يدل على ولائهم التام لله . فإذا كان السؤال من نطيع ؟ الإنسان أم الله ، فإن بطرس ويوحنا لم يترددا لحظة فى أى الطريقين يختاران . كما قال هـ . ح ويلز « إن المشكلة مع كثيرين إنهم يسمعون صوت جيرانهم فى آذانهم أعلى من صوت الله » . إن السر الحقيقى فى المسيحية هو ما قيل عن جون نوكس « إنه يخاف الله كثيرا لدرجة أنه لا يخاف أى إنسان » .

ثالثا : أما الدفاع الثالث فكان أعظم دفاع إذ أنه كان دفاع الاختبار الشخصى للمسيح يسوع . فكما قال لم يكن فى استطاعتهما أن يتوقفا عن الكلام .. عن الأشياء التى رأوها وسمعوها بأنفسهم . فلم تكن رسالتهم مجرد قصة منقولة لكنهم كانوا واثقين من رسالتهم حتى أنهم كانوا مستعدين للتضحية بحياتهم فى سبيلها .

العودة بانتصار

(أع ٤ : ٢٣ ــ ٣١)

فى هذا الفصل نرى تصرف الكنيسة ساعة الخطر . فعندما عاد بطرس ويوحنا وقصا قصتهما على الكنيسة ربما شعر الجميع بشيء من الخوف واليأس خصوصا عندما فكروا فيما سيصادفهم ، لكن لم يفكر أى واحد منهم لحظة أن يطيع أوامر السنهدريم فيمتنع عن الكلام والشهادة . بل على العكس من ذلك اجتاحتهم فى تلك الآونة موجة من الشجاعة والثبات وذلك لأنهم :

(أ) وثقوا فى قوة الله . فالله خالق كل الأشياء وحافظها معهم . عندما هدد مندوب البابا مارتن لوثر بما سيحدث له إذا استمر فى عناده قائلا « عندئذ ما هو مصيرك ؟ » رد لوثر « عندئذ سأكون فى يد الله » . إن المسيحى يرى أن الذين معنا أكثر دائماً من الذين علينا .

(ب) كانوا مقتنعين بعدم جدوى ثورة الإنسان وتمرده . إن كلمة غضب كما وردت فى الكتاب تعنى ثورة كثورة الحصان الجامح الذى يندفع ويضرب الأرض بأقدامه ويصهل لكنه فى النهاية يخضع لسيده . والناس قد يثورون على الله ولكن فى النهاية يسيطر الله عليهم .

(ج) وضعوا نصب عيونهم أن يتذكروا يسوع وكيف حوكم واحتمل حتى انتصر . وبهذه الذكرى كانوا يولدون الثقة فى أنفسهم . نعم يكفى أن يسوع هو سيد التلاميذ .

(د) لقد صلوا طالبين القوة والشجاعة . لم يدَّعوا أنهم يستطيعون مواجهة هذا الموقف بقوتهم الذاتية لكنهم أخذوا الموضوع ووضعوه أمام الله . وفى وقت المحاكمة انسحبو من الزمن ونظروا إلى الأبدية وعندما خانتهم شجاعتهم استخدموا قوة ليست منهم .

(هـ) وكانت النتيجة عطية الروح القدس . لقد تحقق الوعد فلم يتركهم الله حزانى . نعم من المؤكد أنه كان معهم دائما لذا وجدوا الشجاعة والقوة التى يحتاجون إليها للشهادة إذ كانت الشهادة كافية للحكم عليهم بالموت .

كل شيء مشتركا

(أع ٤ : ٣٢ ــ ٣٧)

فى هذا الفصل نجد تغيراً مفاجئاً نابعاً من المسيحية الحقة . فقبل هذا الكلام مباشرة كانت الأشياء كلها تسير فى سمو ورفعة ، فكانت أفكار عظيمة عن الله وصلوات لطلب الروح القدس واقتباسات كلها بهجة وسرور من العهد القديم . وبدون إنذار نرى القصة كلها تتحول فجأة إلى الأشياء العملية . ومهما كانت حياة أولئك المسيحيين مرتفعة ومهما كانت أوقاتهم تقضى فى أشياء سامية وعالية لكنهم لم ينسوا قط أن هناك أناساً يحسون بالجوع وأن هناك أناساً ليس عندهم ما يكفيهم . وأنه من الواجب عليهم أن يعطوهم . إن الصلاة أمر فى منتهى الأهمية والشهادة عمل جليل ولكن

قمة الحياة المسيحية هى محبة الأخوة . ويجب أن نلاحظ هنا شيئين :

(أ) لقد أحسوا إحساساً عميقاً بشعور بعضهم بعضاً . لم يتصوروا أن يكون لأحدهم كثير بينما الأخ لا يملك إلا القليل .

(ب) وقد أثار فيهم هذا الشعور رغبة حقيقية فى المشاركة فى كل شىء . ويجب ألا ننسى شيئاً هاما وهو أن هذه الشركة لم تكن نتيجة تشريع خاص بل كانت نابعة من نفوسهم . إن المجتمع لا يصير مسيحياً عندما يضطرنا القانون أن نشرك الآخرين فيما لنا بل عندما يتحرك القلب والعواطف للمشاركة . والشركة التى تتم بالقانون لا يمكن أن تحل محل المحبة القلبية العميقة .

الاصحاح الخامس

مشكلة فى الكنيسة

(٥ : ١ — ١١)

لا توجد فى سفر الأعمال قصة أكثر إثارة من هذه القصة . فهى ترينا الجو الذى كان سائداً فى الكنيسة الأولى من جهة أمرين : التوقع والحساسية التى شعر بها الناس فى تلك الأيام . كما نرى مقدار الاحترام الزائد الذى كان يتمتع به الرسل . فى هذا الجو جاءت كلمات بطرس القاتلة .

وهذه القصة واحدة من تلك القصص التى تبين أمانة الكتاب المقدس الزائدة بل المعاندة . فربما نعتقد أنه كان من الأفضل إهمال هذه القصة التى تبين أنه حتى فى الكنيسة الأولى كان هناك مسيحيون غير كاملين . لكن الكتاب المقدس لا يرضى أن يقدم لنا صوراً مثالية عن الكمال فى أى شىء . رسم رسام صورة لأوليفر كرومويل . وكان وجهه به بثور ونتوءات فرأى الرسام ألا يظهرها فى الصورة لكن عندما رأى كروموبل صورته قال « خذ هذه الصورة وضع فى وجهى النتوءات وكل شىء » . وهذا جانب من أمانة وعظمة الكتاب المقدس أنه يصور لنا أبطاله وعصوره الزاهرة بكل ما فيها من نتوءات وكل شىء . وهنا نجد بعض التشجيع لأن القصة ترينا أنه حتى فى عصور الكنيسة المزدهرة كان هناك الجيد والردىء . وعلينا أن نذكر دائماً أنه لو كان مجتمع الكنيسة من الناس الكاملين فقط لما كانت هناك كنيسة على الاطلاق .

ومن الأمور التى لنا معنى خاص أن نرى إصرار بطرس على اعتبار الخطية خطية ضد الله . ونعمل حسناً إن تذكرنا هذه الحقيقة فى اتجاهات خاصة :

(أ) عدم الاجتهاد خطية ضد الله . الله يعمل بواسطة الإنسان وأى مجهود يعمل لصحة وسعادة ورفاهية الإنسانية هو عمل لأجل الله . قال أنطونيو ستراديفارى صانع الكمان العظيم : « إن تراخت يداى فى عملى فأنا أسلب الله » . وهذا يجب أن يكون شعار كل إنسان .

(ب) إن الفشل فى استغلال مواهبنا خطية ضد الله . لقد أعطانا الله هذه المواهب لكى نكون وكلاء لله عليها ونحن مسئولون لا أمام الناس بل أمام الله عن طريقة استخدامها .

(ج) إن الفشل فى قول الحق خطية ضد الله . إن الحق هو نتيجة عمل روح الله فى قلوبنا فإذا انزلقنا إلى عدم الأمانة والزيف فهذه خطية ضد إرشاد روح الله الذى يعمل فى قلوبنا .

جاذبية المسيحية

(أع ٥ : ١٢ ــ ١٦)

هنا نرى صورة ما كان يحدث فى الكنيسة الأولى . ونعرف أشياء معينة عن تلك الكنيسة .

(أ) فهذا الفصل يرينا أين كانت تجتمع الكنيسة . فقد اعتادوا الاجتماع فى رواق سليمان . أحد رواقين كبيرين يحيطان بالهيكل . وقد واظب المسيحيون الأولى على حضور بيت الله . لقد واظبوا على لقاء الله يومياً لقد كانوا يرغبون فى زيادة معرفتهم بالله وفى امتلاء حياتهم بقوة الله . وأين يمكنهم أن يكونوا قريبين من الله إلا فى بيته ؟

(ب) وهذا الفصل يبين لنا كيفية اجتماع الكنيسة . لقد اعتادت الكنيسة الأولى أن تجتمع فى مكان ظاهر يراها فيه كل الناس . لم يحاولوا إخفاء مسيحيتهم . لقد كانوا يعرفون ما حدث للرسل وما قد يحدث لهم فى أية لحظة لكنهم كانوا مصممين أن يظهروا للناس لمن هم وأين يقفون .

(ج) كما يبين لنا هذا الفصل أن الكنيسة الأولى كانت كنيسة فعالة ومؤثرة بدرجة كبيرة . ومع أننا لا نرى معجزات الكنيسة الآن لكن المعجزات يمكن أن تعود . فما زالت الكنيسة قادرة على تحويل الناس الأشرار إلى أناس طيبين وفى الكنيسة مازالت معجزات النعمة الإلهية تحدث كل يوم . ولاشك أن الناس يندفعون لحضور الكنيسة التى تستطيع أن تغير حياة الناس .

إعادة إلقاء القبض والمحاكمة

(٥ : ١٧ ــ ٣٢)

كان القبض على التلاميذ مرة أخرى أمراً لا مفر منه . فقد أمرهم السنهدريم ــ بكل صرامة ــ أن يكفوا عن التعليم باسم يسوع ، لكنهم عارضوا هذا الأمر علنا أمام الجماهير . ويجب ألا ننسى أن عدم تنفيذ الأوامر كان خطراً بالنسبة للسنهدريم لسببين : أولا أن التلاميذ فى نظرهم كانوا هراطقة . وثانياً لأنهم اعتبروهم سبباً أساسياً للقلاقل وكانت أرض فلسطين دائماً منطقة قلاقل لذلك خشى الكهنة والصدوقيون من تدخل الرومان وضياع كل سلطة .

وفى حوادث القصة بعد خلاصهم نرى صورة حية لمميزات رجال الله .

(١) فلقد كانوا رجالاً شجعان . فإن خروجهم وذهابهم مباشرة للهيكل للمناداة بالمسيح تبدو للمتعقلين الذين يبحثون عن الأمن شيئاً لا يصدق بل إن ذهابهم ومناداتهم كانت بمثابة تهور زائد . فقد كانوا يعرفون مقدماً ما سيحدث لهم ومع ذلك ذهبوا .

(ب) لقد كانوا رجالاً ذوى مبدأ . وكان مبدأهم الأساسى أن طاعة الله هى الشىء الأول فى الحياة مهما كلفهم الأمر وفى كل الظروف . لم يسألوا قط « هل هذا التصرف سليم » ؟ لكنهم سألوا « هل هذا ما يطلبه الله منى » وعلى هذا تركوا كل حسابات الأمن وأطاعوا الله .

(ج) كان عندهم فكرة واضحة عن واجباتهم ودورهم فى الحياة . لقد عرفوا أنهم شهود للمسيح . والشاهد هو الشخص الذى يتكلم عما شاهده هو شخصياً . إنه الشخص الذى يقول « هذا حقيقى وأنا أعرفه جيداً » . إنه الشخص الذى يعرف من اختباره الشخصى أن ما يقوله هو الصواب . وليس من السهل أن نوقف شخصاً مثل هذا عن الكلام لأن الحق لا يمكن أن يوقف .

حليف غير متوقع

(أع ٥ : ٣٣ ــ ٤٢)

فى المقابلة الثانية مع السنهدريم وجد التلاميذ مساعداً لم يتوقعوه ، هو غمالائيل الفريسى . وهنا نرى الفرق بين الصدوقيين والفريسيين . كان الصدوقيون أناساً أثرياء يهدفون إلى الحفاظ على مراكزهم وقوتهم . أما الفريسيون فلم تكن لهم مطامع سياسية واسمهم يعنى « المعتزلون » وقد اعتزلوا عن الحياة العادية وعن الناس العاديين حتى يكرسوا حياتهم لأدق تفاصيل الناموس . لم يكن عددهم يزيد على ستة آلاف لكن تقشفهم وتزمتهم جعلهم موضع احترام الناس . أما غمالائيل فلم يكن محترماً فقط لكنه كان محبوباً أيضاً . لقد كان رجلاً طيباً يتميز بعدم التعصب كزملائه . فمثلاً كان أحد القلائل الذين كانوا لا يرون فى الرسائل اليونانية والثقافة اليونانية خطيئة . وكان أحد القلائل الذين استحقوا لقب « ربى » ولقد لقبه الناس « جمال القانون » . ولما مات قال عنه الناس « منذ أن مات الربى غمالائيل لم نعد نحترم الناموس بل الطهر والنقاء ماتا معه » .

ولما جنح السنهدريم إلى اتخاذ قرارات مشددة ضد التلاميذ تعرض لهم غمالائيل . لقد كان عند الفريسيين عقيدة تجمع بين القدر وحرية الإرادة فلقد كانوا يعتقدون أن مصائر كل الأشياء فى يد الله ولكن الإنسان مسئول عن أعماله . لذلك كانت وجهة نظر غمالائيل أن السنهدريم يجب أن يحذر حين يتخذ قراراً يتعارض مع الله . فهو يرى أن هذا الأمر إن لم يكن من الله فلابد أن يضمحل بأية صورة ولقد استشهد بمثلين ثوداس ويهوذا . ففى ذلك العصر توالى على فلسطين سلسلة من القادة الناريين الذين نصبوا أنفسهم منقذين لوطنهم حتى أنهم صوروا أنفسهم كالمسيا . لكن من كن ثوداس هذا ؟ لا نعرف . لقد قام رجل اسمه ثوداس بعد ذلك وقاد جماعة بزعم أنه سيعبر بهم نهر الأردن ولكن حركته فشلت . لكن هذا الاسم ثوادس كان مألوفا . ولاشك أن قام قادة كثيرون بهذا الاسم . أما يهوذا فقد ثار أيام التعداد الذى أجراه كرينيوس سنة ٦ ميلادية . وكان الغرض من التعداد تنظيم الضرائب وكان يهوذا متعصباً يرى أن الله هو ملك اسرائيل . وأن الضرائب يجب ألا تدفع إلا لله وحده . وأن دفع أية ضرائب أخرى تجديف على الله . ولقد حاول القيام بثورة لكنه فشل . لهذا اقتبس غمالائيل هذين المثلين وقال إنه إن لم يكن الأمر من الله فلا بد أن يفشل أما إن كان من الله فلا شىء يستطيع أن يقف فى وجهه . وإن حاولوا إيقافه فإنهم يعارضون الله نفسه . وقد استمع السنهدريم له ثم هددوا التلاميذ مرة أخرى وأطلقوهم .

ولقد ذهبوا مبتهجين رغم ظروفهم . لقد فرحوا فى وسط هذه الاضطهادات لسببين :

(أ) لقد كانت فرصة لإظهار ولائهم للمسيح . فى أوائل الثورة البلشفية فى روسيا كان الشخص الذى يظهر ما فى يديه من آثار القيود وما على ظهره من آثار السياط انساناً محترماً لأنه قاسى لأجل مبدئه .

(ب) لقد كانت فرصة طيبة للمشاركة فى آلام المسيح نفسه . فالذين يشتركون فى حمل الصليب سيشتركون فى حمل التيجان .

الاصحاح السادس

الموظفون الأوائل فى الكنيسة

(أع ٦ : ١ ــ ٧)

عندما نمت الكنيسة بدأت فيها مشكلات المنظمات والمؤسسات . وقد خصص كل مجمع يهودى اثنين مختصين لجمع التبرعات المالية والعينية فكانا يطوفان بالأسواق والمنازل يوم الجمعة صباحاً ثم يوزعان ما جمعاه مساء الجمعة . فالذين كانوا فى ضيقة وقتية كانوا يأخذون ما يكفيهم حتى يخرجوا من ورطتهم أما الفقراء فكانا يعطيانهم طعاماً يكفيهم مدة أسبوع بمعدل وجبتين فى اليوم . وكانوا يطلقون على هذه التبرعات لفظ (السلة) . وبالإضافة إلى ذلك فقد كانوا يقومون بالجمع من المنازل للذين فى ضيقة شديدة وكانوا يطلقون على هذا المشروع (الصينية) .

ولقد كان من الحكمة أن أخذت الكنيسة هذا التقليد . لكن كان بين اليهود أنفسهم انقساماً . فاليهودى متعصب ضد كل ما هو أممى . لقد كان هناك نوعان من اليهود : يهود أورشليم ــ ويهود فلسطين ، أما يهود أورشليم فهم أولئك الذين كانوا يتكلمون الأرامية المنحدرة من لغتهم الأصلية وكانوا يفخرون بأنهم لم يختلطوا بأحد ، أما اليهود الآخرون فكانوا من بلاد أخرى جاءوا يوم الخمسين وبقوا فى أورشليم واختبروا شخص المسيح . وعدد كبير من هؤلاء عاشوا خارج فلسطين أجيالاً طويلة فنسوا لغتهم العبرية وكانوا يتكلمون اليونانية . وكان طبيعياً أن اليهود الأصليين يحتقرونهم لأنهم أجنبيون . ولقد ظهر هذا التحيز عند توزيع الصدقات اليومية . فشكت زوجات اليهود اللاتى كن يتكلمن اليونانية لإهمالهن عند التوزيع . والرسل أنفسهم لم يكن ممكناً أن ينشغلوا بهذه الأمور لذلك انتخبوا سبعة للاهتمام بهذا الأمر .

ومن المدهش أن نجد أن الموظفين الأول الذين عينتهم الكنيسة لم يكونوا متكلمين بل خادمين خدمة عملية . كان اهتمام الكنيسة الأولى أن تضع مسيحيتها موضع التنفيذ العملى .

قيام بطل من أبطال الحرية

(أع ٦ : ٨ ــ ١٥)

عندما أفرزت الكنيسة سبعة شمامسة فإنها عملت عملاً كانت له آثاراً بعيدة . بمعنى أن الصراع الحقيقى بدأ . كان اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار . لكنهم فسروا الاختيار تفسيراً خاطئاً فقد اعتبروا أنفسهم مختارين من الله لكرامة خاصة وامتياز معين . واعتقدوا أن الله يخصهم وحدهم . ولعل أسوأ اعتقاداتهم أن الله خلق الأمم ليكونوا وقوداً لنار جهنم وأن أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها الأمم أن يكونوا خدماً لليهود . ولم يخطر ببالهم قط أن الله اختارهم للخدمة ولإدخال العالم فى نفس العلاقة الوثيقة بالله التى تمتعوا بها .

وهنا تأتى حادثة كان لها نتائج خطيرة . ولو أنهم لم يقرروا بعد دخول الأمم بل كان الموضوع خاصاً باليهود الذين يتكلمون اليونانية . لكن الغريب أن السبعة الذين اختيروا كانوا يحملون أسماء يونانية (غير يهودية) بل إن أحدهم وهو نيقولا كان أممياً ثم تهود وهذا معنى (دخيل أنطاكى) .

أما استفانوس فقد كانت له رؤى بعيدة أكثر من زملائه . ولعله كان ينظر إلى العالم وقد صار كله للمسيح . ولقد كان اليهود يعتبرون شيئين مقدسين وغالبين : الأول هو الهيكل حيث كان لهم وحدهم حق تقديم الذبيحة وعبادة الله . والثانى هو الناموس الثابت الذى لا يتغير . أما استفانوس فكان يرى أن الهيكل لابد أن ينتهى وأن الناموس ما هو إلا مرحلة تؤدى إلى الإنجيل الذى لابد أن ينتشر فى العالم كله . وكان ينادى بذلك ولابد أنه قال هذا فى المجمع حيث لم يكن هناك واعظ معين بل كان يسمح لأى زائر ممتاز بالكلام . ولاشك أن كلامه كان مقنعاً ولما لم يجد اليهود وسيلة للرد على حججه لجأوا إلى القوة فقبضوا عليه . وبذلك أنهوا خدمة استفانوس القصيرة المدى لكنها كانت بعيدة المدى لأن استفانوس كان أول من نادى بأن المسيحية لم تكن مخصصة لليهود فقط بل هى منحة من الله للعالم كله .

دفاع استفانوس

عندما كان أوليفر كرمويل يخطط منهج التعليم لابنه قال « أريده أن يعرف بعض التاريخ » . وقد لجأ استفانوس إلى دروس التاريخ . ولقد كان استفانوس يؤمن أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم . وما قاله كان مجرد إلمامة بتاريخ الأمة اليهودية . وقد استخدم هذا التاريخ للهجوم على أمته :

١ ــ لقد رأى أن أعظم رجال التاريخ هم الأشخاص الذين أطاعوا صوت الله « أخرج » والذين لم يخافوا أن يطيعوا . فالعظماء هم الذين قاموا بمغامرة الإيمان . وبروح المغامرة هذه شذ استفانوس عن اتجاه اليهود فى أيامه الذين كانوا يرون أن الأمور يجب أن تبقى كما هى وأن يسوع وأتباعه هم أصحاب بدعة خطرة .

٢ ــ لقد أصر على أن الناس كانوا يعبدون الله قبل بناء الهيكل بمدة طويلة . وبينما كان اليهود يرون أن الهيكل أقدس مكان إذا باستفانوس يرى أن الله لا يسكن فى الهياكل المبنية بالأيادى . وكانت هذه ضربة قاضية لتعاليم اليهود .

٣ ــ أصر استفانوس على أن اليهود عندما صلبوا يسوع كانوا ينفذون مخططاً إتبعوه مع كل الأنبياء الذين أقامهم الله خلال كل تاريخهم .

ولقد كانت هذه حقائق قاسية على شعب يعتقد أنه مختار لذلك لا عجب أن رأينا هياج اليهود ضده .

الاصحاح السابع

رجل أقامه الله

(أع ٧ : ١ — ٧)

كما رأينا كان أسلوب استفانوس فى دفاعه أن يستعرض بسرعة التاريخ اليهودى . ولم يكن مجرد سرد التاريخ والحوادث التاريخية هو هدف استفانوس لكن كل حادثة وكل شخص كان يرمز لشيء معين . وكل هذه الحوادث إنما تعطى عينة لاستجابة الإنسان لوصايا الله .ولقد بدأ استفانوس بإبراهيم لأنه بالنسبة لليهود بداية تاريخهم . واستفانوس يرى فى إبراهيم ثلاثة أشياء :

١ — كان إبراهيم رجل الطاعة « أخرج » وكما ذكر كاتب العبرانيين « بالإيمان إبراهيم لما دعى أطاع .. فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى » (عب ١١ : ٨) ، لقد كانت له روح المغامرة . ذكر لسلى نيوبجن أسقف الهند أنه فى مفاوضات للوحدة المسيحية كانوا يتوقفون لأن بعض الناس كانوا يسألونهم إلى أين تقودنا هذه النقطة أو تلك الخطوة ولكن أحد الحاضرين رد قائلاً « إن المسيحى لا يجب أن يسأل إلى أين يذهب » وبالنسبة لاستفانوس فإن رجل الله هو الشخص الذى يطيع وصايا الله حتى لو كان لا يعلم النتائج .

٢ — كان إبراهيم رجل الإيمان . لم يكن يعلم أين يذهب لكنه كان يذهب . إنه طالما أن الله يقوده فسيقوده إلى الأفضل . حتى حين لم يرزق بأولاد ولم يكن لديه أى أمل فى البنين فإنه آمن أن نسله سيرث الأرض التى وعده بها . لقد كان إبراهيم الشخص الذى يثق تماماً أن مواعيد الله صادقة .

٣ — كان إبراهيم رجل الرجاء . فإنه لآخر نسمة فى حياته لم يتحقق وعد الله له كاملاً لكنه لم يشك لحظة فى تحقيق الوعد .

وهكذا يواجه استفانوس اليهود بصورة من صور الحياة المغامرة المستعدة أن تطيع أوامر الله ومطالبيه « أخرج » مقارناً بذلك بينه وبين اليهود الذين يتمسكون بالماضى ولا يريدون أى تغيير .

النزول إلى مصر

(أع ٧ : ٨ — ١٦)

وتأتى بعد صورة إبراهيم صورة يوسف . ومفتاح حياة يوسف نجده ملخصاً فى الكلمات التى نطق بها بنفسه فى تك ٥٠ : ٢٠ . وكان أخوة يوسف يظنون أنه بعد وفاة أبيهم يعقوب ينتقم منهم يوسف لأجل كل ما فعلوه معه ، لكن يوسف رد عليهم قائلاً « أنتم قصدتم لى شراً أما الرب فقصد به خيراً » . فالشر الظاهرى ليوسف تحول إلى خير ونصرة . فقد بيع فى مصر كعبد وسجن

ظلماً ونسيه الناس الذين ساعدهم لكن جاء اليوم الذى أصبح فيه يوسف رئيس وزراء مصر . ويلخص استفانوس مميزات يوسف فى كلمتين : النعمة ــ والحكمة .

١ ــ والنعمة كلمة جميلة محبوبة وهى فى أبسط معانيها تعنى جمال الوجه والتقاطيع ثم جمال الخلق . ولعل أقرب كلمة إليها فى لغتنا هى الفتنة . لقد كان يوسف يتمتع بهذه الفتنة والجاذبية التى تظهر على وجه رجال الله . لقد كان متوقعاً أن يصبح يوسف إنساناً مر النفس يائسا حزيناً لكن يوسف كان أميناً فى كل عمل أُوكِلَ إليه وخدم بنفس الأمانة عندما كان عبداً سجيناً وكذلك عندما أصبح رئيساً للوزراء . لقد كان فعلاً يعمل بكل قوته ما وجدته يداه .

٢ ــ لا توجد كلمة أصعب فى تعريفها من كلمة الحكمة . فهى تعنى أكثر من مجرد المهارة أو الإدراك العقلى للحقائق . لكن حياة يوسف نفسه تعطينا معنى هذه الكلمة . فهى تعنى القدرة على النظر البعيد . لنرى الأشياء كما يراها الله وهنا أيضاً يظهر الفرق بين حياة يوسف واليهود الذين انشغلوا بماضيهم وتاهوا فى متاهات التفسير الحرفى للناموس . لكن يوسف كان الرجل الذى يرحب بكل عمل جديد حتى ولو كان هذا العمل مؤلماً .

لقد كان الرجل ذى الرؤية البعيدة : رؤية الله للحياة .

الرجل الذى لم ينس مواطنيه

(أع ٧ : ١٧ ــ ٣٦)

فى المنظر التالى يظهر موسى . وبالنسبة لليهود فإن موسى يعتبر أعظم من كل الناس ، فهو الذى استجاب لدعوة الله له « هلم الآن أرسلك » ولقد كان موسى الرجل الذى أطاع الله حرفياً فترك مملكته ليستجيب لدعوة الله ليكون قائداً للشعب . والكتاب لا يذكر إلا الشىء القليل عن طفولة موسى لكن المؤرخين اليهود يذكرون الكثير عن هذه الفترة من حياته . ونحن نعلم أن ابنة فرعون وجدت موسى فى الماء بعد أن تركته أمه . وأن ابنة فرعون أخذته إلى القصر واعتبرته كابنها . لكن يوسيفوس المؤرخ يضيف إلى ذلك أن موسى كان جميلاً جداً حتى أنه كان يسترعى انتباه المارة عندما كانت تحمله مربيته فى الطريق وأنه كان ذكياً لدرجة فاقت كل أقرانه . وفى أحد الأيام أخذته ابنة فرعون إلى أبيها وطلبت من فرعون أن يجعله وارثاً للعرش فوافق ، وتقول القصة إن فرعون أخذ تاجه من على رأسه ووضعه على رأس موسى لكنه أخذه بعنف وألقاه على الأرض . وقد علق أحد حكماء المصريين على هذا الحادث بأن هذا الطفل لابد أن يقتل فوراً وإلا فسيكون سبب نكبة لمصر ولتاج مصر . لكن ابنة فرعون إحتضنت موسى بسرعة ورجت والدها ألا ينفذ هذه النصيحة . ولما كبر موسى صار من أكبر قادة الجيش كما قاد حملة موفقة فى أثيوبيا وتزوج من أميرة تلك البلاد . وفى ضوء هذه القصة نستطيع أن نتصور ما تركه موسى . فلقد ترك مملكة ليقود شعباً فى الصحراء فى مغامرة جريئة إطاعة لله . وهكذا نرى اسطفانوس يؤكد وجهة نظره مرة أخرى . فالرجل العظيم ليس هو الرجل المربوط بالماضى والذى يقدر إمتيازاته الشخصية لكن الرجل

العظيم حقاً هو ذلك الرجل الذى عنده الاستعداد لطاعة الدعوة « هلم الآن أرسلك » تاركاً كل الراحة والحياة الميسرة التى يتمتع بها .

شعب غير مطيع

(أع ٧ : ٣٧ ــ ٥٣)

والآن يبدأ خطاب اسطفانوس فى الهجوم المتزايد . لقد كان فى كل كلامه السابق يدين إتجاه اليهود بطريقة خفية . لكن فى هذا الفصل الختامى من خطابه يدينهم علناً بعد أن نسج أفكاراً ثابتة .

١ ــ فهو يؤكد أن هذا الشعب غير مطيع ودائم التمرد . ففى أيام موسى تمردوا بأن صنعوا العجل الذهبى . وفى أيام عاموس إتجهت قلوبهم إلى الإله مولوك وجند السماء (النجوم) : والإشارة هنا إلى ما نسميه الأنبياء الصغار وهو يقتبس من عاموس ٥ : ٢٧ .

٢ ــ كما يؤكد أن هذا الشعب كان يتمتع بأعجب إمتيازات : فقد كان عندهم سلسلة من الأنبياء المتعاقبين وتابوت الشهادة الذى يحتوى على لوحى الشريعة ، والناموس الذى أعطى بترتيب ملائكة .

وهذان الأمران سارا معا جنباً إلى جنب إمتيازات عظيمة وتمرد عجيب وكلما تمتع الإنسان بامتيازات صارت دينونته أعظم إن انحرف عن الطريق السليم . لهذا يصر اسطفانوس على أن دينونة الأمة اليهودية عظيمة لأنه رغم كل الفرص التى قدمت لهم للمعرفة الواضحة فإنهم إستمروا فى ثورتهم وعنادهم لله .

٣ ــ يؤكد اسطفانوس أنهم فهموا الله فهماً خاطئاً إذ جعلوه إلهاً محدوداً . فالهيكل الذى كان يجب أن يكون أعظم بركة لهم صار أكبر لعنة . فقد صاروا يعبدون الهيكل بدلاً من عبادة الله . وانتهى بهم الأمر إلى إله يهودى يسكن فى أورشليم بدلاً من إله كل الناس الذى يوجد فى كل العالم .

٤ ــ يتهمهم اسطفانوس بقتل الأنبياء ثم يصل إلى قمة إتهامه لهم بقتل إبن الله نفسه . ونلاحظ أنه لا يحاول أن يبرئهم من هذه التهمة بأن يقول إنهم فعلوا ذلك بجهل كما قال بطرس . بل إنه يؤكد أن التمرد وعدم الطاعة هما الدافع الأساسى لارتكاب هذه الجريمة .

لقد كانت كلمات اسطفانوس الأخيرة مملوءة بالغضب والأسف أيضاً فنحن نحس بغضب إنسان لأنه يرى شعباً يرتكب أفظع جريمة كما نحس بأسفه وأساه على شعب رفض خطة الله المقدمة لهم .

أول الشهداء

(أع ٧ : ٥٤ ــ ٨ : ١ (أ))

إن خطاباً كهذا كان لابد أن يصل إلى نتيجة واحدة : قتل اسطفانوس ، لكن اسطفانوس لم ير وجوههم وقد حنقت من الغيظ . فلقد تخطى نظره حاجز الزمن ونظر يسوع قائماً عن يمين الله . لكنه عندما عبر عن ذلك كان هذا بالنسبة لهم أعظم تجديف . وكانت عقوبة التجديف على الله الرجم بالحجارة حتى الموت (تث ١٣ : ٦) ويلاحظ أن موت اسطفانوس لم يكن نتيجة محاكمة بل كان اغتيالاً لأن السنهدريم لم يكن يملك أن يحكم بإعدام أحد لكن الغضب الحانق هو الذى أدى إلى قتل اسطفانوس .

وكانت طريقة الرجم كما يأتى : يؤخذ المجرم إلى مكان عال ثم يطرح بواسطة الشهود فإن مات نتيجة السقوط كان بها وإلا فإن قطعاً كبيرة من الحجارة تنهال عليه حتى يموت .

وفى هذا المنظر نرى أشياء يجب ملاحظتها .

١ ــ نرى سر شجاعة اسطفانوس . فقد كان نبع شجاعته أبعد من أن يصل إليه أى إنسان فقد رأى الرب نفسه فى انتظاره مرحباً . فنظر إلى موت الشهادة نظرته إلى الباب المؤدى إلى عرش المسيح .

٢ ــ نرى اسطفانوس يتبع أثر خطوات سيده . فكما صلى يسوع لأجل الذين صلبوه طالباً الغفران لهم (لو ٢٣ : ٣٤) فعل هو أيضاً .

عندما تردد الجلاد المكلف باعدام جورج ويشارت . اقترب منه جورج وقبله وقال له « هذا هو الدليل على أنى غفرت لك » .

إن أهم درس فى التاريخ أن الشخص الذى يتبع يسوع كل الطريق سيجد الشجاعة والقوة لصنع أشياء لا يمكن أن يعملها الإنسان الطبيعى .

٣ ــ بالنسبة لاسطفانوس انتهى المشهد الدامى بسلام عجيب . لقد نام ، لقد أحس اسطفانوس بالسلام الذى يحسه أى شخص عمل الواجب الذى عليه ولو أدى به هذا إلى الموت .

والشطر الأول من العدد الأول من الأصحاح الثامن يكمل هذا المشهد فنرى شاول يدخل فى هذا المنظر . فالرجل الذى سيكون رسول الأمم هو الذى كان واقفاً وراضياً بقتل اسطفانوس .

وفى هذا يقول أغسطينوس « إن الكنيسة تعتبر بولس وليد صلاة اسطفانوس » ولقد حاول شاول أن ينسى ذلك المنظر فلم يستطع أن ينسى أبداً الطريقة التى مات بها . لقد كانت دماء الشهداء التى سالت مبكراً هى بداية الكنيسة .

الكنيسة تنطلق للخارج

إن الأصحاح الثامن هو أصحاح هام فى تاريخ الكنيسة فقد بدأت الكنيسة كمنظمة يهودية بحتة . وفى الأصحاح السادس رأينا البداية وهى التذمر على قبول الأمم . لكن اسطفانوس كان سابقاً لعصره فى هذا المضمار . والآن فى الأصحاح الثامن نرى الكنيسة تنطلق للخارج . فالاضطهاد شتت الكنيسة وحيثما ذهب المضطهدون كانوا ينشرون الإنجيل . ففى الأصحاح الثامن نرى فيلبس (واحد من السبعة) ويجب أن نفرق بينه وبين فيلبس التلميذ وهو واحد من الإثنى عشر . لقد وعظ فيلبس فى السامرة . وكانت السامرة بمثابة قنطرة بين اليهود والأمم لأنهم كانوا يعتبرون نصف يهود ونصف أمميين . ثم تأتى قصة الخصى الحبشى حيث ينتشر الإنجيل فى دائرة أوسع . لكن الكنيسة حتى ذلك الوقت لم تكن تعرف ماذا تفعل ولا ما هى إرساليتها ولا ما معنى الإرسالية للعالم والكنيسة الجامعة .

ولكن عندما نقرأ هذا الأصحاح فى ضوء ما نعلم أنه سيحدث ، نرى الكنيسة بطريقة لاشعورية لا يمكن مقاومتها تتحرك إلى الهدف والرسالة الحقيقية.

الاصحاح الثامن

محاولة تدمير الكنيسة

(أع ٨ : ١ (ب) — ٤)

لقد كان موت اسطفانوس هو الشرارة الأولى للاضطهاد الذى اضطر عدداً من المسيحيين إلى التشتت طلباً للأمن فى أماكن متطرفة من البلاد . وهنا نجد شيئين مهمين فى هذا الجزء القصير :

١ — ثبات الرسل . فالآخرون هربوا أما الرسل فتشجعوا بغض النظر عن الأخطار وقد نجحوا فى ذلك لسببين :

(أ) كانوا رجالاً شجعان صمموا أن يواجهوا الموقف .

(ب) كانوا رجالاً أتقياء . لقد كان فيهم شيء يدعو إلى الاحترام . وجه أحدهم إلى أفلاطون تهمة ، فرد قائلاً « سأحيا بطريقة تجعل كل الناس يعرفون أنها أكذوبة » . لقد كانت حياة الرسل مؤثرة حتى أنه فى وسط الاضطهاد لم يكن أحد يجرؤ أن يلقى القبض عليهم .

٢ — أما شاول فكان يسطو على الكنيسة . وكلمة السطو فى اللغة الأصلية تفيد عملاً وحشياً ، كما ينقض وحش على فريسته . والتغير الذى حدث فى شخصية هذا الإنسان الذى كان يسطو على الكنيسة فى هذا الأصحاح إلى الإنسان الذى سلم حياته كلية لله تغيير جذرى ولا شك .

فى السامرة

(أع ٨ : ٥ — ١٣)

عندما تشتت المسيحيون ذهب فيلبس أحد الشمامسة السبعة إلى السامرة حي أخذ يعظ . وقصة التبشير فى السامرة قصة عجيبة حقاً لأن من المعروف أن اليهود لا يعاملون السامريين (يو ٤ : ٩) فالخلاف بين اليهود والسامريين يرجع إلى قرون طويلة . ففى القرن الثامن قبل الميلاد غزا الأشوريون المملكة الشمالية التى كانت عاصمتها السامرة . وكما كان يفعل الغزاة فى تلك الأيام فقد نقلوا معظم السكان إلى أشور وجاءوا بسكان آخرين للإقامة . وفى القرن السادس قبل الميلاد غزا البابليون المملكة الجنوبية وعاصمتها أورشليم وحملوا سكانها إلى بابل لكنهم أبوا بكل إصرار أن يفقدوا شخصيتهم وظلوا يهوداً . وفى القرن الخامس قبل الميلاد سمح لهم بالعودة وبناء مدينتهم تحت قيادة نحميا وعزرا ولقد تزاوج سكان فلسطين مع الغرباء الذين سكنوا معهم وهكذا فقدوا الجنسية اليهودية الأصيلة وكان هذا فى نظر اليهود جريمة لا تغتفر . ولما عاد اليهود لبناء مدينتهم عرض عليهم أهل السامرة مساعدتهم لكنهم رفضوهم باحتقار لأنهم ليسوا يهوداً . ومن ذلك التاريخ نشأ نوع من الكراهية المرة بين اليهود والسامريين ولكن ذهاب فيلبس إلى هناك وكذلك ذهاب الرسل والتبشير

برسالة المسيح دل على تطور كبير بل على أهم خطوة فى تاريخ الكنيسة . وبدون أن يقصدوا فقد كان تبشيرهم لغير اليهود يعنى ان المسيح جاء للعالم أجمع . ونحن نعرف القليل عن شخصية فيلبس لكنه كان أحد مخططى الكنيسة المسيحية .

ويجب أن نلاحظ ما أحدثته الكنيسة فى حياة هؤلاء الناس .

١ــ لقد قدمت لهم قصة يسوع كما قدمت لهم بكل بساطة محبة الله متجسدة فى شخص يسوع المسيح .

٢ ــ كما أحدثت فى حياتهم نتيجة لذلك فرحاً لم يعرفوه من قبل . إنها مسيحية زائفة تلك التى تقدم للناس حزناً لأن المسيحية الحقيقية تشع فرحاً حيثما حلت .

أشياء لا تباع ولا تشترى

(أع ٨ : ١٤ : ٢٥)

لم يكن سيمون شخصية شاذة فى ذلك العصر . لكنه كان واحداً من كثيرين من السحرة والمشعوذين الذين كان لهم تأثيراً كبيراً على الناس . وكانوا يكتسبون مبالغ طائلة بهذه الطريقة .

ومن المدهش أنه حتى فى القرن العشرين لا زال الناس يهتمون بالمستقبل ومعرفة الطالع كما نشاهد فى الصحف اليومية . ولم يكن سيمون وأتباعه خادعين للناس بقدر ما نعتقد أن هذه الفئة انخدعت أولاً حتى اعتقدت بصحة ما تعمل ، ثم حاولت خداع الناس بطريقة غير مقصودة .

ولكى نفهم قصد سيمون يجب أن نتفهم الجو الذى عاشت فيه الكنيسة الأولى . ففى ذلك الوقت كان حلول الروح القدس على إنسان مرتبط بظاهرة محددة مرئية . وغالباً كانت العلامة هى التكلم بألسنة (أع ١٠ : ٤٤ ــ ٤٦) .

فقد كان حلول الروح مصحوباً بنشوة تظهر فى شكل نطق أصوات غير مفهومة . وكان هذا غريباً لكنه كان مؤثراً جداً . وفى الممارسات اليهودية كان وضع الأيادى معروفاً وكان يرمز إلى انتقال صفات خاصة من شخص إلى آخر . ولا زلنا نمارس نفس العمل عند رسامة الرعاة . ويجب ألا نظن أن وضع الأيادى هو الوسيلة المادية لانتقال قوة الروح القدس من شخص لآخر .

إن شخصية واضع اليد عامل هام فى الموقف . فقد كان الناس يحترمون التلاميذ احتراماً كبيراً لدرجة أن وضع أيديهم على الناس كان فى حد ذاته كافياً لإعطائهم خبرة روحية . ولو سمح لى أن أذكر اختبارى الخاص فما زلت أذكر عندما كنت حدثاً صغيراً وذهبت لزيارة رجل عالم قديس ، لقد كان كبيراً فى السن وكنت أنا صغيراً جداً ثم وضع يده على رأسى وباركنى . وقد مر على هذا الحادث عشرات السنين ولكنى لازلت أحس بالآثار كما لو كنت أعيش تلك اللحظة الآن .

وفى الكنيسة الأولى كان وضع الأيادى شبيه بذلك .

وقد دهش سيمون من النتائج المباشرة لوضع الأيادى وحاول أن يشترى هذه الموهبة حتى يعمل ما يعمله الرسل . ومنذ ذلك التاريخ وكلمة (السيمونية) تستعمل للدلالة على الحصول على بيع وشراء الوظائف الكنسية بطريقة غير مشروعة .

ولقد أخطأ سيمون خطأين :

١ــ لم يكن ملء الآخرين بالروح القدس هو موضوع اهتمامه لكنه كان مهتماً بالقوة والسلطان . والذات هى دائماً مصدر الخطر بالنسبة للواعظ أو المعلم . ولاشك أن الواعظ يجب أن يكون لامعاً فى نظر الناس حتى يتأثروا به لكننا لا نستطيع ــ كما قال دنى ــ أن نظهر أننا ماهرون وأن المسيح عجيب فى نفس الوقت .

٢ ــ نسى سيمون أنه توجد مواهب معينة تعتمد على الصفات وهذه لا يمكن شراؤها . ولهذا يجب أن يحذر الواعظ والمعلم .

فالوعظ هو الحق الذى نوصله خلال شخصياتنا . ولكى نجعل الناس يمتلئون بالروح القدس ، ليس من الضرورى أن نكون أغنياء بل يجب أن نختبر نحن الامتلاء من الروح القدس أولاً .

المسيح يتقابل مع حبشى

(أع ٨ : ٢٦ ــ ٤٠)

كان هناك طريق من أورشليم إلى بيت لحم وحبرون . وهذا الطريق يلاقى الطريق الرئيسى إلى مصر جنوب غزه . ولقد خربت غزه سنة ٩٣ ق . م ثم بنيت غزه جديدة جنوب الأولى سنة ٥٧ ق . م . لذلك سميت الأولى بغزه القديمة أو الصحراوية لتمييزها عن الثانية . ولقد كان هذا الطريق الذى يمر بغزه هو الطريق الرئيسى الذى تمر فيه نصف تجارة العالم . وفى هذا الطريق جاء الخصى الحبشى فى مركبته . وقد كان وزير مالية كنداكة . وكنداكة هو الاسم الذى يطلق على أى ملكة للحبشة (مثل شاه ايران) . ذهب هذا الخصى إلى أورشليم للعبادة .

وفى ذلك العصر كان كثيرون من الباحثين عن الحق يجيئون إلى أورشليم فتدهشهم الديانة اليهودية بمبادئها وأخلاقياتها فينضمون إليها بإحدى طريقتين : إما أن يختتنوا ويتهودوا أو أن يكتفوا بحضور المجامع والدراسة فقط . ولابد أن هذا الحبشى كان واحداً من أولئك الباحثين عن الحق . ولقد كان يقرأ الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء ومنه بدأ فيلبس يوضح له من هو يسوع .

وعندما آمن اعتمد . ولقد كان الدخول إلى اليهودية عن طريق الختان والمعمودية . وفى العهد الجديد نلاحظ أن المعمودية كانت أساساً للكبار (ليس لأن الأطفال كانوا ممنوعين من المعمودية) بل لأن معظم الداخلين للمسيحية كانوا كباراً ولم تكن العائلات المسيحية قد تكونت بعد . وكانت المعمودية لهؤلاء المسيحيين الأوائل بالتغطيس فى ماء جار . وكانت ترمز إلى ثلاثة أشياء :

١ ـــ التطهير ـــ فكما أن جسم الإنسان يتطهر بالماء كذلك تتطهر الروح بنعمة المسيح .

٢ ـــ كانت علامة انتقال فى الحياة . كان أحد المرسلين يعمد الناس على ضفة النهر ويجعلهم يخرجون على الضفة المقابلة كما لو كان هناك خط فاصل فى الحياة بين القديم والجديد .

٣ ـــ كانت المعمودية شركة حقيقية مع المسيح . فالإنسان الذى يغطس تماماً تحت سطح الماء يشبه إنساناً مات مع المسيح وعندما يخرج من الماء فذلك يشبه القيامة مع المسيح . فهو يخرج إنساناً جديداً لحياة جديدة (رو ٦ : ١ ـــ ٤) .

ويقول التقليد إن هذا الخصى عاد إلى الحبشة وبشرها . ونحن لا نشك أن هذا الإنسان الذى مضى فى طريقه فرحاً لم يستطع أن يكتم هذا الفرح فى نفسه .

الاصحاح التاسع

الخضوع

(أع ٩ : ١ ــ ٩)

فى هذا الفصل نقرأ أشهر قصة تجديد فى التاريخ . وسنحاول أن ندخل قدر استطاعتنا فى تفكير بولس . وإذا استطعنا ذلك سنكتشف أن هذا التجديد لم يكن مفاجئاً لكنه كان خضوعاً فجائياً . لقد بقيت فى مخيلة بولس صورة اسطفانوس و لم تفارقه أبداً . كيف يمكن أن يموت رجل خاطىء بهذه الطريقة ؟ . ولكى يزيح هذه الصورة من مخيلته اندفع بولس فى الهجوم على المسيحيين بأقصى صورة . وكثيراً ما يحاول الإنسان أن يسكت ضميره بخصوص الأشياء التى يشك فيها ــ بالاندفاع فى الاتجاه المضاد حتى يقنع نفسه أنه على صواب . وكان أول أعماله اضطهاد المسيحيين فى أورشليم . ولكن هذا زاد حالته سوءاً لأنه كان يسأل نفسه باستمرار ما الذى يجعل هؤلاء الناس يتحملون كل هذه الآلام ويواجهون الموت دون خوف أو وجل . واستمر فى أعماله العنيفة وكأنه يسوق نفسه فى هذا التيار حتى جاء إلى السنهدريم . وعرف بولس أن بعض المسيحيين هربوا إلى دمشق . فطلب رسائل للتعريف بمهمته ليذهب إلى دمشق لتسليم هؤلاء الفارين . ولكن هذه الرحلة جعلت حالته أكثر سوءاً . فالطريق من أورشليم إلى دمشق حوالى ١٤٠ ميلاً والرحلة تأخذ أسبوعيا تقريباً . وكان يسير متقدماً مرافقيه من جنود السنهدريم . وخلال هذه المدة لم يكن له من شاغل إلا التفكير . وفى الطريق مر بالجليل الذى ذكره بكل شىء عن هذا الناصرى يسوع فازداد اضطرابه ولما اقترب من دمشق كان لابد أن يصعد على جبل حرمون ليجد مدينة دمشق البيضاء الجميلة فى وسط المروج الخضراء الزاهية . وكان هواء الوادى الساخن يصعد ليلاقى هواء الجبل البارد فتتولد عواصف كهربائية . وفى هذه اللحظة أضاءت العاصفة بنور خاطف ومن العاصفة تكلم يسوع . وفى لحظة انتهت المعركة وخر بولس صريعاً خاضعاً ليسوع . وهكذا دخل إلى دمشق رجلاً جديداً . وأى تغيير !! هذا الرجل الذى كان ممتلئاً بالغضب والكراهية أراد أن يدخل دمشق منتقماً فإذا به يدخلها أعمى منقاداً كطفل عاجز لا حول له ولا طول .

وفى كلمات المسيح المقام لبولس كانت خلاصة المسيحية . « قم وأدخل إلى المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل » إلى هذه اللحظة كان بولس يفعل ما يشاء وما كان يظنه الأفضل وما كان يختار بارادته . ولكن من هذه اللحظة ينبغى أن يقال له ماذا يفعل . لن يذهب فى طريقه الخاص مرة أخرى لكنه سيسير فى طريق المسيح . فالمسيحى هو الشخص الذى لا يفعل ما يريد بل ما يريده المسيح .

ترحيب مسيحى

(أع ٩ : ١٠ ــ ١٨)

لاشك أن حنانيا هو أحد أبطال الكنيسة المجهولون . فإذا كانت الكنيسة مدينة لاسطفانوس الذى صلى فأثر فى بولس فإنها أيضاً مدينة لمحبة حنانيا وإخوته الصادقة التى عملت بولس .

لقد كانت شهرة بولس واسعة عندما جاءت رسالة الله إلى حنانيا لكى يذهب ويساعد بولس فى أحد البيوت فى زقاق يقال له المستقيم فى مدينة دمشق .

ولاشك أن حنانيا لم يستطع أن يعقل مثل هذه الرسالة . فالله يقول لحنانيا « إذهب وساعد الإنسان الذى جاء إلى هنا ليلقى بك فى السجن والذى كان يتمنى أن يقتلك » وكنا نتوقع أن يقترب حنانيا من بولس فى شك وعدم ارتياح وكأنه شخص يقوم بعمل غير محبب إلى نفسه أو أن يبدأ الحديث بتقريع بولس ولومه على أفعاله ولكن حنانيا بدأ كلامه بالقول « أيها الأخ شاول » ما أعظم هذا الترحيب ! إنه مثال للمحبة المسيحية المتسامية والتسامح المسيحى . هذا ما يفعله المسيح بعد حملة تبشيرية قام بها بريان جرين فى أمريكا طلب من الحاضرين أن يشهدوا فى كلمات قليلة عن ما فعلته هذه الحملة فى حياتهم . فوقفت فتاة زنجية لم تكن تحسن التعبير ولكنها بالكاد وضعت جملتين معاً قالت « فى هذه الحملة اختبرت المسيح وقد جعلنى قادرة أن أغفر للرجل الذى قتل أبى » . نعم إنه جعلنى قادراً أن أغفر ... هذا هو جوهر المسيحية ففى المسيح صار بولس وحنانيا أخوة بعد أن كانوا أعداء ألداء .

الشهادة للمسيح

(أع ٩ : ١٩ ــ ٢٢)

هذه رواية لوقا عن بولس بعد تجديده . لكن إن أردنا أن نرتب الحوادث ترتيباً زمنياً فلا بد أن نقرأ رواية بولس عن نفسه كما جاءت فى غلاطية ١ : ١٥ ــ ٢٤ وعندما نضع الروايتين معاً نجد حوادث القصة تسير كما يأتى :

١ ــ تجدد بولس فى الطريق إلى دمشق .

٢ــ بولس يعظ فى دمشق .

٣ــ ثم يذهب إلى العربية (غل ١ : ١٧) .

٤ ــ ثم يعود ويعظ فى دمشق ثلاث سنوات (غل ١ : ١٨) .

٥ ــ ثم يصعد إلى أورشليم .

٦ ـــ ثم يهرب من أورشليم إلى قيصرية .

٧ ـــ ثم يعود إلى أقاليم سوريا وكليكية (غل ١ : ٢١) .

وهكذا نرى أن بولس بدأ بأمرين :

(أ) بدأ الشهادة فى مجامع دمشق ـــ فقد كان فى دمشق يهود كثيرون . وغالباً كان هناك أكثر من مجمع فى دمشق . فقد كانت المجامع منتشرة فى ذلك الوقت إنتشار الكنائس فى أيامنا . وفى هذه المجامع بدأ بولس شهادته للمسيح . وقد كان هذا دليلاً على الشجاعة الأدبية العظيمة . لقد أتى بولس برسائل من السنهدريم لإلقاء القبض على أعضاء هذه المجامع . لقد كان من السهل عليه أن يبدأ شهادته فى مكان لم تصل إليه شهرته وسيرته لكن ماضيه لم يقف حائلاً دون شهادته . لقد كان بولس يقول « لقد تغيرت وأنا مصمم أن يعرف عنى ذلك كل الذين عرفونى قبلاً » . إن لسان حاله يقول « إنى لا أخجل من صليب المسيح » .

(ب) والعمل الثانى لم يذكره لوقا لكن ذكره بولس نفسه . فقد ذهب إلى العربية . لقد حدث هذا التغيير فى حياة بولس فأحس أنه فى حاجة إلى قضاء بعض الوقت مع الله . لكنه كان فى حاجة أن يفكر فى مستقبل حياته ، لذلك رأى بولس أن يسأل الله أولاً . لقد كان يحتاج إلى شيئين رئيسيين :

قيادة له فى حياة جديدة غريبة عليه وقوة لعمل كبير أعطى له . لقد أعطاه الله الرؤية ، لذلك ذهب إلى الله ليأخذ القوة ليحقق هذه الرؤية .

هرب بجلده

(أع ٩ : ٢٣ ـــ ٢٥)

هنا نجد مثلاً حياً يوضح لنا كيف أن عبارة واحدة فى الكتاب تعنى أشياء كثيرة . فلوقا يسجل أنه « ولما تمت أيام كثيرة » فى دمشق حدثت هذه المكيدة . ولكن هذه العبارة تشير إلى فترة لا تقل عن ثلاث سنين (غل ١ : ١٨) قضاها بولس فى دمشق يعمل ويعظ . ولقد صمم اليهود على قتله حتى أنهم وضعوا حراساً على الأبواب حتى لا يهرب منهم . لكن المدن القديمة كانت محاطة بأسوار سميكة . وكان سمك هذه الجدران أحياناً كبيراً لدرجة أن عربة صغيرة يمكن أن تسير عليه . وكانت نوافذ بعض المنازل تطل على هذا السور . وفى هدأة الليل أخذ بولس إلى أحد هذه المنازل وأنزل من على السور فى سلة . وهكذا هرب بولس من دمشق ليعود إلى أورشليم . وبهذا الحادث بدأت مغامرات بولس لأجل المسيح . ولو أنه يعتبر حادث بسيط بل بداءة للمتاعب ، لكنه هرب بجلده واضعاً رأسه على كفه .

والحادث كله يدل على شيئين فى حياة بولس .

١ ـــ إنه شهادة على شجاعة بولس . كان بولس ولاشك على علم بما يجرى حوله فى المجامع

وكان يتوقع مصيراً لا يختلف كثيراً عن مصير اسطفانوس بل كان يعرف تماماً ما كان ينوى هو شخصياً أن يعمله مع المسيحيين وكان يتوقع نفس المصير . وواضح أن المسيحية بالنسبة له لم تكن شيئاً سهلاً بل سلسلة من المتاعب لكننا نجد بولس يعبر عن إحساسه ــ وسط هذه المتاعب ــ بفرح لأنه يستطيع عن طريقها أن يوضح مدى ولائه للسيد الذى أحبه واستعداده للموت لأجله .

٢ ــ كانت شهادة لمدى فاعلية وعظ بولس . لقد كانت شهادته واضحة ومفحمة حتى أن اليهود لما لم يجدوا سبيلاً للرد عليه فكروا فى استخدام القوة لإسكاته . إن الإنسان لا يلجأ لقتل شخص خامل لا صفة له ولا تأثير . اقل برناردشو مرة إن أعظم تقدير لكاتب أن تحرق كتبه . وقال آخر إن الذئب لا يهاجم صورة لشاة . فالمسيحية الزائفة فى أمان دائم بعكس المسيحية الحقيقية التى تتعرض لصنوف الألم والضيق . والمعاناة من الاضطهاد هى أكبر وسام لنا لأنها تدل على أن الناس ينظرون إلينا كأناس لهم وزنهم .

الرفض فى أورشليم

(أع ٩ : ٢٦ ــ ٣١)

عندما وصل بولس إلى أورشليم وجد نفسه محاطاً بعدم الثقة والشك . وهل كنا نتوقع غير ذلك ؟ ففى هذه المدينة كان يتلف الكنيسة وكان يسوق الرجال والنساء موثقين إلى السجن .

وقد رأينا كيف أن بعض الشخصيات استطاعت التأثير فى بولس بينما هو فى ذروة هجومه على الكنيسة . وإن كانت الكنيسة مدينة لصلاة اسطفانوس التى ربحت بولس ولأخوة حنانيا التى قوت بولس ، فإنها مدينة أيضاً لقلب برنابا المتسع فى تثبيته ففى حين وقف الجميع من حوله ينظرون إليه شذراً فى شك ويظنون به الظنون أخذ برنابا بيده ووقف مسنداً له . وبهذا أظهر برنابا أنه مسيحى حقيقى .

١ ــ فقد كان الرجل الذى يرى أفضل ما فى الآخرين . فبينما نظر الباقون إلى بولس على اعتبار أنه جاسوس أو عميل مدسوس عليهم وثق به برنابا كمؤمن حقيقى أمين . والعالم ينقسم إلى قسمين فهناك أناس يرون أفضل ما فى الإنسان وهناك أناس لا يفكرون إلا فى الأسوأ . ومن الأمور الطبيعية أن نرى فى الآخرين انعكاساً لما يدور فى نفوسنا ، ونعمل منهم الناس الذين نظنهم . فإن كنا نصر على معاملة إنسان بنوع من الشك فسينتهى به الأمر أن يتصرف على نحو يدعو إلى الشك . وإن وثقنا فى إنسان فسيحاول أن يثبت أنه جدير بهذه الثقة . وكما قال بولس « المحبة لا تظن السوء » وما من شخص كان يثق فى الناس كيسوع لذلك يكفى التلميذ فخراً أن يكون كسيده .

٢ ــ كان ذلك النوع من الناس الذى لا يجعل الماضى يؤثر عليه وعلى تفكيره . كم من مرة ندين إنساناً ونقف ضده لأنه أخطأ مرة . ومن أعظم صفات الله أنه لا يجعل خطايانا الماضية أمام عيوننا . ونحن أيضاً يجب ألا ندين أحداً لأنه أخطأ مرة أو فشل .

وفى هذا الفصل نرى بولس يعمل عملاً عجيباً . فقد بدأ يناقش اليونانيين . لقد كان اسطفانوس

يونانياً ومن المرجح جداً أن بولس توجه إلى مجامع اليونانيين التى كان يعارض فيها اسطفانوس من قبل ليشهد بالحقيقة أن حياته تغيرت . لقد كان بولس رجلاً يواجه ماضيه ولا ينكره وهذا أصعب شيء فى الحياة .

وهنا أيضاً نرى حياة بولس فى خطر . لقد أصبحت حياة بولس سلسلة من الأخطار . ولقد هرب بولس إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس. نعم إنه يسير فى طريق مرسوم ليعود إلى وطنه ليشهد للمسيح يسوع الذى غير حياته .

اعمال بطرس

(اع ٩ : ٣٢ ــ ٤٣)

ظهر بولس على مسرح الأحداث لفترة ، لكن هنا يظهر بطرس ثانية . وهذا الفصل فى الواقع هو تتمة ٨ : ٢٥ وهو يصور لنا بطرس يعمل . لكنه يبين لنا بصورة جلية كيف كان يعمل وما هو مصدر قوة بطرس . عندما شفى بطرس اينياس لم يقل « أنا أشفيك » بل قال « يشفيك يسوع المسيح » .

وقبل أن يتحدث إلى طابيثا (كلمة عبرية معناها غزالة) صلى بطرس . إذن فلم يكن بطرس يعمل هذه الأعمال بقوته بل بقوة يسوع المسيح سيده ولم يدَّع بطرس أبداً أنه كان يعمل بقوته لكنه كان مجرد موصل لقوة الله . إننا نفكر كثيراً فيما نستطيع أن نعمله ولكننا قلما نفكر فيما يستطيع المسيح عمله بواسطتنا .

وتوجد كلمة مهمة فى هذا الفصل هى كلمة قديسين وقد ذكرت مرتين (٣٢ ، ٤١) وهى نفس الكلمة التى استخدمها حنانيا فى أول الأصحاح ليصف المسيحيين فى أورشليم (١٣) وهى نفس الكلمة التى يستخدمها بولس دائماً ليصف أعضاء الكنيسة لأنه يكتب دائماً إلى القديسين الذين فى ... والكلمة اليونانية هى (Hagios) وهى كلمة لها مرادفات كثيرة مرتبطة بها . فهى تترجم أحياناً مقدس (Holy) لكن الأصل فى الكلمتين مختلف فالمقدس هو الشيء المختلف عن الأشياء العادية وبالتالى فالقديس هو الشخص المتميز عن أهل العالم العاديين . ولكن ما سبب هذا الاختلاف ؟ لقد كانت الكلمة الأولى (Hagios) تستخدم لوصف شعب الله قديماً .

فقد كانوا مقدسين أى مختلفين عن باقى الشعوب . وسبب اختلافهم أن الله اختارهم من كل الشعوب ليكونوا له شعباً خاصاً وليتمموا رسالته . ولكن اسرائيل فشلت فى تحقيق هذه الأهداف . فقد كان شعباً معانداً لله وثار عليه وبذلك فقد هذا الامتياز وصارت الكنيسة هى اسرائيل العهد الجديد . وصارت الكنيسة هى المتميزة عن الناس . وصار المسيحيون أشخاصاً مختلفين لأن الله اختارهم حسب إرادته لتحقيق أهدافه السامية . لذلك فنحن لا نتميز عن الناس لأن الله اختارنا لمجد أو مركز أرضى عظيم لكننا نتميز ونختلف لأن الله اختارنا لخدمة أعظم . فلقد خلصنا لنخدم الله .

الاصحاح العاشر

جندى تقى

(اع ١٠ : ١ – ٨)

إن هذا الأصحاح العاشر يسجل قصة تعتبر مرحلة تغيير فى تاريخ الكنيسة . فهذه أول مرة يدخل فيها أممى إلى الكنيسة . وحيث أن كرنيليوس شخصية هامة فى تاريخ الكنيسة بهذه الدرجة دعونا نلقى ضوءاً على شخصيته :

١ – لقد كان كرنيليوس قائد مائة مركزه قيصرية مركز رياسة حكومة فلسطين وكانت الفرقة مكونة من ٦٠٠٠ جندى وهذه مقسمة إلى كتائب ، كل كتيبة ٦٠٠ جندى وكل كتيبة مقسمة إلى فصائل كل منها ١٠٠ جندى . ويكون قائد المائة ملازم أول . هذه الفصائل كانت بمثابة العمود الفقرى للجيش الرومانى . وكان قائد المئة يتصف بصفات معينة وصفها مؤرخ بالقول « قائد المئة يجب ألا يكون مقداماً أكثر مما يجب بل يجب أن يكون قائداً محنكاً متزناً لا يبدأ العراك لكنه قادر على الدفاع والثبات إذا هوجم » . هذه هى صفات كرينليوس قائد المئة الذى كان يعرف معنى الشجاعة والولاء .

٢ – كان كرنيليوس يخاف الله . وهذا اللفظ استخدم فى العهد الجديد لوصف الأمميين الذين تركوا عبادة الآلهة المتعددة وارتبطوا بالديانة اليهودية . فهم لم يختتنوا ولم يخضعوا للناموس لكنهم كانوا يواظبون على حضور المجمع وكانوا يؤمنون بالله الواحد وبأخلاقيات الديانة اليهودية . إذًا فكرنيليوس كان باحثاً عن الله لذلك وجده الله .

٣ – كان يصنع حسنات كثيرة فهو ذلك النوع الطيب من الناس وبحثه عن الله جعل منه إنساناً محباً للناس ومن يحب الآخرين ليس بعيداً عن ملكوت الله .

٤ – كان رجل صلاة . ربما لم يكتشف الله بوضوح بعد ولكنه بحسب النور الذى وصل إليه كان يعيش بالقرب من الله .

بطرس يتعلم درساً

(اع ١٠ : ٩ – ١٦)

وقبل أن يقبل كرنيليوس فى الكنيسة كان لابد أن يتعلم بطرس درسا ، لقد كان اليهودى المتزمت يعتقد أن الله لا شأن له بالأمم وأن معاملات الله مع اليهود فقط . ولقد ذهبوا فى ذلك شأواً بعيداً حتى قالوا إنه لا يجب على أى يهودى أن يساعد إمرأة أممية وهى تضع طفلها لأن هذا يعنى أن طفلاً أممياً جديداً سيوجد فى الحياة . وكان يجب أن تمحى هذه التعاليم من ذهن بطرس قبل أن

يقبل كرنيليوس فى الكنيسة . وكان هناك أمل فى محو هذه التعاليم المتزمتة من فكر بطرس إذ أنه كان نازلاً عند سمعان رجل دباغ (٩ : ٤٣ ، ١٠ : ٥) وكانت وظيفة الدباغة نجسة لأن عمله كان بين الحيوانات الميتة لذلك كان دائماً يعتبر نجساً (عد ١٩ : ١١ ــ ١٣) لذلك لم يكن اليهودى المتزمت يقبل أن يقيم فى بيت دباغ .

ولعل فكرة النجاسة هى التى جعلت سمعان يسكن بالقرب من شاطىء البحر خارج المدينة . لكن بطرس كان ضيفاً على مثل هذا الرجل . ولابد أن هذا الرجل كان مسيحياً وقد أصبح بطرس يشعر أن المسيحية تمحو هذه المحرمات . وفى الظهيرة صعد بطرس إلى السطح ليصلى . وكان الناس يصعدون للسطح عادة للخلوة . فرأى ملاءة كبيرة أمامه وعليها حيوانات مختلفة وجاءه الصوت « إذبح وكل » لقد كان لليهود قوانين صارمة للأطعمة مذكورة فى (لاويين ١١) وعلى العموم فلم يكن مسموحاً لليهودى أن يأكل إلا الحيوانات مشقوقة الظلف والتى تجترز ولقد صعق بطرس لهذا الأمر واحتج عليه بأنه لم يأكل نجساً ولكن الصوت ناداه « ما طهره الله لا تدنسه أنت » وحدث هذا ثلاث مرات حتى أنه لم يكن هناك أى احتمال للخطأ .

ربما وصف بطرس أحد الأمميين بالنجاسة لكن الله يعده لملاقاة الضيوف القادمين . لذلك كان يجب أن ينسى فى لحظة كل شيء عن تقاليده التى عاشها كل حياته .

مقابلة بطرس لكرنيليوس

(اع ١٠ : ١٧ ــ ٣٣)

فى هذا الفصل نجد أحداثاً غريبة . ولكى نتفهم الموقف يجب ألا يغيب عن أذهاننا نظرة اليهود لغيرهم من الأمم . ففى رأيهم أن الله يهتم بهم فقط وأن باقى الأمم لا يتمتعون برحمة الله والامتيازات المختلفة التى يعطيها للناس . واليهودى المدقق لا يختلط مطلقاً بأى أممى ولا حتى باليهودى الذى لا يحفظ الناموس . كما لا يقبل أن ينزل ضيفاً أو يستضيف أناساً لا يحفظون الناموس . بهذه الخلفية فى أذهاننا دعونا نرى ما فعله بطرس فقد وقف الرجال الذين أرسلهم كرنيليوس بالباب وإذا ببطرس يدخلهم ويستضيفهم (عدد ٢٣) وعندما وصل بطرس إلى قيصرية قابله كرنيليوس وهو يشك إن كان بطرس سيدخل بيته . لكن بطرس دخل (عدد ٢٧) وهكذا تحطمت الحواجز بطريقة تدعو إلى الدهشة . ولا شك أن هذا نتيجة لعمل المسيح . وصف مرسل شعوره وهو جالس إلى مائدة العشاء الربانى وحوله شيوخ من قبائل أفريقية متنافرة عاشت سنوات طويلة فى حرب وقتال لكن محبة المسيح وحدتهم ، فنسوا أحقادهم وصاروا واحداً فى المسيح .

وفى أيام الكنيسة الأولى كانت من أهم علامات المسيحية أنها كانت تحطم الحواجز ، ولاشك أن المسيحية ما زالت تحطم كل الحواجز بين البشر إن أعطيت الفرصة لذلك .

قلب الإنجيل

(اع ١٠ : ٣٤ — ٤٣)

من الواضح أن الكلام المذكور فى هذا الجزء هو خلاصة ما قاله بطرس لكرنيليوس . ولاشك أن هذه الخلاصة هى جوهر أى عظة كانت تقدم فى السنين الأولى .

١ — فالمسيح مرسل من الله ممسوح بالروح القدس والقوة . فيسوع إذن هو هبة الله للناس . إننا نخطىء كثيراً عندما نفكر فى الله المنتقم الجبار بالمقارنة بيسوع اللطيف . لكن الوعاظ الأوائل لم ينادوا بهذا إطلاقاً . بل نادوا بأن مجىء المسيح إلى العالم هو نتيجة لمحبة الله .

٢ — كانت خدمة يسوع خدمة شفاء فقد كان فريداً فى حنانه ومساعدته للإنسان . وكانت رغبة قلبه أن يلاشى كل ألم ووجع من العالم .

٣ — لكن الناس أخذوا يسوع وصلبوه . وإننا نلاحظ من خلال السطور مقدار أسى بطرس وجزعه لهذه الجريمة الشنعاء .

٤ — ثم قام المسيح من الأموات . إن القوة التى أرسلت يسوع والتى كانت فى يسوع لم تهزم . بل استطاعت أن تهزم كل ما يخيف الإنسان حتى الموت .

٥ — إن الرسالة الأساسية للواعظ أو المعلم أن يشهد ليسوع المقام . وبالنسبة لبطرس لم يكن يسوع مجرد قصة يقرأها فى كتاب أو يسمع عنها لكنه شخص حى موجود قابله وتحدث معه وجهاً لوجه .

٦ — ونتيجة لهذا كله يتمتع الناس بغفران الخطايا وعلاقة جديدة مع الله .

أما الخوف والعداوة فتطرد إلى خارج . ففى المسيح تعود العلاقة الوطيدة بين الإنسان والله ، هذه العلاقة التى أفسدتها الخطية .

دخول الأمم

(أع ١٠ : ٤٤ — ٤٨)

إذ كان بطرس يتكلم حدثت أمور لم يستطع من قبلوا المسيح من اليهود أن يعارضوها . فقد حل الروح القدس على كرنيليوس ومن معه . ووصلوا إلى درجة من النشوة حتى صاروا يتكلمون بألسنة . وكانت هذه علامة أكيدة أمام اليهود أن الرب قد أعطى الروح القدس للأمم . ويجب أن نلاحظ هنا شيئين :

١ — لقد تعمد هؤلاء الأمميين فى الحال ولا نجد فى سفر الأعمال أن هناك أناساً معينين لإجراء

مراسيم المعمودية . لكن فى الكنيسة اليوم لا يقوم بإجراء المعمودية إلا القس المرتسم . والحقيقة التى نجدها فى سفر الأعمال أن الكنيسة ككل هى التى كانت تقبل المتجددين ، لذلك يجب ألا نظن أن القس هو الذى يقبل الطفل لكن الكنيسة هى التى تقبل الطفل نيابة عن يسوع المسيح . وهذا يضع المسئولية على الكنيسة كلما أجرت مراسيم العماد تجاه الأطفال الذين تعمدهم ليشبوا فى شركة الكنيسة .

٢ ــ إن آخر آية فى الأصحاح لها مغزى خاص . فقد طلبوا أن يبقى معهم بطرس أياماً . لماذا ؟ لابد أرادوا أن يعلمهم بطرس لذلك يجب أن ندرك أن انضمامنا إلى عضوية الكنيسة ليس النهاية بل البداية . فهى بداية للتعلم والتعمق كل يوم فى غنى المسيح الذى لا يستقصى .

الاصحاح الحادى عشر

بطرس يدافع

(أع ١١ : ١ ــ ١٠)

يظهر مدى اهتمام لوقا بهذه القصة فى شرحها بإسهاب . فليس من عادة الكتّاب قديماً أن يكتبوا كتابات مطولة لأن الكتب فى شكلها الحاضر لم تكن قد عرفت بعد . فكانت الكتب تكتب على ورق البردى . لذلك كان حجم الكتاب محدوداً بمقدرة الإنسان على حمله بسهولة . وأطول مخطوطة وجدت كان طولها حوالى ٣٥ قدما وهو على وجه التقريب الطول المطلوب لكتابة سفر الأعمال وكان على لوقا أن يستغل هذه المساحة المتاحة ليملأها بمعلومات وأخبار كثيرة لا حصر لها . ولاشك أنه كان يختار بكل دقة ما يدونه لكنه يجد فى قصة بطرس وكرنيليوس أهمية خاصة تجعله يدونها مرتين بالتفصيل . ولقد كان لوقا على حق . فنحن لا نتصور كيف كانت المسيحية على وشك أن تصبح ديانة يهودية فقط من نوع آخر . كان كل المسيحيين الأوائل يهوداً ولقد كانوا (بتأثير عاداتهم وتقاليدهم) على وشك أن يحتفظوا بما اختبروه فى المسيحية لأنفسهم ، باعتبار أن الله لا يقصد أبداً أن تكون المسيحية للأمم المحتقرين .

لكن لوقا يقدم لنا هذه الحادثة مرتين تفصيلاً لأنه يرى فيها نقطة تحول عامة فى طريق انتشار المسيحية لتصبح ديانة للعالم كله .

قصة مقنعة

(أع ١١ : ١١ ــ ١٨)

والخطأ الذى كان بطرس يحاول أن يدافع عنه هو أنه أكل مع أمميين (عدد ٣) وقد عرفنا أن اليهودى المتزمت لا يتعامل مع الأمميين . ولقد كان من الجائز أحياناً أن يدخل يهودى بيت أممى لو أنه كان أمراً غير مرغوب فيه أما أن يجلس ويأكل فهذا ما لا يصدقه إنسان .

ولاشك أن دخول بطرس وتناوله الطعام معهم هو تعدى صريح على تقاليد الآباء ونواميسهم . والآن دعونا نرى دفاع بطرس . إنه لم يناقش بل سرد الحقائق كما هى . ومهما قال الذين كانوا ينتقدون تصرفاته فقد حل الروح القدس على هؤلاء الأمميين فى أوضح صورة . لا جدال فى ذلك . وعدد ١٢ يلقى ضوءاً له معنى ودلالة على القضية . فبطرس يقول إنه أخذ معه ستة أشخاص . أى أن عدد اليهود بما فيهم بطرس كان سبعة . فى القانون المصرى (الذى كان معروفاً جيداً) كانت شهادة سبعة فى أية قضية كافية جداً . وفى القانون الرومانى (الذى كان معروفاً أيضاً) إذا وقع سبعة على وثيقة هامة صارت نافذة . وكأن بطرس يقول أنا لا أجادلكم لكنى أقرر حقيقة شهدها سبعة منا .

والحقائق تدعم الإيمان المسيحى دائماً فالبراهين الجدلية والأمثلة الشفوية قليلاً ما تقود إلى المسيحية لكن البرهان الأعظم للمسيحية أنها فعالة لأنها تغير حياة الناس من الظلمة إلى النور وتضع فى حياتهم الروح القدس فتصبح شهادة المؤمن لا مجرد كلمات لكن تطبيق عملى للإيمان . وبالعكس فإننا نرى أن حياة الإنسان التى تختلف عن مستوى أقواله أكبر دليل ضد المسيحية أما الحياة المدعمة بالكلمات التى تواجه بها العالم فهى أعظم حجة للمسيحية .

أشياء عظيمة فى أنطاكية

(أع ١١ : ١٩ ــ ٢١)

نقرأ فى هذه الأقوال القليلة عن أعظم حدث فى التاريخ . فلأول مرة نرى الإنجيل ينتشر بين الأمم بكل حرية . ولقد كانت كل الأشياء تعمل معاً للوصول إلى هذه النتيجة . وهناك ثلاث درجات على هذا السلم أو ثلاث علامات على الطريق .

فأولاً بشر فيلبس السامريين وكانت هذه هى أول خطوة ، ولكن السامريين يعتبرون يهوداً إلى حد ما وكانوا يمثلون قنطرة تربط اليهود بالأمم .

وثانياً قبل بطرس كرنيليوس . لكن يجب ألا ننسى حقيقة هامة فى حادثة كرنيليوس وهى أن كرنيليوس هو الذى أرسل يستدعى بطرس . فلم تبحث الكنيسة المسيحية عن كرنيليوس لكنه هو الذى بحث عن الكنيسة . كما لا يغيب عن أذهاننا ما ذكر عن كرنيليوس أنه كان رجلاً يخاف الله أى أنه كان قريباً جداً من حدود اليهودية .

أما ثالثاً وأخيراً فهو ما نراه فى أنطاكية فلم تحاول الكنيسة أن تبشر اليهود أو أنصاف اليهود و لم تنتظر أن يتقرب إليها الأمم لكنها ذهبت بطريقة أصيلة مقصودة لتبشر الأمم بالإنجيل . لقد أستقرت المسيحية فى رسالتها وإرساليتها إلى العالم أجمع .

وهنا نرى شيئاً عجيباً : لقد خطت الكنيسة خطوة لها أهميتها ودلالتها . ونحن لا نعرف حتى أسماء أولئك الذين خطوا هذه الخطوة الجريئة ، وكل ما نعرفه عنهم أنهم قبرصيون وقيروانيون ولن يعرف أحد أسماءهم . لكنهم بالنسبة للتاريخ يعتبرون قادة وأبطال مجهولون للمسيح . إن من أهم مشاكل الكنيسة أن العاملين فيها دائماً يتوقعون أن يعرفوا بأسمائهم وأن يمدحوا وأن يقدم لهم المدح والثناء إذا عملوا شيئاً يعتقدون أنه ذات قيمة . ولكن ما تحتاج إليه الكنيسة أكثر من أى شىء آخر هو ذلك النوع من الناس الذى يعمل ولا يأبه بالمكافأة أو المدح بل يهتم بالعمل لذاته . إن هؤلاء الناس لم يكتبوا أسماءهم فى كتب التاريخ لكنهم كتبوها فى سفر الحياة .

وهذا الفصل ينقل مسرح الحوادث فى الكنيسة الأولى إلى مدينة أنطاكية ثالث المدن الكبرى فى العالم فى ذلك الوقت و لم يكن يكبرها إلا روما والأسكندرية . وكانت تقع عند منبع نهر أورنتس على بعد خمسة عشر ميلا من البحر الأبيض المتوسط . كانت مدينة جميلة اشتهرت بالبذخ والبحث

عن اللذة ليلا ونهاراً بكل ما فى هذه الكلمة من معانٍ . واشتهرت أيضاً بسباق خاص للعربات التى تجرها الخيل فإذا وصفناها بلغة العصر الحاضر لقلنا إنها مدينة تعشق الرياضة مملوءة بالنوادى الليلية للقمار . ولكن الأهم من هذا أنها كانت مشهورة بعبادة الإلهة دافن (Daphne) وكان معبدها على بعد خمسة أميال خارج المدينة وسط حديقة غناء . ودافن حسب تقاليدهم كانت إحدى الفتيات اللاتى أحببن الإله أبولو . وقد طاردها حتى عثر عليها فى تلك الحديقة . لذلك كان هيكلها مليئاً بنساء كرسن أنفسهن للهيكل وفى كل مساء يعاد تمثيل قصة الحب الآثم بين أبولو ودافن . وكانت الكلمات « أخلاقيات دافن » تعنى الحياة الشهوانية . فى هذا الجو الغريب أليس عجيباً أن نرى المسيحية تخطو خطوتها الحاسمة لتكون ديانة عالمية . لكن هذا يدفعنا إلى التفكير فى أنه لا يوجد مستحيل ويجب ألا نيأس مهما كانت الحالة .

حكمة برنابا

(أع ١١ : ٢٢ — ٢٦)

عندما علم قادة الكنيسة فى أورشليم بما يجرى فى أنطاكية كان من الطبيعى أن يرسلوا ليتحروا الأمر . ولاشك أنه من نعمة الله أنهم أرسلوا هذا الرجل . فربما أرسلوا رجلاً ضيق الفكر يؤله الناموس والتقاليد . لكنهم اختاروا رجلاً يحمل أكبر قلب فى الكنيسة هو برنابا . ذلك الرجل الذى وقف بجانب بولس وتابعه عندما شك فيه كل الناس (أع ٩ : ٢٧) . لقد برهن برنابا على مسيحيته الحقيقية بإحسانه إلى إخوته المحتاجين (أع ٤ : ٣٦ ، ٣٧) . وعندما جاء برنابا ورأى الأمم ينضمون إلى الكنيسة بأعداد كبيرة فرح وفكر فى شخص يأخذ على عاتقه هذا العمل . وهذا الشخص يجب أن تكون له خلفية مزدوجة فلابد أن يكون يهودياً تربى فى التقاليد اليهودية لكنه يستطيع أن يتعامل مع الأمم . كان لابد أن يكون شجاعاً مقداماً ليستطيع أن يتعامل مع أهل أنطاكية ، كما يجب أن يكون بارعاً فى الحوار والنقاش حتى يفحم اليهود والأمم على حد سواء . كان برنابا يعرف الرجل المطلوب . لمدة تسع سنوات لم نسمع شيئاً عن بولس ولعل آخر كلمة ذكرت عنه أنه هرب إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس (أع ٩ : ٣٠) . ولاشك أنه خلال هذه السنوات التسع كان يبشر بالإنجيل فى وطنه . لقد كان يعد نفسه وها قد جاء العمل العظيم الذى خصص له . وبكل حكمة اختار برنابا بولس لهذا العمل .

وفى أنطاكية دعى التلاميذ مسيحيين . لقد بدأت كلمة مسيحى لتكون كنية للتهكم . وكان أهل أنطاكية مشهورين بإطلاق الأسماء المضحكة ، فلقد زارهم الإمبراطور جوليان وكانت له لحية صغيرة فأطلقوا عليه لفظ « التيس » تهكماً . وكلمة مسيحيين تعنى الجماعة التى تتبع المسيح . وكانت كنية تحمل معانى التهكم والاحتقار . لكن المسيحيين نشروا هذا الاسم فى كل العالم ، وبأعمالهم المجيدة غيروا معنى التهكم والسخرية إلى الشجاعة والحب . هذه الصفات التى فتنت المسكونة كلها .

المساعدة فى الضيق

(أع ١١ : ٢٧ ــ ٣٠)

هنا نرى الأنبياء فى الصورة . وقد كانوا فى غاية الأهمية أيام الكنيسة الأولى . فلقد ذكروا أيضاً فى (أع ١٣ : ١ ، ١٥ : ٣٢ ، ٢١ : ٩ و ١٠) . وعلى وجه العموم فإن قادة الكنيسة كانوا ثلاث فئات :

١ ــ الشيوخ وهم القادة المحليون . وكانت سلطتهم محدودة بالأماكن التى يعيشون فيها . فقد كانوا قادة محليون لكنائس محلية .

٢ ــ الأنبياء ووظيفتهم تتضح من اسمهم . والنبى هو الشخص الذى يخبر بأمور آتية أو الذى يعلن بالأمور الجارية . كان بعضهم يتكلمون عن المستقبل والبعض الآخر يعلن إرادة الله . ولم تكن لهم مناطق محدودة . ولم يرتبطوا بكنيسة بعينها . بل كانوا أناساً يعيشون فى حضرة الله بلا عائلة ولا ارتباطات من أى نوع بل كانوا يتنقلون من مكان لآخر ليعرفوا الناس بالله . وكانت لهم كرامة كبيرة . وفى كتاب « تعليم الرسل الاثنى عشر » الذى يرجع إلى سنة ١٠٠ ميلادية نجد نظام خدمة العشاء الربانى . لكن فى هذا الكتاب نجد العبارة التى تدل على أن الأنبياء لهم الحق أن يسيروا بهذه الخدمة كما يريدون . كانوا معروفين بأنهم يتميزون بمواهب خاصة لكن كانت لهم خطورتهم أيضاً . فإن وظيفة النبى يمكن أن تستغل لا بأعلى الدوافع وأعظمها بل بأردأ الدوافع وأدناها .

لقد عاشت فئة من الأنبياء الكذبة الذين كانوا يرتزقون من الكنيسة . وفى « تعاليم الرسل الاثنى عشر » نجد تحذيراً من هؤلاء الأنبياء الكذبة إذ يقول « إن النبى الذى يطلب مالاً أو طعاماً نبى كاذب . كما أن النبى الذى يستضاف أكثر من ليلة واحدة دون أن يعمل ليأكل نبى كاذب » .

وقصة عطاء الكنيسة لها معناها إذ أنها ترينا وحدة الكنيسة . فإذا كان هناك جوع فى فلسطين فإن أول ما يخطر ببال الكنيسة فى أنطاكية أن تساعد المحتاجين .

لقد عرفوا فى تلك الأيام أنهم جميعاً أعضاء جسد واحد هو جسد المسيح . لم يتصوروا أن أحد الأعضاء يقع فى ضيقة ولا يتحرك العضو الآخر . لقد كانوا بعيدين عن الاستقلالية بل كانت لهم النظرة العريضة التى ترى الكنيسة ككل . لم يكونوا أعضاء كنيسة أنطاكية بل كانوا أعضاء كنيسة المسيح .

الاصحاح الثانى عشر

سجن وافراج

(أع ١٢ : ١ — ١١)

بدأت موجة من الاضطهاد ضد الكنيسة وخصوصاً القادة . وكان خلف هذه الحركة سلطة الملك هيرودس . ولندرس الآن فروع عائلة هيرودس وعلاقتهم بحوادث العهد الجديد . وأولهم هيرودس الكبير . وقد ملك من سنة ٤١ — ١ قبل الميلاد تقريباً . وهو المذكور فى إنجيل متى الأصحاح الثانى . وهو الملك الذى ولد فى أيامه يسوع . وهو الذى قابل المجوس وقتل الأطفال . ولقد تزوج هيرودس الكبير عشر مرات ومن نسله .

(أ) هيرودس فيليب الأول . وكان الزوج الأول لهيروديا التى تسببت فى موت يوحنا المعمدان . وذكر باسم فيلبس فى متى ١٤ : ٣ ومرقس ٦ : ١٧ ولوقا ٣ : ١٩ . ولم تكن له وظيفة محددة وهو والد سالومى .

(ب) هيرودس انتيباس . وهو حاكم الجليل وبيريه . وهو الزوج الثانى لهيروديا . وهو الذى وافق على قتل يوحنا المعمدان . وهو نفس هيرودس الذى ذهب اليه المسيح بناء على رأى بيلاطس (لو ٢٣ : ٧) .

(ج) أرخيلاوس وكان حاكم اليهودية والسامرة وأدوم وكان حاكماً فاسداً وقد خلع ونفى . ذكر فى متى ٢ : ٢٢ .

(د) هيرودس فيليب الثانى . وكان حاكم تراخونيتس . وهو مؤسس قيصرية فيلبس التى سميت على اسمه . وقد ذكر اسمه فى لو ٣ : ١ .

(هـ) ارستوبولس وهو أحد أبناء هيرودس الكبير وكانت أمه مريم أميرة من نسل المكابيين الأبطال . وقد قتله أبوه بنفسه ولكن كان له ابن اسمه هيرودس أغريباس . وهو المقصود فى هذا الفصل من سفر الأعمال ولكى نكمل سلسلة النسب فقد كان لهيرودس أغريباس ابن اسمه هيرودس أغريباس الثانى الذى فحص بولس والذى ألقى أمامه دفاعه المشهور (أع ٢٥ ، ٢٦) . وقد ظهرت معه فى هذه الحادثة برنيكى أما دروسللا فقد كانت زوجة فيلكس الذى وقف أمامه بولس (أع ٢٤ : ٢٤) .

من هذا النسب نرى أن هيرودس أغريباس الأول الذى نحن بصدده كان من أحفاد المكابيين وقد تعلم فى روما لكنه كان شديد المواظبة على حفظ الناموس اليهودى وكل الفرائض اليهودية . لذلك أحبه الناس ولكى يزيد حب الناس له خصوصاً اليهود المحافظين قرر أن يهاجم الكنيسة المسيحية وقادتها . لذلك كان يعقوب أحد ضحايا هذه الخطة التى وضعها هيرودس ونفذها . كما أن سجن بطرس كان خطوة فى سبيل تحقيق تلك الخطة . وحتى طريقته فى إلقاء القبض على بطرس ترينا

بوضوح اهتمامه بإرضاء اليهود . فقد كان عيد الفصح فى ١٤ نيسان . وكان اليهود يمتنعون عن أكل الخمير من ذلك اليوم لمدة أسبوع . ولم يكن مسموحاً خلال هذا الأسبوع بإجراء أى محاكمة أو تنفيذ أية أحكام لذلك أجل هيرودس تنفيذ الحكم فى بطرس حتى نهاية الأسبوع والمأساة العظمى هنا أن موجة الاضطهاد لم تكن نتيجة مبادىء معينة اقتنع بها شخص ما لكنها كانت فقط لإرضاء اليهود .

فرحة العودة

(أع ١٢ : ١٢ ـــ ١٩)

اتخذت كل الاحتياطات للتأكد من أن بطرس لن يهرب . فقام بحراسته أربعة أرابع من الجند . أى ستة عشر جنديا . كل أربعة يقومون بالحراسة ثلاث ساعات . ولقد كان المألوف أن توضع سلسلة فى كل من يدى السجين وتربط اليد اليمنى للسجين باليد اليسرى للحارس وبالعكس . أما فى حالة بطرس فقد ربطت كلتا يداه إلى كل من الحارسين أما الحارسان الآخران فكانا يحرسان الباب . ولا يمكن أن نتخيل حراسة أشد من ذلك . وعندما خرج بطرس من السجن حوكم الحراس لأن القانون كان يقضى بالحكم على الحراس بنفس العقوبة المحكوم بها على السجين فى حالة هروبه .

عندما خرج بطرس ذهب تواً إلى بيت مريم أم يوحنا مرقس وهذا يرينا أن هذا البيت كان مركز قيادة الكنيسة . ويقال إن المسيح صنع العشاء الربانى فى نفس البيت . ومنذ ذلك الوقت كان التلاميذ يجتمعون فيه (فى أورشليم) للصلاة . نعم عندما كانوا لا يجدون أى مكان كان الله يرحب بهم إذ يذهبون إليه مصلين .

وفى هذا الجزء يذكر لأول مرة أول قائد لكنيسة المسيح . فقد طلب بطرس أن يخبروا يعقوب بما حدث . وهو يعقوب أخو الرب . وهنا سر حول شخصية يعقوب . فمن الطبيعى فى الشرق أن يتولى الأخ الأصغر أعمال أخيه عند موته لكن من رواية الأناجيل نجد أن أخوة الرب لم يؤمنوا به (يوحنا ٧ : ٥) بل ظنوه مختلاً (مر ٣ : ٢١) . ففى حياة المسيح لم يكن يعقوب أحد تابعى المسيح لكننا نعلم أن المسيح المقام ظهر ظهوراً خاصاً ليعقوب (١ كو ١٥ : ٧) . وفى نسخة قديمة من إنجيل يدعى إنجيل العبرانيين يذكر أن يعقوب أقسم ألا يأكل أو يشرب حتى يرى يسوع ثانية وأن يسوع ظهر له . إذن فما لم تفعله حياة المسيح فى يعقوب فعلته قيامته . ولاشك أن يعقوب عندما رأى يسوع يموت ويقوم عرف من هو ، وكرس حياته لخدمته . إن التغيير العجيب فى حياة يعقوب مثال لما يمكن أن يعمله الصليب فى تغيير حياة الناس .

نهاية فظيعة

(أع ١٢ : ٢٠ ــ ٢٥)

هنا نرى نهاية هيرودس الفظيعة . فقد حدث بينه وبين أهل صور وصيداء خلاف . هذا الخلاف كان بالنسبة للأهالى شيئاً خطيراً . لأن أراضيهم كانت تقع شمال فلسطين .

ولقد كان هيرودس يستطيع إيذاءهم بطريقتين : إما أن يستغنى عن موانيهم فى التجارة ليصابوا بخسارة فادحة أو أن يقطع عنهم الطعام الذى كانوا يحصلون عليه من مدن فلسطين . ولقد نجح الأهالى فى استمالة ياور الملك ويدعى بلاستوس فصنع وليمة . ويذكر المؤرخ يوسيفوس كيف أنه فى اليوم الثانى من هذه المناسبة دخل هيرودس فى ثوب فضى كان يلمع فى ضوء الشمس فصرخ الناس هذا إله يأتى إلينا . وفى الحال مرض مرضاً خطيراً لم يشف منه . وانتهى كبرياء الرجل أمام غضب الله .

أما الأعداد ٢٤ ، ٢٥ فهى تعود بنا إلى لـ أع ١١ : ٢٧ ــ ٣٠ حيث نجد بولس وبرنابا قد أنهيا الأعمال الخيرية التى قاما بها فى أورشليم وعادا إلى أنطاكية ومعهم يوحنا مرقس .

الرحلة التبشيرية الأولى

فى الأصحاحين الثالث عشر والرابع عشر نجد تفاصيل الرحلة التبشيرية الأولى . بدأ بولس وبرنابا من أنطاكية . ولقد كانت أنطاكية على بعد ١٥ ميلا من الشاطىء وهى تقع على نهر أورنتس أما الميناء الحقيقى الذى أبحرا منه فهو ميناء سلوكية . وقد توجها إلى قبرص حيث وعظا فى سلاميس وبافوس . ثم أبحرا من بافوس إلى برجة بمفيلية . وهى مقاطعة منخفضة على الساحل . ولم يعظا هناك . وكما سنرى أن هذه المنطقة المنخفضة لم تناسب صحة بولس ، لذلك لم يعظ فيها . بل اتجها إلى الداخل إلى أنطاكية بسيدية . ولما تأزمت الأمور هناك اتجها إلى أيقونية وهى تقع على بعد ٩٠ ميلا من أنطاكية . وقد تعرضت حياتهما للخطر فاتجها إلى لسترة على بعد ٢٠ ميلا . ثم عادا فتعرضا لهجوم خطر فاتجها إلى دربة ولم يعرف على التحديد موقعها . ومن دربة عادا فى نفس الطريق متجهين إلى موطنهما الأصلى مارين بلسترة وأيقونية وأنطاكية بسيدية ثم إلى الساحل فى مقاطعة بمفيلية وفى هذه المرة وعظا فى برجة . ثم أخذا سفينة من ميناء أتاليا الميناء الرئيسى فى تلك المقاطعة ووصلا إلى سلوكية ثم عادا إلى أنطاكية . ولقد استغرقت هذه الرحلة حوالى ثلاث سنوات .

الاصحاح الثالث عشر

أفرزهما الروح القدس

(أع ١٣ : ١ ــ ٣)

قررت الكنيسة المسيحية أخطر قرار باختيارها أن توصل رسالة الإنجيل إلى العالم كله . وقد اتخذت الكنيسة هذه الخطوة الجريئة بإرشاد الروح القدس . ومن الحقائق الهامة فى تاريخ الكنيسة الأولى أن رجالها لم يعملوا ما شاءوا بل كانوا يعملون دائما ما يريده الله .

وهذا الفصل يتحدث عن الأنبياء والمعلمين . ولكل منهم وظيفته . فالأنبياء لم يرتبطوا بكنيسة معينة بل كانوا يجولون متحدثين بكلمة الله فى كل مكان . أما المعلمون فكانوا عبارة من أناس فى كل كنيسة يقومون بتعليم الذين ينضمون إلى المسيحية والإيمان المسيحى .

وهذه القائمة المذكورة من الأنبياء تبين جاذبية الإنجيل فى كل العالم . فبرنابا يهودى من قبرص . ولوكيوس من القيروان فى شمال أفريقيا . وسمعان كان يهودياً أيضاً وكان اسمه الرومانى نيجر وهذا يدل على أنه عاش فى أوساط رومانية . ومناين كان رجلاً ارستقراطيا له اتصالات كثيرة .

وبولس نفسه كان يهودياً من طرسوس فى سيلسيا وهو ربى يهودى متدرب وفى هذه الزمرة القليلة تتمثل قوة المسيحية فى توحيد قلوب الناس . فهنا نرى أناساً من مناطق مختلفة وثقافات متنوعة لكنهم اكتشفوا السر الذى يوحد القلوب ويجمعها معاً وهو المسيح نفسه .

وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهى أن سمعان الذى دعى نيجر غالباً جاء من أفريقيا لأن نيجر اسم أفريقى .

وهناك رأى يقول إن سمعان هذا هو نفس سمعان القيروانى الذى حمل صليب المسيح (لو ٢٣ : ٢٦) ولاشك أنه أمر جدير بالاهتمام أن نرى الشخص الذى تعرف بالمسيح فى أسوأ الظروف ــ إذ لابد أنه قاوم مهمة حمل الصليب بكل ما أوتى من قوة ــ نراه واحداً من الأشخاص المهمين المسئولين عن إذاعة قصة الصليب على العالم أجمع .

نجاح فى قبرص

(أع ١٣ : ٤ ــ ١٢)

توجه بولس وبرنابا إلى قبرص أولا . ولاشك أن برنابا كان خلف هذا التخطيط . لأنه كان قبرصى الجنس (أع ٤ : ٣٦) وهو أمر طبيعى لكل من عرف المسيح فهو يريد أن يشرك أهل وطنه فى الكنز الذى عثر عليه يسوع . ولقد كانت قبرص مشهورة بمناجم النحاس وصناعة بناء

السفن . وكانت تسمى مكاريا أى الجزيرة السعيدة . لأن جوها كان ممتازاً على مدار السنة ، وموارد الرزق كانت متنوعة ووفيرة ، لذلك كان يجد فيها الإنسان كل ما يتمناه ليصبح سعيداً . أما بولس فلم يكن يختار أسهل الطرق بل بدأ ببافوس فوعظ فيها هو وبرنابا . وكانت بافوس مشهورة بعبادة الزهرة إلهة الحب وهى رمز الشهوة الرديئة . وكان والى قبرص يدعى سرجيوس بولس وكانت الخرافات منتشرة فى تلك الأيام . والخرافات علامة الحضارة المتدهورة . وكان معظم الناس المشهورين مثل سرجيوس بولس يحتفظون بسحرة خصوصيين للتنجيم ومعرفة الغيب والسحر وبار يشوع أو عليم (وهى كلمة عربية تعنى العالم بالأمور) كان هو الساحر الخاص لسرجيوس بولس . ولقد تأكد بار يشوع أن إيمان الوالى بالمسيحية معناه إنتهاء عمله . لكن بولس تعامل معه بطريقة حاسمة .

وحتى هذا الجزء من سفر الأعمال كان بولس يدعى شاول وفى تلك الأيام كان لمعظم اليهود اسمان أحدهما اسم يهودى يعرف به فى الأوساط اليهودية والآخر يونانى يعرف به فى باقى أجزاء العالم . وأحياناً كان الاسم اليونانى ترجمة للاسم العبرانى . فمثلاً صفا فى العبرية وبطرس فى اليونانية لهما نفس المعنى أى الصخرة . وأحياناً يكون الاسمان متشابهين فى النطق مثل يشوع ويسوع . وهكذا كان شاول وبولس (Saul , Paul) ويظهر أنه منذ هذا الفصل قبل أن يكون رسول الأمم صمم أن يستخدم الاسم اليونانى (أى الأممى) فإن كان الأمر كذلك فهذا دليل على أنه بدأ منذ ذلك الوقت فى الإرسالية المحددة التى أفرزه لها الروح القدس وهى إرسالية لا رجعة فيها فقد بدأ ولم يتراجع للخلف أبداً .

المتراجع

(أع ١٣ : ١٣)

دون أن يذكر اسم برنابا فى هذا العدد نجد أعظم صفات برنابا . فحتى هذا العدد كان الترتيب المذكور فى الكتاب برنابا وشاول (أع ١٣ : ٢) كان برنابا هو القائد للرحلة . لكن الآن نرى بولس وبرنابا . ثم نرى بولس قائداً للرحلة . ومن محبة برنابا لا تراه يتذمر على هذا الوضع . فلقد كان الرجل المعد لأن يأخذ المكان الثانى وفى رأيه ليكن ما يكون المهم أن يتم عمل الله .

لكن أهم ما فى هذا العدد أنه نقطة حاسمة فى حياة يوحنا مرقس . لأن يوحنا المذكور هنا هو الرجل المعروف باسم مرقس وهو المتراجع الذى أراد أن ينقذ نفسه .

كان مرقس شاباً صغيراً جداً . وكان بيت أمه غالباً مركز الكنيسة فى أورشليم (أع ١٢ : ١٢) وكان مرقس قريباً جداً لمركز الإيمان . ولقد أخذه برنابا وبولس ليكون مساعداً لهما . وهو أحد أقارب برنابا . لكنه تراجع وعاد لوطنه ولم نعرف السبب . ربما احتج لأن برنابا لم يصبح فى مكان القيادة . وربما خاف من الرحلة إلى أنطاكية بسيدية لأن الطريق اليها كان من أصعب وأخطر الطرق . وربما شك فى جدوى الكرازة للأمم لأنه جاء من أورشليم وربما كانت هذه شخصيته ، شخصية

الشاب الغر الذى يبدأ أى شيء بحماس لكنه لا يكمله أو ربما اشتاق إلى أمه كما قال كريسوستم . المهم أنه عاد . ولقد عانى بولس من هذا الحادث مدة طويلة ولم يستطع أن يغفر . ولما خرج فى رحلته الثانية أراد برنابا أن يصطحب معه مرقس لكن بولس رفض (أع ١٥ : ٣٨) وكانت النتيجة أن افترق بولس وبرنابا نهائياً . ومنذ هذه اللحظة اختفى اسم مرقس من التاريخ وإن كان التقليد الشائع يقول إن مرقس ذهب إلى الأسكندرية فى مصر وأسس الكنيسة هناك .

وعندما كتب بولس إلى كولوسى وهو فى السجن فى روما طلب منهم أن يقبلوا مرقس إن أتى إليهم . وهكذا نرى مرقس مع بولس مرة أخرى . وقرب نهاية حياة بولس عندما كتب إلى تيموثاوس قال له « خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع له للخدمة » ٢ تيمو ٤ : ١١ فالشخص المتراجع الهارب من الخدمة أصبح نافعاً لبولس . وكما قال فزدك « ليس من الضرورى أن يظل الإنسان كما هو » فبنعمة الله أصبح المتراجع هو كاتب الإنجيل وهو الرجل الذى أراد بولس أن يبقيه معه لأنه نافع للخدمة .

رحلة خطرة لرجل مريض

(أع ١٣ : ١٤ ، ١٥)

من الأمور المدهشة فى سفر أعمال الرسل أن كثيراً من أعمال البطولة الفذة لا تذكر إلا فى عبارة واحدة . فأنطاكية بسيدية تقع على ارتفاع ٣٦٠٠ قدما فوق سطح البحر ولكى يصل إليها برنابا وبولس كان لابد لهما أن يعبرا جبال طوروس فى طريق يعد من أصعب الطرق فى آسيا الصغرى . وهو طريق ملىء باللصوص وقطاع الطرق . ولنا أن نسأل لماذا لم يعظ بولس أو برنابا فى بمفيلية ؟ لماذا لم يقدما الكلمة على هذا الطريق الصعب ؟ كتب بولس رسالة إلى أنطاكية بسيدية ليس بعد ذلك الوقت بكثير ووجه الرسالة أيضاً إلى أيقونية ولسترة ودربة وهى الرسالة المعروفة لنا برسالة غلاطية . لأن كل هذه المدن كانت تقع فى مقاطعة تسمى غلاطية . وقد ذكر فى هذه الرسالة « ولكنكم تعلمون أنى بضعف الجسد بشرتكم فى الأول » غلاطية ٤ : ١٣ . وهذا يدلنا على أنه عندما جاء إلى تلك المقاطعة كان مريضاً . ومن المعروف أن بولس كانت عنده شوكة فى الجسد وقد تضرع لأجلها مراراً لكنها ظلت تؤلمه (٢ كو ١٢ : ٧ ، ٨) وقد حاول كثيرون أن يستنتجوا هذه الشوكة . وأول فكرة وأقدمها أن بولس كان يعانى من صداع مستمر وأكثر هذه الاستنتاجات احتمالا أن بولس كان مصاباً بالملاريا التى كانت منتشرة فى الأماكن المنخفضة على الساحل فى آسيا الصغرى . ويقول أحد السائحين أن الصراع الناشىء عن آلام الملاريا مثل حديدة محماة تنفذ فى جبهة الإنسان . ومن المحتمل أن تكون هذه الملاريا قد أصابته فى بمفيلية وكان من اللازم أن يتجه فوراً إلى المنطقة الجبلية العالية . ولكن لنلاحظ أن كل هذا لم يقف حائلا دون نزول بولس ثانية إلى تلك المنطقة . لقد صعد بولس الجبال العالية وهو يعانى من المرض . ورغم ما كان يقاسيه من مرضه فلم يهن عزمه على مواصلة رحلته وسعيه لأجل المسيح . وهكذا نرى فى هذين العددين بطولة عظيمة مخفاة بين السطور لمن يستطيع أن يراها .

عظة بولس

(أع ١٣ : ١٦ ــ ٤١)

يعتبر هذا الجزء من أهم وأطرف أجزاء سفر الأعمال لأنه يحتوى على عظة كاملة لبولس . وإذا قارناها بعظة بطرس فى أعمال ٢ نجد أنها تحتوى على نفس العناصر الرئيسية . فعظة بولس تحوى خمس أفكار رئيسية :

١ ــ فبولس يرى أن مجىء المسيح هو كمال التاريخ . وهى ملخص تاريخ الأمة القومى ليثبت أن المسيح هو مركز هذا التاريخ . كان الرواقيون يعتقدون أن التاريخ يسير فى دورات وأن العالم عقب كل دورة يدمر بواسطة حريق هائل ثم تبدأ نفس العملية من جديد . فالتاريخ عندهم يكرر نفسه : ويرى آخرون أن التاريخ سجل لخطايا الناس وأخطائهم وضعفاتهم . أما النظرة المسيحية للتاريخ فهى نظرة متفائلة ، فالمسيحية ترى أن التاريخ يسير قدماً نحو هدف حدده الله .

٢ ــ يسجل بولس أن الناس لم يفهموا إعلان الله فى المسيح يسوع فالإنسان باختياره الطريق الذى يسير فيه وبرفضه طريق الله يصل إلى حالة من العمى فلا يبصر . إن سوء استخدام الإرادة الحرة لا يؤدى إلى الحرية بل إلى الانحلال والهلاك .

٣ ــ مع أن الناس العميان رفضوا يسوع وصلبوه لكن الله لا يمكن أن ينهزم . والقيامة هى الدليل على انتصار الله وتحقيق كل إرادته . فى ليلة عاصفة نظر طفل إلى والده وقال « ياأبى يظهر أن الزمام قد أفلت من الله هذه الليلة » . إن القيامة دليل على أن الزمام لا يمكن أن يفلت من الله إذ أن إرادته وقصده يسودان .

٤ ــ ويستخدم بولس طريقة الجدل اليهودية . فهو يثبت أن القيامة هى تحقيق النبوات . لأن الوعود التى أعطيت لداود لم تتحقق له وفيه لكنها تحققت فى المسيح . ومهما كان البرهان بالنسبة لعصرنا الحاضر لكنه يرينا أن التاريخ يسير للأمام نحو تحقيق هدف الله دورات فهو لا يسير فى دورات ولا يسير بلا هدف لكنه يسير نحو شىء عينه الله ولابد أن يكون .

٥ ــ إن مجىء المسيح ورسالته بالنسبة لمجموعة من الناس هى الأخبار السارة . لذلك عاش هؤلاء الناس طبقا للناموس . وطبيعى أن الناس لم يستطيعوا أن يكملوا كل الناموس بحسب كل مطالبيه لذلك كان الإنسان باستمرار شاعراً بالعجز والخطية التى لا مفر منها لكن فى المسيح يسوع ــ فى حياته وموته ــ يجد الإنسان القوة المحررة الغافرة التى تطلقه حراً من كل إدانة وبالتالى يجد الإنسان نفسه فى علاقة حب وصداقة مع الله .

٦ ــ لكن ما قصد به أن يكون أخباراً سارة هو أخبار سيئة لفئة أخرى من الناس . فهذه الأخبار ستصير لهم سبب دينونة أردأ لأنهم إذ هم عميان رأوا كل شىء ورفضوه وعصوا و لم يقبلوا

يسوع . يوجد عذر للشخص الذى لم يسمع لكن ما عذر الإنسان الذى رأى عظمة وغنى عطية الله ورفضها . إن عطية المحبة لبعض الناس الذين يقبلونها هى دينونة للذين يرفضونها .

اضطرابات فى انطاكية

(أع ٢١ : ٤٢ ــ ٥٢)

أنطاكية بسيدية من المدن التى يمكن إحداث اضطرابات فيها بسهولة . أنشأها أحد خلفاء الإسكندر الأكبر سنة ٣٠٠ ق . م . تدفق عليها اليهود منذ إنشائها كما تعودوا أن يسكنوا أية مدينة جديدة . ولما كانت أنطاكية مدينة هامة فقد اعتبرت كولونية رومانية سنة ٦ ق . م . وقد كان سكانها خليطاً من اليونانيين واليهود والرومان وعدد غير قليل من المواطنين الفريجيين وهم عاطفيون غير مستقرين فى مثل هذا الخليط من السكان كانت أية شرارة كافية لإشعال نيران الفتنة . وكان أكثر ما يغيظ اليهود أن يحسوا بأن مواعيد الله يمكن أن يتمتع بها غير المختونين (أى الأمم) . لذلك بدأ اليهود الخطوة الأولى فى تلك الفتنة . وفى ذلك الوقت كانت الديانة اليهودية محبوبة جداً من النساء فى عصر انتشر فيه الفساد والشرور وخصوصاً التحرر الجنسى الذى كانت تقاسى منه النساء . فالعلاقات الأسرية كانت فى طريقها إلى الانحلال فى حين كانت اليهودية تدعو إلى قيم أخلاقية سامية وتحبذ طهارة الحياة ونقاوتها . وقد كانت النساء يجتمعن فى المجامع اليهودية ــ وكن غالباً من الطبقات العالية ــ حيث يجدن ما يصبون إليه من تعاليم .

وقد تهود عدد كبير من هؤلاء النسوة . والأخريات كن خائفات الله فقط . وكان اليهود يغرون هؤلاء النسوة أن يؤثرن على أزواجهن ــ وكانوا من ذوى الحيثية ــ أن يقاوموا المسيحية والمبشرين المسيحيين . والنتيجة الطبيعية لذلك هى انتشار اضطهاد المسيحيين. لذلك أصبح بقاء برنابا وبولس مخاطرة ، فقررا مغادرة المدينة . لقد كان قصد اليهود الاحتفاظ بمواعيد الله لهم فقط أما المسيحية فقد رأت أن عظمة هذه المواعيد فى اشتراك أكبر عدد فيها . قصد اليهود إغلاق الباب أمام الأمم ، أما المسيحية فقد رأت من البدء أن الباب يجب أن يفتح على مصراعيه ، وكما قيل : « إن اليهود يعتبرون الوثنيين وقوداً للحريق ، أما المسيح فرآهم حصاداً يجب جمعه إلى مخازن الله » . وكنيسة المسيح يجب أن تكون لها نفس الرؤية للعالم فترى العالم للمسيح .

الاصحاح الرابع عشر

إلى إيقونية

(أع ١٤ : ١ — ٧)

ذهب بولس وبرنابا إلى إيقونية التى تبعد ٩٠ ميلا عن أنطاكية . وهى مدينة قديمة يعتقد سكانها أنها أقدم من دمشق وقد كان لها ملك فى العصور القديمة جداً اسمه نناكوس حتى أنهم يقولون فى الأمثال « من أيام نناكوس » أى منذ بدء الزمان . وقد بدأ بولس وبرنابا رسالتهما كالمعتاد فى المجمع اليهودى وقد لقيا نجاحاً لا بأس به لكن اليهود الحاسدين أثاروا الجموع عليهم فاضطروا إلى مغادرة المدينة . ونلاحظ أن بولس وبرنابا وضعا رأسيهما على كفيهما كما نقول ، إذ أن الهدف من حركة إيقونية كان اغتيالهما . وكلما توغلا فى رحلتهما بعدا عن الحضارة . ولاشك أن وجودهما فى المدن المتحضرة كان فيه نوع من الحماية لهما إذ كانت القوات الرومانية متحكمة وكانت تستطيع على الأقل أن تحاكم من يغتالهما . أما وجودهما فى هذه المجاهل بعيداً عن الحضارة الرومانية فكان يعرضهما لثورة الجموع التى يسهل استثارتها بواسطة اليهود . ولاشك أن هذين الرجلين كانا يتمتعان بقدر كبير من الشجاعة . ولاشك أن الإنسان يحتاج إلى قدر من الشجاعة لكى يصير مسيحياً لأن المسيحى شخص مختلف عن الناس .

ظنوهما آلهة فى لسترة

(أع ١٤ : ٨ — ١٨)

من إيقونية ذهب بولس وبرنابا إلى لسترة وهناك حدثت لهم حادثة غاية فى الغرابة . وشرح هذه الحادثة يرجع إلى التاريخ الخرافى لمقاطعة ليكأونية . فالناس حول لسترة يقولون إن زفس وهرمس جاءا إلى الأرض متخفيين . ولم يكرمهما أى شخص فى المدينة وأخيراً وجدهما فلاح اسمه فليمون وزوجته بوكس فأخذاهما إلى البيت وأكرماهما . وكان من نتيجة ذلك أن الآلهة قتلت كل السكان ما عدا فليمون وزوجته الذين أصبحا حارسين للمعبد العظيم والذين تحولا إلى شجرتين عظيمتين بعد وفاتهما . لذلك عندما شفى بولس الإنسان المقعد صمم سكان لسترة ألا يتجاهلوا الآلهة مرة أخرى حتى لا يقعوا فى نفس الخطأ . ولابد أن منظر برنابا كان مهيباً لذلك أطلقوا عليه اسم زفس ملك الآلهة أما هرمس فهو إله الخطابة ورسول الآلهة لذلك سموا بولس هرمس لأنه كان المتحدث . لكن هذا الفصل الطريف يصور لنا طريقة بولس فى التفاهم مع مجموعة من الوثنيين وليس لهم أى خلفية يهودية يمكن أن يبدأ منها حديثه . وعندما بدأ بولس حديثه معهم بدأ يتكلم عن الطبيعة حتى يصل من ذلك إلى الله . ولاشك أن كل الناس يعرفون عن المطر والشمس والزرع والحصاد لذلك بدأ بولس بهده المقدمة ليقودهم إلى الله الذى يدبر كل هذه الأمور . ولقد عمل

بولس المعلم العظيم ما كان يجب أن يعمله أى معلم آخر فبدأ من المنظور والحاضر واستطرد إلى غير المنظور والبعيد . ولاشك أنه يجدر بنا أحيانا أن نتذكر أن العالم صنع يدى القدير . يقال إن مجموعة من رفاق نابليون كانت تركب معه سفينة تسير فى البحر الأبيض المتوسط وفيما هم يتكلمون فى أمور شتى استبعدوا وجود الله نهائياً . وكان نابليون يستمع إليهم ولا يشاركهم الحديث لكنه رفع بصره وأشار إلى السماء والبحر المتسع وقال لهم « يارفاق من صنع هذا ؟ » . يحسن بنا أن ننظر إلى العالم ونتذكر أن الله هو الذى صنع كل هذا .

شجاعة بولس

(أع ١٤ : ١٩ ، ٢٠)

وفى وسط أحداث لسترة وصلت جماعة من اليهود . غالباً جاءوا لأحد سببين : ربما قصدوا تتبع بولس وبرنابا لهدم كل ما يقومان به . وربما جاءوا للمدينة للتجارة ، فقد كانت المنطقة المحيطة بلسترة تزرع القمح ، وكان التجار يحضرون لشراء القمح وإرساله إلى أيقونية وأنطاكية . فإن كانوا مجرد تجار فربما فوجئوا ببولس وهو يصر على وعظ الناس لذلك غضبوا وأثاروا الناس ضده .

ومع أن لسترة كولونية رومانية لكنها كانت مدينة متطرفة بعيداً . ولما رأى الناس ما فعلوا خافوا وهذا مادعاهم إلى سحب بولس ــ الذى ظنوه قتيلا ــ خارج المدينة . لاشك أنهم خافوا من بطش القوة الرومانية والقانون الرومانى لذلك حاولوا التخلص من جثمان بولس ليتجنبوا العقاب . لكن الشىء البارز فى هذه القصة هو شجاعة بولس الواضحة ، فإن أول ما فعله عندما عاد إلى رشده أنه رجع إلى نفس المدينة التى رجم فيها ولم يجل بخاطره أن يهرب . لقد كان جون ويسلى يقول دائماً « لا تخف من الجمهور » . لقد كانت منتهى الشجاعة من بولس أن يرجع ثانية إلى نفس المدينة التى حاولت قتله . ولاشك أن عملاً كهذا لهو أقوى من مائة عظة . ولاشك أن الناس كانوا يتساءلون ما هو مصدر هذه الشجاعة الفائقة .

تشديد الكنيسة

(أع ١٤ : ٢١ ــ ٢٨)

يلقى هذا الجزء أضواء على عقلية بولس :

١ ــ فنرى إخلاصه المطلق وأمانته للناس الذين صاروا مسيحيين . لقد بين لهم جهاراً أنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله . إنه لم يقدم لهم طريقاً سهلاً بل اتبع نفس أسلوب يسوع الذى جاء لا ليجعل الحياة سهلة بل ليخلق أناساً عظماء .

٢ ــ وفى رحلة العودة انتخب بولس قسوساً (شيوخاً) لكل مجموعة من المؤمنين الجدد .

فلم يترك المؤمنين ليعيشوا كأفراد منعزلين عن بعضهم . وهكذا أوضح لنا بولس أنه مقتنع تماماً بأن المسيحية التى نعيشها يجب ان نعيشها فى شركة معاً . وقد قال أحد الآباء مرة « لا يمكن لإنسان أن يتخذ الله أباً ما لم تكن الكنيسة هى أمه » وقال يوحنا وسلى « لا يمكن أن يوجد إنسان فى السماء وحيداً . فهو إما أن يذهب مع أصدقائه أو يصنع له أصدقاء » ومن بدء الكنيسة كان هدف بولس لا أن يوجد عدداً من المؤمنين كأفراد بل أن يبنى هؤلاء الأفراد ليصيروا فى شركة معاً .

٣ ــ لم يظن بولس أو برنابا لحظة أن قوتهما صنعت شيئاً ما . لكنهما كانا يتحدثان عن قوة الله التى عملت بهم . ونظرا إلى نفسيهما فقط كعاملين مع الله . عقب الانتصار العظيم فى موقعة أجنكورت أمر الملك هنرى بألا تنشد الأناشيد أو الأغانى ممجدة هذا الانتصار بل أن يعطى المجد كله لله . وأننا نبدأ فهم المسيحية الحقيقية ومعنى الخدمة المسيحية عندما نعمل لا لمجد أنفسنا أو للحصول على مراكز أو سلطة بل لمجد الله واثقين أننا مجرد أدوات فى يده .

مشكلة عصيبة

إن تبشير الأمم ودخولهم إلى الكنيسة أوجد مشكلة تطلبت حلا . إن العقلية اليهودية لم تكن تدرك إلا أنهم الشعب المختار . وكان مفهومهم ليس مجرد أن الله اختصهم لكن أكثر من ذلك أنهم امتلكوا الله لهم ليكون إلها خاصاً بهم وحدهم . لذلك كانت المشكلة هل يتهود الأممى قبل أن يصبح مسيحياً ؟ أى هل يلزم أن يختتن وأن يخضع لناموس موسى ؟ أم يمكن أن يدخل المسيحية كما هو ؟ وهل من الممكن قبوله لأنه انسان ؟ وحتى لو أمكن حل هذه المشكلة فإن مشكلة أخرى تنشأ بعدها . فإن اليهودى المتطرف لا يتعامل مع الأممى ولا يقبله ضيفا عنده ولا يشترك معه فى أى عمل تجارى . إذن فحتى لو قبل الأمم فى الكنيسة فإلى أى مدى يمكن أن يتعاون اليهود والأمم فى الحياة الاجتماعية فى الكنيسة وفى العالم ؟ أم هل تظل الحدود الفاصلة موجودة داخل الكنيسة ؟ وهل يمكن أن يعيش الأمم واليهود على قدم المساواة فى الكنيسة ؟

هذه هى المشاكل التى كان يتحتم حلها . ولم يكن الحل سهلاً لكن الكنيسة حسمت الأمر فى النهاية مقررة أنه لا يجب أن يكون هناك أى فوارق بين اليهود والأمم على الإطلاق . وفى الأصحاح الخامس عشر نجد تفاصيل مجمع أورشليم الذى قرر هذا القرار . وكانت قرارات هذا المجمع بمثابة صك التحرير للأمم .

الاصحاح الخامس عشر

المشكلة تتأزم

(أع ١٥ : ١ ـ ٥)

لعله بمحض الصدفة أن معظم الأشياء المصيرية حدثت فى أنطاكية . لقد كان الإنجيل يقدم إلى اليهود والأمم فى أنطاكية . وعاش اليهود والأمم متآخين . لكن كان هناك بعض اليهود الذين نظروا إلى الأمر نظرتهم إلى شيء غير معقول لم يستطيعوا أن ينسوا مركزهم كمختارى الله . كانوا على استعداد تام لقبول الأمم فى الكنيسة بشرط أن يتهودوا أولاً . ولو ساد هذا الرأى فى الكنيسة لأصبحت مجرد شيعة يهودية . وقد جاء بعض هؤلاء اليهود المتعصبون إلى أنطاكية وحاولوا إقناع المتجددين أنهم سيفقدون كل شيء ما لم يتهودوا . وبديهى أن بولس وبرنابا ناقشا هذا الفكر وحارباه بكل قوة لكن الأمر انتهى إلى طريق مسدود ولم يكن هناك حل إلا رفع الأمر إلى المركز الرئيسى فى أورشليم ، حتى يتخذوا قراراً على أى وجه . وكانت القضية التى طرحها بولس وبرنابا هى مجرد عرض لما حدث فعلاً . وتركوا الأمور تتحدث عن نفسها . كانوا يعرفون كل شيء عن الفريسيين الذين دخلوا المسيحية . إن معنى كلمة فريسى هو الشخص المعتزل عن الناس ليحاول أن يطبق التفاصيل الدقيقة للناموس . وكان الفريسيون مصممين على أن يتهود الأمم أولا يمعنى أن يختتنوا وأن يحفظوا الناموس .

وكان المبدأ المعروض للمناقشة فى غاية البساطة : هل عطية الله لقلة مختارة أو للعالم كله ؟ وإذا كنا قد أخذنا هذه العطية فهل هى ملك خاص لنا أم مسئولية أعطيت لنا ؟ وقد لا نواجه مثل هذه المشكلة فى أيامنا الحاضرة بنفس الصورة لكننا نلاحظ أن الفوارق بين طبقة وأخرى ودولة وأخرى ولون وآخر ما زالت موجودة . وعندما نهدم الجدران التى تفصل بين الناس فإننا ندرك معنى المسيحية الحقيقية .

بطرس يشرح القضية

(أع ١٥ : ٦ ـ ١٢)

وللإجابة على اعتراضات الفريسيين والمتزمتين من اليهود وقف بطرس يذكرهم بما حدث له شخصياً عندما قبل كرنيليوس فى الكنيسة منذ حوالى عشر سنوات . وقد ساق بطرس دليلاً قوياً على صحة تصرفه أن الله أعطى الروح القدس لأولئك الأمميين الذين قبلوا الإيمان . وبحسب الناموس كان هؤلاء الأمميون غير طاهرين لكن الله عمل عملاً عظيماً إذ طهر قلوبهم بالروح القدس . ثم قال بطرس « هل وجد أى إنسان السعادة فى ظل الناموس » ؟ فإن محاولة إطاعة أوامره المتنوعة والحصول على الخلاص محاولة فاشلة . والطريق الوحيد أمام أى إنسان هو قبول عطية الله المجانية

بالخضوع التام لعمل نعمة الله والإيمان .

لقد دخل بطرس بكلامه إلى لب الموضوع مباشرة . فجوهر المشكلة كان « هل يستطيع الإنسان أن يتمتع برضى الله ؟ » هل يمكن أن يتبرر الإنسان بمجهوداته الشخصية ؟ هل يتبرر الإنسان بطاعة الناموس ؟ أم هل يجب أن يعترف أنه عاجز وبلا حول أو قوة ، ويظهر استعداده أن يقبل ما تقدمه له نعمة الله ؟ كان اليهود يرون أن « الدين معناه التمتع برضى الله بحفظ الناموس » أما بطرس فقال « إن الدين معناه أن نلقى بأنفسنا على نعمة الله ومحبته » وهنا يتضح الفرق بين دين الأعمال ودين النعمة . فالسلام لا يحل فى قلب إنسان يداين الله بأعماله لكنه يحل فى قلب الإنسان الذى يأخذ ما يقدمه له الله بالنعمة . وفى المسيحية أشياء ترى أنها متناقضة فالطريق للنصرة هو الخضوع والتسليم . والطريق للقوة هو الاعتراف بالعجز .

يعقوب القائد

(أع ١٥ : ١٣ — ٢١)

فى هذا الجزء نرى قضية قبول الأمم موضوعة فى الميزان وفى هذه اللحظة الفاصلة تكلم يعقوب . وكان يعقوب يشغل مركزاً هاماً إذ كان قائد كنيسة أورشليم . ولكنه لم يكن قائداً معيناً كموظف يقوم بعمل بل كان قائداً بحكم شخصيته كرجل مرموق أحبه الناس وأسلموا له القيادة . وهو أخو الرب . ولقد ظهر له الرب ظهوراً خاصاً (١ كو ١٥ : ٧) وكا عاموداً فى كنيسة الرب (غل ١ : ١٩) ولقد كان مواظباً على الصلاة راكعاً طول الوقت حتى قيل إن ركبتيه كانتا كركبتى الجمل . ولقد كان يتمتع بسمعة ممتازة حتى اشتهر بيعقوب العادل . ولكن الأهم من ذلك أنه كان رجلاً محافظاً يحفظ الناموس . فإذا كان هذا الرجل العادل والمحافظ المدقق يقتنع بدخول الأمم ، فإن كل شيء سيسير على ما يرام . وهذا ما حدث بالفعل . فقد حكم بدخول الأمم دون وضع عوائق فى طريقهم ولكن بعض الأحكام الاجتماعية كان لها دخل فى الموضوع . فكيف يتعامل يهودى مدقق مع أممى ؟ لذلك اقترح يعقوب بعض التنظيمات التى يجب أن يلتزم بها الأممى . فيجب أن يمتنع عن أكل ما ذبح للأوثان . فقد كان أكل اللحم المذبوح للوثن من أهم مشاكل الكنيسة الأولى . وقد شرح بولس هذا الموضوع باسهاب فى ١ كو ٨ و ٩ . ترى ما هى خلفية هذه المشكلة ؟ عندما كان الوثنى يقدم ذبيحة للوثن فإنه كان يقدم جزءاً بسيطاً للإله أما الباقى فكان يأخذه ليأكله مع أصدقائه فى وليمة غالباً فى أحد أروقة الهيكل أو فى منزله . وكان الكهنة يحصلون على جزء من الذبيحة وغالباً كانوا يبيعونها فى الأسواق . هذا اللحم هو الذى أطلق عليه ما ذبح للأوثان وكان فى رأيهم أنه مذبوح للشياطين . ولم يكن أى مسيحى يجرؤ على التنجس بأكل هذا اللحم .

أما النواهى الأخرى فهى الامتناع عن الزنا . ولقد قيل إن العفة هى الفضيلة الجديدة التى أدخلتها المسيحية إلى العالم . فالمسيحى يجب أن يكون طاهراً فى عالم غير طاهر .

كما يجب أن يمتنعوا عن المخنوق والدم . فالدم بالنسبة لليهودى هو الحياة فإذا ما أريق الدم ذوت جذوة الحياة .

لذلك لا يأكل اليهودى إلا اللحم المذبوح بعد تصفية دمه . لأن الدم هو الحياة والحياة ملك لله . لذلك نصح الأمم بأكل اللحم المذبوح على الطريقة اليهودية . ولو لم يتبع الأمميون هذه القوانين والتنظيمات البسيطة لما كان هناك انسجام بين اليهود والأمم فى الكنيسة . لكن هذه التنظيمات أزالت كل الحواجز وحدت بين الناس فى الكنيسة .

إذاعة القرار

(أع ١٥ : ٢٢ — ٣٥)

عندما توصلت الكنيسة إلى قرار فعال مناسب كتبت القرار فى خطاب . وقد أرسلت الكنيسة هذا الخطاب مع رسولين ممتازين يهوذا وسيلا اللذين ذهبا مع بولس وبرنابا إلى أنطاكية . عاد بولس وبرنابا وحدهما فربما ساور أعداءهما الشك فى القرار لكن يهوذا وسيلا كانا بمثابة رسولين رسميين من الكنيسة للشهادة على صحة القرار . ولقد كان هذا حكمة من الكنيسة أن ترسل الخطاب والرسولين .

قال أحد الكتاب المسيحيين الأوائل إنه تعلم الكثير من الكلام الحقيقى الذى كان يسمعه أكثر من كل ما قرأه . فالخطاب وحده كان يوصى بالرسميات الجامدة أما كلمات يهوذا وسيلا المشجعة فقد أضافت إلى الخطاب دفء المحبة المسيحية التى لا يستطيع أى خطاب أن يوصلها . ولعلنا نتذكر فى حياتنا مواقف عديدة كانت الخطابات وحدها مثار مشكلات كان يمكن تفاديها لو قمنا بزيارة لمن نريد محادثته .

إن الكنيسة لم تتخذ قراراً حاسماً فقط ، لكنها اختارت أفضل وسيلة لتنفيذ هذا القرار .

بولس يسافر ثانية

(أع ١٥ : ٣٦ — ٤١)

كان بولس مغامراً لا يطيق البقاء فى مكان واحد . لذلك صمم على السفر مرة أخرى . لكن هذا القرار انتهى إلى مأساة . فقد طلب برنابا أن يأخذ معه يوحنا مرقس أما بولس فقد أصر على ألا يتعامل مع شخص تركه فى رحلته الأولى فى بمفيلية . ولقد كان الخلاف حاداً حتى أنهما انفصلا عن بعضهما ولم يعملا معاً بعد ذلك أبداً . ومن الصعب أن نحكم أيهما كان على صواب . لكن من المؤكد أن مرقس كان سعيد الحظ أن كان له صديق كبرنابا . فلقد رأينا مرقس يثبت وجوده فى النهاية . وربما كانت صداقة برنابا ذى القلب الكبير المحب هى التى علمت مرقس أن يثق فى

نفسه ويصمم على العمل . إن أعظم ما يغير الإنسان أن يجد شخصاً يثق به . لقد وثق برنابا بمرقس واستطاع مرقس فى النهاية أن يثبت أنه كان جديراً بهذه الثقة .

الرحلة التبشيرية الثانية

نجد تفاصيل رحلة بولس التبشيرية الثانية التى استمرت ثلاث سنوات من أع ١٥ : ٣٦ إلى أع ١٨ : ٢٣ .

ولقد بدأت من أنطاكية ، وزار بولس أولا كنائس سوريا وكليكية ثم عاد لزيارة كنائس دربة ولسترة وإيقونية وأنطاكية بسيدية . ثم وصل إلى نقطة لم تتضح فيها رؤية الطريق الذى يجب أن يسلكه بعد ذلك . ولكن هذه الفترة انتهت برؤيا فى ترواس فعبر من هناك إلى نيابوليس ثم فيلبى ومنها إلى تسالونيكى وبيريه . ثم اتجه إلى أثينا ثم كورنثوس حيث صرف حوالى ثمانية عشر شهراً . ثم سافر إلى أورشليم ماراً بأفسس وأخيراً عاد إلى أنطاكية نقطة البداية . ولعل أهم خطوة فى هذه الرحلة أن بولس تجاوز آسيا الصغرى وتوغل إلى أوربا .

الاصحاح السادس عشر

ابن في الإيمان

(أع ١٦ : ١ — ٥)

عاد بولس إلى لسترة التى وعظ فيها منذ خمس سنوات سابقة ولاشك أن قلبه كان مفعما بالفرح وهو يرى الكنيسة وخصوصا عندما رأى الشاب الذى صار من أحب الناس إليه . وكان من الطبيعى أن يبحث بولس عن شاب يحل محل مرقس .

فلقد كان فى تخطيطه أن يدرب جيلاً جديداً للعمل مستقبلاً . ولقد وجد فى تيموثاوس ضالته المنشودة . ولعلنا نستغرب أن بولس ختن تيموثاوس مع أنه انتصر فى معركة هامة عندما أعلن أن الختان ليس ضروريا . لكن يجب ألا ننسى أن تيموثاوس يهودى وأن بولس لم يقل أبداً إن الختان ضرورى لليهود بل كان الإذن للأمم فقط لكى لا يتهوروا . وفى الحقيقة فإن اعتبار بولس أن تيموثاوس شخص يهودى يرينا مقدار تحرر بولس من الفكر اليهودى لأن تيموثاوس كان ابناً لزواج مختلط . واليهودى المحافظ كان يرفض الاعتراف بهذا النوع من الزواج . ففى نظر اليهودى إذا تزوج يهودى أممية أو تزوج أممى يهودية يعتبر الطرف اليهودى فى الزواج ميتاً لدرجة أنهم كانوا يعملون جنازة . لذلك فقبول تيموثاوس كأخ يهودى يوضح بكل تأكيد أن بولس حطم كل الحواجز القومية . وتيموثاوس كان شاباً ممتازاً كانت له أم طيبة وجدة تقية (٢ تى ١ : ٥) ولقد أصبح رسول بولس الذى يحمل رسائله (١ كو ٤ : ١٧ ، ١ تس ٣ : ٢ — ٦) وكان مع بولس فى أثناء سجنه فى روما (فيلبى ١ : ١ ، ٢ : ١٩ وكو ١ : ١ وفل ١) وكان على صلة شديدة ببولس حتى أنه لما كتب إلى كورنثوس (١ كو ٤ : ١٧) دعاه الابن الحبيب . ولما كتب إلى فيلبى قال إنه ليس له أحد نظير نفسه أى أن فكر تيموثاوس يطابق فكر بولس تماما (فيلبى ٢ : ١٩) . وفى الغالب رأى بولس فى تيموثاوس خليفته فى العمل بعد انتهاء رسالته . ما أسعد الإنسان الذى يرى ثمار تدريبه وتعليمه لخليفته الذى يحمل الحمل بعده .

الإنجيل يصل إلى أوربا

(أع ١٦ : ٦ — ١٠)

ظل بولس وقتاً يحس أن كل الأبواب موصدة أمامه ولابد أنه تعجب من أن الروح القدس يمنعه من العمل فى مقاطعات آسيا الصغرى التى وجدت فيها كنيسة أفسس وغيرها من الكنائس السبع التى جاء ذكرها فى سفر الرؤيا . وحتى بثينيا أغلقت فى وجهه . لكن كيف كان الروح القدس يعطى بولس تعليماته ؟ ربما عن طريق أنبياء أو رؤى أو عن طريق اقتناع داخلى صحيح لا يمكن معاندته . لكن يبقى الاحتمال أن ما منع بولس من التجول فى هذه المناطق هو ضعف صحة بولس

نتيجة للشوكة التى عانى منها فى الجسد ومما يجعل هذا الاحتمال متوقعاً هو ظهور ضمير الجماعة (نحن) فجأة فى عدد ١٠ . وتتغيز القصة من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم . وهذا يدلنا على أن لوقا كان شاهد عيان لهذا الحادث بينما كان مع بولس . لماذا يظهر لوقا فجأة على مسرح الحوادث ؟ وما هى وظيفة لوقا ؟ لقد كان لوقا طبيبا . بل ربما كان أقرب إلى الاحتمال أن بولس قابل لوقا عندئذ واستبقاه معه للاستفادة من خدماته الطبية إذ أن صحته كانت ضعيفة وهذا ما منعه من عمل الرحلات التى كان يريدها . فإن كان هذا الرأى صحيحاً فإن هذا يبين لنا درساً عظيماً إذ أن بولس نظر حتى إلى ضعفه ومرضه كرسالة من الله . وكانت رؤيا الرجل المكدونى هى التى أرشدت بولس إلى المكان الذى يجب أن يتجه إليه . لكن من كان هذا الرجل المكدونى الذى رآه بولس فى الحلم ؟ يعتقد البعض أن هذا الرجل ليس إلا لوقا نفسه . إذ ربما كان لوقا مكدونيا . لكن يرى البعض الآخر أننا يجب ألا نسأل مثل هذا السؤال لأن الرؤى لا يجب أن تفسر بهذه الطريقة . لكن توجد نظرية جذابة لتفسير ذلك . لقد نجح شخص واحد فى غزو العالم كله وهو الإسكندر الأكبر . وربما تآلفت كل الظروف حتى يتذكر بولس الإسكندر الأكبر . فإن الإسم الكامل لمدينة ترواس هو ترواس الإسكندرية التى سميت على اسم الإسكندر وعبر البحر كانت مدينة فيلبى التى سميت على اسم أبيه . وعلى بعد منها مدينة تسالونيكى التى سميت على اسم أخت غير شقيقة للإسكندر ، فالمنطقة كلها تعج بالذكريات عن الإسكندر الأكبر الذى جعل له هدفاً أن « يقرن الشرق بالغرب » ليجعل منهما عالماً واحداً . وربما جال بفكر بولس إذ كان يخطو من الشرق إلى الغرب ، من آسيا الصغرى إلى أوربا ، كل هذه الأفكار وتذكر الأسكندر الذى غزا العالم . وربما كانت هذه الأفكار رافعة لبولس لغزو العالم وجعله عالماً واحداً تحت راية المسيح .

أول متجدد فى أوربا

(أع ١٦ : ١١ ــ ١٥)

نابوليس ــ واسمها الحديث كافالا ــ هى ميناء فيلبى . وفيلبى مدينة لها تاريخ طويل . كانت تسمى مدينة الينابيع . حصنها الإسكندر لتكون قلعة أمام التراكيين وأطلق عليها اسمه . كانت فى عصر من العصور مشهورة بمناجم الذهب لكن فى أيام بولس كانت هذه المناجم قد استنفذت . ولقد كانت مسرحاً لموقعة من أهم المواقع عندما كسب أغسطس قيصر الدولة الرومانية لنفسه . ولقد كانت فيلبى كولونية رومانية أو بمعنى آخر تعتبر مدينة رومانية فى قلب منطقة أجنبية . ولقد كانت الكولونيات الرومانية نقطاً استراتيجية عادة تسكنها القوات الرومانية التى أتمت خدمتها العسكرية . وقد كان سكان هذه الكولونيات يلبسون الملابس الرومانية ويتحدثون اللاتينية ويخضعون للقوانين الرومانية أينما كانوا . وقد كان أهلها يتباهون بجنسيتهم الرومانية .

ولم يكن فى فيلبى مجمع لليهود يمكن البدء منه . ولكن اليهود تعودوا إذ لم يوجد لهم مجمع خاص أن يجتمعوا فى مكان مخصص للصلاة وعادة كانت هذه الأماكن على ضفة النهر . ذهب بولس ورفاقه إلى هذا المكان يوم السبت وقابلوا النساء هناك . ومن الأمور المدهشة فى خدمة بولس فى فيلبى أنواع الناس الذين تعامل معهم وربحهم للمسيح . وكانت أول هذه الشخصيات ليديا وقد جاءت من طبقة تعتبر قمة السلم الاجتماعى فقد كانت تاجرة أرجوان . وكانت هذه الصبغة الأرجوانية تجمع نقطة نقطة من حيوان مائى يعيش فى صدفة (Shell Fish) وقد كانت هذه الصبغة غالية الثمن جداً حتى أن وزن الرطل المصبوغ من الصوف كان يباع بما قيمته ٤٠ جنيهاً . كانت ليديا سيدة غنية وأميرة من أمراء التجارة . وقد ربحها بولس للمسيح . ويجب أن نراعى استجابتها السريعة فقد عرضت فى الحال أن تستضيف بولس وأصدقاءه . عندما يصف بولس سجايا الشخصية المسيحية يقول « عاكفين على إضافة الغرباء » رو ١٢ : ١٣ . وبطرس كان يستحث المسيحيين أن يقوموا بواجبهم نحو المتجددين حديثى الإيمان فيقول « كونوا مضيفين بعضكم بعضا بلا دمدمة » ١ بط ٤ : ٩ . إن البيت المسيحى يجب أن يكون بيتاً مفتوحاً دائماً .

جارية بها روح عرافة

(أع ١٦ : ١٦ ــ ٢٤)

قلنا إن الناس الذين تعامل معهم بولس وجددهم كانوا مجموعة غريبة من الناس من قطاعات مختلفة . فإن كانت ليديا من قمة السلم الاجتماعى فإن هذه الجارية فى نهاية السلم . كانت وظيفة هذه الفتاة عرافة أى أنها تقول أشياء لإرشاد الناس عن المستقبل . لقد كانت مجنونة وكان الناس فى العصور القديمة يحترمون المجانين بطريقة غريبة لأنهم كانوا يعتقدون أن الآلهة التى حرمتهم العقل أعطتهم من روحها . وغالباً كانت تتكلم من بطنها . ولقد وقعت فريسة فى يد أناس لا ضمير

لهم استغلوا حالتها البائسة للربح . وعندما شفاها بولس من جنونها لم يشعر هؤلاء الناس بالفرح لأن أخت لهم فى الإنسانية استعادت صحتها وعقلها بل كان الشعور الوحيد الذى خالجهم هو الغضب لزوال مكسبهم . ولقد كان هؤلاء الناس من الدهاء حتى أنهم لعبوا على الأوتار الحساسة عند الناس . فأثاروا عداء السامية عند الشعب كما أثاروا حمية الرومان ضد بولس وسيلا حتى قبض عليهما .وعوملا معاملة سيئة جزاء أعمالهما الحسنة . وحيثما تتعرض المسيحية للقمة العيش تثور المشاكل . فمن الطبيعى عند الناس أنه إذا مس أحد جيوبهم أو هدد مكاسبهم فإنهم يحاربونه بكل الأسلحة ولكن ليسأل كل إنسان نفسه « هل المال الذى أكسبه يساوى الثمن الذى أدفعه ؟ هل أحصل على المال نتيجة ما أقوم به من مجهود وخدمة أو نتيجة استغلال الناس ؟ » غالباً إن لم يكن دائماً يكون العائق فى اتباع المسيح هو حب الناس لذواتهم .

سجان فيلبى

(أع ١٦ : ٢٥ ــ ٤٠)

إن كانت ليديا من قمة السلم الاجتماعى والجارية من نهايته فإن السجان يعتبر من الطبقة المتوسطة . وهكذا نرى هذا الثالوث يمثل المجتمع كله . ودعونا نرى أولاً منظر هذا الفصل ، فهذا الجزء من العالم كان معرضاً للهزات الأرضية . فلم تكن الزلازل شيئاً غير مألوف فى هذه البقعة . وكان الباب مغلقاً بما يسميه أهل الريف (السقاطة) وهى قطعة من الخشب تنزل فى شقين فى كل من جزئى الباب . لذلك فعندما تزلزلت الأرض سقطت هذه القطعة وفتح الباب ولجأ السجان إلى الانتحار لأن القانون الرومانى كان يقضى على السجان (فى حالة هرب مسجون) بنفس العقوبة التى كان يستحقها السجين . ولندرس الآن شخصيات القصة :

نجد بولس ونلاحظ ثلاثة أشياء :

١ ــ استطاع أن يرنم رغم أنه كان فى السجن الداخلى ورجلاه مربوطتان بالسلاسل . الشىء الوحيد الذى لا يستطيع أن تنتزعه من المسيحى هو الله والشعور بحضور يسوع المسيح . ومع الله نحس بالحرية حتى فى السجن وفى نصف الليل نشعر بنور الله .

٢ ــ كان على أتم الاستعداد أن يفتح باب الخلاص للسجان الذى أغلق عليه باب السجن . لم يكن من طبعه التذمر أو الحقد فهو يعظ للرجل الذى ربط رجليه بالسلاسل .

٣ ــ كان رجلاً يحترم نفسه ويطالب بحقوقه كمواطن رومانى . كان جلد الرومانى جريمة عقوبتها الإعدام لكن بولس لم يطالب بحقوقه لأجل نفسه بل لأجل المسيحيين الذين تركهم فى فيلبى . فلقد أراد أن يظهر للناس أن لهم أصدقاء ذوى نفوذ . أما الشخصية الثانية فهى شخصية السجان . ولعلّ أهم ما يلفت النظر فى شخصيته كيف تصرف ليثبت تجديده . فما كاد يتجدد حتى غسل جراحهما التى حدثت لهما على ظهورهما وصنع لهما وليمة وظهرت مسيحيته بأجلى بيان عملى وشفقة

مسيحية . إن لم تجعل المسيحية الإنسان شفوقاً فهى ليست مسيحية على الإطلاق وما لم يصحب التغير الداخلى فى القلب تغير خارجى فى الأعمال فإن التغيير يكون زائفاً .

الاصحاح السابع عشر

فى تسالونيكى

(أع ١٧ : ١ ـــ ٩)

إن دخول المسيحية إلى تسالونيكى يعتبر حادثة لها أهميتها العظمى . فالطريق الرومانى العظيم من بحر الإدرياتيك إلى الشرق الأوسط كان يسمى الطريق الأغناطى . وكان الشارع الرئيسى فى تسالونيكى جزءاً من هذا الطريق الكبير . فإذا استقرت المسيحية فى تسالونيكى فإن هذا يعنى انتشارها شرقاً وغرباً ، ويصبح هذا الطريق واسطة هامة لامتداد ملكوت الله . والعدد الأول من هذا الأصحاح يبين لنا كيف كان الكاتب يلخص ما يريد أن يكتبه . فالعدد الأول يطوى المسافة بين فيلبى وأمفيبوليس بسرعة وكأنها رحلة ممتعة ، لكن المسافة بينهما كانت ٣٣ ميلاً رومانياً . كما أن المسافة بين أمفيبوليس وأبولونية ٣٠ ميلا والمسافة بين أبولونية وتسالونيكى ٣٧ ميلاً . فالرحلة كلها تصل إلى أكثر من ١٠٠ ميل ذكرها الكاتب فى نصف سطر . وكالعادة بدأ بولس عمله فى تسالونيكى فى مجمع اليهود . وكان أكثر نجاحاً بين غير اليهود الذين كانوا يترددون على مجمع اليهود لما وجدوه من جاذبية فى الدين اليهودى . وهذا ما أثار حقد اليهود لأنهم كانوا يعتبرونهم الجماعة التى ربحوها من العالم واعتقدوا أن بولس سرق هؤلاء الناس منهم علناً وأمام عيونهم . وقد لجأ اليهود إلى طرق دنيئة لإيقاف نشاط بولس . فى أيام الثورة الفرنسية نطقت مدام رولاند بجملتها المشهورة « أيتها الحرية .. كم من الجرائم ترتكب باسمك » . لجأ اليهود إلى أحط الوسائل لتعطيل رسالة بولس . بدأوا بإثارة السوقة من أهل تسالونيكى . ولما ساقوا ياسون وأصدقاءه إلى حكام المدينة واتهمو المسيحيين بالثورة السياسية وهى تهمة كانوا يعلمون تماماً أنها ملفقة . لكنها كانت تهمة خطيرة ولاشك « أن هؤلاء الذين فتنوا (قلبوا) المسكونة (أى العالم المتحضر فى ذلك الوقت) حضروا إلى هنا » . ولكن هذه التهمة كانت أعظم مدح قدم للمسيحيين . فاليهود لم يشكوا أبداً فى أن المسيحية شيء فعال جداً وتحد جبار . اقتبس جلوفر بكل سرور ما قاله طفل من أن العهد الجديد ينتهى بالثورات (Revolution) بدلاً من الرؤيا (Revelation) . إن المسيحية عندما تعمل فإنها تسبب ثورة فى حياة الفرد وفى حياة المجتمع .

إلى بيرية

(أع ١٧ : ١٠ ـــ ١٥)

تقع بيرية على بعد ٦٠ ميلاً غرب تسالونيكى . وأننا نلاحظ فى هذا الجزء من الأصحاح ثلاثة أشياء :

١ ـــ كان وعظ بولس كتابياً فقط مما جعل سكان بيرية يفحصون الكتب . إن الشيء الوحيد

الذى جعل اليهود متأكدين أن يسوع ليس المسيا أنه صلب . فبالنسبة لهم رجل يصلب هو رجل ملعون . ولاشك أن بولس لجأ إلى الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء ليجعل الناس يرون ضوءاً يلقى على ما عمله المسيح .

٢ ــ يظهر هنا مقدار حقد اليهود فلم يكتفوا بمقاومته فى تسالونيكى بل لاحقوه فى بيرية أيضاً . والمأساة هنا أنهم كانوا يظنون أنهم يخدمون الله بإسكات صوت بولس . ومن المؤلم أن نجد إنساناً يجعل أهدافه تمثل إرادة الله بدلاً من إخضاع طرقه وأهدافه لهذه الإرادة .

٣ ــ نرى هنا مرة أخرى شجاعة بولس . لقد سجن فى فيلبى ، وترك تسالونيكى بعد أن تعرضت حياته للخطر واضطر للهرب ليلاً . وهنا نراه يضطر للهرب مرة أخرى لينجو بحياته . إن معظم الناس فى مثل هذه الظروف يهجرون هذا الكفاح المضنى الذى يؤدى إلى السجن بل والموت أيضاً . أما بولس فلم يفكر فى شىء من هذا . سئل داود لفنجستون « إلى أين أنت ذاهب » ؟ قال « لقد أعددت نفسى للذهاب إلى أى مكان مادام ذهابى للأمام دائماً » . إن فكرة الرجوع لم تخطر على بال بولس .

وحيداً فى أثينا

(أع ١٧ : ١٦ ــ ٢١)

بعد ما هرب من بيرية ، وجد بولس نفسه وحيداً فى أثينا . لكن سواء أكان بين رفاقه أو كان وحيداً فإن بولس لم يكن يتوقف عن المناداة بالإنجيل . كانت أثينا مدينة عظيمة لها ماض تليد لكنها كانت لا تزال أعظم جامعة فى العالم وكان يقصدها الباحثون عن العلم من كل مكان . وكانت مدينة لها آلهة متعددة . وكان عدد تماثيل الآلهة فى أثينا وحدها يزيد عن عدد هذه التماثيل فى كل بلاد اليونان حتى قيل إنه أيسر لك أن تقابل إلها فى أثينا من أن تقابل إنساناً .

وكان الناس لا يعملون شيئاً سوى الاجتماع فى الميدان الرئيسى للمدينة للحديث . لقد انتهى عصر الأعمال بالنسبة لهم ولم يبق إلا الكلام . وكانوا يتكلمون طول اليوم وجزءاً من الليل عن كل ما هو جديد من الأفكار . لذلك لم يجد بولس مشقة فى جمع الناس لسماعه . فقد اكتشفه الفلاسفة . كان هناك فلاسفة أبيقوريون نلخص أفكارهم فى أربع نقاط :

١ ــ كل ما يحدث يحدث بالصدفة .

٢ ــ الموت هو نهاية كل شىء .

٣ ــ آمنوا بالآلهة لكن هذه الآلهة ــ فى رأيهم ــ متباعدة عن الناس ولا تهتم بشىء .

٤ ــ اللذة هى الهدف الأساسى للإنسان . ولم يقصدوا باللذة اللذة الحسية المادية العالمية بل قالوا بأن السعادة فى اللذة التى لا يعقبها ألم . وكان هناك فلاسفة رواقيون نلخص أفكارهم فى النقط التالية :

(١) كانوا يؤمنون بأن الله فى كل شىء حرفياً . فالله روح نارية . هذه الروح توجد فى المادة بصورة خامدة لكن الله فى كل شىء . إن سبب حياة الإنسان هى شرارة صغيرة من هذه الروح وأنه عند الموت تعود إلى الله . فعند الرواقيين كان كل شىء إلهاً .

(٢) آمنوا بالقدر لأن كل ما يحدث هو إرادة الله لذلك يجب ألا نهتم بأى شىء يحدث . فهذه هى إرادة الله ويجب أن نقبلها .

(٣) اعتقدوا بأن العالم ينحل من وقت لآخر ويعود ليكرر نفس دورة حياته .

أخذوا بولس إلى أريوس باغوس وهى الكلمة اليونانية لجبل الإله مارس . وهى تطلق على الجبل كما تطلق على الميدان الذى كانوا يلتقون فيه . وكانت الجماعة التى تجتمع فى قاعة المناقشة جماعة مختارة لا تزيد على ثلاثين شخصاً . كانت موضوعات المناقشة عن الأخلاق العامة وعن موضوع القتل . وهكذا وقف بولس يعلن إيمانه ويشرحه أمام خلاصة المفكرين فى أعظم مدينة للفلاسفة . ربما يضايق هذا الموقف بعض الناس لكن بولس لم يكن يشعر بأى حرج أو خجل من إنجيل يسوع المسيح . ونظر إلى الموقف باعتبار أنه فرصة أخرى أتاحها الله له ليشهد للمسيح .

عظة للفلاسفة

(أع ١٧ : ٢٢ ــ ٣١)

لم يكن فى أثينا مذبح واحد للإله المجهول بل وجدت عدة مذابح لهذا الإله المجهول . ولهذا الإله المجهول قصة . فقد اجتاح مدينة أثينا (قبل زيارة بولس بستمائة سنة) وباء الطاعون اللعين ولم يستطع شىء أن يقف فى وجهه . فقدم أحد الشعراء اقتراحاً بإطلاق قطيع من الغنم إبتداء من أريوس باغوس فى كل المدينة . وكل شاة ترقد بالقرب من تمثال أحد الآلهة كانت تقدم ذبيحة لهذا الإله . أما الخراف التى ترقد بعيداً أو بالقرب من إله غير معروف فكانت تذبح للإله المجهول . وأصبح فى أثينا نظام معترف به للآلهة المجهولة . ومن هنا يلتقط بولس الخيط ليبدأ عظته . كان بولس فناناً فى توجيه رسائله إلى أى مجموعة من السامعين . ونحن نلاحظ فى هذه العظة عدة خطوات :

١ ــ الله غير مخلوق بل هو الخالق . فالذى صنع كل شىء لا يعبد بأى شىء مصنوع بأيدى الناس . حقا إن الإنسان يعبد عادة ما يصنعه بيديه . فإن كان الإله هو من يقدم له الناس وقتهم وفكرهم وجهدهم فإن كثيرين يعبدون آلهة يصنعونها بأيديهم .

٢ ــ إن الله يوجه التاريخ فهو خلف قيام أى دولة أو سقوطها . فيد الله كانت وستظل تمسك بدفة الحياة .

٣ ــ لقد صنع الله الإنسان بحيث يشتاق دائماً إلى خالقه . ففى الإنسان شىء غامض يدفعه للبحث عن الله فى ظلام الحياة لأنه ابن الله .

٤ ــ لقد مضى زمان الجهل وزمان البحث العشوائى إذ كان الناس يعيشون فى ظلال يبحثون فيها عن الله . وكان الله يغفر لهم جهلهم وأخطاءهم . أما الآن ففى المسيح أشرق الله بكل نوره وإعلاناته وعلمه . فمضى عهد التماس الأعذار لأن الحق جاء .

٥ ــ إن يوم الدينونة لا ريب آت . فالحياة بالنسبة للإنسان ليست مجرد تقدم إلى العدم كما ادعى الأبيقوريون ولا مجرد طريق للتشبع بالله كما قال الرواقيون لكنها رحلة إلى كرسى الدينونة حيث يجلس يسوع المسيح ليدين العالم .

٦ ــ إن القيامة هى دليل على امتياز المسيح عن كل الآلهة . فهو ليس إلهاً مجهولاً بل إلهاً مقاماً وهو الإله الذى نتعامل معه .

رد الفعل فى أثينا

(أع ١٧ : ٣٢ ــ ٣٤)

يظهر أن بولس حقق أقل نجاح له فى أثينا . وهذا أمر طبيعى بالنسبة للأثينيين الذين لا هم لهم إلا مجرد الكلام . فهم لا يريدون أن يتخذوا قرارات أو أن يصلوا إلى نتائج محددة .

وكان كل المطلوب اللذة العقلية والتراكيب اللفظية .

ونلاحظ ثلاثة أنواع من الاستجابات :

١ ــ استهزأ البعض ببولس فقد استمتعوا برؤية هذا اليهودى الغريب الذى ألقى خطابه بكل حماس . أحيانا ننظر إلى الحياة وكأنها دعابة لكن أولئك الذين يرون فى الحياة كوميديا مضحكة لابد أن يكتشفوا أن نهايتها مأساة قاسية .

٢ ــ البعض قالوا « سنسمع منك عن هذا أيضا » أو بمعنى آخر أجلوا اتخاذ قرار محدد . إن أخطر ما يتعرض له الإنسان أن يحس بسهولة التحدث عن الغد .

٣ ــ آخرون آمنوا . والإنسان العاقل يعرف أنه لا يمكن أن يرفض عطية الله إلا الإنسان الجاهل .

وهذا مثل يبين لنا الطرق المختلفة لاستجابة الناس لدعوة الله . لقد ذكر اسم اثنين من الذين تجددوا هم ديونيسيوس ودامرس . كانت هذه القاعة تضم كما قلنا حوالى ٣٠ شخصاً .

ولاشك أن ديونيسيوس كان واحداً من طبقة الأرستقراطية العلمية فى أثينا . أما بالنسبة لدامرس فإن المرأة كانت مقيدة إلى حد كبير فى أثينا حتى أنه كان من النادر أن تجد سيدة فى هذا الميدان لكن يظهر أن حياة هذه السيدة تغيرت من النجاسة إلى الحياة الشريفة . وهذا يبين لنا أن الإنجيل يغير كل الناس من كل الطبقات .

الوعظ فى كورنثوس

إن موقع كورنثوس يجعل منها مدينة هامة فى بلاد اليونان . فالبحر يقسم بلاد اليونان إلى قسمين . على ضفة منه خليج سارون وميناؤه كنخريا وعلى الجانب الآخر خليج كورنثوس وبين الاثنين شريط من الأرض يقل عرضه عن خمسة أميال تقع عليه مدينة كورنثوس .

فكل الطرق التى تربط شمال اليونان بجنوبها تمر بمدينة كورنثوس . حتى كان يطلق عليها قنطرة اليونان . وكانت الرحلة حول جزر اليونان من ناحية الجنوب رحلة محفوفة بالمخاطر . وكان اليونانيون يقولون من أراد أن يبحر حول اليونان عليه أن يراجع نفسه عدة مرات . وبالتالى صار أسهل طريق بين تجارة الشرق والغرب عن طريق كورنثوس أيضاً . لذا فإن كورنثوس تعتبر سوق اليونان . لكن كورنثوس لم تكن مجرد مدينة تجارية لكنها كانت مشهورة ببطولة رياضية **Isthmiar Games** تأتى فى المرتبة الثانية بعد الأولمبياد . لكن أهم شهرة لها أنها كانت مدينة شريرة جداً تمثل حياة الفساد وعندما كان اليونانيون يمثلون شخصية الكورنثى على المسرح كانوا يظهرونه سكراناً . وكان يطل على كورنثوس جبل أكروبوليس و لم يكن مجرد قلعة حصينة بل كان معبداً لأفروديت . وفى أيام مجد كورنثوس كان هذا المعبد يضم ألف زانية يعملن كاهنات للإلهة أفروديت وكن ينزلن إلى المدينة كل مساء لممارسة تجارتهن الفاسدة . حتى قيل فى الأمثال « لا يستطيع كل إنسان أن يوفر المال اللازم لزيارة كورنثوس » .

فى مثل هذا الجو عاش بولس العظيم وعمل وأحرز انتصارات باهرة . وعندما كتب إلى الكورنثيين كتب قائمة تشمل مختلف أنواع الشرور . « ألستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله ؟ لا تضلوا ! لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مأبونون ، ولا مضاجعو ذكور ، ولا سارقون ، ولا طماعون ، ولا سكيرون ، ولا شتامون ، ولا خاطفون ، يرثون ملكوت الله » ثم يأتى إلى قمة الانتصار « وهكذا كان أناس منكم » ١ كو ٦ : ٩ — ١١ فإن شرور كورنثوس كانت أعظم فرصة للمسيح .

الاصحاح الثامن عشر

فى أسوأ مدينة

(أع ١٨ : ١ ــ ١١)

هنا نجد صورة لامعة براقة للحياة التى عاشها بولس . كان بولس ربای (Rabbi) وكان من تقاليد اليهود الربيين أن يحترف كل إنسان حرفة وعليه أن يتقاضى أجراً لقاء وعظه أو تعليمه الناس بل عليه أن يعتمد على نفسه وأن يعمل ليحصل على قوته . لقد كان اليهود يعظمون العمل « أحب عملك . ومن لا يعلم ابنه حرفة فهو يعلمه السرقة عظيم أن تعلم ابنك القانون لكن ذلك يسير جنباً إلى جنب مع تعلم حرفة لأن ممارسة الاثنين معا تجعل الابن يبتعد عن الشر » من هذا نرى أن الربيين تعلموا المهن الشريفة ولم ينفصلوا عن الناس . كان بولس صانع خيام . ذلك لأنه فى طرسوس (مقاطعة كليكية) كانت توجد أنواع من الماعز لها صوف خاص يصلح لصناعة الخيام . والكلمة الأصلية لا تعنى مجرد صانع خيام بل عامل فى الجلود . ولاشك أن بولس كان عاملاً ماهراً . وقد كان يذكر ذلك بكل فخر فى أحيان كثيرة . كما كان يذكر أنه لا يثقل على أحد . (١ تس ٢ : ٩ ، ٢ تس ٣ : ٨ ، ٢ كو ١١ : ٩) ولكن من المحتمل أن سيلا وتيموثاوس عندما جاءا لبولس أحضرا معهما هدية مالية من الكنيسة التى أحبت بولس جداً وهى كنيسة فيلبى مما جعله قادراً على التفرغ للوعظ .

وفى سنة ٤٩ م طرد كلوديوس كل اليهود من روما فجاء أكيلا وبريسكيلا (زملاء بولس فى حرفته) إلى كورنثوس .

كلم الله بولس عندما احتاج فعلاً إلى كلمة منه . لابد أنه أحس فى وقت ما بأن لا فائدة ترجى إزاء ما كان يراه فى كورنثوس . فقد كان قلب بولس يجيش بالعواطف ولاشك أنه كان يتأثر أحياناً لكن عندما يكلف الله إنساناً بمهمة فإنه يعطيه أيضاً القوة لتنفيذها . وبقوة الله وجد بولس الشجاعة والقوة .

نزاهة العدالة الرومانية

(أع ١٨ : ١٢ ــ ١٧)

أثار اليهود المتاعب أمام بولس كالمعتاد . ولما أتى غاليون إلى أخائية حاول اليهود أن يستميلوه ليعاقب المسيحيين وحاولوا التأثير عليه قبل أن يستقر فى البلدة ويعرف ظروفها . وكان غاليون مشهوراً بلطفه حتى قال عنه أخوه سنيكا « حتى أولئك الذين يحبون أخى غاليون من كل قلوبهم لا يحبونه كما يستحق » كما قال « لا يوجد إنسان يحب آخر كما يحب غاليون الجميع » . لذلك حاول

اليهود استمالته لكن غاليون كان يتمتع بالنزاهة والعدل . فقد عرف أن بولس ورفاقه لم يكونوا مجرمين وأن اليهود أرادوا استغلاله لتحقيق أغراضهم . فالتفت إلى الحراس الواقفين بجواره وأمرهم بطرد اليهود . وقد حاول اليهود تشويه سمعته لكن الكتاب يقول عنه « ولم يهم غاليون شيء من ذلك » وقد يظن البعض أن هذا يعنى أنه بليد أو غير مبال لكن الحقيقة أن هذه الجملة تعنى أنه كان تام النزاهة حتى رفض أن يؤثر عليه أحد بل أظهر العدل الرومانى بأجلى معانيه .

ولا ننسى أن نشير هنا إلى قيمة الحياة المسيحية النقية . فقد تأكد غاليون أنه لا تشوب حياة بولس ورفقائه أية شائبة . إن أعظم شاهد للمسيحية هو المسيحى نفسه .

العودة إلى أنطاكية

(أع ١٨ : ١٨ : ٢٣)

فى طريق العودة إلى وطنه مر بميناء كنخريا (ميناء كورنثوس) ثم إلى أفسس ثم إلى قيصرية ثم اتجه إلى الكنيسة ليسلم عليها . وهذا يعنى أنه ذاهب إلى قادة الكنيسة فى أورشليم وأخيراً عاد إلى موطنه فى أنطاكية التى بدأ منها .

فى سياق القصة ذكر أنه فى كنخريا حلق رأسه . عندما كان الرجل اليهودى يريد أن يقدم شكره لله لأجل بركة خاصة أو نجاته من حادث معين فإنه كان ينذر نذراً (عدد ٦ : ١ — ٢١) .

ولتحقيق النذر كاملاً كان على الشخص ألا يأكل لحماً أو يشرب خمراً مدة ثلاثين يوماً كما كان يترك شعره . وفى نهاية الشهر كان يقدم تقدمات معينة فى الهيكل ويحلق شعره ويحرقه على المذبح كتقدمة لله . ولابد أن بولس كان يفكر فى كل أعمال الله معه فأوفى نذره ليظهر عرفانه بالجميل .

ما أقل ما نعرفه عن بولس فإن الأعداد من ١٩ — ٣٣ تصف رحلة طولها ١٥٠٠ ميلاً . كم من البطولات التى قام بها بولس لا نعرف عنها شيئاً .

الرحلة التبشيرية الثالثة

تبدأ قصة الرحلة التبشيرية الثالثة من أع ١٨ : ٢٣ . وتبدأ بالمرور على غلاطية وفريجية وأفسس حيث مكث ثلاث سنوات تقريباً . ثم انتقل إلى مكدونية ثم عبر إلى ترواس ثم عاد عن طريق مالطة وصور وقيصرية ثم أورشليم .

دخول أبلوس

(أع ١٨ : ٢٤ ــ ٢٨)

هنا نجد المسيحية توصف بأنها « طريق الرب » ومن أشهر الاسماء التى وردت فى سفر الأعمال عن المسيحية كلمة الطريق (٩ : ٢ ، ١٩ : ٩ و ٢٣ ، ٢٢ : ٤ ، ٢٤ : ١٤ و ٢٢) . وهذا الوصف يدل على أن المسيحية ليست مجرد تصديق أشياء معينة لكنها تعنى وضع هذه الأشياء موضع التنفيذ . فهى ليست نظاماً عقائدياً بل طريقة حياة . إنها إيمان لكنه إيمان معلن ومترجم فى أعمال .

هنا نتعرف بأبلوس . لقد جاء من الإسكندرية حيث كان يسكن مليون يهودى . وقد كان عدد اليهود كبيراً حتى أن المدينة كانت مقسمة إلى خمسة أقسام أو أحياء وكان اليهود يسكنون قسمين كاملين منها . وكانت الأسكندرية مدينة العلم والعلماء . وكانت بصفة خاصة مركز علماء العهد القديم الذين كانوا يهتمون بالرموز والتفسير الرمزى للعهد القديم . فقد رأوا فى حوادث العهد القديم لا مجرد حوادث بل رموزاً لمعانى خفية أخرى .

ولهذا كان أبلوس قديراً فى إقناع اليهود لأنه كان يستطيع أن يثبت أن أى جزء فى العهد القديم يشير إلى المسيح وأن يؤكد لهم أن كل العهد القديم يلقى نوراً على حياة المسيح .

لكن رغم كل هذا كان ينقصه شيء هام . فقد كان يعرف معمودية يوحنا فقط . وعندما نأتى إلى الفصل التالى سنفهم بالضبط ما معنى هذا . لكننا نقول إن أبلوس عرف الحاجة إلى التوبة وفهم معنى تهديدات يوحنا التى كان يقدمها فى كلامه عن التوبة . ولابد أنه عرف يسوع كالمسيا لكنه لم يكن يعرف الأخبار السارة عن يسوع مخلص الناس وعن حلول الروح القدس بقوة .

لقد عرف المسئولية التى ألقاها على عاتق الناس لكنه لم يكن قد عرف بعد القوة التى يعطيها يسوع ليساعد الناس على حمل هذه المسئولية . لقد سمع الدعوة للانفصال والتوبة عن الماضى لكنه لم يكن قد عرف بعد القوة العظيمة التى تساعد الإنسان أن يحيا حياة جديدة متغيرة فى مستقبل حياته . لكنه تعلم من أقوال أكيلا وبريسكلا واكتشف أن يسوع الذى عرفه كشخص تاريخى هو شخصية حية وأنه بواسطة قوة المسيح كان يمكنه أن يضاعف قوة رسالته مئات المرات . لأنه يضيف إلى علمه قوة .

فى أفسس

أعمال ١٩ يصف أعمال بولس فى أفسس . بقى بولس فى أفسس مدة أطول من بقائه فى أية مدينة أخرى . مكث فيها حوالى ثلاث سنوات . لذلك يهمنا أن نعرف شيئاً عن مدينة أفسس .

١ ــ كانت أفسس تعتبر سوق آسيا الصغرى . فقد كانت التجارة تمر بوديان الأنهار وكانت أفسس تقع عند مصب نهر كيستر (Cayster) وهى منطقة من أغنى مناطق آسيا الصغرى . وإذا

رجعنا إلى رؤيا ١٨ : ١٢ ، ١٣ سنجد وصفاً لتجارة أفسس فقد كانت تعتبر خزانة آسيا وكان يطلق عليها سوق أباطيل آسيا الصغرى .

٢ ـــ كان الحاكم الرومانى ينتقل إليها فى أوقات معينة ليقضى فى القضايا الهامة . فعرفت المدينة أبهة الحكم وعظمة القوة الرومانية والعدالة الرومانية .

٣ ـــ كانت مركزاً رياضياً هاماً . وكان كل الناس يأتون إليها لمشاهدة الألعاب الرياضية . وتنظيم هذه الألعاب والإشراف عليها كان يعتبر ميزة خاصة تتنافس عليها المدن الكبرى .

٤ ـــ كانت ملجأ للمجرمين . فقد كان لمعبد ديانا حرمة خاصة حتى أن أى مجرم يستطيع الوصول إليه يصبح فى أمان . لذلك امتلأت أفسس بقطاع الطرق والقتلة والخارجين على القانون .

٥ ـــ كانت مركزاً للسحر وكانت مشهورة « بخطابات أفسس » وهى أنواع من الأحجبة إدعوا أنها تضمن الإنسان فى سفره وتمنح أطفالاً للعاقر وتجعل الإنسان محبوباً .. إلخ . وكان الناس يأتون من كل أنحاء العالم لشراء هذه الأحجبة ولبسها .

٦ ـــ أعظم أمجاد أفسس هيكل أرطاميس . وهذه الإلهة كانت تسمى ديانا أو أرطاميس . فديانا هو الاسم اللاتينى وأرطاميس هو الاسم اليونانى . وكان هيكلها أحد عجائب الدنيا السبع . طوله ٤٢٥ قدماً وعرضه ٢٢٠ قدماً وارتفاعه ٦٠ قدماً . وفيه ١٢٧ عاموداً كل عمود من هذه الأعمدة كان هدية من ملك معين وكلها من المرمر منها ٣٦ عاموداً تعتبر تحفة فنية فى الحفر وقد شيد المذبح العظيم ونحته أعظم نحات فى بلاد اليونان فى عصره ولم يكن شكل تمثال أرطاميس جميلاً ، بل كان أسود اللون وكانت تتميز بعدة أثداء رمزا للخصوبة لكنه كان تمثالاً قديماً جداً لا يعرف من صنعه ولا من أى مادة صنع . وكانوا يقولون إنه سقط من السماء .

كانت أفسس إذن مركز أكبر عبادة وثنية فى عصرها . فى هذه المدينة العجيبة عاش بولس وعمل وربح نفوساً للمسيح .

الاصحاح التاسع عشر

المسيحية الناقصة

(أع ١٩ : ١ — ٧)

قابل بولس فى أفسس بعض الرجال من المسيحيين لكن مسيحيتهم كانت ناقصة . لقد اعتمدوا بمعمودية يوحنا لكنهم لم يعرفوا بوجود الروح القدس بحسب المفهوم المسيحى . ما الفرق بين معمودية يوحنا والمعمودية باسم يسوع ؟ إن من يقرأ كلمات يوحنا المعمدان (متى ٣ : ٧ — ١٢ ، لو ٣ : ٣ — ١١) يستطيع أن يجد فرقاً واحداً جوهرياً بين وعظ يوحنا ووعظ المسيح . فإن وعظ يوحنا كان للتهديد أما وعظ المسيح فكان أخباراً سارة (أى الإنجيل) . لا يمكن أن نصف وعظ يوحنا بأنه أخبار سارة لما احتواه من تهديد بالموت والخراب . لكن وعظ يوحنا كان مرحلة من مراحل الطريق . وكان يوحنا نفسه يعرف ذلك بل كان يعرف أنه مجرد صوت صارخ أو شخص يشير إلى شخص آخر آت (مت ٣ : ١١ ، لو ٣ : ١٦) . كان وعظ يوحنا إذن هو المرحلة الأولى لأن الحياة المسيحية تحتوى على مرحلتين :

أولا : نتيقظ على حقيقة أنفسنا وخطايانا واستحقاقنا للدينونة التى يجريها الله . وهذه المرحلة ترتبط غالباً بمحاولاتنا المتكررة أن نحسن أنفسنا ولكننا نفشل كل مرة لأننا نحاول بقوتنا نحن .

ثانيا : ندرك فى المرحلة التالية أنه لا شيء من الدينونة علينا بواسطة نعمة يسوع المسيح وترتبط هذه الرحلة الثانية بما يصاحبها من قوة نكتشفها هى قوة الروح القدس التى تساعدنا فى محاولاتنا أن نصير أفضل وأننا بالروح نستطيع أن نعمل ما لم نكن نستطيع عمله أبداً .

هؤلاء المسيحيون كانت مسيحيتهم ناقصة لأنهم عرفوا الدينونة وعرفوا الجانب الأخلاقى وعرفوا أنه يجب أن تكون حياتهم أفضل لكنهم لم يعرفوا نعمة المسيح ولا قوة الروح القدس . كانت ديانتهم عبارة عن صراع ولم يصلوا إلى دين السلام . وهذه القصة توضح لنا حقيقة هامة واحدة ، أنه لا وجود للمسيحية الكاملة الحقيقية بدون الروح القدس . فإذا ما اكتشفنا فى أنفسنا أخطاء وأحسسنا بالحاجة إلى التوبة عنها وصممنا أن نزيلها من طريقنا فإننا لن نستطيع ذلك بدون مساعدة الروح القدس الذى يساعدنا وحده ولا سواه على ذلك .

اعمال الله

(أع ١٩ : ٨ — ١٢)

لما صار من العسير على بولس العمل فى المجمع نتيجة مقاومة اليهود المضنية غير بولس مركز عمله واتخذ من بيت فيلسوف إسمه تيرانس مقراً له . وقد وجدت مخطوطة يونانية ألقت ضوءاً يعتبر

شهادة شاهد عيان على عمل بولس إذ تقول هذه المخطوطة إن بولس كان يعلم كل يوم فى تلك القاعة من الساعة الحادية عشرة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر . وغالباً كان هذا الوقت هو الوقت الوحيد المناسب لبولس إذ أن تيرانس كان يستخدم القاعة قبل الساعة الحادية عشرة وبعد الساعة الرابعة مساء . ففى المدن اليونانية كان العمل يتوقف فى الساعة الحادية عشرة ولا يبدأ قبل الرابعة . فقد كان العمل بين الفترتين مرهقاً جداً . وكان الناس يحبون النوم ظهراً (كعادة الشرقيين) حتى إن عدد من ينامون الساعة الواحدة بعد الظهر أكثر جداً من عدد النائمين فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . أى أن بولس كان يشتغل طول الصباح وكل المساء فى صناعته وكان يعلم فى فترة الظهيرة . وهذا يرينا شيئين : حماس بولس للتعليم وحماس المسيحيين للتعلم ، فإن الوقت الوحيد المتاح لهم هو وقت الراحة عندما ينام الناس فى فترة الحر . وهذا ما يخجل كثيرين منا عندما نتكلم عن المواعيد غير المناسبة .

ومن الواضح أنه فى هذا الوقت تمت أعمال عجيبة . ولم تكن المناديل إلا تلك التى كانت توضع تحت غطاء الرأس لتمتص العرق ولم تكن المآزر إلا مآزر العاملات البسيطات . وهنا نرى الوحى يقدم لنا فكرة . إن الله يصنع بيدى بولس . إن الله فى كل مكان مازال يبحث عن أيدى ليستخدمها . قد لا نجرى معجزات بأيدينا ولكن من المؤكد أننا نستطيع أن نقدم أيدينا لله ليعمل بها .

الضربة القاضية للسحر

(أع ١٩ : ١٣ — ٢٠)

هذا فصل حى يمثل مشكلة خاصة بمدينة أفسس . فى ذلك العصر كان الناس يؤمنون أن الأمراض الجسمية (والعقلية خصوصاً) ناتجة عن الأرواح الشريرة التى تسكن أجسام الناس . وكان إخراج هذه الأرواح بالرقى والتعاويذ تجارة رابحة جداً . فإذا كان العراف يعرف اسم روح شرير أقوى من الروح الذى يسكن الإنسان فإن مجرد ذكر هذا الاسم كاف لطرد الروح الشرير . ولا داعى لإنكار صحة هذه الأشياء . فقد كان المرضى مقتنعين فعلا بذلك ولم يكن كل العرافين مخادعين بل إن بعضهم كان مخلصاً فى الثقة بقوته . ما أعجب العقل البشرى ورحمة الله تتعامل مع الناس مهما كانوا بسطاء أو مخرفين .

فلما شرع قوم من المعزمين فى استخدام اسم يسوع حدث أعجب شىء . اكتشف كل المعزمين — المخلص منهم والمخادع — أنهم يسيرون فى طريق شرير .

وليس أدل على صحة التغيير فى حياة الناس مما حدث فى حياة أولئك السحرة والعرافين . لقد أظهروا استعدادهم لحرق كتبهم وأحجبتهم رغم ما كانت تدر عليهم من مكاسب وأن تصرفهم هذا لهو مثل لكثيرين منا . فقط كسروا الكبارى من خلفهم كما نقول فى الأمثال وقطعوا كل صلة تربطهم بالماضى ولم يفكروا لحظة كيف يعيشون فى المستقبل بعد أن فقدوا وظائفهم كسحرة

وعرافين . لقد حدث تغيير حاد ومفاجىء فى حياتهم . حقا إن عدداً كبيراً منا يكرهون خطاياهم لكنهم لا يقدرون أن يتركوها . وحتى إن أردنا تركها فإننا دائماً نحسب حسابنا وننظر إلى الخلف . لكن توجد أوقات معينة تكون فيها العمليات الجراحية لازمة عندما يصبح القطع والتنظيف هو العمل الوحيد الناجح .

غرض بولس

(أع ١٩ : ٢١ و ٢٢)

أشار لوقا إشارة رقيقة هنا لشىء يملأ رسائل بولس كلها فقد أشار لوقا إلى أن بولس كان يهدف للذهاب إلى أورشليم . لماذا ؟ كان عند بولس وقتئذ غرض واحد عظيم . كانت كنيسة أورشليم كنيسة فقيرة . وكان غرض بولس أن يأخذ تقدمة من كنائس الأمم إلى كنيسة أورشليم . ونجد إشارات لذلك فى ١ كو ١٦ : ١ ، ٢ كو ٩ : ١ ، رو ١٥ : ٢٥ و ٢٦ . وكان بولس يهدف لتنفيذ غرضه هذا لسببين :

أولا : أراد أن يؤكد وحدة الكنيسة بطريقة عملية . أرادهم أن يحسوا أنهم جسد واحد هو جسد المسيح وأنه إذا تألم عضو يجب أن يهب الجميع لمساعدته . وبمعنى آخر أراد أن يوسع فكرتهم عن الكنيسة فبدلا من اعتبارها مجموعة كنائس منفصلة يجب اعتبارها كنيسة واحدة وكل كنيسة محلية جزء من الكنيسة العامة .

ثانيا : أراد أن يعلمهم المحبة المسيحية العملية . ولا شك أنهم عندما علموا بأعواز كنيسة أورشليم شعروا بالأسى . لكن بولس أراد أن يعلمهم أن التأثر والأسى غير كافيين . لكن التأثر والعطف يجب أن يترجما إلى عمل محدد . وهذان الغرضان نافعان لنا اليوم كما كانا نافعين قديماً .

شغب فى أفسس

(أع ١٩ : ٢٣ ـــ ٤١)

هذه قصة مثيرة تلقى ضوءاً على طريقة تفكير أبطالها . فنجد أولاً ديمتريوس وزملاءه من الصاغة . ومشكلتهم أن الموضوع يمس جيوبهم . لقد أعلنوا أنهم يغارون على مجد أرطاميس لكن اهتمامهم الحقيقى كان على جيوبهم ومورد رزقهم . فقد كان الحجاج يشترون الهدايا من أفسس . وكان الصاغة يصنعون نماذج للهيكل يبيعونها للحجاج تذكاراً لزياراتهم لأرطاميس . فجاءت المسيحية وحاربت هذا باعتباره وثنية . وهنا مثل واضح لما يحدث عندما تتعارض المسيحية مع مورد رزقنا .

أما الشخصية الثانية فهى شخصية الكاتب لكنه كان أكثر من مجرد كاتب . فقد كان يحفظ السجلات العامة وكانت كل مراسلات أفسس توجه إليه ولقد اضطرب هذا الكاتب خوفا من

حدوث اضطرابات . لقد كانت حكومة روما متسامحة لكنها ما كانت تتسامح أبداً مع الاضطرابات فإذا حدث شغب فى أية مدينة فلابد أن روما تسمع به ثم تفصل الحكام المسئولين فى المدينة . إذاً فقد تصرف الكاتب وفى ذهنه مركزه الشخصى . حقا لقد أنقذ بولس وزملاءه لكنه فى الحقيقة كان ينقذ نفسه أيضاً .

أما الشخصية الثالثة فهى شخصية بولس . وهنا نجد بولس يريد أن يواجه الجمهور لكن التلاميذ منعوه . لم يخش بولس من مواجهة الجماهير فقد كان رجلاً لا يهاب إنساناً . فمن وجهة نظر الصاغة والكاتب كانوا يبحثون عن مصالحهم أولا أما بولس فكان يضع نفسه ومصالحه آخر شيء .

الاصحاح العشرون

بدء الرحلة إلى أورشليم

(أع ٢٠ : ١ — ٦)

رأينا كيف صمم بولس أن يجمع بعض التقدمات ويأخذها إلى أورشليم ، ولهذا ذهب بولس إلى مكدونية . وهنا أيضاً نكتشف أننا لا نعرف كل التفاصيل عن رحلات بولس . يقول عدد ٢ « ولما كان قد اجتاز فى تلك النواحى ووعظهم بكلام كثير جاء إلى هلاس (اليونان) » وربما زار الليريكون فى هذه المناسبة (رو ١٥ : ١٩) ربما كان هذا العدد يلخص لنا رحلة سنة كاملة . وفى عدد ٣ عندما كان بولس يريد السفر من اليونان إلى سوريا اكتشفت مكيدة يهودية فغير طريقه واتخذ طريقاً آخر ماراً بمكدونية . ما هى تفاصيل هذه المكيدة ؟ ربما قصد بولس السفر فى إحدى السفن التى كانت تحمل الحجاج اليهود الذين يسافرون لقضاء الفصح فى أورشليم . وفى مثل هذه السفن كان من السهل على اليهود المتعصبين أن يتخلصوا من بولس دون أن يسمع أحد شيئاً عنه . حقاً إن بولس كان دائماً يحمل رأسه على كفه . وفى عدد ٤ نجد كشفاً تفصيلياً بكل رفقائه فى الرحلة . ولابد أن هؤلاء الناس كانوا مندوبين عن كنائسهم يحملون عطاياهم إلى كنيسة أورشليم فهذه الجماعة كانت تمثل وحدة الكنيسة وإن كانت حاجة كنيسة واحدة تمثل تحديا للكنيسة العامة . فقد هب الجميع لانتهاز هذه الفرصة لإظهار محبتهم . وفى العدد الخامس يتحول الكلام من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم مرة أخرى . وهذا معناه أن لوقا كان شاهد عيان لهذه الحوادث . ويقول لوقا إنهم تركوا فيلبى بعد أيام الفطير وكانت أيام الفطير تبدأ بيوم الفصح وتستمر لمدة أسبوع حيث يمتنع أى يهودى عن أكل الخمير تذكاراً لخروجهم من أرض مصر . والفصح كان يقع فى منتصف أبريل .

الشاب النائم

(أع ٢٠ : ٧ — ١٢)

تبدو هذه القصة مليئة بالحيوية وهذا طبيعى لأنها قصة يرويها شاهد عيان . وهنا نجد وصفاً لشكل الخدمة فى العصور الأولى . والقصة تذكر مرتين كسر الخبز . فى الكنيسة الأولى كانوا يمارسون شيئين متشابهين . وليمة المحبة وكانت عبارة عن عشاء يشترك فيه الجميع . وربما كانت هذه الوليمة هى الوجبة الحقيقية الوحيدة التى كان يتناولها العبيد الفقراء كل أسبوع . وكان المسيحيون يجلسون حول مائدة المحبة يتناولون الطعام فى أخوة صادقة ومحبة مسيحية حقيقية . وربما كانوا يتناولون العشاء الربانى خلال هذه الوليمة أو فى نهايتها . حقا تنقصنا الآن هذه الوليمة ذات القيمة العظيمة ففدنا روح الشركة الحقيقية والبهجة التى كانت تصاحبها . لقد كانت هذه الوليمة تظهر

روح الأسرة الواحدة فى الكنيسة . رأينا أن كل هذا كان يتم مساء ربما لأنه الوقت الوحيد المناسب للعبيد بعد الانتهاء من أعمالهم اليومية حتى لا يحرموا من الشركة المسيحية . وهذا يفسر لنا قصة أفتيخوس . فقد كانت الغرفة ساخنة من تأثير المصابيح الكثيرة فى العلية الصغيرة التى كانوا مجتمعين فيها . ولاشك أن أفتيخوس كان متعباً من عمل شاق مرهق طوال اليوم . وقد اختار الجلوس على النافذة ليستمتع بنسيم الليل البارد . وكانت النوافذ خشبية تفتح كما تفتح الأبواب . وكانت تطل على بهو المنزل . ونام أفتيخوس المسكين المتعب وسقط فى بهو المنزل فاندفع الناس على السلم فوجدوا الشاب ملقى على الأرض لا يتحرك فصرخوا حسب العادات الشرقية لذلك طلب منهم بولس قائلا لا تضطربوا لأن نفسه فيه . ومن العدد التالى نستنتج أن بولس لم يصعد ثانية مع الجمهور بل بقى مع الشاب حتى تأكد أن الشاب صار سليما . وهذه صورة جميلة تصور لنا اجتماع الكنيسة كأسرة أكثر منه مجرد جماعة . وربما وصلنا إلى ما نسميه الاحترام فى كنائسنا لكننا غالباً فقدنا الشعور بأننا أسرة الله الواحدة .

مراحل الطريق

(أع ١٠ : ١٣ ــ ١٦)

لأن لوقا كان مع بولس نستطيع أن نتابع رحلة بولس يوماً بعد يوم ومرحلة بعد أخرى . فمن ترواس إلى أسوس ٢٠ ميلا بالطريق البرى و ٣٠ ميلا بالبحر حيث كان يمر حول رأس (لكتم) ضد رياح شمالية شرقية شديدة . وهكذا رتب بولس أن يمشى فى الطريق البرى حيث يقابلهم فى أسوس . لماذا فعل ذلك ؟ ربما كان يحتاج إلى شيء من الوحدة ليعد نفسه للأيام التالية . وربما أراد أن يسير مع يسوع قبل أن يواجه الناس . وكانت ميتيلينى تقع على جزيرة مقابلة للجزيرة التى تقع عليها خيوس . وكانت ميلتس على بعد ٢٨ ميلا جنوب أفسس . لقد كان بولس يريد أن يقضى الفصح فى أورشليم لكن مكيدة اليهود عطلته لذلك قرر أن يصل فى يوم الخمسين أى بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح . وهنا نلاحظ أنه رغم أن بولس انفصل عن الديانة اليهودية إلا أنه ظل مرتبطا بأعياد أجداده ارتباطا عاطفيا .

كان بولس رسول الأمم وربما أبغضه بنو جنسه ، لكن قلبه كان لا يحمل لهم إلا كل حب وشوق .

وداع مؤلم

(أع ٢٠ : ١٧ ــ ٣٨)

لا يمكن طبعاً أن نحلل خطاب بولس الوداعى تحليلا دقيقا لأنه خطاب عاطفى مؤثر . لكننا نلاحظ أن بولس يوضح بعض الحقائق فهو يقول .

١ ــ إنه شهد بكل جرأة وعلمهم كل شيء عن إرادة الله جهراً ولم يخف عنهم شيئاً . ولم

يقم وزنا لا للخوف من الناس ولا تملقهم .

٢ ـ إنه عاش معتمداً على نفسه يقول « إن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتهما هاتان اليدان » . لم يشته أن يأخذ فضة أو لباس أحد . ولم ينفق على نفسه فقط بل أنفق أيضاً على الذين معه الذين كانوا أقل حظاً ودخلا . يجب أن يكون للإنسان هدفان : أن يعتمد على نفسه ليصبح مستقلا غير محتاج ليعطى الآخرين أيضاً .

٣ ـ واجه المستقبل بشجاعة . إنه يصف نفسه بأنه كان مقيداً بالروح أى أنه أسيرا لقيادة الروح . لم يكن يعرف ما سيواجهه لكنه كان يعرف شيئاً واحداً أنه لابد أن يواجه المستقبل وأنه سيتمكن من مواجهته .

وتحدث بولس عن أصدقائه أيضاً :

(١) فذكرهم بواجباتهم . فهم رعاة لرعية الله . لم تكن هذه وظيفة اختاروها بأنفسهم بل اختارهم الله لها . إن خدام الراعى الصالح يجب أن يكونوا رعاة أيضاً للخراف . (٢) ذكرهم بالمخاطر التى تحيط بهم . وكما قيل « إن الاحتراس الكامل هو ثمن الحرية » فإن العدوى من العالم ليست بعيدة . وحيث يوجد الحق فإن الزيف لا يكف عن مهاجمته . لقد كانت أمامهم حرباً ليحفظوا إيمانهم وكنيستهم بلا دنس .

ويسيطر على جو هذه القصة عاطفة حب عميقة عمق القلب ذاته . هذه العاطفة التى يجب أن تسود فى أية كنيسة . عندما يموت الحب فى كنيسة فإن عمل المسيح يذوى ويذبل . لقد كانت كنيسة أفسس عزيزة على قلب بولس لأن جو الكنيسة كان جو الحب .

الاصحاح الحادى والعشرون

لا رجوع

(أع ٢١ : ١ ـــ ١٦)

إن حوادث القصة تسرع نحو عاصفة تكاد تجتاح حياة بولس إذ يقترب من أورشليم . وهنا نجد شقين :

(١) فنحن نلاحظ تصميم بولس على المضى قدماً نحو أورشليم مهما كانت الصعاب التى أمامه . ولم يكن هناك أوضح من تحذير التلاميذ فى صور وما تنبأ به أغابوس فى قيصرية . لكن كل هذا لم يثن بولس عن عزمه أن يسافر إلى أورشليم . لقد اختار بولس طريقه وسار فيه مرفوع الرأس مهما كانت الظروف . فى أثناء الحرب الأهلية فى أسبانيا حوصرت حامية وأراد أفرادها التسليم لكن أحد أفراد الحامية وقف بينهم قائلا « إنى أفضل أن أموت وأنا واقف على قدمى من أن أعيش راكعاً على ركبتى » لقد كان هذا شعار بولس .

(٢) حيثما ذهب بولس كان يجد مجتمعاً مسيحيا صغيراً فى انتظاره وهذه حقيقة ، ليست فى حياة بولس فقط ، بل حتى يومنا هذا .

فأينما يذهب المسيحى حتى إلى أطراف الأرض فإنه يجد أشخاصاً مسيحيين مثله يرحبون به . وهذه ميزة يتمتع بها كل مسيحى . فالمسيحى فى الكنيسة يتمتع بصداقة لا مثيل لها فى العالم .

شخصية أغابوس شخصية طريفة . فقد كان للأنبياء اليهود عادة معينة . فعندما كانوا يعجزون عن التعبير بالكلام كانوا يمثلون ما يريدون أن يقولوه حتى يجذبوا الانتباه إليهم . وهنام شواهد كثيرة على ذلك فى العهد القديم مثل إش ٢٠ : ٣ و ٤ ، إرميا ١٣ : ١ ـــ ١١ ، ٣٧ : ٢ ، حز ٤ ، ٥ : ١ ـــ ٤ ، امل ١١ : ٢٩ ـــ ٣١ .

شبهات فى أورشليم

(أع ٢١ : ١٧ ـــ ٢٦)

عند وصل بولس إلى أورشليم واجهت الكنيسة مشكلة . لقد قبلته الكنيسة ورأوا يد الله فى عمله . لكن هناك شبهات حامت حوله وشائعات تقول إنه يشجع اليهود أن يتركوا إيمان أبائهم وعوائدهم . وهذا ما لم يعمله بولس أبداً . لقد أكد حقاً فى تعليمه على أن الناموس لا يفيد الأممى شيئاً ، لكنه لم يفكر مطلقاً أن يشكك اليهود فى عادات آبائهم . لذلك فكر الأباء فى طريقة يثبت بها بولس صحة تعليمه وإيمانه وسلوكه .

فهناك أربعة أشخاص عليهم نذر . وكان النذر تعبيراً عن شكر لله لصنيع عمله للإنسان كشفائه من مرض . وكان النذير يمتنع عن أكل اللحم وشرب الخمر مدة ثلاثين يوماً . ولا يحلق رأسه طول هذه المدة وغالباً كان يقضى الأسبوع الأخير من مدة النذر فى الهيكل . وفى نهاية المدة يأتى النذير بتقدمة خروف حولى ذبيحة خطية أو حمل كذبيحة سلامة أو سلة من الخبز غير المختمر وفطير من دقيق ملتوت بالزيت . وأخيراً يحلق الشعر ويحرق على المذبح مع التقدمة . وكان هذا الموضوع مكلفاً طبعاً فالإنسان يترك عمله ويشترى الذبيحة . وكانت التكاليف أحياناً أكثر من أن يحتملها أى إنسان يرغب فى القيام بنذر لله لذلك كان يقوم بعض الأثرياء كعمل من أعمال التقوى بالصرف على النذير . وهذا ما طلب من بولس أن يقوم به وبذلك يقتنع الجميع أن بولس محافظ على الناموس . ولاشك أن بولس لم يستسغ كل هذا . فبالنسبة لبولس لم تكن كل هذه الأشياء ذات قيمة . ولكن هذه إحدى علامات الرجل العظيم أن يخضع نفسه ورغباته ووجهة نظره لمصلحة الكنيسة . وهذه ليست علامة الضعف بل علامة القوة .

تشويه سمعته

(أع ٢١ : ٢٧ — ٣٦)

لقد أدى خضوع بولس لرأى الكنيسة إلى مشكلة كبيرة . لقد كان وقت الفصح حيث امتلأت المدينة من يهود من كل العالم وقد حضر إلى المدينة ولاشك يهود من آسيا الصغرى الذين شاهدوا بولس وعرفوا ما فعلته رسالته فى آسيا كلها . وقد رأوا بولس بصحبة تروفيوس فى أورشليم وغالباً كانوا يعرفون تروفيوس . وكان بولس يتردد على الهيكل ليشرف على إتمام النذر فظن اليهود أنه يصطحب تروفيموس معه . لقد كان تروفيموس أمميا وكان دخول الأمم إلى الهيكل ممنوعاً بتاتاً . كان مسموحاً للأمم أن يدخلوا رواق الأمم وكان بين رواق الأمم ورواق النساء عدة علامات مكتوب عليها ممنوع دخول أى أممى بعد الحاجز . ومن يرى بعد هذا الحاجز فهو مسئول عما يحدث له فعقوبته الموت .

وقد احترم الرومان هذا القانون حتى أنهم وافقوا على قتل من يتخطى هذا الحاجز . ولذلك أتهم بولس بتدنيس الهيكل والتعدى على الناموس والاستهتار بشعب الله المختار . لذلك قاد اليهود حركة كان الغرض منها التعدى على بولس وقتله دون محاكمة . وفى شمال غرب الهيكل كان يوجد حصن أنطونيا الذى بناه هيرودس الكبير . وكان يقيم فى هذا الحصن فى أوقات الأعياد ألف من الجنود الاحتياطيين للطوارىء . فمن أهم الأشياء فى نظر الحكومة الرومانية استتباب الأمن . وكان أى اضطراب جريمة لا تغتفر سواء لمن قاموا بها أو للحاكم الذى سمح بها ، لذلك عندما سمع قائد الحامية بالشغب أسرع هو وجنوده بالنزول ، ولحماية بولس كان لابد أن يقبض عليه ويقيده من يديه إلى عسكريين . وفى وسط الشغب لم يستطع الأمير أن يستخلص موضوع الشغب من الناس . لذلك حمل الجنود بولس إلى الحصن . لم يكن بولس فى كل حياته قريباً إلى الموت كما حدث له فى هذا الحادث ولولا العدالة الرومانية لفتك به الشعب .

مواجهة ثورة الشعب

(أع ٢١ : ٣٧ — ٤٠)

كان الحصن متصلا بالدار الخارجية للهيكل بسلمين . سلم من الناحية الشمالية وسلم من ناحية الغرب . وإذ كان الجنود يكافحون للوصول به إلى داخل الحصن إذا ببولس يطلب طلباً غريباً . فقد طلب من الأمير أن يواجه الجمهور وأن يخاطبهم . ما أشجع هذا الرجل لقد كان هذا أسلوب بولس دائماً أن يواجه الناس مباشرة وفى وجوههم وهنا بهت الأمير أن يسمع هذا الأسير الذى كاد الشعب أن يفتك به يتحدث لغة المثقفين ويحدثه بلغة يونانية سليمة .

فى سنة ٥٤ م جاء مصرى إلى أورشليم وقاد جماعة من المجرمين ووقف على جبل الزيتون وادعى أنه قادر على هدم أسوار أورشليم وقد قضى الرومان بسرعة وكفاءة على كل أتباعه أما هو فاستطاع الهرب . لذلك ظن الأمير أن بولس هو هذا المصرى الذى كان يأخذ أتباعه إلى الهيكل وهم يخفون خناجرهم تحت عباءاتهم ويقتلون على قدر ما يريدون . لكن بولس قدم له مؤهلاته حتى اقتنع الأمير أنه لا يمكن أن يكون هو ذلك المجرم لذلك سمح له بالكلام . وعندما استدار بولس ليتكلم أشار إلى الجمهور ليصمت . وبطريقة إعجاز به صمت غريب لا توجد إشارة فى كل العهد الجديد تبين قوة شخصية بولس كهذا الجزء . فمجرد إشارة منه كانت كافية لإسكات الناس الذين حاولوا قتله منذ قليل . ولا شك أن قوة الله كانت تفيض من قسماته .

الاصحاح الثانى والعشرون

دفاع خبير

(أع ٢٢ : ١ — ١٠)

يقف بولس مدافعاً عن نفسه أمام بنى جنسه . وهو لا يبنى دفاعه على الجدل بل على الاختبار الشخصى . وبديهى أن الاختبار الشخصى قوى لدرجة أنه يقف صامداً أمام أية محاولة للشك فيه أو مجادلته . ودفاع بولس يشتمل على نقطتين متعارضتين .

(١) فهو يثبت لهم أنه منهم . فهو يهودى « الأمر الذى لم ينسه بولس قط » (٢ كو ١١ : ٢٢ ، فى ٣ : ٤ و ٥) وهو من طرسوس وهى مدينة كبيرة لها سمعتها . فهى ميناء على البحر الأبيض المتوسط تقع عند مصب نهر وينتهى عندها الطريق الآتى من آسيا الصغرى وكان بها جامعة . كما أن بولس يعرفهم بأنه رابى Rabbi تعلم عند قدمى غمالائيل أعظم معلم للناموس وقد مات قبل هذه الحادثة بخمس سنوات . وهو مضطهد الكنيسة لأجل إيمان آبائه . فى هذا كله يقدم بولس نفسه باعتباره منهم .

(٢) لكن الجزء الثانى من كلامه يظهر أوجه الخلاف بينه وبينهم والفارق العظيم بينه وبينهم أنه شاهد المسيح مخلص العالم . والله محب نفوس الناس . لقد عرف سامعوه الله كمحب لليهود وحدهم . وهو فى كلامه يحاول أن يوسع امتيازات الله لتشمل العالم كله وهذا ما رآه تجديفاً وخطية لأنهم أرادوا أن يخصوا أنفسهم فقط بالله . فالفرق العظيم بينهم وبينه أنه رأى المسيح وجهاً لوجه . وهذا يفسر لنا معنى القداسة . فالقديس أو المقدس هو المفرز أو المنفصل وليس معنى الإنفصال الإنتقال إلى الحياة الأخرى .

فكأن بولس فى دفاعه أظهر ناحيتين فهو من ناحية واحد منهم ومن ناحية أخرى فهو منفصل عنهم ولو أنه يعيش بينهم لكن الله أفرزه لمهمة خاصة . وهذه هى حياة المسيحى . فهو يعيش فى العالم لكن الله أفرزه لمهمة خاصة . فهو من الناس لكنه منفصل عنهم .

بولس يكمل قصة حياته

(أع ٢٢ : ١١ — ٢١)

ويؤكد بولس مرة أخرى أنه واحد من اليهود الذين يسمعونه فعندما وصل إلى دمشق قابله حنانيا رجل مكرس يحترمه اليهود قال بولس كل هذا ليبعد عن نفسه تهمة أنه رجل مرتد أو خائن فهو لم يقصد تحطيم إيمان آبائه بل تحقيقه وتكميله . وهنا نجد فصلاً من القصص الملخصة المختصرة التى كان يكتبها لوقا . فإذا قرأنا أع ٩ ، غل ١ سنكتشف أن بولس ذهب إلى أورشليم بعد ثلاث سنوات

من ذهابه للعربية وشهادته فى دمشق . ففى أع ٩ نجد أنه ترك أورشليم لأن حياته كانت فى خطر من اليهود الغاضبين عليه . ولكننا نجد هنا أنه ترك أورشليم بناء على رؤيا . ولا تعارض بين القصتين . فهى قصة واحدة تروى من زاويتين مختلفتين . وقد أراد بولس أن يثبت هنا أنه لم يرد أن يترك اليهود . وعندما أمره الله بالخروج من أورشليم عارضه بولس قائلا إن حياته السابقة سيكون لها تأثيرها الكبير لكن الله قال له « إن اليهود لا يقبلون شهادتك عنى » ثم قال لى « إذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيداً » إذاً فبولس سار على نفس النهج الذى سار عليه سيده يسوع الذى « جاء إلى خاصته أما خاصته فلم تقبله » (يو ١ : ١١) وبولس يقول بالحرف الواحد « إن عندى لكم عطية لا تقدر بثمن لكنكم لا تريدون أن تأخذوها لذلك فإنها تعطى للأمم » إذاً فهو لم يكره اليهود بل هم الذين كرهوه ورفضوه .

وعدد ١٤ يعتبر ملخص لا لحياة بولس فقط بل لحياة كل مسيحى وهو يشتمل على ثلاثة نقاط :

(١) لتعلم مشيئة الله . إن أول هدف للمسيحى أن يعرف إرادة الله ويطيعها .

(٢) وتبصر البار : إن هدف الحياة المسيحية أن تعيش كل يوم فى حضرة الله . إن لسان حال المسيحى دائماً « سيدى أنا أرى يسوع » .

(٣) وتسمع صوتاً من الله : يقال عن واعظ عظيم أنه كان يتوقف من حين لآخر وكأنه يسمع صوتاً . إن المسيحى يسمع دائماً صوت الله (أعلى من صوت العالم) ليخبره أين يذهب وماذا يفعل .

معارضة مريرة

(أع ٢٢ : ٢٢ ــ ٣٠)

عند ذكر كلمة الأمم هاج الجمع مرة أخرى . ولم يكن اعتراضهم على تبشير الأمم لكنهم كانوا يعترضون على تمتع الأمم بالامتيازات التى يمنحها الله دون أن يتهودوا أولاً ويختتنوا ويسيروا بحسب الناموس . لو نادى بولس باليهودية للأمم لسار كل شىء على ما يرام لكن لأنه علم الأمم عن نعمة المسيحية هاج عليه اليهود .

وقد عبروا عن سخطهم بالطريقة الشرقية بأن صرخوا ولوحوا بالملابس وأثاروا التراب فى الجو .

لم يفهم الأمير الآرامية التى كلم بها بولس اليهود لكنه كان يعرف شيئاً واحداً أنه يجب أن يقضى على أية فتنة وأن يعاقب أى مثير للفتنة . لذا قرر أن يفحص بولس بالضرب ولم تكن هذه عقوبة لكنها أبسط طريقة ليجبر الشخص على الاعتراف . وكان الضرب بالجلدة وهى عبارة عن سوط من الجلد فى نهايته قطع من الرصاص . وقليلون كانوا يحتملون الضرب بهذه الطريقة وكثيرون ماتوا من جرائه . وكان المذنب يربط إلى قطعة من الخشب ويبقى ظهره محنياً ووجهه إلى أسفل .

عندئذ تكلم بولس قائلا إنه لا يجوز جلد-إنسان رومانى . قال شيشرون « إن ربط رومانى بالسلاسل عمل شائن أما ضربه فجريمة أما قتله فهى جريمة تعادل قتل الابن لأبيه » لذلك صرح بولس أنه مواطن رومانى . وقد خاف الأمير جداً . ولم يكن بولس مجرد مواطن بل إنه ولد حراً أما الأمير فقد اشترى حريته وأخذ الرعوية الرومانية بنقوده . لقد تأكد الأمير أنه كان على وشك ارتكاب خطأ يؤدى إلى طرده من وظيفته لذلك حله الأمير من ربطه وقرر أن يقدمه إلى السنهدريم حتى يعرف سر المشكلة .

لقد كان بولس يعتد بكرامته فى مناسبات كثيرة لكن لا لأجل نفسه . إنه يعلم أن رسالته لم تنته بعد . فلماذا يصبح شهيداً ؟ أو لماذا يلقى بنفسه إلى الموت . إنه يعرف أنه سيقدم حياته يوماً لأجل المسيح فلماذا يلقى بنفسه إلى الموت دون داع .

الاصحاح الثالث والعشرون

خطة بولس

(أع ٢٣ : ١ — ١٠)

يقف بولس أمام السنهدريم دون خوف وكأنه قائد يحرق الكبارى من خلفه وبدأ خطابه بتحد واضح « أيها الرجال الأخوة » وبذلك وضع نفسه على نفس مستوى أعضاء السنهدريم . وكان المعتاد أن يبدأ المتكلم بالقول « أيها القادة شيوخ إسرائيل » ولكن عندما أمر رئيس الكهنة بضربه فقد تعدى الناموس .

فالشريعة تنص على أن « من يضرب إسرائيلياً على وجهه فقد أهان مجد الله » وكذلك « من يضرب رجلاً يعتدى على جلال الله » لذلك استدار له بولس ولقبه بالحائط المبيض . فقد كان لمس جسد ميت نجاسة لذلك جرت العادة أن تدهن القبور باللون الأبيض حتى لا يلمس أى إنسان حائطا مبيضاً خطأ . وهذا معنى ما قاله بولس أيها الحائط المبيض . وقد كان سب الرئيس جريمة « لا تلعن رئيساً فى شعبك » خر ٢٢ : ٢٨ وقد كان بولس يعرف يقيناً أن حنانيا هو رئيس الكهنة لكن حنانيا كان صيته سيئاً . فقد كان معروفاً عنه أنه لص شره وخائن يعمل لمصلحة الدولة الرومانية . وبولس كان يعنى بإجابته أنه يرى أن الشخص الجالس فى مكان رئيس الكهنة لا يمكن أن يشغل هذه الوظيفة أو يستحقها . ثم انتقل بولس إلى موضوع كان يعلم أنه سيجعل أعضاء السنهدريم ينصتون إليه بكليتهم . فأعضاء السنهدريم كانوا من الفريسيين والصدوقيين وقد كانوا متضادين فى عقيدتهم . فالفريسيون يؤمنون فى تفاصيل الناموس اللفظى بينما لا يؤمن الصدوقيون إلا بالناموس المكتوب . الفريسيون يؤمنون بقضاء الله والقصد الإلهى والصدوقيون يؤمنون بحرية الإرادة . الفريسيون يؤمنون بالملائكة والروح بينما ينكرها الصدوقيون وأخيراً فإن الفريسيين يؤمنون بقيامة الأموات بينما لا يصدقها الصدوقيون . لذلك أعلن بولس أنه فريسى وأنه يحاكم على رجاء القيامة وعندئذ انقسم السنهدريم على نفسه وحدثت منازعة خاف الأمير من نتائجها على بولس لذلك أخذه إلى المعسكر .

كان بولس يحارب بكل وسيلة حتى آخر رمق فى حياته .

إكتشاف مكيدة

(أع ٢٣ : ١١ — ٢٤)

هنا نجد شيئين : نجد أولاً الأبعاد التى وصل إليها اليهود للتخلص من بولس . ففى ظروف معينة كان اليهود يعتبرون القتل مباحاً . فهم يبيحون قتل الشخص إذا كان خطراً على حياة الناس أو على أخلاقهم . لذلك أقسم أربعون شخصاً أن يقتلوا بولس . وكان القسم يقول « ليلعننى الله إذا

فشلت فى فعل هذا » وهؤلاء الناس أقسموا ألا يأكلوا أو يشربوا حتى يقتلوا بولس . لكن لحسن الحظ فشلت خطتهم نتيجة إكتشافها بواسطة ابن أخت بولس .

ثم نجد ثانياً مقدار اهتمام الدولة الرومانية بالعدالة . كان بولس مجرد سجين لكنه كان مواطناً رومانياً لذلك أرسل الأمير فرقة كبيرة من الجنود يمكن أن نسميها جيشاً صغيراً حتى يتأكد من وصول بولس بسلام إلى قيصرية ليحاكم أمام فيلكس .

غريب أن نجد هذا التناقض بين كراهية اليهود وتعصبهم الهستيرى ضد بولس — وهم شعب الله المختار — وبين هدوء وحكمة وعدل الأمير الرومانى وهو أممى فى نظر اليهود .

رسالة الأمير

(أع ٢٣ : ٢٥ — ٣٥)

لم يكن كرسى الحكومة الرومانية فى أورشليم بل فى قيصرية . وكان هيرودس الكبير قد بنى مقر الحكومة هناك . وقد كتب كلوديوس ليسياس رسالة محايدة تمثل منتهى العدالة فى وصف القضية وحملها الفرسان معهم مسافة ٦٠ ميلاً من أورشليم إلى قيصرية . أما انتيباتريس فكانت تبعد ٢٥ ميلاً من أورشليم . والمسافة حتى أنتيباتريس كانت خطرة لأنها مأهولة بالسكان اليهود أما باقى المسافة فكانت تسير فى وديان متسعة يسكنها الأمم . لذلك رجع الجزء الرئيسى من القوات عند أنتيباتريس ولم يرافقه إلا الفرسان فقط باعتبار أن فيهم الكفاية لتوصيله . وكان اسم الوالى الذى أرسل إليه بولس هو فيلكس . وقد حكم اليهودية مدة خمس سنوات (بعد أن حكم السامرة مدة سنتين) وبعد سنتين أخرتين طرد من وظيفته . لقد بدأ حياته عبداً . وكان أخوه مقرباً لنيرون . وهذه الخطوة مكنت فيلكس أن يحصل على حريته ثم أن يرقى إلى وظيفة حاكم . وبذلك أصبح أول عبد فى التاريخ الرومانى يصل إلى مرتبة حاكم ولاية . قال عنه المؤرخ الرومانى تاسيتوس « لقد كان يمارس وظيفة الحاكم بروح العبد » وقد تزوج بثلاث أميرات واحدة بعد الأخرى . اسم الأولى غير معروف أما الثانية فكانت حفيدة لأنطونيو وكليوباترا أما الثالثة فكانت دروسلا ابنة هيرودس أغريباس الأول . وقد كان رجلاً كثير الشك لا يتورع أن يستأجر أناساً ليقتل أقرب المقربين إليه . كان على بولس أن يواجه رجلاً كهذا عندما ذهب إلى قيصرية .

الاصحاح الرابع والعشرون

خطاب تملق وتهمة باطلة

(أع ٢٤ : ١ ـــ ٩)

بدأ ترتلس خطابه بمقدمة كلها تملق وكان كل من فيلكس وترتلس يعلمان جيداً أن كل كلمة من هذا الكلام كذب ونفاق . ثم تطرق إلى الحديث عن أشياء غير حقيقية أيضاً . فقد إدعى أن اليهود قبضوا على بولس مع أن ما حدث فى الهيكل كان أقرب إلى حادث اغتيال منه إلى حادث قبض على بولس . والتهمة التى وجهها إلى بولس لم تكن صحيحة بالمرة . وكانت التهمة مثلثة :

١ ـــ بولس رجل مفسد ومهيج فتنة . وهذا جعل بولس مساوياً لكثيرين من مثيرى الفتن الذين كانوا يهيجون الشعب من وقت لآخر . وكان ترتلس يعلم تماماً أن الشيء الوحيد الذى لا تتسامح فيه الدولة الرومانية هو إثارة الشغب إذ كانت الدولة مترامية الأطراف وكان أى شغب فى أى مكان من الدولة كفيلاً بإشعال نار التمرد فى الدولة كلها . وكان ترتلس يعلم أن هذه التهمة باطلة لكنها فى نظره طريقة فعالة أكيدة .

٢ ـــ بولس هو قائد شيعة الناصريين . وهذا يجعل بولس واحداً ممن كانوا يدعون أنهم المسيا . والدولة الرومانية تعلم ماذا كان يعنى هذا فإن هؤلاء الأدعياء كانوا يثيرون الناس حتى كانت الدولة الرومانية تضطر لإراقة الدماء لإخماد هذه الحركات . وطبيعى أن روما لم تكن ترضى بفعل كهذا وكان ترتلس يعلم أنها تهمة باطلة لكنها فعالة أيضاً .

٣ ـــ بولس ينجس الهيكل . كان الكهنة من الصدوقيين وهم الجماعة الموالية لروما والمتعاونة معها . ومعنى تنجيس الهيكل انتهاك حرمة الكهنة وقوانينهم . وقد كان ترتلس يأمل أن يتحيز الرومان للجماعة الموالية لهم .

والخلاصة أن هذه التهم الثلاث كانت فى منتهى الخطورة لأنها سلسلة أجزاء من الحقيقة أو من حقائق ملتوية وهى أسوأ من الأكاذيب .

دفاع بولس

(أع ٢٤ : ١٠ ـــ ٢١)

فى الجملة التى يقول فيها « قوم هم يهود من آسيا .. عدد ١٨ » نجد بولس يخطىء خطأً نحوياً . فقد بدأ يقول شيئاً وفى منتصف الكلام غير الجملة إلى كلام آخر مما جعل الجملة غير مترابطة. لكن عدم الترابط يرينا صورة حية لما كان عليه بولس من انفعال . فدفاع بولس دفاع رجل حى الضمير وهو لا يكذب بل يوضح الحقائق فقط وهو يبين أن مأساة القبض عليه حدثت بينما كان

آتياً ومعه عطايا للفقراء فى أورشليم بل بينما كان ينفذ الناموس اليهودى فى الهيكل . ومن الحقائق العظيمة عن بولس أنه كان يدافع عن نفسه بقوة وحماس وأحياناً بلمحة من احترام النفس لكننا لا نجد أبداً لهجة رثاء الذات أو المرارة . ولو استخدمهما لكان أمراً طبيعياً لرجل أساء الناس تفسير أعظم أعماله وقسوا عليه .

كلام صريح لحاكم خاطىء

(أع ٢٤ : ٢٢ ــ ٢٧)

لم يكن فيلكس قاسياً على بولس لكن بعض أحاديث بولس وإشاراته أثارت الرعب فى قلبه . جاء فيلكس مع زوجته دروسللا وهى ابنة هيرودس أغريباس الأول كما ذكرنا . وقد كانت متزوجة من ملك اسمه أزيزوس (Azizus) ملك إميسا (EMESA) لكن تمكن فيلكس بمساعدة ساحر اسمه أتوموس من إقناعها بترك زوجها والزواج منه . ومن العجيب أن فيلكس إرتعب عندما حدثه بولس بمطالب الله الأخلاقية . ظل بولس فى السجن سنتين وكان فيلكس يستحضره مراراً ويتكلم معه . كان هناك نقاش هل قيصرية يهودية أم يونانية . واختصم اليهود واليونانيون وتقاتلوا بالخناجر وكانت النصرة لليهود فأنزل فيلكس قواته وأمرهم بمساعدة الأمميين . فمات آلاف من اليهود وتم بموافقة فيلكس وتنفيذاً لأوامره نهب وسلب بيوت اليهود الأغنياء فى المدينة . لذلك لجأ اليهود إلى الشكوى إلى روما من الحاكم . لهذا ترك فيلكس بولس فى السجن لأنه أراد إسترضاء اليهود . لكنه لم ينتفع شيئاً إذ طرد من منصبه . ولولا مركز أخيه لحوكم . وهكذا يذكر فيلكس فى التاريخ رمزاً للخزى ويذكر فى العهد الجديد بحادث يدل على عدم النزاهة إذ ترك بولس فى السجن مع أنه كان فى إمكانه إطلاق سراحه .

الاصحاح الخامس والعشرون

أرفع شكواى الى قيصر

(أع ٢٥ : ١ ــ ١٢)

كان فستوس شخصية مختلفة عن فيلكس . ورغم أننا لا نعرف إلا القليل عنه لكن ما نعرفه يبين لنا أنه كان رجلاً عادلاً ومستقيماً . توفى بعد سنتين فقط من الولاية لكنه مات واسمه نظيف وسمعته طيبة . أراد اليهود أن يستفيدوا من وجوده فحاولوا أن يغروه لكى يرسل بولس إلى أورشليم ونظموا خطة لقتله فى الطريق لكن فستوس الرومانى العادل طلب منهم الحضور إلى قيصرية ليقدموا شكواهم . ومن رد بولس نستنتج مدى دهاء وخطورة الاتهامات التى وجهها اليهود ضده . فقد اتهموه بالهرطقة وتدنيس المقدسات وإثارة الفتن . وبغض النظر عن القانون الرومانى فإن التهمة الأولى كانت صحيحة من وجهة نظرهم . أما التهمتان الثانية والثالثة فهما محض افتراء . ولم يكن فستوس يرغب فى الوقوف ضد اليهود فى الأيام الأولى لتولى الحكم فعرض مشروعاً وسيطاً . هل يرغب بولس أن يذهب إلى أورشليم للمحاكمة هناك بينما يقف هو مراقباً للمحاكمة العادلة ؟ لكن بولس كان متأكداً أن المحاكمة بالنسبة له لن تكون عادلة فى أورشليم . لذلك اتخذ قراراً خطيراً . فقد كان من حق المواطن الرومانى إذا أحس بأن محاكمته غير عادلة أن يرفع قضيته إلى روما مباشرة . ولم يكن مثل هذا الطلب يرفض إلا إذا كان المتهم قاتلاً أو لصاً أمسك فى ذات الفعل . فإذا رفع المتهم شكواه إلى قيصر توقف اجراءات محاكمته ويرسل إلى روما ليحاكم أمام قيصر شخصياً . لذلك عندما نطق بولس بالقول « إلى قيصر أنا رافع دعواى » لم يكن أمام فستوس إلا أن يرسله إلى روما فالدعوى صحيحة . وهكذا تحقق لبولس ما لم يكن يحلم به وهو العودة إلى روما .

فستوس وأغريباس

(أع ٢٥ : ١٣ ــ ٢١)

كان أغريباس حاكماً لمنطقة صغيرة من فلسطين تشمل الجليل وبيريه لكنه كان يعلم أنه سيظل يحكم هذه المنطقة الصغيرة طالما كان الحكم الرومانى راضياً عنه . فهم الذين عينوه وهم الذين يستطيعون طرده بسهولة . لذلك تعود أن يزور الحاكم الرومانى الجديد لإظهار ولائه . وكانت برنيكى أخت دروسللا زوجة فيلكس وكانت أخت أغريباس نفسه . عرف فستوس أن أغريباس يعرف كل شيء عن عقيدة اليهود ومماراساتهم لذلك اقترح عليه أن يدرس قضية بولس معه . لذلك قدم لأغريباس ملخصاً لأهم وقائع القضية كما عرفها وقتئذ . وبذا تهيأت الفرصة أمام بولس ليعرض قضيته ويشهد أمام ملك هو أغريباس . قال يسوع « وتساقون أمام ولاة ، وملوك من أجلى » (مت ١٠ : ١٨) وقد تحققت هذه النبوة العجيبة . لكن الوعد بالمساعدة (مت ١٠ : ١٩) تحقق أيضاً بقوة .

فستوس يبحث عن مادة لتقريره

(أع ٢٥ : ٢٢ ــ ٢٧)

وجد فستوس نفسه فى موقف محرج . فقد جرى العرف أنه إذا رفع أحد دعواه إلى قيصر يرسل إلى هناك ومعه تقرير كتابى عن الوقائع والتهم المنسوبة إليه . ولكن فستوس وجد أنه لا توجد تهمة حقيقية (بحسب معلوماته) يمكن أن يذكرها . لذلك عقد هذا الاجتماع ليجد تهمة . ولا نجد فى كل العهد الجديد قصة درامية كهذه . فقد دخل أغريباس وبرنيكى فى ثيابهما القرمزية الملكية والتيجان الذهبية على رأسيهما . ولاشك أن فستوس أيضاً ليتمشى مع الموقف لبس أيضاً ملابس الحكام المخصصة لمثل هذه المناسبات . ولابد أنه جلس من حولهم الحاشية وعدد من وجهاء اليهود . وبجوار فستوس وقف قادة القوات المتمركزة فى قيصرية . وخلفهم وقفت مجموعة من الجنود الرومان طوال القامة للحراسة . إلى هذا المنظر الرهيب جاء بولس هذا اليهودى الصغير صانع الخيام ووقف ويداه فى السلاسل ولكن ما أن بدأ يتكلم حتى رأيناه سيد الموقف . إذا كان المسيح فى القلب والله على اليمين فإننا نعرف سر القوة فممن يخاف إذاً ؟

الاصحاح السادس والعشرون

دفاع رجل متجدد

(أع ٢٦ : ١ ــ ١١)

من الأمور العجيبة عن شخصيات العهد الجديد أنهم لم يخجلوا قط من ذكر حالتهم الأولى . ففى حضرة الملك يتكلم بولس بكل صراحة ويعترف أنه يوماً ما حاول القضاء على اسم يسوع وعلى المسيحيين . كان برونلو نورث (Brownlow North) يعيش حياة بعيدة كل البعد عن المسيحية ثم تجدد وصار واعظاً شهيراً . تلقى مرة خطاباً من شخص مجهول (قبل صعوده إلى المنبر مباشرة) يهدده فيه بإفشاء سر عمل بشع قذر عمله إذا قام ووعظ . فما كان من برونلو إلا أن وقف على المنبر وقرأ الخطاب علانية وقص قصة الحادثة المعينة واعترف بها جهاراً لكنه قال « كان هذا قبل تجديدى ولكن المسيح غيرنى تماماً وهو مستعد أن يغير أى واحد منكم الآن » ويقول دنى Denney إن أعظم أثر للمسيحية أنها تغير الأشرار إلى أناس طيبين . إن المسيحيين لا يخجلون أبداً من أن يجعلوا من أنفسهم مثالاً حياً لقوة المسيح المغيرة . فالإنجيل بالنسبة لهم ليس مجرد كلمات ولا عقائد عقلية لكنه قوة الله للخلاص . حقاً إن الإنسان لا يستطيع أن يغير نفسه لكن ما فشل فيه الإنسان يستطيع يسوع المسيح أن يعمله فى الإنسان .

ويجب أن نلتفت إلى أن مركز رسالة بولس هنا هو القيامة . فإن قصته وشهادته ليست عن إنسان كان حياً ثم مات بل عن إله مجيد حى . كان بولس يعتبر كل يوم فى حياته عيداً للقيامة .

الخضوع للدعوة للخدمة

(أع ٢٦ : ١٢ ــ ١٨)

هنا نجد فصلاً ممتعاً .

(١) فكلمة رسول باليونانية تعنى شخص مرسل للأمام . فالسفير المرسل من بلده يعتبر رسولاً ومن الطريف أن الشخص الموفد من السنهدريم فى مهمة كان يسمى رسولاً للسنهدريم . وهكذا نجد بولس يبدأ حياته كرسول للسنهدريم اليهودى وينهيها كرسول ليسوع المسيح .

(٢) كان بولس يسرع الخطى فى طريقه إلى دمشق فى منتصف النهار . ونحن نعلم أن المسافر كان يستريح فى نصف النهار ما لم يكن مستعجلاً جداً لقضاء أمر هام . وهذا يوضح لنا شخصية بولس وهو رسول للقتل ولاشك أنه كان يحاول إخماد الشكوك التى ثارت فى نفسه .

(٣) قال المسيح المقام لبولس « صعب عليك أن ترفس مناخس » كان الثور الذى يوضع تحت النير لأول مرة يرفس محاولات الإفلات من النير وكان صاحبه يمد عصاة طويلة فى آخرها جزء حاد فكان كل مرة يرفس يتألم من المنخاس . وكذلك فى العربة توضع مناخس خلف رجل الحصان

حتى إذا ما رفس يتألم أيضاً ويجرح نفسه . كان على الثور الصغير أن يتعلم الطاعة والخضوع للنير القاسى وكذلك كان على بولس أن يتعلم الخضوع والطاعة .

وفى العددين ١٧ ، ١٨ نجد ملخصاً وافياً لما يصنعه المسيح للإنسان .

(أ) يفتح عينه . فعندما يدخل المسيح إلى القلب يجعل الإنسان يرى ما لم يره من قبل . والعيون التى كانت مرتبطة بالأرض لا ترى غيرها تنظر فجأة أمجاد السماء . والعيون التى كانت مركزة على الذات تنظر فجأة بكل حب إلى الآخرين .

(ب) يحوله من الظلمة إلى النور . قبل أن يتقابل الإنسان مع المسيح يكون كمن ضل الطريق لأنه أدار ظهره للنور فهو يسير فى الظلال . لكن بعد معرفة المسيح يسير فى النور لذلك فهو يعرف طريقه جيداً .

(ج) يحوله من قبضة الشيطان إلى سلطان الله . فبعدما كان عبداً للشيطان يصبح إبناً لله . ويتمتع بكل سلطان الله أن يصير ابناً لله مجيداً لا عبداً للخطية .

(د) يعطيه غفراناً من الخطية ونصيباً مع المقدسين : بالنسبة للماضى فإن سلطان الخطية قد كسر وبالنسبة للمستقبل فإن الحياة تخلق من جديد وتتطهر . وبذلك يتخلص الإنسان من الخوف من الماضى ومن المستقبل .

قبول المهمة

(أع ٢٦ : ١٩ ــ ٢٣)

نجد فى هذا الفصل ملخصاً حياً لعظة بولس .

(١) فقد دعا الناس للتوبة . ومعنى التوبة تغيير الفكر . فالإنسان يكتشف أن الحياة التى يحياها خاطئة ويبدأ حياة جديدة بمفاهيم وقيم جديدة . إنها تعنى أيضاً اكتشاف أن الحياة يجب أن تتغير . إذاً فالتوبة تعنى شيئين :

أولا : الأسف : إنه أسف من عمق القلب عن الحياة التى عشناها وعن الأعمال التى عملناها .
وثانياً : تصميم . نعمم أن نتغير بنعمة المسيح . فهى تشمل قطع ربط الماضى وتخصيص النفس لله .

(٢) دعا الناس أن يرجعوا لله . كثيراً ما نعطى الله القفا لا الوجه وربما نفعل ذلك دون تفكير أو إدراك أو لأننا باختيارنا ذهبنا إلى الكورة البعيدة . لكن مهما كان السبب فالنتيجة أننا يجب أن نواجه الله الذى نسيناه أو استبعدناه من حياتنا وأن نجعله الشخص الوحيد الذى يملك على حياتنا ويشبع كل قلوبنا ، فالله الذى كان لا شىء بالنسبة لنا يصبح كل شىء لنا .

(٣) دعا الناس أن يعملوا أعمالاً تليق بالتوبة . إن برهان التوبة والعودة إلى الله هو الحياة الجديدة ، لكن يجب أن نلاحظ أن هذه الحياة الجديدة والأعمال الجديدة ليست نتيجة لتنفيذ قوانين جديدة لكنها نتيجة الحب الجديد . إنها نتيجة طبيعية لاكتشاف الإنسان . فعندما يكتشف الإنسان مدى حب الله له فى المسيح يسوع لا يملك إلا أن يقول « لا يمكن أن أبقى كما أنا . يجب أن أضع حياتى كلها لأصبح مستحقاً لهذا الحب » وهو يعرف الآن أنه عندما يخطىء فهو لا يكسر قوانين الله بل يكسر قلب الله .

ملك يتأثر

(أع ٢٦ : ٢٤ — ٣٢)

مع أن ما ذكر فى هذا الفصل ليس كثيراً لكن القارىء يجد فى الصورة العامة أشياء كثيرة تثير الإهتمام . كان بولس سجيناً وقد ظهر أمامهم والسلاسل فى يديه كما ذكر فى كلامه . لكن الصورة العامة ترينا بولس الشخصية المسيطرة على الموقف . وفستوس لا يخاطبه كمجرم . لاشك أنه يعرف تاريخ بولس كأحد الربيين المدققين ولابد أنه رأى الغرفة التى يقيم فيها بولس والرقوق مبعثرة فيها هنا وهناك . لم يكن بولس بالنسبة له مجرماً لكن كان فى نظره رجل غير متزن لكثرة القراءة . وعندما يكلم بولس أغريباس فإننا نحس أنه هو الذى يحاكم لا بولس . وفى النهاية نجد هذه الجماعة تصدر حكمها بأن بولس لا يستحق المحاكمة لا فى روما ولا فى غيرها . وكل القصة توضح مدى قوة شخصية بولس . فقد كان هذا الرجل يتمتع بشخصية قوية تفوق أية شخصية أخرى فى المجتمع . إن كلمة قوة فى اليونانية هى كلمة ديناميت . إن الإنسان الذى يتمتع بالمسيح فى قلبه وبالمسيح المقام عن يمينه لا يخاف من أى إنسان . إن جلال الله يكسوه ولهذا فإن أية شخصية أخرى تصبح باهتة بجانبه .

الاصحاح السابع والعشرون

الرحلة الأخيرة

(أع ٢٧ : ١ ــ ٨)

يدأ بولس رحلته الأخيرة . وهناك شيئان شجعاه فى رحلته . أولهما معاملة يوليوس قائد المئة لبولس أثناء الرحلة. فقد عامله برفق وتقدير زائدين ولم يكن مجرد مجاملة . وكان يوليوس من كتيبة أغسطس وربما كانت وظيفته ضابط اتصال بين الإمبراطور وأمراء المقاطعات . فإن كان كذلك فلابد أنه كان رجلا خبيراً ومركزه عظيم فى الجيش . وغالباً عندما واجه بولس يوليوس عرف كل منهما فى الآخر شخصية الرجل الشجاع . أما المشجع الثانى فهو إخلاص أرسترخس . قيل إن أرسترخس لم يكن مسموحاً له بمرافقة بولس ما لم يعلن أنه عبد لبولس . ومن المحتمل جداً أن أرسترخس فضل أن يصبح عبداً لبولس عن أن يتركه . حقاً ليس حب أعظم من هذا .

بدأت الرحلة بحذاء الشاطىء إلى صيدا . وكان الميناء الثانى هو ميرا ، لكن الرحلة كانت صعبة . فقد كانت الرياح السائدة فى ذلك الوقت من السنة رياح غربية ولم تستطع السفينة أن تصل إلى ميرا إلا بالمرور بجانب قبرص ثم اتخاذ طريق متعرج إلى الشاطىء . وفى ميرا وجدوا سفينة من الإسكندرية مسافرة إلى روما . ربما كانت سفينة غلال فقد كانت مصر مصدر تصدير الغلال إلى ايطاليا . فإذا نظرنا إلى الخريطة يمكننا أن نتصور مدى طول المسافة التى كان يجب أن تبحرها ، ولكن الرياح الغربية جعلت السفر فى خط مستقيم مستحيلاً . فإذا أرادت السفينة الوصول إلى إيطاليا مباشرة كان عليها أن تبحر عبر بحر إيجه لكن الرياح جعلت هذا الطريق مستحيلاً . وبعد صراع شديد أياماً عديدة ضد الرياح سارت السفينة بحذاء جزيرة كريت إلى ميناء صغير يدعى (الموانى الحسنة) .

خطر فى البحر

(أع ٢٧ : ٩ ــ ٢٠)

يظهر أن بولس كان أكثر المسافرين خبرة بالبحر . إن الصوم المشار إليه هنا هو يوم الكفارة اليهودى وفى تلك السنة كان يقع فى النصف الأول من أكتوبر وطبقاً لنظام الملاحة فى ذلك الوقت كان السفر خطراً بعد شهر سبتمبر ومستحيلاً ابتداء من شهر نوفمبر . ويجب أن نذكر أن السفن القديمة لم يكن فيها أجهزة مثل البوصلة أو جهاز رصد النجوم المسمى السدس لذلك لم يكن أمام السفينة فى الجو الغائم أو فى الليل أية طريقة لمعرفة الطريق وقد نصحهم بولس أن يقضوا الشتاء فى الموانى الحسنة حيث وصلوا لكن ربان السفينة كان يريد توصيل حمولة السفينة مع القمح إلى روما ، وكانت الكلمة الأخيرة للفصل فى الموضوع لقائد المئة . ومن الغريب أن بولس السجين

كانت له الحرية أن يدلى برأيه . لكن الموانى الحسنة لم تكن مكاناً مناسباً لقضاء الشتاء حيث كانت بعيدة عن أية مدينة يمكن الإلتجاء فيها شتاء . لذلك رفض قائد المئة مشورة بولس وسمع لرأى الربان وسمح بالسفر إلى فينيقية حيث الإمكانات أفضل والمدينة أكبر . وقامت رياح جنوبية غير متوقعة جعلت تنفيذ الخطة ميسوراً . وبعدئذ واجهتهم ريح عاتية من الشمال الشرقى بل عاصفة هوجاء عرضت السفينة لخطر دفعها إلى رمال جزيرة سيرتسى شمال أفريقيا وكانت تعتبر مقبرة للسفن . ثم جهزوا قارب النجاة الذى كان مربوطاً خلف السفينة لاستخدامه فى حالة غرق السفينة أو تحطيمها . ثم بدأوا يلقون كل ما يمكن الاستغناء عنه من بضائع وأمتعة لتخفيف حمولة السفينة . ولما كانت السماء ملبدة بالغيوم فإنهم لن يستطيعوا تحديد مكانهم بالضبط وبدأوا يخافون من رمال السيرتسى حتى فقدوا كل رجاء .

لا تخافوا

(أع ٢٧ : ٢١ — ٢٦)

كان الخطر محدقاً بالسفينة . وكانت السفن التى تحمل الغلال سفناً كبيرة فقد كان طولها حوالى ١٤٠ قدماً وعرضها حوالى ٣٦ قدماً وعمقها حوالى ٣٣ قدماً . لكن هذه السفن الكبيرة لها عيوبها أمام العواصف العاتية فقد كان من الصعب قيادتها فى تلك الظروف وكان لها قلع واحد كبير لا ينفع فى تلك الظروف أيضاً لصعوبة توجيهه بل إن هذا القلع الكبير كان يكسر الصارى الخشبى الذى يحمله ويندفع إلى البحر . لذا أنزلوا القلوع ، وهكذا أصبحت السفينة وكأنها حزمة كبيرة تتقاذفها الأمواج . ويمكن تصور مقدار الخطر فى هذه الحالة . عندئذ حدث شىء عجيب فقد أخذ بولس قيادة الموقف . وصار السجين قبطاناً فهو الرجل الوحيد الذى صار يملك قدراً من الشجاعة . يحكى أن ملاحى إحدى السفن شعروا بخوف عظيم عندما أحسوا بأن سفينتهم تقودهم إلى المجهول وجاءوا الى قائد السفينة سير همفرى وطلبوا منه الرجوع لكنه أبى وقال « أنا أشعر أنى قريب جداً من الله وأنا فى البحر كما فى أى وقت وأنا على اليابسة » . إن رجل الله هو الشخص الذى لا تفارقه شجاعته حتى ولو غزا الخوف قلوب الآخرين وهو قائد للآخرين لأن الله قائده .

رجاء فى هذا اليوم

(أع ٢٧ : ٢٧ — ٣٨)

لم يعد البحارة يتحكمون فى السفينة وكانت السفينة طافية عبر الإدرياتيك . ولم يستطع البحارة — نسبة للغيوم — أن يحددوا موقعهم . وفى الظلام سمعوا صوت ارتطام بالشاطىء فألقوا بمراسى السفينة ليخففوا من سرعتها حتى لا تتحطم على الصخور التى لا يرونها . وقد فكر الملاحون فى الهرب باستخدام قارب النجاة لأنه لا يفيد ٢٦٠ راكباً لكن بولس أفسد خطتهم فقد قرر أن ركاب السفينة إما أن يموتوا معاً أو ينجوا معاً . ثم أمر بولس جميع الركاب أن يأكلوا وهنا نرى

جانباً إنسانياً طيباً . كان بولس رجل الرؤى كما أنه كان رجل الله لكنه كان أيضاً رجلا عملياً . لم يكن عنده أدنى شك أن الله سيعمل عملاً لكنه كان يعلم أيضاً أن الإنسان يجب أن يقوم بالدور الذى عليه . إن بولس يختلف عن بعض الناس الذين يقال عنهم إنهم ذوو عقول كبيرة لدرجة أنه لا يمكن الاستفادة بهم . فقد كان يعلم أن الناس الذين لم يأكلوا غير أكفاء للعمل . لذلك جمع كل المسافرين وجعلهم يأكلون . وإذ نقرأ القصة نجد أنهم بعدما أكلوا وفى وسط العاصفة ساد سلام عجيب . إن رجل الله استطاع بطريقة ما أن يجعل الآخرين يحسون أن الله ممسك بزمام الأمور . إن أفيد الناس للمجتمع هم أولئك الشجعان الذين يساعدون الآخرين أن يتشجعوا وأولئك المتزنون الذين يقدمون للناس سر الثقة . كان بولس مثالاً فى هذا المجال وكل أتباع يسوع يجب أن يكونوا ثابتين عندما يفقد الناس اتزانهم .

نجاة من الموت

(أع ٢٧ : ٣٩ ــ ٤٤)

تظهر شخصية قائد المئة المثالية مرة أخرى فى هذا الفصل . فقد أراد الجنود أن يقتلوا المساجين لئلا يهربوا وكان لهم عذرهم فى ذلك . لأن القانون الرومانى كان يحاكم الحارس فى حالة هرب السجين بنفس العقوبة التى كان يستحقها السجين الهارب . لكن قائد المئة تدخل فى الأمر ومنع قتل المساجين خوفاً على بولس . وتنتهى القصة بنهاية مريحة « فهكذا حدث أن الجميع نجوا » والحقيقة أنهم كانوا مديونين بحياتهم لبولس . حقاً لو لم يكن بولس أعظم رسول لكان واحداً من أبرع رجال الأعمال الذين عرفهم التاريخ . لأن بولس كان رجلاً بكل ما فى هذه الكلمة من معانى .

الاصحاح الثامن والعشرون

مرحباً فى مالطة

(أع ٢٨ : ١ ــ ٦)

طُرح بولس ورفقاؤه على جزيرة مالطة . ويدعو الكتاب أهل مالطة البرابرة والمقصود بهذا اللفظ الذين يتحدثون بلغة غير مفهومة (أى لغة تختلف عن اللغة اليونانية الجميلة) . وهذا الفصل يلقى ضوءاً آخر على شخصية بولس الذى لا يستطيع أن يبقى بدون عمل ، فقد قام بجمع الأخشاب وأشعلها وهنا نرى شخصية الرجل العملى كما أنه الشخصية التى لا تخجل من عمل أى شىء مهما كان صغيراً (كجمع الأخشاب) لفائدة الجماعة . يحكى عن بوكر واشنجتن أنه سار مئات الأميال على قدميه ليصل إلى جامعة من الجامعات القليلة التى كانت تقبل الزنوج ولكنه فوجىء بأنه لا مكان له وعرضوا عليه أن يعمل خادماً بالكلية لتجهيز فراش الطلبة وكنس الغرف فلم يتكبر بل قبل الوظيفة وبعد قليل قبلوه فى الدراسة كطالب ونجح فى دراسته وتفوق حتى صار من أعظم العلماء . إن صغار النفوس هم الذين يرفضون الأعمال الصغيرة . ونرى أيضاً صورة شخصية بولس الرجل الهادىء الذى لا ينفعل ولا يضطرب فمن بين الأخشاب خرجت أفعى تحركت بفعل الحرارة ونشبت فى يده . ويقول البعض إن الأفعى كانت غير سامة ويقول الآخرون إنه نفضها إلى النار قبل أن تتمكن منه ولكن الكتاب يبين أنها نشبت فى يده لكن المهم أنه تصرف بسرعة وكأن شيئاً لم يكن . ورأى أهل مالطة المعجزة بأنفسهم . ولم يكن بولس ذلك النوع من الرجال الذى يصنع من الحبة قبة .

يتلقى المعونة ويساعد الآخرين

(أع ٢٨ : ٧ ــ ١٠)

إن كلمة مقدم الجزيرة تعنى حاكم الجزيرة وكان اسمه بوبليوس وقد كان هو الحاكم من قبل روما . كان أبوه مريضاً واستطاع بولس أن يشفيه . وفى عدد ٩ نجد أن الباقين الذين بهم أمراض فى الجزيرة كانوا يأتون ويشفون وربما كان لوقا الطبيب الحبيب يعالج وبولس يصلى . فإن كان هذا الرأى الذى نادى به بعض علماء اللاهوت صحيحاً فإن هذا يعطينا صورة جميلة للإرساليات الطبية وتكون هذه أول إرسالية طبية ورد ذكرها فى التاريخ . وهنا ملاحظة يجدر بنا ذكرها . ففى الوقت الذى كان فيه بولس يشفى الآخرين كان هو يعانى من شوكة الجسد . فقد شفى آخرين لكنه لم يستطع أن يشفى نفسه . ما أشبه هذا بما قاله اليهود عن المسيح خلص آخرين لكنه لم يقدر أن يخلص نفسه . ما أكثر الذين يقدمون لآخرين عطايا بينما هم محرومون منها . فبيتهوفن مثلاً قدم للعالم أروع موسيقى بينما حرم من سماعها لأنه كان أصماً . ومن عجائب النعمة أن مثل هؤلاء الناس لم يعيشوا

متذمرين مرى النفس بل قبلوا أن يكونوا الواسطة التى توصيل للآخرين عطايا لم يستطيعوا أن يشاركوهم فيها .

وصلنا الى روما

(أع ٢٨ : ١١ ــ ١٥)

وبعد ثلاثة شهور بدأ بولس وركاب السفينة الغارقة رحلتهم إلى روما من جديد على سفينة قمح كانت تقضى الشتاء فى الجزيرة . وكان لكل سفينة تمثال صغير على مقدمتها وكان تمثال هذه السفينة هو الجوزاء . وكانت الرحلة الجديدة ممتازة عكس رحلتهم السابقة . وبوطيولى هى ميناء روما . ولابد أن بولس كان واجف القلب عندما وصل إلى حدود روما عاصمة الدنيا . كيف يتأتى ليهودى ، خيام بسيط ، أن يحضر إلى أعظم مدن العالم ؟ إلى الشمال كان ميناء ميسينا حيث كان يوجد الأسطول الرومانى ولما نظر بولس إلى هذا الأسطول العظيم لاشك أنه دار بخلده مقدار قوة روما وسلطانها . وعلى جانب آخر كان شاطىء للأغنياء مزدحم بالناس وعدد منهم يركب اليخوت الصغيرة للنزهة .

وبوطبولى كانت ميناءاً عظيماً مزدحماً يطلق عليها ليفربول العصر القديم ولابد أن قلب بولس انقبض من كل هذه المظاهر وهو واقف وحيداً يواجه روما ولكنه لم تطل وحدته فقد حضر وفد من المسيحيين من بلدتى فورن أبيوس والثلاثة حوانيت وهما بلدتان على الطريق إلى روما . ومن العجيب أن الكلمة اليونانية المستخدمة لوصف هذا اللقاء هى نفس الكلمة التى تستخدم لوصف لقاء الأباطرة والملوك ولقد حضرت الوفود للقاء بولس باعتباره أحد عظماء العالم . وشكر بولس الله وتشجع . ماذا شجع بولس ورفع روحه المعنوية ؟ والجواب واضح . لقد تحقق فجأة أنه ليس وحيداً . إن المسيحى لا يمكن أن يكون وحيداً . (١) فهو يحس بسحابة الشهود غير المنظورة التى تحيط به . وهو يحس أنه يسير إثر خطوات جميع القديسين الذين ينظرون إليه من علٍ (٢) إنه يحس أنه عضو فى جماعة عالمية . إنه عضو فى الكنيسة كنيسة المسيح التى حدودها العالم كله . وحيثما يذهب يجد نفسه محاطاً بهم يحس معهم أنه فى بيته . (٣) إنه يحس أنه حيثما ذهب هناك الله . إعتاد الناس قديماً أن يرسموا خريطة العالم وأن يكتبوا على الأماكن المجهولة فيها « هنا تسكن التنانين ــ وهنا الرمال الحارقة » أما المسيحى فيستطيع أن يكتب على أى مكان « هنا يوجد الله » (٤) كان متأكداً أن المسيح المقام معه ، كان يحفظ الوعد « ها أنا معكم كل الأيام » وهو وعد ممن لا يخلف وعداً .

يهود لا يتجاوبون

(أع ٢٨ : ١٦ ــ ٢٩)

من العجيب أن بولس ــ حيثما حل وحتى نهاية حياته ــ كان يبدأ باليهود . لقد ظلوا يقاومونه بكل الطرق مدة تزيد على ثلاثين سنة وحاولوا أن يهدموا عمله بل أن يقتلوه ، لكنه رغم كل ذلك كان يقدم الرسالة لهم أولاً . هل يوجد مثل أعظم من ذلك للرجاء الذى لا ينتهى والحب الذى لا يقهر ؟ لقد بدأ رسالته حتى فى روما باليهود أولا . لكنه فى النهاية توصل إلى النتيجة المكتوبة فى سفر إشعياء . وهذه النتيجة تعنى أن رفض اليهود للمسيح هو الذى فتح الباب أمام الأمم . هناك قصد فى كل شيء . فالله ممسك بدفة كل الأمور . وفى كل سفر الأعمال نرى هذين المنظرين المختلفى الشعور العظيم للألم إذ يقبلون المسيح والمأساة العظيمة لليهود إذ يرفضون المسيح . لكن فى اقتصاديات الله وكيميائه العجيبة أن المأساة هى سبب الانتصار العظيم للأمم . والباب الذى أغلقه اليهود هو الباب الذى فتح للأمم . لكن ليس هذا الموقف هو نهاية الأمر . ففى النهاية سيكون هناك قطيع واحد لراع واحد .

بكل مجاهرة بلا مانع

(أع ٢٨ : ٣٠ ، ٣١)

ظل بولس حتى آخر أيام حياته هو هو لم يتغير . يقول الكتاب إنه أقام سنتين كاملتين فى بيت استأجره لنفسه . والمعنى الحقيقى أن بولس كان ينفق على نفسه وأنه كان يعمل فى السجن بيديه ليسد كل احتياجاته ولم يكن عبئاً على أحد ، لم يعتمد على أى إنسان حتى النهاية . ولم يبق فى السجن بلا عمل بل كتب رسائل إلى فيلبى وأفسس وكولوسى وفليمون ولم يبق وحيداً . فقد حضر معه لوقا وأرسترخس وظل لوقا معه حتى النهاية (٢ تيمو ٤ : ١١) وتردد عليه تيموثاوس وبقى معه كثيراً (فيلبى ١ : ١ ، كو ١ : ١ ، فليمون ١) وأحياناً كان تيخيكس يحضر إليه (أف ٦ : ٢١) . وظل أبفرودتس معه وقتاً (فيلبى ٤ : ١٨) كما حضر إليه مرقس (كو ٤ : ١٠) ولم يضع بولس وقته بل قال للفيلبيين « إن أمورى قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل » (فيلبى ١ : ١٢) ، وذلك لأن « وثقى صارت ظاهرة فى كل دار الولاية وفى باقى الأماكن أجمع » (فيلبى ١ : ١٣) . والمقصود بدار الولاية مركز الحراسة . لقد كان يقيم فى سكنه الخاص لكن كان يلازمه ليل نهار جندى رومانى (٢٨ : ١٦) . كان هؤلاء الجنود فى البوليس الخاص بالإمبراطور . وفى خلال سنتين قضى بعضهم أياماً وليالى كثيرة مع بولس . ولم يكن بولس يضيع هذه الفرص . فقد كان يقضى النهار والليل يتحدث إلى الجندى الحارس ولابد أنه فى مرات كثيرة كان يعود الجندى الحارس بعد انتهاء دوره والمسيح فى قلبه . وهكذا يصل بنا سفر الأعمال إلى صيحة النصر . ففى اليونانية نجد كلمة بلا مانع تأتى وكأنها صيحة النصر إنها قمة قصة لوقا . ونحن نتعجب لماذا لم

يهتم لوقا بكتابة ما حدث لبولس . هل أطلق سراحه أم قتل ؟ لكن لم يكن هذا هدف لوقا . ففى أول السفر نرى لوقا يوضح الخطة التى سار عليها فى كتابة سفر الأعمال إذ قال إن المسيح أمر تلاميذه أن يبشروا فى أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض (أع ١ : ٨) .. فالقصة انتهت ، القصة التى بدأت فى أورشليم منذ أكثر من ثلاثين سنة مضت إنتهت فى روما . إنها معجزة من الله فالكنيسة التى بدأت فى أورشليم بأفراد يعدون على الأصابع تعد الآن بعشرات الألوف . وقصة الناصرى المصلوب اكتسحت العالم بلا مانع ونودى بها فى روما عاصمة الدنيا . لقد وصل الإنجيل إلى مركز العالم وينادى به بكل مجاهرة . وهكذا تنتهى مهمة لوقا .

الرسالة الى أهل رومية

تمهيد

يعتقد كثيرون أن رسالة رومية أعظم أسفار العهد الجديد . والواقع أنها أعظم الأسفار تأثيراً على اللاهوت البروتستانتى ، كما أنها أعظم الأسفار التى تحتوى على فكر بولس الرسول . وليست هذه الرسالة سهلة ولا بسيطة ، فإن بولس يقود فيها قارئه إلى أعماق الإيمان المسيحى ، وكثيراً ما تتوالى أفكاره فى تتابع يصعب تتبعه . على أنه مهما كانت الرسالة صعبة على الدرس والفهم ، فإن مجازاة درسها عظيمة . وكل ما أرجوه أن يكون هناك كثيرون راغبين فى بذل نشاط فكرى وهم يسبحون إلى أعماق هذا السفر الرائع .

وقد بذل كثيرون جهدهم لكتابة تفسير على رسالة رومية ، منهم وساندى ، أ . هيدلام ، تشارلس دود ، إ . جيفورد ، ك كيرك ، جيمس دينى ، كارل بارت ، أندرس نيجرين . والكاتب مدين بالأخص للمفسرين الثلاثة : دود — ساندى — هيدلام .

ولقد كان إختباراً رائعاً لى أن أعيش مع فكر بولس الرسول خلال الشهور التى كتبت فيها هذا التفسير ، وكل ما أرجوه هو أن تشرق أفكار بولس ، من خلال هذه الصفحات ، على القارىء الذى يرغب فى الوصول إلى قلب « إنجيل بولس » .

وليم باركلى

مقدمة عامة لرسائل بولس

رسائل بولس :

رسائل بولس من أمتع كتابات العهد الجديد ، لأن كتابة رسالة تحمل الطابع الشخصى . وقد كتب ديمتريوس ، أحد النقاد القدامى قائلاً : « يظهر كل واحد منا نفسه فى رسائله .. ويستطيع القارىء أن يرى شخصية الكاتب فى كتاباته ، لكنه يراها أوضح ما يكون فى رسائله » . ونحن نشعر أننا نعرف بولس جيداً لأنه ترك لنا العديد من رسائله . وفى هذه الرسائل فتح بولس قلبه وعقله للناس الذين أحبهم جداً . وفي هذه الرسائل نرى عقل بولس العظيم وهو يعالج مشاكل الكنيسة الأولى ، كما نحس نبضات قلبه العامر بالحب للناس ، حتى للضالين والخاطئين !

صعوبة الرسائل :

ولكن لا يخفى أن أصعب ما يمكن فهمه هو الرسائل . ويقتبس ديمتريوس قولاً لأرتيمون الذى حرر رسائل أرسطو ، جاء فيه أن الرسالة يجب أن تكتب فى قالب حوار ، لأنه اعتبر أن الرسالة جانب واحد من الحوار . وبتعبير عصرى نقول إن قراءة رسالة تشبه الإستماع لحديث تليفونى من جانب واحد . وعلى هذا فإننا حين نقرأ رسائل بولس تواجهنا صعوبة ، فنحن لا نملك الرسالة التى يجيب عليها ، ولا نعرف بالضبط كل الظروف التى كان يعالجها . كل ما هناك أننا نستنتج الظروف التى دفعت على الكتابة .

وعلى هذا فإننا فى فهم الرسائل نواجه صعوبتين . أولهما صعوبة فهم الرسالة نفسها ، والثانية الحالة التى تعالجها الرسالة . وعلينا أن نبنى لأنفسنا صورة الظروف التى دعت للكتابة !

الرسائل القديمة :

نحن مديونون فى تفسير العهد الجديد بالكثير للكتابات التى وصلتنا على ورق البردى ، الذى كانوا يصنعونه من نبات البردى الذى كان ينمو على ضفاف النيل . وقد احتفظت صحارى مصر الجافة بأكوام من المخطوطات ، وعقود الزواج والإتفاقات القانونية والصيغ الحكومية ، فإن ورق البردى يمكن أن يبقى فى حالة ممتازة مادام بعيداً عن الرطوبة . هلى أن أكثر ما وصلنا إمتاعاً هو الرسائل الخاصة ، وجميعها مكتوبة بطريقة واحدة تقريباً .. ورسائل بولس مكتوبة بذات الطريقة التى كان الناس يكتبون بها رسائلهم كل يوم . ونورد لك هنا ترجمة لرسالة من جندى اسمه « أبيون » إلى أبيه « أبيماخوس » كتبها من « ميسينوم » ليفيد والده أنه وصل سالماً بعد رحلة عاصفة :

« أبيون يرسل تحياته القلبية لوالده وسيده أبيماخوس . أرجو فوق كل شيء أن تكون ناجحاً وصحيحاً ، وأن كل شيء يسير على ما يرام معك ومع أختى وابنتها وأخى . أشكر سيدى « سيرابيس » (يقصد إلهه) الذى حفظنى سالماً عندما كنت مسافراً بالبحر . وحالما وصلت إلى

« ميسينوم » حصلت على نفقات الرحلة من قيصر — ثلاث قطع ذهبية . وكل شيء يسير على ما يرام معي . وأرجوك ياوالدى أن تكتب لى ، لأعرف أولاً أحوالك ، ثم عن إخوتى ، وثالثاً لأقبل يدك لأنك ربيتنى تربية حسنة ، ونتيجة لها أرجو بإرادة الله أن أترقى . بلغ كابيتو سلامى القلبى وكذلك لإخوتى وسيرينيلا وأصدقائى . أرسلت لك صورة لى من رسم « أكتمون » . اسمى فى الجيش « أنطونيوس مكسيموس » . أرجو لك صحة حسنة . سيرنيوس يرسل تمنياته الطيبة ، كذلك أغاثوس (خادم ديمون) وتربو (ابن جالنيوس) » .

ولسنا نظن أن أبيون كان يعرف أننا سنقرأ رسالته التى كتبها لأبيه منذ ١٨٠٠ سنة . وهى ترينا أن الطبيعة الإنسانية لم تتغير ، فأبيون يرجو أن يرتقى بسرعة . ومن تكون سيرنييلا إلا الفتاة التى تركها ؟ وهو يرسل صورته لعائلته . ونرى فى رسالته الأقسام الآتية : (١) هناك التحية (٢) ورجاء بالصحة لمستلمى رسالته (٣) وشكر للآلهة (٤) ومحتويات ومعلومات خاصة (٥) وتحيات ختامية وسلامات شخصية . ونحن نكاد نجد هذه الأقسام الخمسة فى كل رسائل بولس . تعالوا نرى كيف فعل بولس هذا فى رسائله :

١ — التحية : رومية ١ : ١ ، ١ كورنثوس ١ : ١ ، ٢ كورنثوس ١ : ١ ، غلاطية ١ : ١ ، أفسس ١ : ١ ، فيلبى ١ : ١ ، كولوسى ١ : ١ ، ١ تسالونيكى ١ : ١ ، ٢ تسالونيكى ١ : ١ .

٢ — الرجاء (الصلاة) : فى كل حالة يطلب بولس نعمة الله لقارئيه — رومية ١ : ٧ ، ١ كورنثوس ١ : ٣ ، ٢ كورنثوس ١ : ٢ ، غلاطية ١ : ٣ ، أفسس ١ : ٢ ، فيلبى ١ : ٣ ، كولوسى ١ : ٢ ، ١ تسالونيكى ١ : ١ ، ٢ تسالونيكى ١ : ٢ .

٣ — الشكر : رومية ١ : ٨ ، ١ كورنثوس ١ : ٤ ، ٢ كورنثوس ١ : ٣ ، أفسس ١ : ٣ ، فيلبى ١ : ٣ ، ١ تسالونيكى ١ : ٣ ، ٢ تسالونيكى ١ : ٣ .

٤ — محتويات خاصة ومعلومات : وهى معظم رسالة بولس .

٥ — تحيات ختامية وسلامات شخصية : رومية ١٦ ، ١ كورنثوس ١٦ : ١٩ ، ٢ كورنثوس ١٣ : ١٣ ، فيلبى ٤ : ٢١ و ٢٢ ، كولوسى ٤ : ١٢ — ١٥ ، ١ تسالونيكى ٥ : ٢٦ .

ومن الواضح أن بولس اتبع طريقة الكتابة العادية فى عصره . ويقول العالم الشهير « دايسمان » إن رسائل بولس لا تختلف عن الرسائل المكتشفة على ورق البردى إلا فى أنها رسائل من بولس ، فإن بولس لم يكن يقصد أن يكتب وثائق لاهوتية ، ولكن حقائق روحية من صديق لأصدقائه .

حالات طارئة :

فى معظم الحالات تقريباً كتب بولس رسائله ليواجه حالات طارئة فلم يكن يجلس فى مكتبه فى هدوء وسلام ليكتب ، لكن كانت هناك حالات تهدد الكنائس فى كورنثوس وغلاطية وفيلبى وتسالونيكى . واحتاج الأمر إلى الكتابة السريعة لعلاج الحالة . وبالطبع لم يكن بولس يفكر فينا

عندما كتب ، لكنه كان يفكر فى الناس الذين كتب لهم . ويقول « دايسمان » : « لم يكن فى فكر بولس أن يضيف كتابات جديدة إلى الرسائل اليهودية الموجودة ، ولا أن يغنى الأدب الدينى فى أمته .. ولم يكن يعلم أن ما يكتبه سيحتل مكانة فى التاريخ ، بل ربما لم يفكر فى أنه سيبقى للجيل التالى ، وبالطبع لم يتوقع أن ينظر الناس إلى كتاباته ككتابات مقدسة » .

ونحن لا نرى نقصاً فى أن هذه الرسائل كتبت لمواجهة حالات طارئة ، فإن أناشيد الحب كتبت لشخص واحد ، لكن العالم كله يحبها . والحقيقة أن رسائل بولس نابضة بالحياة لأنها كتبت لتعالج حالة خاصة . ولما كانت حاجات البشر لا تتغير ، فإن الله لا زال يكلمنا فى هذه الرسائل اليوم ، فكل ما كتب كتب لأجل تعليمنا .

الكلمة الشفوية :

فى العادة لم يكتب بولس رسائله ، لكنه كان يمليها على كاتب ، وكان يوقع عليها لتأكيد صحتها . وقد كتب هؤلاء وسط الرسالة : « أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم فى الرب » (رومية ١٦ : ٢٢) . ويقول بولس : « السلام بيدى أنا بولس » (١ كورنثوس ١٦ : ٢١) وكأنه يقول إن توقيعه بالسلام علامة صحة نسبة الرسالة إليه . (قارن : كولوسى ٤ : ١٨ ، ٢ تسالونيكى ٣ : ١٧) .

وهذا يوضح لنا بعض الحقائق فى أسلوب كتابة بولس ، فبعض جمله تبدأ ولا تنتهى ، وبعضها يطول ، مع جمل اعتراضية . وسبب هذا أن بولس لم يكن جالساً على مكتبه يعيد ما يكتب ويعدله ، لكنه كان يملى بسرعة ، وسكرتيره يحاول اللحاق به فى الكتابة ! وعندما كان يملى كانت صورة المكتوب إليهم ماثلة فى ذهنه ، فكان يسكب قلبه لهم فى الكلمات التى تندفع من فمه فى محاولة لمساعدتهم . وعلى هذا فإن كتابات بولس ليست بلاغة لفظية منظومة فى عقد ، لكنها خطرات قلب عامر بالحب ، حية ، تنصب من قلبه إلى قلوب أصدقائه الذين يكتب إليهم :

مقدمة عامة لرسالة رومية

الرسالة الفريدة :

رسالة رومية تختلف عن بقية رسائل بولس فى جوها وفى أسلوبها ، ويتضح هذا الإختلاف حالما تقرأ رسالتى كورنثوس . ويعود جانب كبير من هذا الاختلاف إلى أن بولس لم يؤسس كنيسة رومية . و لم تكن تربطه بأعضائها صلة شخصية ، وعلى هذا فإن رسالة رومية تكاد تخلو من معالجة المشاكل العملية التى تملأ رسائل بولس الأخرى . ولهذا فإننا نرى لأول وهلة أن رسالة رومية رسالة عامة غير شخصية ، أو كما يصفها ديليوس بأنها « أقل رسائل بولس معالجة للحالة الآنية العاجلة » .

ورسالة رومية بحث لاهوتى . فى الرسائل الأخرى يعالج مشكلة مفاجئة عاجلة تضغط عليه ليصحح خطأ أو ليدرأ خطراً يهددان الكنيسة التى يكتب إليها ، ولكن رسالة رومية أقرب إلى مذكرة تفسيرية لموقف بولس العقائدى .

وصية ومناعة :

أطلق اثنان من أعلام المفسرين صفتين على رسالة رومية ، فقد دعاها « ساندى » : « وصية بولس » . وكأن بولس فى رومية يكتب وصيته الأخيرة التى يضمنها عقيدته وإيمانه ، فقد كانت رومية عاصمة أعظم إمبراطورية فى العالم وقتئذ ، ولم يكن بولس قد زارها ، ولم يكن يعلم إن كان سيزورها ، ولكنه فى كتابته سجّل لها عقيدته وإيمانه . أما « بورتون » فقد دعاها « مناعة » أى أنها تعطى مناعة ضد الفساد الذى يتسبب عن الأفكار الخاطئة والميول الملتوية والعقائد المضلة . ولذلك فقد كتب بولس للكنيسة الموجودة فى أعظم بلاد العالم رسالة توضح أسس الإيمان السليم ، فإذا جاءت عليها ضلالات وانحرافات فإنها تجد حقائق الإيمان السليم التى تدحض الخطأ . وقد عرف بولس أن مناعة رومية تكمن فى الإيمان الطاهر والعقيدة الصحيحة .

مناسبة كتابة الرسالة :

كانت كل حياة بولس مشغولة بروما ، وكان يتوق إلى زيارتها للوعظ فيها . وعندما كان فى أفسس خطط لزيارتها ماراً بأخائية ومكدونية ، وقال : « إنى بعدما أصير هناك ينبغى أن أرى رومية أيضاً » (أعمال ١٩ : ٢١) . وعندما سارت الأمور ضده فى أورشليم ، وبدت نهايته قريبة ، رأى رؤيا شجعته قيل عنها : « فى الليلة التالية وقف به الرب وقال : ثق يابولس لأنك كما شهدت بمالى فى أورشليم ، هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً » (أعمال ٢٣ : ١١) . ويعبر بولس عن رغبته فى زيارة المدينة العظيمة فى أول أصحاح من الرسالة إلى أهلها : « لأنى مشتاق أن أراكم لكى أمنحكم هبة روحية لثباتكم » (رومية ١ : ١١) — « فهكذا ما هو لى مستعد لتبشيركم انتم الذين فى رومية أيضاً (رومية ١: ١٥) . ويمكن أن نقول إن رومية كانت منقوشة على قلب بولس .

وعندما كتب بولس رسالته إلى رومية نحو عام ٥٨ م كان فى كورنثوس ، وكان تحقيق حلمه فى زيارة روما وشيكاً ، ولكنه لم يبلغه ، لأن كنيسة أورشليم (أم الكنائس) كانت تعانى الفقر . وخطط بولس للجمع من الكنائس الجديدة تبرعات لمساعدة الكنيسة الأم (١ كورنثوس ١٦ : ١ ، ٢ كورنثوس ٩ : ١) . وكان هذا الجمع وسيلة لمعاونة المسيحيين للتعبير العملى عن إيمانهم ، كما كان تجسيداً لفكرة الوحدة المسيحية للكنيسة ، فليست الكنيسة جماعات منعزلة ، لكنها جسد واحد ، يحس كل عضو من أعضائه بمسئوليته من جهة باقى الأعضاء . وعندما كتب بولس لرومية كان يحمل العطايا لكنيسة أورشليم وقال : « ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين » (رومية ١٥ : ٢٥) .

هدف كتابة الرسالة :

ولكن لماذا كتب بولس رسالته فى ذلك الوقت ؟

(أ) كان بولس يعلم أن زيارته لأورشليم لها مخاطرها ، فإن أعداءه فى أورشليم كثيرون ، وهو عندما يذهب إليهم يضع نفسه فى يده . ولذلك فهو يطلب صلوات كنيسة رومية لأجله « فأطلب إليكم أيها الأخوة ، بربنا يسوع المسيح ، وبمحبة الروح ، أن تجاهدوا معى فى الصلوات من أجلى إلى الله ، لكى أنقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية ، ولكى تكون خدمتى لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين » (رومية ١٥ : ٣٠ ، ٣١) .

كان بولس يجمع صلوات المؤمنين قبل القيام بمهمته الخطرة !

(ب) كان فكر بولس مليئاً بخطط جديدة لنشر الإنجيل ، وكان يريد الوصول إلى مناطق جديدة لنشر الرسالة ، فكلما رأى سفينة راسية فى مرفأ كان يريد ركوبها لتنقله إلى مكان جديد ، وكلما رأى جبلاً أراد تسلقه ليوصل قصة الصليب للذين لم يسمعوها . وفى هذا الوقت كان بولس يريد الوصول إلى أسبانيا « فمتى أكملت ذلك : وختمت لهم هذا الثمر ، فسأمضى ماراً بكم إلى أسبانيا » (رومية ١٥ : ٢٨) . « فعندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم » (رومية ١٥ : ٢٤) . فلماذا أراد بولس أن يذهب إلى أسبانيا ؟ .. كانت روما قد فتحت أسبانيا ، وشقت الطرق الموصلة إليها ، والتى لا زال بعضها موجوداً حتى اليوم . وقد لمع اسم كثيرين من الأسبان فى ذلك الوقت ، منهم « مارتيال » سيد من كتب الأبيغرام (قصيدة قصيرة مختتمة بفكرة بارعة أو ساخرة) ومنهم « لوكان » شاعر الملاحم ، ومنهم « كولو ملاّ ، وبومبونيوس ميلا » الأديبان العظيمان ، ومنهم « كونتليان » قائد الخطباء ، وفوق الكل « سنيكا » الفيلسوف الرواقى ، أستاذ نيرون ورئيس وزراء الرومان . كانت كل هذه الأسماء اللامعة فى فكر بولس .. ماذا يحدث لو أن نعمة المسيح لمست هؤلاء ؟ كان بولس يعلم أن أحداً لم يذهب بالرسالة المسيحية إلى أسبانيا ، وكان يرجو أن يفعل .

كان بولس سيد الاستراتيجية الكرازية ، وكان يرى أراضى الغرب العذر التى لم تصلها رسالة المسيح . ولكنه كان محتاجاً إلى « قاعدة » ينطلق منها بالرسالة ، كما كان محتاجاً إلى مركز للعمل . وكانت هناك قاعدة ممتازة وحيدة فى نظره ، هى مدينة روما . ولذلك كتب بولس رسالته إلى

رومية ، وحلم التوسع فى الكرازة يسيطر على كل فكره . كان يعلم أن كنيسة روما تعرف اسمه ، ولكنه كمفكر واقعى كان يعلم أن التقارير التى وصلتهم عنه ربما كانت مشوشة غير واضحة ، فقد نشر أعداؤه اتهامات كثيرة ضده ، فأراد أن يسجل إيمانه وعقيدته فى هذه الرسالة ، حتى إذا جاء الوقت ووصل إلى روما يجد كنيسة متعاطفة معه ، يجعلها قاعدة لامتداد كرازته إلى الغرب ، إلى أسبانيا . كانت هذه أفكار بولس عندما جلس فى كورنثوس عام ٥٨ م يكتب رسالته إلى كنيسة روما .

أقسام رسالة رومية :

الذى يقرأ رسالة رومية يحس أنها مكتوبة بعناية كاملة ، ويرى فيها الأقسام الرئيسية الآتية :

١ ـــ أصحاحات ١ ـــ ٨ تتحدث عن مشكلة التبرير .

٢ ـــ أصحاحات ٩ ـــ ١١ تتحدث عن مشكلة اليهود ، شعب الله المختار .

٣ ـــ أصحاحات ١٢ ـــ ١٥ تتحدث عن أمور عملية فى الحياة والسلوك .

٤ ـــ أصحاح ١٦ الذى يقدم فيه « فيبى » وتحيات شخصية .

١ ـــ عندما يتكلم بولس عن « التبرير » يقصد : **العلاقة السليمة مع الله** . فالبار هو صاحب العلاقة السليمة مع الله والذى تظهر آثار هذه العلاقة فى حياته . يبدأ بولس بمسح للعالم الوثنى (الأمم) يظهر فساده ، الأمر الذى يوضح أنه لم يجد حلاً لمشكلة البر . ثم يتحدث عن اليهود الذين أرادوا حل المشكلة بطاعة الناموس ولكنهم لم يصلوا للحل ، لأن أحداً فى العالم لا يقدر أن يطيع الناموس طاعة كاملة ، ولذلك فإن كل البشر يشعرون أنهم مديونون لله ، وأنهم تحت حكم غضبه . ويجد بولس الحل لهذه المشكلة فى الخضوع الكامل للرب وفى التسليم له . والطريقة الوحيدة التى توصل للتبرير هى أن يضع الإنسان ثقته فى كلمة الله ويلقى بنفسه تماماً على رحمته ومحبته . وهذا هو الإيمان ، الذى لا يفكر فى ما يستطيع أن يقدمه الإنسان لله ، بل فى ما يستطيع الله أن يقدمه للإنسان . وعلى هذا فبولس يقول إن الإنسان لا يمكن أن يربح رضى الله أو يشتريه ، ولكن الله فى نعمته ينعم على الإنسان برضاه ويهبه له ، وكل ما على الإنسان أن يفتح قلبه ليقبل محبة الله ، فى شكر على ما فعله الله . وليس معنى هذا أن الإنسان حر أن يفعل ما يشاء ، لكن معناه أن الإنسان يشعر بمديونيته لله ، فيجتهد أن يحيا حياة تليق بمحبة الله التى أعطته الكثير . ويحدث تغيير فى حياة الإنسان ، فلا يعود يحاول طاعة أوامر الناموس فى خوف وتثاقل ، ولا يعود يرى نفسه كمتهم أمام قاض مخيف ، لكنه يرى نفسه كمحب يقدم حياته كلها فى محبة لمن سبق فأحبه أولاً ...

٢ ـــ أما مشكلة اليهود فهى مشكلة صعبة . فمن جهة تاريخية هم شعب الله المختار ، لكن عندما جاء ابن الله إلى العالم رفضوه . فما هو تفسير هذا الرفض الذى يكسر القلب ؟ بولس يقول إن هذا عمل الله . لقد تقسَّت قلوب اليهود ، ولكن ليس كلهم ، فقد كانت تبقى دوماً « بقية

أمينة » . صحيح أنهم رفضوا ، لكن رفضهم فتح الباب أمام الأمم ليقبلوا الإيمان . وليست هذه نهاية الأمور ، فإن الأمم سيجيئون باليهود للإيمان ، فيخلص الكل . على أن بولس يوضح لليهود أنهم كانوا مخطئين عندما ظنوا أنهم شعب الله المختار ، لا لسبب إلا لأنهم ينحدرون من صلب إبرهيم ومن دمه ، ويقول : « بل إن اليهودى الحقيقى هو الذى سلم نفسه لله فى ثقة ومحبة كما فعل ابراهيم . وعلى هذا فهناك « يهود » كثيرون بالروح والحق ، ولو أنهم ليسوا من صلب ابراهيم أو نسله ، فليست اليهودية جنسية أرضية ، و « إسرائيل الله » هم كل من لهم إيمان إبراهيم وميوله واتجاهاته من نحو الله . وعلى هذا فإن شعب الله المختار هم كل من يؤمن كما آمن ابراهيم ، مهما كانت جنسيتهم أو أصلهم .

٣ ـــ أما الأصحاح الثانى عشر من رسالة رومية فهو قواعد أخلاقية سامية يمكن أن نضعها بجوار الموعظة على الجبل ، ففيه يشرح بولس قواعد الإيمان المسيحى فى السلوك . أما الأصحاحان الرابع عشر والخامس عشر فيعالجان مشكلة بعض الناس الذين رفضوا تناول بعض الأطعمة والمشروبات ، واهتموا ببعض الأيام والمناسبات . وبولس يعتبر هؤلاء « الأخوة الضعفاء » لأن إيمانهم يعتمد على أشياء خارجية . وكانت هناك جماعة متحررة الفكر حررت نفسها من كل قوانين وترتيبات . ويعتبر بولس أن هؤلاء أقوى إيماناً ، ويبين انعطافه مع هؤلاء المتحررين ، ولكنه يضع القاعدة التى تقول إننا لا يجب أن نعمل شيئاً يعثر الأخ الضعيف أو يضر إيمانه ، ولا يجب أن نفعل شيئاً يصعّب الحياة المسيحية على أى إنسان ، حتى لو اضطرنا هذا إلى أن نتنازل عن شيء نعتبره صحيحاً ، من أجل خاطر أخ ضعيف لا يجب أن نستعمل الحرية الشخصية لنؤذى حياة الآخرين أو ضمائرهم !

٤ ـــ أما الجزء الرابع فهو ختام الرسالة . وهو توصية لفيبى ، عضو كنيسة كنخريا ، المسافرة لروما . ثم تختم الرسالة بتحيات خاصة ، وبالبركة .

مشكلتان :

١ ـــ يشكل الأصحاح السادس عشر من رسالة رومية مشكلة للاهوتيين ، فقد ظن البعض أنه ليس جزءاً من رسالة رومية ، بل هو جزء من رسالة أخرى ، أُلحق برسالة رومية عند جمع الرسائل . فلماذا يظنون ذلك ؟

أولاً ، لأن بولس يذكر اسم ستة وعشرين شخصاً ، يذكر أربعة وعشرين منهم بالاسم وكأنه يعرفهم جيد المعرفة ، حتى أنه يقول عن أم روفس إنها أمه . فكيف يعرف بولس ستة وعشرين شخصاً فى كنيسة لم يزرها أبداً ولم يؤسسها ؟ إنه يحيّى فى هذه الرسالة عدداً أكبر من الذى يحييه فى أى رسالة أخرى ، مع أن قدميه لم تطئا روما .. فكيف يكون هذا ؟

لكن لو لم يكتب الرسول هذا الأصحاح لكنيسة رومية ، فلأى كنيسة أخرى كان سيكتبه ؟ ففى رومية أقام أكيلا وبريسكلا زوجته حتى طرد كلوديوس قيصر كل اليهود من روما عام ٥٢ م (أعمال ١٨ : ٢) فسافر أكيلا وزوجته إلى أفسس (أعمال ١٨ : ١٨) . ونعلم أنهما كانا فى

أفسس عندما كتب بولس رسالته لكورنثوس قبل ذهاب بولس لروما بسنتين (١ كورنثوس ١٦ : ١٩) وكانا باقيين فى أفسس حتى وقت كتابة الرسائل الرعوية (٢ تيموثاوس ٤ : ١٩) .
فإن كان بولس يكتب تحية لأكيلا وبريسكلا ، فيكون الخطاب موجهاً إلى أفسس . وقد صرف بولس وقتاً طويلاً فى أفسس عرف خلاله عدداً كبيراً ، ومن الطبيعى أن يرسل لهم تحيات كثيرة .
ثم يسلم بولس على أبينتوس حبيبه ، أول من آمن فى إقليم أخائية الذى تقع أفسس فيه . وعلى هذا فمن الأصح أن يكون الكلام هنا موجهاً إلى أفسس . ويتحدث فى رومية ١٦ : ١٧ عن « الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم » مما يدل على أن هناك عصياناً لما سبق أن علم به ، وهو لم يعلم فى روما .

يمكن أن نقول إن الأصحاح السادس عشر من رومية كان موجهاً إلى أفسس ، ولكن هذه البراهين ليست قوية كما تبدو ، فلا يوجد دليل على أن هذا الأصحاح أضيف إلى أية رسالة أخرى غير رسالة رومية . ثم إن من عادة بولس ألاّ يرسل تحيات كثيرة للكنائس التى يعرفها ، فلا تحيات شخصية فى رسائل تسالونيكى وكورنثوس وغلاطية وفيلبى ، مع أنه يعرف هذه الكنائس جيداً ..
بينما يبعث بولس تحيات كثيرة لكنيسة كولوسى التى لم يسبق له أن زارها . والسبب واضح ، فلو أرسل بولس تحيات للكنائس التى زارها لدبت الغيرة فى الأعضاء ، بينما عندما يكتب للكنائس التى لم يزرها يرغب فى تأسيس علاقات قوية مع أعضائها فيسلم عليهم ، ليكون للرسالة طابع شخصى ، وعلى هذا فقد أكثر بولس من التحيات لأهل كنيسة رومية ليؤسس معهم علاقات محبة شخصية .
ثم إن أكيلا وبريسكلا لابد عادا إلى رومية بعد ست أو سبع سنوات من طردهما ، ولابد أن هذا هو الحال نفسه مع بقية الأشخاص الذين كتب بولس التحية لهم ، فقد قابلهم فى بلاد مختلفة وعرفهم ، وعندما عادوا إلى روما أرسل لهم التحية . وعندما سندرس الأصحاح السادس عشر بالتفصيل سنرى هذا . وعليه فإننا نرى أن الأصحاح السادس عشر جزء من رسالة رومية .

٢ — وفى الرسالة مشكلة أخرى ، فإن بعض النسخ القديمة تورد « البركة » (رومية ١٦ : ٢٥ — ٢٧) فى ختام الأصحاح الرابع عشر . بينما يوردها البعض الآخر فى نهاية الرسالة ، وتورد مخطوطتان قديمتان هذه البركة مرتين ، مرة فى نهاية أصحاح ١٤ ؛ ومرة أخرى فى نهاية أصحاح ١٦ ، وتورد مخطوطة أخرى البركة فى نهاية أصحاح ١٥ ، وفى مخطوطتين أخرتين نرى مكان البركة خالياً من الكلام .

والسر الذى يفسر هذا أن رسالة رومية رسالة دورية ، ترسل إلى مجموعة من الكنائس لتقرأ فيها . ومما يبرهن هذا أن نسخة قديمة حذفت ذكر « رومية » من أصحاح ١ : ٧ و ١٥ حتى يمكن كتابة اسم الكنيسة التى ستقرأ بها الرسالة فى هذا المكان . ولقد كتب بولس فى أصحاحى ١٥ ، ١٦ حقائق تخص روما وحدها ، فعندما ترسل الرسالة إلى بلد غير رومية ، لا يحتاجون إلى أصحاحى ١٥ ، ١٦ ، يضعون « البركة » فى نهاية الأصحاح الرابع عشر . وهذا يرينا أن الكنائس منذ البدء وجدت فى رسالة رومية شرحاً لعقيدة بولس ، فلم ترغب فى أن تجعلها ملكاً لكنيسة واحدة ، فوزعتها على الكنائس المختلفة .

إن رسالة رومية تحمل رسالة بولس ولب إنجيله !

التفسير

الاصحاح الأول

دعوة ، وبشارة ، وعمل

(رومية ١ : ١ — ٧)

عندما كان بولس يكتب الرسالة إلى رومية لم يكن يعرف الذين يكتب لهم شخصياً ، ولم يكن قد زار روما أبداً ، ولكنه كان يكتب لكنيسة موجودة فى أعظم بلد فى أعظم امبراطورية فى العالم ، ولذلك اختار بولس كلماته وأفكاره بعناية تامة .

ويبدأ بولس بتقديم نفسه :

١ — يدعو نفسه « عبداً ليسوع المسيح » . وعندما يذكر كلمة « عبد » يعنى أمرين :

(١) اللقب المفضل للمسيح عند بولس هو لقب « رب » ، وهو يعنى السيد الذى يملك شخصاً أو شيئاً بغير منازع . إنها تعنى « مالك » و « سيد » بكل ما للسيادة والملكية من حقوق . أما كلمة « عبد » فهى نقيض كلمة « رب » وبولس يضع نفسه كعبد للرب يسوع ، سيده وربه . لقد أحب يسوع بولس وبذل نفسه لأجله ؛ وبولس متأكد أنه لا يخص نفسه ، ولكنه كله ليسوع . ومن هنا نرى أن كلمة « عبد » تصف الإلتزام الكامل فى المحبة .

(ب) وللكلمة معنى آخر ؛ فقد وصف عظماء رجال العهد القديم بأنهم « عبيد » فموسى عبد الرب (يشوع ١ : ٢) ويشوع عبد الرب (يشوع ٢٤ : ٢٩) . وكان لقب « العبد » هو اللقب المميز للأنبياء (عاموس ٣ : ٧ ، إرميا ٧ : ٢٥) . وعندما يقول بولس إنه عبد الرب فإنه يضع نفسه فى قائمة أنبياء الرب ، الذين جاءت عظمتهم من أنهم عبيد الرب . هكذا كان بولس . وعلى هذا فإن لقب « عبد » يصف التزام المحبة العظيمة وشرف الخدمة المجيدة .

٢ — ويدعو بولس نفسه « رسولا » ، لقد استجاب عظماء رجال العهد القديم لصوت الرب وقبلوا دعوته . سمع ابراهيم دعوة الرب (تكوين ١٢ : ١ — ٣) وقبل موسى الدعوة (خروج ٣ : ١٠) وإرميا وإشعياء صارا نبيين ؛ ضد رغبتهما الشخصية ، طاعة لدعوة الرب (إرميا ١: ٤ و ٥ ، إشعياء ٦ : ٨ و ٩) . ولم ينظر بولس لنفسه كشخص حاز شرفاً فقط ، لكن كشخص أعطى عملاً وكلف به وقد قال يسوع لأتباعه : « ليس أنتم اخترتمونى ، بل أنا اخترتكم » (يوحنا ١٥ : ١٦) . ولم يفكر بولس فى الحياة فى ضوء ما يريد أن يفعل ، لكن فى ضوء ما يريد الله له أن يفعل !

٣ — ويدعو بولس نفسه « المفرز لإنجيل الله » المخصص لنشر الأخبار المفرحة . كان بولس واعياً للتخصص المزدوج الذى خصه الله به .

(أ) خصصه الله وأفرزه لعمل خاص حتى قبل أن يولد (غلاطية ١ : ١٥) . وهناك خطة

لحياة كل إنسان ، وكل إنسان تعبير عن فكر الله ، إذ يرسله الله لهدف معين .

(ب) كما خصصه الناس وأفرزوه لعمل خلص . فى أعمال ١٣ : ٢ كلف الروح القدس قادة الكنيسة لتخصيص بولس وبرنابا لخدمة خاصة بين الأمم . كان بولس واعياً أن الله والكنيسة قد أفرزاه لعمل خاص .

٤ ـــ وكان بولس واعياً أن الله قد منحه شيئين :

(أ) منحه « نعمة » . والنعمة هبة مجانية تماماً تعطى لمن لا يستحق . فى الأيام السابقة لإيمان بولس بالمسيح كان يسعى للحصول على مدح الناس . وعلى رضى الله ، عن طريق حفظ مطاليب الناموس ، ولكنه لم يجد السلام عن هذا الطريق . وأخيراً عرف أن ما يعمله هو ليس هاماً ، لكن ما يعمله الله هو المهم ، فالناموس يوضح ما يجب على الإنسان أن يفعله ، ولكن الإنجيل يوضح ما فعله الله . وقد أدرك بولس أن الخلاص لا يعتمد على مجهود الإنسان ، بل على محبة الله التى عملت ، والكل من النعمة المجانية التى لا نستحقها .

(ب) وقد منحه الله « رسالة » وتكليفاً ، ليوصل الإنجيل للأمم . لقد اختاره الله ، لا لشرف خاص بل لمسئولية معينة ، لا لمجد بل لجهد . كان بولس فريسياً (فيلبى ٣ : ٥) والكلمة « فريسى » تعنى « مفروز » لأن الفريسى كان يعتبر نفسه معزولاً عن كل الناس ، حتى أنه لا يسمح لطرف ثوبه أن يمس إنساناً عادياً ، وكان قلبه يجزع لمجرد التفكير فى الحديث عن الله مع أحد الأمم ، فقد كان الأممى ـــ فى نظره ـــ وقوداً لنار جهنم ! لقد كان بولس من قبل فريسياً ، عزل نفسه وأفرزها ، بتعصب ، عن كل البشر العاديين . وها هو الآن ـــ بعد أن عرف المسيح ـــ يعلن أنه يجب أن ينفق حياته ويفرزها ليوصل رسالة محبة الله لكل إنسان فى كل بلد . إن المسيحية تفرزنا ، لا لامتياز ولا لمجد شخصى ، ولا لكبرياء ، بل للخدمة والتواضع والمحبة لكل الناس .

وبعد أن يقدم بولس نفسه ، يعطى ملخصاً للتعاليم الأساسية فى إنجيله . إنه إنجيل يتركز حول يسوع المسيح (آيتا ٣ : ٤) . وهو إنجيل أمرين :

(أ) **إنجيل التجسد** ، فيسوع فعلاً وحقاً هو الإنسان . وقد قال أحد مفكرى المسيحية الأولين : « صار يسوع مثلنا ليصيرنا مثله » . لم يعظ بولس عن شخص خرافى أو وهمى ، نصف إله ونصف إنسان ، ولكنه وعظ عن « ابن الله » الذى جاء من « نسل داود » .. وعظ عن ذاك الذى صار واحداً من الذين جاء ليخلصهم .

(ب) **إنجيل القيامة** . لو أن يسوع عاش حياة جميلة ومات ميتة بطولية ، وكانت هذه نهايته ، لاعتبر واحداً من الأبطال العظماء . ولكنه « الواحد المتفرد » لأنه قام . مات الباقون وانتهوا ، ولم يتركوا إلا الذكرى ، ولكن يسوع يحيا معنا بقوة وجلال وبحضور دائم .

كياسة العظمة

(رومية ١ : ٨ — ١٥)

لا زالت العاطفة الدافئة المنبعثة من هذه الفقرة الكتابية تعطر الجو بعد نحو تسعة عشر قرناً ، حتى لنحس نبضات قلب بولس العامر بالحب للكنيسة التى لم يسبق له أن رآها . وهنا تكمن مشكلة بولس فى هذه الرسالة ، فلم يسبق له أن زار روما ، ولم يكن له نصيب فى تأسيس كنيستها . وكان عليه أن يحطم الشك الذى قد يثور فى نفس قرائه ، إذ ربما يظنون أنه يتدخل فيما لا شأن له به . وعليه فإنه قبل أن يتقدم بموضوع رسالته أراد أن يحطم الحواجز التى قد تبعده عن أهل روما .

١ — فى محبة وحكمة معاً بدأ بالمدح ، فقال إنه يشكر الله على إيمانهم المسيحى المعروف فى العالم كله . بعض الناس تتجه ألسنتهم إلى الإطراء والمدح والبعض الآخر إلى الإنتقاد والذم ، بعضهم يركز نظره على الفضائل والبعض الآخر يجيل عينيه ليكتشف العيوب . لقد قيل عن توماس هاردى إنه إذا ذهب إلى حقل فإن عينيه لا تتجهان إلى الورود بل إلى أكوام السباخ ! ولكن الحقيقة هى أن علاقاتنا بالآخرين تنمو بالمدح أكثر منه بالانتقاد ، فالذين يحصلون على أفضل ما فى الآخرين هم الذين يرون أفضل ما فى الآخرين . لم يكن هناك أفضل من حضارة الإغريق ، ويقول عنها ت . و . جلوفر إنها تأسست على « الإيمان المطلق برجل الشارع » . من أعظم رجال حرب عام ١٩١٤ — ١٨ « دونالد هانكى » الذى كتب « التلميذ المسلح » فقد رأى الناس فى أفضل حال كما فى أسوأ حال ، وذات مرة كتب إلى أسرته يقول : « لو أننى خرجت سليماً من هذه الحرب لكتبت كتاباً بعنوان « الصلاح الحى » أحلل فيه الصلاح والنبل الموجودين فى الإنسان العادى ، والذى أرجو أن يجد تحقيقه وكماله فى الكنيسة » . وقد كتب دونالد هانكى مقالاً بعنوان « القبطان المحبوب » قال فيه إن هذا الرجل أخذ الجنود الخائفين وعلمهم بنفسه ، وقال : « لقد تطلع إليهم كما تطلعوا إليه ، فمنحهم الشجاعة التى جعلتهم يبذلون أفضل ما عندهم » . ولا يستطيع إنسان أن يخلص الناس إلا بعد أن يضع ثقته فيهم . صحيح أن الإنسان خاطىء يستحق الجحيم ، ولكن فى أعماقه بطلاً نائماً يستيقظ بكلمة المدح ، ولكنه يغط فى نومه يائساً لكلمات الذم . كان آيدان رسول السكسونيين ، ذلك أن ملك السكسون كان قد أرسل عام ٦٣٠ م إلى جزيرة أيونا طالباً رسولاً يبشر مملكته بالإنجيل ، فأرسلوا له رسولا عاد يتحدث عن « بربرية الإنجليز ورعونتهم ، الذين لا آداب بهم والذين يتصرفون كالمتوحشين » . وقال إن العمل بينهم بلا نتيجة . ولكن آيدان قال له : « إنك قاس عليهم أيها الأخ . كان يجب أن تقودهم بلطف معطياً إياهم لبن الدين قبل اللحوم » . وهكذا ذهب آيدان إلى هناك ، فربح بلطفه عددا كبيراً منهم للمسيح . ربح الذين خسرهم زميله المنتقد .

٢ — مع أن بولس لا يعرف أهل روما ، لكنه كان يصلى لأجلهم باستمرار . ومن المسئولية علينا أن نصلى لأجل أحبائنا وإخوتنا فى المسيح . وإليكم ما كتبه غريغوريوس النسّى فى عظة له

عن الصلاة الربانية :

« أثر الصلاة هو الوحدة مع الله ، وعندما يكون أحدنا مع الله فإنه ينفصل عن العدو . بالصلاة نحمى العفة ونتحكم فى أعصابنا ونتخلص من الأمور الباطلة ، وننسى الضرر ونغلب الحسد ، ونهزم الظلم وننتصر على الخطية . بالصلاة نحصل على الصحة الجسدية ، والأسرة السعيدة والمجتمع السليم . إنها تنعشك فى التعب وتعزيك فى الحزن . إنها فرح الفرحين وعزاء المصابين . إنها التقرب إلى الله والتأمل فى غير المنظور . إنها الاستمتاع بالحاضر والأمل فى المستقبل » .

عندما نكون منفصلين عن الناس ، وليس لدينا ما نعطيه لهم ، فإننا نقدر أن نحيطهم بقوة صلاتنا ، وبدفاعنا .

٣ ــ كان بولس فى تواضعه مستعداً أن يعطى ويأخذ . بدأ بالقول إنه يود زيارة روما ليمنحهم هبة روحية تثبت إيمانهم ، ولكنه مضى يقول إنه يرجو المجيء إلى روما ليتعزوا معا بالايمان الذى فيهم ، فيقوى كل منهم الآخر ويشجعه . كل منهم يجد نقاط قوة لنفسه فى إيمان الآخر . هناك نوعان من المعلمين ، نوع يرى نفسه أعلى ممن يعلمهم ، وعليه فإنه يخبرهم بما يجب أن يقبلوه .. والنوع الثانى يقول : « تعالوا الآن نتعلم معا » . كان بولس أعظم مفكرى الكنيسة الأولى ، لكنه عندما فكر فى الناس الذين يكتب لهم رأى أنه لا يعطى فحسب ، لكنه يأخذ أيضا . يحتاج التعليم كما يحتاج التعلم إلى تواضع .

٤ ــ العدد الرابع عشر يصعب ترجمته « إنى مديون لليونانيين والبرابرة ، للحكماء والجهلاء » . كان بولس يفكر فى شيئين عندما كتب هذا . كان مديوناً بسبب كل ما ناله من مراحم ، وكان مديونا لأنه يحب أن يبشرهم . ولكى نلخص قصده نقول « بسبب كل ما أخذته منهم ، وبسبب مسئوليتى وواجبى أن أعطيهم ، فإنى تحت التزام لكل الناس » وربما يبدو غريباً أن بولس يتكلم عن اليونانيين بينما هو يكتب للرومانيين ، ولكن العجب يزول عندما نعرف أن كلمة « اليونانيين » فى زمن بولس كانت قد فقدت معناها الإقليمى ، و لم تعد تصف إقليم اليونان ، فقد نقل الإسكندر الأكبر اللغة اليونانية والحضارة اليونانية إلى كل العالم ، فلم يعد اليونانى هو الشخص الذى يحمل الجنسية اليونانية بل الشخص الذى يعرف الفكر اليونانى . أما البربرى فتعنى حرفيا الذى يقول « بربر » أى أن كلامه قبيح وغير موسيقى ، بعكس الذى يتكلم لغة جميلة متجانسة . فاليونانى إذاً هو أى شخص يعرف الفكر اليونانى ، وقد قال أحد اليونانيين : « ربما يعثر أحد البرابرة على الحق ، ولكن اليونانى فقط هو الذى يفهمه » . وعلى هذا فإن بولس يقصد أن رسالته وصداقته ودينه والتزامه كان من جهة البسطاء ، والحكماء ، المثقفين ، المتعلمين والأميين . إن رسالته هى للعالم كله ، وكان من آماله أن يزور روما ليكرز فيها .

أخبار مفرحة تبعث على الفخر

(رومية ١ : ١٦ و ١٧)

بوصولنا إلى هاتين الآيتين تنتهى مقدمة بولس ويرتفع صوت بوق إنجيل بولس . بعض الكونشرتوات الكلاسيكية تبدأ بمجموعة نغمات سريعة متآلفة تعزف فجأة ، تتلوها النغمة التى ستكون محور الموسيقى بعد ذلك . والهدف من ذلك أن معظم الموسيقى قديماً كانت تعزف فى صالات البيوت فى اجتماعات خاصة . وعندما كان عازف البيانو يبدأ عزفه كان الناس لا يزالون يتكلمون ، فكانت النغمات السريعة الأولى تجذب انتباههم ، وبعد ذلك تبدأ الموسيقى الأساسية للكونشرتو .

وقد أراد بولس أن يبدأ اتصاله بالذين يكتب إليهم بلفت انتباههم ، وها هو يقدم فكرة لحنه الروحى . ومع أن العددين قصيران إلا أنهما يحتويان لب الإنجيل . ولذلك سنصرف معهما وقتاً أطول . فقد بدأ بولس يقول إنه يفتخر بالإنجيل الذى تشرف بإعلانه . ومن الجميل أن نفكر فى خلفية هذا القول . كان قد سجن فى فيلبى ، وطرد من تسالونيكى ، وتم تهريبه من بيرية وسخروا منه فى أثينا . وعظ فى كورنثوس حيث كانت رسالته جهالة لليونانيين وعثرة لليهود .. من هذه الخلفية العجيبة يعلن بولس فخره برسالته . كان هناك شىء فى الإنجيل جعل بولس ينتصر على كل ما يقوله الناس عنه أو يفعلونه معه .

وفى هذه الفقرة نلتقى بثلاث كلمات « بولسية » هى الأعمدة الثلاثة لفكر بولس الرسول وعقيدته :

١ ـــ هنا فكرة « **الخلاص** » (سوتريا) . كان الناس وقتها يفتشون عن الخلاص . مضى وقت كانت فيه الفلسفة اليونانية موضع التفكير . فقبل بولس بنحو خمسة قرون كان الناس يسألون : ما هى المادة الأساسية التى يتكون منها العالم ؟ كانت الفلسفة وقتها تأملية كما كانت طبيعية . ولكن عندما مضت السنون تحطمت العلامات من على الطريق ، وغزا الفاتحون البلاد المختلفة ، وهاجم الضعف الناس ، وكان على الفلسفة أن تساير التغيير ، فأصبحت فلسفة « عملية » لا « تأملية » ، و « أخلاقية » لا « طبيعية » وصار هدفها الوحيد « بناء حائط دفاعى ضد الفوضى القادمة على العالم » . وقد دعا الفيلسوف « أبكتيتوس » صالة محاضراته « مستشفى النفوس المريضة » ودعا « أبيقوريوس » تعاليمه « دواء الخلاص » . أما سنيكا ـــ المعاصر لبولس ـــ فقد قال إن كل الناس تتوقع الخلاص . وقال : « إننا نحتاج إلى يد ترفعنا إلى أعلى » وقال إن الناس يشعرون بضعفهم وعدم كفايتهم فى الأمور الهامة ، كما قال إنهم لا يجب أن يتسامحوا معه . وقال سنيكا فى أسى إن الناس يحبون رذائلهم ويكرهونها فى الوقت نفسه . فى ذلك الوقت اليائس قال أبكتيتوس إن الناس يبحثون عن السلام « لا بإعلان قيصر ، بل من الله » . ولم يحدث فى التاريخ أن الناس فتشوا عن الخلاص كما كانوا يفتشون عنه فى زمن بولس . وقد جاءت المسيحية تنادى بالخلاص ، بالقوة ، بالهروب للعالم المسكين . فتعالوا نتأمل المقصود بالخلاص :

(أ) إنه الخلاص من المرض الجسدى (متى ٩ : ٢١ ، لوقا ٨ : ٣٦) . إنه نجاة الجسد والنفس .

(ب) إنه الخلاص من الخطر (متى ٨ : ٢٥ ، ١٤ : ٣٠) . وليس هذا الخلاص بحفظ حياة الإنسان من الخطر ، لكن بمنحه الاطمئنان والأمان حتى وسط الخطر . وقد عبر روبرت بروك عن هذا فى قصيدته التى كتبها خلال الحرب العالمية الأولى بعنوان « الأمان » قال ما ترجمته « سيكون ذهابى أماناً ، لأنى أحمل سلاحاً سرياً ضد خطر الموت . فى أمان حتى لو ضاع كل الأمان . فى أمان ولو سقط الناس . وحتى لو ماتت أطرافى المسكينة فإنى فى أمان » . وقد قال براوننج شيئاً مشابهاً فى قيصدته « بارا كلسوس » : « لو أننى أنحنى فى ظلام البحر الدامس ، فما هذا إلا لفترة مؤقتة ، إذ أنى أضغط على مصباح الله القريب من صدرى ، فيضىء نوره بسرعة أو ببطء ليغزو الأسى ، فأخرج ظافراً » . وهكذا نرى أن الخلاص المسيحى يجعل الإنسان ، آمناً بالرغم من الظروف الخارجية .

(ج) إنه الخلاص من العدوى ، من العالم الأعوج الشرير (أعمال ٢ : ٤٠) . وكل من عنده هذا الخلاص يملك مطهراً إلهياً يحفظه من عدوى وفساد العالم الشرير .

(د) إنه خلاص من الضياع (متى ١٨ : ١١ ، لوقا ١٩ : ١٠) . لقد جاء يسوع ليطلب ويخلص ما قد هلك . إن الإنسان غير المخلص يسير فى الطريق الخاطىء الذى يقود للهلاك ، أما المخلص فهو الذى وجد الطريق الصحيح .

(هـ) إنه خلاص من الخطية (متى ١ : ٢١) . الإنسان كعبد مستعبد لسيد لا يقدر أن يهرب منه . إنه كالمريض الذى شخص الداء ويعرف العيب ، لكنه لا يملك العلاج . والخلاص المسيحى ينقذه من ذل الخطية .

(و) إنه خلاص من غضب الله (رومية ٥ : ٩) . وسندرس هذه الفكرة فى الفقرة التالية ، غير أننا نقول هنا إن فى العالم قانوناً أخلاقياً لا يمكننا أن نتجاهله ، وأن فى الإيمان المسيحى فكرة الدينونة . وبدون الخلاص الذى فى المسيح يقف الإنسان تحت العقوبة .

(ز) وهو خلاص أبدى ، يكمل فيما بعد الزمن ، عندما يملك المسيح بانتصار (رومية ١٣ : ١١ ، ١ كورنثوس ٤ : ٥ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١٨ ، ١ بطرس ١ : ٥) .

لقد جاء الإيمان المسيحى للعالم يعرض عليه خلاصاً ، يعطى الإنسان الأمان هنا وفى الأبدية .

٢ ــ ونجد هنا فكرة « **الإيمان** » والإيمان فى فكر بولس كلمة غنية .

(أ) إنها فى أبسط معانيها تعنى الإخلاص والأمانة . عندما كتب بولس لأهل تسالونيكى ، كان يريد أن يعرف عن « إيمانهم » بمعنى أنه كان يريد أن يعرف أمانتهم للرب وسط الاضطهادات . وهو يربط بين الصبر والإيمان (٢ تسالونيكى ١ : ٤) . فالايمان هو الاخلاص الصابر والأمانة التى تحتمل ، وهى مميزات الجندى المسيحى الحقيقى .

(ب) والإيمان يعنى الثقة والتصديق . يقول بولس إنه لو لم يكن المسيح قد قام ، فباطل إيماننا (١ كورنثوس ١٥ : ١٧) . وهذا يعنى أن إيمانهم يكون قد سقط . إن الإيمان هو تصديق أن الرسالة المسيحية رسالة صادقة .

(ج) والإيمان يعنى الديانة المسيحية . وبولس يطلب من مخالفيه أن يمتحنوا ويجربوا أنفسهم : هل هم فى الإيمان ؟ أى هل هم فى الديانة المسيحية ؟ (٢ كورنثوس ١٣ : ٥) .

(د) والإيمان يعنى الأمل والرجاء اللذين لا يسقطان « لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان » (٢ كورنثوس ٥ : ٧) .

(هـ) والإيمان يعنى القبول الكامل والتسليم المطلق ، حتى « يغامر » الإنسان بحياته فى سبيل الله ، بثقة كاملة أن يسوع صادق ، وأن الحاضر والمستقبل مضمونان فيه . وقد قال ستيفنسون : « إنى أومن بالله ، وحتى لو صحوت لأجد نفسى فى الجحيم فسأبقى واثقاً فيه » .

ويبدأ الإيمان **بالقبول** عندما يكون الإنسان مستعداً لسماع رسالة الحق ، ثم يتبع ذلك القبول العقلى ، فالإنسان يسمع أولاً ثم يوافق على أن ما سمعه حق . ولكن القبول العقلى لا يتجسد عملاً ، فقد يعرف إنسان أن شيئاً ما صحيح ، ولكنه لا يغير أعماله لتتفق مع معلوماته .. إذاً فالخطوة الأخيرة للإيمان هى تحول القبول العقلى إلى « تسليم كامل » . وعلى هذا فالإيمان هو أن يسمع الإنسان الرسالة ، فيوافق على صحتها ، ثم يلقى بحياته كلها فى التسليم العامل بهذه الرسالة .

٣ ـــ وتجد هنا فكرة « **التبرير** » وليس هناك كلمة أصعب على الفهم من هذه الكلمة فى العهد الجديد ، ومنها كلمات « بر » ، « برر » ، « بار » ، وسوف نلتقى بهذه الكلمات فى هذه الرسالة ، ولكننا هنا نضع الخطوط العريضة لفكر بولس الرسول فى هذه الكلمة .

عندما نقول « أبرر نفسى » نعنى أننا نوجد البراهين التى تظهر براءتنا وصحة تصرفنا ، فإذا بررنا أحد فهو يظهر أدلة براءتنا وصحة تصرفنا . ولكن الكلمة اليونانية المستعملة هنا لا تعنى برهنة شىء ، لكن تعنى « جعل » شخص ما شيئاً . كما تعنى « معاملة » و « اعتبار » و « حسبان » . فإذا « برر الله الخاطىء » فلا يعنى هذا أن الله وجد أدلة براءته ، كما لا تعنى أنه يجعل الخاطىء شخصاً لا يخطىء ، ولكنها تعنى **أن الله يعامل الخاطىء كأنه ليس خاطئاً بالمرة** . لا يعامله كمجرم يستحق العقاب ، بل كابن محبوب . والتبرير يعنى أن الله لا يعتبرنا ولا يحسبنا أعداء ، بل أحباء ، ولا يعاملنا كما يستحق الأشرار ، بل كما يستحق الصالحون . لا يرانا كمتعدين على الوصية مستحقين العقاب ، بل كأشخاص أحباء . وهذا جوهر الإنجيل !

وعلى هذا فالتبرير دخول فى صلة جديدة مع الله ، هى صلة المحبة والثقة والصداقة ، بدلاً من البعد والعداوة والخوف . إننا لا نعامل إلهاً يشتعل بالعقاب المخيف ، بل إلهاً يفيض بالمحبة الفادية وبالغفران . التبرير إذاً هو العلاقة الصائبة بين الله والإنسان . والإنسان المبرر هو الذى يحيا فى صلة

سليمة بالله . والفكرة الرئيسية هى أن هذا الإنسان لا يتمتع بهذه الصلة السليمة لأنه فعل شيئاً، بل لأن الله هو الذى فعل . ليس لأنه فعل ما هو مطلوب فى الناموس ، لكن لأنه ألقى نفسه بثقة كامله على رحمة الله المذهلة وعلى محبته العجيبة .

ويقول الرسول : « أما البار فبالإيمان يحيا » وما يعنيه بولس هنا هو أن الإنسان الذى يحيا فى صلة سليمة بالله ، لا يحياها بسبب عمل قام به ، لكن بسبب ثقته الكاملة فى ما عمله الأب المحب . وفى رأى بولس أن يسوع هو الذى فعل كل ما يمكن الإنسان من الدخول إلى هذه الصلة الممتازة بالله . لقد مضى الخوف وجاءت المحبة ، والإله الذى ظنه البشر عدواً هو فى الحقيقة الأب والصديق .

غضب الله

(رومية ١ : ١٨ ــ ٢٣)

فى الفقرة السابقة كان بولس يفكر فى الصلة التى يمكن أن يدخل الإنسان فيها مع الله بالإيمان ، الذى هو التسليم الكامل لله . وعلى النقيض من هذا ، يصف غضب الله الذى يقع على الإنسان الذى يعمى عينيه عن معرفة الله ، والذى يعبد أفكاره الشخصية ، كأوثان من دون الله .

ونجيء هنا إلى شيء صعب يستحق التفكير الجاد ، لأننا نلتقى هنا بفكرة غضب الله ، وهى عبارة مخيفة مزعجة ، فما هو معناها ، وماذا قصد بولس بها ؟

فى العهد القديم نصادف غضب الله ، مرتبطاً بفكرة العهد الذى قطعه الله مع البشر ، فقد كان شعب إسرائيل على علاقة خاصة بالله ، لأنه اختارهم ومنحهم صلة خاصة بنفسه تستمر طالما استمروا أمناء فى العهد معه (خروج ٢٤ : ٣ ــ ٨) . وكان هذا يعنى أمرين :

(أ) معناه أن أى تعد على الناموس يجلب غضب الرب ، لأن التعدى يكسر الصلة مع الله ويحطم العهد بين الله وبين إسرائيل . ويتحدث سفر العدد ١٦ عن عصيان قورح وداثان وأبيرام ، وفى نهايته نرى موسى يطلب من هرون عمل كفارة خاصة عن خطية الشعب لأن « الغضب قد خرج من قبل الرب » (العدد ١٦ : ٤٦) . وعندما ظل الشعب وراء عبادة البعل « حمى غضب الرب على إسرائيل » (العدد ٢٥ : ٣) .. والسبب أن إسرائيل كان على علاقة خاصة بالله فإن أى جماعة أو بلد يضايق إسرائيل فإنه يستحق غضب الله ، فقد ضايق البابليون إسرائيل ولذلك فإنه « بسبب سخط الرب لا تُسكن » (إرميا ٥٠ : ١٣) . لما كانت إسرائيل على صلة خاصة بالرب ، فإن خطأها وخطأ الغير ضدها يستحقان غضب الله .

ويجيء ذكر غضب الله فى كتابات الأنبياء بعد وضع التنبير على شيء آخر ، فقد سيطر على التفكير الدينى فكرة « الدهرين » أو « الزمانين » . « هذا الدهر » وهو الشرير ، و « الدهر الآتى » وهو الذهبى الصالح . ويفصل بين هذين الدهرين « يوم الرب العظيم » وهو يوم رعب وخوف

وعقاب يرتعب فيه العالم ويبيد الشرير ، ويعاد تكوين العالم قبل مجيء ملكوت الله . فى تلك الوقت يكون غضب الله المخيف . « هوذا يوم الرب قادم قاسياً بسخط وحمو غضب ليجعل الأرض خراباً » (إشعياء ١٣ : ٩) (بسخط رب الجنود تحرق الأرض ويكون الشعب كمأكل للنار » (إشعياء ٩ : ١٩) . ويتحدث حزقيال (٧ : ١٩) عن « يوم غضب الرب » الذى سيصبه على الأمم ، « سخطه وكل حمو غضبه » (صفنيا ٣ : ٨)

غير أن الأنبياء لم يؤجلوا غضب الله حتى يجيء يوم الدينونة المخيف ، فقد رأوا غضب الله معلن دوماً ، فعندما تكون إسرائيل عاصية ضالة عن الرب وغير مثمرة ينصب غضب الله عليها للهلاك والسبى والهزيمة . وعليه فالغضب موجود دائماً ، لكنه يصل إلى ذروته عند مجيء « يوم الرب » . وقد عبر أحد اللاهوتيين المحدثين عن ذلك بقوله : « لأن الله هو الله الطاهر ، فهو لا يطيق الشر ، ويهدف غضبه إلى إبادة هذا الشر » .

ونجد هذه الأفكار صعبة ، لأنها ترتبط فى فكرنا بالعهد القديم أكثر منه بالعهد الجديد . وحتى مارتن لوثر استصعب الفكرة ، فتحدث عن المحبة باعتبار أنها « عمل الله » وعن الغضب باعتبار أنه « عمل الله الغريب » ، فإن فكرة الغضب صعبة على الفكر المسيحى .

والآن تعالوا نتأمل كيف فهم بولس الفكرة . يقول الدكتور « دود » إن بولس يتحدث عن غضب الله لكنه لا يقول إن الله غاضب . يتحدث بولس عن محبة الله وعن أنه محب ، ويتحدث عن نعمته وعن أنه ينعم بسخاء ، ويتحدث عن أمانته ويقول إنه أمين لشعبه ، ولكنه لا يذكر أبداً أن الله غاضب رغم أنه يتحدث عن غضبه . لا بد إذاً من وجود جانب غريب للموضوع ، فهناك فرق بين صلة الله بالمحبة وصلته بالغضب . ويتحدث بولس عن غضب الله ثلاث مرات ، هنا وفى أفسس (٥ : ٦) وكولوسى (٣ : ٦) ويقول إن غضب الله يجيء على أبناء المعصية . وهو عندما يتكلم عن الغضب بعد ذلك لا يقول إنه غضب الله بل « الغضب » وكأنه قوة مبهمة فى العالم ! فيقول : الله الذى يجلب الغضب (رومية ٣ : ٥) . ويقول : « نخلص به من الغضب » (رومية ٥ : ٩) . وينصح ألا نعطى مكاناً للغضب لأن النقمة للرب (رومية ١٢: ١٩) . ويقول إن الغضب دافع للناس للطاعة (رومية ١٣ : ٥) . ولكنه يقول إن الناموس يجلب الغضب (رومية ٤ : ١٥) . ويقول إن المسيح ينقذنا من الغضب الآتى (١ تسالونيكى ١ : ١٠) . بولس هنا يتحدث عن غضب وعن يسوع الذى ينقذنا منه .

ولنرجع إلى كتابات الأنبياء الذين قالوا إنه ما لم يرجع الناس إلى الله فيسقع الغضب عليهم لا محالة ، فى الهزيمة والسبى والمصيبة التى تحل على الأمة . وهذا معناه أن الأنبياء قصدوا أن يقولوا : « إن عصيتم الرب فسيحل عليكم غضبه بالمصائب والخراب » . وقد قال حزقيال إن النفس التى تخطىء تموت (حزقيال ١٨ : ٤) . ونحن اليوم نقول الفكرة نفسها فى قالب آخر فنقول : « هناك نظام فى العالم ، وكل من يتعداه لابد أن يعانى ويقاسى ، سواء آجلا أم عاجلاً » . وهذا ما قاله المؤرخ أ . ج فراود : « هناك درس واحد يكرره التاريخ بوضوح وهو أن العالم مبنى على أسس أخلاقية ، تفيد الصالح وتضر الشرير » . وقد قال أنبياء العهد القديم إن هناك قانوناً أخلاقياً ينظم

العالم ، وهذا القانون هو غضب الله على العاصى ، وكل من يكسر القانون الأخلاقى يؤذى نفسه . فإذا تركنا لهذا الناموس فإننا لابد هالكون ، لأن النفس التى تخطىء تموت . ولكن فى هذه المشكلة التى يواجهها الإنسان يتدخل الله بمحبته ونعمته الغنية المعطية فيرفع عن الإنسان أجرة الخطيئة وينجيه من الغضب على المخطىء .

إن غضب الله عقاب للخطيئة ، وهو جزء من نسيج العالم ، ومحبة الله تنقذنا من آثار عصياننا بسبب ما فعل يسوع لأجلنا .

ويمضى بولس ليقول إن الناس لا يقدرون أن يقولوا إنهم لم يعرفوا الله ، فإنهم يقدرون أن يميزوه من خليقته . ومن الممكن أن نكتشف شخصية الإنسان من عمل يديه ، وهكذا يمكن أن نعرف عن الله من عمله . لقد عرف كتاب العهد القديم هذا ، وأصحاحات ٣٨ — ٤١ منذ سفر أيوب توضحه وهكذا يمكن أن نعرف عن الله من عمله . وقد عرف بولس هذا . فحدث الوثنيين فى لسترة به (أعمال ١٤ : ١٧) وقال ترتليان ، أحد الآباء المسيحيين الأولين : « لم تكن ريشة موسى أول من سطر معرفة الخالق ، فإن أغلبية البشر — الذين لم يسمعوا بموسى ولا يكتبه — عرفوا إله موسى ، فإن الطبيعة هى المعلم والنفس هى التلميذ ، فوردة برية واحدة ، ولا أقول وردة جميلة من بستان ، وأية صدفة على البحر ولا أقول لؤلؤة من البحر الأحمر ، وأية ريشة طائر ولا أقول ريشة طاووس ، لايمكن أن تكشف بأن خالقها شرير . إذا أريتك وردة هل تحتقر خالقها ؟ »

إننا نرى الله فى العالم ، كلام بولس صحيح .. إن الألم يتبع الخطيئة ، فإذا كسرنا قوانين الهندسة تحطم المبنى ، وإذا كسرنا قوانين الصحة تهدم الجسم . إن بولس يقول : أنظروا للعالم راقبوا تركيبه . من هذا العالم تعرفون الله . ليس للشرير عذر

ولكن بولس يتقدم إلى خطوة أخرى . ماذا فعل الخاطىء ؟ **بدل أن ينظر إلى الله نظر إلى نفسه ،** شغل نفسه وورطها فى أمور فانية ، وهو يظن أنه حكيم ، بينما هو جاهل ! لماذا ؟ لأنه جعل من أفكاره وآرائه وأعماله قانوناً للحياة ، بدل أن يجعل إرادة الله قانون الحياة . جهالة الخاطىء إذاً كامنة فى أنه جعل « الإنسان سيد كل شيء » ووجد فى آرائه الشخصية مبادىء حياته وليس فى ناموس الله لأنه نظر إلى نفسه ، لا إلى الله ، وعاش فى عالم مركزه ذاته لا الله ، وبدل أن يسير ناظراً إلى الله نظر إلى نفسه ، فأشبه إنساناً لا يرى طريقه فسقط !

وماذا كانت نتيجة هذا ؟ جاءت الوثنية ، فاستبدل الإنسان مجد الله بصور المخلوقات والحيوانات . أساس الوثنية إذاً هو « الذات » . فالإنسان يصنع صنماً يصلى له حتى ترسخ أفكاره الشخصية وتتحقق أحلامه الذاتية ، فتصير كل عبادته من أجل نفسه وليس من أجل الله .

تواجهنا هنا الحقيقة أن أساس الخطية هو وضع الذات مكان الله ، فالخطية هى أن يعبد الإنسان نفسه بدلاً من عبادة الله .

الذين لا يقدر الله أن يساعدهم

(رومية ١ : ٢٤ و ٢٥)

مفتاح هذه الفقرة هو كلمة « شهوات » التى يعرفها أرسطو بأنها « التطلع للملذات » . ويقول الرواقيون إن الشهوة هى السعى وراء الملذات مع تحدى كل معقول ! وقد عرَّفها أكليمندس الإسكندرى بأنها الاتجاه والسعى غير المعقول نحو ما يرضى الذات . الشهوة إذاً هى الرغبة المحمومة فى الممنوع ، التى تجعل الإنسان يعمل الأشياء المخجلة . وهى نوع من الجنون يدفع الإنسان لعمل أشياء ما كان ليعملها لولا أن هذه الشهوة نزعت منه كل شرف ومعقولية ولياقة . وهى دليل على أن الإنسان قد وضع قلبه على ملذات يعطيها العالم له ، لأنه قد نسى خالق هذا العالم نسياناً كاملاً ، وهى طريق الإنسان الذى انغمس تماماً فى العالم حتى فقد الإحساس بوجود الله .

ولذلك « أسلمهم الله » بمعنى أن هجرهم . وهى كلمة قاسية ، لكن هناك سببين لذلك :

١ ــ لقد أعطى الله الإنسان إرادة حرة ، والله يحترم هذه الإرادة الحرة ، ولذلك فإنه لا يتدخل فى حرية إرادة الإنسان . ويتحدث بولس عن الذين « أسلموا نفوسهم للدعارة » ، أى أنهم سلموا كل إرادتهم لها (أفسس ٤ : ١٩) . ويقول هوشع : « أفرايم موثق بالأصنام . اتركوه » (هوشع ٤ : ١٧) وهى عبارة قاسية ، ولكن الإنسان صاحب إرادة حرة ، وأمامه حرية الاختيار . ولا صلاح ولا محبة إلا فى ظل الإرادة الحرة ، فإن الخير الذى نجبر عليه ليس خيراً . وعلى هذا فإن الله لا يفعل شيئاً للإنسان الذى يدير ظهره له ، بعد أن بذل ابنه من أجلنا . وعندما يقول بولس إن الله « أسلمهم » لا يعنى أنه فى غضبه طردهم ، ولا يعنى أنه أوقع العقاب عليهم فتركهم ، ولكن المعنى أن الله تركهم ، فى حزن عليهم ، كمحب عمل كل ما يستطيعه ، فلم يقابل إلا بالرفض ! وهى تصف مشاعر أب ، أدار ابنه ظهره له ليسافر إلى بلد بعيد .. ففى قلب الأب حزن أكثر من الغضب .

٢ ــ على أن فى كلمة « أسلمهم » إدانة ، وهى نتيجة طبيعية للخطية ، فكلما أخطأ الإنسان سهل عليه أن يتمادى فى الخطأ . قد يبدأ بالخطأ وهو يدرك ما يفعله ، فتصطك أسنانه له ! ولكنه يتمادى فى الخطأ حتى لا يحس بأنه يخطىء ! وليس فى هذا عقاب يجلبه الله على الإنسان ، لكنه عقاب يجلبه الإنسان على نفسه ، فهو يجعل نفسه بانتظام عبداً للخطية . هناك أقوال عن هذا مثل « كل أداء للواجب جزاؤه واجب آخر ، وكل ارتكاب للخطية عقابه خطية أخرى » ، و « كل من يجاهد ليحفظ نفسه طاهراً يجد القوة ليزداد ، وكل من يرتكب النجاسة تنفتح أمامه أبواب الرذيلة » ، و « كل من ينصب سوراً حول نفسه يكون فى أمان ، وكل من يفرط فى نفسه ينهار » . إن أردأ ما فى الخطية أنها تلد خطية . ومن الغريب أن حرية الإرادة التى أعطاها الله لنا يمكن أن نستعملها لنصبح عبيداً للخطية ، فنسلم أنفسنا للضلال . إن الخطية كذبة كبيرة لأنها تجعل مرتكبها يظن أنه يجد السعادة ، لكنها فى النهاية تحطم الإنسان ، لنفسه وللآخرين ، فى هذا العالم وفى العالم الآتى !

عصر خزى

(رومية ١ : ٢٦ و ٢٧)

عندما نقرأ رومية ١ : ٢٦ — ٣٢ ربما يخيل لنا أن كاتبها رجل أخلاق هستيرى يبالغ فى تصوير الحالة المعاصرة له بألوان مفرطة ! ذلك أن هذه الفقرة تصف حالة انحلال خلقى قل أن وجد له نظير فى التاريخ . ولكن بولس لم يكن مبالغاً بالمرة ، ذلك أنه لم يقل شيئاً لم يذكره عن هذه الحقبة كاتب يونانى أو رومانى .

١ — كان ذلك العصر قد أفلت زمامه ، فيقول الشاعر فرجيل : « لقد اختلط الخطأ بالصواب ، فالحرب تغطى العالم كله ، وما أكثر الأخطاء . لم يعد هناك شرف فى الحارث ، والمزارع ترك الحقل بأشواكه . والخطاف (الصنارة) صار مستقيماً كحد السيف ! فى الشرق يثير نهر الفرات الحروب ، وفى الغرب يكسر الألمان والمحيطون بهم المعاهدات ويرفعون السيوف . آلهة الحرب غاضبة تثير النزاع فى كل أرجاء العالم . مركبات الحرب تشبه السيرك وهى تندفع من الأبواب مسرعة إلى الخراب . السائق يترك الخيول تجره ، والمركبة لا تنتبه لتوجيه المدير » ! لقد كان ذلك عصر عنف وخراب . وعندما يؤرخ تاسيتوس لهذه الحقبة يقول : « إنى أسجل تاريخ حقبة عامرة بمصائب ، حزينة بالحرب ، ممزقة بالتحريض على الفتنة ، متوحشة حتى فى وقت السلام .. الكل رعب وكراهية . يرتشى العبيد ليخونوا سادتهم ، والأصدقاء ليغدروا بأصدقائهم . والذى ليس له أعداء هدمه أصدقاؤه ! » . وقد كتب سوتونيوس عن حكم طيباريوس يقول : « لم يمض يوم دون إعدام أحد » . كان ذلك عصر رعب قال عنه المؤرخ ليفى : « لم تكن روما تحتمل أمراضها ، ولا حتى الأدوية لعلاجها » . وقال الشاعر بروبرتيوس : « إنى أرى روما المتكبرة تهلك ضحية نجاحها » . كان ذلك عصر إنتحار أخلاق قال عنه الكاتب الهجائى جوفينال : « لم تعد الأرض تنجب غير الأردياء والجبناء ! والله ، مهما كان شخصه ، ينظر إلى أسفل ساخراً من الناس الذين يكرههم » . كان هذا عصراً أفلت زمامه وصفه سنيكا بقوله : « عصر مضروب بالفوضى لم تعد روحه تحكم نفسها » .

٢ — كان ذلك عصر الفخفخة ، جرى فيه الماء الساخن والبارد فى حمامات روما العامة من حنفيات فضية ، فرش فيه الإمبراطور كاليجولا أرض السيرك بتراب الذهب ، قال عنه جوفينال : « الفخفخة التى تؤذى أكثر من الحرب تحوم حول روما . لا ينقصنا شر أو شهوة ما دام الفقر قد فارقنا — المال ، أصل الشر ، فاض فى أيدينا فغمرنا بالملذات العفنة » . وقال سنيكا : « المال يفسد الشرف ! لم نعد نسأل عن صحة الشىء ، بل عن كم يكلف ! » . لقد ملَّ الناس فى ذلك العصر الأمور العادية فمضوا يفتشون عن كل ما هو غريب ، فيتحدث لوكريشيوس عن « المرارة التى تفيض من منابع السرور » . ولم يعد الناس يجدون لذتهم إلا فى الجريمة أو فى المخادع حتى قال تاسيتوس : « كلما زاد الأمر خزياً زاد السرور ! » .

٣ — كان عصر فساد خلقى لا يضارع . لم تكن هناك حالة طلاق واحدة فى المائتين وخمسين سنة الأولى من الامبراطورية الرومانية . وأول طلاق حدث فيها حدث عام ٢٣٤ ق . م عندما

طلق « سبوريوس سرفيليوس روجا » زوجته . أما فى ذلك العصر فقد كانت السيدات يتزوجن ليطلقن ليتزوجن من جديد — على حد تعبير سنيكا . وكانت سيدة ذلك العصر تؤرخ السنوات « بسنة زواجها من فلان » . ويقول جوفينال إنه ليس من المعقول أن تجد آنسة عفيفة . ويقول أكلميندس الاسكندرى عن سيدة المجتمع الرومانى العادية إنها « مثل فينوس تحيط نفسها بحزام من الرذيلة » . ويتساءل جوفينال : « هل يكفى أيبرينا زواج واحد ؟ إن أردت السيطرة عليها فستكتفى بعين واحدة » . ويحكى عن سيدة تزوجت ثمانية رجال فى خمس سنوات ، كما يحكى عن « أجرينا » زوجة الإمبراطور كلوديوس التى كانت تخرج من قصرها كل ليلة لتقدم جسدها لكل راغب !

لم يقل بولس شيئاً لم يذكره مؤرخو وكتّاب هذه الحقبة . لقد كان المجتمع عفناً من قمته إلى كل جزء فيه . لقد كان أربعة عشر إمبراطوراً من أول خمسة عشر امبراطوراً فى الإمبراطرية الرومانية يمارسون الشذوذ الجنسى !

لمثل هذا المجتمع أراد بولس أن يكرز بالإنجيل ، الذى لم يكن يخجل منه . كان العالم محتاجاً إلى القوة التى تنشىء الخلاص ، وكان بولس يعرف أنه ليس مصدر آخر لهذه القوة إلا فى المسيح !

الحياة التى لم تحسب حساب الله

(رومية ١ : ٢٨ — ٣٢)

لا نكاد نجد فقرة كتابية تصف حال الإنسان الذى لا يحسب لله حساباً كما تفعل هذه الفقرة . فالله لا يرسل عقاباً على الإنسان ، ولكن الإنسان هو الذى يعاقب نفسه عندما يبتعد عن الله . فالإنسان الذى لا يبقى الله فى معرفته يجعل من نفسه نوعاً خاصاً من الناس ، تصفه هذه الفقرة الكتابية . فلننظر إلى هذه القائمة الرهيبة من الأشياء التى تدخل الحياة البعيدة عن الله !

هؤلاء الناس يفعلون أشياء لا تليق بالبشر . كان الرواقيون يتحدثون عن « الأشياء التى تليق بالبشر » كأشياء طبيعية مناسبة ، كما يتحدثون عن أشياء لا تليق . وقد قال شكسبير فى « مكبث »

« سأعمل كل ما يجعل منى رجلاً
ومن يجرؤ على مزيد فلن يكون »

فالشخص الذى لا يبقى الله فى معرفته لا يخسر التقوى فقط ، لكنه يخسر الإنسانية أيضاً ! وهنا تجىء القائمة الرهيبة :

مملوئين من كل إثم : « إثم » عكس « عدل » . والإنسان العادل هو الذى يعطى كل صاحب حق حقه ، فالأثيم هو الذى يسلب الناس والله حقوقهم . إنه الذى يقيم مذبحاً لنفسه ويجعل من نفسه مركزاً للعبادة .

مملوئين من كل شر : وهى كلمة تعنى « أكثر من ردىء » لأنها تؤذى رغبة فى الأذى نفسه .

كان اليونانيون يتحدثون عن نوع من الشر يؤذى بغير قصد . قد يكون أذاه بالغاً لكنه ليس « مزمناً » . أما الكلمة المستعملة هنا فهى تصف الشر الفعال المقصود المؤذى . وعندما كانوا يصفون امرأة بهذه الكلمة كانوا يقصدون أنها تغوى البرىء لتضيع براءته . وكانوا يلقبون بها الشيطان الذى يغوى ويهاجم بقصد تدمير براءة الإنسان وصلاحه . إنها تصف الإنسان ، لا الردىء فقط ، لكن الذى يريد أن يسحب الآخرين إلى مستواه . إنها الرداءة المدمرة !

مملوئين من كل طمع : والطمع هو الرغبة فى المزيد . والطماع هو المضروب بحب الحصول على الأكثر . إنه رذيلة عدائية تملأ نفس الذى يريد الحصول على امتيازات دون اهتمام بحقوق الآخرين ، أو حتى بالاعتبارات الإنسانية . إنه يأخذ ما لا يحق له . ويشمل الطمع نواحى كثيرة ، مثل المال والأشخاص بغض النظر عن الشرف أو الأمانة ، حتى لو أدى ذلك إلى دوس الآخرين . إنها الشهوة التى أفلتت ويسعدها أن تحصل على غير حقها . إنها الرغبة التى لا تعرف القانون !

مملوئين من كل خبث : والخبيث هو المحروم من كل صفة تجعله صالحاً ، فالقاضى الخبيث هو المحروم من معرفة القانون والخلق والاستقامة اللازمة لإصدار حكم صالح . ويقول ثيودورت إن الخبيث هو الذى تتجه نفسه إلى الأردأ ، لأن موازينه انقلبت ، فمال إلى الأسوأ واحتوى على كل رذيلة . إنه العداء إلى كل خطأ ، فنمت فى نفسه كل بذور الفساد .

مشحونين حسداً : هناك حسد حسن وحسد ردىء . فالحسن هو الذى يكشف للانسان ضعفه وتقصيره ، فيرغب فى التغيير للأفضل وللسمو . وهناك الحسد الردىء الذى يتذمر ، وعندما ينظر صاحبه إلى من هم أفضل منه يحقد عليهم . إنه العواطف الإنسانية الملتوية .

مشحونين قتلاً : لقد وسَّع يسوع معنى القتل ، فلم يعد يقتصر على العمل العنيف ، بل انسحب على الغضب والكراهية . والمسيح لا يريدنا أن نبتعد عن الغضب المتوحش فقط ، بل أن نلاشى من نفوسنا كل رغبة فى الحقد . وقد يقول أحدنا إنه لم يضرب إنسانا فى حياته ، لكن من منا يقدر أن يقول إنه لم يرد أن يضرب أحداً ؟! وقد قال توما الأكوينى : « الإنسان يعتبر العمل ، لكن الله يرى الدوافع » .

مشحونين خصاما : الخصام الذى ينتج عن الحسد والطموح والرغبة فى المركز والمكانة والشهرة . إنه ينبع من القلب الفائض بالغيرة ، وعندما يغتسل الانسان من الغيرة فإنه يكون قد تخلص من كل ما يثير الخصام . وكم نحتاج إلى نعمة إلهية لنفرح بنجاح الناس وكأنه نجاحنا .

مشحونين مكراً : وعندما تجىء الكلمة فى صيغة الفعل فى اللغة اليونانية فإنها تعنى من يخلط المعادن الثمينة بالخسيسة ومن يمزج الخمر . والماكر هو صاحب العقل الملتوى الذى لا يسلك باستقامة ، والذى ينحدر ليصل إلى ما يريده بطرق منحطة ، والذى لا يعمل أمراً إلا لغاية فى نفسه ! إنه الذى ينصب الشراك !

مشحونين سوءاً : إنه الذى يضع التركيب الأسوأ لكل شىء ، صاحب الطبيعة الفاسدة كالورم الخبيث . قال عنه أرسطو إنه الذى يفترض الأسوأ فى الناس ، وقال عنه بلنى إنه الخبيث فى التفسير ،

وقال عنه جرمى تيلور إنه « وضاعة الطبيعة التى تأخذ الأمور باليد الشريرة وتفسر الأمور بأسوأ معنى » . وربما كانت هذه الخطية أشمل خطية ، لأنها تعنى أنه فى حالة وجود تركيبين محتملين لشىء ، فإن السيىء يختار الأسوأ منهما . إنه من المحزن أن نرى كم من سمعة تمرغت فى الوحل بالنميمة عندما يفسر الناس الأمور تفسيراً سيئاً . وعندما نرى أنفسنا مجربين بهذا الخطأ لنذكر أن الله يسمع كل كلمة نقولها .

نمامين ، مفترين : هاتان الرذيلتان تصفان خطايا اللسان ، ولكنهما مختلفتان ، فالافتراء عادة يكون علنا ، أما النمام فهو الذى يغتاب سمعة الناس فى السر ، فيأخذ الإنسان فى ركن ليهمس فى أذنه بما يدمر سمعة الآخرين . كلاهما ردىء ، ولو أن الهامس أردأ .

مبغضين لله : إنه الذى يبغض الله ويتحداه ، لأنه يعلم أن الله هو الحاجز بينه وبين ملذاته ، وهو السلسلة التى تقيده فلا ينطلق حيث يريد . وهو الذى يريد أن يبعد الله ، لو أمكنه ذلك ، لأنه يعلم أن العالم من دون الله ليس حرية له فقط ، بل هو رخصة له لعمل الشر .

ثالبين : كان الإغريق يقولون إن الثالب هو الذى تهلكه محاكم الآلهة . وتحمل هذه الكلمة فكرتين (١) إنها تصف الإنسان السائر فى كبريائه حتى يتحدى الله ، وهذا ما يسبق السقوط لأن الإنسان ينسى أنه مخلوق ، فيتحدى الخالق . إنه يثق فى ثروته وقوته حتى يظن أنه قادر على الحياة بقوة نفسه . (٢) وهى تصف الإنسان القاسى المتوحش الشتام . ويقول أرسطو عنه إنه الذى يؤذى الآخرين ويحزنهم ، لا رغبة فى الانتقام ، ولا لكسب يسعى وراءه ، ولكن لمجرد السعادة بالأذى والضرر . هناك من يسعدون برؤية إنسان يجفل وهو يسمع كلمة نابية أو وهو يتألم . إنها السادية التى تفرح بأذى الآخرين لمجرد إيقاع الأذى بهم !

متعظمين : لقد وردت هذه الكلمة ثلاث مرات فى الكتاب المقدس ، ومعها أن الله يقاوم المتعظمين المتكبرين (يعقوب ٤ : ٦ ، ١ بطرس ٥ : ٥ ، أمثال ٣ : ٣٤) . ويدعو ثيوفلكات هذه الخطية « قمة كل الخطايا » . وكان ثيوفراستوس كاتباً يونانياً صوَّر شخصيات مختلفة قال فيها إن المتعظم هو الذى يحتقر كل الناس ما عدا نفسه ، وهو الذى يرفض كل عمل يطلب منه لأنه مشغول للغاية فى عمله الشخصى ، وهو لا ينظر إلى الناس فى الشارع إلا إذا كان هذا يرضيه ، وهو يدعو شخصاً ليتغذى عنده ثم لا يحضر هو بل يرسل خادمه ليأكل مع الضيف .. وهكذا فإن حياته كلها احتقار للآخرين !

مدعين أو المدعى : هو الذى يتوه فى كل واد ، ويفخر بعلاجات لم يعملها ، وبممتلكات لا يملكها . إنه الذى يتظاهر بما ليس عنده . وقال زينوفون إن المدّعى هو الذى يتظاهر أنه أغنى وأشجع من الواقع ، ويعد بما لا يستطيع الوفاء به ، وهو يهدف من هذا الادعاء إلى كسب وفائدة . ويقول ثيوفر استوس إن المدّعى هو المقتنع من غير مسوغ ، فيفتخر بصفقات تجارية لا وجود لها إلا فى خياله ، وبصلات بأشخاص مشهورين لا وجود لها ، وبإحسانات لم يقدمها أبداً . وهو يقول عن البيت الذى يسكنه إنه أصغر من اللازم ، وأنه يجب أن يشترى أكبر منه ، هادفاً إلى

إظهار نفسه بأفضل مما يجب . ولازال العالم مليئاً بالمدّعين .

مبتدعين شروراً : إنهم لا يكتفون بطرق الشر المعتادة ، لكنهم يفتشون عن طرق جديدة للشر لأنهم سئموا الطرق القديمة ، ويبحثون عن المتعة فى شر جديد !

غير طائعين للوالدين : كان اليهود واليونانيون يعتبرون طاعة الوالدين فضيلة كبرى ، وقد نصت على ذلك الوصايا العشر . وفى مطلع الإمبراطورية الرومانية كانت سلطة الأب مطلقة حتى كان له سلطان الحياة أو الموت . ويرجع التنبير على طاعة الوالدين إلى أن التسيب فى سلطة العائلة يؤدى إلى شرور كثيرة خطيرة .

بلا فهم : هذا وصف للغبى الذى لا يعلمه الاختبار . إنه الذى لا يستخدم العقل الذى منحه الله له .

بلا عهد : كانت الأمانة موضع تدبير قوى فى المجتمع الرومانى ، وكانت كلمة الإنسان قيداً له . وكان هذا محل فرق بين الرومانى واليونانى ، فقد كان اليونانى يسرق ويختلس ، ومهما تعدد المشرفون عليه فقد كان يستطيع خداعهم جميعاً ليسرق .. أما الرومانى فكان يستأمن على آلاف الوزنات بكلمة وعد أمينة فلا يفقد منه الشيء . وبولس هنا يدعو الرومانيين ليكونوا أوفياء لأخلاقهم العامة ، لا للمبادىء المسيحية فقط .

بلا حنو : والحنو هو المحبة العائلية . ولكن المحبة العائلية كانت قد بدأت تموت فى ذلك العصر ، حتى هانت فيه حياة الطفل وقيمته ، فعندما كان يولد طفل كانوا يضعونه عند قدمى أبيه . فإذا رفعه كان هذا يعنى حياته ، أما إذا أدار وجهه له فكان هذا يعنى إلقاء الطفل بعيداً . فى كل ليلة كان يلقى بثلاثين أو أربعين طفلاً فى الساحة العامة ! حتى سنيكا الرحيم قال : « إننا نقتل الكلب المريض ، ونذبح الثور الهائج ، ونعمل السكين فى البهيمة المريضة حتى لا تعدى بقية القطيع ، ونغرق الأطفال الضعفاء أو المشوهين » . كانت الروابط العائلية تتحطم !

بلا رحمة : فى ذلك العصر هانت الحياة الإنسانية ، فالسيد يقتل عبده أو يعذبه لأن العبد شيء وليس شخصاً ، وكان القانون يعطى السيد حرية التصرف الكاملة فى عبيده وفى ذات مرة تعثر عبد وهو يحمل صينية عليها أقداح من الكريستال فسقطت قدح منها وانكسر .. وأمر السيد أن يتمزق العبد إلى أشلاء ويطرح للأسماك الموجودة فى حديقة أسماك القصر لتلتهمه . وكان الرومانيون يتلذذون بتعذيب الناس ، إذ يشاهدون الناس يقتلون بعضهم !

ويذكر بولس شيئاً أخيراً عن أولئك الذين لم يبقوا الله فى معرفتهم . إن الذين يخطئون يعرفون أنهم يخطئون ، كما يعلمون أن الآخرين يدينون هذا الخطأ فيهم . ولكن أشرار ذلك العصر أخطأوا وفرحوا بالذين يخطئون وشجعوهم . ويقول جورج برنارد شو : « ما من أمة تعيش بعد أن تهجر آلهتها » وها نحن نرى بولس يرسم لنا صورة المجتمع الذى لم يبق الله فى معرفته .. وفى زمن قصير سقطت روما ! لقد سار الخراب مع الانحلال ، وانتهى بالمحو الكامل !

الاصحاح الثانى

مسئولية الامتياز

(رومية ٢ : ١ ـــ ١١)

فى هذه الفقرة الكتابية يخاطب بولس اليهود ، إذ أنه فى الأصحاح الأول رسم صورة سوداء للعالم الوثنى الذى لم يبق الله فى معرفته ، فحقت عليه دينونة الله . وكان اليهودى الذى يسمع كلمات الأصحاح الأول يوافق تماماً على كل ما قيل فيه ، فقد كانوا يعتقدون أن الله سيبيد الوثنيين بسبب خطاياهم . ولكن اليهودى لم يكن ليصدق لحظة واحدة أنه يمكن أن يقع تحت الدينونة نفسها ، لأنه كان يعتقد أنه يحتل مكانة خاصة عند الله ، وأن الله قاضى الوثنيين لكنه حامى اليهود . ولكن بولس يوضح هنا أن اليهودى خاطىء مثل الوثنى تماماً ، وأن اليهودى الذى ينتقد الوثنى ويدينه يضع نفسه تحت نفس الانتقاد ونفس الإدانة ، وأن جنسيته اليهودية لن تحميه من دينونة الله ، حيث أن الله سيقاضيه حسب عمله وليس حسب جنسيته !

على أن اليهود ظنوا أنفسهم فى مكانة خاصة عند الله ، وكانوا يقولون إن الله يحب الأمة الاسرائيلية من دون شعوب الأرض ، وأن الله سيدين الأمم بمقياس ويدين اليهود بمقياس آخر ! وكانوا يظنون أن كل اليهود سيجدون نصيباً فى العالم الآتى ، وأن إبراهيم سيجلس عند باب جهنم ليمنع إلقاء أى يهودى شرير فيها ! وفى حوار جستن مارتر مع اليهود فى كتابه « حوار مع تريفو » قال اليهودى : « إنهم نسل إبراهيم حسب الجسد ، ولذلك فإنهم حتى لو كانوا خطاة وعصاة وغير مؤمنين بالله ، فإنهم سيشتركون فى الملكوت الأبدى » . ويقول كاتب سفر الحكمة فى مقارنته لموقف الله من اليهود ومن الأمم : « لأنك جربت هؤلاء كأب إنذاراً لهم ، وأولئك ابتليتهم كملك قاس قضاء عليهم » (الحكمة ١١ : ١١) ويقول : فتؤدبنا نحن ، وتجلد أعداءنا جلداً كثيراً لكى نتذكر حلمك إذا حكمنا ، وننتظر رحمتك إذا حكم علينا » (الحكمة ١٢ : ٢٢) . لقد كان اليهودى يؤمن أن كل الناس تحت حكم الهلاك من الله ما عدا اليهود ، لا لفضيلة خاصة تحميهم ، لكن لمجرد أنهم يهود !

ولكى يعالج بولس هذه الحالة يذكّر بأربع حقائق :

١ ـــ يقول بصراحة إنهم يستهينون برحمة الله . وفى الآية الرابعة يذكر ثلاث كلمات عظيمة . إنه يسأل : « أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ؟ فلنتأمل هذه الكلمات الثلاث :

(أ) **لطفه** : يقول عنها ترنش إنها كلمة جميلة لأنها تعبر عن فكرة جميلة . وفى اليونانية توجد كلمتان تترجمان « لطف » إحداهما تصف الشخص اللطيف الذى قد يوبخ ويعاقب وينظم والأخرى تصف الرجل الذى يظهر اللطف باستمرار . وقد مارس يسوع اللطف بنوعه الأول عندما طرد باعة الحمام والصيارف من الهيكل ، كما مارس اللطف بنوعه الثانى مع المرأة الخاطئة التى مسحت

رجليه بالطيب ومع تلك التى أمسكت فى الخطية . ويقول بولس لليهود إنهم يحاولون إستغلال لطف الله .

(ب) **إمهاله :** وهى تعنى وقف العداوة والخصومة إلى حين . إنها إعطاء مهلة وفرصة يجب أن تغتنم قبل أن تضيع . ويقول بولس لليهود إنهم يظنون أنفسهم فى أمان لأن غضب الله لم يحل عليهم ، ولكن ليس معنى هذا أن الله يطلق لهم العنان ليخطئوا . إنه يعطيهم مهلة ليتوبوا ويصلحوا طرقهم ، فالإنسان لا يقدر أن يستمر فى الخطأ بدون عقوبة .

(ج) **طول أناته:**ويقول يوحنا فم الذهب إنها تصف الرجل الذى يطيل أناته رغم قدرته على الانتقام . فهو قادر على محو عدوه ولكنه فى رحمته يدعه يبقى . وبولس هنا يقول لليهود : لا تظنوا أن عدم عقاب الله لكم معناه أنه لا يقدر أن يفعل ذلك ، فليست أناته عليكم ضعف عقابه ، ولكنها برهان طول أناته . إنكم مدينون بحياتكم لطول أناة الله .

وقد قال أحد كبار المفسرين إن كل إنسان تقريباً عنده إحساس غامض وأمل مبهم أن ينجو من العقاب ، ولكن اليهود أعلنوا بصراحة أنهم معافون من عقاب الله . لقد استهانوا برحمة الله ، ويبدو أن كثيرين يشاركونهم نفس الفكر .

٢ ـــ لقد أخذ اليهود رحمة الله فرصة للشر ، بدلاً من أن يجعلوها حافزاً للتوبة ، وقد كان « هاين » أشهر من قال هذه الفكرة ، فقد أظهر ثقة فى تفكيره من جهة « العالم الآتى » . وعندما سئل عن سر هذه الثقة أجاب : « إن الله غفور رحيم » ولما سئل بعد ذلك عن سر إجابته هذه قال : « هذه وظيفة الله » .

هناك اتجاهان نحو الغفران . لنفترض أن شاباً أخطأ خطأ مخزياً ، فكسر قلب والديه . ولنفترض أنهما غفرا له . إنه يقدر أن يعمل أمراً من اثنين : قد يعود لارتكاب الخطأ نفسه معتمداً على أن الغفران سيأتيه . أو أنه سيتأثر بهذا الغفران المجانى فينفق باقى عمره فى عمل الخير . وأنه لمن المخجل أن يستغل بعض الناس الغفران فرصة للخطية وعذراً للمضى فيها ! هذا ما فعله اليهود ، ومازال البعض يعمله اليوم ، مع أن رحمة الله ومحبته لا تهدفان إلى تشجيعنا على التساهل مع الخطأ ، بل إلى كسر قلوبنا بالأسى على الخطية حتى لا نعود نخطىء أيضاً .

٣ ـــ ينبر بولس على أن الله لا يحابى ، وليس عند الله أمة واحدة أثيرة . قد يختار أمماً لعمل خاص به أو لمسئولية خاصة ، ولكن ليست هناك أمة يختصها الله بالامتيازات واللفتات الخاصة ! وربما صدق قول ملتون : « عندما يكون عند الله عمل عظيم فإنه يكلف به الإنكليز » ولكن هذا تكليف بمسئولية وليس تشريفاً بامتياز غير أن اليهود أخطأوا وهم يحسبون أنهم أهل لمكانة خاصة فى نظر الله . ولا زال الخطأ نفسه سارياً فى العالم اليوم كما نراه فى التفرقة العنصرية ، وفى الإحساس بالتعالى نحو من يدعوهم كبلنج « السلالات الأدنى التى بلا قانون » . لسنا نقول إن كل الأمم تتساوى فى المواهب أو العبقرية أو الإمكانات ، ولكننا نقول إن المتقدمين لا يجب أن ينظروا للآخرين باحتقار ، بل يجب أن يساعدوهم ليرتفعوا إلى مثل مستواهم الأعلى .

٤ — ونحتاج أن ندرس هذه الفقرة بعناية خاصة حتى ندرك الفكر البولسى . يقول البعض إن كل ما يهم بولس هو « الإيمان » وأن كل ديانة تنبر على أهمية الأعمال يجب تنحيتها جانباً لأنها تنافى روح العهد الجديد .. ولكن ليس هذا فكر بولس ، فإنه يقول إن الله سيسوى الأمور مع كل واحد كما يكون عمله ، والإيمان الذى لا يترجم عملاً هو إيمان عاطل ، بل إنه ليس إيماناً بالمرة . ويعلن بولس أن الطريقة الوحيدة التى يظهر بها الإيمان هى الأعمال الصالحة . ومن الخطورة أن نفصل بين الإيمان والأعمال ، فليس هناك إيمان لا يثمر أعمالا ، وليست هناك أعمال لا تجىء وليدة الإيمان ، فالإيمان والأعمال يسيران معاً . والله سيحاكم كل واحد حسب عمله ، وعلى هذا فمن المستحيل أن يسترخى الإنسان منا قائلاً : « أنا أؤمن وهذا يكفى » . فإن إيماننا يجب أن يظهر فى أعمالنا ، لأنه بأعمالنا نتبرر وبأعمالنا ندان .

الشريعة غير المكتوبة

(رومية ٢ : ١٢ — ١٦)

سيسهل علينا فهم هذه الفقرة لو أدركنا أن آيتى ١٤ و ١٥ جملة اعتراضية طويلة ، وحديث بولس متصل من آية ١٣ إلى آية ١٦ — وعلى هذا فيمكن أن نقرأ آية ١٢ ثم ١٦ ، وبعدها نقرأ آيتى ١٤ و ١٥ . ولعل سبب كتابة بولس الجملة الاعتراضية الطويلة هو أنه كان يملى الرسالة على سكرتيره ترتيوس (رومية ١٦ : ٢٢) ولم يكن يكتبها بنفسه .

فى هذه الفقرة يتحدث بولس عن الأمم ، بعد أن عالج قضية إحساس اليهود أنهم شعب متميز أثير عند الله . وهو هنا يقول إن الله اختص اليهود بالشريعة والناموس . ولكن قد يقول أممى : « من الواجب أن يدين الله اليهود وحدهم لأن عندهم قوانين الله ، وكان يجب أن يحسنوا التصرف ، أما نحن الأمم فسننجو من الدينونة لأننا لم نعرف ناموس الله ، ولا يجب أن نطالب بما لا نعرفه » . ورداً على هذا يقول بولس :

١ — كل إنسان يدان على ما يعرفه ، فإذا عرف الناموس دين بحسب الناموس ، وإذا لم يكن يعرفه فإنه سيدان بحسب ما يعرفه ، لأن الله عادل . وهذه إجابة على من يسألون عما جرى للناس الذين عاشوا فى العالم قبل مجىء المسيح ، فلم يسمعوا الرسالة المسيحية . والإجابة هى أن الله سيحاسب الناس على أمانتهم فى ما يعرفونه أنه الافضل ، فلن يطالب الإنسان بأكثر من عمل أفضل ما يعرفه !

٢ — ويمضى بولس ليقول إن الذين ليس عندهم ناموس مكتوب ، عندهم ناموس غير مكتوب ، فى قلوبهم — ربما ندعوه « المعرفة الغريزية للخطأ والصواب » . وكان الرواقيون يقولون إن فى العالم نواميس عاملة ، إذا كسرها الإنسان يؤذى نفسه ، مثل نواميس الصحة والأخلاق والحياة . وكان الرواقيون يدعون الناموس « الطبيعة » وكانوا يدعون الناس ليعيشوا « بحسب الطبيعة » . ويقول

بولس هنا إن فى داخل الإنسان معرفة غريزية موروثة عما يجب أن يفعله . ويوافق اليونانيون على فكرة بولس هذه ، فيقول أرسطو : « الإنسان المتحضر المتحرر الفكر يسلك كقانون لنفسه » . ويسأل بلوتارك : « من يحكم الحاكم ؟ » . ويجاوب : « القانون ملك الأموات والخالدين ، غير المسجل على أوراق بردى أو ألواح خشبية ، لكنه التفكير العاقل داخل نفس الإنسان ، الساكن فيه دائماً ، وهو لا يهجره فيعلمه القيادة » .

رأى بولس العالم منقسماً إلى قسمين : اليهود الذين أعطاهم الله ناموسه مكتوباً فاستطاعوا أن يقرأوه ، والأمم الذين لم يكن عندهم ناموس مكتوب ، ولكن الله غرس فيهم معرفة غريزية فى قلوبهم بها يميزون بين الخطأ والصواب . وكلاهما غير معفى من دينونة الله ، فليس لليهودى أن يتهرب من الدينونة بحجة أن له مكانة خاصة عند الله ، وليس للأممى أن يتهرب لأنه لا يملك ناموساً مكتوباً . فاليهودى يدان لأنه يعرف الناموس ، والأممى يدان لأنه — رغم أن الله لم يعطه ناموساً مكتوباً — إلا أنه أعطاه الضمير . فالله يدين الإنسان بقدر المعرفة التى عنده وبقدر الفرصة التى عنده ليعرف .

اليهودى الحقيقى

(رومية ٢ : ١٧ — ٢٩)

لابد أن اليهودى الذى يقرأ هذه الكلمات تصيبه الصدمة ! فهو يحسب أنه صاحب مكانة خاصة عند الله ، وأن الله يحابيه ، لا لسبب إلا لأنه من سلالة إبراهيم ، ولأن جسده يحمل علامة الختان . ولكن بولس يقدم هنا فكرة سنرجع إليها مرة ومرات ، فليست « اليهودية » مسألة جنسية أو عنصرية ، ولا صلة بينها وبين الختان ، ولكن « اليهودية » سلوك . فمثلا إن كان هناك من يدعو نفسه يهودياً لأنه سليل إبراهيم ولأنه مختون ، فهو مخطىء ... ولكن هناك أممياً لم يسمع مطلقاً عن إبراهيم ولم تخطر فكرة الختان على باله ، ومع ذلك يمكن أن ندعوه « يهودياً » . واليهودى الذى يقرأ هذه الفكرة يدعوها « بدعة وهرطقة » . ولكن بولس هنا ، وبخبطة واحدة ، يهدم أساس الفكر اليهودى فى عصره ، وهو يحذف من قائمة « اليهود » الكثيرين جداً ، ويفتح الباب لكل الأمم فى كل مكان ليصيروا « يهوداً » .

وتحوى الآية الأخيرة من هذه الفقرة « قفشة » لا يمكن ترجمتها ، فهى تقول « الذى مدحه ليس من الناس بل من الله » والقفشة هى أن الكلمة « يهودى » (من اسم يهوذا) معناها الممدوح والمحمود (راجع تكوين ٩ : ٣٥ ، ٤٩ : ٨) وبولس هنا يستخدم الجناس ، وعلى هذا فإن هذه الآية تقول شيئين (أ) إن مدح هذا الإنسان يجىء من الله لا من إنسان (ب) كما أنها تعنى أن « يهودية » هذا الإنسان تجىء من الله لا من إنسان . ويريد بولس أن يقول إن مواعيد الله ليست لشعب معين يحمل علامة خاصة على جسده ، ولكنها لكل جنس وعنصر . ولكى يصير الإنسان « يهودياً » بمعنى « ممدوحاً ومحموداً من الله » فإن صفاته يجب أن تكون حسنة . وعلى هذا فإننا نجد من الأمم من هم أفضل من اليهود !

ويقول بولس إن سلوك بعض اليهود جلب تجديف الأمم على اسم الله ومن الواضح أن اليهود فى كل حقب التاريخ ، كما لا زالوا اليوم ، أكثر الشعوب المحتقرة المكروهة . ولنتأمل فى كيف نظر الأمم إلى اليهود فى زمن العهد الجديد ... لقد قالوا إن اليهودية « خرافة بربرية » وقالوا إن الشعب اليهودى « أكثر الشعوب إثارة للقرف » وإنهم « جماعة عبيد مكروهين » . وقد أسيىء تفسير الديانة اليهودية نتيجة المكر والجهل ، فقالوا إن أصل اليهود جماعة البرص أرسلهم ملك مصر ليعملوا فى قطع الأحجار ؛ وأن موسى قاد أولئك البرص فى الصحراء إلى فلسطين ، وأنهم يعبدون رأس حمار لأن قطيعاً من الوحش قادهم إلى مكان الماء عندما كانوا مسافرين فى الصحراء ، وكانوا على وشك الموت عطشاً ، كما قالوا إنهم لا يأكلون لحم الخنزير ، لأن الخنزير معرض لمرض جلدى يسبب الحكة ، وهو المرض الجلدى الذى عانى منه اليهود فى مصر .

وقد سخر الأمميون من بعض عادات اليهود ؟ مثل الإمتناع عن أكل الخنزير ، حتى قال بلوتارك إن هذا يرجع إلى أن اليهود يعبدون الخنزير ؛ وقال الكاتب الساخر جوفينال إن الرحمة اليهودية جعلتهم يمنحون الخنازير فرصة الحياة إلى أن يصيبهم الكبر ، وأنهم يعتبرون لحم الخنزير اثمن من لحم الإنسان كما سخر من عادة تقديس « السبت » باعتبارها علامة كسل .

وبالرغم من كل هذه السخرية ، فقد تمتع اليهود بامتيازات خاصة فى الحرب الرومانية :

(أ) فقد سمح لهم بتحويل ضريبة الهيكل سنوياً إلى أورشليم ، صار هذا التحويل أمراً خطيراً ، حتى أنه فى آسيا نحو عام ٦٠ ق . م حرم تحويل العملة ، لأن اليهود كانوا سيحولون عشرين طناً من الذهب النقى إلى أورشليم.(ب) وسمح لهم إلى درجة ما بتشكيل محاكمهم والحياة حسب ناموسهم الخاص ففى سنة ٥٠ ق . م ، فى آسيا ، أصدر الحاكم الرومانى لوسيوس أنطونيوس قراراً قال فيه : « جاءنى مواطنونا اليهود وأخبرونى أن عندهم اجتماعاتهم الخاصة ، التى يمارسون فيها طقوس آبائهم ، فأجبتهم إلى مطلبهم ومنحتهم هذا الامتياز » ولكن الأمميين احتقروا هذا الشعب الغريب الذى يعيش منعزلاً ويتمتع بامتيازات خاصة . (ج) وقد احترمت الدولة الرومانية قدسية يوم السبت ، فلم يكن اليهودى يدعى للشهادة فى محكمة يوم السبت ، فإذا وزعت هدايا خاصة للشعب يوم السبت ، احتفظ اليهود بحقهم فى الحصول على هداياهم فى اليوم التالى . ولكن فوق الكل أعفى اليهود من الخدمة فى الجيش الرومانى ، لأنهم لم يكونوا يحملون السلاح أو يعملون يوم السبت . ولك أن تتصور ضيق باقى الشعوب منهم وهم يؤدون واجب الجندية فى الجيش الرومانى .

غير أن اليهود أدينوا بأمرين :

(١) أتهموا بإنكار وجود الله ، فقد كان غريباً على الناس وقتها أن لا يروا لليهود آلهة منظورة ، حتى اتهمهم بلنى بأنهم « شعب متميز بكراهيته لكل الآلهة » . ويقول تاسيتوس : « يقول اليهود إن إلههم واحد ، ولذلك فليس عندهم صور أو تماثيل فى مدنهم أو فى هياكلهم ، وهم لا يقدمون عبادة للملوك ولا حتى لقيصر » . ويقول جوفينال : « إنهم لا يقرون إلا السحب وآلهة السماء » . ولكن الحق هو أن اليهود أثاروا كراهية الأمم لهم ، لا لأن عبادتهم خلت من الصور ، لكن لأنهم احتقروا الديانات الأخرى وأصحابها ، ولا يمكن لرسول أن ينجح لو احتقر الناس الذين أرسل

إليهم . وعندما قال بولس إن اليهود جلبوا التجديف على اسم الله . كان يقصد أنهم جلبوا هذا باحتقارهم للآخرين .

(ب) اتهموا بكراهية المواطنين من حولهم ، فيقول تاسيتوس : « إن أمانتهم بين بعضهم أمانة مطلقة ، ورحمتهم لبعضهم تدفعهم للعمل النشيط ، ولكنهم يبدون للآخرين كراهية وعداء » . وهناك قصة أن يهود اسكندرية تعاهدوا ألا يظهروا رحمة لأممى ، حتى أنهم كانوا يقدمون يونانياً كذبيحة لإلهم سنوياً ! ويقول تاسيتوس إن الأمميين الذين آمنوا باليهودية كانوا يتلقون الوصية بأن « يحتقروا الآلهة ويتبرأوا من جنسيتهم ويحطوا من قدر آبائهم وإخوتهم وأطفالهم » . ويقول جوفينال إن اليهودى كان يرفض أن يجاوب سائلاً عن الطريق إلا إذا كان السائل يهودياً ، وأنه لم يكن يهدى ظامئاً إلى بئر ماء إلا إذا كان الظامىء مختوناً ! ومن هذا نرى احتقار اليهود للآخرين ، الذى لابد سيجد صداه كراهية وحقداً .

لقد جلب اليهود التجديف على اسم الله لأنهم عزلوا أنفسهم عن كل من عداهم ، واحتقروا الوثنيين وطريقة عبادتهم . ولكن الديانة الحقيقية هى ديانة القلب المفتوح والباب المفتوح . أما اليهودية فكانت عبادة القلب المغلق والباب المغلق !

الاصحاح الثالث

صدق الله وكذب الانسان

(رومية ٣ : ١ — ٨)

فى هذه الفقرة يجادل بولس الرسول بطريقة يصعب علينا فهمها ، ولكن الفهم يسهل لو أدركنا أن بولس يجادل شخصاً يتخيله . وتسير المجادلة كالآتى :

المعارض : نتيجة ما قلته يابولس نرى أنه لا فرق بين يهودى ووثنى ، فإن كليهما يقف فى نفس الموقف ، فهل هذا ما تقصده فعلاً ؟

بولس : لا بالطبع .

المعارض : إذاً ما هو الفرق ؟

بولس : يملك اليهود ما لم يملكه الوثنيون . عندهم أقوال الله .

المعارض : واضح ! ولكن ماذا يحدث لو أن بعض اليهود عصوا أقوال الله ولم يكونوا أمناء له ، فحقت عليهم دينونة الله ؟ لقد ذكرت أن الله أعطى اليهود مكانة خاصة ووعداً خاصاً ، ولكنك تمضى لتقول إن بعض اليهود على الأقل تحت دينونة الله . هل معنى هذا أن الله نقض وعده فأظهر أنه ظالم لا يعتمد عليه ؟

بولس : حاشا إن هذا يظهر أن الله لا يحابى أحداً ، وأنه يعاقب الخطية أينما وجدت . إن عقاب الله لليهودى الكاذب هو أفضل برهان على عدالته المطلقة ، ذلك أنه لم يتغاض عن خطايا شعبه ، وهذا خير دليل على عدالته المطلقة ، وعلى حقه فى إدانة كل الأرض .

المعارض : لقد واجهتنا بمشكلة جديدة ! لقد أظهرت أن عصيانى أعطى الله فرصة ليبرهن بها على بره وعدالته . إن إثمى بين بر الله ، فكيف تدعونى خاطئاً إذن ؟ إن خطيتى رائعة لأنها أعطت الله فرصة يبرهن بها على عدالته وصلاحه . صحيح إننى أخطأت ، لكن نتائج صالحة ترتبت على هذا الخطأ ! ولن تقدر أن تدين إنسانا وهب الله فرصة ليظهر عدالته !

بولس : هذه مناقشة عقيمة ، ولو فكرت فيها لاكتشفت أنها افتراء !

والآن تعالوا ندرس أفكار بولس فى هذه الفقرة :

١ — يعتقد بولس أن لليهود مكانة خاصة عند الله تصاحبها مسئولية ، ولكن اليهود اعتقدوا أن لهم مكانة خاصة تصاحبها امتيازات بدون مسئوليات . ويقول بولس إن مكانة اليهود تجىء من أنهم « استؤمنوا على أقوال الله » — و « أقوال » تعنى إعلانات الله الخاصة ، ويقصد بها الوصايا العشر . إذاً لقد استأمن الله اليهود على وصايا ، لا على امتيازات ، وكأن بولس يقول لهم : « إنكم

شعب خاص ، ولذلك فإنكم لا تقدرون أن تفعلوا ما يحلو لكم ، بل يجب أن تحيوا حياة خاصة » . وكأن الله يقول لهم : « بما أنكم شعب خاص فيحب أن تفعلوا ما أرضاه » . لقد صاحب المكانة الخاصة واجب خاص . لا إعفاء من واجبات . حسناً قال اللورد دونسانى الذى نجا فى الحرب العالمية الأولى : « لقد نجوت بطريقة غريبة ، ولست أدرى ماذا يقصد الله من الحياة التى أنقذها بهذه الطريقة الخاصة » . غير أن هذه الفكرة لم تخطر لليهود ، فلم يدركوا أبداً أن مكانتهم الخاصة حملت معها مسئولية كبيرة !

٢ ــ فى كل ما كتب بولس هناك ثلاث حقائق عن اليهود ، يوردها بولس هنا باقتضاب ثم يوضحها فيما بعد فى الرسالة . ولنلاحظ أن بولس لا يضع كل اليهود تحت الدينونة ، ولكنه يقول : « قوم لم يكونوا أمناء » .

(أ) يرى بولس أن عقاب بعض اليهود عدالة إلهية . لقد أعطاهم الله مواعيد ومكانة ، ولكنهم لم يكونوا أمناء ، فحق عليهم القضاء ، لأن المسئولية تصحب الامتياز دائماً ، وكلما زادت فرص الإنسان لعمل الصواب عظمت عقوبته إذا ارتكب الخطأ .

(ب) على أن بعضهم كانوا أمناء . وبولس يذكر دوماً البقية الأمينة ، التى مهما صغر عددها فهى جماعة « اليهود الحقيقيين » (حسب التعريف الوارد فى ٢ : ٢٩) . أما الأغلبية غير الأمينة فقد خسرت امتيازاتها وصارت تحت الدينونة ، ولم تصبح « يهودية » ممدوحة من الله .

(ج) ويؤمن بولس أن رفض إسرائيل للرب « ليس نهائياً » فإن رفضهم قد فتح الباب لدخول « الأمم » إلى الإيمان ، ولكن « فى النهاية » سيقود الأمم اليهود معهم إلى حظيرة الإيمان ، فيصبح اليهود والأمم رعية واحدة للراعى الواحد ، يسوع . إن مأساة اليهودى هى أنه رفض أن يحمل مسئولية الكرازة برسالة الله للعالم كله ، فأعطى الله هذه المسئولية للأمم ، وهكذا انعكس الوضع . وفى النهاية سيبشر الأمم اليهود ويقودونهم إلى المسيح .

على أن هذه الفقرة تحمل لنا فكرتين إنسانيتين عظيمتين :

١ ــ إن العصيان هو أساس كل شر ، فقد كان أساس خطية اليهود هو عصيانهم لناموس الله الذى عرفوه . كما أن عصيان الإنسان الأول كان سبب فقدان الفردوس . عندما أثارت الكبرياء إرادة الإنسان ضد إرادة الله جاءت الخطية ، فما لم يكن هناك عصيان ما كانت هناك خطية .

٢ ــ عندما يرتكب الإنسان الخطية يلتمس الأعذار لنفسه ، ويقدم بولس لنا هنا مجادلة تتكرر دوماً فى الفكر الدينى ، تقول إن الخطية صالحة لأنها تنتج شيئاً صالحاً ، فهى تظهر محبة الله ورحمته عندما يغفرها . ولكن هذه مجادلة ملتوية ، فإننا قياساً عليها يمكن أن نقول إن كسر قلب شخص شيء صالح ، لأنه يعطى المكسور القلب فرصة التعبير عن المحبة . إنها مجادلة صاحب القلب القاسى المتحجر . عندما يخطىء الإنسان لا يكون محتاجاً لمجادلة ليبرر الخطأ ، لكنه يحتاج إلى تواضع ليعترف بذلك الخطأ !

العالم بلا مسيح

(رومية ٣ : ٩ ــ ١٨)

قال بولس فى الفقرة السابقة إن لليهود مكانة خاصة لأنهم استؤمنوا على أقوال الله ، ولابد أن المجادل اليهودى يقول : « إذاً فنحن أفضل » . ولكن بولس هنا يعلن أن اليهود والأمم سواء ، بدون مسيح ، وتحت سلطان الخطية . وبولس عندما يقول إن « اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية » يعنى « تحت قوة أو تحت سلطان » الخطية . فى متى ٨ : ٩ نقرأ « لى جند تحت يدى » بمعنى « تحت سلطانى ، يأتمرون بأمرى » . وتلميذ المدرسة تحت سلطان معلمه ، والعبد تحت نير سيده . والإنسان البعيد عن المسيح هو تحت أمر سلطان وسيطرة الخطية . وهو عاجز عن الهروب منها .

ونجد فى هذه الفقرة كلمة هامة ، فى آية ١٢ ، هى « فسدوا » بمعنى ضاعت فائدتهم ، وهى تستعمل عن اللبن الذى فسد و لم يعد صالحاً ، والطبيعة الإنسانية بدون المسيح فاسدة بلا فائدة .

ويقتبس بولس آيات مختلفة من العهد القديم ، من مزمور ١٤ : ١ ــ ٣ ، ٥ : ٩ ، ١٤٠ : ٣ ، ١٠ : ٧ ، اشعياء ٥٩ : ٧ و ٨ ، مزمور ٣٦ : ١ . وقد كانت عادة معلمى اليهود أن يقتبسوا الآيات ويربطوها معاً بهذا الشكل ، كما تربط اللآلىء معاً لتشكل العقد الواحد .

والأوصاف التى يوردها بولس وصف قوى للعفن الذى يصيب الطبيعة الإنسانية بعيداً عن المسيح . ويقول المفسر فوجان إنها تصف ثلاثة أشياء .

١ ــ الشخصية التى تتصف بالجهل واللامبالاة والإلتواء وعدم الفائدة .

٢ ــ اللسان الناطق بالهدم والخداع والخبث .

٣ ــ السلوك الذى يتصف بالظلم والأذى والحقد . وهذه كلها نتيجة ترك الله .

لم ير أحد شر الطبيعة الإنسانية كما رآه بولس ، ولكن بولس يرقب هذا بدون يأس ، بل بأمل كامل فى الإصلاح . وعندما نقول إن بولس آمن بالخطية الأصلية ، وبفساد الطبيعة البشرية ، يجب ألا ننسى أنه لم يفشل من الطبيعة الإنسانية و لم يسخر منها . قال أحد رجال الله بعد أن كبر فى العمر : « ذاكرتى بدأت تخوننى ، لكن هناك أمرين يجب ألا أنساهما ، وهما أننى خاطىء كبير وأن يسوع المسيح مخلص أكبر » . لم يستخف بولس أبداً بخطية الناس ، كما لم يستخف بقوة المسيح الفادية . كان أحد الوعاظ قد أصيب بالفشل نتيجة نقص ثمار خدمته لله ، وعزم أن يترك خدمة الله ، حتى لاقاه يوماً زميل له سأله : « هل وصل سامعوك إلى درجة يستحيل معها خلاصهم » فأعادته الكلمات إلى صوابه ورجع إلى خدمته . رأى بولس أن الناس بدون المسيح أردياء ، لكنه لم ير رداءتهم مستحيلة التغيير ، وكان متأكداً أن المسيح الذى غيره قادر أن يغيرهم أيضاً .

الطريق الوحيد للعلاقة السليمة مع الله

(رومية ٣ : ١٩ ــ ٢٦)

ليست هذه الفقرة سهلة على الفهم ، لكنها مليئة بالمعانى الغنية ، فلنتأمل فى الحقائق العظيمة الكامنة فيها .

إن مشكلة الحياة الرئيسية هى : كيف يصل الإنسان إلى علاقة سليمة مع الله ؟ كيف يكون فى سلام وصداقة معه ؟ كيف يتخلص الإنسان من الاحساس بالغربة مع الله ومن الخوف منه ؟ قالت الديانة اليهودية ، جواباً على هذه الأسئلة : « يصل الإنسان إلى العلاقة السليمة مع الله عندما يحفظ وصاياه تماماً . ويصحح موقفه من الله ، وعندما يتمم مطالب الناموس » . ولكن هذا يعنى استحالة وصول الإنسان إلى علاقة سليمة بالله ، لأنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يحفظ مطالب الناموس . ولما كان الإنسان غير كامل فإنه يعجز عن بلوغ الطاعة الكاملة ، ولا يستطيع أحد أن يقدم خدمة كاملة لإله كامل .

فما هى فائدة الناموس إذاً ؟ إن فائدته أنه يشعر الإنسان بخطئه ، فعندما يرى الإنسان ما يجب أن يكونه يدرك أنه لم يبلغه ، وعندما يعرف مطالب الناموس ويحاول تنفيذها يتحقق أنه عاجز عن ذلك . الناموس إذن يكشف للإنسان عجزه وخطيته ــ فهل الإنسان إذن منفصل عن الله ؟ كلا البتة ! لأن الطريق إلى الله ليس طريق الناموس ، بل طريق النعمة ، لا طريق الأعمال ، بل طريق الإيمان .

ويقدم بولس ثلاثة أمثلة ليوضح فكرته :

١ ــ يستخدم مثلا من قاعة المحكمة ، ويدعوه « التبرير » . ولنذكر أننا نبحث عن كيفية وصول الإنسان إلى علاقة سليمة بالله ، وبولس يقول هنا إن الإنسان يحاكم أمام الله ، والله يبرره . والكلمة المترجمة هنا « يبرر » معناها فى اليونانية أن « يحسب ويعتبر » شخصاً ما أنه أصبح فى حالة خاصة ، ولا تعنى أن « يجعل » الشخص فى حالة خاصة . فعندما يظهر برىء أمام القاضى فإن القاضى يعامله كبرىء ، ولكن بولس ، يقول هنا إن الخاطىء الذى يظهر أمام الله هو أبعد ما يكون عن البراءة ، بل هو مخطىء أثيم . ومع ذلك فإن الله ــ فى محبته الكاملة ــ يعامله ويحسبه ويعتبره كأنه إنسان برىء . وهذا ما يقصده بولس بكلمة « التبرير » . وعندما يقول بولس إن الله يبرر الفاجر يعنى أن الله فى محبته الكاملة يعامل الفاجر كأنه صالح . وقد صدم هذا الفكر اليهود صدمة قاسية ، فإن معاملة الفاجر كإنسان صالح يعنى أن القاضى شرير : « مبرىء المذنب ومذنب البرىء كلاهما مكرهة للرب » (أمثال ١٧ : ١٥) ــ « لأنى لا أبرر المذنب » (خروج ٢٣ : ٧) . ولكن بولس يقول إن الله يبرر المذنب ــ فكيف يحدث هذا ؟ يحدث لأن يسوع فعل هذا ، فقد جاء ليخبرنا أن الله يحبنا ، رغم شرنا ، وأننا أعزاء على الله رغم رداءتنا . ولكن عندما نكتشف هذه الحقيقة تتغير صلتنا بالرب ، وإذ نشعر بخطيتنا لا نقع فى الرعب ، ولكننا نجىء إلى الله فى انكسار

وتوبة كما يجيء الطفل النادم إلى أمه ، ونحن واثقون أنه يقبلنا لأنه يحبنا . هذا إذن هو معنى « التبرير بالإيمان بيسوع المسيح » . إنه يعنى أننا نصبح فى علاقة سليمة مع الله لأننا نؤمن أن ما قاله لنا يسوع عن الله صحيح تماماً ، فلا نرتعب لأننا غرباء على الله الغاضب علينا ، ولكننا أطفال مخطئون يجيئون للآب السماوى المحب واثقون فى الغفران . وما كان يمكننا أن ندرك هذه الحقيقة لو لم يأت المسيح ليحيا ويموت ليخبرنا بهذا ، ولن نتبرر حتى نصدق أن كل ما قاله لنا يسوع عن الله صحيح تماماً .

٢ ــ ويقدم بولس لنا مثلاً من التضحية ، فيقول إن الله قدم المسيح عنا لننال غفران خطايانا « كفارة » ، وهناك صلة بين الكفارة وبين الذبيحة . ففى ناموس العهد القديم كان المخطىء يقدم لله ذبيحة يهدف منها إلى جلب رضا الله ، وإزالة غضبه ورفع العقوبة عنه لنفترض أن إنساناً أخطأ ، فالخطية تفسد العلاقة بينه وبين الله ، ولكى تعود العلاقة السليمة يقدم المخطىء ذبيحة ! ولكننا نعلم أن الذبائح الحيوانية فشلت فى تحقيق هذا « لأنك لا تسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها . بمحرقة لا ترضى » (مزمور ٥١ : ١٦) ــ « بم أتقدم إلى الرب وأنحنى للإله العلى ؟ هل أتقدم بمحرقات ، بعجول أبناء سنة ؟ هل يسر الرب بألوف الكباش ، بربو أنهار زيت ؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى ؛ ثمرة جسدى عن خطية نفسى » ؟ (ميخا ٦ : ٦ و ٧) لقد شعر الناس أن الذبائح لا تكفر عن خطاياهم . ولكن بولس هنا يقول إن يسوع المسيح بحياته حياة الطاعة الكاملة ؛ وبموته موت الحب الكامل ، قدم نفسه ذبيحة لله ، كفرت الكفارة الحقيقية عن الخطية . ويقول بولس إن ما حدث على الصليب فتح الباب للعلاقة السليمة مع الله ، الأمر الذى فشلت فيه كل ذبيحة أخرى .

٣ ــ والمثل الثالث يقدمه بولس من « العبودية » ــ « من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله » . وكلمة « الصفح » هنا تعنى الفداء والتحرير . كان الإنسان تحت سلطان الخطية وسطوتها ولكن يسوع وحده يحرره منها .

وينهى بولس حديثه فى الفقرة بقوله إن الله فعل هذا كله لأنه بار ، ولأنه يقبل كل من يؤمن بالمسيح ليكون فى علاقة سليمة معه .. وهذا يعنى أن الله البار يقبل الخاطىء كشخص بار . ربما كان الأمر الطبيعى أن نقول أن الله البار يدين الإنسان الخاطىء كمجرم ، ولكن الله فى إنعامه المعجزى الذى لا يصدق يقبل الخاطىء لا كمجرم بل كابن يستحق الحب !

والآن ما هو جوهر هذا كله ؟ أين الفرق بين هذا وبين كلام الناموس القديم ؟

الفرق أن طاعة الناموس تعنى ما يقدر الإنسان أن يفعله لنفسه ، لكن النعمة تهتم بما يقدر الله أن يفعله ، وقد فعله لأجل الإنسان . ويقول بولس إن كل ما نفعله لا يمكن أن يكسبنا غفران الله ، ولكن ما فعله الله وحده هو الذى يجعل الغفران ممكناً . وعلى هذا فإن الطريق إلى العلاقة السليمة مع الله ليس السعى المحموم المرتعب من جانبنا ، لكن الخضوع التائب المتواضع ، وقبول محبة الله التى قدمها لنا المسيح

نهاية طريق الجهد البشرى

(رومية ٣ : ٢٧ ـــ ٣١)

يعالج بولس هنا ثلاث نقاط :

١ ـــ مادام الطريق إلى الله هو طريق الإيمان والقبول ، فإن كل افتخار بالجهد البشرى ينتفى . تعامل بعض اليهود مع الله بطريقة تجارية ، فعند كل تنفيذ لمطالب الشريعة أضاف اليهودى نقطة إلى حسابه الدائن لله ، حتى انتهى الأمر به إلى الاعتقاد أن الله مدين له ! ولكن بولس يقول إن كل إنسان خاطىء ، وإنه لا يستطيع أحد أن يضع نفسه فى إطار العلاقة السليمة مع الله بمجهوده ، وإن كل إنسان مديون لله ، وعلى هذا فقد انتهت إلى الأبد كل تفكيرات الإنسان الخاطئة فى أنه صاحب فضل على الله يستحق الفخر !

٢ ـــ وقد يقول يهودى : « هذا كلام صحيح بالنسبة للأممى الذى لم يعرف الناموس ، ولكنه لا ينطبق علىَّ أنا الذى أعرفه ! ويجاوب بولس مقتبساً الكلمة التى تتلى فى قانون الإيمان فى كل معبد يهودى « اسمع ياإسرائيل ! الرب إلهنا رب واحد » (تثنية ٦ : ٤) ليس هناك إله خاص بالوثن وآخر خاص باليهودى فإن الله واحد ، والطريق إليه بالنسبة لليهودى أو للوثنى هو طريق واحد .. إنه طريق الثقة والقبول بإيمان لا طريق الفخر بالجهد البشرى .

٣ ـــ وقد يسأل يهودى : هل هذا نهاية الناموس ؟ وكنا نظن أن بولس يقول : نعم ! ولكن بولس يقول : « حاشا ! بل نثبت الناموس » : لقد حاول اليهودى أن يكون إنساناً صالحاً . وحاول أن يحفظ الوصايا وأن يخدم الله ، لأنه كان يخاف الله وهو مرتعب من العقاب الذى سيوقعه الناموس عليه .. ولكن هذا اليوم مضى ، وحل محله يوم آخر .. يوم « محبة الله » . والآن يحاول الإنسان أن يكون صالحاً ويحفظ الوصايا ، لا خوفاً من عقاب الله ، ولكن محاولة فى إرضائه بكل ذرة من قوته يحبه . إنه يسعى نحو الصلاح حباً فى الله . لا خوفاً منه . وهو يعلم أن الخطية ليست كسراً لناموس الله ؛ بل كسراً لقلب الله ، وعلى هذا فإنه يخاف الخطية جداً .

يجرب إنسان بالخطأ ولا يرتكبه . لماذا ؟ لا لأنه يخاف القانون ؛ فإنه قد لا يهتم كثيراً بدفع غرامة أو حتى لو سجن ، ولكنه لا يرتكب الخطأ لأنه لا يريد أن يكسر قلب محبيه المحيطين به ؛ وعلى هذا فإن الذى يحكمه هو ناموس المحبة لاناموس الخوف . ويصدق هذا على موقفنا من الله . إننا نحبه ولا نريد أن نكسر قلبه . إن قانون المحبة أقوى قانون .. أقوى من الخوف . لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج !

الاصحاح الرابع

الايمان الذى يصدق الله

(رومية ٤ : ١ — ٨)

يتحدث بولس عن إبراهيم لثلاثة أسباب .

١ — اعتبر اليهود إبراهيم مؤسس جنسهم العظيم ، وأنه النموذج لما يجب على الإنسان أن يكونه . ومن الطبيعى لليهودى أن يسأل بولس : « إن كان كل ما تقوله صحيحاً ، فما هو الشىء الذى خصَّ الله إبراهيم به عندما اختاره ليكون أبا لشعبه الخاص ؟ أين هى مكانة إبراهيم الخاصة ؟ وما هو امتياز شعب إبراهيم ؟ » . وبولس هنا يجاوب على هذه التساؤلات .

٢ — يحاول بولس أن يبرهن على أن يجعل علاقة الإنسان بالله علاقة سليمة (التبرير) هو الثقة الكاملة فى كلمة الله التى تقول إن الله يحبنا رغم أننا لم نفعل شيئاً يستحق هذا الحب .. لا فى اعتمادنا على الأعمال التى يطلبها الناموس . ولابد أن اليهودى يقول : « هذا شىء جديد علينا ، يتافى ما سبق أن تعلمناه وآمنا به . هذا تعليم غريب لا نصدقه » وبولس يقول هنا : « ليس هذا التعليم جديداً ، لكنه قديم قدم الإيمان اليهودى . وليس فى هذا بدعة ، بل هو صلب العقيدة اليهودية » . ثم يبرهن بولس صدق كلامه هذا .

٣ — تحدث بولس عن إبراهيم لأن بولس معلم حكيم يعرف العقل البشرى وكيفية أدائه . إنه يتكلم عن « الإيمان » وهى كلمة تجريدية نظرية ويصعب على الإنسان العادى أن يدرك المعانى المجردة ، ولذلك فإن المعلم الحكيم بولس يجسد الفكرة التجريدية المجردة بمثال ملموس واقعى ، فيستطيع الإنسان العادى أن « يلمس » الفكرة ويفهمها لأنها تجسدت فى شخص . وكأن بولس هنا يقول : « لقد كنت أتكلم عن الإيمان ، فإن أردتم أن تدركوه ، فهاكم إبراهيم المؤمن » وهكذا يرى قراء بولس الإيمان المجرد متجسداً فى إبراهيم المؤمن ، فيفهمون فكرة الإيمان .

كان كل يهودى يعرف إبراهيم ويحبه ، لأنه كان يحتل أعظم مكانة فى الفكر اليهودى ، فهو مؤسس الجنس ، وأول من كلمه الله واختاره بطريقة خاصة ، ووجد فيه الطاعة الكاملة . وكان بولس يرى عظمة إبراهيم فى أن الله دعاه ليترك أهله وبلاده واعداً أ ن يجعله أمة عظيمة ، إن هو قبل المغامرة مع الله بالايمان . وصدق إبراهيم كلمة الله ، و لم يجادل و لم يتردد ، بل أطاع وهو لا يعلم إلى أين يأتى (عبرانيين ١١ : ٨) . لم تكن عظمة إبراهيم فى طاعته لمطالب الناموس ، و لم ينل صلته الخاصة بالرب بسبب أعمال الناموس ، لكنه وصل إلى ما بلغه بفضل ثقته الكاملة بالله ، وخضوعه الكامل ومغامرته فى سبيل الله . هذا هو الايمان الذى جعل الله يعتبر أن إبراهيم رجل صالح .

وقد آمن قليل من المعلمين اليهود التقدميين بهذه الفكرة ، فقد جاء فى تفسير لهم : « إبراهيم أبونا ورث هذا العالم والعالم الآتى باستحقاق إيمانه وحده ، إذ آمن بالله فحسب له براً » . غير أن معظم المعلمين اليهود شرحوا قصة إبراهيم بما يناسب أفكارهم ، فقالوا إنه كان الرجل الوحيد البار فى زمانه ، فاختاره الله جداً لشعبه الخاص . ولكن كان لابد أن يجاوب هؤلاء على سؤال يقول : « ولكن كيف حفظ إبراهيم الناموس ، مع أنه عاش قبل مجيء الناموس ببضع مئات من السنين ؟ » . وكانت إجابتهم أنه حفظه « بالبديهة والحدس والاستباق » . وتقول رؤيا باروك (٥٧ : ٢) « فى ذلك الوقت كان الناموس غير المكتوب معروفاً لديهم ، وهكذا تنفذت أعمال الناموس » — « لقد حفظ ناموس الله العلى ، فأكد الله له على عهده ، وأدخله فى العهد معه ، وحلف له أنه سيبارك نسله » (٤٤ : ٢٠ و ٢١) . وقد أعجب المعلمون اليهود بهذه الفكرة حتى قالوا إن الله اختار إبراهيم بسبب أعماله ، رغم أن هذا جرهم إلى القول إن إبراهيم عرف الناموس بالبديهة !

ولكن هنا الاختلاف بين اليهودية التقليدية وبين الإيمان المسيحى ، فقد قال اليهود إن الإنسان يجب أن « يكسب » رضى الله ، بينما يقول الإيمان المسيحى إن الإنسان لن يكسب رضى الله ، لكنه يجب أن يثق فى كلام الله ويصدق كل وعد من مواعيده . وقد دلل إبراهيم على صدق نظريته هذه بأن إبراهيم وصل إلى العلاقة السليمة مع الله ، لا بسبب أعمال الناموس التى قام بها ، لكن لأنه وثق ثقة كاملة فى وعود الله وكلمته . وما أجمل ما قيل : « لتكن محبتك بسيطة ، وثق فى كلمة الله ، حتى تشرق حياتك بالنور بفضل حلاوة الله » .

وعلينا أن نكتشف أننا لسنا فى حاجة إلى تعذيب نفوسنا فى معركة فاشلة لنكسب رضى الله ، ولكننا يجب أن نفتح قلوبنا بثقة لنقبل محبة الله التى يعرضها علينا . وعلينا بعد ذلك أن نثبت أننا أهل لهذه المحبة ، لا كمجرمين نحاول أن نطيع الناموس الطاعة المستحيلة ، لكن كأبناء أحباء نبذل كل شيء فى سبيل من أحبنا أولا فاستحق كل الحب !

عندما ذهب روبرت لويس ستيفنسون إلى « ساموا » بنى كوخاً صغيراً ، ثم انتقل إلى بيت كبير . وفى ليلته الأولى فى البيت الكبير شعر بأسف لأنه لم يطلب من خادمه أن يحضر له القهوة . وما أن خطر هذا الفكر بباله حتى رأى خادمه داخلاً غرفته وقد حمل إليه القهوة ! فقال له ستيفنسون : « عظيم تفكيرك ! » فصحح الخادم التعبير وقال : « بل عظيمة هى المحبة ! » . لقد جاءت الخدمة ، لا بدافع الطلب والتوصية ، بل بدافع المحبة .. والمحبة دافع كل صلاح مسيحى !

أب المؤمنين

(رومية ٤ : ٩ — ١٢)

قبل أن ندرك معنى هذه الفقرة الكتابية يجب أن نعرف الأهمية التى أضفاها اليهود على الختان ، فقد اعتبر اليهود أن الأغلف (غير المختون) غير يهودى ، مهما كانت جنسية أبويه . وكانت صلاة

الختان اليهودية تقول : « مبارك الله الذى قدس حبيبه من الرحم ، ووضع علامته على جسده ، وختم نسله بعلامة العهد المقدس » . وكانت وصايا معلمى الدين تقول : « لا يجب أن تأكل من وليمة الفصح إلا إذا كانت علامة إبراهيم فى جسدك » . وعندما كان أممى يقبل الإيمان اليهودى كان عليه أن يفعل ثلاثة أشياء : المعمودية ، الذبيحة والختان ، فقد اعتبروا كل أغلف أممياً .

وعلى هذا فإن إبراهيم يجاوب هنا على تساؤل لابد أن القارىء اليهودى يثيره ، فيقول : « سأفترض معك أن إبراهيم حقق علاقته السليمة مع الله بثقته الكاملة وإيمانه . ولكنك يجب أن توافق أن إبراهيم اختتن » . وكان عند بولس الرد المفحم ، فقد دعا الله إبراهيم ووعده بالبركة فى تكوين ١٥ : ٦ ولكن قصة ختانه جاءت فى تكوين ١٧ : ١٠ . والواقع أن إبراهيم ختن بعد أربع عشرة سنة من قبوله دعوة الله ودخوله فى العهد معه ، وعلى هذا فلم يكن الختان باب الدخول إلى العلاقة السليمة بالله ، ولكنه كان العلامة والختم على صحة هذه العلاقة . لقد حسب الله إيمان إبراهيم براً عندما كان إبراهيم أغلفاً ، فلم يكن للختان دخل فى ذلك . أما حسبان البر فكان بناء على الايمان . ومن هذه النقطة يمضى بولس ليستنتج حقيقتين عظيمتين :

١ ـــ ليس إبراهيم أباً لكل مختون ، لكنه أب لكل من يخطو ذات خطوته فى الايمان ، وهو أب لكل إنسان فى كل عصر يثق فى كلمة الله ، كما فعل هو .

وهذا يعنى أن اليهودى الحقيقى الذى مدحه من الله ليس هو اليهودى جنسية ولا هو المختون فى جسمه ، ولكنه هو الذى يؤمن كما آمن إبراهيم ، مهما كانت جنسيته (رومية ٢ : ٢٩) . وهكذا فإن كل مواعيد الله ليست للأمة اليهودية ، بل لكل المؤمنين على نسق إبراهيم . وكلمة « يهودى » فى لغة العهد الجديد لا تصف نسل إبراهيم الجسدى ، بل تصف الذين يستجيبون لله بقبولهم دعوته . وعلى هذا فإننا فى كل أمة نجد « نسل إبراهيم » الروحى ، الذين هم أعضاء عائلة الله .

٢ ـــ وعكس هذا الكلام صحيح أيضاً ، فقد يكون هناك يهودى بالمولد ، ومختون ، لكنه ليس من نسل إبراهيم ، ولا يحق له أن يدعو إبراهيم أباه ، ولا نصيب له فى مواعيد الله ، لأنه لم يشترك مع إبراهيم المؤمن فى إيمانه وثقته .

وعلى هذا فإن بولس ـــ فى هذه الفقرة القصيرة ـــ حطم الفكر اليهودى الذى كان يظن أنه يتمتع بكل الامتيازات أوتوماتيكياً ولا يتعرض لدينونة الله ، لأنه يجىء من نسل ابراهيم بالميلاد . كما حطم فكرة أن الختان هو الباب للتمتع بأبوة إبراهيم . لقد كان معلمو اليهود يقولون إن اليهودى المختون ، مهما كان شريراً ، لا تصيبه دينونة الله . فإذا كانت الدينونة واقعة عليه ولابد ، فإن ملاكاً متخصصاً كان يلغى ختانه ، ويعيده إلى الغرلة ، قبل توقيع العقوبة عليه !

ولقد أوضح بولس هنا أن الطريق إلى الله ليس عن طريق الانضمام إلى أمة معينة ، ولا بوضع علامة جسدية مميزة .. ولكنه الثقة فى كل مايقول الله ، فيكون الاعتماد على نعمة الله وحدها ، لا على أى مجهود بشرى .

الكل من النعمة

(رومية ٤ : ١٣ — ١٧)

وعد الله إبراهيم وعداً عظيماً ، أن يجعل منه أمة عظيمة ، وأن كل أمم الأرض تتبارك به (تكوين ١٢ : ٢ و ٣) . والحقيقة أن الأرض كلها أعطيت له ميراثاً . ولقد أعطى الوعد لإبراهيم بسبب إيمانه وثقته فى الرب ، لا بسبب أفضاله التى جمعها من أعماله الصالحة ، ولا بسبب أى مجهود بذله . لقد جاء الوعد نتيجة إنعام الله وكرمه ، رداً على ثقة إبراهيم الكاملة . ويرى بولس أن وعد الله يتوقف على أمرين اثنين فقط : نعمة الله المجانية ، وثقة إبراهيم فى هذه النعمة . كان اليهود يسألون : « كيف يدخل الإنسان إلى العلاقة السليمة بالله ، ليصبح هو أيضاً وارثاً للمواعيد الإلهية ؟ » وكانت إجابتهم : « بواسطة كسب وربح رضا الله عن طريق الأعمال التى يطلبها الناموس » وهذا يعنى أنه يحصل عليها بمجهوده الشخصى . ولكن بولس يقول إن هذا الرد يحطم وعد الله تماماً ، لأنه لم يوجد الإنسان الذى استطاع أن يحفظ كل وصايا الناموس أو عاش الحياة الكاملة التى لم يكسر فيها وصية واحدة ، ولا يوجد إنسان يستطيع أن يوفى مطالب الله الكامل ، لأن الإنسان ناقص ، وعلى هذا فإننا لو اعتمدنا على عملنا وحفظنا وصايا الناموس لما استطعنا الحصول على مواعيد الله !

ويرى بولس أمامه طريقين للوصول إلى العلاقة السليمة بالله ، أحدهما طريق الاعتماد على الجهد البشرى ، والآخر الاعتماد على النعمة الإلهية . فى الطريق الأول فشل محقق لأن طاعة كل مطالب الناموس مستحيلة ، ولكن الطريق الثانى ممكن ، لأنه طريق الثقة فيما يقوله الله .

وفى كل طريق من هذين نجد ثلاثة أمور :

١ — نرى **وعد الله** — وهناك كلمتان يونانيتان تعنيان « وعد » — هناك الوعد المشروط الذى يقول : « سأعمل كذا لو أنك أنت عملت كيت » وهناك الوعد غير المشروط الذى يعد به إنسان صالح — وبولس يتحدث هنا عن الوعد غير المشروط ، وكأن بولس يقول : « يشبه الله أباً محباً ، يعد أن يحب أطفاله مهما يفعلون » . صحيح أن محبته لبعضهم تسعد قلبه ، ومحبته للبعض الآخر تكسر قلبه ، ولكنها محبة صادقة على كل حال ، لا تدعنا نضيع ، وهى محبة لا تتوقف على استحقاقنا بل على كرم قلبه .

٢ — نرى **الثقة** بأن الله فعلاً أب محب وهذه الثقة تساعدنا على المخاطرة فى سبيله ، وعلى إسناد رؤوسنا المتعبة على صدره ، فيهرب الخوف عنا .

٣ — ثم نرى **النعمة** ، العطية المجانية التى لم نشتغل لنكسبها والتى لا نستحقها . والواقع أن الإنسان لا يمكن أن يكسب محبة الله ، وسيجد الإنسان سعادته لا فيما سيفعله هو للرب ، لكن فيما فعله الرب لأجله .

وعلى الطريق الآخر :

١ ــ نجد **الناموس** : والعيب فى الناموس أنه تشخيص للداء ولكنه لا يملك العلاج . وهو يكشف للإنسان نقطة ضلاله لكنه لا يقدر أن يساعده ليتجنب الضلال . ويرى بولس الصعوبة فى أن كل ممنوع مرغوب ، والفاكهة المسروقة لذيذة ، وعلى هذا فإن الناموس يحرك فى الإنسان أحياناً الرغبة فى الخطأ الممنوع عنه . وليس للناموس من فائدة إلا أنه سلاح العقاب ضد المخطىء ، والشخص الذى يحيا تحت ظل ديانة ناموسية لا يرى نفسه إلا مجرماً مداناً ينتظر غضب الله !

٢ ــ نجد **المعصية** ، فحيثما قدمنا الناموس تبعته المعصية ، إذ لا يستطيع أحد أن يكسر قانوناً غير موجود ، كما أنه لا يدان أحد بسبب أوامر لم تصدر ! فلو جعلنا الديانة ، ناموسية لصارت الحياة سلسلة متصلة من المعاصى التى تنتظر العقاب !

٣ ــ نجد **الغضب** ، لأننا عندما نرى الناموس والمعصية نتأكد أن الغضب يتبعهما ، فعندما نرى الله من خلال الناموس نتوقع العدالة الصارمة ، وعندما نرى الإنسان من خلال الناموس نتوقع العقوبة القاتلة !

وهكذا يضع بولس أمام أهل رومية طريقين : طريق الإنسان الذى يريد الوصول إلى العلاقة السليمة مع الله (التبرير) بواسطة مجهودة الشخصى ، فيصادفه الفشل .. والآخر طريق الإيمان الواثق اعتماداً على إنعام الله الصادق ونتيجته النعمة .

الثقة بالله الذى يجعل المستحيل ممكنا

(رومية ٤ : ١٨ ــ ٢٥)

انتهت الفقرة السابقة التى درسناها بالقول : إن الله يحيى الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة . وهنا يورد بولس مثلاً رائعاً لإيمان ابراهيم وثقته بالله ، فقد أعطى ابراهيم وعداً أن يكون أباً لجمهور عندما كان عجوزاً ، وكانت زوجته سارة عاقراً . وعندما بلغ إبراهيم من العمر مئة سنة ، وسارت تسعين ، جاءه الوعد مجدداً أنه سيكون أباً (تكوين ١٧ : ١٧) . وقد ظهر الوعد بعيداً عن التحقيق لأن ابراهيم وسارة قد تخطيا عمر الإنجاب ، ولكن ابراهيم وثق فى الوعد الإلهى ، وآمن أن الله سينفذ ما قاله . وقد حسب الله لإبراهيم هذا الإيمان براً . لقد كان ابراهيم فى علاقة سليمة مع الله لأنه صدق كلام الله . وكان معلمو الدين اليهود يقولون : « ما كتب عن ابراهيم كتب عن نسله أيضاً » بمعنى أن الوعد الذى أعطاه الله لإبراهيم يمتد إلى نسله أيضاً . ويشير بولس هنا إلى هذه الفكرة (آية ٢٣) ويقول إنه مادام الإيمان كان واسطة وصول إبراهيم إلى علاقة سليمة مع الله ، فإنه يكون أيضاً الواسطة لنا . فليست المسألة إذاً فى أعمال الناموس ، بل فى ثقة الإيمان ... والإيمان وحده يعطينا التبرير ، الذى هو العلاقة السليمة بالله .

ولقد اتضح إيمان ابراهيم فى أنه صدق أن الله يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة . والحق أنه عندما نظن أن كل شيء متوقف على مجهودنا نتعرض للفشل والتشاؤم لأن الاختبار علمنا أن نتيجة مجهودنا قليلة . ولكن عندما نؤمن أن قوة الله ونعمته عاملتان فينا نمتلىء بالرجاء والتفاؤل ، لأننا نعلم أنه لا شيء يستحيل على الله .

يقال إن القديسة تريزا بدأت ببناء دير ، وكان كل الرصيد الموجود معها نصف قرش . فقال لها أحدهم : « ولا القديسة تريزا نفسها تقدر أن تحقق الكثير بنصف قرش » فأجابت : « صحيح ! ولكن القديسة تريزا ونصف قرش مع الله يحققون أى شيء » . قد يتردد إنسان فى عمل شيء بنفسه ، ولكن لا حاجة للتردد مادمنا نحاول مع الله . قالت سيدة فاضلة : « الكنيسة الحية تجرؤ على عمل أى شيء » فإن المجازفة والجرأة ممكنتان للرجل أو للكنيسة فى حالة الإيمان بالله .

الاصحاح الخامس

على وفاق مع الله

(رومية ٥ : ١ — ٥)

هذه إحدى مقطوعات بولس التي يغني فيها أفراح ثقته بالله ، فإن الإيمان الواثق الذى يصدق كلمته ينتج ما لا تستطيع أعمال الناموس أن تحققها .. لقد أعطى الإيمان سلاماً مع الله . ولا يمكن أن يجد الإنسان وفاقاً مع الله حتى يصدق ما أعلنه لنا المسيح عن الله . ذلك أن بعض الناس لا يرون فى الله الخير الأسمى ، بل الشر الأكبر ! فقد قال شاعر اسمه سونبون ما ترجمته : « إن وجهه المختفى وقدميه الحديديتين قد أشعرت الإنسان بوجوده . إنه يهدد ويطأ كل شيء تحت قدميه كل يوم ! من أرسل لنا الجوع ، ومن لعن نفوسنا وأجسادنا بالأشواق ، ومن جفف شفاهنا التى تصرخ إليه ، بالعطش ، إلا هو ! » . وقد تحدث بعض الناس عن الله باعتبار أنه غريب عنا ، لا نستطيع أن نلمسه . فى أحد كتب هـ . ج ويلز قصة رجل أعمال كان فى حالة من التوتر تهدد بانهياره العصبى . وقال له طبيبه إن علاجه الوحيد هو أن يجد سلامه فى شركته مع الله فصاح رجل الأعمال قائلاً : « ماذا تقول ؟ أتعنى أن هذا الساكن فوق يصادقنى وتكون لنا شركة معاً ! إن مصافحتى لنجوم السماء أقرب مما تقول ! » . لقد كان الله بالنسبة لرجل الأعمال هذا « غير موجود » . قالت الرحالة روزيتا فوربز إنها ذات ليلة لم تجد مكاناً للمبيت إلا فى هيكل القرية الصينية التى تزورها . واستيقظت فى الليل لترى ضوء القمر وقد تسلل من النافذة على وجوه آلهة الهيكل ؛ فإذا على كل وجه ابتسامه سخرية وزمجرة كما من كراهية للبشر . والحقيقة أنه لا يمكن أن نجد السلام مع الله حتى نتعرف على أبى ربنا يسوع المسيح . عندئذ ندخل فى صلة جديدة معه ، يدعوها بولس « التبرير » .

ويقول بولس إننا بالمسيح صار لنا « **الدخول** » إلى النعمة التى نقيم فيها الآن . وهذه الكلمة تقدم لنا صورتين :

(١) إنها الكلمة التى تشرح تقديم شخص إلى محضر الملك ، أو قدوم العابد إلى الله . وكأن بولس يقول هنا : « إن يسوع يقودنا إلى محضر الله ويقدمنا له ، وهو يفتح لنا الباب إلى محضر ملك الملوك . فإذا انفتح الباب وجدنا النعمة ، لا العقوبة ولا المحاكمة ولا الإنتقام ، لكن نجد الترحيب الذى لا نستحقه والذى لم نكسبه ، الذى لنا بفضل رحمة الله .

(٢) ولكن كلمة « الدخول » تقدم لنا صورة ثانية ، هى صورة المرفأ الذى تدخله السفينة . وكأن بولس يريد أن يقول إنه عندما نكون متعبين ، تداهمنا الرياح والأمواج ، دون أن نجد عوناً من مجهوداتنا الشخصية . ونرى أننا ملاحون عاجزون يهاجمنا الخطر ، يجيء المسيح ويدخلنا إلى الميناء الأمين بسلام . لقد سمعنا كلمات المسيح التى قادتنا إلى مرفأ النعمة ، فلم نعد نعتمد على

مجهودنا الشخصى ، بل على ما يفعله الله لأجلنا . وهكذا فإننا فى المسيح ندخل إلى محضر الملك السماوى ؛ ونصل إلى ميناء النعمة فى سلام .

ولكن عندما يصل بولس إلى هذه الفكرة يرى الجانب الآخر من الأمور إن ما قاله صحيح ، وهو مجيد حقاً .. ولكن المسيحى يلاقى مقاومات . وقد كان من الصعب على الإنسان أن يكون مسيحياً فى روما . ولذلك يقول بولس إن « الضيق ينشىء صبراً » وكلمة « **ضيق** » تعنى ضغوط ، وما أكثر الضغوط على المؤمن .. هناك ضغط الحاجة والعوز ، وضغط الظروف العسيرة ، وضغط الحزن والاضطهاد ، وعدم قبول الناس ، والوحدة . ولكن بولس يقول إن هذه الضغوط تنشىء الصبر . والكلمة التى يستعملها بولس عن « الصبر » هنا لا تعنى الاحتمال فقط ، لكنها تعنى الروح التى يمكن أن تغلب العالم ، لأنها بإيجابية تهزم المتاعب والتجارب . عندما هدد الصمم بيتهوفن ، وهو أكبر كارثة تصيب الموسيقى ، قال : « سأمسك بزمام الحياة » . وعندما تورط « سكوت » فى الديون التى دفعت به إلى الإفلاس قال : « لن يقول أحد عنى : يامسكين ! فإن يدى اليمنى ستدفع الدين » . وكان شخص عظيم يجوز فى آلام مريرة فقيل له : « الحزن يصبغ الحياة » . فأجاب : « ولكنى أنا الذى أختار اللون » . وعندما كان هنلى راقداً فى مستشفى أدنبره وقد بترت ساقه ، والساق الثانية على وشك أن تبتر كتب شعراً ترجمته : « من ظلام الليل الذى يغشانى ، ومن الحفرة السوداء التى أنا فيها ، أسير من عمود إلى عمود شاكراً الله ، لأجل نفسى التى لم تهزم » . هذا هو الصبر الإيجابى ! فالصبر المسيحى لا ينتظر حتى تغمره السيول ، لكنه يواجه الأمور بقوة ويهزمها . ويقول بولس إن هذا الصبر ينشىء تزكية ، والتزكية هى حالة الشخصية التى دخلت النار فتطهرت من كل شيء دنيء ، وزال منها كل انحطاط . وعندما نواجه المشاكل بالصبر فإننا نخرج من المعارك أقوياء أطهار أقرب إلى الله . وهذه التزكية تنشىء **الرجاء** .والحقيقة أن شخصين يواجهان مشكلة ، واحد منهما يتصرف أمامها فى يأس وقد فارقه الأمل ، بينما يواجهها الآخر فى عراك منتصر ، وكأنها تدعوه للعظمة . حسناً قال اللورد ريث : «أنا لا أحب الأزمات ، ولكنى أحب الفرص التى تقدمها » . والفرق فى مواجهة مشكلة يكمن داخل الشخص نفسه ، فإن الإنسان الذى يترك نفسه للضعف والفتور تهزمه الظروف لأنه يسمح لنفسه أن يسقط تحتها ، وعندما يواجه المشاكل لا يجد إلا اليأس . أما الذى يواجه الحياة بشجاعة فإنه يهزم المشاكل لأنه يواجهها بنظرة عامرة بالرجاء . والشخصية التى نالت التزكية والتطهير تحتمل الضيقات بالرجاء . وأخيراً يقول بولس إن الرجاء لا يخزى ؛ لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا . قال عمر الخيام عن الرجاء البشرى ما ترجمته : « يضع الناس قلوبهم على آمال زائلة كالرماد ، وحتى لو صدق أملهم فإلى حين ، مثل الجليد الذى يغطى وجه الصحراء المغبر ، يضىء ساعة أو اثنين ، ثم ينتهى » . لكن عندما يضع الإنسان رجاءه فى الله فإنه لا ينتهى إلى رماد أو غبار ، بل يمتلىء بالسرور ، لأن محبة الله تسند نفسه بقوة مستمرة لا تقهر !

البرهان النهائى للمحبة

(رومية ٥ : ٦ — ١١)

إن موت المسيح لأجلنا هو أعظم برهان على محبة الله لنا ، فمن الصعب أن نجد رجلاً يموت لأجل شخص صالح وربما أمكننا أن نجد شخصاً يقبل الموت لأجل مبدأ عظيم صالح . وقد نجد من يظهر محبة أكثر بأن يموت لأجل صديقه . ولكن المذهل فى المسيح هو أنه مات لأجل أشرار فى حالة العداوة مع الله . وليست هناك محبة أعظم من هذه !

فى عام ١٩١٥ كان الكولونيل لورانس يسافر فى الصحراء مع بعض العرب فى حالة سيئة . كان الطعام قد انتهى وقل الماء ! وكانوا يحمون وجوههم بأغطية رؤوسهم من الرياح الملتهبة التى تلفحهم بالرمال . وفجأة سأل أحدهم :« أين ياسين ؟ » فسأله آخر : « ومن هو ياسين ؟ » فجاءت الإجابة : « الرجل ذو الوجه الأصفر ، من معن ، الذى قتل صرافاً تركياً وهرب فى الصحراء » . وقال الأول : « ها هو جمل ياسين بلا راكب ، ومسدسه فى السرج ، ولكن ياسين غير موجود » . فقال الثانى « شخص قتله » فقال الثالث : « هو ضعيف العقل ، فلعله تبع السراب وضل ، كما أنه ضعيف البدن فربما أغمى عليه وسقط من على جمله » . فقال الأول : « وماذا يعنينا ؟ إنه لا يساوى نصف قرش » . واستمرت القافلة فى المسير ، ولكن لورانس أدار جمله وعاد من حيث أتى ، فى الحرارة الشديدة ، مجازفاً بحياته . وبعد ساعة وجد ياسين واقعاً على الأرض تكاد الصحراء تقتله ، فرفعه لورانس على جمله ، ورواه ببضع نقط من الماء القليل الثمين الباقى معه ، فاستعاد إحساسه بالحياة وأسنده لورانسى وعاد به إلى بقية القافلة.وعندما رآه الرجال هتفوا قائلين : « هذا ياسين الذى لا يساوى نصف قرش أنقذته مخاطرة سيدنا لورانس » . وهذا مثل ! فلم يمت المسيح ليخلص الصالحين ، بل الخطاة ، ولم يمت ليخلص أصدقاء الله بل أعداءه .

ويمضى بولس ليقول إن المسيح غيَّر وضعنا إذ أعاد لنا الحالة السليمة مع الله . على أن هذا لم يكن كل شيء ، فقد غير حالتنا ، فالخاطيء الذى خلص لا يعود بعد للخطية ، لأنه قد صار صالحاً ، وهكذا غيَّر موت المسيح حالتنا كما غيَّر وضعنا . فالمسيح حيى ، معنا دوماً هادياً وموجهاً ، يملأنا بالقوة لنغلب التجارب ، يلبسنا البهاء فنحيا دوماً فى محضره المنتصر . لقد غيَّر وضعنا أمام الله ، كما يغير حياتنا ، فقد أعطى الخطاة العلاقة السليمة مع الله ، رغم خطاياهم ، ثم يستمر بنعمته ليمكنهم من ترك الخطية ، والسير فى الحياة الصالحة . وهناك كلمات لاهوتية لوصف هذا الذى جرى ، فتغيير الوضع أمام الله اسمه « التبرير » أما تغيير حالتنا فاسمه « التقديس » . وهكذا فإن عملية الخلاص مستمرة لا تتوقف حتى نراه وجهاً لوجه فنصير مثله .

على أننا نرى فى هذه الفقرة شيئاً هاماً للغاية ، فإن بولس يعتبر كل عملية الخلاص . من مجيء المسيح وموته ، برهان محبة الله لنا ، وقد جرت كلها لتظهر لنا كم يحبنا الله ، كما أنها جرت لأن الله يحبنا فعلا . ونحن نرسم أحياناً هذه الصورة بطريقة تظهر الله فى صورتين متناقضتين : صورة

الإله الغاضب المنتقم ، وصورة الله المحب الغافر . ويقال إن المسيح هو الذى حوَّل اتجاه الله من النقمة إلى النعمة ! ولكن هذا خطأ رهيب ، فلم يأت المسيح ليغير اتجاه الله من نحونا ، لكنه جاء ليرينا كيف كان اتجاه الله من نحونا دائماً اتجاه الحب . جاء ليرينا أن الله محبة !

الخراب والإنقاذ

(رومية ٥ : ١٢ — ٢١)

لا توجد فقرة كتابية أثرت فى الفكر اللاهوتى المسيحى كما أثرت هذه الفقرة ، كما لا توجد فقرة أصعب من هذه على الفكر المعاصر ، فهى صعبة لأن بولس يعبر عن فكره بطريقة صعبة ، فالجملة الأولى مثلاً تبدأ ولا تنتهى ، لأن بولس يعالج بعدها فكرة جانبية . ولكن أكثر من ذلك ، ترجع صعوبتها إلى أن بولس يتحدث فيها بطريقة كانت معروفة لليهود فى وقته واضحة لهم ، لكنها ليست واضحة لنا .

ولو أننا وضعنا جملة بولس الأولى فى إسلوبنا ، لقلنا : « بخطية آدم أصبح كل الناس خطاة غرباء عن الله ومنفصلين عنه ، وببر يسوع المسيح صار كل الناس أبراراً واستعادوا علاقتهم السليمة مع الله » . وقد قال بولس هذه الفكرة نفسها بوضوح أكبر فى كورنثوس الأولى ١٥ : ٢١ و ٢٢ « فإنه إذ الموت بإنسان ، بإنسان أيضاً قيامة الأموات ، لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع » .

فما هى الأفكار اليهودية الأساسية التى يجب أن نعرفها حتى نقرأ هذه الفقرة فى نورها ؟ هناك فكرتان هامتان جداً :

(١) هناك فكرة « **التكافل والتضامن** » فإن اليهودى لم ينظر لنفسه أبداً أنه فرد قائم بذاته ، لكن كجزء من سبط وعائلة وأمة ، ولا وجود له خارج سبطه . ولا تزال هذه الفكرة موجودة اليوم عند الاستراليين الأصليين ، فإذا سئل أحدهم عن اسمه أعطى اسم قبيلته ، لأنه لا يفكر فى نفسه كشخص بل كعضو فى جماعة . ونرى هذا واضحاً فى منازعات القبائل البدائية ، فعندما يقتل فرد من قبيلة تصبح مسئولية الانتقام له على قبيلته كلها ، ولا يصبح النزاع بين فردين بل بين قبيلتين ، فالقبيلة هى التى أوذيت ، وهى التى تنتقم . ونجد فى العهد القديم حادثة واضحة تحمل هذه الفكرة ، نعنى بها حادثة عخان فى الأصحاح السابع من سفر يشوع ، ففى وقت حصار أريحا احتفظ عخان ببعض الممنوعات لنفسه بخلاف أمر الله بإبادة كل الغنائم . أخطأ عخان . وكانت الخطوة التالية هى غزو عاى ، التى كان يجب أن تسقط بدون حرب ، ولكن على خلاف المنتظر خابت غزوة عاى خيبة مرة . لماذا ؟ لأن عخان خان ، فحل عقاب الله على أمته كلها ، فإن خطية عخان لم تكن خطية فرد ، بل خطية أمة ! لم تكن الأمة أفراداً منفصلين ، بل كانت جماعة متكافلة متضامنة . وعندما اكتشفت خطية عخان واعترف بها ، حل العقاب على عائلته كلها وليس على عخان وحده ! لم يكن عخان فرداً قائماً بذاته ، لكنه عضو فى جماعة متكافلة ، ولا ينفصل عنها !

ويرى بولس هنا أن آدم لم يكن فرداً قائماً بذاته ، لكنه فرد فى الجنس البشرى ، وكل البشر متكافلون متضامنون معه ، وهكذا فإن خطيته هى خطية الجميع . « كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس » . وقد حاول المفسرون فى كل حقب التاريخ المسيحى تفسير الصلة بين خطية آدم وخطية البشر بطرق مختلفة :

(أ) قد تعنى « كلكم آدم » . وكل البشر يخطئون كما أخطأ آدم ، ومع أنه لا صلة حقيقية بين خطية آدم وخطية الجنس البشرى ، إلا أن خطية آدم نموذج لخطية البشر .

(ب) هناك التفسير « القانونى » الذى يقول إن آدم ممثل الجنس البشرى ، وأن البشر يشاركون ممثلهم فى فعلته ولكن الثغرة فى هذا التفسير هى أن الشعب يجب أن يختار ممثله ، ولم يحدث أن البشر اختاروا آدم ممثلاً لهم !

(ج) هناك تفسير يقول إننا ورثنا من آدم ميله للخطية . ولكن خط تفكير بولس المنطقى فى هذه الفقرة الكتابية لا يتفق مع هذا التفسير ، بل إنه يتعارض معه !

(د) والتفسير الأخير الذى نرى أنه أكثر اتساقاً مع خط فكر بولس هنا ، هو التفسير الواقعى ، المبنى على مواجهة الوقائع التى أوردها بولس فى هذه الفقرة ، وهو أن البشر أخطأوا مع آدم بسبب التكافل والتضامن البشرى .

وقد كانت هذه الفكرة عادية عند المفكرين اليهود . ففى سفر اسدراس الثانى نقرأ : « زرعت بذرة شريرة فى قلب آدم منذ البدء ، وكم من الشرور نتجت عنها منذ ذلك الوقت ، وكم من الشرور ستنتجها حتى يجىء وقت الدراس » (٤ : ٣٠) كما يقول : « فآدم الأول » ، بقلبه الشرير ، أخطأ وانهزم ، وليس هو وحده بل تبعه نسله كله ! » (٣ : ٢١) .

(٢) الفكرة الثانية الهامة التى يقدمها بولس هنا هى فكرة أن **الموت نتيجة مباشرة للخطية** ، فقد كان الفكر اليهودى يقول إنه لو أن آدم لم يخطىء لبقى الإنسان خالداً ، فقد جاء العالم نتيجة للخطية . ويكتب سيراخ : « كانت امرأة بداية الخطية وبواسطتها يموت الجميع » . ويقول سفر الحكمة : « خلق الله الإنسان خالداً على صورته فى الطبيعة الكاملة ، ولكن بحسد الشيطان دخل الموت إلى العالم » . فالخطية والموت متلازمان فى الفكر اليهودى ، وهذا ما يوضحه بولس هنا فى الآيات ١٢ — ١٤ . ويمكن أن نتابع بولس فى الأفكار التالية :

(أ) أخطأ آدم لأنه كسر وصية مباشرة أوصاه الله بها (الأكل من الشجرة الممنوعة) ولما أخطأ آدم ، الذى كان من المفروض أن يكون خالداً ، مات .

(ب) لم يجىء الناموس حتى زمن موسى ، وما لم يكن هناك ناموس فلن يكون هناك خرق له — أى أنه لو لم يكن هناك ناموس أو وصايا فلن تكون هناك خطية . وعلى هذا فإن البشر من آدم إلى موسى أخطأوا دون أن تحسب الخطية ضدهم ، لأنه لم يكن عندهم ناموس ، ولا يمكن إدانتهم لأنهم كسروا ناموساً لم يعط لهم .

(ج) على أنهم ماتوا ، بالرغم من أن الخطية لم تحسب ضدهم ، وملك الموت عليهم رغم عدم اتهامهم بكسر الناموس ، الذى لم يكن موجوداً .

(د) إذاً لماذا ماتوا ؟ — ماتوا لأنهم أخطأوا فى آدم . كان تورطهم فى خطية آدم سبب موتهم ، رغم أنهم لم يكسروا الناموس . وهذا هو البرهان الذى يسوقه بولس على أنه فى آدم قد أخطأ الجميع .

قال بولس إنه بسبب نظرية « التكامل والتضامن » أخطأ البشر فى آدم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس نتيجة الخطية ! ويمكن أن ننظر إلى هذه الفكرة كأساس لليأس من البشر ، ولكن بولس نظر إليها من زاوية أفاضت عليها المجد كله ، فإن يسوع قد جاء للبشر فى حالتهم اليائسة ، وقدم لله طاعة وبراً وصلاحاً كاملاً ، وكما تكافل البشر مع آدم فى خطيته وموته ، ارتبطو بالمسيح فى صلاحه ونصرته على الموت ، فصارت لهم الحياة الأبدية ! وعندما جاء الناموس فجعل خطية الناس تبدو رهيبة ، جاءت نعمة المسيح لتغلب الدينونة ، التى جلبها الناموس .

ونحن نرى هنا حقيقة لامعة عظيمة :

١ — لنفترض أن ارتباطنا بآدم ارتباط طبيعى ، فما هو ذنبنا ؟ إننا لم نختره كما لا يختار أى طفل أباه ! إنه ارتباط قائم ، لسنا مسئولين عنه ، ولكنه موجود . غير أن ارتباطنا بالمسيح اختيارى ، يمكن أن نقبله ويمكن أن نرفضه . إن ارتباطنا بالمسيح يختلف عن ارتباطنا بآدم .

٢ — يوضح بولس أن البشر وجدوا أنفسهم متورطين مع آدم فى حالة ليس لهم منها فكاك ، فقد قيدت الخطية البشر ، بلا أمل فى النجاة ، ولكن المسيح جاء ومعه الإنقاذ والتحرير والخلاص وبما مكانه ، وبما فعله ، وبما يعطيه ، مكّن الإنسان من الهروب من حالة اليأس التى سيطرت عليه بسبب الخطية ..

صحيح أن الخطية حطمت حياة الإنسان ، لكن المسيح جاء لينقذ !

الاصحاح السادس

نموت لنحيا

(رومية ٦ : ١ — ١١)

كما يفعل بولس فى فقرات أخرى من هذه الرسالة ، يفعل فى هذه الفقرة ، فهو يتخيل مجادلاً يسأله ، فيرد على ما يثيره مجادله من نقاط . وتنشأ المجادلة عن الآية العشرين فى الأصحاح الخامس والتى تقول « حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً » . وتجرى المجادلة كالآتى :

المعترض : لقد قلت إن نعمة الله زائدة بالدرجة التى تكفى لمغفرة كل خطية .

بولس : هذا صحيح .

المعترض : حسناً ! إذاً فلنستمر فى الخطية ، لأنه حيث كثرت خطيتنا ازدادت نعمته . إن الخطية لا تهم لأن الله سيغفرها على كل حال ، بل إننا نقدر أن نقول إن الخطية رائعة لأنها تعطى نعمة الله فرصة للعمل . إن نتيجة حديثك هى أن الخطية تنتج النعمة ، وعلى هذا فإن الخطية يجب أن تكون صالحة لأنها تنتج أعظم ما فى العالم .

أما إجابة بولس على هذا المعترض فهى الرعب الشديد . إنه يقول : هل تقصد أن نتمادى فى الخطية لتعطى النعمة فرصة للعمل ؟ حاشا ! إن هذا طريق الضلال ! ثم يسأل : ألم تعرف معنى المعمودية ؟

ولكى ندرك قصد بولس من هذا يجب أن نذكر أن المعمودية زمن بولس تختلف عن المعمودية اليوم (أ) فقد كانت معمودية للكبار . لسنا نقول إن فى العهد الجديد ما يمنع معمودية الصغار ، فإن معمودية الصغار نتيجة للعائلة المسيحية ، ولم تكن العائلة المسيحية قد تكونت زمن بولس . ففى العصر المسيحى الأول كان الفرد يجيء إلى المسيح وقد هجر عائلته فى معظم الأحيان .

(ب) كانت المعمودية فى العصر الأول ترتبط بإعلان الإيمان ، فكان الشخص يتعمد عندما ينضم لعضوية الكنيسة ، بعد أن يهجر الوثنية ، وعلى هذا فقد كانت المعمودية علامة الخط الفاصل فى حياته ، تقسمها إلى قسمين ، ما قبل الإيمان وما بعده .. فكانت المعمودية تعنى بدء حياة جديدة تماماً .

(ج) كانت المعمودية عادة بالتغطيس ، فقدمت رمزاً لا يمكن وجوده فى المعمودية برش الماء أو سكبه ، فعندما كان الرجل ينزل للماء حتى يغطى رأسه كان كأنه مات ودفن فى قبر . وكان خروجه من الماء كأنه قيامة من الموت . وهذا يعنى أنه مات لنوع من الحياة وقام لنوع جديد ،

مات لحياة الشر وقام لحياة النعمة . نزل للماء وهو إنسان العالم ، وصعد من الماء وهو إنسان المسيح .

وعلينا أن ندرك أن بولس كان يستخدم أسلوباً مفهوماً فى عصره . وقد يكون الأسلوب غريباً علينا ، لكنه لم يكن غريباً على قرائه . كان الوثنى الذى يعتنق اليهودية يعمل ثلاثة أشياء : الذبيحة والختان والمعمودية ، وهكذا فإن الأممى يدخل اليهودية بالمعمودية . وكانت معموديته تستلزم أن يقص أظافره وشعره ، ويخلع ملابسه تماماً . وكان حوض المعمودية يملأ ببرميلين من الماء . وكان الماء يلمس كل جزء فى الجسد . وأثناء وجوده فى الماء كان يعلن إيمانه الجديد أمام ثلاثة آباء لاعترافه ، ثم كان يستمع إلى نصائح ويعطونه البركة . وكانت المعمودية تعتبر ميلاداً جديداً له ، فهو إنسان جديد ولد من جديد ، وكانوا يعتبرونه طفلاً ابن يوم واحد ، غفر الله له كل الخطايا السابقة للعماد . وقد وصلت الدرجة ببعض معلمى اليهود إلى أنهم اعتبروا أول طفل يولد للشخص الذى تعمد هو ابنه البكر ، مهما كان عدد أطفاله السابقين على العماد . بل إنهم قالوا إنه شخص جديد حتى يقدر أن يتزوج أخته أو حتى أمه (ولو أن هذا الأمر لم يكن يحدث) . ولم ينظر اليهود إلى الشخص الذى تعمد على أنه تغير ، بل على أنه شخص مختلف تماماً . وعلى هذا فإن قراء « رومية » كانوا يدركون ما يقصده بولس على أن المعمودية تنتج إنساناً جديداً .

وكان اليونانيون يفهمون ما يقصده بولس ، فقد كانت الديانات اليونانية الموجودة وقت بولس « صوفية سرية » . وكانت تعد معتنقها بالحرية من الهموم والأحزان والمخاوف الأرضية . وتجىء هذه الحرية باتحاد المؤمن بأحد الآلهة . وكانت قصص الديانات عن إله تألم ومات ثم قام ، وكانوا يمثلون هذه القصص بطريقة الدراما . وكان المؤمن الجديد يلقَّن أصول الديانة ليعرف معنى « الدراما » ، كما كان يجوز فى حالة من النسك المنظم ، وهكذا يجرى إعداده جيداً قبل الانضمام للدين الجديد . وكان تمثيل قصة الإله تجرى بروعة ، مصحوبة بالموسيقى والبخور والأنوار . وعندما كان التمثيل يجرى كان الشخص يشعر أنه اتحد بالإله ، ودخل فى اختبار عاطفى يربطه بهذا الإله . على أن المنضم للدين كان يجب أن يلقن أصول الدين ، وكان هذا التلقين يعتبر موتاً يعقبه ميلاد جديد ، يقولون إن الإنسان ولد به إلى الخلود . وكان الملقن (بفتح القاف) يقول إنه جاز فى « موت اختيارى » . وفى أحد هذه الديانات الصوفية كانوا يدعون الشخص الذى سينضم « المائت » ويدفنونه فى خندق . وعند قيامته من الخندق يخاطبونه على أنه طفل جديد ، يسقونه اللبن كطفل مولود حديثاً . وكان يصلى قائلاً : « أدخل إلى روحى وفكرى وكل حياتى لأنك أنت أنا وأنا أنت » . وعلى هذا فإن اليونانيين الذين سمعوا ما قاله بولس فى هذه الفقرة أدركوا قصده تماماً من الموت والحياة والقيامة بواسطة المعمودية متحداً بالمسيح . ولسنا نقول أبداً إن بولس استعار كلامه عن المعمودية من أفكار اليهود أو الوثنيين ، ولكننا نقول إنه كان يستخدم صوراً يستطيع كل من اليهودى والوثنى أن يفهمها ويدركها .

ونجد فى هذه الفقرة الكتابية ثلاث حقائق عظيمة :

١ — من المرعب أن يستهين الإنسان برحمة الله ، وأن يتخذها عذراً للخطية . كم يكون حقيراً

لو أن ابناً أو ابنة تمادى فى الخطأ لأنه يعلم أن أبويه يغفران له بمحبة ! إن هذا يكون استغلالاً حقيراً للمحبة يكسر قلب المحب .

٢ ــ الإنسان الذى ينضم إلى طريق المسيح يكرس نفسه لنوع جديد من الحياة ، ذلك أنه قد مات للحياة القديمة وقام للحياة الجديدة ، فهو إنسان مختلف . إن قبول المسيح يحدث الاختلاف كله فى حياة من يقبله .

٣ ــ على أنه سيحدث ما هو أكثر من التغيير الأخلاقى فى حياة من يقبل المسيح ، لأن هناك الاتحاد الكامل به . إن الغيير الأخلاقى مستحيل بدون اتحاد بالمسيح ، فالمسيحى هو إنسان « فى المسيح » . قال أحدهم إننا لا نقدر أن نحيا حياتنا الطبيعية إلا إذا كنا فى الهواء والهواء فينا ، وهكذا مع المسيح ، فإن لم نكن فيه وهو فينا فلن نحيا حياة الله . وليست المسيحية مطلباً أخلاقياً ، ولو قلنا هذا لقدمنا نصف المسيحية فقط. المسيحية أخلاق جديدة « فى المسيح » .

ممارسة الايمان

(رومية ٦ : ١٢ ــ ١٤)

كانت الفقرة السابقة من قلم « متصوف » يتحدث عن الصلة السرية بين المسيح والمؤمن كما تظهر فى المعمودية ، وعن الطريقة التى يجب أن يحيا بها المسيحى قريباً من المسيح حتى تكون حياته « فى المسيح » . أما هنا فيتحدث عن الجانب العملى ، فليست المسيحية إختباراً عاطفياً ، لكنها طريقة حياة ، وليس من المفروض أن يحيا المسيحى فى فخفخة اختبار ، مهما كان رائعاً ، لكنه يجب أن يحيا حياة المواجهة مع العالم ومشاكله . ومن الأسهل أن يجلس المسيحى فى الكنيسة تغمره موجات السعاده الروحية ، أو فى المخدع وحيداً يشعر بقربه من المسيح .. لكن المسيحية لا تتوقف فى منتصف الطريق هذا ، فإن العواطف يجب أن تترجم عملاً لأنها لا يمكن أن تكون بديلا للسلوك . ليست المسيحية اختباراً فى الخلوة ، لكنها حياة فى السوق والمدرسة والمكتب !

وعندما يخرج الإنسان إلى العالم تواجهه حالة مخيفة ، فإن الله والخطية يفتشان على آلات . ولما كان الله لا يعمل إلا بواسطة البشر ، فإنه يفتش دوماً عن إنسان يستخدمه ليقول كلمة أو ليؤدى خدمة أو ليشجع خائراً أو ليقوى ضعيفاً أو ليرفع ساقطاً . وهكذا تفتش الخطية عن بشر يجرون آخرين للخطية بكلامهم أو بقدوتهم . ويوضح بولس أن الله والخطية يدعوان الناس ، وعلى كل إنسان أن يختار أن يجعل نفسه آلة فى يد الله ، أو فى يد الخطية !

وقد يقول قائل : هذا الاختيار صعب علىّ ، ولابد أننى فاشل ! فيجيبه بولس : لا تفشل ، فإن الخطية لن تسودكم . لماذا ؟ « لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » ــ وما هو الفرق ؟ الفرق أننا لا نحاول إرضاء مطالب الناموس، ولكننا نحاول أن نحيا كما يحق لمن يحبون الله الذى أنعم عليهم بالكثير .

إننا لا ننظر إلى الله كقاض قاس ، لكن كمحب البشر . ولا يوجد دافع فى العالم أقوى من المحبة ، فمن يدخل إلى محضر الحبيب دون أن يريد أن يكون أفضل ؟ ليست الحياة المسيحية حملاً ثقيلاً لكنها امتياز محبب . وما أجمل ما قاله دنى : « ليست المسيحية قيداً بل إلهاماً يحرر من الخطية . إن جبل سيناء لا يصنع قديسين ، لكن جبل الجلجثة يخلقهم » .

لقد خلص كثيرون من الخطية ، لا بسبب وصايا الناموس ، لكن لأنهم لم يطيقوا أن يكسروا أو يحزنوا قلب إنسان يحبونه ويعلمون أنه يحبهم . إن الناموس يقوّم الإنسان بالتخويف ، ولكن المحبة تفدى الإنسان بأن تلهمه الأفضل ، وهكذا فإن سعى المسيحى لطاعة الله لا تجيء خوفاً من العقاب ، بل بإلهام من محبة الله التى فعلت الكثير لأجله .

الامتلاك الكلى

(رومية ٦ : ١٥ — ٢٣)

عقيدة النعمة المجانية تشكل تجربة لنوع خاص من العقول ! فإن البعض يقولون : « إن كان الغفران أكيداً وسهلاً ، وإن كان الله يريد أن يغفر للبشر ، ونعمته تكفى لستر كل خطاياهم وعيوبهم ، فلماذا القلق على الخطية ؟ لماذا لا نفعل كما نشاء ؟ إن الأمور تتساوى فى النهاية ! » . وحالما يذكر بولس أن المسيحى تحت النعمة وليس تحت الناموس ، فإن هذا الخاطر يثور فى ذهن بعض الناس !

١ — ولكن بولس يدحض هذا الخاطر بقوله : « لقد كنتم يوماً عبيداً للخطية لأنكم سلمتم نفوسكم لها ، وعندها لم يكن للبر أو للصلاح سلطان عليكم . أما الآن فإنكم قدمتم نفوسكم لله كعبيد للبر . وما أن فعلتم هذا لم يعد للخطية سلطان عليكم » .

ولكى ندرك معنى أقوال بولس هذه نحتاج أن نعرف حال العبيد فى زمانه . عندما نفكر اليوم فى الخادم فإننا نفكر فى شخص يتفق مع شخص آخر على أن يعطيه وقته وجهده ، فى مواعيد معروفة ، لقاء أجر متفق عليه . وخلال المواعيد المعروفة يخضع للسيد ، أما بعد ذلك فإنه حر يفعل ما يشاء ، فهو ملك سيده فى وقت العمل ، وملك نفسه فى غير ذلك ، فقد يلعب على الكمان فى الأمسيات ! على أن بولس يتحدث عن حالة « العبيد » وهى مختلفة تماماً ، فلم يكن للعبد وقت خاص به ، فكل لحظة ملك لسيده لأنه هو كله ملك سيده . لم يكن العبد يقدر أن يعمل ما يحلو له ، ولم يكن يقدر أن يخدم سيدين . ويضع بولس هذه الصورة فى فكره عندما يقول : « كنتم يوماً ما عبيداً للخطية ، وكان للخطية الملكية الكاملة عليكم . وقتها لم تكونوا تقدرون أن تقولوا أو تفعلوا شيئاً إلا لخدمة الخطية . أما الآن فقد قبلتم الله سيداً لكم ، فله كل السلطان عليكم ، وعلى هذا فإنكم لا تملكون حتى أن تتكلموا عن الخطية ، إذ يجب أن تتكلموا عن القداسة فقط ! » .

٢ ــ ويعتذر بولس عن استعمال هذا التشبيه ، ويقول إنه يستعمل هذه الطريقة فى الكلام حتى يقدروا أن يفهموها « أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم » ، وهذا الاعتذار سببه أنه لا يجب أن يشبه الحياة المسيحية بالاستعباد ، ولكن الحقيقة هى أن المسيحى لا سيد له إلا الله وحده ، وهو لا يقدر أن يخدم سيدين ، فلا يقدر أن يصرف جزءاً من وقته لله ، وجزءاً آخر للعالم ، فالكل للرب ، وإلا فلا ! وعندما يحتفظ الإنسان بجزء من حياته لغير الله فإنه لا يكون مسيحياً ، لأن المسيحى هو الذى أعطى السلطان كله للرب ، ولا يسحب شيئاً من تحت سلطانه . وكل من يفكر هكذا لا يمكن أن يجعل النعمة فرصة للخطية .

٣ ــ ويمضى بولس ليقول : « لقد أخذتم قراراً قاطعاً بطاعة التعليم الذى قبلتموه ، فأنتم تفعلون هذا بكامل حريتكم واختياركم » . ولنذكر أن هذه المناقشة جاءت نتيجة لفكرة المعمودية التى تحدثنا عنها فى مطلع هذا الأصحاح . ولم يكن الشخص يتعمد قبل أن يتلقى تعليماً كاملاً عن العقيدة ، كما كان يتعمد وهو بالغ .. وعلى هذا فقد كانت المعمودية إعلاناً للإيمان ، فلم يكن الشخص ينضم للكنيسة تحت تأثير العواطف ، بل تحت تأثير التفكير الواعى ، عالماً بما قدمه المسيح لأجله وما يطلبه المسيح منه .. وهكذا كان القرار الذى يأخذه المسيحى بالانضمام للمسيح والكنيسة عميقاً حراً فاهماً . عندما يريد شخص أن ينضم إلى نظام رهبنة القديس بندكت فإنه يقضى سنة تحت الاختبار ، يعلق خلالها ملابسه المدنية فى « قلايته » فإذا شاء أن يترك حياة الرهبنة فإنه يلبس ملابس العالم ويذهب ، دون أن يعترضه أو ينتقده أحد . وفى نهاية السنة يبعدون الملابس المدنية من غرفته ، لأنه قرر الإنخراط فى حياة الرهبنة بكل قلبه وفكره . وهكذا مع المسيح ، فإنه يطلب من أتباعه أن يحسبوا نفقة اتباعه ، فلا يتبعونه عن عاطفة . وعلى الكنيسة اليوم أن تبصِّر أعضاءها بمسئولياتهم من نحو انضمامهم لعضويتها .

٤ ــ ويمضى بولس ليرسم خطاً فاصلاً بين الحياة القديمة والجديدة ، فالحياة القديمة « نجاسة وإثم » (آية ١٩) . وقد كان العالم الوثنى نجساً لا يعرف معنى العفة . ويتحدث جستن مارتر عن مصيبة فى العالم الوثنى ، هى إلقاء الأطفال ، خصوصاً الإناث فى ساحة المدينة . وكان بعض المجرمين يجمعون هؤلاء الأطفال حتى يكبروا ويشغلوهم فى بيوت للدعارة . ويقول جستن مارتر للوثنيين إنهم بإلقائهم أطفالهم فى ساحة المدينة ينتهون إلى ارتكاب النجاسة مع بناتهم . كان العالم الوثنى فعلاً عالم نجاسة وإثم ، كانت الشهوة فيه هى القانون ، وهذا هو ناموس الخطية ، فالخطية تلد خطية . عندما يرتكب أحد الخطأ للمرة الأولى يرتكبه فى خوف وتردد ، لكنه يسهل فى المرة الثانية ، وبعدها تفقد الخطية رعبها ، فتمارس كشىء عادى ، وللخطية قانون آخر ، فنحن نكتفى فى أولها بالقليل ، ولكن الوقت يجىء عندما نطلب الكثير ، فالخطية تلد خطية والإثم ينتج الإثم .

٥ ــ على أن الحياة الجديدة مختلفة تماماً . إنها حياة البر . والبر هو إعطاء الله والناس حقهم ، فالحياة المسيحية تعطى الله مكانه المناسب ، وتحترم الشخصية الإنسانية ، والمسيحى لا يعصى الله ولا يستغل إخوانه البشر بطريقة تشبع رغبته ومسرته فى الشهوة . هذه الحياة تؤدى إلى « القداسة » . والكلمة اليونانية المترجمة « قداسة » هنا لا تعنى حالة القداسة الكاملة ، بل « معالجة

بسلسلة من العمليات المتعاقبة » . فالمقصود هنا هو الاتجاه إلى القداسة ، فالإنسان الذى يسلم حياته للمسيح لا يقف عند ذلك ، فيصير إنساناً كاملاً ، لكنه يجاهد باستمرار لبلوغ القداسة . على أن المسيحية تعتبر اتجاه الإنسان أمراً فى غاية الإهمية ، فعندما يصبح « فى المسيح » يبدأ سلسلة العمليات المتعاقبة التى تؤدى به إلى القداسة . وقد عبر عنها شاعر غربى بما ترجمته « إننى أترك خلفى شيئاً ربما يعطلنى ، وأجرى بسرعة كل يوم لأزداد فى الطهارة واللطف » . وقد قال روبرت لويس ستيفنسون : « إن السفر على الأمل أفضل من الوصول » . وما أعظم أن نضع أمامنا هدفاً كبيراً نسعى نحوه ، حتى لو لم نبلغ كماله .

٦ ــ ويختم بولس حديثه هنا بقوله : « أجرة الخطية هى موت ، وأما هبة الله فهى حياة أبدية » . يقول بولس إن للخطية « أجرة » وهى كلمة تعنى ما يكسبه الجندى من مال جزاء مخاطرته بحياته وعرقه وجهده . إن الأجرة حقه ولا يجوز أن تؤخذ منه . أما كلمة « هبة » فهى تعنى الشىء الذى لم نكسبه ، لكنه إنعام ؛ كالهدية التى ينالها الجندى ، فقد كان الإمبراطور يوم عيد ميلاده أو عيد جلوسه يعطى لجنوده « هبة » لم يكسبوها ، لكنها هدية من كرم الإمبراطور وعطفه . ويقول بولس هنا إن الخطية قد ربحت الموت كأجر مستحق لها ، وكشىء لازم يتبعها . أما الهبة المجانية ، التى لم نعمل ما يبرر كسبها ، فإننا لا نستحقها ، لكنها تعطى لنا من محبة الله وكرمه . إننا نستحق الموت ؛ لكن الله من نعمته أهدانا الحياة .

الاصحاح السابع

الولاء الجديد

(رومية ٧ : ١ — ٦)

هذه الفقرة صعبة حتى أن المفسر شارلس دود قال إنه عندما درسها حاول أن ينسى ما يقوله بولس ليكتشف ما يقصده بولس ! والذى يريد بولس أن يوضحه هو أن الموت يلغى كل الإرتباطات . ويقول بولس إن المسيحى قد مات للناموس فلم يعد للناموس سلطان عليه . إن الزوجة مرتبطة بالزواج برجل ، فلا تقدر أن تتزوج غيره ، فإذا تزوجت بآخر اعتبرت زانية . أما إن مات الزوج فإن الإرتباط ينتهى ، ولا تعتبر زانية إن تزوجت بآخر . كان يمكن أن بولس يقول إننا كنا مرتبطين بالخطية ، ولكن المسيح ذبح الخطية ، وعلى هذا فإننا الآن أحراراً لنرتبط بالرب . ولابد أن بولس قصد هذا المعنى . وكان يمكن أن يقول إننا كنا مرتبطين بالناموس ، ولكن المسيح أبطل الناموس ، وهكذا أصبحنا أحراراً لنرتبط بالرب ولكن بولس يقول إننا نحن متنا للناموس — فما معنى هذا ؟ إننا فى المعمودية نشترك مع المسيح فى موته ، وبهذا تحررنا من كل واجبات الناموس ، وأصبحنا أحراراً لأن « نتزوج » من جديد ، وفى هذه المرة نتزوج المسيح ، وهكذا تصبح طاعتنا غير متوقفة على وازع خارجى مفروض علينا من مجموعة قوانين ، بل يكون نتيجة دافع داخلى يبعث فينا الولاء لربنا يسوع المسيح .

ويرسم بولس المفارقة بين حالنا بدون المسيح وحالنا بالمسيح ، فقبل معرفتنا بالمسيح حاولنا أن نحكم حياتنا بطاعة ناموس مكتوب ، وذلك عندما كنا « حسب الجسد » . ولا يقصد بولس بالجسد « اللحم والدم » ذلك أننا نحتفظ بجسدنا من لحم ودم حتى نهاية الأيام ، ولكن بولس يقصد بالجسد ما يشد الإنسان إلى غواية الخطية ، ذلك أنه لو لم يكن فى الإنسان ما يناديه للخطية لكان نداء الخطية للإنسان عديم الضرر ، ولكن فى داخل الإنسان ميلاً للخطأ ، وهذا الميل هو الذى يدعوه بولس هنا « الجسد » . الجسد إذاً هو الطبيعة الإنسانية المنفصلة عن الله التى لا تتلقى معونته . ويقول بولس إننا لما كنا فى هذه الحالة حرك الناموس فينا ميولنا للخطية . لاحظوا أن بولس كرر أكثر من مرة أن الناموس ينتج الخطية ، لأن كل ممنوع مرغوب ، والماء الشروق حلو وخبز الخفية لذيذ ، وعلى هذا فإن الممنوعات حسب الناموس توقظ فينا الرغبة للخطية . فعندما لم يكن لنا إلا الناموس كنا تحت رحمة الخطية . وبعد ذلك يتحدث بولس عن حالة الإنسان مع المسيح . فعندما يحكم الإنسان حياته باخلاص للمسيح الذى يملك قلبه ، لا يعود يحكمه قانون مكتوب يوقظ فيه الشهوة للخطية . وهكذا تسوده المحبة التى تمكنه من حفظ الوصايا التى كان عاجزاً عن حفظها .

الخطية الخاطئة جدا

(رومية ٧ : ٧ ــ ١٣)

ببداية هذه الفقرة يبدأ جزء من أهم أجزاء العهد الجديد المؤثرة ، لأن بولس يرى تاريخ اختباره الروحى ، ويكشف لنا قلبه ونفسه . ذلك أنه يعالج هنا التناقض الظاهرى للناموس ، فالناموس ، شيء ممتاز ومقدس ، وهو صوت الله ، والكلمة « مقدس » معناها « مختلف » وهى تصف شيئاً من محيط خارج محيط عالمها ، يخص حياة أبعد من الحياة الإنسانية . ثم يقول بولس إن الناموس عادل ، وقد رأينا أن العدل يعنى (فى اليونانية) إعطاء الله والآخرين حقوقهم الشرعية ، وعلى هذا فالناموس يوضح المسئوليات الإنسانية والسماوية . ولو حفظ أحد الناموس فإنه يصير فى صلة ممتازة مع الله والناس . والناموس صالح أى أنه يختص بأفضل ما فى الإنسان ، ويهدف إلى جعل الإنسان صالحاً .

ولكن رغم هذا كله تبقى الحقيقة الواقعة : أن الناموس صار رأس جسر للخطية لتدخل الإنسان ، فكيف حدث هذا ؟ يمكن أن نجد إجابتين :

(١) الناموس يحدد الخطية ، فالخطية بدون الناموس لا وجود لها ، فما لم يقل الناموس عن شيء إنه خطية ، فإن الإنسان لا يعرف أنه يخطىء . ولنأخذ مثلا من لعبة التنس لنفرض أن شخصاً لا يعرف قانون اللعبة ، فيسمح للكرة أن تضرب الأرض مرتين قبل أن يقذف بها فى اتجاه الشبكة . فما لم يكن هناك قانون ضد ذلك فسيبقى لعبه قانونياً . ولكن إن وضع قانون يقول إن اللاعب لا يجب أن يسمح للكرة أن تضرب الأرض إلا مرة واحدة ، فإنه يحسب مخطئاً لو ضربت الكرة الأرض مرتين . فالقانون هنا حدد الخطأ ، وما كان يسمح به قبل صدور القانون يصير محرماً بعد صدوره . ومثال آخر : إن ما نقبله من طفل آت من مكان غير متحضر لا يمكن أن نقبله من رجل قادم من بلد متحضر ، ذلك لأن الرجل الآتى من بلد متحضر يعرف القوانين . ومثال ثالث : نحن نقبل أن يسوق الشخص سيارته فى أى إتجاه يعجبه ، مادام الشارع طريقين . لكن لو أن رجال المرور أعلنوا أن الشارع إتجاه واحد لأصبح من الخطأ أن يسوق الإنسان فيه سيارته فى الاتجاه الممنوع . القانون إذاً يحدد الخطية ، أو قل : يخلق الخطية .

لكن هناك شيء أخطر . إن الناموس ينشىء الخطية . ومن أغرب أمور الحياة أن كل ممنوع مرغوب . وقد بدت هذه الظاهرة فى جنة عدن ، فقد كان آدم يحيا فى براءة حتى جاءته الوصية بعدم الأكل من شجرة معينة . وكان هدف الوصية صالح آدم ومصلحته ، ولكن الحية حولت هذه الوصية إلى تجربة . وكان المنع سبباً فى جعل الشجرة تبدو أكثر جمالا . وهكذا مد آدم يده ليأخذ منها ، وكانت النتيجة موتاً . وقد فسر « فيلو » القصة فقال إن الحية هى اللذة ، وحواء هى الحواس . واللذة تجعلنا نطلب الممنوع ، وتهاجمنا عن طريق الحواس أما آدم فهو العقل . وعن طريق مهاجمة اللذة ظل العقل ، وجاء الموت ! وفى اعترافات القديس اغسطينوس فصل مشهور يتحدث فيه عن جاذبية الأشياء الممنوعة قال فيه : « كانت هناك شجرة كمثرى محملة بالثمار بجوار كرمة ،

وذات ليْلة عاصفة ، قررنا فى شقاوة الصبا أن نغزو الشجرة ونعود بغنائمنا . وفعلا أخذنا كمية كبيرة من الكمثرى ، لا لنأكلها بل لنرميها للخنازير ، ولكننا أكلنا القليل منها لنتلذذ بالثمر الممنوع . كانت الكمثرى حلوة ، لكنها لم تكن الشيء الذى تطلبه نفسى ، لأن عندى الكثير أفضل منه فى بيتى . لقد أخذنا كمثرى جارنا بهدف السرقة وحسب ، وكان الإحتفال الوحيد بما أخذنا هو الخطية التى استمتعنا بها إلى أقصى الحدود ! فماذا أعجبنى فى هذه السرقة ؟ هل كان التصرف ضد القانون ، حتى أشعر بحرية الحصول على الممنوع ، أنا الأسير للقانون ؟ قد استيقظت الرغبة فى السرقة داخل نفسى لمجرد أن السرقة ممنوعة » .

حالما تضع لافتة « ممنوع الدخول » ستجد أن المكان أصبح مطلوباً . بهذا المعنى « تنشىء » الوصية الخطية .

ويقول بولس إن « الخطية خدعتنى » . والخطية تخدع بثلاثة أمور :

(١) إنها تخدع فى إشباعها ، فإن الخطية تقول إنها ستشبعنا وتسعدنا ، ولكن أحداً لم يجد فيها ما وعدت به !

(٢) وهى تخدع فى أعذارها ، فكل إنسان يظن أنه قادر على تبرير أخطائه ولكن هذه الأعذار كلها تسقط فوراً فى محضر الله .

(٣) وهى تخدع عندما نحاول الهروب من نتائجها ، فلا يخطىء إنسان إلا وهو يظن أنه يقدر أن يهرب من نتائج خطيته ، ولكن أجلا أو عاجلا يدفع الإنسان أجرة خطيته .

هل الناموس خاطىء لأنه ينشىء الخطية ؟ إن بولس يرى فى الأمر كله حكمة .

(١) فهو مقتنع أولا أننا يجب أن ننظر إلى الخطية باعتبار أنها خطية ، مهما كانت مكانة الناموس .

(٢) وهو يرى طبيعة الخطية المريعة ، إذ أنها أخذت الوصية الصالحة وجعلت منها شيئاً مؤذياً ، فجعلت المقدس والعادل والصالح سلاحاً شريراً . وهذا ما تفعله الخطية ، إذ تأخذ المحبة الصالحة وتجعلها شهوة ، وتأخذ الرغبة الصالحة فى الاستقلال وتجعلها محبة للمال وللسلطة ، وتأخذ جمال الصداقة وتجعل منه استغلالا . وهذا مادعاه كارلايل : « اللعنة الدائمة للخطية » . إن سوء استغلال الخطية للوصية الصالحة ، وتحويلها إياها إلى رأس جسر لها يظهر أن « الخطية خاطئة جداً ». وليس هذا شيئاً جزافياً ، لكنه يكشف لنا كيف تفسد الخطية أجمل الأشياء وتشوهها وتلوثها !

الحالة الإنسانية

(رومية ٧ : ١٤ ــ ٢٥)

فى هذه الفقرة الكتابية يكشف لنا بولس خفايا نفسه ، كما يخبرنا عن أساس اختيار كل إنسان . إنه يعرف الصواب ويريد أن يفعله ، ولكنه بطريقة ما يجد نفسه عاجزاً عن عمله . وهو يعرف الخطأ ، وهو آخر ما يريد أن يفعله ، لكنه يجد نفسه يرتكبه . إنه يرى انقساماً فى شخصيته ، وكأن إنسانين منفصلين يعيشان داخله ، وهو مشدود إلى اتجاهين متناقضين . إنه حرب داخلية متحركة ! وهو حائر جداً بين قدرته على رؤية الصواب وعجزه عن عمله ! وبين معرفته للخطأ وعجزه عن الإبتعاد عنه .

وقد عرف المعاصرون لبولس هذه الفكرة ، كما نعرفها نحن . فقد تحدث سنيكا عن « عجزنا تجاه الأمور اللازمة » كما تحدث عن كيف يبغض الناس خطاياهم وكيف يحبونها فى الوقت نفسه ، وكان الشاعر الرومانى أوفيد قد قال : « إننى أرى الأمور الأفضل ، وأقرّها ، ولكننى أتبع الأسوأ » .

وقد عرف اليهود هذه المشكلة ، وقد حلوها بالقول إن داخل الإنسان طبيعتين ودافعين وميلين .. وأن الله خلق الناس هكذا . وقال بعض معلمى اليهود إن الدوافع الشريرة موجودة فى الجنين قبل ولادة الطفل ، وهى كالشخصية الثانية الشريرة ، كعدو للانسان يربض منتظراً اللاحظة المناسبة ليحطم الإنسان إلى الأبد ولكنهم قالوا إن الإنسان ليس مضطراً للخنوع لهذا العدو الشرير ، فلكل إنسان حق الاختيار . وقد قال ابن سيراخ : « هو صنع الإنسان فى البدء وتركه فى يد اختياره ، فإن شئت حفظت الوصايا ووفيت مرضاته . وعرض لك النار والماء ، فتمد يدك إلى ما شئت . الحياة والموت أمام الإنسان ، فما أعجبه يعطى له ... لم يوص أحداً أن ينافق ولا أذن لأحد أن يخطىء » (ابن سيراخ ١٥ : ١٤ ــ ٢٢) .

وهناك أشياء تساعد الإنسان على الابتعاد عن الخطأ . كان هناك **الناموس** ، وقد فكروا أن الله يقول للانسان : « لقد خلقت لك الميل الشرير ، وخلقت لك الناموس كمطهر . فإذا أشغلت نفسك بالناموس ، فإنك لن تسقط فى قبضة الميل الشرير القوية » . وهناك **الإرادة والعقل** ، فقالوا : عندما خلق الله الإنسان وضع فيه العواطف والميول ، وفوق الكل ملك عليه العقل المقدس الحاكم » . وعلى هذا فقد قال اليهود إنه عندما يهاجم الميل الشرير فإن الحكمة والعقل يهزمانه ، وعلى هذا فالإنشغال بدرس ناموس الله يقود للأمان ، لأن الناموس واق من المرض . وهكذا فإن المنشغل بناموس الله يدعو الميل الصالح لنجدته .

ولابد أن بولس عرف هذا كله ، كما أن هذا كله صحيح نظرياً ، ولابد أن يكون صحيحاً . لكن عندما يجيء التطبيق العملى تجده خاطئاً ، لأن المعركة قائمة ويقول بولس إن بداخله « جسد هذا الموت » الذى يستجيب لنداء التجربة والخطية . وكلنا نعلم الصواب ونعمل الخطأ ، وأننا لا نرقى إلى الصلاح الذى نعرف أننا يجب أن نصل إليه . إننا تحت طلب الصالح وتحت طلب الشرير ،

على السواء ! ويمكن أن ندعو هذه الفقرة « مسيرة العجز » .

١ ـــ نرى هنا مسيرة عجز المعرفة الإنسانية ، فلو أن معرفة الصواب تجعلنا نفعله لسهلت الأمور ، ولكن المعرفة وحدها لا تكفى لتجعل الإنسان صالحاً . قد نعرف كل قوانين لعبة الجولف ولكننا نكون أبعد ما يكون عن المقدرة على اللعب . ربما نعرف كيف يكتب الشعر ولكننا نعجز عن قرضه . وربما نعرف قواعد السلوك فى موقف معين ، ولكننا لا نطبق هذه القواعد .. وهنا يكمن الفرق بين الدين والأخلاق ، فالأخلاق هى معرفة ما يجب أن نفعله ، لكن الدين هو معرفة المسيح . الأخلاقيات قواعد ، لكن الدين معرفة شخص . وما لم نعرف المسيح فلن نقدر على عمل ما يجب أن نفعله .

(٢) ونرى مسيرة عجز التصميم البشرى ، فقد نصمم على عمل شىء ، ولكننا لا نعمله ، وهذا يرجع إلى ضعف الإرادة الإنسانية ، فحالما نصطدم بمشكلة أو صعوبة أو مقاومة تنهار إرادتنا ! مرة أخذ بطرس قراراً عظيماً ، قال فيه : « ولو اضطررت أن أموت معك ، لا أنكرك » (متى ٢٦ : ٣٥) ولكن الإرادة الإنسانية بدون قوة المسيح معرضة للكسر .

(٣) ونرى مسيرة محدودية التشخيص ، فقد عرف بولس بوضوح مكمن الخطأ ، ولكنه لم يستطع أن يجرى الإصلاح . كان بولس كالطبيب الذى شخص المرض تشخيصاً صحيحاً ، لكنه فشل فى وصف الدواء الناجع . ويسوع وحده هو الذى يعرف الخطأ ، لكنه يقدر أن يعالج ، ذلك أنه لا يقدم لنا نقداً ولوماً ، لكن عطفاً ومحبة !

الاصحاح الثامن

تحرير الطبيعة الإنسانية

(رومية ٨ : ١ — ٤)

فى هذه الفقرة يقدم بولس الكثير من المعلومات ، ويرجع فيها إلى ما سبق أن قاله فى الرسالة كلها . وخلال هذا الأصحاح تتكرر كلمتان عدة مرات ، هما « الجسد » و « الروح » . ولن نستطيع الفهم حتى نعرف ما قصده بولس بهما .

(١) كلمة « جسد » . يستعمل بولس هذه الكلمة بثلاث طرق مختلفة .

(أ) يستخدمها حرفياً عندما يتحدث عن الختان المصنوع فى الجسد (فى اللحم) (رومية ٢ : ٢٨) .

(ب) ويستخدم التعبير « حسب الجسد » بمعنى « النظر إلى الأمور من وجهة النظر الإنسانية » ، فيقول إنه من وجهة النظر الإنسانية : إبراهيم أب لليهود « حسب الجسد » . ويقول إن المسيح ابن داود « من جهة الجسد » (بحسب وجهة النظر الإنسانية » (رومية ١ : ٣) . ويقول إن اليهود أقرباؤه حسب الجسد (رومية ٩ : ٣) .. وهو يعنى بهذا أنهم أقرباؤه وأنسباؤه من وجهة النظر الإنسانية .

(ج) ولكن بولس استعمل الكلمة بطريقة خاصة به . فعندما يتكلم عن المؤمنين يذكر أياماً « لما كنا فى الجسد » (رومية ٧ : ٥) . ويفارق بين الذين يسلكون حسب الجسد والذين يسلكون حسب الروح (رومية ٨ : ٤ و ٥) ويقول إن الذين فى الجسد لا يقدرون أن يرضوا الله (رومية ٨ : ٨) . ويقول إن إهتمام الجسم موت لأنه معاد لله (رومية ٨ : ٦ و ٧) ويتحدث عن العيشة حسب الجسد (رومية ٨ : ١٢) ويقول للمؤمنين : « فلستم فى الجسد » (رومية ٨ : ٩) . ومن الواضح ، خصوصاً فى الشاهد الأخير ، أن بولس لا يتحدث عن اللحم والدم . إن بولس يقصد فى هذا المعنى الثالث « الطبيعة البشرية فى ضعفها وعجزها وتقصيرها وقابليتها للتجربة والخطأ » . إنها الجزء من الإنسان الذى يكون رأس الجسر للخطية ، وهى الطبيعة الإنسانية الفاسدة المنفصلة عن الله ، وكل ما يشد الإنسان إلى العالم بعيداً عن الله . وهكذا فإن العيشة « حسب الجسد » معناها الحياة العالمية التى تمليها العبودية للخطية ، لا الحياة المسيحية التى تمليها المحبة لله . ويجب أن ندرك أن بولس لا يقصد بالحياة « حسب الجسد » أنها حياة الزنا والخطايا الجسدية فقط ، ذلك أن الخطايا التى يذكرها فى غلاطية ٥ : ١٩ — ٢١ باعتبار أنها « أعمال الجسد » يورد فيها خطايا الجسد من زنا وقتل وغضب ونزاع وبدع وحسد وعبادة أوثان .. فهى خطايا الجسد والنفس . إن بولس يقصد إذاً استعباد النفس الإنسانية لكل ما هو ضد المسيح .

(٢) كلمة « روح » وقد وردت هذه الكلمة فى هذا الأصحاح نحو عشرين مرة .

ولهذه الكلمة أساس كتابى هام ، فهى فى العهد القديم تعنى فكرتين .

(أ) الريح ، وفيها فكرة القوة ، كقوة الريح العاصفة .

(ب) ما هو أكثر من الإنسانى ، شيء ليس من الإنسان وفوق طاقته . إنها القوة الإلهية .

وبولس يقول هنا إنه مضى وقت على المسيحى ، قبل أن يعرف المسيح ، كان فيه تحت رحمة طبيعته البشرية الخاطئة . وفى هذه الحالة حرك الناموس فيه الشهوة للخطأ ، فسار من الردىء إلى الأردأ فى هزيمة وخيبة أمل . ولكن عندما صار مسيحياً جاءت قوة روح الله نفسه ، فصارت له قوة ليست من عنده ، فبدأت انتصاراته بعد الهزائم !

وفى الجزء الثانى من هذه الفقرة يتحدث بولس عن تأثير عمل المسيح علينا . ولنذكر أنه قد سبق أن قال إن كل الناس أخطأوا فى آدم ، وكيف وجد بولس فى فكرة « التكافل والتضامن » ما جعله يقول إن كل الناس مخطئون مع آدم ، وكيف اجتاز الموت إلى جميع الناس . ولكن المسيح جاء إلى هذا العالم ، إنساناً مولوداً من امرأة بطبيعة إنسانية كاملة ، وعاش كإنسان بلا خطية ، فهزم الخطية وأدانها وهزمها .. وقدم لله حياة كاملة بلا عيب متمماً كل مطالب الناموس . وقد تم التكافل بين المؤمنين وبين المسيح ، فصار لنا كماله وانتصاره ، وفيه تمم البشر ناموس الله . وكما جاء العصيان لكل البشر فى تضامنهم مع آدم ، جاءت الطاعة إليهم فى تضامنهم مع المسيح . نال المؤمنون بالمسيح الخلاص لأنهم اتحدوا معه فى صلاحه . وقد فهم قرَّاء رسالة رومية ما قصده بولس ، لأنهم كانوا يدركون معن نظرية التضامن والتكافل . وباتحادنا بالمسيح تنفتح لنا الحياة المسيحية التى لا يسيطر عليها « الجسد » بأهوائه وشهواته ، بل يسيطر عليها « الروح » الذى يملأ المؤمن بقوة من خارج نفسه . وهكذا تنتهى العقوبة على الماضى ، وتتأكد لنا قوة الروح للمستقبل .

قانونان للحياة

(رومية ٨ : ٥ — ١١)

فى هذه الفقرة يقدم لنا بولس مفارقة بين نوعين من الحياة :

١ — هناك الحياة التى تسيطر عليها الطبيعة الإنسانية الخاطئة ، فتتركز على ذاتها ، تستوعبها اهتمامات الشهوة ، وتستغرقها اللذة . ويختلف نوع هذه الحياة باختلاف الأشخاص ، فبعضهم تسيطر عليه الشهوة ، وغيرهم الكبرياء ، وغيرهم الطموح الخاطىء ، وغيرهم الانتقام . ولكنهم جميعاً تستوعبهم الاهتمامات المعادية للمسيح ..

٢ — وهناك الحياة التى يسيطر عليها روح الله . وكما يحيا الإنسان فى الهواء يحيا المسيحى فى

المسيح ولا ينفصل عنه ، وكما يتنفس الإنسان الهواء فيملأه ، هكذا يملأ المسيح المسيحى ، فالمسيح فكره . لا إرادة شخصية له ، بل إرادة المسيح هى قانون حياته ، لأنه تحت سيطرة الروح ، وكل فكره مركز على الله .

وهذان النوعان من الحياة يسيران فى اتجاهين متضادين ، فالحياة التى تسيطر عليها رغبات الطبيعة الإنسانية الخاطئة ونشاطاتها تسير نحو الموت ، ولا مستقبل لها ، لأنها تبتعد تدريجياً عن الله . وكل من يسمح للعالم أن يسيطر عليه يحكم على نفسه بالإعدام ، ويهلك نفسه بكل ما فى الهلاك من معنى . وعندما يحيا الإنسان حسب الجسد يجعل من نفسه شخصاً غير مناسب للوقوف فى محضر الله ، لأنه معاد لله كاره لوصاياه وسيطرته . وهو ليس صديقاً لله ، بل عدو له ، ولم يحدث أبداً أن إنسانا ربح المعركة ضد الله !

أما الحياة حسب الروح ، فمركزها المسيح وكل نظرها موجه إليه ، وهى تقترب إلى السماء كل يوم ، رغم أنها تحيا على الأرض . وهى تقترب من التشبه بالمسيح كل يوم ، كما أنها فى تقدم مستمر نحو الله ، حتى يصبح تخطيها للموت مرحلة مفروضة . إنها مثل أخنوخ الذى سار مع الله ، ولم يوجد لأن الله « نقله » . وقد وصف طفل حياة أخنوخ ، قال : « كان أخنوخ يتنزه مع الله وهو يسير كل يوم ، وذات يوم خرج للتنزه مع الله فلم يرجع » !

ولكن ما أن قال بولس هذا حتى شعر أن شخصاً سيسأله : « تقول إن الحياة التى يسيطر عليها روح الله حياة دائمة ، لكننا نرى أن كل الناس يموتون . فماذا تقول ؟ » . ويجاوب بولس على هذه الفكرة فيقول إن كل الناس يموتون لأنهم متورطون فى الحياة الإنسانية فقد دخلت الخطية إلى العالم ، ومعها الموت ، لأن الموت نتيجة للخطية ، فكل الناس يموتون . ولكن صاحب الحياة « حسب الروح » الذى جعل المسيح مركزاً لحياته يموت ليقوم . إن بولس يرى أن المسيحى متحد بالمسيح ، وعلى ذلك فهو غير قابل للانحلال . ولقد مات المسيح وقام منتصراً على الموت ، وكل من يتحد بالمسيح يتحد معه فى انتصاره على الموت ، وفى القيامة . وعلى هذا فالذى يحيا « حسب الروح » يسير فى الطريق إلى الحياة ، وما الموت إلا فترة فاصلة نمر بها فى طريقنا للحياة .

الدخول إلى عائلة الله

(رومية ٨ : ١٢ ـــ ١٧)

فى هذه الفقرة يقدم لنا بولس صورة للمسيحى تصف علاقته الجديدة مع الله ، فيقول إن الله قد تبناه فى عائلته . ولن نفهم عمق فكرة بولس هنا حتى ندرك الخطوات المعقدة التى كان الرومانى يجوز فيها قبل أن يتبنى طفلاً ، فقد كان نظام « الوصاية الأبوية » قاسياً ، وكان التبنى أقسى . أما الوصاية الأبوية فقد كانت تعطى الأب السلطة المطلقة على بيته حتى الحياة والموت . ولم يكن الابن الرومانى يخرج أبداً من وصاية أبوية ، مهما بلغ من العمر . كان الأب يملك أسرته تماماً

ويحكمها . وقد جعلت هذه « الوصاية الأبوية » مسألة التبنى صعبة للغاية ، لأن الابن المتبنَى (بتشديد النون وفتحها) كان يخرج من وصاية أبيه إلى وصاية أب آخر . وكان لهذا التبنى خطوتان ، فى الخطوة الأولى كان يتم بيع وشراء رمزى ، ثلاث مرات . كان الأب يبيع ابنه مرتين ثم يشتريه ، وفى المرة الثالثة كان يبيعه ولا يشتريه ، وهكذا تنكسر وصايته على ابنه . وبعد ذلك تجيء الخطوة الثانية ، وهى خطوة التبنى ، عندما يأخذ المتبنِى (بتشديد النون وكسرها) الابن أمام الحاكم الرومانى ليقوم بنقله قانونياً إلى وصاية « الأب الجديد » . وعندما يتم هذا يكمل التبنى .

أما نتيجة التبنى فقد كانت الصورة الماثلة فى ذهن بولس هنا . كانت هناك أربع نتائج :

(١) كان الابن يفقد كل حقوقه فى عائلته القديمة ، ويربح كل الحقوق فى عائلته الجديدة . وكان هذا يحدث عرفياً وطبقاً للقانون . وهكذا يصبح له أب جديد .

(٢) يصبح الابن وارثاً لتركة أبيه الجديد . وحتى لو أنجب الأب الجديد أولاداً من صلبه ، فإن حقوق الابن المتبنى (بتشديد النون وفتحها) تبقى دون تغيير ، إذ يصبح وارثاً معهم .

(٣) قانونياً تنتهى حياة الابن السابقة للتبنى ، فتسقط مثلا كل الديون التى كانت عليه وكأنها لم تكن ، ويعتبر صاحب حياة جديدة بدأت يوم تبنيه . الحياة القديمة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً .

(٤) قانونيا يصبح الابن حرفياً وكاملا ابناً للأب الجديد . وهناك حادثة تاريخية توضح هذا ، فقد تبنى الامبراطور كلوديوس نيرون ليخلفه على العرش ، دون أن تكون هناك أية صلة قرابة بينهما . وكان كلوديوس قد أنجب بنتاً هى « أوكتافيا » . وقد أراد نيرون أن يثبت العلاقة الجديدة بالزواج من أوكتافيا . والواقع أنه لم يكن هناك أى نوع من القرابة بين نيرون و أوكتافيا ، ولكن القانون (بسبب التبنى) اعتبرهما أخا وأختاً . وكان على البرلمان الرومانى أن يصدر قانونا خاصا يسمح بزواج نيرون من أو كتافيا ، التى كانت أخته فى نظر القانون !

ويقدم بولس صورة أخرى للتبنى الرومانى ، فيقول إن الروح يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله . وكانت حفلة التبنى تتم بحضور سبعة شهود . ولنفترض أن الأب المتبنى (بتشديد النون وكسرها) مات وحدث خلاف حول تقسيم التركة . هنا يتقدم أحد الشهود السبعة ويحلف أن التبنى كان قانونياً وصحيحاً وقد حدث أمامه ، وهذا ينهى الإشكال ، ويضمن للابن الجديد نصيبه فى التركة . ويقول بولس هنا إن الروح القدس شاهد على أننا قد دخلنا فى عائلة الله .

من هذا نرى أن كل خطوة من خطوات التبنى واضحة فى ذهن بولس ، الذى نقل التشبيه إلى التبنى فى عائلة الله . لقد كنا تحت سلطان الخطية الكامل ، وتحت وصاية الطبيعة البشرية الساقطة الثائرة على سلطان الله ، ولكن الله تبنانا ونقلنا تحت وصايته ، فلم تعد للحياة القديمة أية سلطة علينا ، وشطب الماضى وانتهى بكل ديونه . وهكذا بدأنا حياة جديدة مع الله ، صرنا معها وُرثة لكل غنى الله . صرنا ورثة الله ووارثين مع المسيح ، ابن الله . وما يرثه المسيح نرثه نحن أيضاً . وإن كان المسيح قد ورث الألم ، فهكذا نرثه نحن أيضاً ، وما دام المسيح قد قام للحياة

والمجد ، فإننا سنرث هذا أيضاً !

إن بولس يوضح لنا هنا أن الإنسان يدخل عائلة الله عندما يصير مسيحياً ، دون أن يكون قد فعل شيئاً لكسب هذا الامتياز . إن الله فى كامل محبته ورحمته قد أخذ الخاطىء الساقط العاجز الفقير المديون وتبناه داخل عائلته ، فانتهت ديونه ونال المحبة والمجد اللذين لا يستحقهما !

الرجاء المجيد

(رومية ٨ : ١٨ — ٢٥)

تحدث بولس عن أمجاد التبنى فى عائلة الله ، ثم عاد يتحدث عن الآلام التى يواجهها أولاد الله فى العالم الحاضر . وهو يرى الأمور بعين الشاعر الذى يرى الخليقة كلها من مخلوقات وطبيعة تنتظر المجد الآتى ، لأنها تعانى من العبودية والفساد ، فإن الجمال فى عالمنا يذوى والحلاوة تفسد . إنه عالم مائت ! ولكن الخليقة كلها تتوقع حالة الحرية والمجد القادمة .

وعندما كان بولس يستخدم هذه الكلمات ، كان يخاطب اليهود الفاهمين لما يقول ، فهو يتحدث عن العالم الحاضر ، والأمجاد المنتظرة له . وكان الفكر اليهودى قد قسم الدهر إلى قسمين : الدهر الحاضر ، والدهر الآتى . فالدهر الحاضر شرير مستعبد للخطية والموت والفساد . ولكن « يوم الرب » آت ، وهو يوم عقاب تهتز له الأساسات وترتعب . ولكن منه يبدأ الدهر الآتى والعالم الجديد . وكان تجديد العالم من أفكار اليهود العظيمة ، يتحدث العهد القديم عنها فى غير تفصيل « لأنى هأنذا خالق سماوات جديدة وأرضاً جديدة » (إشعياء ٦٥ : ١٧) ولكن فى فترة ما بين العهدين ، عندما شعر اليهود بالظلم والعبودية والاضطهاد ، بدأوا يحلمون بتجديد العالم وتغييره فيقول باروك فى رؤياه : « ستعطى الكرمة ثمرها عشرة آلاف ضعف ، ففى كل كرمة تجد ألف غصن ، يحمل كل غصن ألف عنقود ، ويحمل كل عنقود ألف حبة ، وتعطى كل حبة (وزناً كبيراً) من العصير . سيفرح الجائعون ، وسيرون عجائب كل يوم ، لأن الريح ستخرج من أمامى كل صباح حاملة روائح الفواكه ، وفى المساء تخرج السحب لتنزل الندى المروى » (٢٩ : ٥) .

ويقول سبلين : « ستعطى الأرض والأشجار والقطعان إنتاجها الكبير للناس ، من خمر وعسل ولبن وقمح ، وهى أجمل العطايا للناس . ستعطى الأرض أجمل هداياها للبشر المائتين ، من قمح وخمر وزيت ، وستمطر العسل الحلو ، وتعطى الأشجار والنعاج أفضل الإنتاج . ستنبثق ينابيع اللبن الأبيض وستمتلىء المدن من الصالحات والحقول من الغنى . لن يكون هناك سيف ولا معركة حربية ، ولن يكون فى الأرض أنين . لا حرب ولا قحط ولا جوع ولا وباء ولا آفات على الزرع أو على البشر » .

كان حلم التجديد عزيزاً على اليهود . ويقول بولس إن الخليقة كلها تتوقع هذا اليوم عندما تتحطم عبودية الخطية ، ويزول الموت ، ويجىء مجد الرب ! ويقول بولس إن حالة الطبيعة الحالية أسوأ من

حالة الناس ، فإن البشر أخطأوا باختيارهم ، ولكن الطبيعة لم تختر الخطأ ، لكنها « أخضعت للبُطل » فاحتملت نتيجة الخطية ، فقد قال الله لآدم « ملعونة الأرض بسببك » (تكوين ٣ : ١٧) وها هو بولس — بعين الشاعر — يرى الطبيعة تتوقع التحرير من الفساد الذى جاء إلى العالم بسبب الخطية .

وإن كان هذا يصدق على الطبيعة ، فهو يصدق على البشر ، فيمضى بولس ليتحدث عن انتظارات الناس ، فيقول إنه فى اختبار الروح القدس رأى الناس باكورة المجد الآتى ، وهذا يجعلهم يتطلعون إلى استكمال هذا المجد عندما يصيرون أعضاء عائلة الله . وسيكون التبنى الأخير فداء الأجساد . ففى العالم الحاضر يوجد الإنسان بالروح والجسد ، أما فى العالم الآتى فإن الإنسان « كله » سيخلص . ولن يكون جسده قابلا للفساد ، ولا آلة للإثم ، ولكنه سيكون جسداً روحياً مناسباً لحياة الإنسان الروحية .

ثم يقول الرسول : « لأننا بالرجاء خلصنا » . لقد امتلأ فكر بولس بالحقيقة الرائعة أن حالة الإنسان ليست ميئوساً منها . لم يكن بولس متشائماً . قال هـ . ج . ويلز : « إن الانسان الذى بدأ حياته فى كهف يخاف الريح ، سيموت بالمرض المدمر ، فى كوخ » . لم يكن هذا فكر بولس . لقد رأى خطية الإنسان ، وحالة العالم والبشر . ولكنه رأى أيضاً محبة الله وقوته الفادية ، فوجد الرجاء والأمل ، فلم يعش بولس فى عالم فاسد بالخطية مائت بالإثم ينتظر خرابه ، بل عاش فى التحرير وإعادة الخلق ، بقوة الله ، ولمجده !

ويستخدم بولس فى آية ١٩ كلمة جميلة للغاية ، هى كلمة « **يتوقع** » وهى تصف الشخص الذى يطالع الأفق برأس مرفوع مفتشاً عن أول علامات بزوغ الفجر . إن بولس لا يرى الحياة تعباً فى انتظار الهزيمة ، ولكنها حياة عامرة بالانتظارات . ويحيا المؤمن وسط الصراعات الداخلية مع طبيعته البشرية ، والخارجية مع العالم الملىء بالفساد والموت ، ولكنه لا يحيا فى العالم فقط ، بل فى المسيح أيضاً ، وهو لا يرى العالم فقط ، لكنه يتطلع إلى الله خلف العالم ، وهو لا يرى نتائج خطية الإنسان فقط ، لكنه يرى قوة الله ومراحمه ومحبته ، وعلى هذا فإن نبرة الحياة المسيحية هى نبرة الرجاء لا اليأس . والمؤمن لا يتوقع الموت ، بل الحياة !

الكل من الله

(رومية ٨ : ٢٦ — ٣٠)

تقدم هذه الفقرة لنا فكرة من أجمل الأفكار عن الصلاة ، إذ يقول بولس إنه بسبب ضعفنا لا نعرف ما نصلى لأجله ، ولذلك الروح القدس يصلى فينا كما ينبغى أن نصلى . وقد عرف « دود » الصلاة بأنها « الالهى الذى فينا يدعو الإلهى الذى فوقنا » وهناك سببان واضحان لكوننا لا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ، أولهما لأننا لا نرى المستقبل ، ولا حتى ساعة واحدة مقدماً ، فقد

نصلى أن ينقذنا الله من أشياء هى لصالحنا ، وقد نطلب أشياء تضرنا ، وذلك لأننا لا نعرف فائدة أو ضرر ما سيحدث لنا مستقبلا . وثانيهما أننا فى الظرف الذى نعيشه لا نعرف ما هو الأفضل لنا ، فإننا كالطفل الذى يصر على نوال ما يؤذيه ، والله كالأب الذى يرفض طلب ابنه ، ويجبره على عمل شيء لا يريد أن يفعله ، لأنه يعرف مصلحة الطفل أفضل من معرفة الطفل لها . وقد منع فيثاغوراس تلاميذه من الصلاة التى يطلبون فيها أشياء شخصية ، لأنهم بسبب جهلهم لن يعرفوا ما هو الأفضل لهم . أما زينوفون فقد أخبرنا أن سقراط علم تلاميذه أن يصلوا لأجل الأشياء الصالحة بدون تحديد هذه الاشياء ، تاركين لله تحديد الصالح بنفسه ! ويقول « دود » إننا لا نعرف احتياجاتنا الحقيقية ، ولا نقدر بعقولنا المحدودة أن نعرف مقاصد الله . ويقول بولس إننا نقدر أن نجى إلى الله بأنات يفسرها الروح القدس ويرفعها لله ، فالصلاة « من الله » كما أن كل شيء هو من الله ، فالتبرير لا يجيء من مجهوداتنا ، كما أن الصلاة الحكيمة لا يمكن أن تنتج عن ذكائنا . وعلى هذا فإن الصلاة النموذجية هى : « ياأبتاه ، فى يديك استودع روحى . لتكن لا إرادتى بل إرادتك » .

ولكن بولس يمضى ليقول إن المدعوين من الله ، حسب قصده ، يعلمون أن الله يدبر كل الأمور لخيرهم . والمسيحى يعرف من اختباره أن كل الأشياء تعمل معاً لخيره . ولا داعى للانتظار حتى نكبر فى العمل ، فنتطلع إلى وراء لنرى كيف حول الله المصائب إلى بركات ، وأن الأشياء التى ضايقتنا انتهت بالخير كله لنا .. لكن من الآن ننظر لنرى اليد الهادية الموجهة تتخلل كل ماضينا .

على أن هذا الاختيار من نصيب « **الذين يحبون الله** » فقط . كان الرواقيون يتحدثون عن « كلمة الله » بقصد أن « الكلمة » هى فكر الله ، ذلك أن « كلمة الله » خلقت العالم وتحفظه ، وتعطى العالم النظام والمعنى ، وتحفظ الأفلاك فى مداراتها ، وتتابع الليل والنهار والصيف والشتاء . وباختصار « الكلمة » هى الفكر الإلهى الذى يعطى الكون نظامه ويحفظه من الفوضى . ولكن الرواقيين ذهبوا إلى أبعد من هذا ، فقد قالوا إن للكلمة برنامجاً لحياة كل فرد ، وإنه لا يحدث شيء لانسان ما لم يكن من الله ، وما لم يكن فى خطة الله لحياة ذلك لإنسان . وقد كتب أبكتيتوس : « لتكن لك الشجاعة لتتطلع للرب وتقول : تعامل معى كما تريد من الآن وصاعداً . فإنى واحد معك . إنى لك . ولن أتخاذل عن قبول شيء تراه أنت صالحا لى ، فقدنى إلى حيث تريد ، وألبسنى الرداء الذى يرضيك . هل تريدنى أن أبقى فى وظيفتى أم أهجرها ، أبقى أو أهرب ، أغتنى أو أفتقر ؟ سأطيعك وأدافع عما تفعل معى أمام كل الناس » . وهكذا نرى أن الرواقيين علموا الإنسان « القبول والتسليم » فإذا سلم الإنسان بما يجيء الله عليه به ، وجد السلام ، ولكن إن قاوم فسيكون كمن يضرب رأسه ليحطم مقاصد الله !

ويقدم بولس الفكرة نفسها ، فيقول إن كل الأشياء تعمل معاً للخير ، لكن للذين يحبون الله ، فإذا أحب إنسان الله ووثق فيه على أنه الأب الحكيم المحب ، فإنه سيقبل فى تواضع ما يرسله الله له . قد يذهب إنسان إلى طبيب أو إلى جراح فيصف له الأدوية التى تضايقه ، ولكن الثقة فى حكمة الطبيب تجعله يقبل ما يصفه له . وهكذا نفعل نحن مع الله إن كنا نحبه . ولكن إن كان

أحد لا يحب الله ولا يثق فيه ، فإنه يتذمر ويقاوم ما يأتى الله به عليه . إنه يغضب ويثور على الآلام والأحزان والتجارب . وعلى هذا فإن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله فقط ، الذين يثقون فى حكمته الأبوية .

ويمضى بولس ليتحدث عن فكرة أخرى ، عن اختبار كل مسيحى . إنه يقول : « لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين . والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً . والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » . وقد أسىء تفسير هذه الآيات كثيراً ، فإننا يجب أن ندرك أن بولس هنا لم يكن يتكلم لاهوتيا أو فلسفيا ، لكنه كان يتكلم اختباريا .. ذلك أنه إن كنا نفسر هذه الآيات لاهوتياً لقلنا إن الله اختار بعض الناس ولم يختر البعض الآخر ، ولوجدنا فى محبة الله تفصيلات غريبة . ولكن بولس هنا يتحدث عن الاختبار المسيحى ، وكلما فكر المسيحى فى اختباره اكتشف أنه لم يفعل شيئاً يستحق به كل ما فعله الله لأجله ، فإن المسيح جاء إلى العالم وعاش وصلب وقام ، دون أن يفعل أى مسيحى شيئاً فى هذا . كله من عمل الله . ولقد سمعنا قصة حبه العجيب ، ولكننا لم نكتبها . لقد آمنا بها فقط ، فاستيقظ حبه فى قلوبنا ، وتبكّتنا على خطيتنا ، واعترفنا بها ، فنلنا الغفران والخلاص ، دون أن يكون لنا ضلع فى ذلك . الكل من الله ! إن هذا ما يقوله بولس هنا .

ونجد فى العهد القديم معنى مضيئاً لكلمة « عرف » . ويقول الله : « أنا عرفتك فى البرية » (هوشع ١٣ : ٥) . « إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض » (عاموس ٣ : ٢) . وعندما يقول الكتاب إن الله عرف الإنسان يعنى أن لله قصداً وهدفاً وعملا لذلك الإنسان . وعندما نتطلع إلى ماضى اختباراتنا مع الله نقول : « أنا لم أفعل هذا . ما كان يمكن أن أفعله . لقد عمل الله كل شىء » . نقول هذا ونحن نعلم أنه لا يعنى أن الله سلبنا حرية الارادة . لقد عرف الله إسرائيل ، لكن جاء وقت رفضت فيه إسرائيل مقاصد الله من جهتها . إن يد الله غير المنظورة ترشد حياتنا وتهدينا ، لكننا أحرار أن نرفض هذه القيادة أو نقبلها ، ولكن المسيحى الحقيقى يختبر أن الكل من الله ، وأنه لم يفعل شيئاً ، لأن الله فعل كل شىء . وهذا ما يقصده بولس هنا .. إنه يقصد أن الله من البدء عيننا للخلاص ، وفى الوقت المناسب جاءت دعوته لنا . ولكن بولس يعلم أن كبرياء قلب الإنسان يمكن أن يحطم خطط الله إذ يعصى إرادته ، ويرفض دعوة الله له .

المحبة التى لا يفصلنا عنها شىء

(رومية ٨ : ٣١ — ٣٩)

هذه قطعة شاعرية رائعة من قلم بولس ، أما الآية ٣٢ فهى اشارة وتذكير بحادثة جميلة فى العهد القديم فيقول بولس « الذى لم يشفق على ابنه ، بذله لأجلنا اجمعين ، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء ؟ » . وقد سبق أن أظهر إبراهيم حبه وولاءه الكامل للرب عندما لم يشفق على ابنه ، وأراد

أن يبذله لأجل الرب ، فقال له الله : « لم تمسك ابنك وحيدك عنى » (تكوين ٢٢ : ١٢) . ويقول بولس : « انظروا إلى أعظم برهان فى العالم على ولاء إنسان للرب . إن ولاء الرب لكم مثله ، فكما كان إبراهيم محباً للرب حتى قبل أن يبذل ابنه ، أعز ما عنده ، من أجل الله ، هكذا كانت محبة الله للبشر حتى أنه بذل ابنه عنهم . ونحن نقدر أن نضع كل ثقتنا فى هذه المحبة الالهية .

وهناك طريقتان لتفسير آيات ٣٣ ــ ٣٥ ، كل تفسير منها جميل ، ويقدم حقا ثمينا :

١ ــ يمكن أن نجد هنا جملتين ، يتبعهما سؤالان ينبعثان من الجملتين :

(أ) إن الله هو الذى يبرر البشر ــ هذه هى الجملة . والسؤال : إن كان الله هو الذى يبرر فمن يقدر أن يدين ؟ مادام الله يبرر الإنسان فإنه ينجو من كل عقوبة .

(ب) ثقتنا هى بالمسيح الذى مات وقام ، والذى يحيا الآن ــ هذه هى الجملة . والسؤال : من يستطيع إذن أن يفصلنا عن هذا الإله فى المقام ؟

فإذا قبلنا هذا التفسير ، فإننا نرى حقيقتين عظيمتين :

(أ) إن الله يبررنا ، فلا يقدر أحد أن يديننا .

(ب) المسيح قام ، فلا يستطيع شىء أن يفصلنا عنه !

٢ ــ ولكن هناك تفسير آخر . الله يبررنا ، فمن يستطيع أن يقف ضدنا فى يوم الدين ؟ والجواب : إن ديان العالم كله هو المسيح ، وحده له حق الإدانة . ولكن الإدانة لن تكون ، لأنه يجلس عن يمين الله ويشفع فينا ، وهكذا تجدنا فى طمان ! وفى نور هذا التفسير نرى للآية ٣٤ معنى رائعاً ، إذ يقول فيها بولس أربع حقائق عن المسيح :

(أ) إنه مات .

(ب) إنه قام أيضا .

(ج) إنه عن يمين الله .

(د) إنه يشفع فينا . وهناك قانون الإيمان الرسولى الذى يقول : « صلب ومات وقبر ، وقام أيضا فى اليوم الثالث من بين الأموات ، وصعد إلى السماء ، وهو جالس عن يمين الله الآب الضابط الكل . وسيأتى من هناك ليدين الأحياء والأموات » . لاحظ أن ثلاث حقائق من التى أوردها بولس موجودة فى أقدم قانون إيمان . إن المسيح مات ، وقام ، وعن يمين الله . أما الرابعة فتختلف . يقول قانون الإيمان إن المسيح سيأتى ليدين الأحياء والأموات ، أما بولس فيقول إن المسيح يشفع فينا . فبالنسبة للخطاة المسيح قاض يدين ، لأنه يجلس عن يمين الله للديتونة . أما بالنسبة للمؤمنين فإن المسيح لم يجلس هناك ليكون قاضى هلاكنا ، ولكن لكى يشفع فينا ويدافع عنا . ليس هو هناك ليصيغ الحكم ضدنا . بل فى صالحنا . إنه ليس الديان ، بل الصديق الذى تبنى قضيتنا ! ليخشى الخطاة قضاءه ، أما أبناء الله فلن يفصلهم عن محبته شىء !

وأعتقد أن التفسير الثانى هو الأصح ، فإن بولس لا يرى فى المسيح قاضيا للبشر ، بل محباً لهم ، وعلى هذا فإنه يمضى ليرتل : « من سيفصلنا عن محبة المسيح الإله الحى المقام ؟ »

١ ــ لا اضطهادات ولا صعوبات تقدر أن تفصلنا عنه (آية ٣٦) . فمع أن العالم يشوش على سمعنا ، لكننا نقدر أن نجد الأوقات الجميلة معه . إن كل مصائب العالم لا تفصل الإنسان عن المسيح ، بل تقربه اليه .

٢ ــ فى آيتى ٣٨ ، ٣٩ يعطى بولس قائمة بأشياء مرعبة . يقول : لا موت ولا حياة يقدران على فصلنا عن المسيح : ففى الحياة نحيا مع المسيح ، وفى الموت نموت معه . ولأننا نموت معه فسنقوم أيضا معه . فالموت خطوة لتقريبنا للمسيح ، لا لفصلنا عنه ! . ليس الموت نهاية ، لكنه بوابة السماء التى تقودنا إلى محضر المسيح .

ولا تستطيع الملائكة أن تفصلنا عنه . وفى وقت بولس كان اليهود يثقون فى قوة الملائكة ، وكان لكل شىء فى العالم ملاك ، ملاك للريح ، وملاك للسحب ، وآخر للبرد والبرق والرعد والفصول .. الخ . وقال معلمو اليهود إن لكل شىء فى العالم ملاكاً ، حتى لورقة الشجر ! واعتقدوا أن الملائكة فصائل وأنواع . وقالوا إن هناك ثلاثة أنواع : الأول للعروش ومنهم الكروبيم والسرافيم . الثانى : القوات من الحكام وأصحاب القوة . والثالث : الرياسات . وقد تحدث بولس عن الملائكة أكثر من مرة (أفسس ١ : ٢١ ، ٣ : ١٠ ، ٦ : ١٢ ، كولوسى ٢ : ١٠ ، ١٥ ، ١ كورنثوس ١٥ : ٢٤) . وقد قال معلمو اليهود إن هؤلاء الملائكة معادون للبشر ، كما أنهم كانوا غاضبين لأن الله خلق الإنسان ، فقد أرادوا أن يستأثروا بالله وحدهم ، فلما خلق الإنسان تذمروا لأن الإنسان سيشاركهم فى اهتمام الله . وقالوا إن الله عندما ظهر فى سيناء ليعطى موسى الناموس ، كان مصحوباً بعدد كبير من الملائكة ، تذمروا على إعطاء الناموس لبنى إسرائيل ، وحاولوا أن يعطلوا موسى فى صعوده إلى الجبل لولا تدخل الله . وبولس هنا يقول : « حتى الملائكة فى تذمرهم وغيرتهم لن يفصلونا عن محبة المسيح » .

ويمضى بولس ليقول إن الأشياء الحاضرة والمستقبلة لا تقدران أن تفصلانا عن محبة المسيح . كان اليهود يقسمون الدهر إلى قسمين : الدهر الحاضر والدهر الآتى . وبولس يقول إنه لا شىء فى الدهر الحاضر يقدر أن يفصلنا عن محبة الله وسيجىء اليوم الذى فيه ينتهى « العالم الحاضر » وتفنى « الأمور الحاضرة » ويشرق فجر الدهر الآتى . وسواء كنا فى الدهر الحاضر أو الدهر الآتى فإن إرتباطنا بالرب ثابت لا يتغير .

ثم يقول بولس إنه لا علو ولا عمق يقدران أن يفصلانا عن محبة الله . و « العلو والعمق » تعبير فلكى ، فقد كان الأقدمون يخافون النجوم ، وكانوا يقولون إن كل إنسان ولد تحت نجم خاص ، فتحدد مصيره . ولازال البعض يؤمن بهذا الكلام حتى اليوم ! لكن الأقدمين صدقوا تماماً أن النجوم تطاردهم وتحدد مصيرهم . أما « العلو » فهو حين يكون النجم فى أعلى إرتفاع له . أما « العمق » فهو حين يكون النجم فى أقل إرتفاع له ، ينتظر الإرتفاع لكى يؤثر فى حياة أحد

الناس . ويقول بولس للخائفين من النجوم : إن النجوم لا تقدر أن تضركم فى إرتفاعهم أو فى إنخفاضهم لا قوة لهم لتفصلنا عن محبة الله . ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن الله . وبولس هنا يقول : « أى خيال مخيف لا يقدر أن يفصلنا عن محبة الله . فلنفرض أن عالماً مختلفاً ظهر فجأة .. ستكونون فى أمان محاطين بمحبة الله » .

بهذه الأفكار يزول الخوف وينتهى الشعور بالوحدة . إن بولس يقول : « يمكن أن تفكروا فى أكثر الأمور إثارة للرعب يمكن أن نجدها فى هذا العالم — لا يستطيع واحد منها أن يفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح ، لأنه هو الرب والسيد والمتسلط على كل ما فى العالم » .

إن كان الله معنا ، فمن علينا ؟

مشكلة اليهود

مقدمة الاصحاحات ٩ ــ ١١

يعالج بولس فى هذه الأصحاحات الثلاثة مشكلة محيرة . يجب أن تجد الكنيسة حلا لها ، هى مشكلة اليهود ، فقد كانوا شعب الله المختار ، وأصحاب مكانة خاصة فى برنامج الله للعالم ، ولكن عندما جاء ابن الله إلى العالم رفضوه وصلبوه . فكيف نفسر هذا التناقض ؟ كيف نفسر أن شعب الله صلبوا ابن الله ؟ هذه هى المشكلة التى يعالجها بولس هنا . ولذلك فإننا قبل دراسة هذه الأصحاحات بالتفصيل سنستعرض بعض الأفكار الرئيسية التى أوردها بولس ، مع الخطوط الرئيسية للحلول التى قدمها .

وقبل أن ندخل فى هذا العرض نود أن نوضح أن بولس يكتب ما يكتبه ، لا فى غضب بل فى انكسار قلب ، فهو لم ينس أنه يهودى كان يود أن يبذل حياته ليجىء بإخوته اليهود للمسيح .

لم يفكر بولس أن اليهود شعب الله المختار ، وأن الله تبناهم شعباً له ، وأعطاهم المواعيد والعبادة فى الهيكل والناموس ، كما حل بمجده وسطهم . ومنهم آباء الإيمان لكن فوق الكل جاء منهم المسيح . أما مكانتهم الخاصة فى برنامج الله الخلاصى فهى محور حديث بولس ، ومنها يبدأ علاجه للمشكلة .

والفكرة الأولى التى يوردها بولس هى أن اليهود رفضوا المسيح وصلبوه ولكن ليس كلهم ، فإن بعضهم قبلوه وآمنوا به ، وقد كان أول أتباع يسوع يهوداً . وعندما ينظر بولس للتاريخ ، يرى أن ليس كل نسل إبراهيم « يهوداً » (أى ممدوحين من الله) ففى كل التاريخ كان الله يختار . وعلى هذا فقد قبل بعض أبناء إبراهيم ورفض البعض الآخر . فمن نسل إبراهيم قبل اسحق ابن الموعد ، ورفض إسماعيل ابن الاستحسان البشرى . ومن نسل اسحق اختير يعقوب ورفض توأمه عيسو . وليس فى هذا الاختيار شىء من الاستحقاق ، ولم يكن حقاً كسبه الشخص المختار ، لكنه كان نتيجة اختيار وعمل حكمة الله وقوته .

ويوضح بولس أن الجماعة المختارة الحقيقية من إسرائيل لم تكن أبداً كل الشعب ، بل فى ما يسميه « البقية الأمينة » وهم العدد القليل الذى كان موالياً لله لما تنكر له الباقون . هكذا كان الحال زمن إيليا عندما أبقى الرب لنفسه سبعة آلاف شخص أمين ، بينما ظل الباقون وراء « البعل » . وهذا ما يقوله إشعياء : « لأنه وإن كان شعبك ياإسرائيل كرمل البحر ، ترجع بقية منه » (إشعياء ١٠ : ٢٢ ، رومية ٩ : ٢٧) . وعلى هذا فلم يكن هناك وقت ابداً اختير فيه كل إسرائيل ، بل كانت هناك فقط « بقية مختارة » .

لكن هل من العدالة أن يقبل الله البعض ويرفض البعض الآخر ؟ وإن كان الله يقبل ويرفض بعض الناس ، لا لصلاح أو خطأ فيهم ، فكيف نلومهم على رفض المسيح وكيف نمدح الذين قبلوا ؟

هنا يستخدم بولس منطقاً لا ندركه ، وربما يجعلنا نجفل ، فبولس يقول إن الله يفعل ما يريد وليس للإنسان الحق أن يسأل لماذا ؟ فإنه ليس من حق الخزف أن يسأل الفخارى وليس من حق المصنوع أن يسأل الصانع ، فإن الفخارى يصنع من ذات المادة إناء لغرض شريف وإناء آخر لغرض حقير ، دون أن يحق للأوانى أن تحتج . ويقتبس بولس كلام الله مع فرعون (رومية ٩ : ١٧) ويقول إن الله أقام فرعون فى هذه المرحلة من التاريخ ليجعله أمثولة لقوة الغضب الالهى . ولم يحدث مرة أن حذر الله شعبه من اختيار الأمم ومن رفضهم ، عندما أعلن على فم هوشع : « عوضاً عن أن يقال لهم : لستم شعبى ، يقال لهم : أبناء الله الحى » (هوشع ١ : ١٠ ، ورومية ٩ : ٢٥) .

ولكن متى كان رفض إسرائيل أمراً عشوائياً بلا هدف ؟ لقد فعل الله هذا بهدف دخول الأمم . لقد أغلق الله الباب أمام اليهود ليفتحه أمام الأمم . وما لم يغلق الله عيون اليهود وما لم يقس قلوبهم — كما فعل — ما حقق قصده فى إقبال الأمم إلى الإيمان . وهنا نرى المجادلة الغريبة ، فإن بولس يقول إن الله يفعل ما يشاء مع أى أمة أو شخص ، فيغلق عيون اليهود مثلا ليفتح عيون الأمم .

ولكن ماذا كانت غلطة اليهود الأساسية ؟ هذا سؤال يمليه علينا حب الاستطلاع بعد ما سمعناه هنا . إن بولس يقول : رغم أن رفض اليهود كان عمل الله ، فقد كان من الممكن أن لا يحدث . إن بولس يواجه حقيقة حرية إرادة الإنسان . لقد كانت غلطة اليهود هى أنهم حاولوا الوصول إلى العلاقة السليمة مع الله عن طريق مجهوداتهم الإنسانية وطاعتهم للناموس ، وحاولوا مستقلين أن يحصلوا على الخلاص .. أما الأمم فقد قبلوا عرض الله عليهم بثقة كاملة . وكان على اليهود أن يدركوا أن الطريق الوحيد لله هو طريق الإيمان ، أما المجهودات البشرية فلا جدوى لها . ألم يقل إشعياء : « من آمن لا يهرب » وفى رومية « من يؤمن به لا يخزى » (إشعياء ٢٨ : ١٦ ، رومية ١٠ : ١١) . ألم يقل يوئيل : « كل من يدعو باسم الرب ينجو » (يوئيل ٢ : ٣٢ ، ورومية ١٠ : ١٣) . صحيح أنه لا يؤمن أحد إن لم يسمع ، ولكن اليهود سمعوا ولكنهم علقوا كل شىء على مجهوداتهم الشخصية وعلى أعمالهم ، وأهملوا طريق الإيمان الذى أعلنه النبى لهم .

ولكن بولس يمضى ليقول إن هذا كله كان بترتيب من الله حتى يقبل الأمم وبعدها يحدث بولس الأمم طالباً ألا يفتخروا « إنهم كالزيتونة البرية التى طعمت فى حديقة زيتون ، فلم يصلوا إلى الخلاص بمجهودهم ، بل إنهم معتمدون على اليهود كأغصان مطعمة . أما الأصل والجذور فهم الشعب المختار ، ولا يجب أن تفتخر الأمم على اليهود . فإذا افتخروا كان الرفض نصيبهم ! .

لكن هل هذه هى النهاية ؟ حاشا ! إن الله يقصد أن يغير اليهود من صلة الأمم الجديدة به ، فيجيئون طالبين القبول . ألم يقل موسى : « أنا أغيرهم بما ليس شعباً . بأمة غبية أغيظهم » (تثنية ٣٢ : ٢١ ، رومية ١٠ : ١٩) . وفى النهاية يكون الأمم واسطة خلاص اليهود « وهكذا سيخلص جميع إسرائيل » (رومية ١٠ : ٢٦) .

والآن دعونا نلخص أفكار بولس ، بدون تشعب :

١ ـــ إسرائيل شعب الله المختار .

٢ ـــ الانضمام لإسرائيل ليس بالنسب الجسدى ، فقد اختار الله دوماً بعض نسل إبراهيم ، فكان المختارون هم « البقية الأمينة » .

٣ ـــ ليس اختيار الله ظلماً لأن للرب الحق أن يفعل ما يشاء .

٤ ـــ قسى الله قلب اليهود ليفتح الباب لدخول الأمم .

٥ ـــ كانت غلطة إسرائيل كامنة فى اعتماده على مجهوده البشرى فى طاعة الناموس ، ولكن الله يطلب الواثقين فيه ثقة كاملة .

٦ ـــ لا يجب أن يفتخر الأمم ، لأنهم زيتونة برية طعمت فى الزيتونة الأصلية ويجب أن يذكروا هذا .

٧ ـــ ليست هذه هى النهاية ، فان اليهود سيغيرون من الامتيازات المعطاة للأمم ، وفى النهاية يكسبهم الألم للمسيح .

٨ ـــ وهكذا فى النهاية يخلص الجميع : الأمم وإسرائيل .

وتنتهى أفكار بولس بالتمجيد . بدأ بالقول إن البعض اختيروا للخلاص والبعض للرفض ، ولكنه ينتهى بالقول إن إرادة الله هى خلاص الناس جميعاً .

الاصحاح التاسع

الفشل المحزن

(رومية ٩ : ١ ــ ٥)

شرح بولس فى هذه الفقرة سبب رفض اليهود للمسيح ، لا فى غضب بل فى حزن ، لا فى انتقاد جارح بل فى انكسار قلب . إن بولس يتشبَّه بالإله الذى يحبه ويخدمه ، ولذلك كره بولس الخطية ولو أنه أحب الخاطىء . ولا يستطيع إنسان أن يخلص الناس إلا إذا أحبهم أولاً ، ولذلك فإن بولس لا يرى فى اليهود ما يستدعى الحقد ، بل ما يستحق المحبة الغافرة .

ويقول بولس إنه كان يود أن يكون محروماً من المسيح يربح اليهود للمسيح . ولعل بولس رجع بفكره إلى ما فعله موسى عندما صعد إلى الجبل ليتلقى الوصايا من الله ، ولكن الشعب الذى كان قد تركه أسفل الجبل صنع عجلاً ذهبياً أخذ يسجد له . وغضب الله على الشعب ولكن موسى صلى صلاة عظيمة قال فيها :

« والآن إن غفرت خطيتهم ، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت » (خروج ٣٢ : ٣٢) . وبولس يرضى بالحرمان لنفسه لو أن فى هذا خير شعبه ! والكلمة « **محروم** » هى أناثيما ، وهى كلمة لعنة ، لأن الشىء المحروم ممنوع ، ومعرض للهلاك . وقد قيلت عن المدن التى صدر ضدها حكم « التحريم » فيهلك شعبها ويفسد كل ما فيها (تثنية ٢ : ٣٤ ، ٣ : ٦ ، ويشوع ٦ : ١٧ ، ٧ : ١ ــ ٢٦) . وعندما يعرض أحد إيمان الشعب وعبادته للخطر كان يحكم عليه بالموت (تثنية ١٣ : ٨ ــ ١١) . ولقد كان أعز شىء عند بولس أن لا يفصله فاصل عن محبة الله ، ولكنه فى رغبته عمل أى شىء لخلاص إخوته ، يعرض نفسه للحرمان . وهنا يتضح لنا حق عظيم ، فإن الذى يريد أن يخلص خاطئاً يجب أن يحبه فعلاً . وعندما يخطىء ابن يحب الأب (أو الأم) أن يتحمل العقاب ، بدلاً من الابن ، إن كان هذا ممكناً . وقد قال الشاعر ميرز على لسان بولس شعراً ترجمته : « إن شوقا عظيماً ينبعث من قلبى ينادى كبوق قوى يدعو هؤلاء للخلاص ، حتى لو هلكت أنا ! أموت ليحيوا ، مقدماً نفسى لأجلهم جميعاً » . هذا شعور بولس الذى استمده من شعور الله . وهذا ما يجب أن يكون شعورنا .

ويعدد بولس بعد ذلك امتيازات اليهود :

١ ــ إنهم أولاد الله ، الذين اختارهم وتبناهم فى عائلته : « أنتم أولاد للرب إلهكم » (تثنية ١٤ : ١) ــ « أليس هو أباك ومقتنيك ؟ » (تثنية ٣٢ : ٦) ــ « إسرائيل ابنى البكر » (خروج ٤ : ٢٢) ــ « لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ، ومن مصر دعوت ابنى » (هوشع ١١ : ١) . إن العهد القديم ملىء بفكرة التبنى هذه ، ويرفض إسرائيل المعنى الكامل للتبنى . حكى بورهام أنه عندما كان ولداً زار صديقاً له ، ولكنه منع من دخول إحدى الحجرات وذات يوم كان يمر

أمام الحجرة عندما انفتح بابها ، فرأى بداخلها ولداً فى مثل عمره ، ولكنه معتوه ، ورأى أم الولد تذهب إلى ولدها . ولابد أن الأم لاحظت بورهام فى صحته وعقله ، ولابد أن المقارنة طعنت قلبها الحزين ، فركعت بجوار ابنها المعتوه ، وصرخت فى حزن : « لقد أطعمتك وكسوتك وأحببتك ـــ ولكنك لم تشعر بى بالمرة » . لابد أن مثل هذا الشعور كان عند الله من نحو إسرائيل ، ولو أن حالة إسرائيل كانت أردأ ، فقد رفضوا الله عن عمد وبإصرار .

٢ ـــ كان لهم « المجد » . والمجد هو النور السماوى العظيم الذى كان يصحب حضور الله وسط شعبه (خروج ١٦ : ١٠ ، ٢٤ : ١٦ و ١٧ ، ٢٩ : ٤٣ ، ٣٣ : ١٨ ـــ ٢٢) . لقد رأى إسرائيل مجد الله ومع ذلك رفضه . ونحن قد رأينا مجد الله وحبه فى وجه يسوع المسيح وما أشنع أن يختار إنسان طريق الأرض بعد أن يرى مجد الله .

٣ ـــ كان لهم « العهود » ، وهى العهود التى قطعها الله معهم . وتصف كلمة معاهدة الفائدة المتبادلة بين الأمم ، وعهداً باستمرار الصداقة . وقد دخل الله فى عهود خاصة مع إسرائيل ، كررها عبر تاريخهم . دخل فى عهد مع إبراهيم واسحق ويعقوب ، وعلى جبل سيناء عندما أعطى الوصايا . ويبرز « إيريناوس » أربع مناسبات عظيمة لدخول الله فى عهد مع الناس . العهد الأول كان مع نوح بعد الطوفان ، وعلامته قوس قزح ، تعهد الله فيه أن لا يعود يغرق الأرض بالطوفان ، والعهد الثانى كان مع إبراهيم وعلامته الختان ، والعهد الثالث دخلت فيه الأمة عند جبل سيناء على أساس حفظ الناموس . أما العهد الرابع فهو العهد الجديد بالمسيح . وما أجمل أن نرى الله يتنازل ليدخل فى عهود مع البشر . إن الحق الواضح هو أن الله لم يهمل البشر أبداً ، ولكنه اقترب منهم مرة ومرات ، ولازال يقترب من الأفراد ، فهو واقف على الباب يقرع ، ومن المسئولية الكبيرة علينا أن نقبل اقتراب الله منا باقتراب كامل نحوه !

٤ ـــ كان لهم « الاشتراع » . وما كان لإسرائيل أن يدعى الجهل أبداً ، لأن الله كان قد أخبرهم بما يطلبه منهم وخطؤهم خطأ العارف لا الجاهل ، وخطية العارف خطية ضد النور ، وهى أردأ الكل !

٥ ـــ كانت لهم « العبادة فى الهيكل » . والعبادة هى اقتراب النفس من الله ، وقد أعطى الله اليهود طريقة خاصة للاقتراب منه بالعبادة فى الهيكل . ولو أن باب العبادة أغلق ، فقد أغلقه اليهود بيدهم !

٦ ـــ كانت لهم « المواعيد » . كان إسرائيل يعرف مصيره ، فقد أخبرهم الله بالعمل والامتيازات التى قصدها منهم ولكنهم خيبوا انتظارات الله فيهم .

٧ ـــ « لهم الآباء » . كان لهم تاريخ وتراث ، ولكنهم كانوا عاراً على تاريخهم وتراثهم .

٨ ـــ وفوق الكل جاء المسيح منهم . كان كل ما سبق إعداداً لهذه الخطوة ، ولكن عندما جاء رفضوه ! ومن المحزن أن يعطى أب ابنه كل ممكنات النجاح ، ويضحى ليعطى ابنه كل فرصة

للصلاح ، ولكن الابن فى حماقته وعصيانه يضيع كل شيء ! لقد خيب إسرائيل انتظارات الله وعمل محبته . وتكمن المأساة فى أن الله مضى يجهز إسرائيل ليوم مجيء ابنه ، ولكن كل التجهيزات اختلطت وضاعت ، لأن إسرائيل كسر ناموس الله واحتقر محبته . وبولس يتحدث عن هذا بانكسار قلب !

اختيار الله

(رومية ٩ : ٦ — ١٣)

ما دام اليهود قد رفضوا المسيح وصلبوه ، فهل تعطلت خطط الله ، وهل هزمت مقاصده ؟ يقدم لنا بولس حجة على أن هذا لم يحدث فيقول إنه ليس كل اليهود رفضوا المسيح ، فقد قبله بعضهم . وقد كان تلاميذ المسيح الأولون من اليهود ، وهم الذين بدأوا تبشير الأمم . وبولس نفسه يهودى . ويقول بولس إنه عندما ندرس التاريخ اليهودى نجد أن هناك اختياراً ، فلم يكن **كل اليهود** مختارين فى مقاصد الله . ولم يكن كل نسل إبراهيم أعضاء فى ملكوت الله . إذاً ليس الأمر فى الانتساب لإبراهيم بالميلاد ، بل فى اختيار الله . وبرهاناً على هذا يقول بولس إن لإبراهيم ابنين ، إسمعيل ابن هاجر الجارية وإسحق ابن السيدة سارة ، وكلاهما من نسل إبراهيم ولكن إسحق ولد فى وقت متأخر لم يكن ممكناً فيه لأمه أن تلد . ولما ولد إسحق سخر منه إسمعيل ، وتضايقت سارة ، فطلبت من إبراهيم أن يطرد الجارية وابنها حتى لا يرث مع ابنها إسحق . ولم يشأ إبراهيم أن يطرد إسمعيل ، لكن الله طلب منه أن يطرده ، حيث أن إسحق هو ابن الموعد ، الذى سيحمل اسم إبراهيم (تكوين ٢١ : ١٢) . كان إسمعيل من نسل إبراهيم الجسدى ، أما إسحق فهو ابن الموعد الذى ولد فى ظروف يستحيل فيها الإنجاب (تكوين ١٨ : ١٠ — ١٤) . وقد أعطى الله إسحق بنوية إبراهيم . إذاً ليس كل نسل إبراهيم مختارين . ويمضى بولس ليقدم مثلاً آخر . لما كانت رفقة حبلى كان فى بطنها طفلان . قال الله لها إنهما سيكونان أبوين لشعبين ، ولكن الكبير سيكون عبداً للصغير (تكوين ٢٥ : ٢٣) . وعندما ولد عيسو أولاً وبعده يعقوب اختار الله يعقوب ، وكانت مقاصد الله ستتم فى نسل يعقوب . ولينهى بولس هذه المناقشة يقتبس ملاخى ١ : ٢ و ٣ « أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » . ومن هذا يتضح أنه ليس كل نسل إبراهيم مختارين من الله . وكان اليهودى الذى يسمع هذه المناقشة يقبلها بسرور . وقد كان إسمعيل أباً للعرب ، من نسل إبراهيم ، ولكن اليهود لم يقبلوا أبداً أن العرب من الشعب المختار ! وكان عيسوا أباً للأدوميين ، وعيسو توأم يعقوب ، ولكن اليهود لم يقبلوا أبداً أن يكون الأدوميون من الشعب المختار ! وهكذا برهن بولس فكرته وهى أنه حدث اختيار من نسل إبراهيم . ويقول بولس إن هذا الاختيار لم يعتمد على أعمال المختارين أو استحقاقاتهم ، بدليل أن اختيار يعقوب ورفض عيسو حدث من قبل أن يولدا ، ولا فعلا خيراً أو شراً . لقد حدث الاختيار وهما فى بطن رفقة !

وقد نجفل ونحن نقرأ هذه الفكرة ، لأنها تعلمنا أن الله يرفض بعض الناس ويقبل البعض الآخر . وقد نقول إن هذه المجادلة غير صحيحة لأنها تظهر الله مسئولا عن عمل يصعب تبريره أخلاقياً .

ولكن بالرغم من غرابة الفكرة علينا وصعوبة تقبلنا لها ، فإنها مجادلة مقبولة عند اليهودى . ونحن نرى فيها حقيقة لامعة .. إن كل شيء هو من الله ، وأن الله يقف من خلف كل الأحداث . حتى الأشياء الغامضة علينا ، فإن الله من خلفها .. ولا يتحرك شيء فى عالمنا بدون قصد أو هدف !

إرادة الله المسيطرة

(رومية ٩ : ١٤ — ١٨)

يجاوب بولس هنا على التساؤل الذى تسلل إلى أفكارنا . لقد قال بولس إن عملية الاختيار كانت موجودة فى كل تاريخ إسرائيل ، لا على أساس استحقاق الفرد أو عمله ، بل على أساس إرادة الرب وحدها . وهنا يسأل المعارض : « هل هذا عدل ؟ هل يختار الله الناس اعتباطاً » . ويجيب بولس بأن الله يفعل ما يحب أن يفعله ! فى أيام الإمبراطورية الرومانية لم تكن حياة أحد فى أمان ، بل كان أى إنسان يموت لمجرد إيماءة من الإمبراطور . وقد قال « جالبا » عندما أصبح إمبراطوراً : « الآن أقدر أن أفعل ما أشاء مع من أشاء » .

ويقدم بولس حادثتين لبرهنة هذه الفكرة ، مقدماً بعض الاقتباسات من العهد القديم . أما الحادثة الأولى فمأخوذة من خروج ٣٣ : ١٩ عندما طلب موسى من الله برهاناً على أنه مع شعب إسرائيل ، فأجاب الله أنه يرحم من يرحم ، فإن اختيار هذه الأمة ورحمته عليها يتوقفان على إرادة الله فقط . أما الحادثة الثانية فهى من معركة الخروج من مصر والتحرر من سلطان فرعون . وعندما ذهب موسى لفرعون ليدعو لخروج شعبه ، حذر فرعون بأن الله جاء به إلى هذه المرحلة التاريخية ليظهر فيه قوته ، وليبين ما تفعله هذه القوة للإنسان الذى يقاومها . وقد ظهر فرعون كأمثولة للشخص الذى يقاوم مشيئة الله (خروج أصحاحات ٩ — ١٦) .

وإن عقلنا ليجفل مرة أخرى من هذه الفكرة . من الصحيح أن الله يقدر أن يفعل كل شيء ، لكنه لا يفعل ما يتناقض مع طبيعته ، أو يكسر قوانينه . ومن الصعب علينا أن نرى الله يرحم البعض ولا يرحم البعض الآخر ، ومن الصعب أن نراه يقيم ملكاً ليجعله أمثولة لإظهار القوة الإلهية المنتقمة . ولكن هذه الأفكار التى أوردها بولس مقبولة تماماً للمفكر اليهودى !

ولكننا نواجه حقيقة لامعة .. إن الله لا يبنى علاقته بالناس على أساس « العدل » . وليس الله مديناً للإنسان بشيء ، فليس الخالق مديوناً لما يخلق . وعندما نفكر فى « العدل » نكتشف أن الإنسان لا يقدر أن يطالب الله بشيء ، لكن الإنسان يلقى بنفسه تماماً على مشيئة الله وعلى رحمته .

الخزاف والطير

(رومية ٩ : ١٩ ــ ٢٩)

تحدث بولس فى أول هذا الأصحاح عن أن الله كان يختار بعض نسل إبراهيم ، وليس كلهم . وهنا يثور اعتراض : على أى أساس إذن سيلوم الله الناس الذين رفضوه ؟ إن الخطأ ليس خطأهم ، لكن الله هو الذى لم يرحمهم . المسئولية ليست عليهم ، بل على الله ! ويجاوب بولس بأنه ليس من حق الإنسان أن يجادل الله أو يجاوبه ، فإن الطين لا يقدر أن يحتج على عمل الفخارى ، فللخزاف سلطان كامل على الطين . إنه يقدر أن يعمل من قطعة الطين إناءً يستعمل فى غرض عظيم ، ويعمل إناء آخر لغرض حقير ، دون أن يكون للطين حق الاحتجاج . وقد أخذ بولس هذا المثل من إرميا ١٨ : ١ ــ ٦ . وهنا تعليقان :

١ ــ هذا المثل لا ينطبق تماماً ، وقد قال أحد كبار مفسرى العهد الجديد إن هذه إحدى الفقرات القليلة التى ما كنا نحب أن بولس يكتبها ، فهناك فرق بين الإنسان البشرى وبين الطين ، فإن للإنسان شخصية . أما الطين فإنه شيء ! وقد تفعل ما تشاء بالشيء ، لكن ليس بالشخص . إن الطين لا يتجاوب ولا يستجيب ولا يفكر ولا يتضايق ولا يتحير . فكيف نقول للإنسان الذى يقاسي ويتحير أن يسكت لأن الله حر أن يفعل ما يشاء ، وأن لا حق له فى الشكوى ؟! ليس هذا وصفاً لأب محب ، لكنه وصف لدكتاتور . ومن الواضح فى الإنجيل أن الله لا يعامل الناس باعتبار أنهم طين بل باعتبار أنهم بشر . إنه الأب المحب الذى يراعى طفله .

٢ ــ أما التعليق الثانى فهو أن بولس وجد نفسه مضطراً ليقول هذا . ففى حزن قلبه رأى شعبه يرفضون المسيح ويصلبونه . ولذلك فإنه يرى أن الله أعمى عيون شعبه لغرض خاص فى نفسه .

ولكن بولس لا يتوقف هنا . إنه يمضى ليقول إن الله قد جعل من رفض اليهود باباً لدخول الأمم إلى الإيمان . لقد استخدم الله حالة سيئة ليخرج منها شيئاً صالحاً . غير أن بولس يقول إن الله أوجد حالة سيئة لينتج منها شيئاً صالحاً ! لقد رفض ، وقسَّى ، وأعمى اليهود حتى ينتج صلاحاً هو قبول الأمم ، ويجب ألا يغيب علينا أن بولس لم يكتب عنا كلاهوتى ، بل كمحب غيور مكسور القلب على شعبه ، يحاول أن يجد تعليلا لما جرى لهم ! ولم يجد إلا التعليل أن الله هو الذى فعل هذا !

كان بولس يجادل اليهود ، وهو يعلم أن أكثر ما يقنعهم هو أن يقتبس لهم من العهد القديم . وعلى هذا فقد اقتبس من كتابات التوراة ما يبرهن أن رفض اليهود وقبول الأمم هو تحقيق لنبوات سبق أن تنبأ الأنبياء بها . فهوشع يقول إن الله سيدعو الذين ليسوا شعبه شعباً له (هوشع ٢ : ٢٣) كما سيدعوهم أبناء له (هوشع ١ : ١٠) . واقتبس من إشعياء قوله إن بنى إسرائيل سيضلون لكن بقية قليلة تخلص (إشعياء ١٠ : ٢٢ ، ٢٣ : ١٠) . إنه يقول إن الأنبياء تنبأوا برفض إسرائيل .

من السهل علينا أن ننتقد بولس ، ولكن يجب أن نذكر أن بولس فى حزنه على شعبه رأى أن كل شيء من عمل الله ، وليس هناك مزيد من شرح !

غلطة اليهود

(رومية ٩ : ٣٠ — ٣٣)

يشرح بولس فى هذه الفقرة المفارقة بين طريقتين للإحساس من نحو الله ، فقد أراد اليهودى أن يكون على صلة سليمة بالله عن طريق طاعة الناموس ، وهكذا يربح هذه الصلة . وقد اعتقد اليهودى أن حفظ الناموس يجمع له « رصيداً دائناً » . وعندما يضيف إلى هذا الرصيد يصبح الله مديوناً بأن يخلص اليهودى . كما ظن اليهودى أنه يكسب رضى الله بمجهوده البشرى . ولكن هذه كانت معركة خاسرة ، لأن عجز الإنسان لا يمكن أن يكسب رضى الله ، ولا يمكن لخطية الإنسان أن تقابل قداسة الله ، ولا يمكن لعمل يعمله الإنسان إن يحل محل ما يعمله الله . وهذا ما اكتشفه بولس ، وعلى هذا فهو يقول إن اليهودى قضى حياته يفتش على ناموس ينتج علاقة سليمة مع الله فى حالة طاعته ، ولكن مثل هذا الناموس غير موجود ! على أن الأمم لم يفتشوا عن مثل هذا الناموس ، ولكنهم واجهوا محبة الله العجيبة فى يسوع المسيح ، فألقوا بنفوسهم تماماً على هذه المحبة . وكأن الأمم الذين رأوا الصليب قالوا : « إن كان الله قد أحبنا هكذا ، فإننا يجب أن نسلم نفوسنا له » . أما اليهودى فقد فكر فى أن يداين الله ، وصدق أنه يكسب خلاصه بعمل خدمات لله . الأممى رأى دينه لله عظيما فاعتمد على نعمة الله ، أما اليهودى فرأى صلاحه عظيماً فاعتمد على نعمته الشخصية !

إنما أعمالنا كلها أقذار
ما بها تبر إذا صفيت بالنار !

وفى نهاية هذه الفقرة يتحدث بولس عن **الصخرة** ، وهى كلمة استعملها المسيحيون الأولون كثيراً . ونحن نجد فى العهد القديم إشارات غامضة كثيرة على الصخرة . فى التكوين ٤٩ : ٢٤ يوصف الله بأنه الراعى والصخر . وفى إشعياء ٨ : ١٤ نرى الحديث عن الله كصخرة عثرة لبنى إسرائيل . وفى إشعياء ٢٨ : ١٦ يقول إنه سيؤسس فى صهيون حجر امتحان ، حجر زاوية كريماً ، أساساً مؤسسا . وفى دانيال ٢ : ٣٤ و ٣٥ و ٤٤ و ٤٥ حديث عن حجر غريب . وفى مزمور ١١٨ : ٢٢ يتحدث عن الحجر الذى رفضه البناؤون ولكنه صار رأس الزاوية . وقد اقتبس المسيح هذه الكلمات فى مثل الكرامين الأردياء (متى ٢١ : ٤٢) . وهكذا اعتقد المسيحيون ، أن المسيح هو الحجر الكريم والأساس المؤسس الذى يربط البناء معاً ، الذى رفضه البناؤون ، لكنه صار الحجر الرئيسى . واقتباس بولس هنا مأخوذ من إشعياء ٨ : ١٤ ، ٢٨ : ١٦ . وقد قصد بولس أن يعلن لنا أن المسيح هو أساس حياة كل إنسان ، ولكن اليهود رفضوه عندما جاء ، فصار أساس خلاصهم أساساً لدينونتهم . وقد تكرر الحديث عن الصخرة والحجر فى أعمال ٤ : ١١ ، أفسس ٢ : ٢٠ ، ١ بطرس ٢ : ٤ — ٦ .

لقد جاء المسيح إلى العالم مخلصاً ، لكنه حجر الإمتحان لكل الناس ، فمن يحبه ويخضع له ويقبله ينال الخلاص . ومن يرفضه ويثور عليه يهلك . وعلى هذا فإننا نجد فيه خلاصنا أو دينونتنا ، والأمر متوقف على قبولنا له .

الاصحاح العاشر

الغيرة الخاطئة

(رومية ١٠ — ١ — ١٣)

ذكر بولس فى الأصحاح التاسع حقائق سيئة عن اليهود ، ولابد أن ما قاله كان قاسى الوقع عليهم ، فإن كل أصحاحات ٩ — ١١ إدانة لأفكار اليهود ولاتجاهاتهم الدينية . غير أننا نلاحظ أن بولس قال هذا كله بدون غضب ولا حقد ، بل بأسى وحزن ! لقد كان كل أمل بولس أن يخلص اليهود . ولو أردنا أن نربح الناس للمسيح لوجب علينا أن نكون فى مثل روح بولس . لقد عرفْ كبار الوعاظ هذا ، فقال أحدهم : « لا توبخ ، وتذكر دائماً أن تخفض صوتك » وقد عرَّف أحد أساتذة علم الوعظ المعاصرين الوعظ بأنه « مناشدة الناس » . ولقد بكى يسوع على أورشليم . هناك وعظ يوبخ الناس ويذبحهم بكلمات غاضبة ، ولكن بولس يعلن الحق دواماً فى محبة .

لقد اعترف بولس أن اليهود كانوا غيورين لله ، لكنه قال إن هذه الغيرة لم تكن حسب المنهج السليم ، ولم تكن حسب المعرفة . كان كل تفكيرهم يدور حول طاعة الناموس . الأمر الذى يتطلب الإخلاص الكامل للدين ، فإن طاعة الناموس ليست سهلة ، بل مكلفة ومتعبة . خذ مثلا وصية حفظ يوم السبت .. كانت هناك قوانين صارمة عن المسافة المصرح لليهودى أن يمشيها يوم السبت ، ولم يكن مسموحاً له أن يحمل حملا يزيد ثقله عن وزن تينتين جافتين ، وكان طبخ الطعام ممنوعاً . ولم يكن يسمح بعمل شيء يشفى المريض يوم السبت ، لكن يسمح فقط بما يسمح بعدم جعل حالة المريض أسوأ ! وحتى اليوم يحفظ اليهود الارثوذكس هذه القوانين ، فلا يشعلون ناراً ولا يضيئون الضوء الكهربائى ! فلو أنهم احتاجوا لإشعال النار كلفوا أممياً بإشعالها . والأغنياء منهم فقط يستأجرون من يضىء لهم النور الكهربى ويطفئه (بكبس زرار النور !) . ونحن نضحك على هذا ونستغرب ، ولكن من جانبهم لم يكن حفظ الناموس أمراً سهلا ، ولم يكن أحد يحب أن يحفظه إلا إذا كان مخلصاً لديانته . لقد كان اليهود غيورين للناموس لكنهم لم يكونوا فاهمين لروح الناموس ! فى سفر المكابيين الرابع قصة غريبة عن الكاهن أليعازر الذى أحضروه أمام أنطيوخس أبيفانيس الذى أراد أن يمحو الديانة اليهودية . وأمر أنطيوخس الكاهن أن يأكل لحم خنزير ، فرفض الكاهن العجوز وقال : « نحن الذين نحيا تحت الناموس الإلهى لا نهتم بأى قانون آخر إلا قانون الله » ورفض أكل لحم الخنزير قائلا : « كلا ! حتى لو قلعت عينى أو احرقت أمعائى فى النار . فإذا مت فيستقبلنى آبائى مقدساً وطاهراً » . وأمر أنطيوخس بضربه حتى مزقت السياط لحمه وغطاه الدم وبانت خاصرته ، فسقط . وركله جندى . ولكن الجند عطفوا عليه أخيراً وأحضروا له لحماً عادياً ليأكله ويقول إنه لحم خنزير . لكنه رفض ، فقتل . وقال : « إننى أموت معذباً لأجل الناموس » . ولماذا كان كل هذا العذاب ؟ لأجل أكل لحم الخنزير ! ويبدو غير قابل

للتصديق أن يموت أحد لأجل قانون عدم أكل لحم الخنزير ! لقد كان اليهود غيورين بلاشك ! لقد ظنوا أنهم ينالون رضى الله بما يفعلون .

لقد طلب اليهود أن ينالوا العلاقة السليمة مع الله بطاعة الناموس . ويتضح هذا من تقسيمهم الناس إلى ثلاثة أنواع : « هناك الصالحون الذين ترجح كفة ميزان صالحاتهم ، وهناك الأردياء الذين ترجح كفة ميزان سيئاتهم ، وهناك المتوسطون الذين لو زادوا عملهم الصالح قليلا لصاروا من نوع « الصالحين » . ويتوقف هذا كله على طاعة الناموس . ويقول بولس إن المسيح هو غاية الناموس ، أى أنه أنهى المطالب الناموسية ، فلم تعد علاقة الإنسان بالله علاقة الدائن والمدين ، أو المشترى والبائع ، أو القاضى والمجرم . إن المسيح جاء ليقول لنا إننا غير مطالبين بمواجهة العدالة الإلهية ، لكن لنقبل محبة الله . إن الإنسان لا يكسب رضى الله ، لكنه يقبل النعمة والرحمة والمحبة التى يمنحها الله للناس مجاناً .

ولكى يدلل بولس على هذه النقطة يقتبس اقتباسين من العهد القديم ، أولا من اللاويين ١٨ : ٥ حيث يقول إن من يحفظ وصايا الله يحيا بها ، ولكن بسبب الضعف البشرى لا يوجد من يقدر أن يحفظ كل وصايا الله ! ثم يقتبس بولس من التثنية ٣٠ : ١٢ و ١٣ حيث يقول موسى إن وصايا الله ليست بعيدة عنا ، لكنها فى فم الإنسان وقلبه . ويقول بولس إن المسيح جاء إلى العالم وقام من الأموات بغير مجهود منا ، كما أنه بمجهودنا أن نعمل الصالح . إن الله قد عمل هذا من أجلنا ، وما علينا إلا أن نقبله .

وتقدم لنا آيتا ٩ و ١٠ العقيدة المسيحية الأساسية :

١ ـــ يجب أن نعترف بأن يسوع رب ، وهو لقب المسيح الذى يعنى (أ) الاحترام ، كما نقول فى العربية « سيد » . (ب) كان لقب الإمبراطور الرومانى (ج) كان لقب آلهة اليونان ، مثل « الرب سيرابيس » (د) وفى الترجمة اليونانية للعهد القديم كانت كلمة « رب » ترجمة لاسم الجلالة « يهوه » . وعلى هذا فإن تلقيب يسوع بالرب يعنى وضعه ليس فى نفس درجة الإمبراطور الرومانى وإله اليونان فقط ، بل فى نفس درجة الله . إننا نعطيه أعظم مكان فى حياتنا مع الطاعة والعبادة . إن يسوع وحده هو الذى يجب أن ينفرد بمحبتنا .

٢ ـــ نؤمن أن يسوع قام من الأموات ، فالقيامة ركن هام من المسيحية . إن المسيحى لا يؤمن أن يسوع قد عاش فقط بل إنه يحيا اليوم ، ولا يجب أن يعرف عن الله ، بل يعرف الله نفسه . نحن لا ندرس عن يسوع كشخص تاريخى ، بل كوجود وكيان حى وموجود . لا يكفى أن نعرف عن ذبيحة المسيح ، إذ يجب أن نعرف أيضاً « غزوات » المسيح ، فهو لم يكن شهيداً ، بل بطلا منتصراً .

٣ ـــ لا يكفى أن نؤمن بقلوبنا ، بل يجب أن نعترف بأفواهنا ، فالمسيحية إيمان وشهادة ، إيمان بالله وشهادة للناس . يجب أن نعلن عن الجانب الذى نقف فيه .

ولقد كان صعباً على اليهودى أن يرى طريقاً آخر لكسب العلاقة السليمة مع الله (التى هى

التبرير) خلاف طريق حفظ الناموس ، فكانت فكرة قبول ما فعله الله لأجلنا صعبة عليه . كما كان صعباً على اليهودى أن يصدق أن الطريق إلى الله مفتوح للجميع ، فلم يقدر أن يرى أن الأممى يحتل مكانة مساوية له فى نظر الله . ويقتبس بولس إقتباسين من العهد القديم ليعلل على صدق كلامه . إنه يقتبس إشعياء ٢٨ : ١٦ « من آمن لا يهرب » والموقف هنا ليس فيه « ناموس » بل « إيمان » . ثم يقتبس يوئيل ٢ : ٣٢ « كل من يدعو باسم الرب ينجو » . الكل مدعوون بدون تفريق بين يهودى وأممى .

وعلى هذا فإن بولس فى هذه الفقرة يدعو اليهود لهجر طريق الناموس وقبول طريق النعمة . إنه يشرح لهم أن غيرتهم قاتلة وضالة . وهو يدعوهم لما سبق الأنبياء وقالوه عن أن الإيمان هو الطريق الوحيد لله ، وأن هذا الطريق مفتوح للجميع .

تحطيم الأعذار

(رومية ١٠ : ١٤ — ٢١)

هذه الفقرة مكتوبة بطريقة تلغرافية ، يورد فيها بولس رؤوس المواضيع التي يكلم بها اليهود عادة ليكشف أخطاءهم ، وليقنعهم بها .

قال بولس فى الفقرة السابقة إن الطريق إلى الله ليس طريق الناموس أو الأعمال ، بل طريق الإيمان والثقة . وهنا يثور اعتراض : لكن اليهود لم يسمعوا هذه الفكرة بالمرة ؟ ويعالج بولس هذا الاعتراض هنا بطرق مختلفة مقتبساً نصاً كتابياً فى كل طريقة منها .

والآن لندرس الاعتراضات والردود عليها :

١ — الاعتراض الأول يقول : « إنك لا تقدر أن تدعو الله إلا إذا آمنت به ، ولا تقدر أن تؤمن به إلا إذا سمعت عنه ، ولا تسمع عنه حتى يعلن ذلك لك كارز . والكارز لا يعمل حتى يرسله الله مكلفاً إياه بأداء هذه الخدمة » .

ويرد بولس على هذا الاعتراض الأول باقتباس اشعياء ٥٢ : ٧ الذى نقرأ فيه الترحيب بالكارز وأخباره المفرحة ، وكأن بولس يقول : « لا تقدر أن تدعى ، أنه لم يكن هناك كارز ، لأن إشعياء منذ القديم يصف أولئك الكارزين » .

٢ — والاعتراض الثانى هو : « ولكن الحقيقة أن إسرائيل لم يطع الأخبار السارة ، فما قولك فى هذا ؟ » ويجاوب بولس : « لقد كنا نتوقع عصيان إسرائيل ، منذ القديم ، فإن اشعياء يقول فى يأس « من صدق خبرنا ؟ » (إشعياء ٥٣ : ١) . صحيح أن إسرائيل لم يطع ، ورفض الأخبار السارة ، وها التاريخ يعيد نفسه ، فلا زالوا يرفضون .

٣ ـــ أما الاعتراض الثالث فهو تكرار للاعتراض الأول « لكن ما رأيك لو رفضت فكرة أنهم سمعوا الخبر المفرح ، وأنه لم تسنح لهم الفرصة بالمرة ليسمعوا ؟ » ويجاوب بولس هذه المرة مقتبساً مزمور ١٩ : ٤ « فى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم » . وكأنه يقول إننا لا يمكن أن نقول إنهم لم يسمعوا لأن الكتاب يقول إن كلمة الله وصلت أقصى المسكونة ، فلا يقدر أن يقول بأنه لم يسمع !

٤ ـــ ويقول الاعتراض الرابع : « لقد سمعوا ولكنهم لم يفهموا » وكأن المعترض يقول : « إن الرسالة صعبة وغامضة ، فلما سمعها إسرائيل لم يفهمها ولم يهضمها » ويجاوب بولس على هذا الاعتراض بقوله إن الأمم فهموا وآمنوا ، مع أن الرسالة جاءتهم فجأة وعلى غير انتظار منهم . ويقتبس بولس برهاناً على قوله من التثنية ٣٢ : ٢١ حيث يقول الله إنه سينقل فضله إلى شعب آخر لأن شعبه عصى ، وعلى هذا فإن إسرائيل سيغار من أمة لم تكن أمة الرب . أما الاقتباس الثانى فهو من إشعياء ٦٥ : ١ حيث يقول الله إن أمة لم تكن تسمى باسمه قد عرفته .

ويختم بولس حديثه بالقول إن الله كان كل وقت يمد يده إلى إسرائيل الرافض المعاند .

ونرى فى هذه الآيات تعليقاً على الجهل الذى لا مبرر له .

١ ـــ هناك الجهل الناتج عن إهمال المعرفة . قد يكون الجاهل معذوراً ، لكن لا عذر لمن يهمل المعرفة . نحن لا نلوم من لم تسنح له فرصة المعرفة ، ولكننا نلوم من سنحت له الفرصة فرفضها وأهملها . نحن نلوم الذى يوقع على وثيقة دون أن يقرأها ، وعندما تنتج نتائج ضارة له نتيجة توقيعه على ما لم يقرأه فإنه لا يلوم إلا نفسه ! عندمالا نتسلح بالسلاح الذى عندنا نقع تحت طائلة العقاب ، وكل إنسان مسئول عن السقوط فى ما يعرفه ويعرف نتائجه .

٢ ـــ هناك الجهل الناتج عن العمى المتعمد ، فإن لدى البشر مقدرة على إغلاق عيونهم عما لا يريدون معرفته وعلى سد أذانهم عما لا يريدون سمعه . قد يعرف إنسان أن صداقة أو ارتباطاً أو عادة أو فكرة مؤذية وتضره ، وقد نلفت نظره لذلك ، وقد يرى الأذى الذى أصاب آخرين نتيجة هذا الخطأ ، ولكنه رغم هذا كله يرفض أن يطبق هذا على حالته الخاصة . ربما كان غلق العين عن شيء نافعاً أحياناً ، لكنه مهلك فى معظم الأحيان .

٣ ـــ هناك الجهل الكاذب ! فما أقل المرات التى يمكن أن نقول فيها صادقين : « ما كنت أعرف أن هذا سينتج كل هذا الضرر » . إننا نكذب معظم المرات عندما نقول إننا لا نعرف ! لقد أعطانا الله الضمير ، وإرشاد الروح القدس . فكيف نقول إننا لا نعرف !

تبقى حقيقة نضيفها إلى هذه الفقرة .. فى كل ما فات يضع بولس المسئولية على اليهود . كان يجب أن يعرفوا الأفضل .. لقد مد الله يده لهم ، ولكنهم عاندوا ورفضوا ! لقد قال إن كل شيء من الله ، وأن الإنسان يشبه الطين بيد الفخارى . وهو بهذا يضع أمامنا حقيقتين متلازمتين : الأولى أن كل شيء من الله ، والثانية أن كل شيء من الاختيار البشرى ، ولا يحاول بولس أن يوفق بين الحقيقتين ، لأنه لا يوجد توفيق ! هذه مشكلة الاختبار البشرى ومأزقه ، فإننا نعلم أن الله من

وراء كل شيء ، ولكننا فى الوقت نفسه نعلم أن إرادتنا حرة ، وأننا قادرون على قبول ما يعرضه الله علينا كما أننا قادرون على رفضه . هذا هو التناقض الذى نواجهه فى حياتنا كل يوم : الله يقبض على ناصية الأمور ، لكننا أحرار فى ما نختار ! وقد ظهر هذا التناقض عندما عالج بولس المشكلة من الجانب الإلهى ، ثم من الجانب الإنسانى !

الاصحاح الحادى عشر

القلب المتصلب

(رومية ١١ : ١ — ١٢)

عند هذا الحد من المناقشة يتبادر سؤال إلى الذهن : هل رفض الله شعبه ؟ هنا يعطى بولس جوابه معتمداً على فكرة وردت فى كل العهد القديم . ففى أيام إيليا ، داهمه اليأس (١ ملوك ١٩ : ١٠ — ١٤) لأنه ظن أنه هو الوحيد الذى يعبد الله بالحق ، ولكن الله أعلن له أنه مخطىء ، وأن هناك سبعة آلاف مؤمن مخلص فى إسرائيل لم يسجدوا للبعل . وقد استمرت فكرة « البقية » إذ أعلن الأنبياء أنه لم يكن هناك وقت خلت فيه الأمة من بقية أمينة للرب تعلقت به فى إخلاص وتكريس . ولقد ظل الأنبياء يعلنون هذا ، ففى عاموس نقرأ أن الله سيغربل بنى إسرائيل فى غربال حتى يبقى الصالحون فقط (عاموس ٩ : ٨ — ١٠) . وقد رأى ميخا الله يجمع بقية إسرائيل (ميخا ٢ : ١٢ ، ٥ : ٣) . ويقدم صفنيا الفكرة نفسها (صفنيا ٣ : ١٢ و ١٣) . ورأى إرميا ، جمع البقية من أمم الأرض التى تشتتوا بينها (إرميا ٢٣ : ٣) . وحزقيال الذى يرى أن كل إنسان مسئول عن نفسه يرى أن الأمناء يخلصون نفوسهم ببرهم (حزقيال ١٤ : ١٤ و ٢٠ و ٢٢) ونجد الفكرة نفسها تملأ أرجاء نبوة إشعياء ، حتى أنه يدعو ابنه « شآرياشوب » ومعناه « بقية سترجع »(إشعياء ٧ : ٣ ، ٨ : ٢ و ١٨ ، ٩ : ١٢ ، ٢٠ : ٢١ ، ٦ : ٩ — ١٣) .

ويتضح هنا حق عظيم ، كما قال أحد المفسرين : « إن الله لا يخلص شعباً بالجملة » ولذلك فإن فكرة « الشعب المختار » تسقط هنا ! إن الصلة بالرب هى صلة شخصية ، فعلى كل إنسان بمفرده أن يعطى قلبه للرب ، ويسلم حياته بنفسه له والله لا يدعو جماعة بالجملة ، بل إن له طريقه الخاص إلى كل قلب . ولا يخلص إنسان لأنه ينتمى لأمة أو أسرة ، ولا لأنه يرث البر من آبائه ، ولكنه يخلص عندما يتخذ قراراً شخصياً بفتح قلبه للرب . وعلى هذا فلم تكن أمة إسرائيل بأسرها شعب الله ، بل كان الأفراد المؤمنون من رجال وسيدات هم أفراد شعب الله ، الذين فتحوا قلوبهم له وأطاعوا . إنهم « البقية » المكرسة المخصصة لله من سيدات ورجال .

ومن هنا تجىء مجادلة بولس أن الله لم يرفض شعبه . لقد حصلت بقية حسب اختيار النعمة .

ولكن ماذا عن الباقين ؟ يقدم بولس فكرة يعتمد فيها على آيات من العهد القديم ، يقول فيها إن الله سيوقع عليهم نوماً عميقاً ، حتى لا يسمعوا ولا يبصروا ! ويقدم آيات من التثنية ٢٩ : ٤ وإشعياء ٦ : ٩ و ١٠ ، ٢٩ : ١٠ ، ويقتبس مزمور ٦٩ : ٢٢ و ٢٣ « لتصر مائدتهم فخاً » . والآية تصور شخصاً يأكل فى أمان وسلام وفجأة يجىء عليه الخراب ، إذ يجده عدوه غير مستعد لمواجهته . وبولس يقول إن اليهود سعداء بنفوسهم ، وقد استراحوا إلى عملهم وظنوا نفوسهم فى

مأمن من غضب الله لأنهم شعبه المختار . لكن هذه الفكرة نفسها ستكون سبب خرابهم ، لأن اليوم المروع سيجىء عليهم فيحنى ظهورهم ، فيتعثرون فى الظلام ! ويقول بولس فى الآية السابعة إنهم « تقسوا » وهى كلمة طبية تصف التصلب الناشىء عن « الكالو » . لقد نما « كالو » على قلب الناس ، ففقدوا الإحساس ، ولم يعودوا يميزون صوت الله أو يستجيبون لصوته ! وهذا يصدق على كل الناس ، فكل من ابتعد عن الرب لا يعود يسمع صوته . وكل من ينشد غاياته الشخصية لا يعود يشعر برعب الخطية ولا بجمال الصلاح . وكما ينمو « الكالو » فى أصابع القدم هكذا ينمو على القلب . وهذا ما حدث مع معظم الاسرائيليين .

ولكن بولس يمضى ليقول : إن الله أنتج شيئاً صالحاً من هذا « الكالو » إذا نفتح الباب للأمم ليدخلوا إلى حظيرة الإيمان . فلما رفض إسرائيل رسالة الخلاص وصلت الرسالة إلى شعب يقبلها ويرحب بها ، وهكذا أغنى رفض إسرائيل العالم ! وهنا يقول بولس « إن كان رفض إسرائيل قد أغنى العالم بأن فتح الباب للأمم ، فكم تكون البركة للعالم كله فى آخر الأيام عندما يتمم الله قصده ويقبل الأمم وإسرائيل معاً إلى حظيرة الإيمان ؟

وهكذا يجىء الرجاء بعد المأساة ! لقد تقسى إسرائيل كشعب ، ورحب الأمم بالإيمان الجديد واثقين فى محبة الله .. ولكن سيجىء اليوم الذى ستكون فيه محبة الله « دواء » للكالو ؛ فيجتمع الأمم واليهود معاً داخل حظيرة المسيح ، فإن بولس واثق أن محبة الله لابد ستنتصر فى النهاية !

الزيتونة البرية : امتياز وتحذير

(رومية ١١ : ١٣ ــ ٢٤)

كان بولس يتحدث إلى اليهود ، وهو هنا يتجه بالحديث إلى الأمم . ولما كان هو « رسول الأمم » فهو لا ينسى إرساليته . ويوضح أن هدفه هو إغارة اليهود عندما يكشف لهم ما فعلته المسيحية للأمم ، فمن أكثر الوسائل فاعلية لجذب البعيدين عن المسيحية تعريفهم بما تفعله المسيحية . جرح أحد الجنود فى المعركة ، فزحف إليه قسيس الجيش وأخذ يقدم له كل معونة ممكنة . بقى إلى جواره عندما انسحب الجيش كله . فى حر النهار سقاه من ماء زمزميته بينما هو عطشان . وفى الليل ، عندما هبطت درجة الحرارة ، غطى الجريح بمعطفه ، ثم بمعظم ملابسه ليحميه من البرد . وأخيراً رفع الجريح عينيه وسأل : « هل أنت مسيحى ؟ » فأجاب القسيس : « إنى أحاول » . فقال الجريح : « إن كانت المسيحية تدفع الإنسان لخدمة الآخرين ، كما فعلت أنت بى ، فحدثنى عنها ، لأنى أريدها » . لقد حركت المسيحية العملية قلب الجريح ، ليغار وليطلب الايمان الذى أنتج هذا الثمر . لقد كان بولس يصلى ويرجو أن يرى اليهود ما فعلته المسيحية للأمم فيتحركون ليطلبوها لنفوسهم .

ويرى بولس أن مجىء اليهود سيجىء بالفردوس نفسه ، لقد أنتج رفضهم البركة للأمم ، فأى مجد يكون للعالم لو أنهم قبلوا المسيح ؟! لقد كانت نتيجة رفضهم مجيدة ، ولابد أن نتيجة قبولهم

ستكون أمجد . إنها ستكون مثل الحياة الناتجة عن الموت !

ويقدم بولس فكرتين ليبرهن أن رفض اليهود لن يكون نهائياً . الفكرة الأولى هى أن كل الطعام كان يقدس للرب ، فقبل أكله كان يقدم لله . وكان الناموس يعلم أنه عند تجهيز العجين يرفعون أول قرص منه للرب ، حتى يتقدس العجين كله (العدد ١٥ : ١٩ ، ٢٠) . لم يكن ضرورياً أن يقدموا كل جزء من العجين للرب ، فالباكورة (أول الشيء) منه تكفى لتقدس الجميع ! وكان للرب ، فالباكورة (أول الشيء) منه تكفى لتقدس الجميع ! وكان من المعتاد أن يزرع الناس أشجاراً مقدسة فى الأماكن الموقوفة لله . وعندما كانت الشجيرة تزرع كانت تخصص للرب ، وهكذا كان كل غصن فيها يعتبر مقدساً لله . لم تكن هناك حاجة لتقديس كل غصن بمفرده ، فإن تقديس الشجيرة يقدس كل غصن فيها . ويستنتج بولس من هذا أن كل الشعب مقدس لأن « الآباء » كانوا مقدسين ، لأنهم سمعوا صوت الله وأطاعوه فصاروا مختاريه . وقد نبتت الأمة كلها منهم . وكما أن أول قرص يقدس العجين كله ، وكما أن تقديس الشجيرة يقدس الأغصان كلها ، هكذا تقديس الآباء المؤسسين يقدس الأمة كلها بطريقة خاصة لله . والحق الواضح هنا هو أن « البقية الأمينة » لم يجعلوا أنفسهم أمناء ، ولكنهم أخذوا الايمان عن الآباء ، وكل واحد منا يستمد غنى من الإيمان المسلم مرة للقديسين ، ومن التربية المسيحية فى العائلة . وحتى لو ضللنا وجلبنا العار على تراثنا ، فإننا لا نقدر أن نعزل نفوسنا عن الصلاح الذى جعلنا فى الحالة التى نحن فيها الآن .

ثم يقدم بولس فكرة أخرى ... كان الأنبياء قد شبهوا إسرائيل بزيتونة ، وهذا طبيعى لأنها شجرة هامة . فيقول إرميا « زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة ، دعا الرب اسمك » (١١ : ١٦) . ويقول هوشع : « تمتد خراعيبه ويكون بهاؤه كالزيتونة » (١٤ : ٦) . ويقول بولس إن الأمم أغصان من زيتونة برية طعمت فى الزيتونة التى دعاها الرب . ويريد بولس أن يوضح أن الأمم كانوا ضالين فى الصحارى ، ولكن نعمة الله طعمتهم فى غنى وخصب زيتونة بستان الله !

ويذكر بولس أمرين ينبهما على هذه الصورة :

١ ــ **تحذير** : فقد كان من السهل على الأمم أن ينموا الكراهية فى نفوسهم من نحو اليهود . ألم يرفض الله اليهود ليدخل الأمم ؟ لقد كان يسهل على الأمم أن يكرهوا اليهود ، لأن كل الناس يكرهونهم . ولكن بولس يقول إنه ما كان يمكن أن تكون هناك مسيحية لو لم توجد اليهودية أولا ، فقد نمت المسيحية من جذور اليهودية ، وليس من الواجب أن تنسى المسيحية دينها للجذور التى نبتت منها . إن الكنيسة المسيحية مديونة لليهود ، ولن توفى الدين حتى تربح اليهود للمسيح . وعلى هذا فإن بولس يحذر الأمم من كراهية اليهود ، ويقول : إن كان الله قد قطع الأغصان الأصلية بسبب عدم الإيمان ، فإنه يقطع الأغصان المطعمة لو لم تكن فى الإيمان .

٢ ــ **أمل** : لقد اختبر الأمم رحمة الله ، واختبر اليهود عقاب الله ، ولو استمر الأمم فى الإيمان لاستمروا فى الرحمة ولو عاد اليهود إلى الإيمان لطعموا من جديد فى زيتونة الإيمان ، فإنه إن كان الغريب المؤمن قد وجد مكاناً فى الزيتونة بسبب إيمانه ، فبالأولى كثيراً يجد الأصل مكانه الأصلى لو عاد إلى الإيمان . إن بولس يحلم باليوم الذى فيه يعود اليهود إلى الإيمان الحق .

إن هذه الفقرة تكشف لنا الصلة بين المسيحية واليهودية . إنها الصلة بين القديم والجديد . لا يمكن أن نرمى العهد القديم لأنه كتاب اليهود ، فلا يجب أن يرفض إنسان السلم الذى ساعده على الارتفاع إلى المستوى الذى وصل إليه ، ومن الحماقة أن يقطع الغصن نفسه من الجذور ، فقد نما الإيمان الجديد من القديم . وستجيء النهاية التى يجتمع فيها الأمم واليهود داخل حظيرة الايمان ، وتكون الزيتونة كلها واحدة متحدة الأغصان !

لكى يرحم الجميع

(رومية ١١ : ٢٥ — ٣٢)

ها هو بولس يقترب من نهاية مجادلته ، بعد أن واجه اختباراً محزناً كسر قلبه ، فقد رفض شعبه ابن الله الذى أرسله الله مخلصاً للعالم . ولكن بولس يرى أن هذا الرفض داخل فى تخطيط الله للعالم ، فإن هذا الرفض أنتج إقبال الأمم إلى الإيمان المسيحى . وقد مضى بولس ليقول إن الله هو الذى قسى قلب اليهود ليفتح الباب لدخول الأمم . ولكن اليهود مسئولون لأنهم بإرادتهم الحرة رفضوا ابن الله ! وبولس يوضح لنا السلطة الإلهية والإرادة الحرة الإنسانية . ولكنه لا يتركنا هنا بل يعزف لنا لحن رجاء ، وهو أن الله سيرحم الجميع . فتعالوا ندرس ما قاله بولس :

١ — يرى بولس أن قساوة اليهود ليست عامة وليست دائمة ، فقد كانت لخدمة هدف خاص ، وستبطل بتحقيق هذا الهدف . لقد جاءت القساوة بهدف فتح الباب للأمم ليؤمنوا ، ومتى آمنوا تزال القساوة .

٢ — ويقدم بولس فكر الله من جهة اليهود ، فقد صاروا أعداء الله ، حتى يدخل الأمم ويتحقق تعميم رسالة الانجيل المفرحة للجميع . وكلمة « قساوة » تعنى مكروه ، أو كاره . وعلى هذا فإن بولس يقول إن اليهود كرهوا الله ورفضوا عرضه لهم ؛ فصاروا تحت غضبه . لكن الحقيقة التى لا تتغير هى أنهم شعب الله المختار ، وأن لهم مكانة خاصة عنده ، ومهما فعلوا فإن الله لا يغير مواعيده التى وعد بها آباءهم . وعلى هذا فإن رفض الله لهم لن يكون دائماً . ويقتبس بولس إشعياء ٥٩ : ٢٠ و ٢١ لكى يبرهن كلامه . وعلى هذا فإن اليهود سيقبلون إلى الإيمان . الآن رفضوا ، فصار قبول الأمم ، لكنهم فى النهاية سينالون الرحمة .

٣ — ويقول بولس إن الله أغلق على الجميع معاً فى العصيان لكى يرحم الجميع . يقول بولس هنا إنه لا يوجد إنسان يقدر أن ينال رحمة الله باستحقاقه . ولو أن اليهود نالوا الخلاص بطاعتهم لقالوا إنهم يستحقون الخلاص عن جدارة كجزاء على طاعتهم ، وعلى هذا فقد اشترك اليهود فى العصيان ليكون الخلاص للجميع ثمر رحمة الله . إن اليهود والأمم لا يخلصون إلا برحمة الله .

إن بولس يعلن هنا أن الله يمسك بناصية الأمور وبزمام التاريخ ، فلا يتحرك شيء بدون هدف ، حتى المآسى . كل شيء يخدم هدف الله النهائى ، بدون تشويش . يقال إن طفلا وقف فى نافذة

منزله ذات مساء ورأى العاصفة تعبث بكل شيء ، فقال : « يبدو أن زمام الريح قد أفلت من يد الله ! » . ولكن بولس لا يرى هذا أبداً ، فإن الناس والحوادث والأشياء فى قبضة يده ، تخدم أهدافه العظيمة . ويقول بولس إن هدف الله هو الخلاص للجميع ، بل إن بولس يقول إن خلاص بعض الناس يكون ضد إرادتهم ! ألم يخلص هو بهذه الطريقة ، وهو يتجه نحو دمشق ؟! إن محبة الله تتابع الناس « لكى يرحم الجميع » .

إن حالة إسرائيل تشبه حالة الشاعر البريطانى فرانسس طمسون ، التى سجلها فى قصيدته « المطارد السحرى » والتى قال فيها :

« لكم هربت منه ، بالليل والنهار
وكم ظللت عنه فى ظلمة السنين
وكم ظللت أسعى فى وحشة القفار
وفى ضباب دمعى وفى صدى الأنين
وفجأة سمعت خطوات أقدام
تسعى وتسعى خلفى بوقعها الرهيب
وفوقها يدوى فى الليل والظلام
صوت يناجى نفسى بنغم عجيب :
هل تختفى ، هل تختفى عن عين فاحص جوهرك ؟
يا من رفضت طاعتى ، كل المخابىء تظهرك ! »

ويجىء الوقت الذى يضرب الله الهارب ، فيقول :

« وهكذا ارتميت أخيراً على الأرض
أمام عصا محبتك
فابتدأت تجردنى من دروعى التى أحتمى بها
فسقطت أمامك واهن القوى » :

ثم تجد النهاية :

أترى عمن تنقب أيها الأعمى الذليل ؟
أنا ينبوع اشتياقك أنا موضوع اجتهادك
ان نفسك نبعها منى ولن ترضى ابتعادك

(الشعر ترجمة الدكتور عزت ذكى)

كانت هذه حالة إسرائيل الذى حارب معركة ضد الله ، ولا يزال يحارب حتى اليوم . ولكن محبة الله « المطاردة » تفتش عليهم . ومهما قلنا فى تفسير أصحاحات ٩ ــ ١١ من رومية ، فإن قصة مطاردة المحبة لم يتم فصولا !

صرخة القلب العابد

(رومية ١١ : ٣٣ — ٣٦)

يتحول اللاهوت هنا إلى شعر ! ويتحول التفكير العقلى إلى تمجيد للرب . ففى النهاية يصبح كل شىء سراً ، ولكنه سر المحبة ! فإذا قال إنسان إن كل شىء يجىء من الله ، وإن كل شىء هو بالله ، وإن كل شىء ينتهى إلى الله ، فماذا يبقى بعد ذلك ؟ إننا نجد هنا سراً ، لقد أعطى الله الإنسان عقلا ومن واجب الإنسان أن يستعمل عقله إلى أقصى حدود استعمال ذلك العقل . ولكن العقل يتوقف عند حد محدود أحياناً ، فلا يبقى أمامه إلا الانبهار والإعجاب والتعبد .

لقد عالج بولس فى الأصحاحات ٩ — ١١ حقائق تكسر القلب ، لم يقدر عقله البشرى أن يجد لها حلا . ولكن بولس يقول إنه يترك الأمر كله لمحبة الله وقوته ، وكأنه يقول : « لقد فكرت ، ولكنى لا أرى السبب ولا الطريق . لا استطيع أن أفهم أفكارك يارب ، ولكنى بكل قلبى أثق فى محبتك . فلتكن مشيئتك » .

الاصحاح الثانى عشر

العبادة الحقيقية والتغيير اللازم

(رومية ١٢ : ١ و ٢)

يختم بولس رسالته بالجزء العملى التطبيقى الذى يلمس الحياة ، فقد يسبح العقل فى محيط اللانهائى ، ولكن بولس ينتهى دوماً بقدمين ثابتتين على الأرض . إن بولس يصارع مع أعمق العقائد اللاهوتية ، ولكنه ينتهى دوماً بمطالب الأخلاق التى تحكم حياة كل مؤمن .

« قدموا أجسادكم لله » . لم يكن اليونانى يقول هذا أبداً ، لأنه لم يكن يهتم إلا بالروح ، أما الجسد فهو كوخ ، بل هو سجن للنفس ، وعلى هذا فهو واجب الاحتقار وباعث على الخجل . ولكن المسيحى الحقيقى لا يرى هذا أبداً لأنه يؤمن أن جسده للرب كما أن روحه للرب ، وأنه يقدر أن يخدم الله بجسده كما يخدمه بعقله وروحه ، والجسد هيكل للروح القدس ، يسكنه روح الله ويشغله بل إن حقيقة التجسد تعنى أن الله لم يتردد فى أن يأخذ جسد إنسان ليعيش فيه ويخدم به . ولنأخذ مثلا من كنيسة : لقد بنيت لتجرى فيها عبادة نفس الانسان للرب ، ولكن عقل مهندس وضع تصميمها ، كما أن أيدى العمال أقامتها .. ولا تجرى فيها العبادة حتى تقيمها أيدى العمال . إنها إذاً إنشاء روح الانسان مع عقله وجسده .

وكأن بولس يقول : « قدموا أجسادكم ، وكل عملكم اليومى ، من روتين عادى ، كعبادة للرب » . أما كلمة « عبادة » فلها تاريخ عظيم . لقد بدأت ككلمة تعنى « العمل لقاء أجر » وكانت تصف العامل الذى يعطى جهده للسيد لقاء الأجر الذى يقبضه . وهى لا تعنى العبودية ، لكن التطوع بالخدمة مقابل الجزاء . ولذلك أصبحت تعنى « خدمة » . وصار معناها « ما يعطى الانسان حياته كلها له » . فقد يعطى الانسان حياته كلها لخدمة الزراعة مثلا ، أى يخصص نفسه لهذا العمل . ثم تطور معنى الكلمة لتصير وصفاً لتقديم الخدمة للآلهة . أما استعمالها فى الكتاب المقدس فإنه عن الخدمة والعبادة لله وحده . وليس للبشر .

ونحن نرى هنا أن العبادة الحقيقية المقبولة هى تقديم الإنسان جسده وكل عمله للرب . فليست العبادة الحقيقية تقديم الصلوات أو تلاوة الترانيم ، مع أن هذا عظيم ، لكنها « تقديم الحياة كل يوم للرب » إنها ليست فى الكنيسة فقط ، بل فى كل مكان ، حيث أن العالم كله هيكل للرب . العبادة الحقيقية إذن هى فى العمل اليومى كما قال الشاعر وتير ما ترجمته : « الذى يحب يسوع ويكلمه ، تقبل عبادته ، إذ يرد الضال ويجبر الكسير ويطعم اليتيم والأرملة » . قد يقول إنسان إنه ذاهب للكنيسة للعبادة ، لكنه يقدر أيضاً أن يقول إنه ذاهب للمصنع أو المتجر أو المدرسة أو المكتب ليعبد الله .

ثم يطالب بولس بتغيير جذرى ، حتى لا نشاكل العالم (نصير مثله ، على شكله) والكلمة « **شكل** » تعنى المظهر الخارجى الذى يتغير من سنة إلى سنة ومن يوم إلى يوم . فشكل الإنسان يتغير فى عمر ١٧ عنه فى عمر ٧٠ سنة ، كما يتغير مظهره إن كان ذاهباً إلى عمله أو إن كان مدعواً إلى حفلة . إن شكله متغير باستمرار وبولس يقول : لا تغيروا حالكم ليكون مثل العالم ، ولا تكونوا كالحرباء التى تأخذ لونها من البيئة المحيطة بها . لا تسيروا مع العالم ولا تسمحوا له أن يحدد لكم شكلكم . أما كلمة « تغيروا » فهى تعنى تغيير الحالة الأساسية . فقد يتغير الإنسان فى عمر السبعين عنه فى عمر السابعة عشرة ، لكن قلبه يبقى كما هو . إن مظهره وملبسه يتغيران ، لكن قلبه يبقى وعلى هذا فإن بولس يقول إننا يجب أن نتغير لكى تكون عبادتنا مقبولة ، لا تغيير المظهر الخارجى ، بل تغيير القلب والشخصية . ولكى نشرح هذا بلغة بولس نقول إننا عندما نحيا « حسب الجسد » تستعبدنا الرغبات الدنيا ، لكننا فى المسيح نحيا « حسب الروح » يستعبدنا المسيح وروح الله . إن تغييراً أساسياً قد حدث . يجعل الإنسان منا يحيا ، لا حياة مركزها الذات ، بل حياة مركزها المسيح .

وهذا يحدث « **بتجديد أذهانكم** » . وهناك كلمتان يونانيتان عن الجديد ، واحدة عن الجديد فى الوقت ، والأخرى عن الجديد فى الطبيعة والشخصية . فالقلم الجديد جديد فى تاريخ إنتاجه ، أما الإنسان الجديد فهو الذى كان خاطئاً لكنه الآن فى طريقه إلى القداسة . وعندما يجىء المسيح إلى حياة إنسان يجدده ، فيتغير مركز حياته ودوافعها ، كما يتغير فكره إلى فكر المسيح . وعندما يصير المسيح مركز الحياة يمكن أن نقدم العبادة المقبولة ؛ التى هى تقديم كل لحظة من حياتنا وكل عمل من أعمالنا لله .

الواحد للكل ، والكل للواحد

(رومية ١٢ : ٣ ــ ٨)

من التشبيهات الجميلة التى يستعملها بولس تشبيه الكنيسة بالجسد (قارن ١ كورنثوس ١٢ : ١٢ ــ ٢٧) . ذلك أن أعضاء الجسد الواحد لا تتحارب ، ولا تتحاسد عن أهمية كل منها ، لكن كل جزء يحمل مسئوليته مهما كانت متواضعة أو مختفية . ويرجو بولس أن تكون الكنيسة مثل الجسد ، فلكل واحد عمل محدد ، وعندما يقوم كل واحد بعمله يكون الجسد كله سليما . وتقدم لنا هذه الفقرة تعاليم هامة للحياة .

١ ــ يجب أن نعرف نفوسنا ، كما كانت الحكمة اليونانية القديمة تقول . ولا يمكن أن نتقدم فى العالم حتى نعرف ما نقدر أن نفعله وما لا نقدر عليه . ومن المهم جداً أن نعرف نفوسنا بدون مبالغة فى تقدير نواحى القوة أو نواحى الضعف فى نفوسنا .

٢ ـــ يجب أن نقبل نفوسنا ، مستخدمين الوزنات التى منحها الله لنا ، دون أن نحسد الآخرين على وزناتهم ، ودون أن نتذمر على ما ليس عندنا من وزنات . علينا أن نقبل نفوسنا كما نحن ، مستخدمين ما عندنا . وهذا يعنى أن خدمتنا قد تكون متواضعة أو غير منظورة . لقد كان الرواقيون يقولون إن بكل واحد منا قبساً من الله ، وكانوا يقولون إن الله يحيا فى كل كائن حى فى العالم إلى حد ما . وكان البعض يضحك على الرواقيين قائلين : « هل الله فى الديدان ؟ » فكانوا يجاوبون : « لماذا لا ! ألا تحقق الديدان قصد الله ؟ » هل تظن أن « الفريق » هو وحده الجندى الصالح ؟ ألا يدافع الجندى البسيط عن دولته حتى يضحى بحياته ؟ إنك ستجد السعادة عندما تخدم الله وتحقق مقاصده ، حتى لو كانت خدمتك بسيطة كالدودة » !

إن حياة العالم تتوقف على خدمات أبسط المخلوقات . ويريد بولس منا أن نقبل نفوسنا ، مهما كان عطاؤنا للعالم من حولنا بسيطة أو غير معترف به أو غير مشكور . يجب أن نقدم خدمتنا للعالم عالمين أنها هامة ولازمة ، لا يستغنى العالم عنها .

٣ ـــ كل ما عند الإنسان من عطايا هى عند الله ، دون أن نطلبها أو نربحها أو نستحقها . إنها هدية شخصية بإنعام إلهى . وهذا ما نجده فى الحياة ، فقد يصرف إنسان عمره كله يتدرب على لعب البيانو لكنه لا يلعب مثل رمزى يسى ، ذلك أن رمزى يسى يملك ما هو أكثر من التدريب ، فهو يملك الموهبة التى هى عطية الله وقد يصرف إنسان عمره يتدرب على أعمال الخشب والمعادن دون أن يجيدها ، بينما يجيد غيره عمل أى شيء خشبى أو معدنى لأنه يملك الموهبة .. وهكذا فى الخطابة والتأليف والبناء والنحت والتمثيل والتعليم والرياضة .. إن الإنسان الذى يبرع فى هذه كلها مديون للموهبة التى أنعم الله عليه بها . إنها موهبة معطاة لا مكتسبة .

٤ ـــ يجب أن يستخدم الإنسان موهبته ، لا بدافع الفائدة الأنانية ، بل بدافع تشغيل ما أعطاه الله له لخير الآخرين . والآن تعالوا ندرس المواهب التى يخصها بولس بالذكر هنا .

١ ـــ موهبة **النبوة** وهى لا تعنى فى لغة العهد الجديد إعلان المستقبل ، بمقدار ما تعنى إعلان كلمة الله ، فالنبى فى العهد الجديد هو الذى يعلن رسالة الله بسلطان من يعرف . ولكى نعلن المسيح للآخرين يجب أن نعرفه أولاً ، لا معرفة نكسبها عن آخرين ، بل معرفة الاختبار الشخصى .

٢ ـــ موهبة **الخدمة** ، فقد لا يقف إنسان بالمرة أمام الجمهور ليعظ ، لكن كل إنسان يقدر يومياً أن يظهر محبة المسيح فى حياته بخدمة الآخرين .

٣ ـــ موهبة **التعليم** ، فرسالة المسيح لا تعلن فقط ، بل تشرح أيضاً . ولربما كان أكبر خطأ ترتكبه الكنيسة اليوم هو أنها تدعو الناس للإيمان بالمسيح ، دون أن تشرح ما هو المقصود بهذا الإيمان ! إن الدعوة والحض على القبول بدون الشرح والتوضيح والتعليم أمر فارغ النتيجة .

٤ ـــ موهبة **الوعظ** ، ومعناه التشجيع . هناك قانون فى البحرية البريطانية يقول إن الضابط لا يجب أن يعنف الجندى على خطأ ارتكبه لدرجة تبعث فى نفسه الفشل . هناك مواعظ تبعث اليأس فى النفس ، لكن الواعظ الحقيقى هو الذى يحول النظر إلى محبة الله وإلى أفراح الحياة مع المسيح .

٥ ــ موهبة **العطاء** ، والكلمة اليونانية تحمل معنى البساطة والكرم . وقد جاء فى كتاب عنوانه « عهد يساكر » القول : « لقد باركنى أبى لأنى سرت فى طريق العطاء ببساطة ، لم أحسد جيرانى ولم أضايقهم . لم أمسك سيرة إنسان بالسوء ولكن كانت عينى بسيطة (معطية) . لقد قدمت للمحتاجين احتياجاتهم . والإنسان البسيط هو الذى لا يهتم باللحوم الغالية أو الملابس الثمينة أو العمر الطويل ، بل يهتم بإرادة الله فيسلك ببساطة (بالعطاء) » .

قد يعطى بعض الناس بعد الخوض فى حالة من يعطونه بنقد جارح ، أو قد يعطون لأنهم يريدون أن يشعروا بلذة التعالى فى العطاء . وقد يعطى البعض تحت الضغط ويتذمر . لكن العطاء المسيحى عطاء ببساطة وبسخاء وبفرح . على مثال عطاء المسيح لنا .

٦ ــ موهبة **التدبير** ويريدنا بولس أن ندبر الأمور التى توكل إلينا باجتهاد وغيرة . من مشاكل الكنيسة اليوم نقص القادة المدبرين ، فقليلون يخدمون ويحملون المسئولية بغيرة واجتهاد ، وقليلون مستعدون أن يعطوا خدمتهم فى وقت فراغهم . وقد يعتذر أحد عن كسله بأنه غير مستحق أو بأنه لا يعرف . لكن بولس يريدنا أن نقود الآخرين باجتهاد . وقد يرسل شيخ الكنيسة كارتاً إلى الأعضاء بالبريد ، لكنه قد يزورهم بنفسه ليعطيه لهم . وقد يجهز مدرس مدرسة الأحد الدرس تجهيزاً سريعاً كأداء واجب ، وقد يجهزه بكل قلبه وفكره . وقد يؤدى أحد الأعضاء خدمة الكنيسة بتذمر ، وقد يؤديها بكل سعادة وحماس . وتحتاج الكنيسة إلى قادة مدبرين متحمسين .

٧ ــ موهبة **الرحمة** : قد نسامح إنسانا بطريقة تحمل الشتيمة أكثر مما تحمل المحبة ، فقد نسامح مع إظهار روح التوبيخ والكراهية والنقد . فاذا رحمنا خاطئا لنذكر أننا نحن أيضا خطاة ، كما كان جورج ويتفيلد يقول عندما يرى مجرما : « هذا أنا ، لولا رحمة الله » ! هناك طريقة لإظهار الرحمة تدفع الإنسان إلى اليأس . هناك طريقة أخرى تملأ نفس الذى ينال الرحمة بالرجاء . يجب أن تكون الرحمة بسرور المحبة ، لا بسرور التعالى !

الحياة المسيحية فى الأعمال اليومية

(رومية ١٢ : ٩ ــ ١٣)

يورد بولس هنا وصايا تلغرافية للحياة العادية فلنفحصها واحدة واحدة .

١ ــ يجب أن تكون المحبة مخلصة « بلا رياء » ، بلا تمثيل ولا أغراض أنانية فلا نحب بعين وننتظر الفائدة بالعين الأخرى ، فالمحبة المسيحية مطهَّرة من الأنانية ، خارجة من القلب ، نحو الآخرين .

٢ ــ يجب أن نكره الشر ونتعلق بالخير . وقد قيل إن ما يحفظنا من الخطية هو صدمتنا منها ، وقد قال كارلايل إن ما نحتاجه هو أن نرى جمال القداسة المطلق وشر الخطية الأبدى . ويستخدم

بولس كلمات قوية هنا ، إذ يطلب أن نكره الشر ونلتصق بالخير والملاحظ أن بعض الناس لا يكرهون الشر بل يكرهون نتائج الشر ، ولكن لا يوجد إنسان صالح يقول إنه يخاف نتائج الشر فقط ! وقد قال الشاعر برنز ما ترجمته : « إن الخوف من الجحيم هو السوط الذى يحفظ البائس منتظما ولكن الشرف هو الذى يجب أن يجعلنا نلتزم حدودنا » . ليس الخوف من العار إذاً ، بل محبة الشرف تدفعنا إلى عمل الخير .

٣ ــ لنود بعضنا بعضا بالمحبة الأخوية ، وهى المحبة التى تسود العائلة لنحب بعضنا بعضا لأننا أعضاء عائلة واحدة لسنا غرباء عن بعضنا فى الكنيسة ولا يجب أن نحيا منعزلين ، فإننا إخوة لبعضنا ، وأبناء الأب الواحد ، ليست الكنيسة ملتقى المعارف والأصحاب ، لكنها بيت عائلة الله !

٤ ــ لنقدم بعضنا بعضا فى الكرامة ، فمعظم مشاكل الكنيسة تجىء من طلب الحقوق والامتيازات والمكانة ، فواحد يشكو من عدم إعطائه المكان المهم ، وآخر يشكو من الإهمال أو نقص التقدير ، وآخر يتذمر لأن غيره أعطى مكانا هاما على المنبر . ولكن لا زالت نعمة التواضع هى النعمة المطلوبة . يحكى عن رجل عالم تقى اسمه كيرنز كان يدخل قاعة مع بعض المشهورين متجهاً للمنبر . وعندما رآه الجمهور صفقوا طويلاً ، فدفع الشخص الذى يليه إلى أمامه ، وأخذ يصفق له ، لأنه من فرط تواضعه لم يظن أن التصفيق موجه له . إن الطبيعة الضعيفة فينا تطالب بالامتيازات ، ولكن المسيحى يفكر فى واجباته قبل امتيازاته .

٥ ــ يجب أن نكون مجتهدين غيورين ، فلا يوجد مكان للكسل فى الحياة المسيحية ، لأن المسيحى يختار بين الحياة والموت ، والعالم بالنسبة له أرض معركة بين الخير والشر ، والوقت قصير ، والأبدية تقترب ! قد يحترق المسيحى من كثرة العمل ، لكنه لا يجب أن يصدأ من قلة العمل !

٦ ــ يجب أن نكون حارين فى الروح ، فكل من قام مع المسيح لا يمكن أن يكون بارداً ولا فاتراً (رؤيا ٣ : ١٥ و ١٦) . وقد يكون الناس من حولنا غير مبالين ، ولكن المسيحى يبقى غيوراً ، والنار تشب فى عظامه فتملأه بالغيرة للمسيح .

٧ ــ عابدين الرب ، أى خادمين الرب ، منتهزين الفرصة لأداء كل خدمة له ، فإن الحياة تمنحنا الكثير من الفرص لنتعلم شيئاً جديداً ، أو لنتخلص من شىء خاطىء ، أو لنقول كلمة تشجيع . ومن مآسى الحياة أن نضيع الفرصة عندما تجىء ! وقد قيل إن ثلاثة أشياء تذهب ولا تعود : « السهم والكلمة التى تقال ، والوقت الذى يمضى » فلنصرف كل فرصة فى عبادة الرب وخدمته .

٨ ــ فرحين فى الرجاء : عندما كان الإسكندر الأكبر يستعد لإحدى غزواته فى الشرق وزع هدايا كثيرة على أصحابه ، حتى كادت ثروته تنتهى ، فقال له أحد أصحابه : « إنك لم تبق شيئاً لنفسك » فقال الإسكندر : « لقد بقيت لى آمالى » . والمسيحى متفائل بطبعه ، ولما كان موجوداً فإن المسيحى يعلم أن أفضل الأشياء هى الآتية عليه . إنه يعلم أن نعمة الله تكفيه ، وأن قوة الله فى الضعف تكمل ، وأنه يستطيع كل شىء . وهو متأكد أن كل شىء صالح ممكن فى المسيح . لا يوجد يأس فى حياة المسيحى الحقيقى .

٩ ـــ لنقابل الضيق بالصبر المنتصر . قيل لشخص متألم : « إن الألم يصبغ الحياة » فقال : « ولكنى أنا الذى أختار اللون ! » وعندما واجه بيتهوفن فن الصمم قال إنه سيمسك بزمام حياته ، وقد قال الشاعر وليم كوبر ما ترجمته : « إننا نتخلص من الحزن الحاضر ونقول بسرور : ليأت الغد المجهول بما يشاء ، فإن الله معنا مهما يكون ! » ، وعندما ألقى نبوخذ نصر بشدرخ وميشخ وعبد نغو فى أتون النار لم يصبهم أذى ، لأن رابعاً كان يتمشى معهم فى النار (دانيال ٣ : ٢٤ و ٢٥) والمسيحى يواجه كل شيء بانتصار ما دام يسوع معه .

١٠ ـــ لنواظب على الصلاة ، فلا يمكن أن يمضى يوم بعد يوم دون أن نتصل بالرب ، لأن الإنسان الذى يتعطل اتصاله بالرب تضعف قوته الروحية ، ولا يجب أن نستغرب إن فشل أحد لأنه يعتمد على قوته الذاتية وحدها .

١١ ـــ لنشارك المحتاجين . قد يتجه الناس نحو الأخذ ، لكن المسيحى يتجه نحو العطاء ، لأنه يعلم أنه « يخسر ما يحتفظ به ، لكنه يكسب ما يعطيه » .

١٢ ـــ المسيحى يجتهد أن يضيف الغرباء ، ويكرر العهد الجديد فكرة باب البيت المسيحى المفتوح (١ تيموثاوس ٢ : ٣ ، تيطس ١ : ٨ ، عبرانيين ١٣ : ٢ ، ١ بطرس ٤ : ٩) . فلن يكون البيت الانانى سعيداً ، ولكن الديانة المسيحية هى ديانة الكف المبسوط والقلب المفتوح والبيت المضياف .

المسيحى والمحيطون به

(رومية ١٢ : ١٤ ـــ ٢١)

يقدم بولس هنا مجموعة قوانين تحكم علاقاتنا بالمحيطين بنا :

١ ـــ يجب أن يقابل المسيحى مقاوميه بصلاة مخلصة لأجلهم . ومنذ القديم قال أفلاطون إن الرجل الصالح يحتمل الأذى ولا يفعله ، فمن الشر أن نكره الناس . وعندما يتأمل المسيحى أو يظلم أو يساء إليه فإنه يتبع مثال فاديه الذى صلى لأجل صالبيه . ولم يحدث أن قوة أثرت فى قلب الناس كما أثرت قوة غفران الشهداء المسيحيين لمضطهديهم وقاتليهم ، كما صلى استفانوس لأجل مضطهديه (أعمال ٧ : ٦٠) فرآه شاول وتأثر ثم تجدد وصار رسولا للأمم وعبداً للمسيح ، وقد قال أغسطينوس إن الكنيسة مديونة لصلاة استفانوس فى تجديد بولس الرسول . وكم من مضطهد قبل إيمان الشهداء عندما رآهم يغفرون إساءته .

٢ ـــ علينا أن نفرح مع الفرحين وأن نبكى مع الباكين ، فلا توجد قوة كقوة المشاركة . ويقال إن سيدة أمريكية قابلت خادمة زنجية فقالت لها : « أنا حزينة ياعزيزتى أن العمة لوسى ماتت لابد أنك تفتقدينها كثيراً لأنها صديقتك » فقالت الزنجية : « صحيح أنى حزينة لأنها ماتت ولكننا لم

نكن صديقتين » . فقالت السيدة : « كيف هذا ؟ لقد ظننتكما صديقتين ، لأنى رأيتكما تضحكان وتتكلمان معاً مرات كثيرة » فقالت الخادمة الزنجية : « لقد ضحكنا وتكلمنا معاً ، لكن هذا مجرد تعارف ، فإننا لم نبك معاً . إن ذرف الدموع معاً يصنع الصداقة » . إن رابطة البكاء معاً قوية للغاية ، ولو أن البكاء مع الباكين أسهل من الفرح مع الفرحين . وقد كتب فم الذهب تعليقاً على هذه الآية قال فيه : « يتطلب الفرح مع الفرحين نعمة أكبر من النعمة التى يتطلبها البكاء مع الباكين ، فإن الطبيعة البشرية تبكى على المحزون ومعه ، أما الفرح مع الفرحان فيحتاج إلى نعمة حتى لا نحسده وحتى نشعر معه بسعادة نجاحه » . من الصعب أن نهنىء الناجح خصوصاً إن كان نجاحه يعنى فشلنا ، بينما من السهل أن نتعاطف مع الحزين . وعندما تموت الذات نقدر أن نفرح مع الآخرين فى فرحهم وكأنه فرحنا نحن .

٣ ــ يجب أن نحيا فى توافق معاً . بعد أن انتصر نلسون قال إن سبب نجاحه أنه كان « يقود مجموعة من الأخوة » . وعلى المسيحيين أن يعيشوا كإخوة فى الكنيسة الواحدة ، لا تربطهم روابط « سياسة الكنيسة » بل السلام واللطف والصلاح . عندما يدخل النزاع فى أحسن المجتمعات يضيع الأمل فى إنجاز الأعمال الصالحة .

٤ ــ علينا أن نتحاشى الكبرياء والتعالى ، فعلينا أن نذكر أن المستوى الذى يدين به الناس الآخرين ليس هو المستوى الذى يدينهم الله به . ولا صلة للقداسة بالمركز العالمى أو الثروة أو النسب ! صور أحدهم مشهداً جرى فى بدء انتشار المسيحية ، فقد تجدد وثنى ذو مركز عظيم ، وذهب لأول مرة إلى مكان اجتماع العبادة ، فأشار قائد الاجتماع إلى المكان « بلى اجلس فى هذا المكان » فقال : « لا » ! ، ليس بجوار عبدى .. ولكن القائد كرر كلامه وقال له : « اجلس هنا من فضلك » فقال الرجل : « ولكنى لا أقدر أن أجلس فى هذا المكان لأنى سأجلس بجوار عبدى » فكرر القائد كلامه ، فسار الرجل إلى المكان ، وقبل عبده قبلة الأخوة . هذا ما فعلته المسيحية ، وما كان غيرها يقدر أن يفعله ! كانت الكنيسة هى المكان الوحيد فى الإمبراطورية الرومانية التى يجلس فيها العبد إلى جوار سيده ، ولا تزال هى المكان الوحيد لذلك ، فحيث يوجد الله لا توجد محاباة بين الناس !

٥ ــ ليكن سلوكنا جميلا ليراه كل الناس ، فقد يكون سلوكنا المسيحى سيىء المنظر أمام الآخرين . بعض المسيحيين يعرضون إيمانهم بطريقة خشنة منفرة بعيدة عن المحبة ، ولكن المسيحية الحقيقية تسر الناظرين .

٦ ــ يجب أن نعيش بسلام مع الناس ، وبولس يضيف صفتين (أ) « إن كان ممكناً » فقد كان اللطف أحياناً يسبب كسر المبادىء ، وليست المسيحية تسامحاً مع الخطأ ، وقد يجىء وقت يضطر المسيحى فيه إلى خوض معركة من أجل المبدأ . (ب) « حسب طاقتكم » فإن بولس يرى أن حياة السلام ممكنة لبعض الناس أكثر منها للبعض الآخر ، وقد يستطيع إنسان أن يضبط أعصابه فى نصف ساعة أكثر مما يستطيع غيره أن يضبط أعصابه فى حياته كلها ، ولابد أن نعلم أن الصلاح أسهل على بعض الناس منه على البعض الآخر . ولو وضعنا أمامنا هذه الفكرة لحفظنا أنفسنا من

الانتقاد ومن اليأس .

٧ ـــ يجب أن نحترس من كل انتقام . ويقدم بولس ثلاثة أسباب لذلك :

(أ) ليس الانتقام لنا ، بل للرب ، فليس لانسان بشرى أن يحكم على الآخرين ، ثم ينفذ الحكم . هذا شأن الله وحده (ب) لكى نكسب قلوب الناس يجب أن نسامحهم لا أن ننتقم منهم . قد يكسر الانتقام الكرامة ، لكن اللطف يكسر القلب . ويقول بولس إن اللطف سيجمع جمر نار على رأس العدو . وليس معنى هذا أن لطفنا سيزيد عقابهم ، لكن معناه أنه سيحركهم من الخجل المحرق .

(ج) إن الإنحدار للانتقام يعنى أن الشر قد هزمنا . فالشر لا يهزم الشر ، بل إن الكراهية تزيد الكراهية . لكن المحبة تعالج سم الكراهية . حسناً قال بوكر واشنطن : « لن أدع انسانا يجعلنى أخفض نفسى بأن أكرهه » . إن أفضل طريق لتحطيم العدو هو أن تجعله صديقاً .

الاصحاح الثالث عشر

المسيحى والدولة

(رومية ١٣ : ١ ـــ ٧)

تتحدث هذه الفقرة عن الخضوع الكامل للسلطة المدنية ، وهى فكرة تغطى العهد الجديد كله ، فقد جاء « فأطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس ، لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار » (١ تيموثاوس ٢ : ١ و ٢) كما جاء : « ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح » (تيطس ٣ : ١) كما جاء : « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ، أو للولاة فكمرسلين منه للإنتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير ، لأن هكذا هى مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغنياء أكرموا الجميع . أحبوا الأخوة . خافوا الله . أكرموا الملك » (١ بطرس ٢ : ١٣ ـــ ١٧) . وقد نقول إن هذه الآيات قيلت فى وقت لم تكن فية الإمبراطورية الرومانية قد بدأت اضطهاد الكنيسة ، ففى سفر الأعمال نجد أن المحكمة الحكومية كانت الملاذ الذى احتمى به الرسل من الجمهور اليهودى الثائر ، وقد وجد بولس الأمن والحماية عند ولاة الرومان .. ولكن الغريب أنه بعد ذلك بعدة قرون ، عندما اشتعل الاضطهاد الرومانى ضد الكنيسة ، ظل قادة الكنيسة يقولون الشيء نفسه ، فيقول جستن مارتر : « فى كل مكان ، قبل كل الناس ، يجب أن نكون مستعدين لندفع الضرائب العادية وغير العادية كما علمنا يسوع . إننا نعبد الله وحده لكننا فى أشياء كثيرة نخدمكم أنتم ، معترفين بكم كحكام وقادة الشعب ، مصلين أنكم بسلطانكم الملكى تحكمون الأحكام العادلة » . وأثيناجوراس يطلب السلام للمسيحيين فيكتب : « نحن نستحق المعاملة الحسنة لأننا نصلى لأجل حكومتكم ، وأن تتسلموا الحكم ، ابناً عن أب ، وأن تنمو المملكة تحت حكمكم حتى يصير كل الناس خاضعين لمملكتكم » . ويكتب ترتليان مطولاً قائلاً : « نحن نصلى لأجل سلامة الأمراء إلى إلهنا الأزلى الحقيقى الحى ، الذى يخص البشر بعطاياه ، ونصلى بلا انقطاع لأجل أباطرتنا طالبين الحياة الطويلة وسلامة الإمبراطورية وحماية البيت الإمبراطورى وبسالة لجيوشنا ، وأمانة لنوابنا ، وفضيلة لشعبنا وراحة لعالمنا » . ويمضى ترتليان ليقول إن المسيحى يتطلع إلى الإمبراطور لأنه يؤمن أن الإمبراطور « مدعو من الله لوظيفته » . ويختم حديثه بالقول : « إن قيصر لنا أكثر مما هو لكم ، لأن إلهنا هو الذى عينه » . ويقول أرنوبيوس إن المسيحيين فى اجتماعاتهم يدعون الله لطلب السلام والغفرات لكل من هو فى منصب . وهكذا علمت الكنيسة دوماً ضرورة الطاعة والصلاة للملوك والولاة ، حتى أثناء حكم الطاغية نيرون . فما هو الفكر خلف هذا كله ؟

١ ـــ هناك سبب قوى خلف طلب الطاعة . كان اليهود بطبعهم ثائرين ، وكانت فلسطين

كلها ، وخصوصاً الجليل ، موضع الثورات ، وكان منهم طائفة الغيورين الذين آمنوا أن الله وحده هو ملك اليهود ، وأنهم يجب ألا يدفعوا مالاً إلا للرب وحده ، و لم يكونوا يقبلون شيئاً مثل المقاومة الإيجابية ، بل كانوا يعتقدون أن الله لن يساعدهم حتى يحاربوا هم لمساعدة أنفسهم ، وهكذا خصصوا أنفسهم لحياة القتل حتى تفشل الحكومة القائمة من كثرة هجماتهم الإرهابية المتعصبة . و لم يكتف أولئك الغيورون بمهاجمة القوات الحكومية ، بل هاجموا وقتلوا وأحرقوا بيوت إخوتهم اليهود الذين كانوا يدفعون الجزية لقيصر . و لم يوافق بولس على هذا كله ، إذ رأى فيه التناقض الكامل مع المبادىء المسيحية . ولعل بولس كتب هذا ليظهر أن لا علاقة للمسيحية بهذا الإرهاب اليهودى ، وأن المسيحية والمواطنة الصالحة أمران متلازمان .

٢ ــ ولكن هذه المبادىء دائمة ، ولا تعالج الحالة العاجلة الآنية التى واجهها بولس فقط . فبولس يرى أن المسيحى لا يقدر أن يعزل نفسه عن مجتمعه الذى يحيا فيه ، فإن ضميره يكشف له أنه يستفيد بالكثير من مجتمعه ، ولا يعقل أن المسيحى يتمتع بالإمتيازات ثم يتقاعس عن القيام بالواجبات . وكما أن المسيحى عضو فى الكنيسة فهو عضو فى مجتمعه ، فلا يوجد فرد منعزل عن مجتمعه . وعلى المسيحى أن يؤدى واجبه للدولة ، حتى إن كان « نيرون » على رأسها .

٣ ــ إن الإنسان مدين بسلامته للدولة ، فقد نادى أفلاطون بأن الدولة تحيا لأجل العدالة والأمن ، فتحمى المواطن من الوحوش ومن الناس المتوحشين . والدولة هى جماعة من الناس ارتبطوا معاً متعاهدين على حفظ صلاتهم معاً باتباع قوانين خاصة . وبدون الاتفاقات والقوانين يسيطر الأقوياء على الجماعة ويظلمونها ، ويضغط الضعفاء يائسين ، وتسيطر شريعة الغاب ! وعلى هذا فإن كل واحد منا مديون للدولة ، وعليه واجبا ومسئوليات من نحوها .

٤ ــ والمواطن العادى مديون للدولة بخدمات لا يقدر أن يتمتع بها لو كان وحيداً ، فلا يستطيع إنسان بمفرده أن يدبر لنفسه الماء والمجارى والمواصلات ، والخدمات الصحية والمدنية والتأمينية ، فإن هذه كلها نتيجة تعاون الناس . ومن العار أن يستفيد الإنسان بالخدمات التى تؤديها الدولة له دون أن يتحمل مسئولياته من نحوها ! وهذا ما يحض المسيحى على أن يكون مواطناً صالحاً ، متحملاً كل مسئولياته .

٥ ــ ويرى بولس أن الامبراطورية الرومانية هى واسطة الله لتخليص العالم من الفوضى ، فلو أن هذه الإمبراطورية انفرطت لذهب العالم دويلات صغيرة . وقد أعطى السلام الرومانى للكارز المسيحى فرصة الكرازة . وبولس يرى الدولة آلة فى يد الله تحفظ نظام العالم ، كما نرى فى حكام الدولة من يقومون بحفظ هذا النظام . وسواء عرفوا أم لم يعرفوا فإنهم يقومون بالعمل الذى كلفهم الله به ، وعلى المسيحى أن يساعدهم ، لا أن يعطلهم !

(تفسير الآية السابعة فى بداية الفقرة التالية) .

الدين الذى يجب أن يوفى

والدين الذى لا يمكن أن يوفى !

(رومية ١٣ : ٨ — ١٠)

يمكن أن نقول إن الفقرة الأولى من هذا الأصحاح تحدثت عن الدين العام ، فتقول الآية السابعة إن هناك الجزية وإن هناك الجباية ، فأهل البلاد الواقعة تحت الحكم الأجنبى يدفعون الجزية . وقد طالب الرومان البلاد التى حكموها بثلاثة أنواع من الجزية ، فهناك جزية الأرض ، وهى دفع عشر إيراد الغلال ، سواء كان الدفع غلالاً أم فضة ، ودفع خمس إيراد الكروم وأشجار الفواكه . وكانت هناك جزية المكسب ، وهى عشر دخل الفرد . وكانت هناك جزية الرأس التى يدفعها كل شخص من عمر ١٤ سنة إلى ٦٥ سنة . أما الجباية فهى الضريبة المحلية على البضائع واستعمال الطرق وعبور الكبارى (الجسور) أو دخول الأسواق والموانىء ، أو شراء حيوان أو حيازة عربة . وبولس يريدنا أن ندفع هذا الدين العام من ضرائب مختلفة .

ويمضى بولس للحديث عن الديون الشخصية فيقول : « لا تكونوا مديونين لأحد بشىء » . وقد تبدو هذه الوصية واضحة ، لكن بعض الناس فسروا طلبة الصلاة الربانية : « كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » بأنها إعفاء كامل من كل الديون . وبولس يوضح أن المسيحية ليست هروباً من مسئولياتنا نحو المحيطين بنا ، لكنها تعنى حمل مسئولياتنا من نحوهم إلى أقصى حدود الإحتمال .

ثم يتحدث بولس عن دين واجب الأداء كل يوم ، ومع ذلك يظل دوماً ديناً واجب الأداء .. هذا الدين هو أن نحب بعضنا بعضاً . قال أوريجانوس : « سنبقى مديونين بالمحبة دائماً . هذا هو الدين الذى يجب أن ندفعه كل يوم إلى الأبد » . فإذا أراد أحد أن يسدد هذا الدين فعليه أن يحفظ الوصايا ، التى تتلخص فى المحبة ، فإذا سدد إنسان دين المحبة فهو لن يزنى . فإذا ترك شخصان لنفسيهما العنان ليقعا فريسة شهواتهما الجسدية فإنهما لا يكونان محبين لبعضهما كثيراً .. بالعكس .. فإن محبتهما قليلة ., لأن المحبة الكبيرة تنقذ الآخرين من الخطأ . وإذا سدد أحد دين المحبة فهو لا يقتل . لأن المحبة تبنى ولا تهدم حياة الناس . وهى لا تبغض بل ترحم . والمحبة لا تدمر العدو بالقتل بل تربحه باللطف . والذى يسدد دين المحبه لا يسرق لأن المحبة تهتم بأن تعطى أكثر مما تأخذ . والذى يسدد دين المحبة لا يشتهى ، لأن الشهوة هى الرغبة العارمة فى امتلاك الممنوع الذى لا يجب امتلاكه والمحبة تطهرنا من شهوات قلوبنا .

هناك قول مشهور : « أحب الله وافعل ما تريد » . فلو كانت المحبة تفيض من حياة إنسان ، وإن سيطرت محبة الله على حياة إنسان ، فإنه لن يحتاج لطاعة قانون ، لأن قانون المحبة يغنيه عن كل القوانين الأخرى !

تهديد الزمن

(رومية ١٣ : ١١ — ١٤)

كان بولس مثل كل رجل عظيم ، يدرك قصر الوقت ، فالوقت يشبه العربة المجنحة المسرعة ! وكان الشاعر كيتس يخشى أن يموت قبل أن يتمكن قلمه من تسيطر كل ما يفيض به عقله . وقد كتب روبرت لويس ستيفنسون شعراً ترجمته : « طبلة الصباح تدو لكل من يسمع ، بنداء لا ينسى . وندى الصباح يبقى ندياً حتى الظهر . ولكنى أتوقف أثناء عملى وأصغى إلى الجرس ، وأنا أخشى أن تغرب الشمس بأسرع مما يجب » !

ولكن بولس لا يخاف قصر الوقت فقط ، فهو يتوقع أعظم حدث قادم ، وهو مجىء المسيح الثانى . وكانت الكنيسة الأولى تتوقع هذا المجىء فى كل لحظة ، فكانت مستعدة للمفاجأة . وربما أصبح هذا الانتظار لنا ضئيلاً وباهتاً ، ولكن فى لحظة لا نتوقعها سيجىء المسيح أو ستنتهى حياتنا . إن الوقت مقصر . وفى كل يوم يمضى يقربنا إلى ذلك اليوم ، فلنكن مستعدين .

وقد وجد أغسطينوس حياته الجديدة فى المسيح وهو يقرأ آيات هذه الفقرة ، وهو يحكى هذه القصة فى كتاب اعترافاته ، فقد كان يسير فى الحديقة حزين القلب لأنه فشل أن يحيا الحياة الصالحة ، فأخذ يقول : « حتى متى ؟ غداً . غداً . لكن لماذا لا يكون اليوم ؟ لماذا لا تكون هذه الساعة نهاية ضلالى ؟ » . كان يبكى وهو يفكر هكذا ، عندما طرق سمعه صوت طفل ينادى « خذ وإقرأ . خذ وإقرأ » . وحاول أن يذكر اللعبة التى تتكرر فيها هذه الكلمات ، ولكنه لم يذكر . وأسرع إلى مقعده حيث كان صديقه أليبوس جالساً ، وكان قد ترك مخطوطة من كتابات بولس . ويقول : « وأخذتها وقرأت أول ما وقع عليه بصرى ، فكان القول : « ولنسلك بلياقة . لا بالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعهر ، لا بالخصام والحسد ، بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » . ويقول : « ولم أشأ أن أقرأ أكثر ، ففى هذه العبارات أضاء نور اليقين قلبى ، فهربت ظلال الشك . ورجعت إلى صديقى أليبوس بوجه هادىء وأخبرته بما حدث لى » . لقد كلم الله أغسطينوس فى كلمته . وقد قال كولريدج إنه يؤمن أن الكتاب المقدس موحى به لأنه « يكشفنى ويجدنى » لأن كلمة الله تكشف القلب البشرى دوماً !

ومن المناسب أن ندرس الخطايا الست التى يوردها بولس هنا ، كنموذج من حياة البعد عن المسيح .

١ — خطية **البطر** وكانت تعنى أولاً جماعة من الأصحاب يصحبون صديقهم الذى انتصر فى الألعاب الرياضية ، وهم يغنون له فرحين ويحتفلون معه بالنصر . ثم تطور معناها فأصبحت تعنى جماعة الشباب الذين يغزون شوارع مدينة يصيحون ويصرخون . إنها تعنى الأشخاص الذين يزعجون الآخرين ويضايقونهم .

٢ ــ خطية **السكر** ، وكان اليونانيون يرون السكر أمراً مخلاً بالشرف ، مع أنهم كانوا يشربون الخمر ، وكانوا فى طعام الإفطار يتناولون شريحة خبز مغموسة فى النبيذ ، إلا أن السكر كان عاراً . ومن هذا نرى أن السكر رذيلة ينفر منها الوثنى كما ينفر منها المسيحى أيضاً .

٣ ــ خطية **الفساد** فى المضاجع ، فهى الرغبة فى السرير الممنوع ، وكانت خطية وثنية معتادة . صحيح أن العفة لم تكن فضيلة معروفة للعالم الوثنى حتى جاءت بها المسيحية . وبولس يحذر من شر الحصول على الشهوة حيث يحلو للإنسان !

٤ ــ خطية **العهر** وهى كلمة قبيحة فى اليونانية تصف الإنسان الذى فقد نفسه فى العار . معظم الناس يحاولون ارتكاب الخطأ فى السر ، ولكن مرتكب العهر لا يخشى الفضيحة ، ولا يهتم بمن يراه ، ولا تعنيه كرامته أو سمعته . إنه يرتكب الشر علناً جهاراً .

٥ ــ خطية **الخصام** وهى تصف الروح الثائرة التى لم تلجم ، والتى ترغب فى المكانة والسلطان خوفاً من أن يتقدمها أحد . إنها روح الذى لا يطيق أن يأخذ المكان الثانى . هى خطية من يضع نفسه فى الأمام ويضع الآخرين فى الخلفية . إنها الصفة المضادة لصفة المحبة المسيحية .

٦ ــ خطية **الحسد** وهى فى اليونانية ليست صفة سيئة ، فهى تصف الإنسان الذى يرغب فى الوصول إلى الصفات الحسنة عندما يراها . ولكنها قد تصف الحسد المتذمر الذى يشكو من نجاح الآخرين ويتضايق منه . إنها تصف روح الشخص غير القانع الذى ينظر إلى بركات الآخرين بحسد ، لأنه لا يملكها .

الاصحاح الرابع عشر

احترام ضئيل المقدار

(رومية ١٤ : ١)

يعالج بولس فى الأصحاح الرابع عشر من رومية مشكلة لا تزال تواجهنا اليوم كما واجهت كنيسة روما ، وهى تحتاج إلى حل ، فقد كانت فى كنيسة روما مدرستان فكريتان مختلفتان ، تقول إحداهما إننا فى المسيح قد تحررنا من كل قيود وممنوعات الماضى ، فلا يهم ما يأكله الإنسان أو يشربه ، وأن قوائم الأطعمة الممنوعة لا تنطبق على المسيحيين ، كما أن قوائم اللحوم النجسة التى أوردها سفر اللاويين أصبحت غير ذى موضوع . وتقول هذه المدرسة المتحررة إن المسيحية لا تحتفل بيوم خاص . وأن السبت اليهودى لم يعد ملزماً . ويقف بولس إلى جوار هذه المدرسة قائلا إنها مدرسة الإيمان المسيحى الكامل والحقيقى . ولكن كانت هناك مدرسة أخرى قالت إن المؤمن لا يجب أن يأكل لحوما ، بل خضروات فقط ، وإنه يجب أن يراعى يوما خاصاً ويدعو بولس من يتبع هذه المدرسة « ضعيف فى الإيمان » . فماذا يقصد بولس بهذا الوصف ؟

إنه ضعيف فى الإيمان لسببين :

١ — أنه لم يكتشف معنى الحرية التى فى المسيح ، ولازال يرى المسيحية قوانين وممنوعات ، وهو يريد أن يحكم حياته بمجموعة وصايا ، لأنه يخاف من الحرية المسيحية .

٢ — أنه لم يحرر نفسه بعد من الإيمان بجدوى الأعمال ، فهو فى أعماقه لا يزال يظن أنه يكسب رضى الله بأعمال صالحة يعملها أو بأعمال سيئة يجتنبها ، وهو لا يزال يريد أن يكسب العلاقة السليمة مع الله (التبرير) بعمله ، لا عن طريق الإنعام الإلهى . إنه يفكر فى ما يفعله هو لله ، لا فى ما فعله الله له .

ويطلب بولس من الأقوياء فى الإيمان أن يرحبوا بالأخ الضعيف ، وألا يحاربوه أو يهاجموه بالانتقادات .

ولا زالت هذه المشكلة قائمة اليوم ، ففى الكنيسة مدرستان فكريتان ، المدرسة المتحررة التى لا ترى ضرراً فى الأشياء التى تعتبرها مسرات بريئة ، والتى ترى أن السرور يجب أن يدخل الكنيسة . وهناك المدرسة المحافظة التى تتضايق من المسرات التى يراها المتحرر بلا ضرر . ويقف بولس إلى جوار المدرسة المتحررة ، لكنه يطلب أن نقابل أصحاب المدرسة المحافظة بالاحترام والعطف . وعندما نلاقى أحد تابعى المدرسة المحافظة يجب أن نتحاشى ثلاثة أشياء :

١ — يجب أن نتحاشى **الغضب** ، فإن ثورتنا على مثل هذا الشخص لن تؤدى إلى نتيجة ، وعليه

فإنه مهما كان خلافنا فى الرأى فيجب أن نعطيه فرصة التعبير عن نفسه ، وأن نستمع له بتعاطف وإدراك .

٢ ـــ يجب أن نتحاشى **السخرية** ، فإن ضحكنا من أى إنسان نجرحه ، ومن الخطأ أن نضحك على عقائد الآخرين ، ومن الجريمة أن نسخر مما يعتقد شخص آخر أنه مقدس . كما أن السخرية لن تجعل الطرف الآخر يترك وجهة نظره ، بل بالعكس فإنها ستزيده تمسكاً بها !

٣ ـــ يجب أن نتحاشى **الاحتقار** ، فلا يجب أن ننظر للشخص المحافظ كأحمق « مودة قديمة » فإن أفكار الشخص هى ملك له ويجب أن نحترمه . ان الاحتقار يظهر أننا غير مسيحيين .

وقبل أن نترك هذا العدد نذكر أننا يمكن أن نترجمه ترجمة أخرى ، هى : « رحبوا بالشخص الضعيف فى الإيمان ، ولا تدخلوا معه فوراً فى مجادلة تثير فى نفسه الشكوك » . فبعض الناس يملكون إيماناً قوياً لا تزعزعه الأسئلة والمجادلات وبعضهم يحب التفكير فى الأمور الصعبة .. ولكن إيمان البعض الآخر بسيط تقلقه الإستفهامات . وربما كنا نحب الجدل للجدل نفسه ، ولكن يجب أن نذكر أن المسيحية ليست مجادلات . حسناً قال رجل حكيم : « لقد وجدنا كل الأسئلة التى يمكن أن تثار ، وآن الأوان لأن نبحث عن الحلول والأجوبة » وقال جوته : « خبرنى عن الأشياء التى أنت متأكد منها ، فإن عندى من الشكوك ما يكفينى » . وهناك قاعدة هامة فى المناقشات ، هى أنها يجب أن تؤدى إلى إجابات ، مهما كان موضوع النقاش محيراً ، ومهما ظهرت الأسئلة كأنها بلا نتيجة . ففى مناقشاتنا الكنسية دعونا نحاول أن نجد الأجوبة . صحيح أن بعض الأسئلة ستبقى بدون إجابة ، لكن على الأقل لنخرج ونحن متأكدين من بعض الحقائق الثابتة .

التسامح مع وجه نظر الآخرين

(رومية ١٤ : ٢ ـــ ٤)

يوضح بولس هنا المشكلة التى يعالجها ، فقد راعى بعض أهل روما قوانين خاصة عن المأكولات ، فقد امتنع البعض عن أكل اللحوم واكتفوا بأكل البقول وقد كانت بعض ديانات العالم القديم تراعى قوانين مشددة فى الأطعمة . وفى « اللاويين » قائمة بالمخلوقات التى يجب ألا تؤكل ، وكان « الأسينيون » أكثر طوائف اليهود تشدداً ، وكانت لهم إجراءات خاصة لوجبة طعام يأكلونها معاً يستحمون قبلها ويلبسون ملابس خاصة . وكان الكهنة يجهزون الطعام لهذه الوجبة الخاصة . أما فى العالم الوثنى فإن أتباع فيثاغورس كانوا يتبعون قوانين طعام خاصة ، وقد علم فيثاغورس أن أرواح الناس هى آلهة سقطت وسجنت فى أجساد البشر التى تشبه المقابر . وكان يؤمن بتناسخ الأرواح ، إذ أن روح الإنسان تعود لتسكن فى إنسان آخر أو فى حيوان أو فى نبات ، وهكذا فى حلقة ، لا تنكسر إلا إذا عاش الإنسان حياة الطهارة والنظام ، الذى يقتضى السكوت والدرس وفحص الذات والامتناع عن اللحوم ، ويمكن أن نقول إنه فى كل جماعة مسيحية كان يوجد أشخاص

سبق لهم اعتناق مثل هذه الأفكار قبل أن يؤمنوا بالمسيح .

وقد وجد بالكنيسة الأولى فريقان ، الفريق الضيق الفكر ، والفريق المتحرر ويرى بولس الخطر المحدق بهما ، فإن الفريق المتحرر معرض لاحتقار الفريق المحافظ كما أن الفريق المحافظ سينتقد الفريق المتحرر ويدينه . ولا زلنا حتى اليوم نرى هذه الفرق فى كنيستنا .

ويضع بولس قاعدة عظيمة لمواجهة هذه المشكلة ، فيقول إنه ليس من حق أحد أن ينتقد عبد سيد آخر ، فإن العبد يعطى حساباً لسيده فقط . ولما كان كل الناس عبيداً للرب ، فإن انتقادهم واكتشاف أخطائهم ليس من شأننا ، لأن هذا من حق الله فقط . وليس من حقنا أن نحكم على أحد أنه قائم أو ساقط ، فإن الدينونة هى لله وحده . ويقول بولس إن كل من يسلك بإخلاص سيجد الله بجواره يقيمه ويثبته .

ولا زلنا اليوم نرى الفريق المحافظ المتمسك بالتقاليد ، كما نرى الفريق المتحرر المتسع الفكر . والمحافظون ينتقدون متسعى الفكر ، ويريدونهم أن يتصرفوا بالطريقة التى يرونها هم أنها صحيحة .. ولكن ليس من حقنا أن ندين الآخرين . قال كرمويل للاسكتلنديين المحافظين : « أرجوكم فى رأفة المسيح أن تظنوا أنكم يمكن أن تكونوا مخطئين » .

يجب أن نزيل كل كراهية واحتقار من الكنيسة ، ولنترك إدانة الآخرين للرب وحده ، ولنكن متفهمين للآخرين متعاطفين مع إخلاصهم .

طرق مختلفه لذات الهدف

(رومية ١٤ : ٥ و ٦)

يقدم بولس هنا نقطة أخرى يختلف فيها المحافظون مع المتحررين ، فقد كان المحافظون يهتمون للغاية بمراعاة بعض الأيام الدينية ، ولابد أن أصل هؤلاء كان يهودياً . وقد كتب بولس عن هذه الفكرة فى رسائل أخرى ، فقد كتب إلى الغلاطيين : « أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين ؟ أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً ! » (٤ : ١٠ و ١١). وكتب إلى الكولوسيين : « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب ، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت ، التى هى ظل الأمور العتيدة ، وأما الجسد فللمسيح » (٢ : ١٦ و ١٧) لقد جعل اليهود من السبت عذاباً ، وأحاطوه بقوانين قاسية مستحيلة . ولم يكن بولس يريد أن يبطل يوم الرب .. أبداً . ولكنه كان يخشى من تسرب الأفكار اليهودية إلى العقيدة المسيحية ، فإن المسيحية أكثر من مجرد حفظ يوم خاص . عندما كانت المرسلة الشهيرة مارى سليسور فى الغابات مدة ثلاث سنوات متتالية لم تكن تعرف الأيام ، وقد وجدوها مرة تقيم العبادة يوم الإثنين ، ووجدوها مرة تصلح كوخها يوم الأحد ، فقد اختلطت الأيام فى فكرها ، ولا نظن أحداً يقدر أن يقول إن عبادة مارى سليسور

يوم الإثنين كانت مرفوضة ، أو أنها كسرت يوم الرب لأنها أصلحت كوخها فى يوم الأحد . لم ينكر بولس أن يوم الرب يوم هام يجب أن يخصص للعبادة ، ولكنه كان لا يريد لهذا اليوم أن يكون عبودية لنا ، فإننا لا نعبد اليوم ، بل الرب الذى هو رب كل يوم !

وبالرغم من هذا يطالب بولس بالمحبة والتعاطف بين أصحاب مدرستى الفكر المحافظة والمتحررة ، وهو يقول إنه مهما اختلف تفكيرهما فإن هدفهما واحد ، فكلاهما يريد أن يهتم بالرب وأن يخدمه . وعندما يجلس ليأكل اللحم والآخر ليأكل البقول ، فإنهما كليهما يرفعان صلاة الشكر للرب من أجل الطعام . هناك طرق مختلفة للسفر من القاهرة إلى الاسكندرية ، ولست مجبراً على استعمال طريق واحد منهما . وعندما يسافر شخصان منا على طريقين مختلفين فإنهما سيصلان إلى الوجهة الواحدة . ويقول بولس إن الهدف الواحد يجب أن يوحدنا ، وأن الممارسات المختلفة لا يجب أن تفرقنا !

وينبر بولس على فكرة أخرى : يجب أن يكون الإنسان منا متأكداً أنه يسير فى الطريق الصائب « فليتيقن كل واحد فى عقله » . لا نتبع الجماعة ، ولا نتبع التقليد ، لكن نتبع الاقتناع . لا يجب أن نفعل ما يفعله كل الناس ، لكى لنفعل ما هو صواب ، بعد أن نكون قد فكرنا وتأملنا وصلينا ووصلنا إلى أن هذا هو الصواب !

ولا يمكن لإنسان أن يفرض وجهة نظره على الناس ، فإن هذه بالأسف إحدى لعنات الكنيسة ، إذ يظن الإنسان أن أفكاره وعقيدته وطريقته فى العبادة وممارساته الدينية هى وحدها الصحيحة ، وأن كل ما عداه خطأ ! حسنا قال أحد الحكماء : « كل ما تجده يدك لتفعله ، فافعله بكل قوتك . لكن لا تنس أن شخصاً آخر يختلف معك فى التفكير » . إن من واجبنا أن نعرف الصواب ، ولكن ليس من الصحيح أن نفرض هذا « الصواب » على الآخرين ، فإذا اختلفوا معنا حكمنا عليهم أنهم خطاة مرفوضون !

إستحالة العزلة

(رومية ١٤ : ٧ — ٩)

يقول بولس هنا إن أحداً منا لا يقدر أن يعيش لنفسه منعزلا عن الآخرين ، فإنه مرتبط بالله ومرتبط بالناس ، ولا يستطيع أحد أن يعزل نفسه عن الله أو عن الناس !

ولا يستطيع أحد أن يعزل نفسه عن الناس ، فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

١ — إنه لا يقدر أن يعزل نفسه عن **الماضى** ، فهو لم يصنع نفسه ، كما قال عولص : « أنا جزء من كل ما قابلت » . فالإنسان منا مديون للتقاليد والتراث والوراثة التى جاءته من الجدود . صحيح أن الإنسان يمكن أن يفعل شيئاً بماضيه ، لكن صحيح أيضاً أنه لا يبدأ من الصفر ! إنه يأخذ معه ما جاءه من الماضى ، وسحابة شهود الماضى تحيا معه ، وهو لا يستطيع أن يعزل نفسه عن أصله ، أو عن نقرة الجب التى منها حفر ! (إشعياء ٥١ : ١) .

٢ ـــ وهو لا يقدر أن يعزل نفسه عن **الحاضر** ، فإن الحضارة التى تحيا فيها تربطنا معاً ، ولا شىء يفعله الإنسان يؤثر فيه وحده ، فهو قادر بسلوكه أن يسعد غيره أو يشقيهم ، كما أنه قادر بسلوكه أن يجعل الآخرين أردياء أو صالحين ، فلكل واحد منا تأثير على الآخرين ، بالصالح أو بالردىء ، ولكل عمل نعمله نتائج تؤثر على المحيطين بنا . إن الإنسان موجود فى « حزمة حياة » لا يقدر أن يهرب منها .

٣ ـــ وهو لا يقدر أن يعزل نفسه **عن المستقبل** ، فكما يستلم حياته يسلمها لغيره ، فيسلم أطفاله ما ورثه مادياً وروحيا . ليس الإنسان دائرة قائمة بذاتها ، لكنه حلقة فى سلسلة . يقال عن شاب مستهتر بدأ يدرس علم الأحياء أنه تطلع فى ميكروسكوبه إلى الخلايا التى تتوالد فى لحظات ، فترك ميكروسكوبه وقال : « الآن أرى أننى حلقة فى سلسلة ، فلن أكون حلقة ضعيفة ! » . هذه مسئوليتنا العظيمة ، أن نترك للمستقبل شيئاً صالحاً عالمين أن الخطية لا تؤثر فى مرتكبها وحده ، ولكنها تنشىء سلسلة تأثيرات لا تتوقف !

ولا يستطيع إنسان أن يعزل نفسه عن المسيح .

١ ـــ لأن المسيح حى موجود معنا فى كل لحظة ، وهو يرى كل ما نعمل ، وكل حياتنا تحت بصره ، ولن يقدر إنسان أن يهرب من المسيح الحى المقام والذى يحيا هنا والآن ! لا مكان يخفينا عنه ، ولا عمل يخفى عنه !

٢ ـــ ولا الموت يعزلنا عن المسيح ! إننا فى هذا العالم نعيش فى محضر المسيح غير المنظور ، ولكننا فى العالم الآتى سنراه فى بهائه ومحضره الكامل . لن يكون الموت نهاية ، لكنه البوابة التى تقود للمسيح .

لا يستطيع إنسان أن يحيا منعزلا . فإنه مرتبط بالناس وبالمسيح بربط لا يحطمها الزمن ولا الأبدية ! وعلى هذا فلا يستطيع أحد منا أن يعيش لذاته أو أن يموت لذاته !

الناس أمام القضاء

(رومية ١٤ : ١٠ ـــ ١٢)

هناك سبب أساسى يمنعنا من إدانة الآخرين ، وهو أننا جميعاً سنعطى حساباً عن أنفسنا لله ، فلسنا قضاة ، لكننا تحت حكم القضاء . وبرهاناً لهذه الفكرة يقتبس بولس كلمات إشعياء ٤٥ : ٢٣ . وكان معلمو اليهود يقولون : « لا تظن ان القبر ملجأ يحميك . ولذلك يجب أن تحيا فى كمال حتى تقدر أن تعطى حساباً عن الصالح الذى فعلته لملك الملوك ، القدوس الوحيد ، تبارك اسمه » . الله وحده له حق القضاء ، وليس للإنسان الذى يقف أمام عرش قضاء الله أن يقضى على الآخرين الواقفين معه أمام القاضى الأعظم !

تحدث بولس فى الآيات ٧ ــ ٩ عن استحالة العزلة ، لكنه هنا يذكر حالة واحدة يقف فيها الإنسان وحيداً : عندما يقف أمام عرش الله الديان . وفى أيام بولس كان القضاء الرومانى فى أوج عظمته ، ففى ركن من ساحة المدينة كانت مبانى المحكمة تعلو ، يجلس فيها القضاة وكانت العدالة الرومانية تقضى بوجود أكثر من كرسى قضاء . وكان الرومانى يعرف معنى « كرسى القضاء » . ويقول بولس إن كل واحد منا سيقف أمام كرسى المسيح ليواجه القاضى بمفرده . ربما استطاع الإنسان فى هذا العالم أن يدَّعى لنفسه حسنات إنسان آخر ، وربما أفلت شاب من العقاب بسبب مكانة والده ، وكم عفا أب عن ابنه من أجل رجاء زوجته . ولكن كل إنسان سيقف وحيداً أمام كرسى الله ! عندما يموت إنسان ويحضرون جثمانه للصلاة فى الكنيسة ، يجتمع الأهل والأصحاب ، ويضعون على صندوق الميت الأوسمة التى نالها فى حياته ، ولكن الميت لا يقدر أن يأخذها معه !! دخلنا إلى هذا العالم عرايا ، وسنخرج منه عرايا ! وسنقف أمام الله فى وحدة ولا نأخذ معنا إلا نفوسنا والشخصية التى بنيناها فى عالمنا .

لكن ليست هذه هى الحقيقة كلها ، قد نقف وحدنا أمام كرسى الله ، لأننا نقف مع المسيح ، ولن يجردونا من كل شىء ، فسيبقى لنا بره واستحقاقاته . وقد قال أحد الكتّاب المعاصرين : « إن الله أكثر رحمة مما نظن ، فإذا لم يقدر أن يقول لنا « نعماً أيها العبد الصالح والأمين » فإنه سيقول « حسناً أيها العبد الردىء الخائن ، أنا لا أكرهك ! » كانت هذه طريقة ذلك الكاتب فى التعبير عن إيمانه ، والحقيقة أن الله لا يكرهنا ، لكنه يحبنا مهما كنا خطاة ، من أجل المسيح فادينا . إننا سنقف أمام كرسى الديان وحيدين ، ولكن إن عشنا فى المسيح فسنقف معه فى موتنا وأمام الله ، وسنجد أنه شفيعنا !

الإنسان وضمير الجيران

(رومية ١٤ : ١٣ ــ ١٦)

كان الرواقيون يقولون عن أشياء كثيرة إنها « حيادية » ، لا رديئة ولا صالحة ولكن الأمر يتوقف على الطريقة التى تتناول بها هذه الأشياء . فمثلا ربما كان الرسم بالنسبة لتلميذ الفن عملا فنياً ، لكن شخصاً آخر يرى فيه فساداً وشراً .. وقد تكون مناقشة ما فى نظر البعض بناءة ومفيدة ، ولكنها لآخر قد تكون هرطقة وإنحرافاً .. وهكذا الحال بالنسبة للنشاطات والتسليات والمسرات ، يراها واحد مفيدة ، ويراها الآخر مفسدة . ولكن الشىء فى ذاته ليس طاهراً ولا نجساً ، إنما طهارته أو نجاسته متوقفتان على الطريقة التى يتناولها الناس بها .

ويقول بولس إن الشخص القوى فى الإيمان قد لا يرى ضرراً فى شىء ما ، لكن شخصاً ضعيفاً قد يرى فيه الشر كله ، ويثور ضميره عليه لو أنه فعله . ولنعط مثلا : قد يرى إنسان أن لعبة رياضية خارج البيت يوم الأحد لا ضرر منها ، ولكن ضمير غيره قد يصطدم بهذه الفكرة ، فإذا أجبرته على أن يلعب لتعذب ضميره ، لأنه غير مستريح لهذا العمل . وهناك أشياء كثيرة يراها المؤمن

المتحرر صالحة ومفيدة ، لكن المحافظ يراها ضارة وخاطئة ، فإذا اشترك المحافظ فى شيء من هذه يتعب ضميره ، لأنه يعتقد أنه يفعل الخطأ .

ونصيحة بولس واضحة هنا . **من واجب المسيحى أن يفكر فى كل شيء ، لا فى تأثيره على نفسه فقط ، بل فى تأثيره على الآخرين أيضاً** . إنه لا يقول إن آراءنا يجب أت تتأثر بآراء الآخرين ، فإن آراءنا ومبادئنا ملك لنا ، ويجب أن نأخذ فيها قراراتنا بأنفسنا ، لكنه يتحدث عن الأشياء « الحيادية » التى ليست فى ذاتها رديئة أو صالحة ، وليست جزءاً من أساسيات الحياة المسيحية ، والتى تعتبر هامشية فى الحياة . ويقول بولس إننا لا يجب أن نضايق الآخرين بتصرفنا فى مثل هذه الأشياء ، ولا يجب أن نزعج ضمائرنا من جهتها ، كما لا نزعج ضمير الآخرين ، فإن قانون المحبة هو الذى يسود الحياة ، وعندما يسودنا قانون المحبة لا نعود نفكر فى حقوقنا وامتيازاتنا ، ولكن فى مسئولياتنا وواجباتنا . لا يجب أن نزعج ضمائر الآخرين فى الأمور التافهة ، ولا يجب أن نجعل الحرية التى لنا فى المسيح فرصة لنجرح مشاعر الآخرين ، فلا متعة تستحق أن نحزن الآخرين بسببها أو نحطمهم . كان القديس أغسطينوس يقول إن تلخيص كل الوصايا هو : « أحب الله وافعل ما تريد » . هذا صحيح ، لكن المسيحية ليست محبة الله فقط بل محبة المحيطين بنا أيضا .

خطورة الحرية المسيحية

(رومية ١٤ : ١٧ – ٢٠)

يتحدث بولس هنا عن خطورة سوء استعمال الحرية المسيحية ، فقد رأى اليهودى فى الحرية المسيحية أخطاراً ، لأن حياته كلها كانت محكومة بأوامر ونواه ومحظورات ، فهذه أطعمة جائزة ، وتلك طيور نجسة . ولكن المسيحية قضت على كل هذه النواهى بخبطة واحدة ، فبقيت خطورة الظن أن المسيحية تعنى أن يفعل الإنسان كل ما يشتهى ، ولذلك يذكر بولس أن الحرية المسيحية والمحبة المسيحية متلازمتان ، والمسيحى الحقيقى هو المتحرر المحب المتعاطف مع غيره .

ويذكر بولس أن المسيحية هى ملكوت الله ، وهى ليست أن يأكل الإنسان ويشرب ما يحب ، لكنها تحوى ثلاثة عناصر فيها تفكير فى الآخرين . إنها **بر** ومعناه إعطاء الله والناس حقوقهم . والحق الأول للناس علينا هو التفهم والتعاطف ، فبمجرد أن نعرف المسيح نهتم بمشاعر الآخرين أكثر من مشاعرنا ، لأن المسيحية تعلمنا أن نضع الآخرين أولا ونفوسنا أخيراً . ولا يمكن أن نصالح بين إعطاء الناس حقوقهم وبين أن نتصرف كما نشتهى ! وهى **سلام** وهو فى العهد الجديد لا يعنى غياب المتاعب فقط ، فهذا المعنى سلبى ، لكن السلام بمعناه الإيجابى يشمل كل ما هو لخير الإنسان . وقد رأى اليهود ، فى السلام العلاقة السليمة بين الناس وبعضهم . فإذا قلنا إن الحرية المسيحية تعنى أن نفعل ما نشاء فإننا لا نجد السلام ولن نكون فى ملكوت الله ! ذلك أن الحرية المسيحية مشروطة بأن نكون فى علاقة سليمة بالآخرين . وهى **فرح** وهو فى المسيحية ليس أنانية لأنه لا يعنى أن نكون نحن فقط سعداء ، بل يعنى إسعاد الآخرين ، فإن كانت سعادتى تحزن الآخرين فهى ليست

سعادة المسيح . إن الهدف النهائى للسعادة هو إدخال الفرح والأمل إلى قلوب الآخرين . والفرح شيء متبادل ، نعطيه فنأخذه . ليست الحرية المسيحية إذاً دوساً على مشاعر الآخرين ، لكنها إسعاد للآخرين مهما كلفنا الأمر !

وعندما يكون الإنسان فى البر والسلام والفرح فإنه يصبح عبداً للمسيح . والحرية المسيحية لا تعنى أن نفعل ما نريد ، بل أن نفعل ما يريد يسوع ، فبدون المسيح يكون الإنسان عبد عاداته وشهواته ، وهو لا يفعل ما يحب ، بل يفعل ما يتسلط عليه . ولكن عندما يسيطر المسيح على الحياة يحررها بالحقيقة ، فلا يعود صاحبها يفعل ما يرضى ملذاته ومزاجه وذاته ، بل يفعل ما يظهر محبة يسوع للآخرين .

ويقدم لنا بولس الهدف النهائى للشركة المسيحية : (أ) إنه هدف **السلام** « فلنعكف إذاً على ما هو للسلام » فكل أعضاء العائلة المسيحية يعيشون فى أحسن علاقة . والكنيسة التى تحوى المعارك والمرارة والانقسامات لا تستحق أن تدعى كنيسة ، وهى ليست جزءاً من ملكوت الله ، لكنها مجتمع إنسانى وحسب .

(ب) إنه هدف **البناء** « فلنعكف على ما هو للبنيان ، بعضا لبعض » وفكرة الكنيسة كبناء موجودة فى كل العهد الجديد . فالأعضاء مثل الأحجار الحية فى البناء ، وكل ما يخلخل البناء هو ضد الله ، وكل ما يثبت البناء ويقويه فهو من الله . ولكن من المؤسف أنه فى كل المرات التى تزلزل فيها بناء الكنيسة كان السبب شيئاً تافهاً ، كأفكار الناموس ، والبحث عن المركز الأول . وسيشرق فجر جديد على الكنيسة لو أن كل واحد منا فتش عن واجباته قبل حقوقه ، ولو أنه عرف أنه لا يجب أن يسيء استعمال حريته المسيحية بأن يجرح غيره ويؤذى ضميره . يجب أن تكون الكنيسة جماعة متحابة ، يعتبر فيها كل واحد إخوته ويراعى شعورهم .

احترام الأخ الضعيف

(رومية ١٤ : ٢١ — ٢٣)

ها نحن نعود مرة أخرى لنقول إن ما يكون نافعاً لشخص قد يحطم شخصاً آخر . ويقدم بولس هنا نصائح عملية :

١ — نصيحة للقوى فى الإيمان الذى يعرف أن الأكل والشرب غير مهمين ، والذى فهم معنى الحرية المسيحية : ليجعل هذه الحرية بينه وبين الله . لقد وصل إلى مرحلة متقدمة من الإيمان ، والله يعلم ذلك ، فلا داعى لأن يلوح بحريته فى وجه من لم يصل إليها . وكم من شخص أصر على حقوقه فى الحرية ، ولكن الأسف ملأ حياته بعد ما رأى نتيجة إصراره وأنانيته . فقد يظن واحد أن حريته فى المسيح تعطيه الفرصة لشرب الخمر ، وربما كان شرب الخمر عنده متعة لا تجره إلى الخطر . ولكن شاباً معجباً به ، كان يتخذه مثلا أعلى ، يراه يشرب الخمر . فيفعل مثله ، ولكنه

لا يقدر أن يضع لنفسه حدوداً ، فيجرف إلى التهلكة . فهل يستخدم الشخص الناضج حريته ليؤذى شاباً حديثاً ؟ أو هل يضبط حريته لأجل خير الآخرين الذين يتخذونه قدوة ؟ إن المسيحية تعلمنا ضبط النفس الواعى لخير الآخرين . وإن لم يضبط المسيحى نفسه فسيجد له ضحايا أكثر مما توقع ! لنضبط نفوسنا حتى لا يكون استمتاعنا هلاكاً للآخرين ، ولنفحص كل شيء لا من جهة تأثيره علينا فقط ، بل من جهة تأثيره على غيرنا أيضاً ، لأن كل مؤمن حارس لأخيه ، ومسئول عن نفسه وعن كل من يتعاملون معه . قال شاب عن شيخ : « كانت صداقته أذى بالغاً لى » فليحفظنا الله حتى لا يقول أحد إن استعمالنا للحرية قد أساء إليه ! .

٢ ــ وهناك نصيحة لضعيف الإيمان ، صاحب الضمير الذى يتعثر بسرعة . ربما يكون ضعفه أنه يفعل ما يفعله الآخرون ، أو أنه ينضم إلى الأغلبية لأنه لا يريد أن يكون وسط أقلية وقد لا يرغب أن يكون مختلفاً عن أغلبية جماعته ، وقد لا يرغب فى إضاعة مركزه كمحافظ مدقق . وبولس يقول : إن كان أحد يفعل أمراً لسبب من هذه الأسباب ، فهو يرتكب خطية . فإذا عرف إنسان فى قلبه أن شيئاً ما خطأ ، ولم يستطع أن يتخلص من الإحساس بالذنب من جهته ، فإن ارتكابه هذا العمل يكون له خطية . ربما كان الشيء « الحيادى » (الذى ليس خطأً وليس صواباً) صحيحاً لو أن الذى فعله فعله بإيمان ، عن اقتناع أنه صواب ، لأن الدافع على عمل شيء يجب أن يكون الاقتناع بصحته وصوابه لكن إن كنا نعمل شيئاً لنربح رضى الناس ومدحهم ، أو لأن كل الناس يفعلونه ، فإننا نكون مخطئين . لسنا حراس ضمائر إخوتنا ، وعلى كل واحد منا أن يقرر لنفسه ، حسب اقتناع ضميره ما هو الخطأ وما هو الصواب .

الاصحاح الخامس عشر

علامات الشركة

(رومية ١٥ : ١ — ٦)

يوالى بولس فى هذه الفقرة حديثه عن واجبات المؤمنين من نحو بعضهم بعضاً ، وينبر على مسئولية المؤمن القوى نحو أخيه المؤمن الضعيف . وتقدم لنا هذه الفقرة علامات ومميزات الشركة الروحية :

١ — يجب أن تتميز الشركة المسيحية **باعتبار كل واحد للآخر** « يرضى قريبه للخير » ، فلا يفكر الواحد فى نفسه ، بل فى إخوته . على أن هذا الاعتبار لا يجب أن يكون عاطفياً ، بل يجب أن يعمل على خير الآخرين وبنائهم فى الإيمان . ليس المؤمن كسولا فيتهاون مع إخوته ، لكنه عامل بالمحبة ، يحيط إخوته بجو من الاعتبار ، لا بسيل مع الانتقادات .

٢ — يجب أن تتميز **بدرس الكلمة المقدسة** ليجد المؤمن فيها تشجيعاً . وتقدم لنا كلمة الله التشجيع بطريقتين : (أ) إنها تقدم لنا سجلا لمعاملات الله مع شعبه يظهر أن الأفضل لنا أن نعمل الخير مع الله ونتألم . من أن نفعل الشر مع الناس لنتفادى المتاعب . ذلك أن النجاح النهائى دوماً هو الخير والصلاح ، وأن الهزيمة النهائية هى للشر . وكلمة الله ترينا أن طريق الله ليس سهلا ، ولكنه الطريق الوحيد الذى يجعل حياتنا ذات قيمة فى الحاضر وفى المستقبل !

(ب) وكلمة الله تقدم لنا المواعيد الثمينة . يقال عن ألكسندر هوايت إنه عندما كان يزور عائلة كان يردد لهم آية كتابية قبل خروجه ويقول : « ضع هذه تحت لسانك كقطعة الحلوى » . إن هذه مواعيد الله الذى لا يكسر كلامه ، وفيها القوة لنا لنواجه متاعب الحياة ، فنتعزى فى الأحزان ونتشجع فى الجهاد .

٣ — يجب أن تتميز **بالصبر** ، الذى هو أبعد من الاحتمال ، لأن معناه « القوة التى لا تتقبل الأمور فحسب ، بل تحولها إلى مجد » . الصبر هو الكفاءة المنتصرة التى تتحمل ما تجىء به الحياة .

٤ — يجب أن تتميز **بالرجاء** . والمسيحى واقعى وليس خيالياً ، ولذلك فهو متفائل ، لا تفاؤل الرجاء المبتسر الذى لا يرى صعوبات الحياة ، بل تفاؤل الثقة فى الله المسيطر على مصائر الأمور . رسم « واتس » الرجاء سيدة تعزف على وتر واحد تبقى فى كانها . إن الرجاء المسيحى يرى كل شىء ويحتمل كل شىء بدون يأس ، لأنه رجاء الإيمان بالله . إنه ليس رجاء فى الصلاح الإنسانى أو الإحتمال الإنسانى أو المنجزات الإنسانية ، لكنه الرجاء فى قوة الله .

٥ — يجب أن تتميز الشركة المسيحية **بالوفاق** . مهما كانت الكنيسة مزخرفة ، وموسيقاها رائعة ، وعطاياها سخية ، دون أن تتمتع بالوفاق بين أعضائها ، فهى ليست كنيسة . لا نقول إنه ليس فيها اختلاف فى الرأى ، أو ليس فيها مجادلات ولكن نقول إن أعضائها قد حلوا مشكلات

« الحياة معاً » لأنهم يثقون أن المسيح الذى يوحدهم أعظم من كل الاختلافات التى يمكن أن تقسمهم .

٦ — يجب أن تتميز بالتسبيح ، وأنك تستطيع أن تميز من نبرة صوت الشخص إن كان متذمراً شاكياً أو مسبحاً مبتهجاً . حسناً قال أبكتيتوس : « ماذا أستطيع أن أفعل أنا الرجل العجوز الأعرج إلا أن أسبح الله ؟ » . إن المسيحى يستمتع بالحياة لأنه يستمتع بالله ، وسيظل سر الفرج معه لأنه يعلم أن الله يعمل كل شىء لخيره .

٧ — وتتميز الشركة المسيحية بأنها **تأخذ نموذجها وقوتها ومثالها ووحيها من يسوع المسيح** الذى لم يرض نفسه . ويقتبس بولس مزمور ٦٩ : ١٠ . وعندما يقول بولس « أن نحتمل أضعاف الضعفاء » يستعمل نفس الكلمة التى قيلت عن حمل المسيح لصليبه . لقد اختار ملك المجد أن يخدم الآخرين لا أن يسعد نفسه ، فوضع بهذا النموذج الذى يجب أن يحتذيه كل واحد من أتباعه .

الكنيسة الشاملة

(رومية ١٥ : ٧ — ١٣)

يقدم بولس هنا هذا النداء الأخير فى هذه الرسالة لكل أعضاء الكنيسة ليكونوا واحداً ، ويدعو أقوياء وضعفاء الإيمان ليتحدوا ، ويعلن لليهود والأمم ضرورة إيجاد الشركة المسيحية داخل أسرة الكنيسة . وقد تكون هناك خلافات كثيرة لكن هناك مسيحاً واحداً ، وإخلاصنا له يربطنا معاً . لقد عمل المسيح لأجل اليهود والأمم معاً . لقد ولد يهودياً وخضع للناموس اليهودى ، وجاء إلى العالم كمواطن يهودى وقد عمل هذا كله ليحقق مواعيد الله لآباء الشعب اليهودى وحتى يجىء الخلاص لليهودى أولاً . ولكن مجيئه كان أيضاً لأجل الأمم . ولكى يبرهن بولس هذه الفكرة يقتبس أربع آيات من العهد القديم . وتختلف الكلمات التى يستعملها بولس عنها فى العهد القديم ، لأنه يقتبس من الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية ، وهذه الاقتباسات على التوالى هى من مزمور ١٨ : ٥٠ ، التثنية ٣٢ : ٤٣ ، مزمور ١١٧ : ١ ، إشعياء ١١ : ١٠ . وفى هذه الاقتباسات الأربعة يجد بولس نبوة بأن الأمم سيقبلون إلى الإيمان . ويعتقد بولس أنه مادام المسيح قد جاء للعالم ليخلص كل الناس فإن الكنيسة يجب أن ترحب بكل الناس ، مهما كانت الاختلافات بينهم . لقد جاء المسيح مخلصاً شاملاً ، فلتكن الكنيسة كنيسة شاملة .

ثم يوقع بولس نبرات لحن الإيمان المسيحى ، فتعالوا نراها تتتابع نبرة عذبة بعد الأخرى .

١ — هنا **الرجاء** : من السهل أن نفشل عندما نقابل الحياة بأحداثها المختلفة . ومن السهل أن نقبل الأوضاع اليائسة والهزائم الموجعة التى لا يستطيع البشر إصلاحها . حكى أحدهم عن اجتماع

كنيسة فى وقت كانت الكنيسة تواجه فيه مأزقا ، فافتتح الاجتماع بالصلاة ، وقال القائد : « ياربنا الأزلى القادر ، الذى تكفى نعمتك كل موقف .. » وأكمل صلاته بعبارات مشابهة . ثم بدأ الجانب الإدارى من الاجتماع ، وقدم القائد ــ الذى صلى ــ المشكلة قائلاً: « ياإخوتى ، إن حالة كنيستنا هى اليأس بعينه ، ولا نستطيع أن نفعل شيئاً » . وتعليقنا هو : إما أن القائد لم يقصد ما قاله فى صلاته ، أو أن وصفه لحال الكنيسة كان كاذباً ! لقد قيل إنه لا توجد حالة تدعو إلى اليأس ، لكن بعض الناس وصلوا إلى درجة اليأس من هذه الحالة ! فى أيام الحرب العالمية الثانية ، بعد استسلام فرنسا ، اجتمع مجلس الوزراء البريطانى ، فى أشد أيام الحرب يأساً ، ورسم تشرشل صورة للموقف المظلم ، وقال إن بريطانيا تقف وحدها . وصمت الجميع ، وارتسم اليأس على الوجوه ، ثم قال تشرشل: « أيها السادة ، إننى أرى هذه الحالة ملهمة ! » .

هناك شىء ما فى الرجاء المسيحى يقتل الأشباح المخيفة ، ويعلن لنا أن الله حى . لا يمكن أن يغزونا الفشل ونحن نرى نعمة المسيح وقوة الله .

٢ ــ هنا **الفرح** : وهناك فرق بين المسرات والفرح . فى الأيام القديمة أعلن الفلاسفة الكلبيون أن المسرات شر مستطير ، وقال غيرهم إنهم يفضلون الجنون على الفرح . وكان البرهان الذى يسوقونه على هذا هو أن السرور وقفة بين ألمين ، وقالوا إن الإنسان يشتاق إلى شىء ــ هذا هو الألم . ويحصل الإنسان على ما يشتاق إليه . وهذا هو السرور ، إلى لحظة ، يعقبها شوق إلى شىء آخر ــ وهذا هو الألم الجديد . وهكذا فإن السرور وقفة بين ألمين ! ولكن الفرح المسيحى لا يعتمد على أشياء من خارج الإنسان أو من الظروف ، بل هو فرح نابع من داخل الإنسان وإحساسه أن الله حى معه ، وأن لا شىء يقدر أن يفصله عن محبة الله .

٣ ــ هنا **السلام** : ظن القدماء أن السلام هو الحياة بدون مضايقات ، وكانوا يطلبون السكون والصفاء فى مواجهة أشواك الحياة وصدماتها . ويمكن أن نقول إن السكون والصفاء صفتان مفقودتان من العالم اليوم . وهناك شيئان يضيعانهما :

(أ) التوتر الداخلى ، فالناس يعيشون حياة مشدودة ، وكأن الإنسان فى حرب داخلية أهلية متحركة ، ونفسه هى أرض المعركة . ولا يمكن أن يجد الإنسان السكون والصفاء وسط الحرب الداخلية . والنجاة الوحيدة هنا هى تسليم النفس للمسيح ، وعندما يسود المسيح يزول التوتر .
(ب) وهناك القلق على أشياء مختلفة ، مثل الفرص التى تسنح لنا ، وتغيرات الحياة . يحكى هـ . ج ويلز أنه كان ذات مرة على سفينة فى ميناء نيويورك ، فى يوم زاد ضبابه ، وفجأة مرقت سفينة أخرى إلى جوارهم . لم تفصلنا عنهم سوى ياردة واحدة ! وفجأة واجه ويلز ما يدعوه « خطورة الحياة » . ومن الصعب ألا نقلق لأن الإنسان بطبعه يتطلع للأمام ويفترض ويخاف . وعلاج القلق الوحيد هو الاقتناع الكامل بأنه مهما حصل فإن الله لن يدع أولاده إلى الدموع دوماً . هناك أشياء تحدث معنا يصعب تفسيرها ، ولكن لو كنا واثقين فى محبة الله فإننا نقبل ما يجرح قلوبنا ويحير أفكارنا ، بكل سكون وصفاء !

٤ ــ هنا **القوة** : وهى حاجة الإنسان العظمى ، فنحن لا نجهل الذى يجب أن نفعله أو الأشياء

الممتازة ، ولكننا لا نفعلها . كيف نجد القوة التى تحول نوايانا ونياتنا إلى وقائع عملية ؟ عندما تنساب قوة الله فى ضعف الإنسان يستطيع أن يصبح سيداً لحياته . من أنفسنا نحن عاجزون ، ولكن مع الله كل شىء ممكن !

الكلمات تكشف الإنسان

(رومية ١٥ : ١٤ — ٢١)

تكشف هذه الفقرة لنا صفات بولس الرسول ، الشخصية ، فهو فى نهاية رسالته يهيىء أذهان أهل روما لزيارته التى يرجو أن يقوم بها لهم . وسندرس هذه الفقرة لنعرف أسرار بولس فى ربح الناس .

١ — يكشف بولس أنه لبق ، فلا توبيخ هنا ، ولا تذمر ولا كلام مثل ناظر المدرسة للتلاميذ . إنه يقول لهم إنه يذكرهم فقط بما يعرفونه ، وهو متأكد أنهم سيقدمون الخدمة لبعضهم البعض وللرب . ويهتم بولس عادة بما يقدر الإنسان أن يفعله أكثر من اهتمامه بما كان الإنسان عليه (أى أنه يهتم بالمستقبل لا بالماضى) . كان بولس يرى العيوب بوضوح ، وكان يعالجها بأمانة ، ولكنه كان دوماً يفكر فى الإنسان الرائع الذى سيكون ، لا الإنسان البائس الذى هو كائن ! يقال إن ميخائيل أنجلو رأى كتلة رخام مهملة بلا شكل ، فعزم أن يخرج منها الملاك السجين بداخلها ، وقد أخرج الملاك الذى رأته عيناه داخل الحجر . هكذا كان بولس : لا يريد تشريح الناس وتحطيمهم ، فلا ينتقدهم بالنقد الموجع ، بل يوجههم بالمحبة ليكونوا كما يمكن وكما يجب أن يكونوا .

٢ — كان فخر بولس الوحيد أنه خادم للمسيح . والكلمة « خادم » التى يستعملها هنا كانت تطلق على الشخص الذى يكلف بعمل ، أو الذى يتطوع ليقوم بعمل ، محبة فى بلاده ، وكانت هناك خمسة أعمال يقوم بها المواطنون الصالحون :

(أ) خدمة إمداد جوقة الغناء . عندما كان أخيل وسوفوكليس وايريبيدس يقدمون مسرحياتهم الخالدة ، كانوا يحتاجون إلى منشدين . وفى احتفالات مدينة ديونيسيا العظيمة كانوا يعرضون ثمانية عشر عملا مسرحياً جديداً . وكان « محبو الوطن » يتطوعون ليجمعوا ويعلموا ويكلفوا جوقة الغناء ، على نفقتهم الخاصة . (ب) خدمة حمل المشاعل . كان الأثينيون منقسمين على عشر قبائل ، وكانوا رياضيين ممتازين . وفى بعض الأعياد كان حملة المشاعل من إحدى القبائل يتسابقون مع حملة مشاعل القبائل الأخرى . وكان بعض « محبى الوطن » يختارون حملة المشاعل وينفقون على تدريبهم . (ج) الاحتفال بالوليمة ، فكانت بعض القبائل تجتمع معاً لتتناول وجبة طعام معاً وسط مظاهر الفرح . وكان « محبو الوطن » يدفعون تكاليف هذه الوجبة الجماعية ، (د) كانت مدينة أثينا ترسل سفارة إلى مدينة أخرى ، أو لتستشير كاهن مدينة دلفى أو دودونا ، وكان مركب السفارة يجهز بطريقة تحفظ للمدينة شرفها ، فكان « محبو الوطن » يدفعون تكاليف هذه السفارة . (هـ) كانت أثينا قوة بحرية عظيمة فى الزمان القديم ، وكان من الشرف العظيم للمواطن أن يتكفل بنفقات سفينة حربية لمدة سنة .

كانت هذه الخدمات الخمس تؤدى بسرور . ولكن بعد وقت ضعفت الروح الوطنية ، فكان الأغنياء يجبرون على أدائها . وتطور استعمال الكلمة فصارت تستعمل عن العبادة وخدمة الله ، ولكنها ظلت تحمل معنى العطاء الكريم . وكما كان الأثينى يضع ماله ونفسه على مذبح خدمته لمحبوبته « أثينا » معتبراً هذا أعظم الشرف ، هكذا وضع بولس كل ما عنده على مذبح خدمة المسيح ، فخوراً بأنه خادم له .

٣ ــ رأى بولس نفسه **آلة فى يد المسيح** . لم يتكلم عما فعله لخدمة المسيح ، بل عما فعله المسيح من أجله . لم يقل عن شيء : « لقد فعلت هذا » ولكنه قال : « يسوع استخدمني لأفعل هذا » . لقد تغيرت حياة مودى عندما ذهب إلى اجتماع وسمع واعظاً يقول : « لو أن إنساناً واحداً أعطى نفسه تماماً ، بدون شروط ، للروح القدس ، فما أعظم ما يقدر الروح القدس أن يعمل به ! » . فقال مودى لنفسه : « لماذا لا أكون أنا هذا الإنسان ؟ » والعالم كله يعرف ما عمل الروح القدس بمودى . عندما يكف الإنسان عن التفكير فى ما يمكن أن يفعله ، ويبدأ فى ما يقدر الروح القدس أن يعمله به ، عندئذ تبدأ النتائج العظيمة فى الظهور .

٤ ــ كان طموح بولس أن يكون رائداً . عندما تطوع لفنجستون ليكون مرسلا سألوه عن المكان الذى يرغب فى الذهاب إليه ، فأجاب : « إلى أى مكان ، على أن يكون الموقع متقدماً » . وعندما وصل إلى إفريقيا جذبه دخان ألف قرية كان يتصاعد فى الأفق ، من أماكن لم تسمع عن المسيح . كان بولس رائداً يريد أن يوصل الرسالة إلى الذين لم يسبق لهم أن سمعوها . ويقتبس من اشعياء ٥٢ : ١٥ ما يؤكد أنه سيحمل الرسالة إلى آفاق جديدة .

خطط الحاضر والمستقبل

(رومية ١٥ : ٢٢ ــ ٢٩)

يذكر بولس هنا خططه للحاضر وللمستقبل أيضاً :

١ ــ كان يريد أن يذهب إلى أسبانيا ، ولهذا سببان : أولهما أن أسبانيا فى أقصى غرب أوربا ، على حافة العالم المتحضر ، وبولس يريد أن يصل إلى أقصى العالم المعروف . ثم إنه يريد أن يوصل الخبر المفرح إلى كل مكان ممكن .

٢ ــ فى ذلك الوقت كانت أسبانيا تتمتع بوجود العبقرية ، وكان بعض عظماء رجال الإمبراطورية من الأسبان ، منهم لوكان شاعر الملاحم ، وماريان سيد من كتب الأبيغرام (قصيدة قصيرة مختتمة بفكرة بارعة أو ساخرة) ، وكونتليان أستاذ الخطابة ، وفوق الكل سنيكا الفيلسوف الرواقى العظيم ، الذى كان وصياً على الإمبراطور نيرون ثم رئيساً لوزرائه . وكأن بولس يقول لنفسه : إن زيارتى لأسبانيا ، لأجل المسيح ، ستنتج نتائج عظيمة !

٣ ــ كانت خطة بولس العاجلة أن يذهب لأورشليم لأداء خدمة عزيزة على قلبه . كان قد

خطط لجمع تبرعات من الكنائس الحديثة لمساعدة كنيسة أورشليم الفقيرة . وكانت هذه التبرعات لازمة ، لأن كل الأعمال المدرة للربح فى أورشليم كانت مرتبطة بالهيكل ولوازمه ، وكانت كلها تحت إشراف الكهنة والقادة والصدوقيين ، وهؤلاء كانوا أعداء المسيحية . وهذا يعنى أن الذى يعتنق المسيحية فى أورشليم يفقد وظيفته ، ويصبح محتاجاً . فكان لازماً أن تتبرع الكنائس المختلفة لمساعدة مسيحى أورشليم . ولكن كان هناك على الأقل ثلاثة أسباب تدفع بولس لحمل هذه التبرعات إلى كنيسة أورشليم (١) كان يرى فيها سداداً لدين وواجباً مسيحياً . فعندما أعلن الله له أنه يكون رسول الأمم وافقه قادة الكنيسة ، على شرط أن يذكر الفقراء (غلاطية ٢ : ١٠) وكان بولس راغباً فى الوفاء بالوعد وسداد الدين . وها قد جاءت الفرصة لسداد جزء من دينه .

(ب) كان يرى فيها أمثولة للوحدة الكنسية ، فليست الكنائس الجديدة وحدات متناثرة منعزلة ، لكنها جزء من الكنيسة الواحدة المتحدة فى العالم كله . ومن بركات مثل هذا العطاء أن نشعر أننا لسنا أعضاء كنيسة محلية محدودة ، لكن من كنيسة عامة منتشرة فى كل العالم . (ج) كانت هذه الطريقة للتعبير العملى عن المحبة المسيحية . من السهل أن نتكلم عن الكرم المسيحى وأن نعظ عنه ، ولكن العطاء فرصة لتحويل الكلمات المسيحية إلى أعمال مسيحية .

لما كان بولس فى طريقه إلى أورشليم كان يخطط لرحلة أسبانيا ، ونحن نعلم أن بولس لم يصل إلى أسبانيا ، فعندما وصل إلى أورشليم واجهته المتاعب التى قادت إلى سجنه الطويل ثم موته . يبدو أن هذه كانت واحدة من خطط الرائد العظيم التى لم تتبلور إلى واقع !

بعين مفتوحة للخطر !

(رومية ١٥ : ٣٠ ــ ٣٣)

قلنا فى تعليقنا فى ختام الفقرة السابقة إن خطة بولس لزيارة أسبانيا لم تتحقق ، فإنه عندما ذهب إلى أورشليم ألقى القبض عليه وسجن مدة أربع سنوات ، سنتين فى قيصرية وسنتين فى روما . وهنا تتضح عظمة شخصية بولس :

١ ــ عندما ذهب بولس إلى أورشليم كان يعرف ما يفعله ، عالماً بالمخاطر التى تنتظره ، فإنه كان ذاهباً إلى عرين الأسد برجليه ، واضعاً نفسه فى يد القوة التى تكرهه ، ولكنه كان يفعل ما سبق سيده أن فعله ، عندما ثبت وجهه ليذهب إلى أورشليم (لوقا ٩ : ٥١) . إن قمة الشجاعة هى أن نعرف أن المخاطر تنتظرنا ولكننا نذهب لنلبى نداء الواجب . كانت هذه شجاعة المسيح ، وشجاعة بولس ، والتى يجب أن تكون شجاعة كل مسيحى يتبع المسيح .

٢ ــ لهذا طلب بولس صلوات أهل روما لأجله ، فما أجمل أن يمضى إنسان إلى المخاطر عالماً أنه محاط بدفء صلوات محبيه . ومهما فصلتنا المسافات عن محبينا ومهما كانت المخاطر التى تواجهنا ، فإننا وإياهم يمكن أن نلتقى حول عرش نعمة الله .

٣ — ويترك بولس البركة لأهل روما ، فقد كان قادراً على عمل هذا . ومهما كنا فقراء ، فإننا نقدر أن نرفع أصحابنا وأحباءنا فى الصلاة .

٤ — أرسل بولس إلى أهل روما بركات إله السلام ، وفى محضر الله ذهب بولس إلى أورشليم بسلام رغم المخاطر التى كانت تهدده . وكل من له سلام الله فى قلبه يقدر أن يواجه مخاطر الحياة بشجاعة لا تعرف الخوف !

الاصحاح السادس عشر

خطاب توصية

(رومية ١٦ : ١ و ٢)

عندما يطلب أحد الناس وظيفة يحصل على رسائل توصية من أصدقاء يعرفونه ويعرفون شخصيته ومقدراته . وعندما يسافر شخص إلى بلد غريب يأخذ رسائل توصية إلى أشخاص فى تلك البلد . وكانت رسائل التوصية معروفة فى العالم القديم ، وقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من هذه الرسائل مكتوبة على ورق البردى ، وجدت فى رمال صحارى مصر ، فهناك رسالة من زارع زيتون مصرى اسمه ميستاريون ، يرسل خادمه لعمل خاص إلى رئيس الكهنة المدعو ستوتويتس ويعطيه رسالة توصية ، يقول فيها : « من ميستاريون إلى صديقه ستوتويتس ، سلام كثير ، لقد أرسلت اليك بلاستس ليحضر لى عصا المذراة للعمل فى مزارع زيتونى ، رجاء عدم تأخيره لأنك تعرف مقدار حاجتى إليه الآن .. مرسل إلى ستوتويتس رئيس كهنة الجزيرة » . كانت هذه رسالة توصية ببلاستس ليؤدى عملا معيناً . وهكذا يوصى بولس بفيبى إلى كنيسة روما .

جاءت فيبى من كنخريا ميناء كورنثوس ، ويطلق عليها أحياناً لقب « شماسة » لكن من المشكوك فيه أنها احتلت وظيفة رسمية فى الكنيسة . غير أن عمل النساء كان هاماً فى الكنيسة فى كل عصورها ، خصوصاً فى أيام الكنيسة الأولى . ولابد أن النساء لعبن دوراً هاماً فى خدمة المعمودية بالتغطيس ، وزيارة المرضى ، وتوزيع الطعام على الفقراء ، غير أنهن لم يتبوأن وظائف رسمية .

ويطلب بولس من أهل روما أن يرحبوا بفيبى كما يجب أن يرحب أعضاء الكنائس ببعضهم ، فلا غرباء فى عائلة المسيح ، كما أنهم غير محتاجين إلى التعارف الرسمى لأنهم أبناء الأب الواحد ، فهم إخوة وأخوات . على أن الكنيسة لا تقدم دوماً الترحيب الذى يجب أن تقدمه ، فإن أعضاء الكنائس وسائر التنظيمات الكنسية تميل إلى التقوقع على نفسها والانغلاق على ذاتها ، فلا ترحب بالغرباء . إن بولس هنا يوصينا أنه عندما يجيء إلينا غريب فيجب أن يلقى عندنا كل ترحيب !

البيت الذى كان كنيسة

(رومية ١٦ : ٣ و ٤)

يعتبر أكيلا وزوجته بريسكلا أشهر زوجين فى العهد الجديد . ولندرس الحقائق الثابتة عنهما : أول ما نقرأ عنهما فى الأعمال ١٨ : ٢ ونعلم أنهما كانا من سكان روما ، ولكن الإمبراطور كلوديوس أصدر أمره عام ٥٢ م بطرد كل اليهود من روما . وقد كان اليهود مكروهين من العالم

القديم كما أنهم مكروهون اليوم ! وعندما طرد اليهود من روما استقرأكيلا وبريسكلا فى كورنثوس ، حيث اشتغلا فى صنع الخيام . ولما كان بولس صانع خيام فقد استقر عندهما فى كورنثوس . وعندما ترك بولس كورنثوس واستقر فى أفسس ذهب أكيلا وبريسكلا معه إليها (اعمال ١٨ : ١٨) . وقد جرت هناك حادثة تكشف عن شخصيتهما ، فقد جاء إلى أفسس عالم لامع اسمه أبولس ، لم يكن يعرف كل حقائق الإيمان المسيحى ، فأخذاه إلى بيتهما وعلماه حقائق الإيمان (أعمال ١٨ : ٢٤ — ٢٦) . من هذا نرى أن أكيلا وبريسكلا زوجته كانا صاحبى القلب والبيت المفتوحين .

وعندما كتب بولس رسالته الأولى إلى كورنثوس من أفسس كان أكيلا وبريسكلا لا يزالان فى أفسس ، فأهدى سلام الكنيسة التى فى بيتهما إلى أهل كورنثوس (١ كورنثوس ١٦ : ١٩) . كان هذا قبل بناء الكنائس ؛ فكان البيت مكان الاجتماع التعبدى . ثم نسمع بعد ذلك أنهما فى روما ، كما يتضح من هذه الرسالة ، ولابد أن أمر كلوديوس بخروج اليهود من روما لم يعد سارى المفعول ، فعاد أكيلا وبريسكلا مع يهود آخرين إلى روما ، إلى بيوتهم القديمة وعملهم القديم . وفى روما مارسا ما سبق لهم ممارسته ، فقد فتحا بيتهما للكنيسة . ثم نقرأ فى ٢ تيموثاوس ٤ : ١٩ أنهما عادا إلى أفسس ، ويرسل بولس إليهما سلاماً دافئاً ، فقد عملا معه كثيراً .

لقد عاش أكيلا وبريسكلا عيشة التنقل . كان أكيلا قد ولد فى بنتس فى آسيا الصغرى (أعمال ١٨ : ٢) وتزوج وعاش فى روما ، ثم كورنثوس ، ثم فى أفسس ، وعاد إلى روما ، وأخيراً استقر به المقام فى أفسس . ولكن حيثما سكنا جعلا بيتهما كنيسة ومركزاً للعبادة والشركة المسيحية . ويجب أن يكون كل بيت كنيسة ، مكاناً لسكنى المسيح . وقد شع من بيتهما نور الصداقة والشركة والود . وما أجمل أن يجد الغريب أصدقاء يأوى إلى بيوتهم ، حيث تزول وحدته ويجد الحماية من التجارب . ربما تفتكر أن البيت مكان يلجأ إليه الإنسان ليغلق الباب من خلفه ليستريح ، لكن البيت أيضاً مكان الضيافة والباب المفتوح ، وهى صفات البيت المسيحى .

هذا ما نعرفه بالتأكيد عن أكيلا وبريسكلا ، لكن ربما كانت هناك قصة خيالية عظيمة خلف هذا . فإلى هذا اليوم توجد كنيسة فى روما اسمها « كنيسة القديسة بريسكلا على الافنتين » ، كما كانت هناك مدفنة لبريسكلا ، وهى مدفنة الأسرة الرومانية القديمة المعروفة باسم « عائلة أكيلا » وهناك يرقد جثمان أكيليوس جلابريو الذى كان قنصلا رومانياً عام ٩١ م ، وهى من أعلى الوظائف الرومانية ، وأغلب الظن أن أكيليوس جلابريو مات كشهيد مسيحى ، ولعله من أوائل النبلاء الرومان الذين استشهدوا فى سبيل المسيح . ومن المعروف فى روما القديمة أنه عندما كان أحد الناس ينال حريته كان يطلق على نفسه اسم إحدى العائلات العظيمة فى البلد . وكان أحد الأسماء النسائية المشهورة فى عائلة اكيليوس اسم « بريسكلا » . وهنا نرى احتمالين :

١ — ربما نال أكيلا وزوجته بريسكلا حريتهما من سيد رومانى اشتراهما من عائلة أكيليوس — فهل يمكن أنهما زرعا بذور الإيمان المسيحى فى تلك العائلة حتى ربحا القنصل الرومانى ؟ وهل يمكن أن يكون هذان الزوجان العامل على وصول الإيمان إلى بيت رجل نبيل بعد أن ربحاه للمسيح ، فحذا أولاده حذوه ؟

٢ ـــ وربما كانت هناك قصة خيالية أخرى خلف هذين الاسمين ـــ فى أربعة مواضع من ستة مواضع ورد فيها اسم أكيلا وبريسكلا فى العهد الجديد يجىء اسم الزوجة أولا ، ولو أن العادة جرت أن يجىء اسم الزوج أولاً ـــ فهل يمكن أن بريسكلا كانت سيدة نبيلة تنحدر من العائلة الأكيلية المشهورة ، وأنها التقت فى إحدى الإجتماعات المسيحية بأكيلا اليهودى صانع الخيام فحطمت المسيحية فروق العنصر والعرق والغنى والبلاد ، فتزوجت الرومانية الارستقراطية من العامل اليهودى ، بعد أن ربطتهما المسيحية إلى الأبد برباط الحب المسيحى والخدمة المسيحية ؟

بالطبع لن نكون متأكدين من أى من هذين الاحتمالين ، ولكن الذى نحن فى تأكيد منه أن المئات فى كل من روما وكورنثوس وأفسس مدينون بحياتهم الروحية إلى هذين الزوجين اللذين جعلا من بيتهما كنيسة !

لكل اسم مدحه

(رومية ١٦ : ٥ ـــ ١١)

لاشك أنه خلف كل اسم من هذه توجد قصة حب عظيمة للمسيح ، ونحن لا نعرفها ، ولكننا نخمنها . فى هذا الأصحاح ورد اسم أربعة وعشرين شخصاً وهناك ملحوظتان عامتان :

١ ـــ من الأربعة والعشرين اسماً هناك ست نساء . وبولس متهم عادة أنه يحقر من شأن النساء . ولكن إن أردنا أن نرى مشاعر بولس من نحو النساء فلنتأمل مثل هذه الفقرة ، فإن سعادته بخدمتهن فى الكنيسة تلمع من خلال كلماته !

٢ ـــ ثلاثة عشر اسماً من الأسماء الأربعة والعشرين هى أسماء أشخاص متصلين بالقصر الإمبراطورى فى روما . وبعض الأسماء عادية ، لكنها توحى لنا بأشياء . فى فيلبى ٤ : ٢٢ يتحدث بولس عن القديسين الذين من بيت قيصر . ولربما كانوا عبيداً ، لكن الحقيقة الهامة هى أن المسيحية تغلغلت حتى فى القصر الإمبراطورى وفى العائلة الإمبراطورية .

أما اندرونكوس ويونياس فإسمان يلفتان النظر ، فيونياس اسم نسائى . إذاً فقد ورد ذكر النساء بين الرسل الذين أرسلتهم الكنيسة ليخبروا برسالة المسيح على نطاق واسع . ويقول بولس إنهما آمنا بالمسيح قبل أن يؤمن هو ، وهذا يعنى أنهما يرجعان فى إيمانهما إلى وقت إيمان استفانوس ، ولابد أنهما كانا متصلين بكنيسة أورشليم .

ولابد أن قصة طريفة تكمن خلف اسم أمبلياس ، فهو اسم مشهور للعبيد . ونجد فى مقبرة دوماتيلا ، أشهر مقابر المسيحيين الأولين ، قبراً مزيناً لأمبلياس ، عليه اسم صاحبه بالخط المزخرف . ولما كان المواطن الرومانى يكتب على قبره اسمه الثلاثى ، فإن أمبلياس كان عبداً (لأن اسمه فقط هو المكتوب) ، غير أن الخط المزخرف للاسم يعنى أن صاحبه كان ذا مكانة عظيمة فى الكنيسة ، وهذا يرينا أن الكنيسة لم تفرق بين سيد وعبد ، فقد يصير الشخص أحد أمراء الكنيسة بينما ينتسب

(حسب الجسد) إلى طائفة العبيد ، فقد أزالت الكنيسة الفروق الاجتماعية . ونحن لا نملك الدليل على أن أمبلياس حبيب بولس هو أمبلياس صاحب القبر ، فى مقبرة دوماتيلا ، لكن هذا محتمل !

أما «أهل ارستوبولوس » فإن خلف اسمهم قصة طريفة ، فإن «أهل » لم تكن تعنى أفراد الأسرة الصغيرة ، لكنها كانت تشتمل على العبيد والخدم . وقد عاش فى روما أحد أحفاد هيرودس ، واسمه أرستوبولوس . عاش وحيداً دون أن يرث لقب هيرودس أو أى شىء من أملاكه ، غير أنه كان صديقاً للإمبراطور كلوديوس . ولذلك فان ثروته وعبيده بعد موته أصبحوا ملكاً للامبراطور ، على أن يطلق عليهم « أهل ارستوبولوس » . وعلى هذا فان هذه العبارة يمكن أن تعنى « العبيد والخدم الذين كانوا لارستوبولوس » حفيد هيرودس ، والذين صاروا الآن من ممتلكات الإمبراطور . ولعل صحة هذا الاحتمال نابعة من أن هذا الاسم يتوسط اسمى أبلس وهيرودين ، وأبلس قد يكون الاسم اليونانى للاسم اليهودى « هابيل » كما أن هيروديون يحمل الارتباط بعائلة هيرودس .

أما « أهل نركيسوس » فقد تحمل قصة أخرى ، فنركيسوس اسم مشهور لأناس عديدين ، أشهرهم العبد الذى حرره كلوديوس وجعله سكرتيراً له ، فكان صاحب نفوذ على الإمبراطور ، ويقال إنه جمع ثروة تقدّر بأربعة ملايين جنيه إسترلينى . وكان مصدر سلطانه أن كل بريد الإمبراطور كان يمر عليه قبل عرضه على الإمبراطور ، ولم يكن يصل للإمبراطور إلا بموافقته ، وقد شكلت رشاوى الناس له هذه الثروة الضخمة . وعندما قتل كلوديوس وتولى نيرون العرش بقى تركيسوس وقتاً قليلا ، ثم اضطره نيرون إلى أن ينتحر ، وأخذ ثروته وعبيده . ولعل عبيد نركيسوس هم المذكورين هنا . فإن كان أرستوبولوس هو فعلا حفيد هيرودس ، ونركيسوس هو فعلا سكرتير كلوديوس ، فإن هذا يعنى أن عدداً كبيراً من العبيد فى القصر الإمبراطورى كانوا مسيحيين ، وتكون خميرة المسيحية قد وصلت إلى أعلى الدوائر فى بيت قيصر !

محبة مختفية

(رومية ١٦ : ١٢ — ١٦)

لاشك أنه توجد قصة خلف كل اسم من هذه الأسماء ، ولكننا نقدر أن نخمن ونبنى القصص عن بعضها فقط :

١ — عندما أرسل بولس تحياته إلى تريفينا وتريفوسا — وهما غالباً أختان توأمتان — أرسلها بابتسامة . تتضح من تركيب الجملة التى صاغ فيها سلامه . فقد استعمل بولس كلمة نترجمها « تعب » عن مريم (فى آية ٦) وعن تريفينا وتريفوسا وبرسيس ، فى هذه الفقرة . وهى كلمة تعنى العمل لدرجة الإرهاق .. أى أن يعطى الشخص العمل كل طاقته حتى يدركه التعب . هذا ما فعلته كل من تريفينا وتريفوسا التى يعنى اسماهما « اللذيذة » و « الرقيقة » . لقد علمتنا كل الجهد

حتى الإعياء لأجل المسيح والكنيسة . ونقدر أن نرى الابتسامة تلمع فى عينى بولس وهو يرسل تحياته إليهما .

٢ ـــ وهناك قصة محبة عظيمة خلف اسم روفس وأمه التى يقول بولس عنها إنها أمه . ولقد كان روفس معروفاً بالتقوى والشجاعة فى كنيسة روما ، وكان بولس يشعر بالدين الكبير الذى فى عنقه إلى روفس وأمه الكريمة . ولكن من هو روفس ؟ . فى مرقس ١٥ : ٢١ نقرأ عن سمعان القيروانى الذى سخروه ليحمل صليب يسوع على طريق الجلجثة . وهو أبو ألكسندرس وروفس . وعندما يعرف شخص باسم ابنه فإن هذا يعنى أنه غير معروف للمكتوب إليهم ، بينما ابنه معروف لهم . فلأى كنيسة كتب مرقس انجيله ؟ الأغلب أنه كتب لكنيسة روما ، حيث كان ألكسندرس وروفس معروفين . وها نحن نجد روفس ابن حامل الصليب ، ولابد أن ذلك اليوم كان قاسياً على سمعان ، اليهودى القادم من القيروان (ليبيا) . ولابد أنه قضى نصف عمره يوفر نفقات السفر لأداء عيد الفصح فى أورشليم . وعندما وصل إليها أخذته عظمة الاحتفال وفجأة لمست حربة جندى رومانى كتفه ، وكان هذا يعنى تكليفه بخدمة . وإذا به يكلف بحمل صليب مجرم . ولابد أن الكراهية ملأت جوانحه ! هل جاء من القيروان ليؤدى هذا العمل ؟! لقد جاء ليحتفل بالفصح ، وها هو يحمل العار . وحالما وصل إلى الجلجثة ألقى بحمله وأسرع ليبتعد . ولكن لابد أن شيئاً حدث له ، فقد لمس حامل الصليب قلبه ، فانجذب إلى الأبد إلى ذلك المصلوب ، وهكذا غيرت مواجهة الجلجثة حياته كلها . لقد جاء ليحتفل بعشاء الفصح ، وعاد عبداً للمسيح . ولابد أنه عاد إلى بيته ليشارك زوجته وولديه اختباره الجديد . ويمكن أن نصيغ مختلف القصص حول هذه الفكرة . إذ نقرأ فى أعمال ١١ : ٢٠ أن رجالا من قبرس والقيروان ذهبوا لأنطاكية وبشروا الأمم ، فهل كان سمعان أحد القيروانيين ؟ وهل كان روفس معه ؟ وهل أخذا على عاتقيهما المسئولية فى توصيل الإنجيل للعالم كله ؟ وهل ساعدا الكنيسة لتخرج خارج الحدود الضيقة التى كانت اليهودية تريد حصرها فيها ؟ وهل يمكن أن نكون اليوم مديونين فى وصول الرسالة لنا إلى أشخاص من القيروان ، حمل أحدهم الصليب قسراً فى طريق الجلجثة ؟ ولنعد إلى أفسس حيث قامت مظاهرة صاخبة تأييداً لإلهة أفسس « أرطاميس » (ديانا) محاولة قتل بولس . فمن تصدى لمواجهتهم ؟ رجل اسمه « اسكندر » (أعمال ١٩ : ٣٣) ـــ فهل هو شقيق روفس يحاول أن يدافع عن بولس ؟ أما أم روفس فقد عاونت بولس وأراحته فى وقت حاجة وشدة ، عندما رفضته عائلته لأنه صار مسيحياً .

ربما كان هذا مجرد تخمين ، لأن اسم اسكندر وروفس اسمان مشهوران . ولكن ربما كان ما قلناه صحيحاً ، بعد التغيير الذى حدث فى طريق الجلجثة .

٣ ـــ بقى اسم آخر ، ربما كانت وراءه قصة عظيمة ، هو نيريوس ، فقد حدثت فى روما عام ٩٥ م حادثة هزت روما ، فقد أدين شخصان بارزان فى روما بتهمة اعتناق المسيحية ، هما رجل وزوجته . اسم الرجل فلافيوس كلمنز كان أحد القناصل . أما زوجته فكانت من العائلة المالكة واسمها دومانيلا ، حفيدة فسباسيان الإمبراطور السابق ، وابنة أخ دومتيا ان الإمبراطور الحاكم ، وكان ابنا فلافيوس ودوماتيلا مرشحين ليخلفا الإمبراطور دومتيان فى حكم الإمبراطورية . وقد أعدم

فلافيوس ، ونفيت دوماتيلا إلى جزيرة بونتيا . والذى دعانا لنورد هذا هو أن اسم ياور (حاجب) فلافيوس هو « نيريوس » . ومن الممكن أن نيريوس كان عبداً لهما ، قادهما إلى الإيمان المسيحى . وهناك شيء آخر : كان والد فلافيوس كلمتر (المسيحى الذى أعدم) يدعى فلافيوس سابينوس ، وكان أميناً لمدينة روما فى عهد الإمبراطور نيرون الذى أحرق روما عام ٦٤ م . وألصق تهمة إحراقها بالمسيحيين . ولابد أن فلافيوس سابينوس ، بحكم وظيفته ، كان مشرفاً على اضطهاد المسيحيين . وقد أمر نيرون بطلاء بعض المسيحيين بالقار لإحراقهم ليضىء حدائق قصره ، كما أمر بإلقاء بعضهم للكلاب المتوحشة لتمزيق أجسادهم ، وأمر بربط بعضهم فى سفن يتم إغراقها فى نهر التيبر .. ترى هل تأثر فلافيوس كلمنز وهو يرى شجاعة أولئك الشهداء ، وسأل نفسه عن سرها ؟

نداء أخير للمحبة

(رومية ١٦ : ١٧ ــ ٢٠)

يبدو أن بولس وجد صعوبة فى إنهاء رسالة رومية ، فبعد أن سجل التحيات عاد ليسجل نداءً أخيراً للمحبة ، محذراً أهل روما من التأثيرات الشريرة . وهو يبرز أمرين ضارين للكنيسة وللشركة الروحية بها :

١ ــ هناك من يصنعون شقاقات بين الإخوة ، وكل من يهدد سلام الكنيسة سيعطى حساباً عما يفعل . كان قسيس يزور عائلة انتقلت حديثاً إلى مدينته ليرحب بها ، فقال رب العائلة للقسيس : « هل تعرف كنيسة كذا ؟ » فأجاب القسيس : « نعم ، أعرفها جيداً » . فقال الرجل : « كنت عضواً بها ، لكنى أخربتها » . هناك من يفتخرون بالشقاق الذى يصنعونه وببذور الخصام التى يزرعونها . ولكن لابد أن من يفعلون هذا يجاوبون المسيح عما فعلوه عندما يحاسبهم يوم الدين !

٢ ــ هناك من يضعون عثرات ومعطلات للآخرين . وكل من يجعل الطريق صعبة أمام الآخرين سيعطي حساباً عما يفعل . هناك من يعطى بتصرفه مثلا سيئاً ، وهناك من يعلم تعليماً فاسداً ، وهناك من يشجع الخطأ . ويقول المسيح إن الويل لمن تأتى به العثرات !

ونجد فى هذه الفقرة كلمتين هامتين . هنا كلمة « **بالكلام الطيب** » وفى اليونانية تعنى « كلام من يتكلم حسناً ويتصرف رديئاً » فهو خلف الكلام التقوى فاعل إثم ، وصاحب تأثير سيء ومضلل . لا عن طريق الهجوم المباشر ، بل عن طريق الكلام المعسول . كما نجد كلمة « **بسطاء للشر** » . والبسيط فى اليونانية تعني غير المغشوش ، مثل اللبن الذى لم يختلط بالماء . إنها تصف الصفاء والنقاء . والمسيحى هو الشخص الذى تقف أمانته فوق كل الشكوك !

ونلاحظ أن المشكلة التى تواجهها كنيسة روما كامنة لم تظهر بعد فى نشاط علنى ، وبولس يقول إن الكنيسة تقدر أن تواجهها . ومن هنا نرى بولس الراعى الحكيم الذى يعرف أن الوقاية خير من العلاج . ففى معظم الكنائس تستفحل المشاكل لأن أحداً فيها لا يجد الشجاعة الكافية

لمواجهة هذه المشاكل فى بدئها ، وعندما تكبر المشكلة لا يجدى معها الحل . يمكن أن نطفىء الشرارة لو عالجناها فى مهدها ، ولكن يكاد يكون من المستحيل إطفاء حريق شب فى غابة . لقد تصدى بولس للمشكلة قبل أن تتفاقم .

وتنتهى هذه الفقرة بفكرة جميلة . يقول بولس إن إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلهم سريعاً . ونلاحظ أن سلام الله سلام عامل ، منتصر . هناك سلام مؤسس على الهروب من المشاكل . ورفض إتخاذ القرارات وغلق العيون عن الأمور التى يجب معالجتها . هذا سلام عاطل لأنه يتحاشى معالجة الأمور . ولكن المسيحى يجب أن يذكر أن سلام الله ليس سلام التسليم للعالم ! بل السلام الذى يغلب العالم !

تحيات

(رومية ١٦ : ٢١ — ٢٣)

من الصعب أن نعرف جماعة الأصدقاء المحيطين ببولس الذين يهدون السلام ، ولكننا نعرف تيموثاوس ساعد بولس الأيمن ، الذى كان بولس يعتبره خليفته ، والذى كان الوحيد الذى يدرك أفكار بولس (فيلبى ٢ : ١٩ و ٢٠) . أما لوكيوس فقد يكون لوكيوس القيروانى أحد أنبياء ومعلمى كنيسة أنطاكية الذين اشتركوا فى إرسال بولس وبرنابا لرحلتهما التبشيرية (أعمال ١٣ : ١) . وقد يكون ياسون هو الذى استضاف بولس فى تسالونيكى وتألم على يد الجمهور الغاضب (أعمال ١٧ : ٥ — ٩) . أما سوسيباترس فقد يكون من بيرية وحمل تبرع كنيسته إلى كنيسة أورشليم (أعمال ٢٠ : ٢) . أما غايس فقد يكون أحد الشخصين اللذين عمدهما بولس فى كورنثوس (١ كورنثوس ١ : ١٤) .

وللمرة الأولى والوحيدة نعرف اسم سكرتير بولس الذى دون الرسالة بقلمه ، عندما كان بولس يمليها عليه ، وهو ترتيوس ، الذى سجل تحيته . أما بقية سكرتيرى بولس فلم يسجلوا أسماءهم ، وهكذا يقف ترتيوس ممثلا لهؤلاء الذين خدموا فى الخفاء .

ونرى فى هذه الفقرة أسماء يعرفها بولس بجملة واحدة ، إذ ليس عنده مكان لذكر المزيد عنهم ، ولكن هذه الجملة الواحدة تنقل أهم شىء عنهم . فغايس رجل الضيافة ، وكوراتس رجل الأخوة . وما أجمل أن يسجل التاريخ لشخص أنه رجل البيت المفتوح ، ولآخر أنه رجل القلب المحب . فإذا أراد أحد أن يسجل ملخصاً لحياتنا فى جملة ، فماذا عساه يقول ؟

النهاية .. تمجيد !

(رومية ١٦ : ٢٥ ــ ٢٧)

يختم بولس رسالته بتمجيد لله يلخص فيه جوهر الإنجيل الذى يكرز به :

١ ــ إنه الإنجيل الذى يجعل الإنسان قادراً على الوقوف بثبات . « ياابن آدم ، قم على قدميك ، فأتكلم معك » (حزقيال ٢ : ١) ، فقوة الإنجيل تجعل الإنسان يقف منتصباً ثابتاً ضد القلاقل والصدمات والتجارب . سجل أحد الصحفيين حادثة حدثت فى الحرب الأهلية الأسبانية ، فقد كانت فرقة صغيرة محاصرة ، وعندما اقتربت النهاية أراد بعض أفرادها أن يسلموا لينجوا بحياتهم ، ولكن البعض فضلوا القتال حتى النهاية ، وأخيراً تحدد الموقف عندما قال أحد الشجعان : « من الأفضل أن نموت ونحن واقفين من أن نعيش ونحن راكعين » . إن الحياة صعبة ، وقد يسقط إنسان تحت حمله ، وقد ينزلق إنسان فى مهاوى التجربة .. ولكن إنجيل المسيح هو قوة خلاصنا التى تحفظنا سالمين لنقابل متاعب الحياة ونحن واقفين ، حتى لو كانت الحياة فى أردأ حال .

٢ ــ إنه الإنجيل الذى أعلنه يسوع المسيح ، وهو أصله ، ولكن البشر يكرزون به . ولا يكون الإنجيل خبراً مفرحاً بدون المسيح ، ولكن بدون البشر لا يمكن للناس أن يسمعوا بأخبار الإنجيل . ويبدأ الخبر المفرح بأن يجد المسيح الشخص ، فيذهب ليجد آخرين للمسيح . لما وجد أندراوس يسوع ذهب إلى أخيه بطرس ليعلن له أنه قد وجده (يوحنا ١ : ٤٠ و ٤١) . وهذا امتياز المسيحى كما أنه واجبه ، فامتيازه أنه وجد يسوع ، وواجبه أن ينقل أخبار يسوع . فى قصة قديمة أن يسوع عاد إلى مجده بعد الصلب والقيامة ، حاملا آثار الصلب . فقال له أحد الملائكة : « لابد أنك قاسيت الكثير من البشر ــ هل عرفوا جميعاً بما فعلته لأجلهم ؟ » فأجاب يسوع : « لا . ليس بعد ، فقليلون فقط هم الذين عرفوا فى فلسطين » فسأل الملاك : « وماذا عملت لتضمن أنهم كلهم يسمعون ؟ » فأجاب يسوع : « لقد سألت بطرس ويعقوب ويوحنا أن يخصصوا نفوسهم لتعريف الناس ، وكل من يعرف يعرّف غيره ، وهكذا تصل الرسالة إلى كل الناس » . ونظر الملاك بشك ، فهو يعرف نقاط الضعف فى هؤلاء البشر ، وعاد يسأل : « لكن ماذا يحدث لو أن بطرس ويعقوب ويوحنا نسوا ؟ وماذا يحدث لو أنهم تعبوا من العمل ؟ وماذا يحدث لو أن الناس فى القرن العشرين مثلا أهملوا فى إعلان رسالة محبتك ؟ هل لديك تخطيط آخر ؟ » فأجاب يسوع : لم أعمل أى تخطيط آخر . إننى أعتمد عليهم » . لقد مات يسوع ليعطينا الإنجيل ، وهو يعتمد علينا لإعلان أخباره السارة للجميع .

٣ ــ الإنجيل يكمل التاريخ ، فقد كان موجوداً فى الأزمنة القديمة ، وتم إعلانه فى مجىء المسيح إلى العالم . وبمجىء المسيح حدث شىء عظيم . فقد غزا الأزل عالم الزمن ، وجاء الله إلى العالم . وكل التاريخ يدور حول مجيئه ، فقبله جرى الاستعداد لمجيئه ، وعند مجيئه تغير العالم كله ، ولا يمكن أن يعود إلى ما كان عليه . إن مجىء المسيح هو الحادث المركزى فى التاريخ ، فنقول : قبل

الميلاد ، وبعد الميلاد ، فإن مجيئه قد بدأ الحياة الجديدة للعالم .

٤ ـــ والإنجيل لكل الناس ، وكان دوماً لكل الناس . لقد قُصد به اليهود ، كما قصد به الأمم أيضاً . وربما لم يكن أنبياء العهد القديم فاهمين لكل ما قالوه عن أن الإنجيل هو أيضاً للأمم ، ولكن الحقيقة أنهم أعلنوا وتنبأوا بدخول الأمم إلى الإيمان ، من كل البلاد . ولابد أن نعمل الآن على توصيل الإنجيل لكل العالم ، لتغطى معرفة الله الأرض كلها ، كما تغطى المياه البحار ، ولينال الإنسان مجد مساعدة الله فى تحقيق انتظاراته بإقبال الجميع إلى الإيمان .

٥ ـــ وهو إنجيل يهدف لأن يعرف كل الناس الله ويطيعوه على أنه الله الملك ، لا طاعه الدكتاتور المخيف الذى يحكم بالحديد والنار ، والذى يحطم كل معارضة ، ولكن طاعة الإيمان الواثق والخضوع الكامل الناتج عن الحب .. إنها طاعة القلب الذى يسلم نفسه فى محبة ليصبح كما يريده المحبوب . إن بولس لا يرى الإنسان خاضعاً لقوة إلهية جبارة ، لكنه يراه محباً واقعاً فى حب محب البشر . الذى أعلن حبه أولا فى المسيح .

وها بولس يختم رسالة المجادلة بكلمات تمجيد الله ، إله المحبة الأزلية الأبدية !

رسالتا كورنثوس

مقدمة لرسالتى كورنثوس

عظمة كورنثوس :

نظرة واحدة إلى خريطة بلاد اليونان ترينا أن مدينة كورنثوس قد وجدت هناك لتكون مدينة عظيمة . فإن الجزء الجنوبى من بلاد اليونان يكاد أن يكون جزيرة ، إذ أن كل ما يربطه بالجزء الشمالى هو برزخ صغير لا يزيد عرضه عن أربعة أميال . وعلى هذه القطعة الضيقة من الأرض تقع مدينة كورنثوس . وقد نتج عن هذا الموقع الهام أن أصبحت كورنثوس من أعظم المراكز التجارية فى العالم القديم . فكان لابد للحركات التجارية كلها بين شمال اليونان وجنوبها أن تجتاز كورنثوس ، إذ لم يكن هناك طريق آخر للمرور فيه . أى أن كل تجارة أثينا وشمال اليونان مع اسبرطة والبلوبونيز (المورة) كان لابد أن تمر عن طريق كورنثوس ، لأن كورنثوس كانت تقع على هذا العنق الضيق من الأرض الذى يربط بين الاثنين .

ولكن الذى حدث هو أنه لم يقتصر الحال على تجارة شمال اليونان مع جنوبها ، بل إن معظم تجارة الشرق مع الغرب فى منطقة البحر الأبيض المتوسط كانت أيضاً تمر بكورنثوس . فإن الملاحة حول رأس ماليا (المعروفة الآن برأس متبان) فى أقصى الطرف الجنوبى لبلاد اليونان كانت محفوفة بالمخاطر . حتى كان اليونانيون القدماء يقولون فى أمثالهم ما معناه إن من يفكر فى رحلة بحرية حول رأس (ماليا) يجب أن يودع أهل بيته الوداع الأخير . ولذلك كان الملاحون يتبعون أحد طريقين : إما أنهم كانوا يبحرون حتى الخليج ، ومن هناك يرفعون سفنهم — إذا كانت صغيرة — إلى البر ، ثم يحملونها على أسطوانات كبيرة ويجرونها عبر برزخ كورنثوس ثم ينزلونها ثانية إلى الماء على الجانب الآخر ، أو أنهم — إذا كانت سفنهم كبيرة — يفرغون شحنتها على الشاطىء حيث ينقلها الحمالون إلى الشاطىء الآخر ، ثم يعاد شحنها على سفن أخرى .

وكانت مسيرة الأميال الأربعة عبر برزخ كورنثوس (حيث توجد الآن قناة كورنثوس) — توفر على السفن رحلة إلى مائتى ميل حول رأس (ماليا) التى هى أخطر رأس فى البحر الأبيض المتوسط .

وهكذا يسهل علينا تصور مقدار أهمية كورنثوس وعظمتها كمدينة تجارية لا مفر أن تمر بها تجارة شمال اليونان مع جنوبها ، بالإضافة إلى أنها كانت الطريق المفضل لمرور تجارة الشرق مع الغرب فى منطقة البحر الأبيض .

ويقول (فرار) إن كل وسائل الترف فى الدول المتحضرة فى العالم القديم قد وجدت طريقها بسرعة إلى أسواق كورنثوس : البلسم العربى ، والبلح الفينيقى ، والعاج الليبى ، والسجاد البابلى ، وشعر المعزى الكيليكى ، والصوف الليكأونى ، والعبيد الفريجيون ، فكانت كورنثوس — كما يدعوها (فرار) بمثابة (سوق الأباطيل) بالنسبة للعالم القديم . وسماها بعضهم (كوبرى اليونان)

بينما سماها آخرون (متكأ اليونان) . وإذا كانوا يقولون اليوم إنه إذا وقف إنسان ما فى ميدان (بيكاديللى) فى لندن فترة كافية من الزمن ، فانه فى النهاية ــ عاجلا أو آجلا ــ يكون قد قابل كل واحد فى بلاده ، فإننا يمكن أن نقول إن كورنثوس كانت بمثابة ميدان (بيكاديللى) بالنسبة لعالم البحر الأبيض المتوسط .

وبالإضافة لما سبق كانت تعقد فى مدينة كورنثوس الألعاب الأثميانية Isthmian Games التى لم يكن يفوقها فى العالم القديم سوى الألعاب الأوليمبية . وكانت كورنثوس أيضاً ــ باعتبارها من أعظم المدن التجارية فى العالم القديم ــ مدينة غنية آهلة بالسكان .

شر كورنثوس وفسادها :

ولكن كان هناك لكورنثوس وجه آخر . فالى جانب شهرتها بالثروة الاقتصادية ، اشتهرت أيضاً بالشر وبالفساد ؛ وأصبح اسمها رمزاً للرذيلة والفجور . بل قد أصبحت الكلمة اليونانية التى تعنى كورنثوسى (أى واحد من أهل كورنثوس) ــ أصبحت تعنى فى اللغة اليونانية حياة السكر والدعارة والفسق . بينما أصبحت الكلمة المستعملة فى اللغة الإنكليزية Corinthian تعنى الشاب الذى يحيا حياة الطيش والعربدة . ويقول الكاتب اليونانى (إيليان) إنه كلما كان يظهر على المسرح من يمثل دور رجل من كورنثوس كان دوره يقتضى أن يبدو سكراناً ثملا . وكانت كلمة كورنثوس ذاتها مرادفة لكلمة فجور أو فسق أو دعارة . ولكن فى الأيام القديمة كان مصدر واحد للشر والفساد فى كورنثوس ، وهو الذى كان معروفاً فى كل العالم المتحضر آنذاك . ففوق برزخ كورنثوس كان يعلو تل الأوكروبول الذى شيد عليه الهيكل العظيم لأفروديت ، إلهة الحب .

وكان فى ذلك الهيكل ألف من الكاهنات اللواتى كن عاهرات . وعندما كان يأتى المساء كانت أولئك العاهرات ينزلن من الأوكروبول إلى طرقات كورنثوس حيث كن يعرضن الفحشاء علناً . وإلى جانب هذه الخطايا الشنيعة انتشرت فى كورنثوس رذائل أخرى كثيرة نقلها إليها البحارة والتجار من أطراف الأرض حتى أصبح اسم كورنثوس مرادفاً ، لا للثروة أو الترف أو السكر أو الدعارة فقط بل أيضاً للقذارة والدنس .

تاريخ كورنثوس :

ينقسم تاريخ كورنثوس إلى حقبتين . كانت كورنثوس مدينة قديمة جداً . ويزعم (ثوسيادس) ، المؤرخ اليونانى ، أنه فى كورنثوس بنيت أول السفن الحربية اليونانية . وتقول أسطورة إن فيها أيضاً بنيت السفينة الضخمة التى سافر عليها (ياسون) عبر البحار بحثاً عن الجرة الذهبية . ولكن فى عام ١٤٦ ق . م . حل بها الخراب والدمار ، بأيدى الذين أخضعوا العالم بسيطرتهم ونفوذهم . وقد توالت انتصاراتهم فى أماكن كثيرة .

وعندما حاول اليونانيون أن يقاوموهم ، تزعمتهم كورنثوس فى ذلك . ولكنهم لم يستطيعوا أن يصمدوا طويلا أمام جيوش الرومان المنظمة والمدربة وفى عام ١٤٦ ق . م . استولى القائد الرومانى (لوسيوس ماميوس) على كورنثوس ونهبها ودمرها تماماً حتى تركها خراباً بلقعاً .

ولكن مدينة امتازت بموقع جغرافى ممتاز مثل كورنثوس لا يمكن أن تظل خراباً . فبعد مضى مائة سنة تماماً ، أى فى عام ٤٦ ق . م . أعاد يوليوس قيصر بناءها من جديد . وأصبحت من ذلك الحين مستعمرة رومانية ، بل وأكثر من ذلك ، أصبحت عاصمة لولاية أخائية الرومانية التى كانت فى الواقع تضم كل بلاد اليونان . وفى ذلك الوقت — وهو أيضا الوقت عينه الذى كان بولس يكرز فيه بالإنجيل ويكتب رسائله — كان سكان كورنثوس خليطاً من عناصر مختلفة :

(أ) فكان هناك المستوطنون من الجنود الرومانيين المحنكين الذين منحهم يوليوس قيصر امتياز الإقامة ، وقد كان من عادة الرومان أن يمنحوا من تنتهى خدمته فى الجندية ، لقب المواطن الرومانى ثم يرسل إلى إحدى المدن المؤسسة حديثاً ، كان يعطى قطعة من الأرض ليقيم عليها . وكانت هذه المستعمرات الرومانية على هذا النحو منتشرة فى كل أنحاء العالم . وقد كان أولئك الجنود النظاميون المدربون الذين يمنحون لقب المواطن الرومانى جزاء خدمتهم الأمينة للامبراطورية الرومانية ، هم دعائم هذه المستعمرات وعمودها الفقرى .

(ب) وعندما أعيد بناء كورنثوس عاد التجار إليها ، لأن موقع كورنثوس كان لا يزال يعطيها الأولوية ومكان الصدارة من النواحى التجارية والاقتصادية .

(ج) كما كان من بين سكانها عدد كبير من اليهود الذين وجدوا فى المدينة الجديدة فرصاً كثيرة للتجارة لم يفتهم انتهازها .

(د) وكان بالمدينة أيضاً نفر من الفنيقيين والفريجيين وقوم من المشرق جاءوا إليها بعاداتهم الغريبة . ويتحدث « فرار » عن « هذا الخلط العجيب من السكان مختلفى الأجناس الذين كان من بينهم المغامرون من اليونانيين والبورجوازيين من الرومان مع حثالة فاسدة من الفنيقيين وجمهور كبير من اليهود والجنود السابقين والفلاسفة والتجار والبحارة والعبيد والمعتوقين وأصحاب الحرف والباعة الجائلين وعملاء كل نوع من أنواع الرذيلة والإثم » . ويقول « فرار » : إن كورنثوس كانت مستعمرة انعدمت فيها الطبقة الأرستقراطية ، ولم يكن لها تقاليد ، ولم يوجد بها مواطنون عريقو الأصل » .

والآن لنذكر ما سبقت الإشارة إليه عن الوسط الذى تميزت به كورنثوس ولنذكر شهرتها فى الثروة والترف ، وفى السكر والعربدة والرذيلة والأشياء التى ذكرها قبيح ؛ لنذكر هذا ثم لنقرأ ١ كورنثوس ٦ : ٩ و ١٠ . « أم لستم تعلمون أن الظالمين لايرثون ملكوت الله . لا تضلوا . لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله وهكذا كان أناس منكم » .

فى هذه المدينة التى كانت مرتعاً للرذائل والفضائح ، قام بولس بعمله التبشيرى العظيم ، وتم للمسيحية أعظم وأقوى إنتصاراتها .

بولس فى كورنثوس :

مكث بولس فى كورنثوس أطول مما مكث فى أية مدينة أخرى باستثناء أفسس وكان قد غادر

مكدونية وحياته مهددة بالخطر ، ثم رحل إلى أثينا . وهناك صادف نجاحاً قليلا . وبعد ذلك ذهب إلى كورنثوس حيث مكث ثمانية عشر شهراً . ويمكننا أن ندرك مدى قلة معلوماتنا عن أعمال بولس عندما نلاحظ أن قصة هذه الشهور الطويلة قد ذكرها لوقا موجزة فى سبعة عشر عدداً (أعمال ١٨ : ١ — ١٧) . وعندما وصل بولس إلى كورنثوس أقام هناك مع أكيلا وبريسكلا . وكان يعظ فى المجمع بنجاح عظيم ويقنع يهوداً ويونانيين . وعندما وصل تيموثاوس وسيلا من مكدونية كان بولس منحصراً بالروح وهو يشهد لليهود بالمسيح يسوع . وإذ كانوا يقاومون ويجدفون فى عداء وعناد اضطر أن يغادر المجتمع . وانتقل من هناك وأقام فى بيت رجل إسمه « يوستس » كان متعبداً لله وكان بيته ملاصقاً للمجمع . وعلى رأس من آمنوا على يدى بولس فى كرازته هناك كان كريسبس رئيس المجمع الذى آمن بالرب مع جميع بيته . كما آمن أيضاً كثيرون من الكورنثيين واعتمدوا .

وفى عام ٥٢ وصل إلى كورنثوس حاكم جديد ، رجل رومانى اسمه غاليون . وكان معروفاً بطيبته ولطفه . فأراد اليهود أن يستغلوا طيبة وحداثة عهده بالولاية . فأتوا ببولس إلى كرسى الولاية لمحاكمته بتهمة التعليم بخلاف الناموس . ولكن غاليون — الذى كان عادلا ومنصفاً — رفض أن يكون قاضياً فى مسألة ليست من اختصاصه ، ورفض أن يصدر على بولس أى حكم بل طرد اليهود من الكرسى . وهكذا لبث بولس فى كورنثوس أياما كثيرة أكمل فيها عمله هناك ثم سافر فى البحر إلى سورية .

المراسلة مع كورنثوس :

عندما كان بولس فى أفسس عام ٥٥ م علم أن الأحوال فى كورنثوس لم تكن طيبة ، وعندئذ كتب إلى كنيسة كورنثوس . ويحتمل أن تكون الرسائل التى بين أيدينا غير مرتبة بالترتيب الذى كتب به الرسول . ولابد أن نذكر أن رسائل بولس لم تجمع إلا حوالى سنة ٩٠ م . وكانت كنائس كثيرة تحتفظ بأجزاء من هذه الرسائل التى كانت مكتوبة على قطع من أوراق البردى . ولم يكن أمر جمعها وترتيبها الصحيح سهلا ميسوراً . ويمكن أن نتصور ما حدث على النحو التالى :

١ — ربما كانت هناك رسالة سبقت الرسالة الأولى إلى كورنثوس المعروفة لدينا . ففى ١ كورنثوس ٥ : ٩ يقول الرسول : « كتبت إليكم فى الرسالة أن لا تخالطوا الزناة » . وواضح أن هذه العبارة تشير إلى رسالة سابقة . ويعتقد بعض الباحثين أن هذه قد ضاعت ولم يعثر لها على أثر ، بينما يعتقد آخرون أنها متضمنة فى ٢ كورنثوس ٦ : ١٤ — ٧ : ١ . والعبارات الواردة فى هذا الفصل بكل تأكيد تناسب تماماً ما قاله الرسول أنه كتب عنه . ولو أننا قرأنا الآية المشار إليها آنفا (١ كورنثوس ٥ : ٩) مباشرة مع الآيات الأخرى (٢ كورنثوس ٦ : ١٣ — ٧ : ٢) لوجدنا الترابط بينها أشد وأقوى . وكل ما نستطيع قوله إنه عندما جمعت الرسائل من هنا وهناك ربما حدث خطأ فى الترتيب . (وهنا يجب أن نتذكر أن الرسائل الأصلية لم تكن مقسمة إلى أصحاحات وآيات . فان التقسيم إلى أصحاحات لم يتم حتى القرن الثالث عشر . أما الآيات فلم تقسم بالطريقة المعروفة الآن حتى القرن السادس عشر . ولهذا السبب كان أمر تنظيم الرسائل وترتيبها صعباً للغاية) .

٢ ــ جاءت الأخبار إلى بولس من مصادر متنوعة عن الانشقاقات الحادثة فى كورنثوس :

(أ) فقد سمع من أهل خلوى عن الخصومات والمنازعات التى مزقت كنيسة كورنثوس .

(ب) وبلغته الأخبار أيضاً عند زيارة استفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس لأفسس (١ كورنثوس ١٦ : ١٧) . وقد استطاع هؤلاء باتصالاتهم الشخصية أن يكملوا ما كان ينقص بولس من معلومات .

(ج) كما جاءته الأخبار فى خطاب كانت كنيسة كورنثوس قد أرسلته إليه تطلب فيه نصائحه وإرشاداته حول مشاكل متنوعة . وهذا يتضح لنا من ١ كورنثوس ٧ : ١ إذ يقول الرسول : « وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها ... » . وقد كتب بولس رسالته الأولى إلى كورنثوس رداً على كل الاستفسارات التى سألت عنها الكنيسة هناك .. وواضح من ١ كورنثوس ٤ : ١٧ أنه أرسل هذه الرسالة بيد تيموثاوس .

٣ ــ أصبحت الأمور تزداد سوءاً . ويمكننا أن نستنتج أن بولس اضطر أن يقوم بزيارة شخصية إلى كورنثوس ، مع أنه لا توجد إشارة صريحة إلى ذلك . فان بولس كتب فى ٢ كورنثوس ١٢ : ١٤ « هوذا المرة الثالثة أنا مستعد أن آتى إليكم » .. وفى ٢ كورنثوس ١٣ : ١ و ٢ يعود الرسول فيقول إنه سيأتى إليهم للمرة الثالثة . ومعنى هذا أنه لابد قد سبق فذهب إليهم مرة ثانية . وليس لدينا تسجيل إلا للزيارة الأولى التى نقرأ قصتها فى أعمال ١٨ : ١ ــ ١٧ . أما الزيارة الثانية فليس هناك أى ذكر لها . ولكن كورنثوس لم تكن تبعد عن أفسس أكثر من يومين أو ثلاثة أيام ، ولابد أن بولس قام بزيارة قصيرة خاطفة إلى كورنثوس .

٤ ــ ولم تكن تلك الزيارة مجدية أو موفقة بالمرة . ولذلك كتب الرسول رسالة أخرى مؤثرة وشديدة اللهجة ، يمكن أن نلمح شدتها من فصول معينة من الرسالة الثانية إلى كورنثوس . ففى ٢ كورنثوس ٢ : ٤ مثلا كتب بولس يقول : « لأنى من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة » وفى ٢ كورنثوس ٧ : ٨ يقول : « لأنى وإن كنت قد أحزنتكم بالرسالة لست أندم مع أنى ندمت . فإنى أرى أن تلك الرسالة أحزنتكم ولو إلى ساعة » . أى أن هذه الرسالة كانت بدافع من حزن كثير وقلب كئيب ، رسالة شديدة حتى أن بولس نفسه كان شاعراً بالأسف لأنه اضطر إلى إرسالها . ويسمى الباحثون هذه الرسالة بالرسالة « الشديدة » أو « العنيفة » . ولكن ترى هل حصلنا على هذه الرسالة ؟ . واضح أنها لا يمكن أن تكون هى الرسالة الأولى إلى كورنثوس ، لأن الرسالة الأولى ليست رسالة حزينة أو كئيبة ومن المؤكد أن بولس عندما كتب رسالته الأولى كانت الأمور مستقرة . وحين نقرأ الرسالة الثانية كلها نجد فيها فقرة غريبة جداً . فالأصحاحات التسعة الأولى من الرسالة الثانية يفهم منها أن كل المشاكل كانت قد سويت وأن الجميع قد تصالحوا وعادوا أصدقاء من جديد ، أما الأصحاح العاشر فينتقل بنا إلى أغرب فقرة . ونحن نقرأ من الأصحاح العاشر حتى الأصحاح الثالث عشر عن أعظم صرخة حزينة سجلها بولس فى حياته . فقد ذكر فيها كم قاسى من الشتائم والاضطهادات والافتراءات ما لم يقاسه قبل ذلك أو بعد ذلك من أية كنيسة أخرى ؛ وكم وجه إليه من طعن فى رسوليته وأمانته وكلامه . ويعتقد

معظم الباحثين أن هذه الأصحاحات من ١٠ — ١٣ هى (الرسالة الشديدة) أو (الرسالة العنيفة) المشار إليها ، وأنها وضعت فى هذا المكان خطأ عند جمع رسائل بولس معاً وأننا إذا كنا نريد أن نلتزم بدقة الترتيب التاريخى لرسالتى كورنثوس كما كتبهما الرسول بولس فإننا يجب أن نقرأ الأصحاحات من ١٠ إلى ١٣ من الرسالة الثانية قبل الأصحاحات التسعة الأولى . ومن المؤكد أن هذه الرسالة قد حملها تيطس (٢ كورنثوس ٢ : ١٣ ، ٧ : ١٣) .

٥ — كان بولس قلقاً بشأن رسالته هذه . فلم يستطع أن ينتظر تيطس ليعرف منه جوابها بل خرج للقائه (٢ كورنثوس ٢ : ١٣ ، ٧ : ٥ و ١٣) . وقابله فى مكان ما فى مكدونية وعلم منه أن الجميع كانوا بخير وأن الأمور أصبحت على ما يرام . ولذلك كتب لهم (وربما كان فى فيلبى فى ذلك الوقت) الأصحاحات التسعة الأولى من رسالة كورنثوس الثانية ، رسالة المصالحة .

ويقول استوكر Stalker إن رسائل بولس كشفت القناع عن أحوال الكنائس الأولى وجعلتنا نرى بوضوح ما كان يجرى بداخلها . وتنطبق هذه العبارة أصدق انطباق على رسائل كورنثوس بالذات . فهنا نرى ماذا كانت تعنيه عبارة « الاهتمام بجميع الكنائس » ٢ كورنثوس ١١ : ٢٨ . هنا نرى المشاكل وكآبة القلب ، الأحزان والأفراح . وهنا أيضاً نرى بولس راعياً لقطيعه يحمل أحزان ومشاكل شعبه على قلبه .

وقبل أن نبدأ فى قراءة ودراسة رسالتى كورنثوس بالتفصيل لنتتبع سير المراسلات مع كورنثوس فى النقط المبسطة والمختصرة التالية :

١ — الخطاب السابق الذى يمكن أن يكون متضمناً فى ٢ كورنثوس ٦ : ١٤ — ٧ : ١ .

٢ — وصول أهل خلوى واستفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس والخطاب الذى أرسلته كنيسة كورنثوس إلى بولس .

٣ — الرسالة الأولى إلى كورنثوس تكتب رداً على ذلك الخطاب وترسل مع تيموثاوس .

٤ — الموقف يزداد سوءاً مما يضطر بولس إلى أن يقوم بزيارة شخصية لكورنثوس . وتفشل الزيارة فشلا تاماً مما يؤدى إلى حزن بولس وكآبة قلبه .

٥ — ونتيجة لهذه الزيارة يكتب بولس « الرسالة الشديدة » التى يكاد يكون مؤكداً أنها متضمنة فى ٢ كورنثوس ١٠ — ١٣ والتى يحملها تيطس إلى كورنثوس .

٦ — بولس لا يستطيع انتظار الرد ، فيخرج للقاء تيطس ، فيقابله فى مكدونية. ويعرف منه أن الأمور قد أصبحت طيبة ؛ فيكتب . ربما من فيلبى الأصحاحات التسعة الأولى من الرسالة الثانية والتى تعتبر رسالة المصالحة .

وتحدثنا الأصحاحات الأربعة الأولى من الرسالة الأولى إلى كورنثوس عن الانقسامات التى كانت موجودة فى كنيسة الله هناك . فبدلا من أن تكون الكنيسة وحدة فى المسيح كانت منقسمة إلى أحزاب وجماعات ، وكل منها كان يزعم أنه يتبع معلماً أو قائداً معيناً . فكان كل واحد منهم يقول

أنا لبولس وأنا لأبلوس وأنا لصفا وأنا للمسيح . ويقول بولس إن هذه الانقسامات سببها أن الكورنثيين كانوا يهتمون أكثر من اللازم بالحكمة والمعرفة الإنسانية بينما لم يعيروا نعمة الله الخالصة أقل اهتمام . والحقيقة أنهم ، بالرغم من حكمتهم المزعومة ، كانوا لا يزالون فى حالة عدم النضوج . لقد كانوا يظنون أنهم حكماء ، ولكنهم لم يكونوا فى الواقع أكثر من مجرد أطفال .

التفسير

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس

الأصحاح الأول

مقدمة رسولية

(١ كورنثوس ١ : ١ ــ ٣)

نلاحظ فى العشرة أعداد الأولى من رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس أن اسم يسوع المسيح قد ورد فيها لا أقل من عشر مرات . والواقع أن كتابة هذه الرسالة لم تكن أمراً سهلا بالنسبة لبولس ، لأنه كان سيعالج فيها موقفاً صعباً وظروفاً دقيقة للغاية ، وإزاء هذه الحالة شعر الرسول أنه كان يحتاج دائماً إلى أن يركز تفكيره فى يسوع المسيح . ولم يفعل بولس مثلما نفعل نحن أحياناً كثيرة . عندما نحاول أن نعالج المواقف الصعبة فى كنائسنا بالقوانين أو القواعد أو الأنظمة الوضعية ، وأحياناً أخرى نحاول أن نعالجها بروح العدالة البشرية أو بقوتنا الشخصية ، العقلية أو الروحية . أما بولس فإنه أمام الموقف الصعب لجأ إلى يسوع المسيح ليمسك به وليرافقه وليرشده ، ولم يفكر فى أى علاج يقدمه إلا فى نور صليب المسيح ومحبة المسيح .

وتذكر لنا هذه المقدمة ثلاثة أشياء .

١ ــ فهى تذكر لنا أولا شيئاً عن الكنيسة ، إذ يتحدث بولس عن « كنيسة الله التى فى كورنثوس » . أى أنها لم تكن كنيسة كورنثوس ، بل كانت كنيسة الله . وبعبارة أخرى كان بولس يعتقد أن أية جماعة مسيحية ، حيثما كانت ، إنما تكون جزءاً من كنيسة الله الواحدة . فلم يكن بولس ليعطى أية كنيسة صفة الكيان الذاتى المستقل ، أو حتى ليدعوها باسم الطائفة التى تنتمى إليها ، لأنه كان يعتبر أن الكنيسة هى كنيسة الله ، ولو أننا فكرنا فى الكنيسة بهذه الطريقة لازداد إدراكنا وفهمنا للحقيقة التى توجد بيننا كمؤمنين ولقل اهتمامنا بالخلافات المحلية التى تفصل بيننا .

٢ ــ ثم نتعلم من هذه المقدمة شيئاً عن الفرد المسيحى ، إذ يذكر بولس فيها ثلاثة أشياء عن المسيحى .

(أ) فالمسيحى مقدس فى يسوع المسيح . وكلمة يقدس (وباليونانية Hagiazo) معناها أن يفرز أو يخصص مكاناً لله ، ثم يجعل هذا المكان مقدساً بتقديم ذبيحة عليه . والمسيحى قد كرس وقدس لله بواسطة ذبيحة يسوع المسيح . ولكى يكون الواحد منا مسيحياً يجب أن يعرف أن المسيح قد مات لأجله ، وأن يدرك يقيناً أن ذبيحة المسيح لأجلنا تجعلنا مكرسين ومقدسين لله تماماً .

(ب) ويصف بولس المسيحيين بالقول (المدعوين قديسين) . وكلمة قديسين هنا هى نفس الكلمة اليونانية Hagios التى سبق أن أشرنا إلى صيغة الفعل منها . وهى الكلمة التى تستعمل الآن

لوصف الذبيحة أو الهيكل الذى يفرز لله . فاذا أفرز شخص ما ليكون بكيفية خاصة ملكاً لله وخادماً له ، فانه ينبغى أن يثبت بحياته وأخلاقه أنه صالح لتلك الخدمة . وهذا ما جعل كلمة Hagios تعنى مقدسين . ولكن الفكرة الأصلية فى الكلمة تعنى (الفصل أو الفرز) . ولذلك فان الشىء أو الشخص الذى يقال عنه إنه Hagios أى مقدس يجب أن يكون مختلفاً عن الأشياء الأخرى أو الأشخاص الآخرين ، لأنه قد أفرز أو فصل عن سائر الأشياء العادية أو الناس العاديين ليكون بكيفية خاصة ملكاً لله . وكانت هذه الكلمة هى الوصف الذى أطلقه اليهود على أنفسهم . فكانوا يسمون أنفسهم Hagios Loas ، أى الشعب المقدس ، أو الأمة التى كانت تختلف تماماً عن سائر الشعوب ، لأنها بكيفية خاصة قد أفرزت لتكون ملكاً لله لخدمته . وعندما دعا بولس المسيحى Hagios فإنما كان يعنى أن المسيحى هو الشخص الذى يختلف عن الناس الآخرين لأنه قد صار ملكاً خاصاً لله ومفرزاً لخدمته ؛ وأن ذلك الاختلاف لا يظهر فى أن ينسحب المسيحى من الحياة العادية والنشاط العادى للناس ، بل فى أن يظهر المسيحى فى حياته العادية الفرق فى الصفات والأخلاق ــ هذا الفرق الذى يميزه كانسان لله .

(ج) ثم نجد أن الرسول يوجه هذه الرسالة إلى أولئك المدعوين « مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح فى كل مكان » فالمسيحى مدعوّ إلى مجتمع تشمل حدوده كل الأرض وكل السماء . فهو وحده من جماعة عظيمة . ولعله مما يملأ قلوبنا بالسعادة والبهجة أن نرتفع بأبصارنا فوق مستوى جماعتنا الصغيرة وفوق مستوى مذاهبنا أو طوائفنا لنرى أنفسنا جزءاً من كنيسة الله التى هى متسعة وكبيرة كالعالم .

٣ ــ كما تذكر لنا هذه المقدمة شيئاً عن يسوع المسيح . فان بولس يتحدث عن ربنا يسوع المسيح ، ثم نراه ــ وكأنه يستدرك ــ فيستطرد قائلا « لهم ولنا » ومعنى هذا أنه لا يصح لأى إنسان أو لأية كنيسة أن تزعم الانفراد المطلق بملكية يسوع المسيح . فهو ليس ربنا نحن فحسب ، ولكنه رب كل الناس . وهذا هو أعجب ما تعلم به المسيحية ، أن كل الناس يمتلكون كل محبة يسوع المسيح ، أى « أن الله يحب كل واحد منا كما لو لم يكن هناك سواه ليحب » .

ضرورة الشكر

(١ كورنثوس ١ : ٤ ــ ٩)

فى هذا الفصل عن الشكر تبرز أمامنا ثلاثة أشياء :

١ ــ نجد هنا الوعد الذى تحقق . فعندما كرز بولس بالمسيحية للكورنثيين أخبرهم أن المسيح يستطيع أن يحقق لهم أشياء معينة ، والآن يذكر لهم بولس بكل فخر أن كل ما سبق أن قاله عما يستطيع المسيح أن يفعله بهم قد ثبت صدقه وحقيقته . قال أحد المرسلين القدماء لأحد الملوك الأقدمين : « إذا قبلت المسيح ، فانك سترى أعجوبة تلو أعجوبة ، وكل واحدة منها حقيقية

تماماً » . والواقع أننا لا نستطيع أن نقنع إنساناً ما إقناعاً عقلياً بقبول المسيحية بل إن كل ما علينا هو أن نقول له : « جرب بنفسك ، وأنت ترى ماذا يحدث » . ولابد أنه عندما يفعل الإنسان ذلك فإنه سيتحقق بنفسه من صدق كل ما تقدمه له من حقائق ومعتقدات المسيحية .

٢ ــ كما نرى فى هذا الفصل أيضاً النعمة التى قد أعطيت . وهنا يستعمل بولس كلمة محببة إليه وهى كلمة charisma . وهذه الكلمة تعنى هبة مجانية تعطى لإنسان ما ــ هبة لا يستحقها ولا يستطيع الحصول عليها بمجهوده الشخصى . ونعمة الله هذه ، كما رآها بولس ، تأتى للانسان فى طريقين .

(أ) فالخلاص هو النعمة ، نعمة الله . إذ لم يكن فى وسع الإنسان أن يحصل بنفسه على حق الشركة مع الله . فحق الشركة مع الله هو نعمة تمنح للانسان . ولا يستطيع الإنسان أن يحصل عليها بمجهوده الشخصى . إن هذه النعمة هى مجرد هبة سخية غنية تقدمها محبة الله . (رومية ٦ : ٢٣) .

(ب) ثم أن هذه النعمة هى التى تعطى للانسان كافة المواهب الخاصة التى يمتلكها وكل ما عنده من إمكانات وقدرات . فكل المواهب الشخصية هى فى الحقيقة مواهب من الله (١ كورنثوس ١٢ : ٤ و ٩ ، ١ تيموثاوس ٤ : ١١ ، ١ بطرس ٤ : ١٠) . فاذا كان إنسان ما يمتلك موهبة الكلام أو موهبة الشفاء ، أو إذا كان لديه موهبة الموسيقى أو أى فن آخر ، أو إذا كان عنده دراية بالحرف اليدوية المختلفة ، فإن كل هذه المواهب هى مواهب من الله . ولو أننا أدركنا هذه الحقيقة تماماً ، لأمكننا أن نضفى على حياتنا جواً جديداً ومعانى جديدة . فمثل هذه المهارات التى نمتلكها ، ومثل هذه الحرف التى نجيدها ، ومثل هذه المواهب التى لدينا ليست هى فى الحقيقة ثمرة مجهوداتنا أو محصول كفاحنا وجهادنا ، بل هى مواهب من الله . ولذلك ، ما نحن إلا أمناء أو وكلاء عليها . ولا يصح أن نستخدمها كما نريد نحن ، بل كما يريدنا الله أن نستخدمها . ولا ينبغى أن نستخدمها لمنفعتنا الشخصية أو لمجدنا الذاتى ، بل لمجد الله ولخير الآخرين . إن كوننا نمتلك موهبة خاصة ليس معناه أننا نمتلك مورداً أو مصدراً لتحقيق مطامعنا أو مصالحنا الشخصية ، بل معناه أن نعتبر هذه الموهبة آلة أو أداة نستغلها لخدمة الله .

٣ ــ ثم نجد أخيراً إشارة إلى النهاية . وفى العهد القديم تكررت كثيراً عبارة « يوم الرب » . وكان ذلك اليوم فى نظر اليهود هو اليوم الذى يتوقعون فيه أن يتدخل الله فى التاريخ بصورة واضحة مباشرة ، فيزول العالم القديم تماماً ويولد العالم الجديد . كما كانوا يعتقدون أن ذلك اليوم هو اليوم الذى يدان فيه كل الناس . وقد اعتنق المسيحيون هذه الفكرة عينها ، غير أنهم اعتبروا أن « يوم الرب » هو أيضاً « يوم الرب يسوع » الذى فيه سيأتى يسوع ثانية بكل قوته ومجده . وسيكون هو يوم الدينونة حقاً . وقد رسم الشاعر الإنجليزى القديم caedmon فى إحدى قصائده صورة ليوم الدينونة ، فتخيل الصليب مرفوعاً فى وسط العالم ويشع منه نور غريب له خاصية أشعة إكس يكشف القناع عن كل ما استتر من الأشياء ويجعلها تظهر على حقيقتها . وتعلن العبارات التى ذكرها الرسول فى هذا الفصل ، بأنه عندما تأتى الدينونة فإن الإنسان الذى هو فى المسيح لن يكون خائفاً

لأنه سيكون بلا لوم ؛ إذ أنه سيكون مكتسباً لا بفضائله الشخصية بل بفضائل المسيح ، ولذلك فلن يستطيع أحد أن يتهمه أو يدعى عليه بشيء .

كنيسة منقسمة

(١ كورنثوس ١ : ١٠ — ١٧)

هنا يبدأ الرسول فى علاج الموقف الذى نشأ فى كنيسة كورنثوس . وكان بولس يكتب من أفسس . وكان هناك بعض العبيد المسيحيين الذين لهم صلة بمتجر سيدة اسمها خلوى ؛ وكانوا يترددون بين وقت وآخر على كورنثوس ومن هناك عادوا إلى أفسس يحملون قصة مؤسفة عن الانشقاقات والخصومات الحادثة فى كورنثوس .

وفى هذا الفصل يخاطب الرسول الكورنثيين مرتين بكلمة « إخوة » . ويقول بزا « Beza » المفسر القديم : « فى هذه الكلمة يقدم الرسول تذكيراً ضمنياً » .

وكان بولس يهدف من مجرد استعمال هذه الكلمة إلى شيئين ؛ كان يريد أولا أن يخفف من حدة زجره وانتهاره لهم ، وأن يجعلهم يحسون أن هذا الانتهار والتوبيخ لم يكن يوجهه إليهم فى شدة وعنف المدرس الذى يمسك أحياناً بالعصا ، بل فى لطف ورقة من لا يكن نحوهم إلا شعور الحب والأخوة . والأمر الثانى الذى كان بولس يهدف إليه من استعمال هذه الكلمة هو أن يبين لهم كم كانوا مخطئين فى انقساماتهم وانشقاقاتهم وخصوماتهم . لقد كان ينبغى عليهم كأخوة أن يعيشوا معاً فى وفاق ومودة الحب الأخوى . وفى محاولة بولس أن يصلح فيما بينهم استخدم عبارتين مهمتين . فقد طلب إليهم أن « يقولوا جميعهم قولا واحداً » . وهذه العبارة فى اللغة الأصلية هى العبارة عينها التى تستخدم عند تصفية أى نزاع بين دولتين متعاديتين أو حزبين متنافرين والوصول إلى اتفاق بينهما . وبعبارة أخرى كان بولس يطلب إليهم أن يكونوا جبهة واحدة . ثم إنه أرادهم أن « يكونوا كاملين » . وكلمة « كاملين » التى استخدمها الرسول هنا هى الكلمة الطبية عينها التى تستخدم فى لحام العظام المكسورة أو فى إعادة ربط المفصل الذى يكون قد تزحزح قليلا عن مكانه . أى أن الانقسامات فى الكنيسة كانت فى نظر بولس أمراً عارضاً غير طبيعى ينبغى علاجه لأجل سلامة جسد الكنيسة وصحته وكفايته .

ويتحدث بولس عن أربعة أحزاب كانوا فى كنيسة كورنثوس . ولم تخرج هذه الأحزاب بعيداً عن الكنيسة ؛ أى أنها كانت لا تزال داخل الكنيسة . والكلمة التى استخدمها بولس هنا لوصف هذه الأحزاب التى انقسمت إليها الكنيسة هى كلمة «Schismata » ، وهى كلمة تعنى « تمزق فى جلباب » . لقد كانت كنيسة كورنثوس فى خطر أن تصبح قبيحة المنظر كالجلباب الممزق . ويجب أن نلاحظ هنا أن الشخصيات الكبيرة المذكورة هنا ، بولس وصفا وأبولس ، لم يكن لهم أدنى شأن بهذه الانقسامات . أى أنه لم تكن هناك أية انشقاقات أو مشاحنات بين هؤلاء الأشخاص ؛ بل حشرت أسماؤهم وأُقحمت فى هذه الانشقاقات بواسطة الحزبيين والمشاغبين فى

كنيسة كورنثوس دون موافقتهم أو حتى علمهم . وقد يحدث فى أحيان كثيرة أن يكون من يزعمون أنهم أتباع شخص ما سبب متاعب ومشاكل كبيرة يواجهها هذا الشخص أكثر مما يسببه له أعداؤه المعروفون . والآن لنحاول أن نلقى بعض الضوء على هذه الأحزاب المتشاحنة لنرى ما كانت تدعيه وتتحمس له .

١ ـــ كان هناك الذين يزعمون أنهم يتبعون بولس . ولاشك أنهم كانوا جماعة من الأمم الذين كان بولس يكرز لهم دائماً بإنجيل الحرية المسيحية ونهاية الناموس . ومن المحتمل جداً أن هؤلاء الناس كانوا يحاولون أن يجعلوا من الحرية فرصة لإشباع شهواتهم ، وكانوا يريدون أن يتخذوا من الحرية المسيحية ما يبررون به تصرفاتهم . ويقول بولتمان « Bultmann » إن دلائل المسيحية وإشاراتها تفرض دائماً إلتزامات حتمية على من يعتنقها . وقد نسيت هذه الجماعة التى زعمت الانتماء إلى بولس ـــ أن بشارة المسيحية المفرحة تحتم أيضاً مراعاة الأخلاق المسيحية الفاضلة . لقد نسوا أنهم خلصوا ، لا ليكونوا أحراراً فى عمل الخطية بل ليكونوا أحراراً منها .

٢ ـــ وكان هناك من يدعون أنهم يتبعون أبولس . وكان أبولس هذا ، كما يصفه سفر الأعمال فى الأصحاح الثامن عشر والعدد الرابع والعشرين ، رجلا يهودياً اسكندرى الجنس فصيحاً مقتدراً فى الكتب . وكانت الإسكندرية فى ذلك الوقت مركزاً للنشاط العقلى . وهناك ابتدع الباحثون والذين كانوا يدرسون الكتب المقدسة طريقة تفسير الكتب المقدسة تفسيراً مجازياً رمزياً وكانوا يتفننون فى استنتاج معان كثيرة غامضة ومعقدة من الآيات البسيطة الواضحة . ولنقدم هنا مثلا لما كانوا يفعلون . قالوا إن عدد أفراد غلمان أبرام ولدان بيته كما جاء فى تكوين ١٤ : ١٤ كانوا ٣١٨ شخصاً . وهم الأشخاص الذين اختتنوا . ولما كان اليونانيون يستخدمون حروف الكتابة للدلالة على الأرقام ، فقد حللوا هذا الرقم على النحو التالى : الحروف اليونانية لرقم ١٨ هى عينها الحرفان الأولان لاسم يسوع ، وحروف رقم ٣٠٠ تعنى شكل الصليب . وهكذا زعموا أن هذه الحادثة القديمة (ختان ٣١٨ شخصاً) إنما هى نبوءة عن صلب يسوع على الصليب . وعلى هذا المنوال سارت معظم الدراسات والتفاسير بين الإسكندريين . وفضلا عن ذلك فقد كان الإسكندريون متحمسين جداً للدراسات الأدبية والمسائل العقلية والفكرية . والحقيقة أن هؤلاء الاسكندريين هم الذين حاولوا أن يتخذوا من المسيحية مجالا وموضوعاً جديداً للدراسات والمجادلات الفكرية . ولاشك أن الذين ادعوا أنهم يتبعون أبولس كانوا هم جماعة العقليين الذين كانوا يريدون أن يحولوا المسيحية إلى مجرد فلسفة جديدة وليست ديناً .

٣ ـــ أما الفريق الثالث فكانوا يدعون أنهم من أتباع صفا . وصفا هو الاسم اليهودى لبطرس . وأغلب الظن أن معظم هؤلاء كانوا من اليهود الذين كانوا ينادون بوجوب مراعاة الناموس اليهودى واتباعه . وفى حماسهم لتمجيد الناموس كانوا يقللون من شأن النعمة .

٤ ـــ وأما الفريق الرابع فقد كانوا يقولون إنهم للمسيح . وهذا يمكن أن يفسر بأحد أمرين :

(١) لم يكن هناك علامات وقف بالمرة فى المخطوطات اليونانية ، ولم يكن هناك أى فراغ بين الكلمات . فربما كانت الكلمة الأخيرة لا تعنى بالمرة أن هناك حزباً ، بل إنها مجرد تعليق ورأى

بولس نفسه . وفى هذه الحالة تكون العبارة على هذا النحو : « أنا لبولس ، أنا لأبلوس ؛ أنا لصفا ــ وأنا (وهنا يتحدث بولس عن نفسه) للمسيح » . أى أنه يحتمل جداً أن تكون الكلمة الأخيرة هى تعليق بولس على الموقف المحزن كله .

(ب) أما إذا لم يكن الأمر كذلك ، وإذا كان هناك فعلا فريق يدعى أنه للمسيح ، فلابد أنه كان طائفة صغيرة متزمتة جداً تحس بالبر الذاتى وتدعى أنها وحدها تكون جماعة المسيحيين الحقيقيين فى كورنثوس . و لم تكن غلطتهم الحقيقية فى إعلانهم أنهم ينتمون للمسيح ، بل فى تصورهم أن المسيح هو الذى ينتمى إليهم ، ولابد أنهم كانوا متعصبين جداً فخورين ببرهم الذاتى .

ولا ينبغى أن يتطرق إلى الذهن أن بولس كان يقلل من شأن المعمودية ، فإن الناس الذين عمدهم كانوا أفراداً مبرزين جداً . وربما كان استفاناس هو باكورة كل المتجددين (١كورنثوس ١٦ : ١٥) ؛ وكان منهم كريسبس رئيس المجمع اليهودى فى كورنثوس (أعمال ١٨ : ٨) ؛ كذلك غايس مضيف بولس ومضيف الكنيسة كلها (رومية ١٦ : ٢٣) .

والنقطة المهمة هنا هى أن المعمودية كانت باسم يسوع . وهذه العبارة فى معناها اليونانى تعنى أوثق وأمتن اتحاد ممكن ، فعندما كان إنسان ما يقدم مبلغاً من المال « باسم » إنسان آخر كان هذا يعنى أن المبلغ المقدم قد أصبح ملكاً لذلك الإنسان ؛ وعندما كان يباع عبد « باسم » إنسان ما فقد كان هذا العبد يصبح بلا منازع ملكاً كاملا لذلك الإنسان ، وكان الجندى يعبر عن ولائه الكامل وتبعيته الكلية لقيصر عندما كان يقسم « باسم » قيصر . أى أن هذه الكلمة « باسم » كانت تعنى الملكية الكاملة المطلقة . ولكنها فى المسيحية كانت تعنى أكثر من ذلك ، إنها تعنى أن يصبح المسيحى بطريقة عجيبة واحداً مع المسيح وفيه .

وكأن بولس أراد أن يقول : « إننى مسرور لأنى كنت مشغولا فى الدعوة والتبشير ، إذ أننى لو كنت قد عمدت كثيرين منكم لاتخذ بعضكم من هذا مبرراً لزعمهم أنهم اعتمدوا باسمى وليس باسم المسيح وله » فبولس إذن لم يكن يقصد أن يقلل من أهمية المعمودية ، بل كان يعبر فقط عن سروره لأنه لم يأت أى تصرف يمكن أن يتخذ حجة ضده للادعاء عليه أنه كان يحاول أن يجذب الناس إليه ويكسبهم لشخصه هو وليس إلى شخص المسيح .

ويقول بولس إنه قصد أن يقدم أمام الناس صليب المسيح فى أبسط وأوضح صورة ممكنة ؛ فهو يعرف تماماً أنه عندما يقدم قصة الصليب بحكمة الكلام وروعة البيان ؛ فإن هذا يجعل الناس يفكرون فى اللغة أكثر من تفكيرهم فى الحقائق ؛ وفى المتكلم أكثر من الرسالة نفسها . وقد كان هدف بولس الوحيد هو أن يقدم للناس ، لا شخصه هو ، بل شخص المسيح نفسه فى عظمته وجلاله .

لليهود عثرة ولليونانيين جهالة

(١ كورنثوس ١ : ١٨ ــ ٢٥)

كانت القصة التى ترويها المسيحية فى نظر اليونانيين المثقفين واليهود الأتقياء مجرد جهالة وحماقة غريبة . ولهذا يبدأ بولس حديثه بالإشارة إلى عبارتين وردتا فى إشعياء ٢٩ : ١٤ ؛ ٣٣ : ١٨ لكى يبين كيف أن الحكمة الإنسانية المجردة لابد أن يكون نصيبها الفشل . وهو هنا يقرر الحقيقة التى لا يمكن أن تنكر ، وهى أن العالم ــ بكل ما لديه من حكمة ــ فشل فى أن يصل إلى الله بحكمته هذه ؛ وأنه كان لا يزال يتلمس الطريق فى بحثه عن الله وقد استخدم الله هذا البحث لكى يرى الناس عجزهم وقصورهم ، ولكى يمهد الطريق لقبول المسيح الذى هو الطريق الحقيقى الوحيد الذى يوصل الناس إلى الله .

فماذا إذاً كانت هذه الرسالة المسيحية ؟ إذا درسنا العظات الأربع العظيمة التى ورد ذكرها فى سفر الأعمال (أعمال ٢ : ١٤ ــ ٣٩ ، ٣ : ١٢ ــ ٢٦ ، ٤ : ٨ ــ ١٢ ؛ ١٠ : ٣٦ ــ ٤٣) نجد هناك مبادىء أساسية معينة دائمة فى التعليم المسيحى :

(أ) نجد فيها أن وعد الله العظيم قد تحقق .

(ب) ونقرأ فيها ملخصاً لحياة يسوع وموته وقيامته .

(ج) ونتعلم منها أن كل ذلك إنما هو إتمام وتحقيق للنبوات .

(د) ونجد فيها التأكيد بأن يسوع سيأتى ثانية .

(هـ) ثم نجد أخيراً دعوة مستعجلة لكل الناس لأن يتوبوا ويقبلوا عطية الروح القدس .

١ ــ كانت هذه الرسالة « رسالة الصليب » بالنسبة لليهود عثرة . لماذا ؟ هناك سببان لذلك :

(أ) لم يكن ممكناً أن يصدق اليهود أن الشخص الذى انتهت حياته على الصليب (كما كانوا يزعمون) يمكن أن يكون هو « الشخص المختار من الله »

وقد استشهدوا على ذلك بما ورد فى ناموسهم صراحة : « لأن المعلق ملعون من الله » (تثنية ٢١ : ٢٣) . وكانت حادثة الصلب ، فى نظر اليهود ، تدحض أى ادعاء أو برهان على أن يسوع كان هو ابن الله . وبالرغم من وجود الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء فى أيديهم وأمام أعينهم ، فإن صورة المسيح المتألم كانت بعيدة كل البعد عن تصوراتهم أو أحلامهم . ولذلك فإن الصليب بالنسبة لليهود كان ، ولا يزال ، هو العقبة الكبرى فى سبيل إيمانهم بيسوع .

(ب) كان اليهود يبحثون عن العلامات والأدلة التى تبرهن على القوة والجبروت ، ولذلك كانوا يندفعون وراء كل من يزعم القدرة الخارقة على إتيان الحوادث التى تسبب الذعر والرعب والتحطيم . وفى الوقت عينه الذى كان الرسول يكتب فيه رسالته ظهرت حفنة من المسحاء الكذبة الذين خدعوا

الكثيرين بوعودهم الزائفة وادعائهم أنهم يقدرون على صنع العجائب والمعجزات . وهكذا أغروهم على الإيمان بهم . ففى عام ٤٥ م ظهر رجل اسمه ثيوداس حرض آلافاً من الناس أن يهجروا بيوتهم وأن يتبعوه إلى الأردن واعداً إياهم أنه بأمره وسلطانه سيقسم الأردن وأنه سيقودهم عبره دون أن تبتل نعالهم .

وفى عام ٥٤ م وصل إلى أورشليم رجل من مصر زاعماً أنه النبى واستطاع أن يحث قرابة ثلاثين ألف شخص على أن يخرجوا لاتباعه حتى جبل الزيتون بقوله إنه بأمره وقدرته ستنهدم وستسقط كل أسوار أورشليم وجدرانها .

وهكذا كانت الأشياء التى كان يبحث عنها اليهود ويتطلعون إليها . ولكنهم رأوا فى يسوع شخصاً وديعاً متواضعاً ، شخصاً يتعمد أن يتجنب الظهور ، ويعيش بين الناس كمن يخدم ، وتنتهى حياته على صليب . وكانت هذه الصورة فى نظرهم يستحيل أن تكون هى صورة « الشخص المختار من الله » .

٢ ــ وكانت هذه الرسالة « رسالة الصليب » بالنسبة لليونانيين جهالة . وهنا أيضاً يوجد سببان لذلك .

(أ) كان اليونانيون يعتقدون أن الصفة الأولى التى يتميز الله بها هى الجمود وفقدان الشعور تماماً . وكانوا يقولون إن الله لا يمكن ولا يقدر أن يشعر ، لأنه إذا شعر الله فى أى وقت بالفرح أو الأسى أو الغضب أو الحزن فإن معنى هذا أن شخصاً ما استطاع فى ذلك الوقت أن يؤثر فيه أو يثير مشاعره . وإذا كان الأمر كذلك ، فهذا يعنى أن الله قد خضع فى ذلك الوقت لتأثير إنسان معين . وهذا يعنى بالتالى أن ذلك الإنسان قد أصبح أعظم من الله لمدة معينة . ولهذا السبب اعتقد اليونانيون أن الله لابد أن يكون غير قادر على الإحساس بأى شعور ، حتى لا يخضع أبداً لتأثير أى شخص أو شيء . ولذلك كانت فكرة الإله المتألم بالنسبة لليونانيين تحمل تناقضاً مع الصفات الإلهية . بل قد ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فأعلن (بلوتارك) أنها إهانة بالغة إلى الله أن نجعله يتورط فى الشئون البشرية أو أن نقحمه فيها . ومن ثم فقد كان الفكر اليونانى يستنكر بشدة فكرة الإله المتجسد . ويقول أغسطينوس ، الذى كان أديباً وعالماً عظيماً قبل أن يصير مسيحياً بوقت طويل يقول إنه وجد فى أقوال الفلاسفة اليونانيين ما يشبه كثيراً تعاليم المسيحية ، ولكن الشيء الوحيد الذى لم ير له مثيلا عند اليونانيين هو (والكلمة صار جسداً ، وحل بيننا) . وكتب (سلسوس celsus) . الذى هاجم المسيحيين بشدة فى أواخر القرن الثانى بعد الميلاد ، يقول : « إن الله صالح وجميل وسعيد ، وهو يوجد فى كل ما هو أجمل وأفضل . فإذا قيل إنه « تجسد » فإن هذا يعنى أنه تغير من الأرقى والأصلح إلى الأدنى والأردأ ، ومن الأجمل إلى الأقبح ، ومن السعادة إلى التعاسة ، ومما هو أفضل إلى ما هو أسوأ . فمن ذا الذى يختار لنفسه ويقبل لها مثل هذا التغيير ؟ إن تغيير الطبيعة بالنسبة للعالم الفانى ممكن ، وقد يكون سهلا . ولكن الأمور فى عالم البقاء تبقى كما هى إلى الأبد . والله لا يمكن أبداً أن يقبل مثل هذا التغيير » . وخلاصة القول إن اليونانيين المفكرين كانوا يعتبرون تجسد الإله أمراً مستحيلا تماماً . ولم يكن ممكناً أبداً بالنسبة لأناس هذا

تفكيرهم وتلك عقيدتهم أن يصدقوا أن شخصا أحب الناس وتألم مكانهم وقاسى لأجلهم كما فعل يسوع ، يمكن أن يكون هو حقاً ابن الله .

(ب) كان اليونانيون يطلبون الحكمة ويبحثون عنها . وكلمة « سفسطى **Sophist** » فى الأصل اليونانى كانت تعنى أولا الرجل الحكيم العاقل ؛ ولكنها تحولت فأصبحت تعنى الرجل الذكى صاحب اللسان الماكر الملتوى ! أو البهلوان العقلى ، أو الرجل الذى يستطيع بالبيان البراق أن يجعل الأسوأ يبدو فى نظر الناس وكأنه الأحسن والأفضل . كما أنها أصبحت تعنى الرجل الذى يقضى ساعات لا نهاية لها فى مناقشة التوافه من الأمور الصغيرة ، الرجل الذى لا يهمه كثيراً أن يصل إلى الحلول ، ولكنه يتفاخر كثيراً عندما ينجح فى إثارة الأفكار وتهييج العقول ؛ الرجل الذى يعتد كثيراً بمكره ولباقته ولسانه الفضى الذى يجتذب إليه إعجاب الجمهور . ويصف **Dio Chrysostom** حكماء اليونان هؤلاء بقوله : « إنهم يشبهون الضفادع التى تنق فى المستنقعات ؛ إنهم أتعس الناس ، لأنهم بالرغم من جهلهم يظنون أنهم حكماء ؛ وهم كالطواويس . يتباهون بشهرتهم وبعدد تلاميذهم كما تختال الطواويس بأذيالها » . ومهما أسهبنا أو أطنبنا فى وصف المكانة الخيالية التى كان « أصحاب الألسنة الفضية » المقتدرون فى البيان يتمتعون بها فى بلاد اليونان فلن يصل بنا الإسهاب أو الإطناب حد المبالغة . ويقول عنهم بلوتارك **plutarch** :

« لقد كانوا يهتمون جداً بتجميل أصواتهم وبتجويد عباراتهم وتلحين أقوالهم وتنغيمها » . ولم يوجهوا إهتمامهم إلى ما يقولون ، ولكنهم كانوا يهتمون بالكيفية التى يقولونه بها . وقد تكون أفكارهم مسمومة ومؤذية ، ولكن هذا لم يهمهم فى شيء ، طالما أنهم كانوا يغلفون هذه الأفكار بكلمات معسولة . ويخبرنا فيلوستراتس « **Philostratus** » أن (أدريان) السفسطى ذاعت شهرته فى روما بحيث أنه عندما كان رسوله يعلن أنه سيتحدث فى ساعة معينة ، كان أعضاء مجلس الأعيان يهرعون إلى سماع حديثه ، وكان الناس يتركون ألعابهم ومشاغلهم ويتزاحمون على الاستماع إليه . ويرسم (ديوكريزوستم **Dio chrysostom**) صورة لهؤلاء « الحكماء » المزعومين ولمنافساتهم فى كورنثوس نفسها أثناء الألعاب الأثمانية **Isthmian Games** فيقول : « كان كثير من السفسطائيين التعساء يصيحون ويسبون بعضهم بعضاً ويشتمون تلاميذهم عندما كانوا ينادونهم ، وكانوا يتنازعون فيما بينهم . وبينما كان كثير من الكتاب يقرأون كتاباتهم السخيفة والشعراء ينشدون قصائدهم . والمشعوذون يعرضون ألعابهم وأعاجيبهم ، بينما كان كثير من العرافين يحاولون أن يقدموا معنى لما يجرى أمامهم من أعاجيب وآيات ، فى الوقت عينه الذى كان فيه حوالى عشرة آلاف من المقتدرين فى البيان يتجادلون فى كثير من القضايا ، وإلى جانبهم عدد غير قليل من التجار يعرضون بضائعهم المتعددة » . وكان اليونانيون قد سكروا بالعبارات والكلمات الجميلة ، ومن هنا كانت الرسالة المسيحية فى نظرهم تبدو فجة ، واعتبروا الرسول المسيحى شخصاً غير مثقف ، يستحق الهزء به والسخرية منه بدلا من الإنصات إليه واحترامه .

وبدا كأن فرصة النجاح أمام الرسالة المسيحية فى بيئة الحياة اليهودية أو اليونانية فرصة ضئيلة ؛ ولكن ، كما قال بولس ، ما يبدو أنه جهالة الله إنما هو أحكم من حكمة الناس ، وما يبدو أنه ضعف الله إنما هو أقوى من قوة الناس .

العار الممجد

(١ كورنثوس ١ : ٢٦ — ٣١)

هنا نجد بولس يفتخر بكون الكنيسة ؛ أو معظمها ؛ من أدنياء الناس وأبسطهم . ولكن ليس معنى هذا أن الكنيسة الأولى كانت تتكون كلية من العبيد . فحتى فى الأيام التى كتب فيها العهد الجديد إعتنق المسيحية أناس من أرقى طبقات المجتمع آنذاك . فكان هناك ديونيسيوس الأريوباغى فى أثينا (أعمال ١٧ : ٣٤) ؛ والوالى سرجيوس بولس (أعمال ١٣ : ٦ — ١٢) ؛ والنساء الشريفات فى تسالونيكى وبيريه (أعمال ١٧ : ٤ و ١٢) ؛ وأراستس خازن المدينة ربما كانت مدينة كورنثوس نفسها (رومية ١٦ : ٢٣) . وفى عصر نيرون استشهدت لأجل مسيحيتها بومبونيا جريسينا زوجة بلوطيوس قاهر بريطانيا . وفى أيام دوميتيان فى النصف الأخير من القرن الأول للميلاد ، استشهد بسبب مسيحيته فلافيوس كليمنز ابن عم الامبراطور نفسه . وفى القرن الثانى كتب بلينى حاكم بيثينية إلى الامبراطور الرومانى تراجان يقول إن الناس من كل الطبقات فى المجتمع كانوا يعتنقون المسيحية . ولكن كل ذلك لا ينفى أن السواد الأعظم من المسيحيين كانوا من الناس العاديين البسطاء .

وحوالى عام ١٧٨ بعد الميلاد كتب سلسوس يهاجم المسيحية ويندد بها بشدة . وكان أكثر ما سخر به منها هو أنها كانت تجتذب إليها الطبقات الشعبية العادية من الناس . وأعلن فى سخرية لاذعة أن المسيحية كانت تشترط على من يعتنقها ألا يكون مثقفاً . وألا يكون حكيما وألا يكون عاقلا ؛ وأنها كانت تفتح ذراعيها لترحب بالجهال والسذج وعديمى الثقافة والعقل . وكتب عن المسيحيين يقول : « إنهم حفنة من الإسكافيين وجزازى الصوف وقصارى الأقمشة . إنهم أجهل وأدنى الناس » . وقال « إن المسيحيين يشبهون سرباً من الخفافيش — أو النمل الذى يزحف من أعشاشه ، أو الضفادع التى تتجمع حول مستنقع . أو الديدان التى توجد فى زاوية من الطين » .

والواقع أن ما سخر منه سلسوس كان هو عين ما تفخر به المسيحية . فقد كانت الامبراطورية آنذاك تضم حوالى ستة ملايين من العبيد الأرقاء . وكان العبد فى نظر القانون مجرد « آلة » أو « شىء » ، ولم يكن العبد يحسب « شخصاً » أو « إنساناً » على الإطلاق . وكان السيد عندما يستغنى عن عبد عجوز مثلا يرميه كما يرمى فأساً أو معولا قديماً . وكان يستطيع أن يسلى نفسه بأن يعذب عبيده أمامه . كما كان يمكنه أن يقتلهم دون أى رادع أو حسيب .

ولم يكن هناك بين العبيد زواج بالمعنى المعروف بين السادة ، ولكن حتى أولاد العبيد كانوا يعتبرون ملكاً لسادتهم كما تعتبر حملان الأغنام ملكاً للراعى وليس للأغنام نفسها . ومن هنا كان يحق للمسيحية أن تفخر لأنها أعادت للناس الذين كانوا يعتبرون « أشياء » — اعتبارهم لإنسانيتهم وآدميتهم ، بل وأكثر من هذا جعلتهم أولاداً وبناتاً لله . ومنحت الذين لم يكن لهم — أى احترام أو اعتبار — احترامهم لأنفسهم ، وأعطت للذين لم تكن لهم أية حياة — الحياة الأبدية ، وعلمت الناس أنه وإن لم يكن أمرهم يهم الناس الآخرين فإن أمرهم يهم الله جداً . كما علمت الناس الذين

كانوا فى نظر العالم لا قيمة لهم — أن لهم قيمة عظمى فى نظر الله حتى لقد بذل لأجلهم ابنه الوحيد . إن المسيحية كانت — ولا تزال — أعظم قوة فى العالم تسمو بحياة الإنسان وترفعه إلى أعلى .

ويختتم بولس هذا الأصحاح باقتباس من سفر إرميا ٩ : ٢٣ و ٢٤ . ويعلق بولتمان **Bultman** على هذا بقوله إن أساس كل الخطايا هو خطية « حب إثبات الذات » أو « الرغبة فى الافتخار بالذات » ؛ وأن التدين الحقيقى يبدأ عندما ندرك أننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً ما من ذواتنا ، وأن الله هو الذى يقدر وسيفعل كل شيء . وحقيقة الحياة المدهشة هى أن الناس الذين يدركون ضعف ذواتهم ، وقلة حكمتهم ، وعجزهم وقصورهم ، هم الذين يصبحون فى النهاية أقوياء وحكماء . كما أن الحقيقة التى يؤكدها الاختبار ، هى أن الشخص الذى يظن أنه يستطيع أن يتعهد حياته كلها بقوته الذاتية وبمفرده ، لابد أن يقود حياته إلى الانهيار والدمار .

وهنا نرى بولس يصر على أن المسيح قد صار لنا حكمة وبراً وقداسة وفداء :

(أ) **هو حكمة** : إن المسيح هو الخبير الأوحد فى الحياة . ولن نستطيع أن نسلك باستقامة فى الحياة إلا باتباعه هو فقط ، ولن نستطيع أن نسمع الحق فى الحياة إلا بالاستماع إليه هو دون سواه .

(ب) **هو بر** : وكلمة بر فى كتابات بولس تعنى دائماً « علاقة سليمة مع الله » ولن يمكن لنا أبداً أن نحقق مثل هذه العلاقة بيننا وبين الله بمجهوداتنا الذاتية ، إذ أن هذه العلاقة تتحقق فقط عن طريق يسوع المسيح ، عندما ندرك أنها تتأتى ليس مما نستطيع نحن أن نعمله لأجل الله ، بل مما قد عمله الله لأجلنا فعلا .

(ج) **هو قداسة** : ولا يمكن أن تكون الحياة كما ينبغى أن تكون إلا فى وجود المسيح فيها . تعود أبيقور أن يقول لتلاميذه : « عيشوا كما لو كان أبيقور يراكم دائماً » . ولكن بالنسبة لعلاقتنا بالمسيح لا توجد كلمة « كما لو » . وذلك لأن المسيحى يمشى دائما مع المسيح ، وبهذه الشركة وحدها يستطيع المسيحى أن يحفظ ثيابه نظيفة تماماً من أية لوثة يحاول العالم أن يلطخها بها .

(د) **هو فداء** : تعود « ديوجينس » أن يشكو من أن الناس كانوا يهرعون إلى أطباء العيون وأطباء الأسنان ، ولكنهم لم يكونوا يذهبون إلى الرجل الذى يستطيع أن يشفى نفوسهم ، وكان يقصد بذلك الرجل الفيلسوف . ولكن يسوع المسيح يستطيع أن يحرر الإنسان من خطاياه فى الماضى ، ومن عجزه فى الحاضر ، ومن خوفه من المستقبل . فهو الذى يحرر الإنسان من عبوديته للذات وللخطية .

الأصحاح الثانى

الكرازة والقوة

(١ كورنثوس ٢ : ١ — ٥)

وهنا يعود بولس بالذاكرة إلى الوقت الذى جاء فيه أولا إلى كورنثوس ، ويسجل من ذاكرته ثلاثة أشياء بارزة :

١ — أنه أتى إلى كورنثوس متحدثاً ببساطة . فقد جاء ليتحدث عن قصة الصليب بما فيها من بساطة مثيرة . وكان بولس قد جاء إلى كورنثوس من أثينا . وعلى قدر معلوماتنا كانت أثينا هى المكان الذى حاول فيه بولس ، للمرة الوحيدة فى حياته ، أن يقدم المسيحية فى عبارات ونصوص فلسفية . فهناك على جبل « مارس » إله الحرب كان بولس قد تقابل مع الفلاسفة وحاول أن يكلمهم باللغة التى يفهمونها ، وأن يقتبس بعض عباراتهم وأقوالهم الخاصة (أعمال ١٧ : ٢٢ — ٣١) . وكانت هذه المرة أيضاً هى إحدى المرات القليلة التى فشل فيها بولس ، ولم يكن لعظته ، التى استخدم فيها الفلسفة ، سوى تأثير قليل جداً (أعمال ١٧ : ٣٢ — ٣٤) . ويبدو أن بولس قال لنفسه ساعتئذ :

« لن أكرر ذلك أبداً ! من الآن فصاعداً سأروى قصة يسوع ببساطتها الكاملة . ولن أحاول ثانية أن أغلف هذه القصة فى قالب بشرى . لن أعرف شيئاً بعد الآن إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » . والحقيقة أن قصة حياة يسوع الخالصة دون أية محاولة أو جهد لزخرفتها أو تجميلها إنما تحمل فى ذاتها قوة فريدة عجيبة لجذب قلوب الناس إليها . ويذكر دكتور « جيمس استيوارت » فى إحدى كتبه مثالاً لذلك ، فيقول إن المرسلين المسيحيين عندما جاءوا إلى بلاط الملك كلوفيس قصوا عليه قصة الصليب . وعندما كان الملك العجوز يستمع إليهم مد يده إلى مقبض سيفه واستله قائلا : « لو كنت أنا وشعبى هناك لكنا قد هجمنا على الجلجثة وأنقذناه من يد أعدائه » . إن الحقيقة هى أن البساطة لها دائماً القوة والتأثير اللذين لا يحققهما أى شىء آخر . وعندما نتعامل مع الناس العاديين نجد أن الصورة الحقيقية الحية البسيطة تأسر قلوبهم وألبابهم أكثر مما تستطيع الحجج المقنعة أن تفعل . وستظل هذه الحقيقة دائمة ، وهى أن أقصر سبيل لمخاطبة معظم الناس وللوصول إلى أعماقهم لا يكون عن طريق العقل ، ولكن عن طريق القلب .

٢ — وأنه قد جاء متحدثا فى **خوف ورعدة كثيرة** . وهنا ينبغى أن نلاحظ أن خوف بولس لم يكن خوفاً لأجل سلامته الشخصية ، ولا خجلا من الإنجيل الذى كان يكرز به . ولكنه كان بمثابة « القلق الشديد لأداء الرسالة والواجب » .

ويستعمل بولس عبارة « خوف ورعدة » التى ينسبها إلى نفسه هنا ، عندما تحدث عن الطريقة التى ينبغى أن يخدم فيها العبيد ذوو الضمائر الحية سادتهم ، وأن يطيعوهم (أفسس ٦ : ٥) ، والرجل الذى يتصدى لأداء عمل عظيم دون رعدة لا يمكن أن يؤدى هذا العمل على الوجه الأكمل .

والممثل العظيم حقاً هو الممثل الذى يظل مشغولا جداً بدوره قبل أن تبدأ الحفلة . والواعظ المقتدر والمؤثر حقاً ، هو الواعظ الذى تسرع نبضات قلبه عندما يكون على أهبة الوعظ . وقد يستطيع الرجل الذى يتصدى لعمل ما دون خوف أو رعدة ، أو توتر أو تهيب ، أن يؤدى هذا العمل بكفاءة واقتدار ؛ ولكن الرجل الذى يقدم على عمله فى لهفة واهتمام بالغ ورعدة كثيرة هو الرجل الذى يستطيع أن يضمن لعمله تأثيراً عظيماً لا تحققه مجرد الإجادة الفنية .

٣ — وأنه قد جاء بنتائج وليس بمجرد كلمات . فقد كانت نتيجة كرازة بولس أن أشياء معينة حدثت . ويقول بولس إن كرازته قد تأيدت وتبرهنت ببرهان الروح والقوة . ولقد كان هذا البرهان هو برهان النفوس التى تغيرت حياتها . فإن شيئاً ما ، جديداً تماماً ، دخل إلى مجتمع كورنثوس الدنس ، فأوجد فيه خليقة جديدة وعمل فيه تطهيراً ملحوظاً . اعتاد « جون هانون » أن يردد قصة رجل كان سكيراً مستهتراً ثم آمن بالمسيح ، فتغيرت حياته تماماً . وكان زملاؤه فى العمل يحاولون أن يزعزعوا إيمانه . وأن يشككوه فى المسيح فكانوا يقولون له : « إن رجلاً عاقلاً مثلك لا يمكن أن يصدق المعجزات المذكورة فى الكتاب المقدس . فأنت لا تستطيع مثلا أن تصدق أن يسوعك هذا الذى تؤمن به قد حول الخمر الماء إلى خمر فعلا » . فكان الرجل يجيبهم قائلا : « سواء أكان المسيح قد حول الماء إلى خمر أم لا ، لست أدرى ، ولكنى أدرى أنه فى بيتى أنا بالذات قد رأيته يحول إلى الخمر أثاث ملأ غرف البيت » .

ولا يستطيع أحد أن يجادل ضد برهان الحياة المتغيرة المتجددة . إننا نخطىء كثيراً عندما نحاول أن نجتذب الناس إلى المسيحية بكلام الحكمة الإنسانية بدلا من أن نقدم لهم شخص المسيح عملياً فى حياتنا الشخصية . قال أحدهم « إن القديس هو الذى يحيا المسيح فيه ثانية » .

الحكمة التى من الله

(١ كورنثوس ٢ : ٦ — ٩)

يشرح الرسول فى هذه الفقرة الفرق بين الأنواع المختلفة من التعليم المسيحى ، كما يشرح الفرق بين المراحل المختلفة للحياة المسيحية . وفى الكنيسة الأولى كان هناك فرق واضح ومميز بين نوعين من التعليم :

(أ) فكان هناك مجرد « الكرازة » البسيطة الصريحة وهى عبارة عن إعلان حقائق المسيحية الأساسية التى لا جدال حولها . وواضح أن ذلك كان بمثابة المرحلة الأولى التى تتضمن الإعلان أمام الناس عن حقائق حياة يسوع وموته وقيامته وعن مجيئه الثانى .

(ب) وكان هناك أيضاً ما يسمى « بالتعليم » ، وهذا كان يعنى شرح معانى ومفاهيم الحقائق التى سبق الكرازة بها . وواضح أن خطورة « التعليم » كانت تتبع مرحلة « الكرازة » ، وأنها كانت تقدم للذين سبق فقبلوا « الكرازة » ، وهذا ما يحاول الرسول هنا أن يصل إليه ، فحتى ذلك الوقت

كان الرسول يتحدث عن يسوع المسيح وإياه مصلوباً ، باعتبار أن ذلك كان هو الإعلان الأساسى للمسيحية ؛ ولكنه يستطرد فيقول إننا لا ينبغى أن نتوقف عند هذا الحد ؛ فإن التعليم المسيحى لا يكفى بالإعلان عن الحقائق ، ولكنه يهتم أيضاً بشرح هذه الحقائق وما تعنيه . ويقول الرسول إن هذا النوع من التعليم ينبغى أن يكون بين « الكاملين » . والواقع أن الكلمة الأصلية التى ترجمت إلى « الكاملين » هنا تعنى أكثر من ذلك . فهى تتضمن أيضاً ذروة النمو والنضوج ، وهى تستعمل لوصف حيوان أو إنسان بلغ نموه الكامل ووصل إلى أعلى درجات نموه الجسدى . فضلا عن أنها تحمل أيضاً نفس المعنى من الناحية العقلية أو الذهنية . وقد اعتاد « بيثاغوراس » أن يقسم تلاميذه إلى قسمين : « أطفال » و « كاملين » ؛ أى الذين تعدوا مرحلة التعليم الأولى فى المبادىء الأساسية فى أى موضوع ، والذين أصبحوا تلاميذ ناضجين وبنفس هذا المعنى يستخدم بولس هذه الكلمة هنا . وكأنه يقول : (لرجل الشارع وللذين جاءوا حديثاً إلى الكنيسة) « نحن نتحدث عن الحقائق الأولية الأساسية للمسيحية ؛ ولكن عندما يصبح هؤلاء الناس أكثر نضوجاً فإننا نقدم لهم تعليما أكثر عمقاً وتفصيلا عما تعنيه هذه الحقائق » . ولا يشير الرسول هنا إطلاقاً إلى أية فروق طائفية أو عنصرية بين أنواع مختلفة من المسيحيين . إنه يشير فقط إلى الفروق فى مستويات حياتهم ، ويعنى أن اختلاف المستويات أو المراحل فى حياتهم يتطلب أنواعاً مختلفة من التعليم . والمأساة التى تحدث كثيراً هى أن الناس يقنعون بالبقاء فى المرحلة الأولية فى الوقت الذى ينبغى فيه أن يجاهدوا بغيرة ونشاط ليزودوا أنفسهم بقدر وافر من المعرفة والعلم والحكمة .

ويستعمل بولس هنا كلمة لها دلالة فنية خاصة . فيقول « نتكلم بحكمة الله فى سر » . والكلمة اليونانية الأصلية المترجمة هنا « سر » تفيد الشىء الذى لا يدرك المبتدئون معناه ويستعصى عليهم فهمه ، ولكنه واضح كل الوضوح ومفهوم جداً للناضجين والمختبرين . ويمكن أن تعنى هذه الكلمة أيضاً شعيرة أو طقساً معيناً يمارس فى مجتمع ما ، ويفهمه كل أفراد هذا المجتمع فهماً جيداً . بينما يستغلق فهمه على أى شخص آخر غريب . وكأن ما يريد بولس أن يقوله هو : « إننا سنتكلم عن أشياء وسنشرح أشياء لا يستطيع أن يفهمها ويستوعبها إلا الشخص الذى سبق أن سلم قلبه للمسيح » .

ولكن بولس يصر على أن هذا التعليم الخاص ليس وليد الفكر البشرى أو نشاط الذهن الإنسانى ؛ بل إنه هبة الله التى قدمها للعالم فى يسوع المسيح . فكل المعرفة والحكمة هى من الله . وهى ثمرة لقاء روح الإنسان الذى يطلب الله مع روح الله الذى يكشف نفسه للانسان . وكل ما استطاعت أذهاننا أن تتوصل إليه من معرفة وعلم إنما هو فى الواقع ما أخبرنا الله به وما سمح لنا أن نستكشفه . لكن هذا ليس معناه أبداً أنه يعفينا من مسئولية بذل المزيد من الجهد الإنسانى . بل كما أن التلميذ المجد يجعل نفسه ، بجده واجتهاده ومثابرته على العمل ، صالحاً لتقبل واستيعاب كل ما فى عقل أستاذه من كنوز العلم والمعرفة ، هكذا الأمر بالنسبة لموقفنا مع الله . فكلما طلبنا من الله واجتهدنا فى أن نفهم ، زادنا الله فهماً وإدراكاً ومعرفة . ولا توجد حدود تنتهى عندها هذه العملية ، لأن كنوز الله غنية جداً لا يمكن حصرها أو إدراكها كلها بعقولنا وحواسنا المحدودة .

أشياء روحية لأناس روحيين

(١ كورنثوس ٢ : ١٠ — ١٦)

يذكر الرسول فى هذه العبارات بعض الأشياء الأساسية جداً .

١ — يقرر بولس الحقيقة الجوهرية أن الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يخبرنا عن الله هو روح الله ، ويوضح قوله بتشبيه أو قياس بشرى . فهناك أشياء معينة عن الإنسان لا يعرفها إلا روح الإنسان نفسه . وهناك مشاعر شخصية ، وأشياء واختبارات خصوصية لا يعرفها إلا روح الإنسان ذاته . ولا أحد يستطيع أن يرى حقاً ما بدواخل قلوبنا ويعرف خباياها فى أعماقها إلا أرواحنا نحن ثم يستطرد بولس فيقول إن هذه الحقيقة تصدق أيضاً بالنسبة لأمور الله . فهنالك أمور إلهية عميقة لا يعرفها إلا روح الله فقط . والروح هو الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يقودنا إلى معرفة حقيقية شخصية عن الله . وهناك أمور لا تستطيع قوة تفكيرنا أن تدرك كنهها دون معونة أو إرشاد ، والروح هو الذى يعلمنا إياها لأن الروح وحده هو الذى يعرفها .

٢ — ولكن بالرغم من كل ذلك فإنه ليس فى مقدور كل إنسان أن يفهم هذه الأمور . ويتحدث بولس عن ترجمة وتفسير الأمور الروحية للناس الروحيين . ويميز بولس بين نوعين من الناس :

(أ) فهناك الناس الروحيون . والإنسان الروحى هو الإنسان الحساس والمطيع للروح القدس ، وهو الإنسان الذى تقاد حياته وتوجه بارشاد الروح ؛ وهو الإنسان الذى يصدر كل قراراته ويحدد كل تصرفاته وأحكامه بتأثير الروح وإرشاده ، وهو الإنسان الذى يسود حياته باستمرار الوعى بأنه توجد أشياء أخرى وراء الأشياء المنظورة فى هذا العالم ، وأنه توجد قيم أخرى وراء القيم المعروفة فى هذا العالم ، وأنه توجد حياة أخرى بعد انتهاء الحياة فى هذا العالم .

(ب) وهناك أيضاً الإنسان الطبيعى . والمقصود بالإنسان الطبيعى هنا هو ذلك الإنسان الذى يعيش حياته فى صورتها الجسدية المادية فحسب ، كمل تعيش سائر الكائنات الأخرى ، ودون اعتبار أو مراعاة للروح . وهنا يجب أن نفرق بين معنى كلمة « نفس » وكلمة « روح » . فكل كائن حى له نفس ، ولكن ليس كل كائن حى له روح . فالكلب والقط وأى حيوان آخر له نفس ولكن ليس له روح . والإنسان يشترك مع سائر الكائنات الحية فى أن له نفساً أيضاً ، ولكن الذى يجعله إنساناً هو أنه يتميز بالروح . إن الروح هو الذى يجعله يختلف عن بقية الخليقة ، ويجعله قريباً لله . ولذلك يتحدث الرسول فى عدد ١٤ عن الإنسان الطبيعى ، أى الإنسان الذى يعيش حياته كما لو لم يكن هناك شيء بعد الحياة الجسدية ، وكما لو لم تكن له احتياجات أخرى سوى الاحتياجات الجسدية المادية ، الإنسان الذى كل قيمه فى الحياة قيم جسدية مادية ، ويحكم على كل شيء فى الحياة بمقاييس ومستويات جسدية مادية بحتة . إن إنساناً كهذا لا يستطيع أن يفهم الأشياء الروحية . فالرجل الذى يظن أنه لا يوجد شيء فى الحياة أهم من إشباع الحوافز الجنسية لا يستطيع أن يفهم معنى العفة ، والرجل الذى كل همه فى الحياة هو تكويم الأشياء المادية واكتنازها كما لو كانت هى

غاية الحياة الوحيدة وهدفها الأسمى لا يمكن أن يفهم معنى الكرم والسخاء ، والرجل الذى تستولى شهواته ورغباته الجسدية على كل تفكيره واهتمامه لا يمكن أن يفهم معنى النقاوة والطهارة ، والرجل الذى لم يخطر بباله أبداً أن يفكر فيما وراء هذا العالم لا يستطيع أن يفهم أمور الله بل تبدو بالنسبة إليه مجرد جهالة وحماقة . وليس حتمياً أن يتعمد الإنسان الوصول إلى هذه الحالة حتى يصل إليها ، ولكنه عندما يكتم ويخمد « الأشواق الخالدة والحنين المقدس » فى نفسه باستمرار فإنه سيصل حتماً إلى الحالة التى ذكرناها . وعندئذ لن يستطيع أن يسمع صوت روح الله عندما يكلمه أو يناديه .

وعندما ننغمس فى العالم وننشغل به يسهل علينا أن نتصور أنه لا يوجد شىء آخر فيما وراء هذا العالم .

ولذلك يجب علينا أن نصلى باستمرار ليكون لنا فكر المسيح ، لأنه لما يسكن المسيح فينا فعندئذ فقط نصبح آمنين من غزو الأشياء المادية وإغرائها لنا .

الأصحاح الثالث

الله هو الكل

(١ كورنثوس ٣ : ١ — ٩)

كان الرسول يتحدث فى الآيات السابقة لهذا الفصل عن الفرق بين الإنسان الروحى الذى يستطيع أن يفهم الحقائق الروحية . والإنسان الطبيعى الذى لا يستطيع أبداً أن يدرك شيئاً عن الحقائق الروحية لأن كل اهتماماته وغاياته وأفكاره لا تتعدى دائرة الحياة الأرضية والجسدية . ونرى الرسول هنا يتهم الكورنثيين بأنهم لا يزالون فى مرحلة الحياة الجسدية الأرضية . ونراه يدعوهم « جسديين » . وهذه الكلمة فى اللغة اليونانية تعنى « مصنوعين أو مكونين من الجسد » ولذلك يبدأ بولس هذا الفصل بقوله إن الكورنثيين مصنوعون من الجسد ، وإنهم جسديون ولم يتجاوزوا بعد دائرة الأشياء الجسدية البشرية . ولم يكن مجرد كونهم مصنوعين من الجسد شيئاً يستحقون عليه اللوم والتوبيخ ، فكل إنسان منا يعتبر إنساناً لأنه مصنوع من جسد ولم تكن المشكلة بالنسبة للكورنثيين أنهم مصنوعون من الجسد ، ولكن المشكلة كانت أنهم جسديون أى مستعبدون للجسد . وكانت كلمة « الجسد » فى نظر بولس تعنى شيئاً أكثر بكثير من مجرد شىء طبيعى مادى . كان بولس يعنى بالجسد الطبيعة الإنسانية عندما تكون منفصلة عن الله ، أى ذلك الجانب البشرى — العقلى والطبيعى — الذى يعتبر بمثابة رأس جسر للخطية ، والذى يستجيب لإغراء الخطية ويعطيها الفرصة لتوقع الإنسان فى شراكها . ومن ثم فإن بولس لم يكن يعيب على الكورنثيين كونهم مصنوعين من الجسد — فكل الناس كذلك — ولكنه يعيب عليهم أنهم سمحوا لهذا الجانب السفلى من طبيعتهم أن يسيطر على كل أفكارهم ويهيمن على كل أفعالهم ويتحكم فى كل تصرفاتهم .

وما هو البرهان الذى يستدل به الرسول على كل ذلك ؟ وماذا كان فى حياتهم وسلوكهم مما جعل بولس يوجه إليهم مثل هذا الزجر وهذا الانتهار ؟ إن الدليل الذى يذكره الرسول هو ما كان فيهم من حسد وخصام وانشقاق وانقسامات . ولهذه الحالة دلالة كبرى ، فإن معنى هذا أنك تستطيع أن تحكم على مدى علاقة الإنسان بالله من معرفتك لعلاقات ذلك الإنسان بسائر الناس . فاذا كان إنسان ما حسوداً ومشاغباً ومثيراً للخصومات والانشقاقات ومسبباً للمشاكل والمتاعب للآخرين فهو إنسان جسدى ؛ قد يكون متردداً على اجتماعات الكنيسة ، وقد يكون شاغلا لوظيفة كنسية كبيرة ، ولكنه لا يمكن أن يكون رجل الله . ولكن إذا كان إنسان ما يعيش فى سلام مع الآخرين ، وتتميز علاقاته بهم بالمحبة والوئام ، فإن ذلك الإنسان هو فى الطريق ليكون رجل الله . وإذا كان إنسان ما بعيداً عن إخوانه من البشر نافراً منهم ، فإن هذا دليل كاف على أنه بعيد أيضاً عن الله ؛ أما إذا كان يحب الله فإنه سيحب الآخرين أيضاً .

ويستطرد بولس فيندد بالحماقة الرئيسية التى تمثلت فى روح التحزب والانشقاق وتمجيد القادة البشريين ؛ فيقول إنه فى بستان ما قد يغرس إنسان بذرة ثم يسقيها إنسان آخر ، ولكن لا يستطيع

أحدهما أن يزعم أنه هو الذى يجعل البذرة تنمو وتكبر . إن الفضل فى نمو هذه البذرة يرجع إلى قوة الله وحدها . ولقد استطاع الناس أن يعملوا وأن يصنعوا أشياء كثيرة ولكنهم للآن لم يستطيعوا أبداً أن يخلقوا الحياة . ولهذا يستوى الإنسان الذى يغرس مع الإنسان الذى يسقى ، ولا يستطيع أحدهما أن يدعى الأفضلية على الآخر ، فما هما إلا خادمان يعملان معاً لأجل سيد واحد — هو الله . وعلينا أن نتذكر دائماً أن الله قد يستخدم وسائط بشرية ليوصل للناس رسالة حقه ومحبته ، ولكنه « هو » وحده الذى يستطيع أن يوقظ قلوب الناس ويبعث فيها حياة جديدة . فكما أنه هو وحده الذى خلق القلب ، فإنه هو وحده أيضاً الذى يستطيع أن يخلقه ثانية خليقة جديدة .

الأساس والبناؤون

(١ كورنثوس ٣ : ١٠ — ١٥)

يتحدث الرسول بولس فى هذا الفصل من وحى اختباره الشخصى . فقد كان بولس فعلا واضع أساس ، إذ كان كثير التنقل والتجوال . حقاً إنه مكث مدة ثمانية عشر شهراً فى كورنثوس (أعمال ١٨ : ١١) ، ومدة ثلاث سنوات فى أفسس (أعمال ٢٠ : ٣١) ، ولكنه لم يمكث فى تسالونيكى وفى أغلب المدن الأخرى إلا أقل من شهر . وذلك لأنه كانت أمامه أماكن كثيرة ينبغى أن تصل إليها بشارة الإنجيل ، وكان هناك أناس كثيرون لم يكونوا قد سمعوا قط اسم يسوع المسيح . وكان بولس يشعر أنه عليه أن يبدأ فى كل مكان بداية طيبة فى التبشير بالمسيح ، أو بعبارة أخرى أن يضع الأساس ، ثم يرحل إلى مكان آخر ليضع فيه أيضاً أساساً جديداً للكرازة بالمسيح . ولم يكن بولس يستقر فى مكان واحد دون ترحال إلا عندما كان يضطر للبقاء فى السجن .

وحيثما كان بولس يذهب كان يضع الأساس عينه . ولم يكن هذا الأساس إلا إعلان الحقائق المتعلقة بيسوع وعمله الفدائى العظيم . وكانت الرسالة العظمى التى أحس بولس أنه ملتزم بها هى أن يقدم الناس إلى يسوع المسيح باعتباره أساس الكنيسة لأنه فيه — وفيه وحده — يستطيع المسيحى أن يجد ثلاثة أشياء :

١ — فهو يجد أولا غفراناً **لخطاياه الماضية** ، ويجد نفسه فى موقف جديد إزاء الله . ويكتشف المسيحى فجأة أن الله صديقه وليس عدوه ، ويدرك جيداً معنى المصالحة مع الله . وبعد أن كان يرى أولا الكراهية يرى الآن المحبة المتجلية ، وبعد أن كان يحس أولا بالبعد والنفور الذى لا حدود له ، يرى الآن اللطف والرقة والصداقة الحميمة .

٢ — وهو يجد ثانياً **قوة للحاضر** . فعن طريق حضور يسوع معه ومعاونته له يجد القوة والشجاعة للكفاح الشريف والمقدس فى ركب الحياة ، لأنه لم يعد بعد فرداً منعزلا يناضل وحيداً فى معركة مع عالم كله أعداء متعبون . وهو يحيا حياة لا يستطيع أى شىء فيها أن يفصله عن محبة الله فى المسيح يسوع ربه . وهو يمشى فى دروب الحياة ومسالكها ، ويناضل ويكافح فى معارك

الحياة الصعبة ومعه المسيح .

٣ ــ كما أنه يجد فيه أيضاً **رجاء للمستقبل** . فهو لا يعيش بعد فى عالم يخشى أن يتطلع فيه إلى الأمام وإلى المستقبل . إنه يدرك أنه يعيش فى عالم يسيطر الله عليه ويحكمه ، ويجعل جميع الأشياء تعمل فيه معاً للخير ، ويهيمن بسلطانه على كل أقداره فى كل زمان ومكان ، وأنه يعيش فى عالم ليس الموت نهاية له ، بل إن الموت مجرد تمهيد للمجد الأعظم . وبدون أساس المسيح لا يستطيع أحد أن ينال شيئاً من هذه الأمور الثلاثة .

ولكن على أساس المسيح هذا بنى آخرون . وهنا نجد أن بولس لا يشير إلى استعمال أشياء غير صحيحة فى البناء ، ولكن إلى استعمال أشياء غير وافية بالغرض . فقد يقدم إنسان ما المسيحية إلى زملائه بصورة ضعيفة أو مشوهة أو محرفة . وقد يقدم منها جانباً واحداً يبرز فيه بعض الأشياء ويهمل أشياء أخرى ، أو قد ينبر على أشياء معينة ويهمل أشياء أخرى بشكل يجعل صورة المسيحية التى يقدمها صورة لا تطابق الأصل تماماً . و « اليوم » الذى يشير إليه بولس هنا هو اليوم الذى يأتى فيه المسيح ثانية . وحينئذ يكون الاختبار والفحص النهائى . ففى ذلك اليوم ستحترق وتمحى الأشياء الخاطئة والأشياء غير الوافية . ولكن ، من رحمة الله ، أنه حتى الذى استخدم هذه الأشياء فى البناء سيخلص ، لأنه على الأقل حاول أن يعمل شيئاً ما لأجل المسيح . والحقيقة أن كل مفاهيمنا ومعتقداتنا عن المسيحية ــ على أحسن الفروض ــ إنما هى ناقصة وغير وافية ولكننا نستطيع أن نوفر على أنفسنا كثيراً من هذا النقص والعجز إذا كنا نمتحن كل مفاهيمنا ومعتقداتنا ، لا على أساس أفكارنا الشخصية المتعصبة المغرضة ، ولا على مدى اتفاقها مع آراء هذا أو ذاك من علماء اللاهوت ، ولكن فى نور كلمة الله ، وعلى الأخص فى نور الصليب . اعتاد « لونجينس Longinus » الناقد الأدبى اليونانى العظيم ، أن يقول لتلاميذه : « عندما تكتبون شيئاً ما ، اسألوا أنفسكم كيف كان هوميروس أو ديموستينوس يكتب هذا الذى تريدون كتابته ، وأكثر من ذلك ، تخيلوا أن هوميروس وديموستينوس يستمعان إليكم وأنتم ترددون هذا الذى تكتبونه » .. ونحن ، عندما نتحدث عن المسيح ، يجب أن نتحدث كما لو كان المسيح نفسه ينصت إلينا ــ بل إنه يفعل ذلك حقاً .

وإذا كنا نمتحن أنفسنا دائماً بهذا القياس ، فإن ذلك سيحفظنا من الوقوع فى أخطاء كثيرة .

الحكمة والجهالة

(١ كورنثوس ٣ : ١٦ ــ ٢٣)

كانت الكنيسة فى نظر بولس هى هيكل الله نفسه ، لأن الكنيسة كانت هى المجتمع الذى يسكن فيه روح الله . وفيما بعد قال « أوريجانس Origen » . « عندما نعد أنفسنا لقبول الروح القدس ، فإننا نصبح هيكل الله » ولكن ، إذا كان الناس يسمحون بوجود انشقاقات وخصومات وانقسامات

داخل المجتمع الكنسى مما يقضى على روح الشركة فى الكنيسة فإنهم بذلك يفسدون هيكل الله بمعنى مزدوج .

(أ) إنهم يجعلون عمل الروح مستحيلا . فبمجرد أن تدخل المرارة إلى الكنيسة تخرج منها المحبة . وحيث تسود المرارة يصعب أن يقال الحق أو يسمع . وأينما توجد المحبة يوجد الله ، ولكن أينما توجد الكراهية والخصومات فإن الله يقف على الباب ويقرع ولا يلقى ترحيباً أو قبولاً . إن السمة المميزة للكنيسة هى المحبة للاخوة . ويجب أن نذكر دائماً أن الذى يفسد هذه المحبة والشركة فى الكنيسة فهو يفسد الكنيسة ذاتها وبالتالى فهو يفسد هيكل الله .

(ب) وهم يقسمون الكنيسة ويفككونها ويحدثون ببنائها خللا خطيراً ، ويحولون وحدتها إلى أجزاء محطمة غير مترابطة . ولا يمكن لأى بناء أن يثبت إذا كانت أركانه مزعزعة أو إذا أزيلت منه بعض الأجزاء . وهذه الحقيقة تنطبق بالطبع على الكنيسة أيضاً . إن الانقسامات فى الكنيسة هى أشد ما يهددها ويصيبها بالفساد والخراب .

ويستطرد بولس فى حديثه فيشير مرة أخرى إلى السبب الجذرى لهذه الانشقاقات وما ينتج عنها من إفساد لهيكل الله ، الذى هو الكنيسة . ذلك السبب الجذرى هو عبادة الحكمة العقلية العالمية . ويندد بولس بتلك الحكمة مستشهداً باقتباسين من العهد القديم :

أيوب ٥ : ١٣ ومزمور ٩٤ : ١١ . وهذه الحكمة العالمية نفسها هى التى جعلت الكورنثيين يبالغون فى تقدير قيمة المعلمين والقادة المختلفين . وهذه الكبرياء فى العقل الإنسانى هى التى جعلتهم يحاولون انتقاد الطريقة التى تقدم بها الرسالة وأسلوبها ، ويهتمون بالمجادلات الماكرة أكثر من الاهتمام والتفكير فى مضمون الرسالة ذاتها . وما يجعل هذه الكبرياء العقلية تدعو إلى القلق والكدر هو أنها دائما تحمل معها شيئين :

(أ) فهى دائماً تدفع إلى الجدل والنزاع والخصام . فهى لا تستطيع أن تظل فى صمت وهدوء ، ولا أن تبدى إعجابها بشىء ، إنها لابد أن تجعل صاحبها يتحدث وينتقد . وهى لا تتحمل أبداً أية معارضة أو مناقضة لآرائها ، بل هى دائماً تثبت أنها هى — وهى وحدها — على حق دائماً . ولا تعترف أبداً أنها كانت على خطأ ، بل فى كل حين تبرر نفسها وهى لا تتواضع أبداً حتى تتعلم ، بل تنظر دائماً بازدراء إلى كل قانون أو رأى .

(ب) والكبرياء العقلية تجعل صاحبها يقاطع الآخرين وينبذهم . فهى تميل دائماً إلى احتقار الآخرين والازدراء بهم أكثر من ميلها إلى الجلوس معهم والحديث إليهم ، إذ أنها تعتقد بوجه عام أن كل الذين لا يتفقون معها إنما هم على خطأ . منذ وقت طويل كتب كروميل إلى الأسكتلنديين يقول : « أرجوكم لأجل المسيح أن تذكروا أنه يمكن أن تكونوا مخطئين » . وهذا بالضبط هو ما لا تستطيع الكبرياء العقلية أن تفعله . إنها تفصل الناس بعضهم عن بعض أكثر مما توحدهم .

وبعبارة قوية حية ينصح الرسول كل من يريد أن يكون حكيما أن يصير أولا جاهلا حتى يمكن أن يصير حكيما . وهذه العبارة ، فى روعة أسلوبها البسيط تحفز الإنسان على أن يتضع حتى يتعلم .

فلن يستطيع أحد أن يعلم إنساناً يظن فى نفسه أنه يعلم كل شىء من قبل . وقديماً قال أفلاطون : « إن أحكم الناس هو الشخص الذى يعتقد فى نفسه أنه ليس أهلا لدراسة الحكمة » . وقال غيره عن تلاميذ معينين : « كان يمكن أن يكون هؤلاء التلاميذ ممتازين بكل تأكيد لو لم يكونوا معتدين جداً بما وصلوا إليه من علم وما حصلوه من دراسة ومعرفة » . ويقول المثل القديم : « الذى لا يعرف ، ولا يعرف أنه لا يعرف هذا رجل أحمق ، فاجتنبوه . أما الذى لا يعرف ، ويعرف أنه لا يعرف ، فهذا رجل حكيم ، فعلموه » . إن الطريقة الوحيدة لكى نصبح حكماء هى أن ندرك أولا أننا جهلاء ولن يتسنى لنا أن نكتسب المعرفة إلا إذا كنا نعترف أولا بجهلنا .

وفى عدد ٢٢ ، كما يحدث كثيراً فى رسائل بولس ، نجد أنه تحول فجأة إلى الأسلوب الشعرى العاطفى . فقد كان الكورنثيون يعملون شيئاً كان بالنسبة لبولس لا يمكن تفسيره ، إذ كانوا يريدون أن يقدموا أنفسهم لإنسان ما . وهنا يقول بولس لهم إن الحقيقة هى ليس أنهم هم له ، بل إنه هو لهم وأن كل شىء لهم ، لأنهم للمسيح والمسيح لله .

الأصحاح الرابع

الأحكام الثلاثة

(١ كورنثوس ٤ : ١ — ٥)

هنا يحث بولس الكورنثيين ألا ينظروا إلى أبولس وصفا وإليه هو أيضاً باعتبارهم قادة أو زعماء أحزاب أو طوائف ، بل أن ينظروا إليهم باعتبارهم خداماً للمسيح . وكلمة « خدام » التى استعملها بولس هنا تعنى فى اللغة الأصلية العبيد الذين كانوا يستخدمون للتجديف فى المراكب الكبيرة التى كانت تسير فى البحر . وقد نبر كثير من المفسرين على هذا المعنى ، وقالوا إن الصورة التى أراد بولس أن يعبر عنها هى أن يسوع هو بمثابة ربان السفينة الذى يقودها فى الطريق الصحيح ، وأن بولس هو الخادم الذى يتلقى أوامر الربان ، ويعمل فقط طبقاً لتعليمات سيده . ثم يستعين الرسول بصورة أخرى ليوضح ما يريد أن يوصله إلى أذهان الكورنثيين . فهو ينظر إلى نفسه وإلى زملائه الوعاظ والكارزين باعتبارهم وكلاء سرائر الله التى يريد الله أن يكشفها لشعبه وخاصته . وكلمة « وكيل » المستخدمة هنا تعنى الشخص المسئول عن كل الشئون الإدارية الخاصة بالبيت أو العقار . فهو الذى يشرف على الخدم ، وعلى المؤن والرواتب وما إلى ذلك . ولكن بالرغم من أن الوكيل يسير كل شئون البيت ، ويشرف على عمل آخرين ، فإنه هو نفسه يظل خادماً أو عبداً أمام سيده . وهكذا الأمر بالنسبة لكل إنسان فى الكنيسة ؛ مهما بلغ مركزه ومهما كانت مكانته ، ومهما كان نفوذه فى الكنيسة ، فهو يظل خادماً للمسيح .

وهذا الفكر نفسه يأتى ببولس إلى التفكير فى « الحكم » . فالوكيل شخص موثوق فيه ومن ثم فهو مسئول . ولأنه يتمتع بقدر كبير من الاستقلال والمسئولية فمن المحتم أن يعتمد سيده عليه اعتماداً كلياً . وقد كان الكورنثيون بما نشأ بينهم من طوائف ومذاهب ، لها قادتها المسئولون عنها ، قد درجوا على إصدار الأحكام على هؤلاء القادة وعلى المفاضلة بينهم . ولذلك يتحدث بولس عن الأحكام الثلاثة التى يتحتم أن يواجهها كل إنسان :

١ — فهو يجب أن يواجه حكم الآخرين . وفى هذه الحالة يقول بولس إن ذلك أمر لا يهمه . ولكن ليس معنى هذا أن الإنسان يستطيع دائماً وفى كل الأحوال أن يتجاهل حكم الآخرين . ومن الغريب أنه بالرغم من أن حكم الآخرين يكون فى أحيان كثيرة مشوباً بأخطاء جذرية لكنه فى أغلب الأحيان يكون صائباً من وحى الغريزة . وذلك يرجع إلى أن كل إنسان بغريزته يميل إلى تمجيد الفضائل والإعجاب بصفات الشرف والأمانة والنزاهة والثقة والكرم والتضحية والمحبة . وقد قال أحد الفلاسفة « يوجد اثنان فقط يستطيعان أن يقولا لك الحق عن نفسك : عدو لك عندما يغضب ويثور عليك ، وصديق لك يحبك جداً » .

هذا ولا ينبغى أبداً أن نسمح لحكم الآخرين علينا أن يجعلنا نحيد أو ننحرف عما نعتقد أنه الحق ؛ ولكن ينبغى فى الوقت عينه أن ندرك أن حكم الآخرين علينا هو فى الحقيقة أصدق وأدق

مما نظن ، لأن الناس بسليقتهم وغريزتهم يعجبون بالأشياء الجميلة الطيبة .

٢ ــ كما يجب أن يواجه الإنسان حكم نفسه . وهنا نجد أن بولس يتجاهل هذا الحكم أيضاً ، لأنه كان يعرف جيداً أن حكم الإنسان على نفسه يشوبه دائماً الشعور بالكفاية الذاتية والبر الذاتى والكبرياء والغرور . ولكن ليس معنى هذا أن الإنسان ينبغى أن يهرب كلية من مواجهة حكم نفسه عليه . ومن أسس القوانين الأخلاقية اليونانية عبارة : « أيها الإنسان ، إعرف نفسك » وكان الزاهدون يصرون على القول إن الميزة الأولى للرجل الحقيقى هى « قدرته على التوافق مع نفسه » . فإن الشخص الوحيد الذى لا يستطيع الإنسان أن يهرب منه هو نفسه ، فلا مفر من أن يعيش الإنسان مع نفسه . وإذا فقد أحد احترامه لنفسه وعجز عن مواجهتها فإن الحياة تصبح شيئاً لا يطاق .

٣ ــ ثم يجب أن يواجه الإنسان حكم الله . وهذا هو الحكم الحقيقى الوحيد . وبالنسبة لبولس ، لم يكن ينتظر هذا الحكم من بشرى ولكنه حكم إلهى يعلن فى يوم الرب . وحكم الله هو الحكم النهائى لسببين :

(أ) إن الله وحده هو الذى يعلم كل الظروف ، وهو الذى يستطيع أن يكشف كل الخبايا . إنه يعرف كل ما اجتازه الإنسان من مشقات وصراع ، ويعرف كل الأسرار التى لا يستطيع الإنسان أن يصارح بها أحد . إنه يعرف ما قد يكون الإنسان قد انحدر إليه من حال أسوأ أو ما قد يكون قد بلغه من حال أفضل . إن الله هو الشخص الوحيد الذى يعرف كل الحقائق

(ب) إن الله وحده هو الذى يعلم كل دوافع الإنسان . فالإنسان ينظر إلى الأعمال ولكن الله ينظر إلى النوايا . وكم من الأعمال التى تبدو نبيلة حسب الظاهر ولكنها فى الحقيقة تصدر عن دوافع أنانية خسيسة ، وكم من الأعمال التى تبدو دنيئة حسب الظاهر ولكنها فى الحقيقة تصدر عن أسمى الدوافع وأنبلها . فالذى خلق القلب البشرى هو وحده الذى يعرف مكنونات هذا القلب وخباياه ، وهو وحده الذى يستطيع أن يحكمه ويدينه .

وإزاء هذا يحسن بنا أن نذكر أمرين :

الأمر الأول أننا إذا استطعنا أن نهرب من كل الأحكام الأخرى أو نغمض أعيننا عنها كما تفعل النعامة ، فإننا لا نستطيع أبداً أن نهرب من حكم الله .

والأمر الثانى أن الحكم على الآخرين هو من شأن الله ، لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يحكم ؛ ولذلك يحسن بنا ألا ندين أحداً .

تواضع رسولى وكبرياء غير مسيحية

(١ كورنثوس ٤ : ٦ ــ ١٣)

لم يكن كل ما قاله بولس ينطبق عليه هو نفسه وعلى أبولس فحسب ، بل كان ينطبق أيضاً على أهل كورنثوس . فلم يكن على بولس وأبولس فقط أن يكونا دائمين متضعين إذ هما يواجهان

حكم الله وليس حكم الناس ، بل كان على الكورنثيين كلهم أن يسلكوا فى طريق الاتضاع هذا . وقد كان بولس فى تعبيره كريماً لطيفاً دائماً ، ومراعياً مشاعر الآخرين بكل أدب وذوق ؛ فكان يحرص على أن يشمل نفسه فيما يقدمه للآخرين من نصائح وتحذيرات ، وفيما يصدره من نواهٍ وأحكام . وهكذا يجب أن يكون الواعظ الحقيقى المخلص . فهو قلما يستخدم كلمة أنتم ، ولكنه دائماً يستعمل كلمة نحن ، وهو لا يشعر من يتحدث إليهم أنه أعلى منهم ، وأنهم أدنى منه ، ولكنه يتحدث إليهم كأنه واحد منهم يحس باحساسهم ويعرف ظروفهم .

وإذا كنا نريد حقاً أن نساعد الناس وأن نريهم طريق الخلاص ، فإن موقفنا تجاههم لا يجب أن يكون موقف الإدانة لهم أو الحكم عليهم ، بل موقف الطلب والتوسل ، ونبرات كلامنا معهم يجب ألا تكون نبرة الانتقاد بل لغة الرفق والرأفة . ولم يكن الكلام الذى أصر بولس على أن يلتزم الكورنثيون به ولا يتعدونه ــ كلامه هو ، ولكنه كان كلمة الله . ولم يحاول أن يقدم لهم تعليماً شخصياً منه هو ، ولكنه أراهم كيف تدين كلمة الله كل كبرياء . ولم يكن ما يذكرهم به نصيحة بشرية ، ولكنه أمر إلهى .

ثم يوجه بولس لهم أهم سؤال ، فيقول لهم : « وأى شيء لك لم تأخذه ؟ » وقد رأى أغسطينوس فى هذه العبارة الواحدة خلاصة التعليم عن النعمة . فقد كان أغسطينوس يفكر فى يوم من الأيام فى ما يمكن أن يحققه الجهد البشرى ، ولكنه قال أخيراً : « للإجابة عن هذا السؤال جاهدنا وتعبنا . كثيراً فى قضية حرية إرادة الإنسان ، ولكن نعمة الله هى التى انتصرت وكسبت المعركة » . ولم يكن أى إنسان يستطيع أن يعرف الله لو لم يكشف الله نفسه له ، ولم يكن أى إنسان بقادر على أن يحصل على خلاصه بنفسه ، فالإنسان لا يخلص نفسه ، إذ أن الله هو الذى يخلصه . وعندما نفكر فيما عملناه وفيما نستطيع أن نعمله ، وعندما نفكر فيما قد عمله الله لأجلنا ، فعندئذ تهرب الكبرياء من حياتنا وتزول ، ويبقى فقط التواضع الشاكر والمعترف بالجميل . وقد كان الخطأ الأساسى عند الكورنثيين هو أنهم نسوا أنهم مدينون لله بأرواحهم وبكل شيء .

وبعد ذلك نجد الرسول بولس كعادته فى كافة رسائله ينتقل فجأة إلى أسلوب عنيف ، فنراه هنا يوجه إلى الكورنثيين عبارة فيها الكثير من السخرية اللاذعة . وهو يقارن كبرياءهم وتفاخرهم وإحساسهم بالشبع والتفوق بالحياة التى يحياها رسول . ويختار لهذه المقارنة صورة حية . فعندما كان القائد الرومانى يحرز نصراً عظيماً كان يسمح له أن يستعرض جيشه المنتصر فى موكب يجوب شوارع المدينة ومعه كل ما استولى عليه من غنائم . وكان يسمح له بأنه يظهر كل ما حققه من انتصار ومكاسب . وكان الموكب كله يسمى « موكب انتصار » ولكن فى نهاية الموكب كان يسير جماعة من الأسرى الذين كانوا سيقدمون للوحوش المفترسة فى ساحات المصارعات وهكذا يموتون . وكأن الرسول أراد أن يقول إن الكورنثيين فى كبريائهم العجاجة وفى ميلهم إلى التفاخر يشبهون القائد الرومانى المنتصر الذى كان يستعرض غنائم بسالته وشجاعته ، بينما كان الرسل أنفسهم يمثلون جماعة الأسرى فى مؤخرة الموكب فى طريقهم إلى الموت . فبالنسبة لأهل كورنثوس كانت الحياة المسيحية تعنى التباهى والتفاخر وتعدد الامتيازات والمكاسب التى تحققها لهم ؛ ولكن الحياة المسيحية

بالنسبة لبولس كانت تعنى الخدمة المتضعة والاستعداد الدائم للتضحية وللموت لأجل المسيح .

وفى قائمة الأشياء التى يعلن الرسول أن الرسل يتحملونها كلمتان تثيران الانتباه بصفة خاصة :

(أ) فيقول الرسول إنهم « يلكمون » . وهذه الكلمة هى نفس الكلمة التى كانت تستخدم لتعنى ضرب العبيد . ويقول بلوتارك إن رجلا شاهد رجلا آخراً « يلكم » شخصاً ما ويضربه ، فاستدل من ذلك على أن هذا الشخص كان عبداً لذلك الرجل . وقد كان بولس مستعداً لأجل المسيح أن يعامل كعبد .

(ب) ويقول بولس : « نشتم فنبارك » . ولسنا ندرى كم كانت هذه العبارة مدهشة بالنسبة للوثنيين . فإن أرسطو يقول إن أسمى الفضائل هى فضيلة « عظمة القلب » أو « عظمة النفس » ، وهو يعرف هذه الفضيلة بأنها الصفة التى لا يتحمل صاحبها الشتيمة . لذلك كان هذا التواضع المسيحى بالنسبة للعالم القديم فضيلة جديدة تماماً . وكان مثل هذا السلوك الذى يبدو فى نظر الناس جهلا وحماقة هو فى الحقيقة عين الحكمة الإلهية .

أب فى الايمان

(١ كورنثوس ٤ : ١٤ — ٢١)

بهذه الآيات يختتم بولس فصل الرسالة الذى عالج فيه مباشرة موضوع الخصومات والانقسامات فى كورنثوس . وهو يصيغ عباراته كأب . بل إن كلمة « أنذركم » التى يستخدمها فى العدد الرابع عشر هى الكلمة عينها المستعملة عادة لتعنى النصح والتحذير اللذين يقدمهما الأب لأولاده (راجع أفسس ٦ : ٤) . وربما كانت نغمة حديثة تميل إلى الشدة ، ولكنها ليست الشدة التى تريد كبح جماح عبد عنيد متمرد ، بل إنها الشدة التى تهدف إلى إعادة الصواب والرشد إلى ابن طاش وضل عن السبيل السوى . وقد شعر بولس أن موقفه إزاء كنيسة كورنثوس كان موقفاً فريداً ، إذ أنه لم يكن بالنسبة لهم مجرد المرشد أو « المؤدب » (غلاطية ٣ :. ٢٤) المعلم للطفل ، حتى وإن كان متقدماً فى السن ، موثوقاً فيه ، يوكل إليه أن يصحب الطفل يومياً إلى المدرسة وأن يدربه على قواعد الأخلاق وأن يعتنى بشخصيته وأن يحاول أن يخلق منه رجلا . نعم قد يكون للطفل مرشدون كثيرون لهذا الغرض ، ولكن له بالطبع أب واحد . ويريد الرسول أن يقول إنه ربما يكون للكورنثيين فى المستقبل مرشدون ومعلمون كثيرون ، ولكن أحداً منهم لن يستطيع أن يفعل لهم ما فعله بولس ، ولن يستطيع أحد منهم أن يلدهم للحياة فى المسيح يسوع . ثم نرى بولس يقول شيئاً مذهلا : « فأطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بى » ، مع أنه يندر أن يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام . ذلك لأن أمنية وصلاة كل أب — فى أغلب الأحيان — أن يوفق الابن فى عمل كل الأشياء التى فشل الأب فى تحقيقها . ومعظم من يقوم بالوعظ والتعليم منا لا يجرؤون على القول : « اعمل مثلما أعمل أنا » ، ولكنهم يقولون : « اعمل كما أقول أنا » . أما بولس ، فإنه — دون كبرياء أو تفاخر —

استطاع أن يدعو أولاده فى الإيمان أن يتمثلوا به .

وبعد ذلك يسجل تحية رقيقة لهم ، فيقول إنه أرسل إليهم تيموثاوس ليذكرهم بطرقه . ثم يقول لهم إن كل أخطائهم وطرقهم المغلوطة لا ترجع إلى تمرد متعمد من جانبهم ، ولكنها ترجع فقط إلى أنهم قد نسوا . وهذه هى الطبيعة الإنسانية . فإننا فى أغلب الأحيان لا نعلن تمردنا وعصياننا ضد المسيح ، ولكننا ببساطة ننساه . وفى أغلب الأحيان لا ندير له ظهورنا تعمداً ، ولكننا ننسى أن نجعل له المكان الأول فى خطة حياتنا ، وقد ننسى أن نفسح له مكاناً فى برنامجنا على الإطلاق . إن أهم شىء يحتاج إليه معظمنا ، هو أن يبذلوا جهداً متعمداً ليعيشوا باستمرار فى حالة إدراك واع لحضور ربنا يسوع المسيح معهم . إن ربنا يسوع المسيح يطلب منا أن « نذكره » ، ليس أثناء ممارسة فريضة العشاء الربانى وحسب ، بل أيضاً فى كل لحظة من لحظات كل يوم من أيام حياتنا .

ثم يستطرد بولس فيحذر أهل كورنثوس من الظن أنه لا ينوى الذهاب إليهم بنفسه لأنه أرسل إليهم تيموثاوس ، ويقول إنه سيذهب إليهم سريعاً إن شاء الرب ، وعندئذ سيكون اختبارهم . فإن هؤلاء الكورنثيين يستطيعون أن يتحدثوا كما يشاءون ، ولكن كلماتهم الطنانة المدوية ليست من الأهمية بمكان ، بل إن أعمالهم هى الأهم . إن يسوع لم يقل أبداً « من كلماتهم تعرفونهم » ، ولكنه قال « من ثمارهم تعرفونهم » . فما أكثر الحديث عن المسيحية فى هذا العالم ، ولكن عملا واحداً هو أكثر جدارة وثمراً وقوة من ألف كلمة . إن الخدمة فى لجنة من اللجان والحديث فيها شىء ، وخدمة المسيح والعمل لأجله شىء آخر مختلف تماماً :

ولذلك يسألهم الرسول فى النهاية هل يأتى إليهم بعصا ليقيس ما هو عليه من نظام ، أم يأتى إليهم ليتمتع معهم بشركة المحبة وروح الوداعة . وهكذا نرى أن محبة بولس لأولاده فى المسيح — هذه المحبة التى تتدفق خلال كل رسالة يكتبها ، لم تكن محبة عاطفية عمياء ، ولكنها كانت محبة تدرك أهمية النظام ومستعدة لممارسته وتطبيقه . فهناك محبة تستطيع أن تحطم حياة الإنسان لكونها تغمض عينيها وتتغافل عن أخطائه ، وهناك أيضاً محبة تستطيع أن تصلح حياة الإنسان لأنها تنظر إليه بصفاء عينى المسيح . وقد كانت محبة بولس هى المحبة التى تعرف أنها قد تضطر أحياناً إلى أن تؤلم وتوجع لكى تقوم وتصلح .

وهكذا عالج بولس مشكلة المنازعات والانقسامات الموجودة داخل كنيسة كورنثوس . وهنا يبدأ فى معالجة مسائل معينة واقعية ، ومواقف معينة خطيرة جداً داخل الكنيسة ، كانت أخبارها قد بلغته .

وهذا القسم يشمل الأصحاحين الخامس والسادس . فيتحدث الرسول فى أصحاح ٥ : ١ — ٨ عن الزنى الذى سمع بوجوده بينهم حتى أن أحدهم كانت له امرأة أبيه . وفى الأعداد من ٩ — ١٣ يحض على مراعاة عدم الاختلاط مع الزناة . وفى أصحاح ٦ : ١ — ٨ يتحدث الرسول عن ميل الكورنثيين إلى جر الواحد منهم للآخر إلى المحاكم والاحتكام عند الظالمين . وفى الأعداد من ٩ — ٢٠ ينبر على الحاجة إلى الطهارة .

الأصحاح الخامس

الخطية والسرور

(١ كورنثوس ٥ : ١ — ٨)

فى هذا الفصل يعالج الرسول مشكلة كانت تعرض له كثيراً . ففى المسائل الجنسية لم يكن الأمميون الوثنيون يعرفون معنى العفة والطهارة . فقد كانوا يشبعون شهوتهم كلما أرادوا وكيفما راق لهم . ولم يكن سهلا على الكنيسة المسيحية أن تهرب من العدوى أو تتجنبها ، إذ كانت الكنيسة وقتئذ بمثابة جزيرة صغيرة من المسيحية يحيط بها من كل جانب بحر كبير من الوثنية . وكان المؤمنون قد اعتنقوا المسيحية حديثاً ، لذلك كان من الصعب أن تقتلع من حياتهم ممارسات وعادات تأصلت فيهم وأصبحت جزءاً من حياتهم ، بسبب حياة العبث والاستهتار التى عاشوها أجيالا سابقة . ومع ذلك فاذا كانت الكنيسة تريد أن تكون طاهرة وأن تحتفظ بطهارتها فقد كان على الذين يؤمنون أن يتخلوا نهائياً عن طرقهم الوثنية القديمة .

وقد واجهت كنيسة كورنثوس من هذه الناحية حالة مفجعة ومفزعة فإن رجلا كان قد كون علاقة محرمة مع امرأة أبيه — الأمر الذى كان يستنكره حتى الشخص الوثنى والذى كانت الشريعة اليهودية تحرمه تحريماً قاطعاً صريحاً (لاويين ١٨ : ٨) . وأغلب الظن أن هذه المرأة كانت مطلقة من زوجها ، كما أنها كانت وثنية بلاشك ، إذ أن بولس لم يتعرض لمحاولة علاج الأمر معها إطلاقاً ، ذلك لأنها كانت خارج حدود اختصاص الكنيسة .

ومع أن هذه الخطية كانت صدمة عظيمة لبولس ، إلا أن موقف كنيسة كورنثوس تجاه ذلك الخاطىء كان صدمة أعظم . فإن الكنيسة كانت قد قبلت هذا الوضع بسرور ولم تعمل شيئاً إزاءه .

وكان ينبغى أن يفزع المؤمنون لهذا ويحزنوا . ونلاحظ أن الكلمة التى يستعملها بولس هنا لتعبر عن شدة الحزن الذى كان ينبغى أن يشعروا به هى كلمة « تنوحوا » وهى كلمة تستعمل عند الصراخ والبكاء على الموتى . إن موقف التساهل مع الخطية والسكوت عليها هو دائماً موقف خطير للغاية . ويقال إن الضمان الوحيد الذى يحفظنا من الوقوع فى الخطية هو إحساسنا بالفزع منها وشعورنا بالصدمة عندما تخطر ببالنا أو تعرض لنا ، ويقول كارليل إن الناس يجب أن يقابلوا بين جمال القداسة غير المحدود ، وبشاعة الخطية ولعنتها غير المحدودة . وعندما نكف عن أن ننظر إلى الخطية نظرة استنكار جدية فإن حالتنا تصبح جد خطيرة . وليس معنى هذا أن يكون موقفنا موقف الانتقاد والإدانة ، بل يجب أن يكون موقف من يحس بالفزع والأذى والجروح بسبب الخطية . فقد كانت الخطية هى التى صلبت ربنا يسوع المسيح وقد مات المسيح ليحرر الناس من الخطية . ولذلك لا يوجد إنسان مسيحى حقيقى يقبل أن يتساهل مع الخطية أو يتفاهم معها أو يرضى أن يفسح لها مكاناً .

وكان حكم بولس أنه ينبغى أن تحدد الكنيسة موقفها من ذلك الرجل . وفى عبارة صريحة قاطعة قال بولس إن مثل ذلك الرجل يجب أن يسلم للشيطان . وكان يعنى بذلك أنه ينبغى أن يحرم ويقطع من الكنيسة . وقد كان العالم يعتبر ملكاً للشيطان (يوحنا ١٢ : ٣١ ، ١٦ : ١١ ، أع ٢٦ : ١٨ ، كولوسى ١ : ١٣) تماماً كما كانت الكنيسة تعتبر ملكاً لله . فكأن الحكم الذى أشار به بولس يعنى أن يعاد هذا الرجل إلى عالم الشيطان الذى ينتمى إليه ، ولكن لا يفوتنا أن نسجل أن هذه العقوبة بالرغم من حديثها وشدتها لم تكن عقوبة انتقامية صادرة عن حقد أو ضغينة ؛ بل كانت لتهذيب الرجل وترويضه ولاستئصال شأفة شهواته حتى تخلص روحه فى النهاية . أى أن المقصود منها كان أن يفيق الرجل إلى نفسه ليرى بشاعة الأمر الجسيم الذى قدم عليه .

وبعبارة أخرى لم يكن الهدف من تطبيق ذلك التأديب مجرد توقيع عقوبة ؛ بل كانت تمارس لإيقاظ ضمير الرجل من غفلته . ولم يكن ذلك الحكم الذى أصدره بولس لينفذ فى قسوة أو غلظة ، بل فى حزن وأسى كما لو أن الرجل قد مات . وهكذا كان الأمر فى الكنيسة الأولى . فوراء كل تأديب أو عقوبة كانت فكرة مؤداها أن هدف ذلك ليس القطع والبتر بل إصلاح الرجل الذى أخطأ وتقويمه .

ومن هنا يستطرد بولس فيقدم نصيحة عملية جداً فيقول :

« ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله . إذاً نقوا منكم الخميرة العتيقة لكى تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير . لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا . إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق » . وهنا نجد الرسول يرسم أمامنا صورة يوضحها بعبارات ونصوص يهودية . فالخميرة فى الأدب اليهودى — فيما عدا استثناءات قليلة جداً — تعنى التأثير الشرير الخبيث . وكانت الخميرة هى الجزء الذى تبقى من عجين سابقه والذى اختمر بعد حفظه بعض الوقت وكان اليهود يتحققون من تخمر هذا الجزء من العجين عندما تظهر عليه آثار التعفن . وهكذا كانت كلمة الخميرة تستعمل للدلالة على التأثير العفن المفسد .

ونلاحظ أن خبز الفصح كان خبزاً بلا خميرة (خروج ١٢ : ١٥ ، ١٣ : ٧) . وأكثر من ذلك ، نص الناموس على أنه فى اليوم السابق لعيد الفصح يجب أن يضىء اليهودى شمعة ليفتش بيته تفتيشاً دقيقاً ليلقى خارجه آخر قطعة يعثر عليها من الخمير . (وفى صفنيا ١ : ١٢ نجد صورة لتفتيش الله) . (ويمكن أن نلاحظ أن تاريخ هذا التفتيش كان الرابع عشر من شهر أبريل وأن هذا هو الأصل فى التنظيف الذى يتم فى الربيع) فقبل الفصح كان ينبغى أن تزال آخر قطعة من بقايا الخمير . ولذلك يستعير بولس هذه الصورة فيقول إن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا . فذبيحته هى التى أنقذتنا وحررتنا من الخطية ، كما أنقذ الله الإسرائيليين من مصر . ولذلك يجب أن ننفى من حياتنا آخر بقايا الشر والخبث . فاذا كنتم تسمحون بأى تأثير شرير أن ينفذ إلى الكنيسة ، فإنه يمكن أن يفسد الجماعة كلها . كما تنفذ الخميرة فى العجين كله وتتخلله وتخمره . وهنا نجد أيضاً حقيقة عملية عظيمة . فلابد أن يمارس التأديب أحياناً من أجل الكنيسة . إن غض الطرف عن الإساءات والأخطاء ليس عملا طيباً فى كل الحالات ؛ فربما يكون ذلك عملا ضاراً

مؤذياً . فالسم إذا لم يخرج ويستبعد فإنه ينتشر ويستفحل ؛ والحشائش الضارة إذا لم تجتث فإنها تفسد كل الأرض . وهنا نجد مبدأ سليماً وكاملا للتأديب الذى يجب أن تمارسه الكنيسة . فالتأديب لا ينبغى أن يكون لإشباع نفس الشخص الذى يطبقه ، بل يجب أن يهدف دائماً إلى إصلاح الشخص الذى أخطأ ، وإلى مصلحة الكنيسة ونفعها . أى أن التأديب ينبغى ألا يكون وسيلة أو أداة للانتقام ، بل يجب أن يكون دائماً واسطة للعلاج والإصلاح والتقويم والوقاية .

الكنيسة والعالم

(١ كورنثوس ٥ : ٩ ــ ١٣)

يبدو أن بولس كان قد كتب رسالة إلى الكورنثيين يحثهم فيها على الامتناع عن مخالطة الناس الأشرار . وكان قصده أن يطبق هذا الكلام بالنسبة لأعضاء الكنيسة فقط ؛ فالناس الخبثاء داخل الكنيسة يجب أن يؤدبوا باخراجهم من مجتمع الكنيسة إلى أن يصلحوا طرقهم ويعودوا إلى صوابهم . ولكن بعض الكورنثيين فهموا هذا على أنه امتناع مطلق ، عن مخالطة جميع الناس ، إلا أن مثل هذا الامتناع لا يمكن بالطبع أن يكون كاملاً إلا إذا خرجوا من العالم كلية . وفى مكان مثل كورنثوس كان يستحيل على المؤمنين أن يواصلوا حياتهم العادية دون الارتباط بشئون الحياة اليومية مع أناس ، لم تكن حياتهم وطرقهم مرضية أبداً فى نظر الكنيسة . ولكن بولس لم يكن يعنى هذا إطلاقاً ، فلم يكن بولس ليوصى بنوع من المسيحية تنزوى بعيداً عن العالم وتنسحب منه كلية ، فقد كانت المسيحية فى نظره حياة يجب أن يظهرها المؤمن فى وسط العالم .

وهذا هو المعنى عينه الذى قصده أحد القديسين القدماء عندما قال لجون وسلى « إن الله لا يدعو إلى دين العزلة والانفراد » . ومن المهم جداً أن نلاحظ الخطايا الثلاث التى أشار إليها بولس باعتبارها نموذجاً لما فى العالم من خطايا وشرور . فإن بولس يذكر هنا ثلاث فئات من الناس :

١ ــ كان هناك الزناة ، الذين لطخوا حياتهم بالفساد الخلقى .

ولا جدال فى أنه لا يوجد فى الدنيا ما يضمن الطهارة ونقاوة الحياة غير المسيحية . إن السبب الجذرى للفجور وللفساد الجنسى هو فكرة خاطئة عن الناس ، هذه الفكرة هى التى تجعل الناس فى مرتبة متساوية مع الحيوانات ؛ وتتلخص فى أن العواطف والغرائز التى يشترك فيها الناس مع الحيوانات يجب إشباعها وإرضاؤها دون خجل أو حياء . وتدعو هذه الفكرة إلى اعتبار الشخص الآخر مجرد آلة أو أداة لإشباع الغرائز . أما المسيحية فإنها تنظر إلى الإنسان باعتباره ابناً لله ؛ وهو بهذا الاعتبار مخلوق يعيش فى العالم ولكنه يتطلع دائماً إلى ما بعد هذا العالم . ولذلك فهو لا يسمح لمجرد حاجات الجسد ورغباته ومستوياته أن تسير دفة حياته أو تتحكم فى مصيره ، لأنه يدرك جيداً أنه وإن كان له جسد فإن له روحاً أيضاً . ولو أن الناس نظروا إلى أنفسهم وإلى الآخرين باعتبارهم أبناء وبنات الله لتلاشى من حياتهم تلقائياً كل استهتار وفساد خلقى .

٢ — وكان جماعة من الطماعين والخاطفين الذين كان كل همهم الاستحواذ على متاع هذا العالم . ولا جدال هنا أيضاً فى أنه لا يوجد فى الدنيا ما يستطيع أن يقضى على هذه الروح غير المسيحية . ولو أننا نحكم على الأشياء ونقيسها بمجرد المستويات والمقاييس المادية لقلنا إن كل ما كان يفعله أولئك الناس هو أنهم كانوا يبحثون عن مصالحهم الشخصية ، وأنه لا غضاضة فى أن نسخر كل قوى حياتنا لنحصل على أكبر قدر ممكن من متاع هذه الدنيا . ولكن المسيحية تطعم الحياة بروح جديدة ، وتفتح أمامها آفاقاً جديدة ، وتضىء قلب الإنسان بنور جديد يجعله يخرج عن نطاق نفسه ، فيفكر فيما هو خارجها ، ولا ينحصر تفكيره داخل حدود نفسه فحسب . إن المسيحية تجعل المحبة أعظم قيمة فى الحياة ، ومن ثم تعتبر الخدمة أعظم شرف . وعندما يمتلىء قلب الإنسان من محبة الله فإنه يجد لذته وسعادته ، ليس فى الأخذ ولكن فى العطاء .

٣ — وكانت هناك أيضاً عبادة الأوثان . وعبادة الأوثان فى القديم يقابلها تماماً الخرافات المنتشرة فى العصر الحديث . فقلما مر على الناس عصر من العصور فيه اهتموا بالتعاويذ والأحجبة والطلاسم التى يعتقدون أنها تجلب لهم الحظ السعيد ، وبأقوال المنجمين والدجالين ، مثلما يفعل الناس فى هذا العصر . وسبب ذلك هو هذه القاعدة الأساسية المسلم بها فى حياة الإنسان ، وهى أن كل إنسان يجب أن يعبد شيئاً ما . فاذا لم يعبد الإله الحقيقى ، فإنه سيعبد آلهة الحظ والصدفة . وكلما يزداد الدين فى حياة الناس ضعفاً يزداد اعتقاد الناس فى الخرافات قوة .

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن هذه الخطايا الثلاث الأساسية الموجودة فى العالم إنما تمثل الاتجاهات الثلاثة التى يخطىء فيها الإنسان .

(أ) فخطية الزنا هى خطية الإنسان ضد نفسه ذاتها . فالذى يسقط فى هذه الخطية فقد جعل نفسه ينحدر إلى مستوى الحيوان ، وقد أساء إلى النور الأسمى الذى فيه ، وقد سمح لطبيعته الأدنى أن تهزم طبيعته الأسمى ، وكأنه قد ارتضى أن يجعل نفسه أقل من إنسان .

(ب) وخطية الطمع والخطف هى خطية الإنسان ضد الآخرين . إن هذه الخطية هى التى تدفعنا إلى النظر إلى الناس باعتبارهم مجرد أشخاص نستغلهم بدلا من أن ننظر إليهم كأخوة نتعاون معهم ونساعدهم . وهى الخطية التى تنسينا أن الدليل الوحيد الذى يمكن به أن نبرهن على أننا نحب الله حقاً هو محبتنا للآخرين كما نحب أنفسنا .

(ج) وخطية عبادة الأوثان هى خطية ضد الله . فهى الخطية التى تبيح لبعض الأشياء أن تغتصب مكان الله فى حياتنا . إنها خطية نبذ الإله الحقيقى والتعبد لآلهة مزيفة . إنها خطية الفشل فى إعطاء الله المركز الأول الوحيد فى الحياة .

وكان مبدأ بولس أنه ليس من حقنا أن نحكم على الذين هم خارج الكنيسة . وعبارة « الذين من خارج » كانت عبارة يهودية تستعمل للاشارة إلى الناس الذين هم خارج الشعب المختار . ومعنى قول الرسول هنا أننا يجب أن نترك إدانة هؤلاء الناس لله الذى يعرف وحده قلوب الناس . أما الشخص الذى هو داخل الكنيسة فإن له امتيازات خاصة ، ولذلك فإن عليه مسئوليات خاصة

أيضاً ؛ إذ أنه قد أخذ على عاتقه بمحض اختياره أن يؤدى واجبات معينة ، وهو لذلك مسئول عنها ، وهو إنسان قد أخذ على نفسه عهد الولاء للمسيح ، ولذلك فهو مسئول عن كيفية محافظته على هذا العهد .

وهكذا يصل الرسول فى النهاية إلى الأمر القاطع الصارم :

« اعزلوا الخبيث من بينكم » . وهى عبارة مقتبسة من تثنية ١٧ : ٧ ؛ ٢٤ : ٧ . إن هناك أوقات ينبغى فيها أن تستأصل بعض الأعضاء التى أصابها السرطان ، وفى أحيان أخرى يجب اتخاذ إجراءات مشددة لتجنب العدوى من الأمراض الخطيرة . ولم يكن الدافع الذى حفز بولس إلى ذلك هو التلذذ بتطبيق قانون صارم ، أو الرغبة فى الإيذاء أو شهوة إظهار السلطة ، ولكن الدافع الذى حمل بولس على ذلك هو رغبته الرعوية فى حماية الكنيسة من عدوى العالم التى تهددها دائماً .

الأصحاح السادس

حماقة المحاكم

(١ كورنثوس ٦ : ١ — ٨)

يعالج بولس فى هذا الفصل مشكلة كانت تتأثر بها حياة اليونانيين بصفة خاصة . أما اليهود فلم يكونوا يتقاضون أمام المحاكم العامة إطلاقاً ؛ إذ أنهم كانوا يفضون منازعاتهم وينهون كل مشاكلهم أمام شيوخ القرية أو شيوخ المجمع ، وذلك لأنهم كانوا يعتبرون العدالة شيئاً يجب تحقيقه بروح عائلية ، وليس عن طريق القانون والشرع . والحقيقة أن الشريعة اليهودية كانت بصراحة تحرم على اليهودى تحريماً قاطعاً أن يقف أمام محكمة غير يهودية ، بل كان هذا يعتبر تجديفاً ضد الشريعة الإلهية التى سنها الله لليهود . أما الأمر بالنسبة لليونانيين فكان عكس ذلك إلى حد بعيد . فقد كان اليونانيون بطبعهم يتصفون بحب الاحتكام والمقاضاة . وكانت المحاكم فى الحقيقة إحدى وسائل الترفيه والتسلية بالنسبة إليهم . وكان الذهاب إلى المحكمة يكاد يكون ركناً هاماً مرتبطاً بالحياة اليونانية العادية ومكملا لها . وعندما ندرس تفاصيل القانون الأثينى نرى الدور الكبير الذى كانت تلعبه المحاكم فى حياة أى مواطن أثينى ؛ ولم يكن الحال فى كورنثوس يختلف إختلافاً كبيراً عن الحال فى أثينا . ولما كانت تحدث فى أثينا أية خصومة أو نزاع فإن المحاولة الأولى لفض الأمر كانت تجرى على يد قاض عرفى أو حكم خاص . وكان كل من الطرفين المتنازعين يختار القاضى أو الحكم الذى يمثله ، ثم يختار الطرفان قاضياً أو حكماً ثالثاً يتفقان عليه ويكون محايداً . وإذا فشل الثلاثة فى فض النزاع وإنهاء الخصومة فإن الأمر كان يرفع إلى محكمة أخرى تعرف بمحكمة « الأربعين » . ثم كانت محكمة الأربعين تفوض الأمر بدورها إلى قاض عمومى . وكان القضاة العموميون يتكونون من كل المواطنين الأثينيين الذين فى الستين من عمرهم . وأى من كان يقع عليه الاختيار من هؤلاء للقيام بهذه المهمة كان لابد أن يقبل ، سواء كان يحب ذلك أم لا ، وإلا حرم من هذا الامتياز . أما إذا لم يمكن الوصول إلى حل بعد ذلك ، فإن الأمر كان يرفع إلى محكمة من المحلفين ، تتكون من مائتين وواحد من المواطنين ، هذا إذا كان موضوع النزاع يتعلق بمبلغ أقل من خمسين جنيهاً . أما إذا كان المبلغ المتنازع عليه أكثر من هذا الرقم فإن عدد المحلفين كان يرتفع إلى أربعمائة وواحد ؛ وقد كانت هناك حالات يصل فيها عددهم إلى ما بين ألف وستة آلاف من المواطنين . وكان هؤلاء المحلفون يتكونون من مواطنين أثينيين جاوزوا الثلاثين من العمر . وكانوا فى الواقع يتقاضون ثلاثة أوبولات « Obols » (١) فى اليوم نظير قيامهم بهذه المهمة . وكان أولئك المواطنون الذين يحق لهم أن يقوموا بدور المحلفين يجتمعون صباح كل يوم ، وتوزع عليهم القضايا بالقرعة . ومن هذا يتضح أنه فى المدينة اليونانية كان كل مواطن تقريباً يصرف جانباً كبيراً من وقته إما فى النظر إلى القضايا لإصدار أحكام فيها أو فى الاستماع إليها باهتمام . وكان اليونانيون فى الحقيقة مشهورين بحب الذهاب إلى

---

(١) الأوبول هو نقد إغريقى زهيد القيمة يساوى نحو ستة مليمات .

المحاكم . لذلك لم يكن غريباً أن بعض اليونانيين حاولوا إقحام نزعاتهم للمحاكات والمقاضاة إلى داخل الكنيسة المسيحية ـــ الأمر الذى روع بولس وأفزعه . فقد كان ذلك يخالف تماماً التقاليد التى درج عليها فى الوسط اليهودى الذى نشأ فيه ، كما كان أكثر مخالفة للمبادىء المسيحية التى اعتنقها وصار ينادى بها . ولذلك نراه يتساءل كيف يتوقع أحدهم أن ينال عدلا وهو يحاكم عند الظالمين ؟!

ثم يستطرد بولس فيصور العصر الذهبى العتيد عندما يتسلط المسيا فى حكمه الأسمى . ويشير إلى أن القديسين سيشتركون مع المسيا فى الحكم على الأمم . ولذلك يقول لهم : « إذا كنتم أنتم فى يوم ما ستدينون العالم ؛ وحتى الملائكة ـــ التى هى أعلى المخلوقات ـــ ستخضع لحكمكم ؛ فكيف تبيحون لأنفسكم أن تخضعوا لحكم غير المؤمنين والوثنيين ؟ » ثم يقول : « أما إذا لم يكن هناك بد من المحاكمة فليتولاها المحتقرون فى الكنيسة ، لأن الرجل الذى سيدين العالم لا يعبأ كثيراً بالأمور التافهة ، ولا يرضى لنفسه أن تقحم فى سفاسف العالم ومنازعات الحياة اليومية » .

ثم ينبر بولس فجأة على مبدأ أساسى عظيم ، ألا وهو أن الذهاب إلى المحكمة بوجه عام ـــ وخاصة لمحاكمة أخ ـــ إنما هو أقل بكثير من مستوى السلوك المسيحى الأمثل . وقديماً قال أفلاطون : « إن الرجل الصالح هو الذى يفضل أن يتحمل الخطأ أكثر من أن يرتكب الخطأ » . وإن المسيحى الذى يحمل فى قلبه جزءاً ولو يسيراً من محبة المسيح يفضل بالأحرى أن يتحمل الخسارة والإهانة والإصابة على أن يوقع على أى شخص قصاصها ـــ خصوصاً إذا كان هذا الشخص أخاً فالانتقام أو محاولة الانتقام ليس من المسيحية فى شىء . إن المسيحى لا يعالج أموره مع الناس على أساس الرغبة فى التعويض ، ولا على أساس التمسك بمبادىء العدالة الصارمة ، ولكنه يتصرف فى كل أموره ، ويعالج كل مشاكله بروح المحبة . وروح المحبة ستجعله يحرص على أن يعيش فى سلام مع أخيه ، وستجعله يمتنع عن أن ينزل إلى مستوى الذهاب إلى المحاكات .

وهكذا كان أناس منكم

(١ كورنثوس ٦ : ٩ ـــ ١١)

يتحدث بولس هنا عن قائمة شنيعة من الخطايا التى تعتبر بمثابة شرح مفصل بشع للحضارة الداعرة الفاجرة التى قامت فى وسطها كنيسة كورنثوس . ومع أن هناك أشياء معينة لا يسرنا أن نتحدث عنها ، لكننا يجب أن نتأمل هذه القائمة لنحاول أن نفهم الوسط الذى نشأت فيه الكنيسة المسيحية الأولى ، ولنرى أن الطبيعة البشرية لم تتغير كثيراً .

كان هناك **الزناة والفاسقون** . وقد سبق أن ذكرنا أن التساهل والاستهتار فى الأمور الجنسية كان جزءاً من بيئة الحياة الوثنية ، وأن فضيلة العفة والطهارة لم تكن معروفة فى تلك البيئة إطلاقاً ، هذا وكلمة « زناة » المستعملة هنا تشير فى الأصل إلى معنى بشع للغاية ؛ فهى تعنى الرجل العاهر

أو المومس . ولذلك لم يكن الأمر سهلا بالنسبة لأى مسيحى أن يوجد فى وسط دب فيه الفساد إلى درجة التعفن كوسط مدينة كورنثوس .

وكان هناك **عبدة الأوثان** . وكان أعظم بناء فى كورنثوس هو هيكل « أفروديت » ، إلهة الحب ، حيث كانت الوثنية والانحلال الخلقى يترعرعان جنباً إلى جنب ، وهنا نذكر أن الوثنية هى المثل البشع لما يحدث عندما نحاول أن نجعل الدين أكثر سهولة ويسراً . فإن الناس لم ينظروا إلى الصنم أو الوثن فى البداية باعتباره إلهاً ولكن باعتباره رمزاً أو إشارة للاله . فكانت وظيفة الصنم فى البداية هى أن يكون بمثابة شيء مادى ينحصر فيه ذهن العابد ، ويحس أمامه بوجود ملموس للاله ، مما يجعل العبادة أسهل وأيسر . ولكن سرعان ما بدأ الناس يتحولون عن عبادة الإله الذى يرمز إليه الصنم إلى عبادة الصنم ذاته . وهذا هو أحد الأخطار المزمنة التى يتردى فيها الناس ، إذ أنهم سرعان ما ينحدرون إلى عبادة الرمز نفسه بدلا من أن تكون عبادتهم موجهة إلى الحقيقة المستترة خلف هذا الرمز .

كان هناك **المأبونون** . وهذه الكلمة تعنى فى الأصل أولئك المخنثين الذين تتصف حياتهم بالرخاوة والميوعة ، والذين فقدوا رجولتهم وأصبحوا يعيشون للذاتهم وشهواتهم السرية ، وبعبارة أخرى الذين يتمرغون فى شهواتهم دون أن تكون لديهم أدنى قوة للمقاومة أو ضبط النفس .

وكان هناك **السارقون والخاطفون** الذين كان العالم القديم موبوءاً وملعوناً بهم . وكان اقتحام المنازل وسرقتها أمراً سهلا . وكان الخاطفون يترددون خاصة على مكانين : الحمامات العامة والملاعب العامة ، حيث كانوا يسرقون ملابس الذين كانوا يستحمون وأولئك الذين كانوا يمارسون تمريناتهم الرياضية . كما كان شائعاً أيضاً أن يخطف العبيد الذين كانت لهم مواهب خاصة . ونستطيع أن نستنتج من مواد القانون ، الذى كان مطبقاً آنئذاك ، كيف أن هذه المشكلة كانت جد خطيرة . فقد كان هناك ثلاثة أنواع من السرقة التى يعاقب مرتكبوها بالموت :

(أ) السرقات التى تزيد قيمة المسروقات فيها عن مبلغ ٥٠ دراخمة (الدراخمة عملة يونانية) ، أى حوالى جنيهين .

(ب) السرقات من الحمامات والملاعب والموانى ، والتى تبلغ قيمتها ١٠ دراخمات ، أى حوالى خمسين قرشاً .

(ج) سرقة أى شيء ليلا .. وهكذا كان المسيحيون يعيشون بين أناس أمعنوا فى السلب والاختلاس وابتزاز مال الغير .

وكان هناك **السكيرون** . والكلمة المستخدمة هنا تعنى فى الأصل الإفراط فى الشرب دون أدنى محاولة لضبط النفس . وحتى الأطفال الصغار فى اليونان القديمة كانوا يشربون الخمر . وكان طعام الإفطار عندهم يتكون عادة من الخبز المغموس فى الخمر . ومع أن اليونانيين كانوا عادة يمزجون الخمر بالماء ثم يشربون باعتدال ، ولكن أهل كورنثوس بالذات ، الذين كانوا يحبون الترف والملذات ، كانوا يشربون بافراط ويسكرون باستمرار .

وكان هناك **الطماعون والخاطفون** . وكلا الكلمتين تسترعيان التأمل : فالكلمة المترجمة « طماعون » تعنى ، كما عرفها اليونانيون « الروح التى تتطلع دائماً إلى امتلاك الأكثر وإلى خطف ما لا حق للانسان فيه » . وبعبارة أخرى هى الشهية الجشعة للكسب ، والميل العدوانى لتحقيقه . وهذه الروح تختلف كثيراً عن روح البخيل ، لأنها تهدف إلى الربح بقصد الإنفاق ، حتى يتمكن صاحبها من إشباع المزيد من شهواته وملذاته ، وهى فى ذلك لا تعبأ بمن يكون ضحيتها ما دامت تحقق لنفسها ما تريد وتشتهى . أما الكلمة المترجمة « خاطفون » فإنها تعنى القبض والمسك والاستحواذ ، ومن الطريف أن نفس الكلمة تستعمل كاسم لنوع معين من الذئاب ، كما أنها تستعمل بمعنى الكلابات الحديدية التى كانت تحمل بها السفن فى المعارك البحرية . إنها تعنى الروح التى تدفع صاحبها إلى خطف وسلب ما لا حق له فيه بنوع من العنف والوحشية .

أما أكثر الخطايا غرابة وشذوذاً فقد كانت خطية الذين كانوا **مضاجعى ذكور** . وقد شاعت هذه الخطية فى الحياة اليونانية وانتشرت كالسرطان ، ومن اليونان انتقلت إلى رومية . ومن الصعب علينا أن ندرك كيف كان العالم القديم أسيراً لهذه الخطية . فحتى إنسان عظيم كسقراط كان يمارسها ، والحوار الذى ألفه أفلاطون والمسمى Symposium والذى يعتبر من أعظم المؤلفات العالمية عن الحب ، لم يكن موضوعه الحب الطبيعى بل الحب غير الطبيعى .

ويقال إن أربعة عشر إمبراطوراً رومانياً ، من بين الخمسة عشر إمبراطوراً الأولين ، كانوا يمارسون هذه الرذيلة الشاذة . وفى ذلك الوقت بالذات كان نيرون إمبراطوراً . وكان قد اتخذ لنفسه صبياً اسمه « اسبورس » وخصاه ، ثم تزوجه فى احتفال كبير ، وأخذه فى موكب عرائسى إلى قصره ، حيث عاش الصبى معه كزوجة له . بل والأمر الأرذل الذى لا يكاد يصدق هو أن نيرون نفسه تزوج رجلا اسمه « بيثاغورس » ، وعاش ذلك الرجل مع نيرون كزوج له . وعندما استبعد نيرون ، وجلس الإمبراطور أوثو Otho بعده على العرش كان أول شىء عمله الإمبراطور الجديد أنه استولى على الصبى اسبورس ، وبعد ذلك بوقت طويل كان اسم الإمبراطور هادريان مرتبطاً دائماً باسم شاب بيثينى اسمه « انتينوس » . ولم يكن ينفصل عنه أبداً ، وعندما مات ذلك الشاب ألهه الإمبراطور ، وملأ العالم بتماثيل له وخلد خطيته معه بأن أطلق اسمه على أحد الكواكب .

وهكذا كان العالم فى عهد الكنيسة الأولى غارقاً فى هذه الرذيلة بالذات إلى درجة متناهية من الفضيحة والعار ، ومما لا شك فيه أن هذه الخطية كانت سبباً من الأسباب الرئيسية لانحطاط العالم فى ذلك الوقت ، والاندثار النهائى لحضارته آنئذاك .

ولكن ، بعد أن استعرض بولس تلك القائمة الرهيبة من الرذائل الطبيعية وغير الطبيعية ، صاح صيحة الانتصار قائلا : « وهكذا كان أناس منكم » . إن برهان المسيحية يكمن فى قوتها . إنها تستطيع أن تخلق من عكر الإنسانية ونفاياتها أناساً صالحين ، وهى تستطيع أن تصوغ من الناس الذين تلطخت حياتهم بالخطية والعار أولاداً لله . وهكذا كان هناك فى كورنثوس ، وفى جميع أنحاء العالم ، أناس هم أمثلة حية متحركة لقوة يسوع المسيح المغيرة المجددة المخلصة ، ولا تزال قوة المسيح هى عينها . فلا يستطيع إنسان ما أن يغير نفسه ، ولكن المسيح يستطيع أن يغيره . وشتنان بين

الأدب الوثنى والأدب المسيحى فان سينكا Seneca ، الذى كان معاصراً لبولس ، يصرح قائلا : « إن ما يحتاج الناس إليه هو يد توضع تحتهم لترفعهم إلى أعلى » . وأعلن أن الناس يكتنفهم شعور غامر بضعفهم وعجزهم إزاء الأشياء الضرورية » وقال فى يأس مرير : « إن الناس يحبون رذائلهم وهم منجذبون إليها ولكنهم يكرهونها فى الوقت عينه » ثم يقول عن نفسه فى أسف ورثاء إنه « رجل لا يطاق » .

وفى قلب هذا العالم ، الذى كان يعى ما يندفع فيه من تيار جارف من الانحطاط والتدهور ، وهو لا يقوى على وقفه أو الحد منه ، انبثق نور المسيحية الوضاء ، التى كانت القوة الحقيقية الوحيدة التى تستطيع أن تصير كل شىء جديداً .

اشتريتم بثمن

(١ كورنثوس ٦ : ١٢ — ٢٠)

يتعرض بولس هنا لسلسلة كاملة من المشاكل . وينتهى هذا الفصل بنداء وجهه بولس ، هو بمثابة صيحة للمعركة . فيقول : « فمجدوا الله فى أجسادكم » وقد كان اليونانيون دائماً يزدرون بالجسد ويحتقرونه . وكان من أمثالهم أن « الجسد ما هو إلا قبر » . وقال ابكتيتس Epictetus : « ما أنا إلا نفس مسكينة مقيدة ومكبلة بجثة ميت » . فكان الشىء المهم فى نظرهم هو نفس الإنسان ، روحه ، أما الجسم فلم يكن ذا أهمية بالمرة ، وقد نجم عن هذه الفكرة أحد اتجاهين أو موقفين . فإما نسك صارم عنيف ، يجعل الفرد يعمل كل شىء لإخضاع رغبات وغرائز الجسد وإذلالها ، أو استباحة كاملة لإرضاء كل ما يرغبه الجسد ويشتهيه كيفما يشاء صاحبه — مادام أن الجسد بالنسبة للنفس لم يكن من الأهمية بمكان . وكان الموقف الثانى هو السائد بين جميع الناس فى مدينة كورنثوس ، حيث لم يكن للجسد فى نظر الناس أية أهمية إطلاقاً . وكانوا يزعمون أنه مادامت النفس هى التى لها كل الأهمية ، فإن ما يفعله الإنسان بجسده ليس له أية أهمية بتاتاً . والذى جعل الأمر معقداً هو التعليم الذى كان بولس ينادى به — التعليم عن الحرية المسيحية وما كان يتوافق معها ويتلاءم مع مضمونها . إذ أن السؤال الذى كان يتبادر إلى الذهن هو : إذا كانت المسيحية تقدم للناس الحرية الحقيقية ، أفلا يعنى هذا أن الشخص المسيحى حر فى أن يتصرف كيفما يشاء ، وخاصة فى جسده الذى ليس له أى أهمية على الإطلاق .

وهكذا كان يزعم الكورنثيون ، بل كانوا يعتقدون ، أن الطريقة المثلى لمعالجة الجسد هى إطلاق العنان له ، وإرضاء كل نوازعه ، وإشباع كل متطلباته ولكن ، ما هى متطلبات الجسد ؟ زعم الكورنثيون أنه كما أن الجوف قد جعل للأطعمة ، والأطعمة قد جعلت للجوف ، وأنه بالطبع لا مفر من أن يتمشى الاثنان معاً ؛ هكذا الأمر بالضبط بالنسبة للجسد وغرائزه . أى أن الجسد — كما كانوا يزعمون — قد جعل للأعمال الجسدية ، والأعمال الجنسية قد جعلت للجسد ، ومن ثم فلا ضير فى أن يفسح المجال أمام رغبات الجسد وشهواته لتتحقق وتشبع . وقد كان جواب بولس على هذا واضحاً صريحاً . فقال إن الجوف والأطعمة مجرد أشياء عابرة فانية ، وأنه يوماً ما سيبيد

الله هذا وتلك . أما الجسد ، والشخصية ، أو الإنسان ككل ، فإنه ليس شيئاً عابراً بائداً ؛ فقد جعل للوحدة مع المسيح فى هذا العالم ، وستظل وحدتهما بعد هذا العالم أقوى وأمتن أى أنه لا مفر من أن يرتبط الإنسان المؤمن مع المسيح ارتباطاً كاملا وثيقاً . فماذا يحدث إذاً عندما يرتكب الشخص خطية الزنا ؟ إن الذى يحدث هو أن هذا الشخص يكون قد أعطى جسده لزانية لأن كلمة الله تعلمنا أن المخالطة الجنسية تجعل الاثنين جسداً واحداً. (تكوين ٢ : ٢٤) .

ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الجسد الذى هو ملك للمسيح ، وحق له ، قد سلم بالزنا إلى شخص آخر . وهنا يجدر بنا أن نتذكر أن بولس لم يكن يهدف إلى مجرد كتابة رسالة أو نبذة منسقة ؛ ولكنه كان يعظ ويترافع فى مسألة خطيرة بحماس متقد متدفق من القلب ، مستخدماً فى ذلك كل الحجج القوية القاطعة التى أمكنه العثور عليها . فقال إنه من بين الخطايا العديدة التى قد يقع فيها الإنسان ، يعتبر الزنا الخطية الوحيدة التى تسيء إلى جسد الإنسان ، وتصمه بالمهانة والاحتقار . وقد يقال إن هذا الكلام ليس دقيقاً بالتمام ، لأن السكر أيضاً قد يسبب لجسد الإنسان إساءة بالغة . ولكن يجب أن نذكر أن بولس هنا لا يكتب لإرضاء ممتحن فى المنطق ، وإنما هو يكتب لكى يخلص الكورنثيين نفساً وجسداً ، ولذلك يقول إن الخطايا الأخرى خارجة عن الجسد ، لكن الذى يزنى يخطيء إلى جسده — هذا الجسد الذى جعل أصلا ليكون متحداً مع المسيح .

ويختتم بولس حديثه فى هذا الموضوع بمناشدتهم تلبية نداء واحد أخير . إن روح الله يسكن فينا ولذلك صرنا هيكلا لله ؛ وإذا كان الأمر كذلك فإن أجسادنا ذاتها تكون مقدسة . بل ما هو أكثر من ذلك ، أن المسيح مات ليخلص الإنسان كله جسداً ونفساً ، لا جزءاً فقط من الإنسان أو قطعة منه . أى أن المسيح بذل نفسه ليقدم للانسان نفساً مفدية . وجسداً طاهراً نقياً ولهذا السبب ليس جسد الإنسان ملكاً للانسان يتصرف فيه كيفما يشاء ، ولكنه ملك للمسيح : ومن ثم ينبغى أن يستخدم الإنسان ذلك الجسد لا لإشباع شهواته الذاتية ، بل ليتمجد المسيح فيه .

وهنا فكرتان عظيمتان :

١ — يصر بولس على أنه ، بالرغم من كونه حراً أن يفعل أى شيء ، فإنه لن يسمح لشيء ما بأن يتسلط عليه . وهذه هى الحقيقة العظمى للايمان المسيحى ، أنه لا يجعل الإنسان حراً أن يفعل الخطية ولكنه يجعله حراً لا يفعلها فإنه من السهولة بمكان أن نسمح لعادات الحياة الدنيوية وممارساتها وطرقها أن تسيطر علينا ، ولكن قوة الإيمان المسيحى تمكننا من أن نسيطر على ذلك كله . وعندما يختبر إنسان ما هذه القوة المسيحية إختباراً حقيقياً ، فإنه يصبح لا عبداً لجسده وغرائزه ورغباته ، بل سيداً له ولها . وقد نسمع إنساناً يردد كثيراً قوله : « إنى سأعمل ما أحب » بينما هو فى الحقيقة منغمس فى عادة أو شهوة صار عبداً لها وأسيراً فى قبضتها . أما الإنسان الذى تسكن فيه قوة المسيح ، فهو وحده الذى يستطيع أن يقول حقاً وفعلا : « إنى سأعمل ما أحب ولن أرضى أو أشبع أشياء تريد أن تخضعنى لسلطانها » .

٢ — يصر بولس أيضاً على أننا لسنا ملكاً لأنفسنا . فليس فى هذا العالم إنسان خلق نفسه . كما أن لا شيء نفعله يقتصر تأثيره علينا وحدنا ، والشخص المسيحى هو الذى لا يفكر فى حقوقه

فحسب ، بل يفكر أيضاً فى التزاماته . فهو لا يستطيع أبداً أن يفعل ما يشاء ، لأنه ليس ملكاً لنفسه إطلاقاً . إنه يجب أن يفعل دائماً ما يشاء ربه يسوع المسيح ، لأن المسيح قد اشتراه ودفع حياته ثمناً له .

فى القسم التالى من هذه الرسالة ، والذى يبدأ من الأصحاح السابع حتى نهاية الأصحاح الخامس عشر يرد بولس على مجموعة من الأسئلة ، ويعالج عدداً من المشاكل التى كانت كنيسة كورنثوس قد كتبت إليه بشأنها ، تطلب فيها مشورته ونصائحه . ولذلك نراه يبدأ هذا القسم بالقول : « وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها ... » . وهو معنى العبارة المعروفة فى لغة العصر الحديث : « بالإشارة إلى خطابكم ... » وسوف نلخص كل مشكلة عندما تعرض لنا . فالأصحاح السابع يعالج سلسلة كاملة من المشاكل تتعلق كلها بموضوع الزواج .

وإليك ملخصاً للمسائل التى رغبت كنيسة كورنثوس فى معرفة نصيحة بولس بشأنها .

عدد ١ ، ٢ : نصيحة للذين يظنون أن المسيحيين لا ينبغى أن يتزوجوا إطلاقاً .

عدد ٣ ــ ٧ : نصيحة للذين كانوا يحثون المتزوجين على الامتناع عن كل العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة .

عدد ٨ ــ ٩ : نصيحة لغير المتزوجين وللأرامل .

عدد ١٠ ــ ١١ : نصيحة للذين يظنون أن المتزوجين يجب أن يفترقوا أو ينفصلوا .

عدد ١٢ ــ ١٧ : نصيحة للذين يظنون أنه إذا كان أحد الزوجين مسيحياً والآخر وثنياً ، فانه ينبغى أن يفرق بينهما بالطلاق .

عدد ١٨ ــ ٢٤ : تعليم بلزوم الحياة المسيحية ووجوبها بغض النظر عن الأوضاع والحالات التى هم عليها .

عدد ٢٥ ، ٣٦ ــ ٣٨ : نصيحة للعذارى .

عدد ٢٦ ــ ٣٥ : نصيحة وحث على ألا يسمح لأى شيء أن يقف حائلا دون أن تكون خدمة المسيح هى الشغل الشاغل ، وهى مركز الاهتمام الكلى ، وذلك لأن الوقت مقصر ولأن المسيح سيأتى ثانية سريعاً جداً .

عدد ٣٨ ــ ٤٠ : نصيحة للذين يرغبون فى الزواج مرة ثانية .

وقبل أن ندرس هذا الأصحاح كله علينا أن نذكر جيداً هاتين الحقيقتين :

١ ــ أن بولس يكتب هذا الكلام إلى كورنثوس ، وقد كانت كورنثوس أكثر بلاد العالم تجرداً من الأخلاق . لذلك كان من الأفضل لمن يعيش فى مثل هذه البيئة ، وهذا الوسط أن يكون صارماً أكثر من اللازم لا أن يكون متساهلا أو متراخياً أكثر من اللازم .

٢ ــ أن الشيء الذى كان يغلب على تفكير بولس ، ويملى عليه كل إجابة يكتبها ، هو يقينه

التام أن مجيء المسيح الثانى كان وشيكاً جداً . ومع أن انتظار بولس هذا لم يتحقق ، لكنه كان مقتنعاً تماماً أن النصائح التى كان يقدمها كانت عن مواقف أو أوضاع مؤقتة . ولاشك أن نصائحه كان يمكن أن تختلف عن ذلك اختلافاً بيناً فى حالات كثيرة ، لو أنه رأى أن هذه الحالات هى حالات دائمة ، وليست مجرد أوضاع أو مسائل مؤقتة . والآن لنتقدم إلى دراسة هذا الأصحاح بالتفصيل .

الاصحاح السابع

النسك والزهد الكامل

(١ كورنثوس ٧ : ١ و ٢)

سبق أن ذكرنا أنه بحسب الفكر اليونانى كان هناك ميل كبير إلى احتقار الجسد وكل الأشياء التى تتعلق به . كما رأينا أن هذا الاتجاه فى التفكير ، جعل بعض الناس يقولون : « ما دام الجسد غير مهم إطلاقاً ، إذاً فنحن نستطيع أن نتصرف به وفيه كيفما نشاء ، ولا مانع أن نفتح الباب على مصراعيه لنشبع غرائزه وشهواته كما يحلو لنا » .

ولكن هذا الاتجاه فى التفكير ، جعل أناساً آخرين يتخذون لأنفسهم موقفاً يغاير هذا الموقف تماماً ، قائلين : « إن الجسد شرير ، ولذلك يجب أن نخضعه ونذله ، ويجب أن نمحو كل رغباته ونطمس كل غرائزه وإذا كان هذا ليس ممكناً ، فلننكر كل هذه الرغبات وهذه الغرائز التى هى بالنسبة للجسد شيء طبيعى » . وهذا الاتجاه الثانى هو الذى يتعرض له بولس هنا ويعالجه . فقد رأى الكورنثيون ــ أو على الأقل فريق منهم ــ أن الشخص الذى يريد أن يكون مسيحياً حقاً ، لابد أن يجرد نفسه من الأشياء الجسدية ، ولابد أن يمتنع عن الزواج كلية .

وقد كانت إجابة بولس إجابة عملية جداً . فذكرهم أنهم كانوا يعيشون فى كورنثوس ، حيث كانت التجارب والغوايات تحيط بهم من كل جانب ، حتى عندما كانوا يمشون فى الشارع . وذكرهم بتكوينهم الجسدى ، وبالغرائز الطبيعية الكامنة فيهم . وهكذا أوضح لهم أن الزواج هو أفضل بكثير من السقوط فى الخطية . وقد يبدو هذا كأنه يقلل من سمو الزواج وقدره . إذ قد يتبادر إلى الذهن أن بولس كان ينصحهم بالزواج لمجرد تجنب مصير أسوأ من الزواج . ولكن الحقيقة أن بولس كان يواجه الحقائق بأمانة صريحة وعملية . وهو بذلك قد وضع قاعدة تصدق بالنسبة لجميع الناس فى كل العالم . فلا ينبغى أن يختط الإنسان لنفسه أسلوباً أو منهجاً فى الحياة لا يناسب طبيعته ؛ ولا ينبغى أن يشرع الإنسان فى السير فى طريق قد أحاط نفسه فيه عمداً بكل التجارب والغوايات . وقد كان بولس يدرك جيداً أن الناس يختلفون ويتفاوتون فى غرائزهم وميولهم . ولذلك نراه ينصح بأن يفحص كل واحد نفسه ، وأن يختار لنفسه الأسلوب أو الطريق الذى يراه أنسب له لكى يعيش حياة مسيحية أفضل ويحذر بولس من محاولة إتباع منهج أو مستوى غير طبيعى ، هو فى الواقع مستحيل بل وخاطىء أيضاً ، كما كان بعض الكورنثيين يريدون أن يفعلوا .

الشركة الزوجية

(١ كورنثوس ٧ : ٣ ــ ٧)

إن الذى دفع الرسول إلى كتابة هذا الفصل هو ما دعا إليه بعض مسيحى كورنثوس من أنه على المتزوجين الذين يريدون أن يعيشوا حياة مسيحية حقيقية أن يمتنعوا عن كل اختلاط بين الرجل والمرأة . وهذه الفكرة هى مظهر آخر من مظاهر عقيدتهم فى الجسد ونظرتهم إليه وإلى غرائزة ورغباته باعتبارها شريرة آثمة أصلا . وإزاء هذا يسجل الرسول مبدأ عظيماً رائعاً وفى غاية الأهمية . وهو أن الزواج شركة بين طرفين . فلا يستطيع الزوج أن يتصرف مستقلا عن زوجته ، ولا تستطيع الزوجة أن تتصرف مستقلة عن الزوج . أى أنهما لابد أن يتصرفا ويعملا معاً . ولا ينبغى أبداً أن ينظر الزوج إلى زوجته باعتبارها مجرد وسيلة أو أداة لإشباع شهواته ؛ بل ينبغى أن يعتبر الشركة الزوجية كلها ، من الناحيتين الجسدية والروحية على السواء ، شيئاً يهدف إلى إشباع كل رغبات الطرفين ، وينبغى تحقيق أعلى درجات الرضى والاكتفاء والسعادة . وربما يكون من الأنسب فى أوقات الرياضة الروحية ، وفى فرص الصلاة الطويلة الحارة ، أن توضع جانباً كل الأشياء الجسدية ، ولكن يجب أن يكون هذا باتفاق ورضى متبادل بين الطرفين ، على أن يكون هذا أيضاً مؤقتاً أو لفترة محدودة ، وإلا فإن هذا الموقف يعطى للتجربة فرصة موآتية ليسقط المؤمن فى الخطية .

وقد يبدو مرة أخرى أن بولس بهذا الكلام يقلل من شأن الزواج . ولكننا نلاحظ أن بولس لا يصرح بهذا الكلام باعتباره أمراً مثالياً . بل باعتباره إذعاناً حذراً ومتحفظاً للضعف البشرى . أما المثل الأعلى الذى كان يحث عليه فهو أن يكون كل واحد كما كان هو وماذا كان هو بالضبط ؟ إننا نستطيع أن نعرف ذلك عن طريق التخمين فقط .

وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد الأكيد أن بولس كان فى وقت ما متزوجاً . ويمكن أن يستند اعتقادنا الأكيد هذا إلى عدة أسس عامة . فقد كان بولس (حاخاماً) أو حبراً من أحبار اليهود . وكان مما يزعمه لنفسه أنه لم يقصر فى أداء أية فريضة أو طقس رسمه الناموس والتقليد اليهودى . وطبقاً لعقائد اليهود كان الزواج إلتزاماً حتمياً . وكان الرجل الذى لا يتزوج ولا ينجب أطفالا يقال عنه إنه مقطوع الذرية وإنه يقلل من صورة الله فى العالم . وكان يقال إن هناك سبعة تحرمهم السماء ، وكانت قائمة هؤلاء السبعة تبدأ بالرجل اليهودى الذى ليست له زوجة أو الذى له زوجة ولكن ليس له أولاد . فقد قال الله « اثمروا واكثروا » ؛ ومن ثم ، فإن عدم الزواج وعدم إنجاب الأولاد كان يعتبر خطيئة وعصياناً ضد وصية الله الإيجابية الصريحة ، وكان السن الذى يعتبر مناسباً للزواج هو الثامنة عشرة . ولذلك فإنه يستبعد جداً أن شاباً يهودياً نقياً متعبداً مستقيماً كما كان بولس ، يبقى غير متزوج .

وهناك دليل آخر يثبت أن بولس كان فى وقت ما متزوجاً . فلابد أن بولس كان عضواً فى السنهدريم ، لأنه يصرح أنه قد ألقى قرعة ضد المسيحيين (أعمال ٢٦ : ١٠) . وكان القانون يحتم أن يكون أعضاء السنهدريم متزوجين لأنه كان يعتقد أن قلوب الرجال المتزوجين أكثر رحمة .

ويحتمل أن زوجة بولس كانت قد ماتت ، ويحتمل أيضاً أنها قد انفصلت عنه بعد أن أصبح مسيحياً . وهكذا يكون بولس قد خسر فعلا كل الأشياء لأجل خاطر المسيح . ولكن على كل حال نرى أن بولس قد نبذ حياته الزوجية كلية من تفكيره ، ولم يتزوج ثانية . إذ لم يكن ممكناً أبداً أن رجلا متزوجاً يعيش حياة الارتحال والأسفار المتواصلة ، التى كان يعيشها بولس . وقد كانت رغبة بولس الملحة فى أن يقتدى به الآخرون . ومرد هذه الرغبة إلى أنه كان يتوقع المجيء الثانى بسرعة ، وأنه كان يعتقد أن الوقت كان مقصراً حتى أنه لم يكن هناك متسع للاهتمام بالروابط الأرضية ، وبالأمور الجسدية ، ولم يكن داع يحتم الانشغال بأيهما . فلم تكن المسألة إذاً أن بولس كان يحط من قدر الزواج ويستخف به ، بل إن بولس ، كان فى الحقيقة ، يريد أن يؤكد أن اهتمام الرجل المؤمن ينبغى أن يتركز فى الاستعداد لمجيء المسيح الثانى .

الرباط الذى ينبغى الا ينفصم

(١ كورنثوس ٧ : ٨ — ١٦)

يتحدث بولس فى هذا الفصل عن ثلاث مجموعات مختلفة من الناس :

١ — فهو يتحدث أولا عن غير المتزوجين والأرامل . وبالنسبة لظروف ذلك العصر ، الذى كان بولس يظن أنه يسرع إلى نهايته ، فقد فضل بولس أن يلبثوا كما هم ، ولكنه عاد فحذرهم من احتمال الوقوع فى فخ التجربة ، محاولة البقاء فى وضع أو موقف قد يكون خطيراً على حياتهم : فاذا كانوا بطبيعتهم غير قادرين على ضبط أنفسهم فليتزوجوا . لقد كان بولس متأكداً دائماً أنه لا يمكن أن أحداً يضع نموذجاً معيناً من السلوك يصلح أن يناسب كل واحد . إن الأمر كله يتوقف على شخصية الفرد الذى يخصه الأمر .

٢ — ثم يتحدث الرسول عن المتزوجين . وهنا ينهاهم بولس عن أن يفارق الرجل إمرأته أو المرأة رجلها . وهو يستند فى نهيه هذا على أساس قول المسيح . (مرقس ١ : ٩ ؛ لوقا ١٦ : ١٨) . وحتى إذا حدث هذا الانفصال فإن بولس يمنع التزوج ثانية . وقد يبدو هذا مبدأ أو حكماً صعباً ، ولكن بالنسبة لكورنثوس التى اتسمت بروح التساهل والميوعة وعدم المبالاة ، كان من الأفضل أن تضع الكنيسة نصب عينيها مستويات عالية للحياة والسلوك حتى لا تكون هناك أية ثغرة يمكن أن تكون سبباً فى تلطيخ الكنيسة بشوائب الحياة المائعة المستهترة التى كانت سائدة فى كورنثوس .

٣ — كما يتعلق هذا الفصل أيضاً بزواج المؤمنين وغير المؤمنين . وإزاء هذا الأمر نجد أن بولس اضطر إلى أن يقدم لكنيسة كورنثوس حكمه الشخصى ، لأنه لا يوجد أمر صريح محدد ينسب إلى يسوع نفسه يستطيع بولس أن يشير إليه أو يذكرهم به . ولأبد أنه كان فى كورنثوس من يقول بأنه لا يجب أبداً أن يعيش المؤمن مع غير المؤمن : وعلى ذلك فاذا كان هناك زوجان صار أحدهما مسيحياً وبقى الآخر وثنياً فقد وجب انفصالهما حالا . والحقيقة أن إحدى الشكايات الكبيرة

التى كان يشتكى بها الوثنيون ضد المسيحية كانت أن المسيحية سببت تفكك العائلات وانقسامها بشكل أثر على كيان المجتمع وهدده بالخراب . وكان من أوائل التهم التى وجهت إلى المسيحين أنهم كانوا يتداخلون فى أمور الغير (١ بطرس ٤ : ١٥) مما أثر كثيراً على العلاقات العائلية . ومما زاد الوثنيين حنقاً موقف المسيحيين أحياناً إزاء القرابة العائلية . فمثلا عندما سأل القاضى إحدى الشابات : « من هما والداك ؟ » أجابته قائلة : « إننى مسيحية ، والأقرباء الوحيدون للمسيحيين هم جماعة القديسين » .

لذلك كان الزواج بين المؤمنين وغير المؤمنين سبباً فى كثير من المشاكل . وحول هذا الموضوع كتب ترتوليانوس كتاباً ذكر فيه أن الزوج الوثنى كان يغضب من زوجته المسيحية لأنها كانت تزور بيوت الأخوة وخصوصاً الفقراء منهم . وقال إن الزوج الوثنى لم يكن يسمح أن يوافق لزوجته المسيحية أن تحضر الاجتماعات الدينية أو تحتفل بقيامة المسيح ، ولم يكن يسمح لها أن تزور المأسورين وهم مقيدون فى السجن . والحقيقة أنه من الصعب ألا نرثى للزوج الوثنى أو لا نقدر صعوبة موقفه . ولذلك نرى أن بولس عالج هذه المشكلة بحكمة عملية بالغة . فلقد أدرك صعوبة المشكلة ورفض أن يسهم فى زيادة حدتها أو تعقيدها . فقال إنه إذا ارتضى الاثنان أن يعيشا معاً فليكن ، ولكن إذا وجدا أن الحياة معاً غير ممكنة أو غير ممكنة أو غير محتملة فلينفصلا ، لأن المسيحية لا تعنى أبداً أن يكون المسيحى عبداً .

ثم يذكر الرسول بولس شيئين عظيمين هما دائما على قدر كبير من الأهمية والقيمة :

١ ــ يسجل بولس هذا الفكر الجميل ، وهو أن الشريك غير المؤمن مقدس فى الشريك المؤمن . فقد أصبح الاثنان جسداً واحداً . والعجيب فى هذه الحالة أن نعمة المسيحية فى الشريك المؤمن هى التى تغلب وتنتصر على شوائب ولوثات الوثنية فى الشريك غير المؤمن . ذلك لأن عدوى المسيحية سرعان ما تسيطر وتسود على كل شخص يتصل بها ويقترب منها .

٢ ــ ويسجل الرسول أيضاً فكراً آخراً لا يقل عن الفكر الأول جمالا . وهو أن هذا الارتباط أو هذه الشركة قد تكون وسيلة لتخليص نفس الشريك غير المؤمن . ومن ثم فلا ينبغى أن ينظر إلى غير المؤمن باشمئزاز باعتباره شيئاً نجساً ينبغى تجنبه ، بل باعتباره إنساناً يمكن أن يربح للمسيح ويصبح ابناً أو ابنه لله . وكأن بولس يريد أن يشير إلى حقيقة مباركة وهى أن المحبة البشرية كثيراً ما تقود الإنسان إلى محبة الله .

خدمة الرب حيث يدعونا وحيث نوجد

(١ كورنثوس ٧ : ١٧ ــ ٢٤)

يضع بولس هنا مبدأ من المبادىء الأولية للديانة المسيحية : « كن مسيحياً حيث أنت » . ولابد أن كثيرين ممن أصبحوا مسيحيين قد أرادوا أن يتركوا وظائفهم وأعمالهم ليبدأوا حياة جديدة .

ولكن بولس أصر على أن المسيحية لا تخلع على الإنسان حياة جديدة تفصله عن الماضى ، بل تجعل حياته القديمة جديدة . فليبق اليهودى إذاً يهودياً ، وليبق الأممى أممياً ، إذ أن الجنس وعلاماته لا يجعل أدنى فرق بين هذا وذاك . فالشيء الوحيد الذى يفرق أو يميز الواحد عن الآخر هو نوع الحياة التى يحياها . وقديماً كان فريق من المستهزئين الماجنين يصرون على الاعتقاد أن الإنسان حقاً لا يمكن أن يكون عبداً بطبيعته . مع أنه قد يكون عبداً بحسب وضعه وحالته ؛ وأن الإنسان المزيف لا يمكن أبداً أن يصير رجلا حراً حقاً ، ولكنه يظل دائماً عبداً . وفى هذه العبارات يذكرهم بولس أنه سواء كان الرجل عبداً أو حراً فإنه يصبح عبداً للمسيح لأن المسيح قد اشتراه بثمن .

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى الصورة المعينة التى لابد أنها كانت فى ذهن بولس وهو يكتب هذا الكلام . ففى العالم القديم كان ممكناً للعبد أن يشترى حريته الشخصية بمجهود عظيم . وكانت الطريقة التى يتبعها هى أن يشغل أوقات فراغه القليلة فيؤدى فيها بعض الأعمال الإضافية نظير دراهم قليلة . ولكن سيده كان يتقاضى عمولة معينة على هذه الدراهم القليلة . ولكن العبد كان يودع كل فلس يمكنه الحصول عليه فى هيكل إله من الآلهة ، إلى أن يتجمع له بعد سنوات المبلغ الذى يفرض عليه ثمناً لحريته . وعندئذ يصحبه سيده إلى الهيكل حيث يتسلم ذلك المبلغ من يد الكاهن . وبذلك يصبح العبد ملكاً خاصاً للاله لا سلطان لأحد من الناس عليه . وهذا ما كان بولس يفكر فيه . فإن الشخص المسيحى قد اشتراه المسيح ودفع ثمنه ؛ ولذلك فهو ملك خاص له ؛ ولم يعد لوضعه الاجتماعى أهمية ، إذ أنه قد أصبح حراً من كل الناس وملكاً خاصاً ليسوع المسيح .

ذلك ما يحاول بولس أن يوضحه فى هذا الفصل . فهو يصر على أن المسيحية لا تعنى أن يتنكر الإنسان لوضعه الاجتماعى ويصبح متذمراً شاكياً من كل شيء ، وساخطاً على كل شيء ، ولكن المسيحية تجعله أينما يكون ، يعتبر نفسه عبداً للمسيح ، وأن أتفه وأحقر الأعمال أو الحرف التى يؤديها لأجل المسيح وليس لأجل الناس . كما قال جورج هربرت : « إننا إذا كنا نعمل كل شيء باسم المسيح ولأجله فكأننا أمسكنا بالحجر السحرى المشهور الذى يحول كل شيء إلى ذهب . فكل عمل ، مهما كان تافهاً أو متواضعاً ، وكل كدح وكد فى حرف الحياة ، مهما كانت حقيرة أو وضيعة ، يمكن أن يكون شيئاً عظيماً ومفيداً إذا كان يؤدى باسم المسيح ولأجله » .

نصيحة حكيمة فى مشكلة عويصة

(١ كورنثوس ٧ : ٢٥ و ٣٦ ــ ٣٨)

تنقسم الأعداد ٢٥ ــ ٣٨ إلى قسمين ، يحسن بنا أن نتأمل فى كل منهما على حدة . فالأعداد ٢٥ ، ٢٦ ــ ٣٨ تعالج مشكلة تتعلق بالعذارى ، بينما تشرح بقية الأعداد الواردة بينها الأسباب التى تحتم العمل بالنصائح الموجهة فى الأصحاح كله . والواقع أن هذا الفصل الذى يتعلق بالعذارى كان دائماً مشكلة إذ أنه فسر أو فهم بثلاثة أوجه مختلفة .

١ ـــ فقد اعتبره بعضهم نصائح موجهة للآباء بخصوص زواج بناتهم غير المتزوجات . ولكننا نستبعد أن يكون هذا مفهوم هذا الفصل . لأن ذلك يجعل من الصعب تفسير كلمة « عذراء » لو أنه كان يعنى بها « ابنة » أى ليس هناك ما يدعو الرسول أن يستخدم كلمة « عذراء » إذا كان المعنى المقصود هو « ابنته » .

٢ ـــ واعتبره آخرون معالجة لمشكلة أصبحت فيما بعد متأزمة وحادة ، حاولت أكثر من كنيسة أن تعالجها أو أن تنهى عنها . فلقد صار تقليداً عند الكثيرين أن يعيش رجل وامرأة معاً تحت سقف واحد ، يشتركان معاً فى فراش واحد ، ومع ذلك لا تكون بينهما أية علاقات جسدية . وكانت وجهة نظرهما فى ذلك أنه إذا استطاع الاثنان أن يدربا نفسيهما على الشركة الروحية الوثيقة دون أن يسمحا لنوازع الجسد أن تتدخل بينهما ، فإن ذلك العمل يعتبر شيئاً يستحق التقدير والاعتبار . ويمكننا أن ندرك أن الدافع الذى دفعهم إلى هذا الاعتقاد هو محاولتهم تجريد العلاقات الإنسانية من كل الشهوات الجسدية والأمور الأرضية . ولكن هذا الاتجاه كان خطيراً للغاية ، إذ كان يخلق فى أغلب الأحيان أوضاعاً ومواقف مستحيلة . وكان يطلق على المرأة فى مثل هذه العلاقة اسم عذراء الرجل . ويبدو أن هذه العادة نشأت فى كنيسة كورنثوس . وإذا كان الأمر كذلك ، كما نعتقد ، فإن معنى كلام بولس هنا هو : « إذا كنتم تستطيعون أن تظلوا باقين فى هذا الموقف الصعب وإذا كان لديكم من قوة ضبط النفس ، وتدريب الإرادة ، ما يكفى للاستمرار فى هذا الوضع . فحسناً تفعلون . ولكن إذا كنتم قد جربتم هذا العمل ووجدتم أنه أصعب وأثقل مما تستطيع الطبيعة البشرية أن تحتمله فلا تتمادوا فيه بل تزوجوا وليس فى زواجكم هذا ما يشينكم أو يعيبكم أو يحط من قدركم » .

٣ ـــ مع أننا نعتقد أن هذا التفسير السابق هو التفسير الصحيح لهذا الفصل ، لكن توجد فكرة أخرى تستحق استرعاء النظر . فقد كان فى كورنثوس رجال وسيدات سبق أن عقد قرانهم وتزوجوا فعلا ، ولكنهم اتفقو أن يعيشوا حياة العفة المطلقة ، وأن يضبطوا أنفسهم عن الشهوات ، ويمتنعوا عن العلاقات الجسدية الطبيعية التى بين الأزواج ، حتى يكرسوا أنفسهم تكريساً كاملا للحياة الروحية . ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن هذا الاتفاق قد فرض عليهم ثقلا وجهداً أعظم مما يستطيعون أن يطيقوا أو يتحملوا وإزاء هذه الحالة يكون معنى قول الرسول لهم « إذا استطعتم أن تلتزموا بعهدكم واتفاقكم فحسناً تفعلون ، وإلا فواجهوا الأمر بصراحة ومارسوا العلاقات الزوجية العادية إذ ليس فيها ما يشين أو يعيب » .

وفى نظرنا أن هذه العلاقة ، التى سبقت الإشارة إليها ، تبدو كلها خطيرة وشاذة بل وخاطئة أيضاً . واضطرت الكنيسة أن تسمها بالانحراف والخطأ والشذوذ . وكانت نصيحة بولس هى عين الحكمة والصواب . وكلامه فى الحقيقة يتضمن ثلاثة أشياء :

١ ـــ إن العفة وتدريب النفس وضبطها ميول رائعة . فإن أية وسيلة يستطيع بها الإنسان ترويض نفسه وإخضاع كل ميوله متحكماً فيها تحكماً كاملا تعتبر شيئاً رائعاً . ولكن ينبغى أن نذكر دائماً . أن المسيحية لا تتطلب منا أن نحذف الغرائز والعواطف الإنسانية الطبيعية من حياتنا أو أن نحاول

إقصاءها عنا أو التخلص منها ، بل أن نسمو بها ونرقيها ونستخدمها لمجد الله .

٢ ــ لا ينبغى أن ننحرف بالمفاهيم الدينية فنحملها غير المقصود بها ، أو نعمل أشياء غير طبيعية باسم الدين ، مع أن الدين لم يتطلب منا ذلك . وهذا هو الخطأ الذى يقع فيه الرهبان والراهبات والنساك والمتوحدون الذين يختارون عمداً أسلوباً شاذاً فى الحياة ؛ وهم يظنون أنه ينبغى عليهم أن ينبذوا المشاعر البشرية الطبيعية ويتخلصوا منها تماماً لكى يصبحوا متدينين حقاً . ويعتقدون أيضاً أنه ينبغى أن يفصلوا أنفسهم كلية عن حياة الناس العادية لكى يخدموا الله . إننا يجب أن نتذكر دائماً أن المسيحية لم يقصد بها أن تلاشى أو تلغى الحياة الطبيعية العادية ، ولكنها تسمو بها وترفع من قدرها .

٣ ــ إن الدين لم يوجد ليكون مصدر عذاب أو كرب لنا . ويذكر لنا كولى نوكس Collie Knox أنه عندما كان شاباً كان يفهم الدين على أنه حمل ثقيل يسبب الإجهاد والتوتر ، ثم يذكر كيف أن قسيساً محبوباً جاءه مرة ووضع يده على كتفه وقال له : « أيها الشاب نوكس ، لا تجعل الدين فى حياتك عذاباً وعناء » . وقيل أن بيرنز Burns كان ينتابه الرعب والفزع بسبب تدينه ، بدلا من أن يكون الدين مساعداً له ومعيناً » . إن الحقيقة التى يجب أن يعرفها الجميع هى أنه لا ينبغى أن نخجل من الجسد الذى أعطانا الله إياه ، أو من القلب الذى وضعه داخلنا ، أو من الغرائز والميول التى خلقها فينا .

إن المسيحية تعلمنا ، لا أن نقصى عنا هذه الأشياء وننبذها ، بل أن نستخدمها بطريقة تصبح فيها العواطف والميول نقية طاهرة ، ويصير فيها الحب الإنسانى أعظم وأشرف شىء فى كل عالم الله .

الوقت مقصر

(١ كورنثوس ٧ : ٢٦ ــ ٣٥)

هذا الفصل هو جوهر وخلاصة فكر الرسول فى موضوع الأصحاح كله ولو أنه بدأ الأصحاح بهذا الفصل لفهمنا قصده دون عناء ، ويبدو لكثيرين من خلال آيات هذا الأصحاح أن الرسول يقلل من شأن الزواج . وأنه فى أكثر من موضع ، كان يسمح بالزواج على سبيل التصريح والإذن فقط . وكأنه رضى بمبدأ الزواج لمجرد تجنب الزنا والفسق ؛ كأن الزواج على أحسن الفروض ليست له الأفضلية الأولى . وقد كان اليهود يمجدون الزواج ويعتبرونه واجباً مقدساً . وطبقاً للتقليد اليهودى كان هناك سبب واحد يمكن أن يبرر عدم الزواج . هو الرغبة فى التفرغ لدراسة الناموس . ولذلك تساءل الحاخام بن عزاى مرة قائلا : « لماذا ينبغى أن أتزوج ؟ إننى محب للناموس ومغرم به . دع الآخرين يتولون مهمة امتداد الجنس البشرى وتزويده بالنسل » . ومن تاريخ اليونان نعرف أن ابكتتس Epictetus الفيلسوف الرواقى لم يتزوج أبداً . وقال إنه يفيد العالم بكونه معلماً أكثر بكثير مما لو أنتج للعالم اثنين أو ثلاثة من « العيال قبيحى الأنف » ثم تساءل قائلا : « كيف يمكن لإنسان

كل عمله تعليم البشرية ، أن يهتم بشيء تافه مثل تسخين المياه لاستحمام طفل صغير ؟ » . ولكن هذه لم تكن وجهة النظر اليهودية ، وبالتأكيد ليست هذه وجهة النظر المسيحية . وبالأحرى لم تكن وجهة نظر بولس النهائية فى هذا الموضوع . لأنه عندما كتبت الرسالة إلى أفسس ، بعد ذلك بسنوات ، نراه قد غير رأيه ؛ فهو هنا يستخدم العلاقة بين الرجل وزوجته كرمز وإشارة ومثال للعلاقة بين المسيح والكنيسة . (أفسس ٩ : ٢٢ ـــ ٢٦) . أما عندما كتب رسالته إلى كورنثوس فقد كانت كل أفكاره متأثرة بحقيقة انتظاره وترقبه لمجيء المسيح الثانى حالا وفى أية لحظة . لذلك يمكن أن نقول إن ما كتبه بولس عن هذا الموضوع فى رسالة كورنثوس كان بمثابة تشريع أو قانون طوارىء . « للوقت منذ الآن مقصر » . فقد كان يعتقد أن المسيح سيأتى ثانية سريعاً جداً بحيث ينبغى أن يطرح كل شيء جانباً وتركز كل الاهتمامات والاستعدادات حول ذلك المجيء . حتى أهم نواحى النشاط البشرى وأعز العلاقات الإنسانية ينبغى أن يضحى بها إذا كان بقاؤها يعرقل هذا التركيز ، أو يضعف من قوته أو يقلل من سرعته . فلا ينبغى أن تكون هناك أية ربط تعطل الإنسان عن طاعة المسيح عندما يأمره بالقيام والسير .. ولا ينبغى أن يفكر الإنسان فى إرضاء أى شخص آخر سوى المسيح . ولو أن بولس كان يفكر أنه هو وسائر المؤمنين سيعيشون فى وضع دائم أو مستمر لما كتب ما كتبه هنا . وفى الوقت الذى كتب فيه رسالته إلى الأفسسيين كان قد أدرك استمرار ودوام الأوضاع الإنسانية ، ومن ثم اعتبر الزواج أثمن وأعظم العلاقات ، بل واعتبروه العلاقة الوحيدة التى يمكن أن تكون نموذجاً ومثلا ولو باهتاً ضعيفاً ـــ معادلا لعلاقة المسيح بالكنيسة .

وبالنسبة إلينا نحن يجب أن يكون البيت هو دائماً بحق ، المكان الذى يؤدى لنا شيئين : فهو المكان الذى نجد فيه أنبل فرصة لنحيا حياة مسيحية . ولكن المؤسف حقاً أن يصبح ، فى مرات كثيرة ، المكان الذى فيه يستطيع كل واحد أن يشاكس وأن ينتقد وأن يكون فظاً خشن الطباع ومن المؤسف أيضاً أننا نعامل فى البيت الذين يحبوننا بطريقة لا نجرؤ أن نعامل بها الغرباء عنا . والبيت ثانياً هو المكان الذى نستمد من راحته وحلاوته القوة التى تمكننا من أن نتمتع بالشركة والرابطة الوثيقة وأن نحيا كما ينبغى أن نكون فى هذا العالم .

وفى هذا الأصحاح ينظر بولس إلى الزواج باعتباره فى المقام الثانى من حيث الأفضلية ، لأنه كان يعتقد أن عمر الحياة لم يبق عليه سوى أيام قليلة ولكن الأمر لم يستمر فقد جاء اليوم الذى نظر فيه بولس إلى الزواج باعتباره أحلى وأعظم علاقة إنسانية على هذه الأرض .

الزواج ثانية

(١ كورنثوس ٧ : ٣٩ و ٤٠)

يعود بولس هنا فيؤكد تمسكه بوجهة نظره . ونراه هنا يعتبر الزواج علاقة لا يمكن فصلها إلا بالموت . ومع أن زواج الأرملة أمر مسموح به ولكن بولس هنا يفضل لها أن تظل كما هى ـــ وهو هنا يتحدث فى ضوء الوضع الذى كان يعتبره مجرد حالة طوارىء مؤقتة يعيش فيها الناس فى

ذلك العصر .

ومن نواح كثيرة يمكن اعتبار الزواج الثانى تحية أو مجاملة من الشريك الذى يبقى على قيد الحياة للشريك الآخر الذى رحل عنه ؛ لأن الزواج الثانى معناه أن الحياة بعده أو بعدها أصبحت موحشة لا تطاق ؛ وهو يعنى أيضاً أن الحياة معه كانت سعيدة حتى أنه يرغب فى أن يتزوج مرة ثانية ليتمتع بسعادة مماثلة . وهكذا يمكن اعتبار الزواج ثانية ، ليس تحقيراً للميت أو إزدراء به ، ولكنه تشريف له ودليل احترامه وتوقيره .

ويضع بولس لذلك شرطاً واحداً — إنه يجب أن يكون زواجاً فى الرب فقط ، أى أن يكون زواجاً بين أناس مسيحيين . فمن الندرة بمكان أن ينجح زواج إذا كان أحد الشريكين فيه غير مؤمن . ومنذ زمان طويل قال بلوتارك الحكيم اليونانى القديم ، إن « الزواج لا يمكن أن يكون سعيداً إلا إذا كان دين الزوج والزوجة واحداً » . إن أعلى درجات الحب تتأتى عندما يحب اثنان من الناس أحدهما الآخر . وعندما يتقدس حبهما بحب مشترك للمسيح . لأنهما حينئذ لا يعيشان معاً فقط . ولكنهما يصليان معاً أيضاً ؛ وهكذا تتحد الحياة والمحبة لتكونا عبادة واحدة مستمرة لله .

تعالج الأصحاحات ٨ ، ٩ ، ١٠ مشكلة قد تبدو بعيدة عنا تماماً . ولكنها كانت بالنسبة للمسيحيين فى كورنثوس مشكلة حقيقية معقدة جداً ، وتتطلب حلا صريحاً لها . هذه المشكلة هى أكل اللحم الذى ذبح للأوثان وقبل أن نبدأ دراسة هذه الأصحاحات بالتفصيل يحسن بنا أن نشرح موضوع المشكلة والخطوط العريضة للحلول التى قدمها بولس إزاء الحالات العديدة التى اضطر المسيحيون فيها إلى مواجهتها .

كان تقديم الذبائح للآلهة جانباً مكملا أو متمماً للحياة فى ذلك العصر القديم . وكانت الذبائح نوعين ، خاصة وعامة . وفى كلا النوعين لم يكن الحيوان كله يحرق على المذبح . ولكن فى أغلب الأوقات كان يكتفى بحرق جزء صغير جداً منه ، مثل بعض شعيرات من جبهته ، كمجرد رمز أو إشارة . وفى الذبيحة الخاصة ، كان الحيوان المذبوح يقسم إلى ثلاثة أجزاء . الجزء الأول صغير رمزى يحرق على المذبح . والثانى يأخذه الكهنة نصيباً شرعياً لهم ، وهو عبارة عن الضلوع والفخذ والجانب الأيسر من الوجه . أما ما يتبقى بعد ذلك فيأخذه العابد لنفسه ويقيم به وليمة . وكان هذا يحدث خاصة فى بعض المناسبات كحفلات الزفاف مثلا . وكانت هذه الولائم تقام أحياناً فى بيت صاحب الذبيحة وأحياناً أخرى فى هيكل الإله الذى قدمت الذبيحة له . ولقد عثر ، على ورقة بردى مكتوب عليها دعوة للغذاء جاء فيها : « أنطونيوس ابن بطليموس يدعوكم للغذاء معه على مائدة إلهنا سيرابيس » وكان سيرابيس هو الإله الذى قدمت الذبيحة له ، وكانت المشكلة التى واجهت المسيحى هى « هل يمكنه أن يشترك فى مثل هذه الوليمة ؟ وهل يمكن أن يضع فى فمه لحماً سبق أن قدم لوثن أو لإله من آلهة الأصنام ؟ » . وإذا لم يكن هذا ممكناً ، فمعنى هذا واضح تماماً ، وهو أنه سيعزل نفسه عزلا تاماً تقريباً عن كل المناسبات الاجتماعية .

أما فى حالة الذبيحة العامة ، أى الذبيحة التى تقدمها الدولة — وقد كانت مثل هذه الذبائح شائعة جداً — فإنه بعد حرق الجزء الرمزى اللازم على مذبح الوثن ، وبعد أن يأخذ الكهنة نصيبهم ،

كان اللحم الباقى يعطى للقضاة والحكام الذين كانوا يأخذون ما يريدونه ثم يبيعون ما لا يحتاجون إليه للمحلات التجارية والأسواق . ومن ثم فحتى اللحم الذى كان يشترى من السوق كان مذبوحاً أيضاً لوثن من الأوثان أو لأحد آلهة الأصنام . ولذلك لم يكن ممكناً لأى واحد أن يجزم إذا كان اللحم الذى يأكله هو قطعة من ذبيحة سبق تقديمها لوثن أم لا .

والذى زاد الأمور تعقيداً هو أن الناس فى ذلك العصر كانوا يعتقدون اعتقاداً قوياً بوجود الشياطين والأرواح من حولهم ، الأمر الذى كان يملأ حياتهم بالرعب والخوف . وكانوا يعتقدون أن الهواء زاخر بعدد كبير من الشياطين والأرواح النجسة ، التى كانت دائماً تتربص بهم وتكمن لهم ، تحاول أن تدخل أجسامهم ، وأنها متى دخلت إنسان فانها تؤذى جسده ، وتربك عقله ، وتجعل تفكيره مشوشاً مضطرباً . وكانوا يعتقدون أن الطعام هو من الوسائل التى تستطيع بها هذه الأرواح أن تدخل جسم الإنسان ، وأنها لذلك كانت تستقر على الطعام وتدخل جسم الإنسان عندما يدخل الطعام فمه ثم يمضى إلى جوفه . وكانوا يتجنبون ذلك ويتحاشونه بأن يهبوا اللحم لإله طيب ، ظناً منهم أن وجود ذلك الإله الطيب فى اللحم سيقف حائلا وحاجزاً فى وجه الروح الشرير . ولهذا السبب ، كانت كل الحيوانات تقريباً توهب أو تكرس لإله ما قبل ذبحها . وإذا لم يفعلوا ذلك فإنهم يباركون اللحم ، قبل الأكل ، باسم إله من الآلهة ، حتى يكون هذا بمثابة دفاع ضد الأرواح النجسة ، ونتج عن كل ذلك أنه كان من الصعب جداً أن يأكل إنسان ما لحماً ، دون أن يكون ذلك اللحم مرتبطاً بطريقة ما بإله من آلهة الأوثان ، فترى هل يأكل المسيحى هذا اللحم أو لا ؟ كانت تلك هى المشكلة . ومع أن الأمر قد يبدو لنا تافهاً لا يستحق سوى اهتمام علماء العاديات الذين يبحثون فى الآثار القديمة ، لكنه كان بالنسبة لمسيحى كورنثوس أو أية بلدة يونانية أخرى مشكلة شاملة . يجب أن يبت فيها بطريقة أو بأخرى .

وتقع نصائح بولس فى فصول أو أقسام مختلفة :

١ ــ ففى أصحاح ٨ يضع المبدأ أنه مهما كان الأمان والطمأنينة التى يحس بهما المسيحى القوى المستنير ، ضامناً لنفسه عدم التأثر بالأوثان وآلهتها ، فإنه إذا كان يؤمن أن الوثن هو رمز لشيء ليس له وجود إطلاقاً ، فإنه ينبغى ألا يفعل أى شيء يجرح أو يؤذى أو يربك ضمير أخ ليست له نفس القوة أو الاستنارة .

٢ ــ وفى أصحاح ٩ يتحدث الرسول عن الذين يتذرعون بمبدأ الحرية المسيحية ، فيشير إلى أنه توجد أشياء كثيرة هو حر فى أن يفعلها ، ولكنه يمتنع عن عملها لأجل خاطر الكنيسة . ومعنى هذا أنه كما يعى ما له من الحرية المسيحية جيداً ، كذلك ينبغى أن يعى ما عليه من المسئولية المسيحية بهذا القدر عينه .

٣ ــ وفى أصحاح ١٠ : ١ ــ ١٣ يتحدث عن الذين زعموا وأعلنوا أن معرفتهم المسيحية ، ومركزهم الممتاز ، يجعلانهم آمنين تماماً من خطر أية عدوى ويستشهد على ذلك بالإسرائيليين الذين كانت لهم كل إمتيازات شعب الله المختار ومع ذلك سقطوا فى الخطية .

٤ ـــ وفى أصحاح ١٠ : ١٤ ـــ ٢٢ يستخدم بولس حجة أخرى وهى أن الشخص الذى جلس إلى مائدة الرب لا يستطيع أن يجلس إلى مائدة إله من آلهة الأوثان ، إذ لا يستطيع أحد أن يشرب كأس الرب وكأس شياطين ، ولا يقدر أن يشترك فى مائدة شياطين .

إن هناك شيئاً أساسياً خاطئاً عندما تتناول الشفاه من جسد المسيح ودمه ثم تعود فتتناول لحماً مذبوحاً لإله مزيف .

٥ ـــ وفى أصحاح ١٠ : ٢٣ ـــ ٢٦ ينصح الرسول بعدم التدقيق المفرط فى الفحص ، وكل واحد يستطيع أن يشترى كل ما يباع فى الملحمة دون أن يسأل أو يفحص عن شىء من أجل الضمير .

٦ ـــ وفى أصحاح ١٠ : ٢٧ و ٢٨ يتحدث الرسول عن مشكلة التصرف فى بيت خاص . ويقول إنه إذا دعى المسيحى إلى بيت خاص فعليه أن يأكل من كل ما يقدم له دون أن يتقدم بأية أسئلة ، ولكن إذا أعلمه أحد عمداً أن اللحم الذى أمامه قد ذبح لوثن ، فإن هذا الإعلان يعتبر تحدياً لمركزه كمسيحى ، وعليه ، فى هذه الحالة ، أن يمتنع عن أكله .

٧ ـــ وأخيراً فى أصحاح ١٠ : ٢٩ إلى أصحاح ١١ : ١ يضع الرسول مبدأ للسلوك المسيحى وهو أن يكون سلوك المسيحى بلا لوم حتى لا يكون عثرة لليهود أو لغير اليهود . فمن الأفضل أن يضحى المسيحى بحقوقه من أن تكون هذا الحقوق سبباً فى عثرة الآخرين .

والآن لنتقدم إلى دراسة هذه الأصحاحات بشىء من التفصيل .

الأصحاح الثامن

نصيحة للعلماء والحكماء

(١ كورنثوس ٨)

فيما سبق رأينا الصعوبة التى تواجه إنساناً يعيش فى أية مدينة يونانية وخاصة مشكلة أكل اللحم المذبوح للأصنام وللآلهة الوثنية ، غير أن بعضاً من الكورنثيين لم يكن الأمر مشكلة فى نظرهم . وكانوا يستندون فى ذلك إلى أن علمهم الغزير ، وأفق إدراكهم الواسع واعتقادهم أن الآلهة الوثنية ليس لها وجود بالمرة ، وأنه لذلك يمكن للمسيحى أن يأكل اللحم المذبوح للأوثان دون أدنى تبكيت أو تأنيب من الضمير . والواقع أن بولس يقدم ردين على هذا الكلام ، أحدهما مذكور فى أصحاح ١٠ : ٢٠ .

وفيه يوضح بولس أنه وإن كان يوافق تماماً على أن الآلهة الوثنية لا وجود لها ، لكنه متأكد تماماً أن الشياطين والأرواح موجودة ، وأن هذه الشياطين والأرواح موجودة فعلا خلف الأوثان والأصنام ، وأنها تستخدمها لتضليل الناس وإغوائهم وإبعادهم عن عبادة الإله الحقيقى . أما فى هذا الفصل الذى أمامنا (أصحاح ٨) فان بولس يقدم حجة أبسط من هذه بكثير . فهو يقول إنه كان فى كورنثوس — حتى ذلك الوقت — أناس يعتقدون بحقيقة وجود الأصنام والآلهة الوثنية ؛ وإن هؤلاء الناس البسطاء لم يستطيعوا أن ينتزعوا من أنفسهم هذه العقيدة كلية ، بل ظلت ملازمة لهم إلى حد ما . وكان هؤلاء الناس ، كلما أكلوا من اللحم المذبوح للأوثان ، يشعرون بتأنيب ضمائرهم لهم . ومع أنهم أحسوا بالسليقة أنهم كانوا مخطئين فى عقيدتهم هذه وأن هذا التأنيب لا مبرر له ، لكنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا منه أو يقاوموه لذلك يقول بولس : إنه وإن كنتم تعتقدون بأنه لا ضرر أو خطر عليكم إطلاقاً من أكل اللحم المذبوح للوثن ، فإنكم فى الحقيقة تضرون وتؤذون وتربكون ضمائر أولئك الناس البسطاء . وبذلك يأتى بولس إلى حجته القاطعة فى هذا الأمر ، ويذكر مبدأ هاماً يحسم كل مجادلة ، فيقول إنه إذا كان شىء ما يؤذى الآخرين ، حتى وإن كان لا يؤذيك أنت ، فانه ينبغى عليك أن تتركه وتتخلى عنه . فإن المسيحى لا ينبغى أن يعمل أى شىء يسبب عثرة لأخيه .

وفى هذا الفصل الذى يعالج موضوعاً يبدو أنه بعيد عنا وأنه لا يخص عصرنا ، توجد ثلاثة مبادىء عظيمة ستظل مناسبة ولازمة لكل المؤمنين أبداً ودوماً .

١ — إن ما هو مأمون بالنسبة لشخص ما قد لا يكون مأموناً تماماً بالنسبة لشخص آخر . ولقد قيل — وهذه حقيقة مباركة — إن الله له سلم سرى خاص يصل به إلى كل قلب ، ولكن من الناحية الأخرى — وهذا أيضاً حق — إن الشيطان له طريق سرى خبيث يصل به ، بالحيلة والخداع ، إلى كل قلب . فقد نكون نحن أقوياء نستطيع أن نواجه التجربة وأن نقاومها ، ولكن قد يكون هناك آخرون لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك وقد يكون هناك شىء ما لا نرى فيه بالنسبة

إلينا أى إغراء أو غواية ، بينما يصبح بالنسبة لأشخاص آخرين ، تجربة عنيفة أو إغراء مثيراً . ولذلك ، فقبل أن نقرر عمل شيء ما ، أو عدم عمله ، يجب أن نفكر أولاً فى تأثير ما نعمله ، ليس علينا نحن فحسب ، بل على الآخرين أيضاً .

٢ ـــ يجب ألا يقتصر حكمنا على أى شيء من وجهة نظر العلم أو المعرفة فحسب ، بل يجب أن نحكم على كل شيء من وجهة نظر المحبة أيضاً . لقد كانت حجة المسيحيين المتقدمين فى المعرفة أنهم ، بما كان لهم من علم ومعرفة أكبر من أن يعاملوا الأوثان كما لو كانت شيئاً يذكر أو يستحق الإعتبار . إلا أن علمهم هذا ذهب بهم إلى ما هو أبعد من ذلك . إن هناك خطراً معيناً يتردى فيه العلماء ، هو خطر الانتفاخ والتعاظم .

فالعلم قد يجعلهم متكبرين متعجرفين ؛ وقد يدفعهم إلى احتقار الذين هم من دونهم فى العلم والمعرفة ، وقد يجعلهم يجفون ويقسون على من يعتبروهم جهلاء ، فلا يترفقون بهم أو يعطفون عليهم . حقاً إن العلم الذى يدفع الإنسان إلى هذا الحد ليس علماً حقيقياً ، ولكنه إحساس خاطىء بالتفوق الفكرى ، وهو فى الحقيقة شيء خطير . إن سلوكنا تجاه الآخر يجب ألا يحكمه ما لنا من علم ومعرفة أكثر منهم ، بل ما فى قلوبنا من محبة نحوهم ، هذه المحبة التى يجب أن تكون مترفقة ، متأنية ، موآسية ، ومتعقلة أيضاً . وقد يتطلب الأمر منا ، لأجل خاطر الآخرين ، أن نمتنع عن عمل أو قول لا غبار عليه سوى أنهم يتعثرون منه .

٣ ـــ كل هذا يقودنا إلى الحقيقة العظمى لكل شيء ، وهى أنه ليس من حق أحد أن يستمتع بمسرات معينة أو يمارس حريته فى عمل أشياء قد تكون عثرة لشخص آخر أو سبباً لتحطيم حياته . ربما يكون للشخص الأول من قوة التفكير وصلابة العزيمة ما يجعله يستمتع بهذه المسرات فى حدودها الصحيحة غير المعيبة ؛ وربما تكون كل تصرفاته هذه مأمونة العواقب بالنسبة إليه ، ولكنه فى كل شيء وعند كل تصرف ينبغى ألا يفكر فى نفسه فقط ، بل يجب أن يفكر أيضاً فى أخيه الضعيف . إن أية لذة أو مسرة ننغمس فيها أو نتمتع بها ، وتكون سبباً فى تحطيم حياة إنسان آخر أو تعثره ، لا تصبح لذة أو مسرة بل تصبح خطية .

الأصحاح التاسع

الامتيازات التى لا يطالب بها

(١ كورنثوس ٩ : ١ — ١٤)

قد يبدو هذا الفصل لأول وهلة أنه غير مرتبط بما قبله ، ولكن الحقيقة غير ذلك . فإن النقطة الرئيسية التى يدور حولها الكلام هنا هى أن الكورنثيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم مسيحيين متقدمين وناضجين ، كانوا يزعمون لهذا السبب أن لهم الحق والامتياز أن يأكلوا مما يذبح للأوثان إذا أرادوا ذلك . وظنوا أن الامتيازات المسيحية والحرية المسيحية تعطيهم الحق أن يعملوا أشياء لا يحل عملها لسائر الناس الذين دونهم . وكانت طريقة بولس فى رده عليهم هى أن يعدد لهم الامتيازات الكثيرة ، التى كان له شخصياً كل الحق فى أن يطالب بها ؛ ولكنه لم يطالب بها خشية أن تكون أحجار عثرة أمام الآخرين ، أو عوائق تعطل تأثير وفاعلية الإنجيل .

وأول هذه الامتيازات التى ينسبها بولس إلى نفسه كونه رسولا وهذا يجعله فى وضع خاص جداً وهو يستخدم حجتين ليبرهن بهما حقيقة ارساليته :

١ — فهو قد رأى الرب . ومما ذكر مراراً وتكراراً فى سفر الأعمال . يتضح لنا أن البرهان الأعظم على صدق إرسالية أى رسول أن يكون شاهداً للقيامة . (أعمال ١ : ٢٢ ؛ ٢ : ٣٢ ؛ ٣ : ١٥ ؛ ٤ : ٣٣) . وهذه الحقيقة لها أهميتها العظمى ، فإن الإيمان فى العهد الجديد ليس اقتناعاً بعقيدة ، أو قبولا لمذهب ، ولكنه إيمان فى شخص . ولا يقول بولس « إننى عالم بما آمنت » ولكنه يقول : « إننى عالم بمن آمنت » (٢ تيموثاوس ١ : ١٢) . وعندما دعا يسوع تلاميذه لم يقل لهم : « إن لى فلسفة خاصة تعالوا امتحنوها » أو « إنى لى نظاماً أخلاقياً معيناً أريدكم أن تعيروه إهتمامكم وتتبعوه » أو « إنى أقدم لكم بياناً للايمان أحب أنكم تناقشونه وتدرسونه » . ولكنه كان يدعو كل واحد من تلاميذه قائلا : « اتبعنى » . إن المسيحية تبدأ من هذه العلاقة الشخصية بيسوع المسيح ، ولكى يكون الإنسان مسيحياً يجب أن يتعرف به شخصياً . كما قال كارليل ، بمناسبة اختيار خادم لإحدى الكنائس « إن الكنيسة تحتاج — قبل أى إعتبار آخر — إلى شخص يعرف المسيح » . إن كل شىء آخر يبدأ بهذه العلاقة الشخصية .

٢ — والحجة الثانية التى يذكرها بولس هى أن خدمته ورسالته كانت ناجحة وفعالة . وكان الكورنثيون أنفسهم هم برهان هذا النجاح . فهو يدعوهم « ختم رسالته » . وكان الختم قديماً على جانب كبير من الأهمية . فعندما كانت ترسل شحنة من الحبوب أو البلح أو ما إلى ذلك ، كان آخر شىء يعمل هو أن تختم الجولات والزكائب بأختام تبين أن البضاعة سليمة وأنها غير مغشوشة وعندما كانت الوصية تكتب كانت تختم بسبعة أختام ، ولم تكن تعتبر نافذة المفعول إلا إذا قدمت بأختامها السبعة كاملة وصحيحة . أى أن الختم كان هو ضمان الحقيقة وعدم الغش أو التقليد . وقد كانت حقيقة وجود كنيسة كورنثوس هى ضمان إرسالية بولس . فان البرهان النهائى الحاسم

على أن إنساناً ما يعرف المسيح هو أن هذا الإنسان يستطيع أن يأتى بآخرين إلى المسيح . وهذا يذكرنا بما قيل مرة أن جندياً شاباً كان يرقد متألماً من جراحه فى المستشفى الذى كانت تعمل به فلورنس نايتنجيل . وعندما كانت فلورنس تنحنى لتعتنى به وتضمد جراحه كان يقول لها : « إننى أرى المسيح فيك » . إن أفضل برهان على حقيقة مسيحية إنسان ما ، هو أنه يساعد الآخرين على أن يكونوا هم مسيحيين أيضاً .

وكان الامتياز الذى من حق بولس أن يطالب به هو أن تتكفل الكنيسة باحتياجاته الجسدية . وكان فى إمكانه أن يطالب بهذا الحق ، وليس شخصه فحسب ، بل ولزوجته أيضاً . والحقيقة أن الرسل الآخرين طالبوا فعلا بمثل هذا الامتياز ونالوا فعلاً كل ما كانوا يحتاجون إليه . وقد كان اليونانيون يحتقرون العمل اليدوى ؛ ولم يكن هناك أى يونانى حر يرحب بأن يشتغل بيديه . وأعلن أرسطوطاليس الفيلسوف أن كل الناس كانوا ينقسمون إلى قسمين : قسم المثقفين الحكماء والقسم الآخر هم الذين كانوا يعيشون فقط ليؤدوا الأعمال الحقيرة أو البسيطة التى يحتاج إليها الآخرون من القسم الأول . وقال أرسطوطاليس إنه من الخطأ أن تعمل أية محاولة لتعليم هذه الفئة من الناس أو لرفع مستواهم . وكان خصوم سقراط وأفلاطون فى الحقيقة يعيرونهما لأنهما لم يكونا يأخذان مالاً نظير تعليمهما للناس . وكان أولئك الخصوم يقولون إن سبب ذلك هو أن تعاليمهما لم تكن تساوى شيئاً . حقاً أن كل حاخام أو حبر يهودى كان مفروضاً ألا يتقاضى شيئاً نظير تعليمه للناس ، وأن تكون له حرفة يكسب من ورائها قوته اليومى . ولكن هؤلاء الحاخامات أو الأحبار كانوا حريصين جداً على أن يقرروا فى أذهان الناس أنه لم يكن هناك عمل يستحق كل التقدير أكثر من القيام باعالة الحاخام ، وتزويده بكل إحتياجاته الجسدية ، حتى أن الشخص الذى كان يرغب فى ضمان مكان مريح لنفسه فى السماء كان عليه أن يحرص على إمداد الحاخام بكل لوازمه وإحتياجاته . وهكذا نرى أن بولس ، من كل وجه ، كان من حقه أن يطالب بامتياز تكميل الكنيسة بكل لوازمه .

ويستخدم بولس لتأكيد وجهة نظره أمثلة بشرية عادية . فليس من التزامات الجندى أن يدبر طعامه الخاص ، كذلك جندى المسيح ، الذى يخوض المعركة ضد قوى الشر لا ينبغى أن ينشغل بطعامه . فالذى يغرس كرما يأكل من ثمره كذلك الذى يغرس كنائس يجب أن يأكل من ثمر غرسه . والذى يرعى رعية يأكل من لبنها . كذلك الراعى المسيحى يجب أن تتكفل رعيته بشئون معيشته . حتى كلمة الله فى الكتاب المقدس تعلمنا ألا نكم الثور فى دراسه ، بل يجب أن يسمح له بالأكل من الحبوب (تثنية ٢٥ : ٤) ويستعير بولس هذا المثل باعتباره ينطبق على المعلم والمبشر المسيحى .

وكان الكاهن الذى يخدم فى الهيكل فى أورشليم يقبل نصيبه من مختلف الذبائح والتقدمات ويعيش عليها . وكانت هناك — فضلا عن البكور والعشور والعطايا المختلفة — خمس ذبائح رئيسية : ذبيحة المحرقة ، وذبيحة الخطية ، وذبيحة الاثم ، وقربان التقدمة ، وذبيحة السلامة . وكان للكاهن نصيب معين وبنسب تتفاوت من كل هذا . وكان ذلك فى ذهن بولس عندما رفض أن يقبل من الكنيسة حتى لوازم الحياة الأساسية . ويرجع رفضه هذا إلى سببين :

١ ـــ كان الكهنة مضغة فى أفواه الناس . فبينما كانت العائلة اليهودية العادية تأكل اللحم مرة واحدة فى الأسبوع ، كان الكهنة يعانون من مرض أصبح ملازماً لوظيفتهم ، وسببه هو كثرة أكل اللحم . وكان بولس يعرف كل شيء عن حقوقهم وامتيازاتهم وترفهم فى حياتهم وجشعهم الذى أصبح صيته قبيحاً . وكان يعرف أنهم استخدموا الدين ليكون مجرد وسيلة يستغلونها ليأكلوا حتى يسمنوا . ولذلك قرر أن يتطرف إلى الدرجة القصوى على النقيض من ذلك ، فلا يأخذ شيئاً البتة . وبعبارة أخرى كانت سمعة الكهنة السيئة وسلوكهم المشين سبباً جعل بولس يرفض أية مساعدة إطلاقاً .

٢ ـــ والسبب الثانى كان راجعاً إلى ميل بولس الواضح إلى حياة الاستقلال والاعتماد على النفس . ويبدو أنه تطرف فى هذا أكثر من اللازم إلى درجة أساءت إلى مشاعر الكورنثيين برفضه كل مساعدة منهم . ولكن بولس كان أحد الذين يعشقون حياة الاستقلال ، والذين يفضلون أن يموتوا جوعاً عن أن يكونوا تابعين أو خاضعين لأحد .

ومجمل القول إن هناك شيئاً واحداً كان يوجه كل سلوك بولس ويحدد تصرفاته ؛ وهو أنه لم يكن يريد أن يعمل أى شيء قد يجلب اللوم على الإنجيل ، أو يعوق تقدمه وانتشاره . فإن الناس دائماً يحكمون على الرسالة من حياة الشخص الذى ينادى بها ويدعو إليها . وكان بولس مصمماً على أن تكون يداه طاهرتين ، وعلى ألا يسمح لأى شيء فى حياته أن يناقض أو يعطل الرسالة التى يحملها بشفتيه . ولذلك لم يستطع أى واحد أن يقول لبولس ما قاله أحدهم مرة لواعظ : « إننى لا أستطيع أن أسمع ما تقوله ، لأن صوت ما أنت عليه وما تفعله أعلى بكثير من صوت كلامك » .

الامتياز والالتزام

(١ كورنثوس ٩ : ١٥ ـــ ٢٣)

فى هذا الفصل نرى موجزاً أو مجملا لكل مفهوم الخدمة فى نظر بولس :

١ ـــ فهو يعتبر الخدمة امتيازاً . والشيء الوحيد الذى لا يمكن أن يعمله هو أن يأخذ مالاً نظير خدمته للمسيح . وهذا يذكرنا بما قاله أستاذ أمريكى جامعى مشهور عندما تقاعد عن كرسى الأستاذية ، قال فى خطاب له : « إننى أشكر الجامعة التى ظلت طوال السنوات الماضية تدفع لى مرتباً نظير عمل كنت أرحب بسرور أن أدفع أنا أجراً له نظير السماح لى بالقيام به » . إلا أن هذا لا يعنى أن الإنسان المؤمن يجب أن يشتغل دائماً دون مقابل ، فهناك عدة إلتزامات يتحتم عليه الوفاء بها ، ولا يتسنى له ذلك إذا كان يؤدى عمله دائماً مجاناً ، ولكن معنى هذا ألا يكون الأجر المادى هو الدافع الأول والأساسى للعمل الذى يؤديه المؤمن . فهو يجب أن ينظر إلى عمله ليس باعتباره مهمة يقوم بها بقصد جمع المال ، ولكن باعتباره فرصة للخدمة . وهو يجب أن يعتبر نفسه

إنساناً واجبه الأساسى والأول ليس أن يساعد نفسه ، بل إن واجبه وإمتيازه أيضا أن يخدم الآخرين لأجل الله .

٢ ــ وهو يعتبر الخدمة واجباً وتكليفاً . ووجهة نظر بولس هنا هى أنه لو كان قد اختار بنفسه أن يعمل كارزاً بالإنجيل لجاز له أن يطالب بأجر نظير عمله . ولكن الواقع أنه لم يختر العمل بل إن العمل هو الذى اختاره .

ولم يكن فى وسعه أن يكف عن هذا العمل ، تماماً كما لم يكن فى وسعه أن يكف عن التنفس . لذلك لم يكن هناك محل للمناقشة فى مسألة الأجر بالنسبة لعمل لم يكن له الحرية فى اختياره أو رفضه .

يحدثنا رامون لل Ramon Lull القديس الأسبانى العظيم الغامض عن كيف أصبح مرسلاً للمسيح ، فيقول إنه كان قبلا يعيش حياة مستهترة مترفهة منغمسة فى الملذات والشهوات ثم حدث ذات يوم أنه كان بمفرده عندما جاءه المسيح حاملاً صليبه قائلا له : « احمل هذا لأجلى » ولكنه دفع المسيح بعيداً ورفض أن يحمل صليبه . وحدث مرة ثانية أنه كان فى كاتدرائية عظيمة حيث كان السكون مخيماً عندما جاء المسيح ثانية ؛ وطلب منه مرة أخرى أن يحمل صليبه ، ولكنه رفض هذه المرة أيضا . وبعد ذلك ، وفى لحظة انفراد ووحدة موحشة ، جاء المسيح مرة ثالثة . ويقول رامون لل : « إن المسيح فى هذه المرة نظر إلى ثم ألقى بصليبه بين يدى . ووجدت عندئذ أنه لا مفر أمامى من أن أحمل الصليب وأتبعه » وكأن بولس أراد أن يقول : « ماذا أفعل ؟ لا مفر أمامى من أن أبشر الناس بانجيل المسيح ؟ » .

٣ ــ بالرغم من أن بولس لم يكن يتقاضى أجراً ، فإنه كان يعلم أنه يحصل يومياً على مكافأة عظيمة . فقد كان يحس بالرضى وبالسعادة النفسية للتبشير بالإنجيل مجاناً لكل من يقبل . والواقع أن المكافأة الحقيقية لقاء أى عمل ، ليس المال الذى يحصل عليه العامل ، بل هو الرضى والإرتياح النفسى الذى يشعر به العامل عندما يجد أن عمله قد تم على أكمل وجه . وهذا هو السبب الذى من أجله يعتبر أعظم شىء فى الحياة ، ليس اختيار العمل الذى يدر أكبر أجر أو مرتب ، بل هو اختيار العمل الذى يجعلنا أكثر سعادة . وهذه السعادة تتوقف كلية على مقدار ما يبعثه هذا العمل فى نفوسنا من رضى وارتياح . ويحدثنا الدكتور شويتزر عن اللحظات التى يحس فيها بأعظم قدر من السعادة ، فيقول إنه عندما يحمل إليه فى المستشفى مريض يئن متألماً ، فإنه يهدىء من روع المريض أولا ويبعث فى نفسه السكينة ويقول له إن العملية بسيطة ، وإنه لن يشعر بألم أثناءها ، لأنه سيكون شبه نائم بعد تخديره . وبعد العملية يجلس الدكتور شويتزر بجانب الرجل المريض حتى يفيق ويستعيد وعيه . ثم يفتح المريض عينيه ببطء ويهمس فى تعجب ودهشة قائلا : « إننى الآن لا أحس بالألم » . ويقول الدكتور شويتزر إن هذه هى لحظته العظيمة التى يحس فيها بالسعادة الغامرة ، فمع أنه لا توجد هناك مكافأة مادية أو مالية ، لكن هناك الرضى العميق الذى يصل إلى أعماق القلب فيملأه بالسعادة والبهجة . إن إصلاح حياة محطمة ، وهداية ضال إلى الطريق السوى ، وشفاء قلب جريح منسحق ، واجتذاب نفس واحدة إلى المسيح ــ إن هذا كله أو بعضه

ليس شيئاً يمكن أن تقدر مكافأته بمقاييس المال ، ولكنه شيء يبعث فى نفس من يفعله فرحاً لا يعبر عنه ، ويفوق كل حدود القياس .

٤ ـ وأخيراً يتحدث بولس عن أسلوب خدمته ، فيقول إن أسلوبه هو أن يصير للكل كل شيء . وليس معنى هذا أن يكون مرائياً أو منافقاً أو مختالا ، ولكن معنى هذا أن يتمشى وأن يتفاهم مع كل واحد بقدر إدراكه وحسب مستواه ، وأن يراعى ظروف الآخرين ويقدر وجهات نظرهم . فإن الشخص الذى يتعامى عن آراء وأفكار الآخرين ولا ترى عيناه شيئاً سوى ذاته هو ، والذى يتعصب لوجهات نظره دون أدنى استعداد لتفهم وجهات نظر الآخرين ، والذى يفتقر كلية إلى هبة القدرة على مواساة الآخرين ، والذى لا يبذل أية محاولة ليدرك ما يدور بخواطر وقلوب الآخرين ـ مثل هذا الشخص لا يصلح أبداً أن يكون راعياً أو مبشراً أو حتى صديقاً . هناك فن تحدث عنه أحدهم وسماه « فن التوافق والانسجام مع الآخرين » .

وقيل إن أحد مشاهير الواعظين كان يمتلك قدراً وفيراً من هذا الفن . لأنه لم يكن محدثاً عظيماً فحسب ، بل كان أيضاً يجيد الإصغاء باهتمام إلى أى شخص ، وله قدرة فائقة على التوافق والإنسجام مع أى واحد . وقد قال عنه أحد أصدقائه إن عنده فن « قيادة الناس إلى التحدث عن موضوعاتهم المفضلة وعما يعرفونه أكثر » .

وعندما شكا قسيس إحدى القرى من غباء الناس فى كنيسته ، وضيق أفقهم ، وقال بمرارة إنهم لا يعرفون الحديث إلا عن أبقارهم وأغنامهم ، أجابته سيدة عجوز قائلة : « إن الواعظ (فلان) لو كان مكانك لأجاد الحديث معهم عن أبقارهم وأغنامهم » . فبالنسبة للرجل الريفى كان الواعظ ريفياً مثله . وهكذا درب نفسه أيضاً على أن يكون مستعداً للحديث مع كل شخص فى الموضوع الذى يشغل باله ويثير اهتمامه ويتعلق بعمله . فكان مثلا ، يتلذذ بالحديث عن صناعة النظارات مع صانع النظارات . وبالحديث عن القانون مع المحامى ، وبالحديث عن تربية الخنازير مع من يقوم بتربيتها ، وبالحديث عن الأمراض مع الطبيب ، وبالحديث عن السفن مع صانع السفن ، وهكذا . وبهذه القدرة على التوافق والإنسجام مع الآخرين استطاع أن يربح نفوساً كثيرة للمسيح . ونحن لن نستطيع أن نحقق أى نجاح فى الكرازة أو الصداقة إلا إذا كنا نتحدث مع الآخرين بلغتهم ونشاركهم فى أفكارهم التى يفكرون بها . وما دمنا لا نبذل جهداً فى تفهم الآخرين ، وما دمنا لا نعمل أية محاولة لنصل إلى نقط إتصال أو شركة معهم ، فإننا لن نستطيع أن نلقى بهم أو نتمشى معهم فى الطريق الذى يوصلهم إلى معرفة المسيح . وهذا هو ما أدركه بولس الرسول الذى ربح نفوساً للمسيح أكثر مما ربح أى إنسان آخر . فقد وجد بولس أنه لكى ينجح فى رسالته ، عليه أن يكون للكل كل شيء . إن إحدى الضروريات العظمى التى نحتاج إليها فى خدمتنا هى ، ببساطة ، أن نتعلم فن التوافق والانسجام مع الناس ، ومشكلتنا فى الغالب هى أننا لا نبذل أية محاولة فى هذا السبيل .

صراع حقيقى

(١ كورنثوس ٩ : ٢٤ ـــ ٢٧)

فى هذا الفصل يتحول بولس إلى الحديث عن معنى آخر . فهو يؤكد للكورنثيين الذين أرادوا أن يأخذوا الأمر مأخذاً سهلا ، أن أحداً لن يستطيع أن يحقق شيئاً إلا بالجهاد العنيف وضبط النفس وقمع الجسد واستعباده . وكان بولس دائماً يتمثل صورة الرياضيين الراكضين فى المباريات . وكان على الرياضى أن يدرب نفسه تدريباً جدياً وعنيفاً إذا كان ينوى الفوز فى المسابقات والمباريات . وكانت هذه المباريات مثيرة لاهتمام الكورنثيين . فقد كانت الألعاب الأثمانية ـــ التى لم تكن تفوقها أهمية سوى الألعاب الأولمبية ـــ تجرى فى كورنثوس . وفضلا عن ذلك . إذا كان أولئك الرياضيون الذين يقضون فترة طويلة ، ويبذلون جهداً كبيراً فى التدريب وضبط النفس ، ينالون عند فوزهم إكيلا من أوراق شجر الغار ، الذى سرعان ما يذوى ويذبل ويفنى ، فكم بالحرى إذاً يجب على المسيحى أن يدرب نفسه ويضبطها فى كل شىء ليفوز بإكليل الحياة الأبدية .

وفى هذا الفصل يرسم بولس باختصار نوعاً من الفلسفة فى الحياة :

١ ـــ إن الحياة معركة . وهى كما قال وليم جيمس : « إذا لم ننظر إلى هذه الحياة باعتبارها حرباً حقيقياً يجب أن ننتصر فيها ، لكى نربح للكون شيئاً خالداً نضيفه إليه ، فإنها ستصبح فى نظرنا مجرد لعبة مسرحية ، يمكن أن ينسحب الواحد منها فى أى وقت . إن الحياة فى حقيقتها معركة يلزم أن نلقى فيها بكل أماننا ومثالياتنا » : والجندى المترهل المتراخى لا يستطيع أن يحرز نصراً فى معركة ، والمتسابق المتراخى البطىء لا يستطيع أن يحقق فوزاً فى سبق أو مباراة ، لذلك يجب أن نعتبر أنفسنا دائماً كرجال فى حملة أو غزوة ، نسعى ونركض لتحقيق الهدف العظيم لننال الفوز ولنأخذ الجعالة .

٢ ـــ إن النصر فى هذه المعركة ، والفوز فى هذا السباق يتطلب قدراً كبيراً من التدريب والترويض للجسد والعقل والنفس . فعلينا أن ندرب أجسادنا على النظام ؛ إن من الحقائق المهملة أو المنسية فى حياتنا الروحية أن أغلب المرات التى يصيبنا فيها الضعف والخمول الروحى ترجع إلى عدم اللياقة الجسدية . وإذا كان إنسان يريد أن يعمل شيئاً على الوجه الأكمل ، يجب أن يكون لديه الجسد القوى الصحيح . لذلك يجب أن نذكر أن إهمالنا لصحتنا الجسدية أمر فى غاية الخطورة على حياتنا الروحية . وعلينا أيضاً أن ندرب عقولنا على التفكير المنظم . فمن مآسى الحياة أن الناس يرفضون التفكير حتى يصبحوا عاجزين عنه . ونحن لا نستطيع أبداً أن نحل المشاكل برفضنا النظر إليها ، والتفكير فيها أو بهروبنا من مواجهتها . وعلينا أيضاً أن ندرب نفوسنا ، وذلك بأن نتحمل مآسى الحياة بجلد وهدوء ، وبأن نقابل تجارب الحياة بكل قوتنا التى نستمدها من قوة الله ، وبأن نواجه عوائق الحياة بشجاعة وإقدام . ولا يكاد يمر يوم من أيام الحياة دون أن تسنح لنا فرص كثيرة لتدريب نفوسنا وترويضها .

٣ ـــ إننا فى الحياة نحتاج لان نعرف هدفنا . إن من الأمور المحزنة فى الحياة أن كثيرين من الناس يعيشون بلا هدف أو غاية . فهم ينجرفون مع أى تيار على غير هدى ، بدلا من أن يسيروا حياتهم فى اتجاه معين . ومن الأمثال التى تروى نقلا عن شخص إسمه مارتين مارتنز : عاش مرة رجل اشتهر بانتقاد الآخرين وهجومهم . وبعد أن دارت الأيام دورتها الطبيعية ، ومضى من عمره عدة سنوات تآمر عليه أصدقاؤه وذبحوه . وجاء الناس واجتمعوا حوله قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة . وكانوا يقولون عنه فى غضب : « لقد عامل كل العالم المحيط به كما لو كان كرة قدم يقذفها بقدمه » . وإذا بالرجل المحتضر يستجمع ما تبقى له من قوة ، ويفتح إحدى عينيه بصعوبة ، ويقول لهم : « ولكننى كنت دائماً أقذف الكرة نحو الهدف » . ورسم أحدهم مرة صورة لرجلين على المريخ ينظران إلى الناس فى عالمنا هذا وهم منطلقون مسرعين هنا وهناك وفى كل مكان . وسأل أحد الرجلين الآخر : « ماذا يفعلون ؟ » فأجابه الآخر قائلا : « إنهم ذاهبون » . فقال الأول « ولكن ، إلى أين هم ذاهبون ؟ » . فقال الآخر : « للأسف إنهم لا يقصدون مكاناً معيناً ، إنهم ذاهبون فقط إلى حيث لا يدرون » . وإذا كان الواحد لا يقصد مكاناً بالذات فمعنى هذا أنه لن يصل إلى أى مكان بالمرة .

٤ ـــ ونحن فى الحياة نحتاج أيضاً إلى أن نعرف قيمة ذلك الهدف .

إن دعوة يسوع العظمى للناس قلما كانت ترتكن إلى العقوبة والجزاء بل كانت دعوة تحث الناس على إدراك الفراغ العظيم فى حياتهم إذا لم يتبعوا طريق يسوع . فالهدف المقصود إذاً هو الحياة ذاتها . وربح الحياة هو بكل تأكيد هدف يستحق أن يبذل كل شيء فى سبيله .

٥ ـــ وفى الحياة نحن لا نستطيع أن نخلص آخرين ما لم نتمكن أولا من السيطرة على أنفسنا والسيادة عليها . قال فرويد مرة : « إن تعلم التحليل النفسى يبدأ بدراسة المحلل لنفسه أولا ، وذلك بأن يدرس ويفحص ذاته وشخصيته » . وأعلن الإغريق أن أولى قواعد الحياة هى : « أيها الإنسان أعرف نفسك » . إننا بكل تأكيد لا نستطيع أن نخدم الآخرين إلا بعد أن نسيطر ونسود على أنفسنا . فنحن لا نستطيع أن نعلم الناس شيئاً لا نعرفه . كذلك لا نستطيع أن نأتى بآخرين للمسيح إلا إذا كنا نحن قد أتينا أولا إلى المسيح فوجدناه ووجدنا ، وتعرفنا به وأصبحت لنا شركة معه .

الأصحاح العاشر

خطر الافراط فى الثقة بالنفس

(١ كورنثوس ١٠ : ١ ـــ ١٣)

فى هذا الأصحاح يستأنف بولس الحديث عن مسألة أكل اللحم المذبوح للاوثان . وهو يشير هنا إلى بعض الكورنثيين المسيحيين الذين أفرطوا فى الثقة بأنفسهم . وكانت وجهة نظرهم هى : « لقد تعمدنا ، وهكذا أصبحنا واحداً مع يسوع المسيح . ولقد اشتركنا فى فريضة العشاء الربانى ، وهكذا تناولنا من جسد المسيح ودمه . فنحن فى المسيح والمسيح فينا ، ولذلك فنحن فى أمان تام ولا خوف علينا بالمرة . وإذاً فنحن نستطيع أن نأكل اللحم المقدم للأوثان دون أن يصيبنا أى ضرر ، ولا يمكن أن يحدق بنا أو يتهددنا أى خطر » . ولذلك يتحدث الرسول فى هذا الفصل إلى أولئك الناس الذين كانوا يثقون فى أنفسهم إلى هذا الحد فيحذرهم من خطر الإفراط فى الثقة بالنفس .

عندما كان أوليفر كرومويل يخطط برنامج تعليم ابنه ريتشارد ، قال إنه يود أن يتعلم ابنه شيئاً من التاريخ . ونحن نرى فى هذا الفصل أن بولس يستعين بالتاريخ ليبين ما يمكن أن يحدث لأناس تمتعوا بأعظم الامتيازات والبركات . فنراه يشير إلى الأيام التى كان بنو إسرائيل فيها سياحاً يعبرون الصحراء . فقد حدثت لهم فى تلك الأيام أشياء عجيبة وعظيمة ، إذ كان عمود السحاب فوقهم ليهديهم فى الطريق وليحميهم ساعة الخطر . (خروج ١٣ : ٢١ ، ١٤ : ١٩) ودخلوا فى وسط البحر الأحمر (خروج ١٤ : ١٩ ـــ ٣١) . وكان هذان الاختياران سبباً جعل بنى إسرائيل فى وحدة كاملة مع موسى ، الذى يعتبر أعظم القادة والمشرعين ، حتى أنه يمكن القول بأن بنى إسرائيل قد عمدوا لموسى كما يعمد المسيحى للمسيح . وقد أكلوا من المن فى البرية (خروج ١٦ : ١١ ـــ ١٥) . وفى عدد ٤ يقول بولس إنهم كانوا يشربون من الصخرة التى تابعتهم . وهذه الحادثة لم ترد فى العهد القديم ولكنها وردت فى التلمود . فقد ورد فى سفر العدد ٢٠ : ١ ـــ ١١ أن الله مكن موسى من أن يستخرج من الصخرة ماء للشعب العطشان ، وورد فى التلمود أن هذه الصخرة تابعت الشعب ، وكانت دائماً تعطى ماء ليشرب منه كل من يعطش . وكانت هذه القصة معروفة ومتداولة بين كل اليهود . لكن ، بالرغم من كل هذه الإمتيازات التى كان يملكها بنو إسرائيل ، فقد سقطوا وفشلوا فشلاً ذريعاً واضحاً . وعندما خاف الشعب خوفاً عظيماً وجبنوا عن أن يتقدموا إلى أرض الموعد ؛ وعندما عاد كل من ذهب ليستكشف الأرض ـــ ماعدا يشوع وكالب ـــ ليقدم تقريراً يائساً متشائماً ، كان حكم الله أن يموت ذلك الجيل كله فى الصحراء وأن تسقط جثثه فى ذلك القفر (عدد ١٤ : ٣٠ ـــ ٣٢) . وعندما كان موسى على جبل سيناء يتلقى الشريعة أغوى الشعب هارون لعمل عجل ذهبى لعبادته (خروج ٣٢ : ٦) . وارتكبوا خطية الزنى ، حتى فى الصحراء ، مع المديانيات والموآبيات . وهلك آلاف بسبب غضب الله على هذا الأمر (عدد ٢٥ : ١ ـــ ٩) .

وعندما أخذ قورح وداثان وأبيرام يقاومون موسى ويقودون تمرداً وثورة فى الشعب ضد موسى ، أصابت دينونة الله كثيرين وماتوا . (عدد اصحاح ١٦) . ويبين لنا كل تاريخ إسرائيل أن الناس الذين كانوا يتمتعون بأعظم الامتيازات والبركات الإلهية لم يكونوا فى أمان من خطر التجربة . ولذلك يذكر بولس الكورنثيين بأن الإمتيازات الخاصة ليست ضماناً للنجاة عندما تهاجمهم التجربة .

ويجب أن نلاحظ هنا التجارب والسقطات التى يبرزها بولس .

١ ــ فهناك تجربة عبادة الأصنام . ونحن الآن لا نعبد الأصنام عبادة صريحة صارخة . ولكن إذا وضعنا فى اعتبارنا أن إله الإنسان هو ذاك الذى يستحوذ على كل وقته وفكره وجهده ، فإننا نستطيع أن نقول إن الناس لا يزالون يعبدون ما يصنعون بأيديهم أكثر من عبادتهم لله .

٢ ــ وهناك تجربة الزنا . وما دام الإنسان هو الإنسان ، فان التجارب تأتيه من ذاته الدنيا . ولا يمكن أن ينقذ الإنسان من الانزلاق إلى النجاسة والدنس سوى المحبة الطاهرة النقية .

٣ ــ وهناك تجربة الخطأ فى فهم رحمة الله . فكثيرون من الناس ، عن وعى أو لا وعى ، عمداً أو دون تفكير ، يريدون أن يستغلوا رحمة الله وأن يجربوه . وهم يقولون إن الله سيرحم وسيغفر وسيتغاضى عن الخطية . واستناداً إلى هذا الزعم يتمادون فى خطاياهم ، وفاتهم أنهم كما يرجون محبة الله التى تغفر ينبغى أيضاً أن يعملوا حساباً لقداسة الله التى تقتضى منهم حياة بلا لوم .

٤ ــ وهناك تجربة التذمر والضجر وهناك كثيرون يواجهون الحياة بالكآبة والعويل وليس بالفرح والتهليل .

ولذلك ينبر بولس على الحاجة إلى التيقظ والحذر . « إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » . فكم من الحصون التى سقطت فى يد الأعداء لمجرد أن المدافعين عنها ظنوا أن هذا لن يحدث . وفى سفر الرؤيا ٣ : ٣ نجد أن المسيح المقام ينبه كنيسة ساردس إلى ضرورة السهر . وقد كان الأكروبول فى ساردس مبنياً على بروز مرتفع من الصخر ؛ وكان يعتبر حصيناً منيعاً للغاية . وعندما كان كورش يحاصره عرض مكافأة خاصة سخية لمن يتمكن من إيجاد طريقة لاقتحامه . فتسابق الجنود على مراقبة الحصن من كل جوانبه . وحدث أن أحد الجنود ، وإسمه هيروادس ، كان يراقب الحصن فرأى جندياً من جنود الحامية تسقط خوذته صدفة من بين شرفات الحصن . ورأى الجندى المراقب الجندى الآخر وهو ينزل ليحضر خوذته ، وهكذا عرف الطريق الذى يمكن به الوصول إلى داخل الحصن . وفى تلك الليلة قاد كورش جماعة من الجنود عبر هذا الطريق نحو الأكمة المرتفعة التى كانت القلعة فوقها . وعندما وصلوا إلى القمة وجدوا أن القلعة من هذه الناحية خالية من الحرس فاقتحموا القلعة التى ظنوها أمنع من أن يستطيع أحد الاستيلاء عليها . إن الحياة قد لا تخلو من فتحات أو ثغرات يمكن أن يفاجئنا الخطر عن طريقها . ولذلك يجب أن نكون دائماً فى حالة تيقظ وسهر .

وهكذا يختتم بولس هذا الفصل بذكر ثلاثة أشياء عن التجربة :

١ ــ فهو متأكد تماماً أن التجربة ستأتى ، وأنه لا مفر منها فى الحياة . ولكن الكلمة المترجمه

« تجربة » هى فى الأصل اليونانى أقرب إلى كلمة « اختبار » أو « فحص » . فالتجربة إذاً شيء لا يقصد به سقوطنا ، ولكن يقصد به اختبارنا وتمحيصنا لكى نخرج منها أكثر قوة وصلابة .

٢ ــ وإن أية تجربة تأتى إلينا ليست فريدة فى نوعها . فإن آخرين قبلنا اجتازوا فيها ، وتحملوها فى صبر وجلد . يحدثنا أحد الأصدقاء أنه كان مرة يقود عربة يجرها حصان فى طريق جبلى ضيق فى بلاد النرويج . وكان معه فى العربة « لايتفوت » أسقف درهام العظيم . ثم بدأ الطريق يضيق جداً حتى أنه لم يكن هناك سوى بوصات قليلة بين عجلات العربة والجبل المرتفع من ناحية والهوة السحيقة من ناحية أخرى . فاقترح الصديق على الأسقف لايتفوت أن ينزل من العربة ويمشى على قدميه المسافة الباقية حتى لا يكون هناك خطر على حياته . ولكن لايتفوت بعد أن عاين المكان ودرس الموقف جيداً قال : « لابد أن عربات أخرى قد سلكت هذا الطريق ، فلنواصل السير » وفى شعر الإغريق مقطوعة شعرية تتضمن عبارات عن بحار تحطمت سفينته . وفى هذه العبارات يقول البحار نفسه : « إن بحاراً تحطمت سفينته على هذا الساحل يأمرك بالإقلاع والإبحار . إن سفينته الشراعية قد تحطمت ، ولكن سفناً كثيرة غيرها استطاعت أن تصمد للعاصفة وتقاوم الرياح » . وهكذا يجب أن يكون شعورنا ونحن نجتاز أشياء كثيرة فى الحياة . لنذكر أن آخرين قبلنا قد اجتازوها بنعمة الله واحتملوها وصبروا حتى تغلبوا عليها وقهروها .

٣ ــ إن مع التجربة دائماً المنفذ . وهذه الكلمة تعنى فى الأصل مخرجاً من مضيق أو ممر جبلى . ويمكن أن نقرب معنى هذا اللفظ إلى أذهاننا إذا تصورنا جيشاً محاصراً من كل ناحية ، ثم يكتشف هذا الجيش فجأة طريقاً للخروج من هذا الحصار فى أمان . فلا ينبغى إذاً أن يستسلم أى إنسان للتجربة ، لأنه مع التجربة هناك المنفذ أيضاً . والمنفذ هنا ليس طريق الاستسلام أو التراجع ، ولكنه طريق النصرة والغلبة بقوة نعمة الله .

التزام الفريضة

(١ كورنثوس ١٠ : ١٤ ــ ٢٢)

توجد ثلاثة أفكار يجب ذكرها حتى تتضح لنا المعانى التى يحملها إلينا هذا الفصل ، اثنان منها يعتبران غريبين عنا لعلاقتهما بالعصر الذى عاش فيه بولس ، أما الفكر الثالث فهو حقيقى ومناسب فى كل عصر .

١ ــ كما سبقت الإشارة ، عندما كانت الذبيحة تقدم ، كان جزء من اللحم للعابد الذى كان يستخدمه فى إقامة وليمة . وفى مثل هذه الوليمة كان المفهوم دائماً أن الإله نفسه هو الضيف . وأكثر من ذلك ، كان المفهوم فى أغلب الأحيان ، أن الإله نفسه يدخل فى اللحم بعد تقديم الذبيحة ، وأنه يدخل أيضاً فى أجساد وأرواح الذين يأكلون من اللحم فى الوليمة . وكان الاعتقاد السائد أنه كما كان يرتبط الرجلان اللذان يأكلان معاً خبزاً وملحاً رباطاً وثيقاً ومتيناً ، هكذا كان الأكل من الذبيحة يمثل شركة حقيقية ورباطاً وثيقاً بين الإله وعابده . أى أن الشخص الذى كان يقدم الذبيحة

كان فى الحقيقة مشاركا للمذبح ، وكانت له شركة سرية بالإله الذى قدم الذبيحة له .

٢ ــ فى ذلك العصر كان العالم كله يؤمن بوجود الأرواح أو الشياطين . وهذه الأرواح كانت إما صالحة أو شريرة ، ولكنها فى معظم الأحيان كانت شريرة . وكان الاعتقاد الشائع أن هذه الأرواح كانت الوسيط بين الآلهة والبشر . وبالنسبة لليونانيين ، كانوا يعتقدون أنه كان هناك روح أو شيطان خاص لكل ينبوع ماء ، لكل حديقة أو غابة صغيرة ، لكل جبل ، لكل شجرة ، لكل مجرى ماء ، لكل بركة ، لكل صخرة ، ولكل مكان وكانوا يعتقدون أيضاً أنه توجد آلهة خاصة لكل نافورة ماء ، ولكل قمة جبل ، وأنه توجد آلهة تتنفس فى الريح وتلمع فى البرق ، وأن هناك آلهة أخرى توجد فى أشعة الشمس ولمعان النجوم ، وأنه توجد أيضاً آلهة تجيش وتضطرب فى الزلازل والعواصف . أى أن العالم كان فى اعتقادهم زاخراً بالأرواح والشياطين . أما بالنسبة لليهود ، فقد كانوا يعتقدون أن الأرواح النجسة تسكن المنازل الشاغرة ، وتكمن فى فتات الخبز على الأرض ، وفى الزيت الذى فى الأوانى ، وفى ماء الشرب . وفى الأمراض التى تصيب الناس ، وفى الهواء ، وفى الحجرات . وأنها تبقى فى هذا كله نهاراً وليلا . وكان بولس نفسه يؤمن بوجود هذه الأرواح أو الشياطين ، وسماها « الرؤساء والسلاطين » (افسس ٦ : ١٢) . وكانت وجهة نظره أن الصنم أو الوثن كان لا شيء ، ولم يكن يمثل شيئاً ، ولكن عبادة الأوثان كانت كلها من عمل الشياطين . وعن طريق عبادة الأوثان كانوا يضلون الناس ويبعدونهم عن الله . فعندما كان الناس يعبدون الأصنام كانوا يظنون أنهم يعبدون الآلهة ، ولم يدركوا أنهم كانوا مخدوعين بواسطة هذه الشياطين الخبيثة . وهكذا كانت عبادة الأوثان تجعل الناس فى شركة ، ليس مع الله ، ولكن مع الشياطين . ومن ثم فقد كان كل ما يتعلق بهذه العبادة متسماً بهذه الشائبة وهذا العيب . أى أن اللحم المقدم للأوثان لم يكن فى ذاته شيئاً معيباً ، ولكن لأنه كان يخدم أغراض الشياطين ، فقد أصبح نجساً ودنساً .

٣ ــ ومن هذه المجموعة من المعتقدات القديمة يبرز أمامنا مبدأ هام ودائم ، وهو أن الشخص الذى يجلس على مائدة ربنا يسوع المسيح لا يمكنه أن يجلس على مائدة تستخدمها الشياطين . فهناك أشياء لا يستطيع الشخص الذى تناول بيده من جسد المسيح ودمه أن يمسها . ومن أجمل الأمثلة على ذلك ما حدث مع الفنان ثورووولدش الذى عمل تمثالا للمسيح يعتبر من أعظم التماثيل التى عملت له . فقد كلف بأن ينحت تمثالا لفينوس ليوضع فى اللوفر . ومع أن الأجر الذى عرض عليه كان كبيراً لكنه رفض أن ينحته ، وأجاب قائلا ، « إن اليد التى نحتت شكل المسيح لا يمكن أبداً أن تنحت شكل إلهة وثنية » . وعندما كان الأمير شارلى هارباً لحياته التجأ إلى ثمانية رجال من « جلن موريستن » ، ومع أن أولئك الرجال الثمانية كانوا مجرمين ومفلسين وخارجين على القانون ، وكانت المكافأة التى أعلن عنها ثمناً لرأس شارلى ضخمة بلغت ثلاثين ألف جنيه ، ومع ذلك كله قبلوه معهم بضعة أسابيع ، وحافظوا عليه سالما ، ولم يخنه أحد منهم . وبعد سنوات طويلة نسى الناس هذه الحادثة . ولكن واحداً من الرجال الثمانية ، وإسمه هاج كسهولم ، ذهب إلى مدينة ادنبرة . وعندما روى للناس قصة الأمير أصغوا إليه باهتمام . وأعطوه مالا يعيش معه . ولكنه كان دائماً يصافحهم بيده اليسرى . ولما سألوه عن سبب هذه العادة قال لهم إن الأمير شارلى ، عندما ودعهم قبل رحيله عنهم صافحهم . ومنذ ذلك الوقت أقسم أن اليد التى صافح

بها الأمير ، لن يصافح بها أى شخص آخر . وهذا هو المعنى الذى كان ينبغى أن يلتزم به مسيحيو كورنثوس ، بل وينبغى علينا أن نلتزم به أيضاً ، إن الرجل الذى يلمس بيديه أشياء المسيح المقدسة لا يمكن أن يلطخهما بالأشياء الوضيعة الحقيرة التى لا قيمة لها .

حدود الحرية المسيحية

(١ كورنثوس ١٠ : ٢٣ ـ ١١ : ١)

فى هذا الفصل نرى بولس يختتم مناقشته الطويلة لمسألة اللحم المقدم للأوثان بتقديم بعض النصائح العملية جداً :

١ ـ فهو ينصح بأن المسيحى يستطيع أن يشترى أى شىء يباع فى الحوانيت دون أن يسأل أية أسئلة . وكما سبق أن رأينا ، كان اللحم المباع فى الحوانيت يحتمل أن يكون جزءاً من ذبيحة قدمت لإله أو ذبحت باسمه حتى لا تدخلها الشياطين ، ولكن كان يمكن أيضاً أن تكون المسألة مجرد مبالغة فى المجادلة الفارغة أو ترجع إلى التزمت الشديد أو لخلق صعوبات لا داعى لها . ويقرر بولس أن الأرض وكل ما فيها من أشياء هى ملك الرب .

٢ ـ إذا قبل المسيحى دعوة للعشاء فى بيت رجل وثنى ، فليأكل مما يقدم له دون أن يسأل أية أسئلة . ولكن إذا أخبر عمداً أن اللحم الذى أمامه هو جزء من ذبيحة فإنه ينبغى ألا يأكله . والمفروض أن الشخص الذى أعلمه بذلك هو أحد الإخوة الذين لم يكونوا يستطيعون أن ينزعوا من ضمائرهم الإحساس بأن أكل مثل هذا اللحم خطية . لذلك كان ينبغى على المسيحى ألا يأكل من هذا اللحم حتى لا يضطرب مثل ها الأخ أو يرتبك .

٣ ـ ومرة أخرى . تبرز أمامنا حقيقة عظيمة من موقف قديم وبعيد . وهى أنه توجد أشياء كثيرة يمكن أن يعملها الإنسان دون أن يكون فيها أى خطر يهدد حياته الشخصية ، ولكن إذا كان عمل ما عثرة لشخص آخر فيجب ألا يعمله . فالحرية المسيحية عظيمة حقاً ، ولكن يجب أن تستخدم لمساعدة الآخرين وليس لمعثرتهم أو إيذائهم . إن كل إنسان عليه واجب تجاه نفسه ، ولكن واجبه تجاه الآخرين أعظم وأهم .

وهنا يجب أن نلاحظ مدى واجبات المسيحى تجاه الآخرين :

١ ـ أصر بولس على أن المسيحى الكورنثى يجب أن يكون قدوة حسنة لليهود . بل حتى أمام الأعداء يجب أن يكون مثلا طيباً وقدوة صالحة فى الأشياء الصغيرة . فقد يكرهه أعداؤه ؛ ولكن هذا لا يعفيه من واجبه أن يقودهم إلى الطريق الصحيح بسلوكه وقدوته .

٢ ـ وعليه أيضاً واجب تجاه اليونانيين ، بمعنى أنه ينبغى عليه أن يكون مثالا صالحاً أمام الذين كانوا لا يبالون بالمسيحية بالمرة . إن على المسيحى أن يكون مثالا للذين ليس لهم أى اهتمام بالكنيسة

إطلاقاً . والحقيقة أن كثيرين يربحون للمسيح عن طريق هذه القدوة وهذا المثال . حدث مرة أن أحد الخدام بذل جهداً كبيراً فى مساعدة إنسان لم تكن له أية علاقة بالكنيسة ، حتى أنقذه من مأزق صعب . ومنذ ذلك الوقت بدأ ذلك الإنسان يتردد على الكنيسة إلى أن جاء يوم تقدم فيه هذا الرجل ــ الذى كان يوماً ما لا يبالى بالدين ولا يكترث بالكنيسة ــ بطلب مدهش . فقد طلب أن يكون شيخاً فى الكنيسة حتى يقضى بقية حياته يعبر عن عرفانه بالجميل إزاء ما فعله المسيح به عن طريق خادمه .

٣ ــ ثم كان على المسيحى الكورنثى واجب تجاه زملائه من الأعضاء فى الكنيسة . إنه لمن الحقائق الواضحة فى الحياة أنه بين الآخرين من يراقبنا . وهناك من يتمثلون بنا فى سلوكهم وتصرفاتهم . وقد لا نعرف نحن ذلك . ولكن من المؤكد أنه يوجد إخوة صغار أو ضعفاء يتطلعون دائماً إلينا ليقتدوا بنا وينتظروا إرشادنا وقيادتنا لهم . ومن واجبنا أن نقدم بحياتنا وقدوتنا ما يقوى الضعفاء ، وما يثبت المترددين والمتذبذبين ، وما ينقذ المجربين من السقوط فى الخطية .

ولن نستطيع أن نعمل كل الأشياء لمجد الله إلا عندما نراعى واجباتنا نحو الآخرين ، كما أننا لن نستطيع أن نفعل ذلك إلا عندما نتذكر أن حريتنا المسيحية لم تعط لنا لأجل خاطرنا نحن بل لأجل خاطر الآخرين .

تعتبر الأصحاحات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من هذه الرسالة من أصعب الأصحاحات فى الرسالة كلها على مدارك الإنسان العصرى . ولكنها مع ذلك من أكثر الأصحاحات التى تثير الاهتمام فى الرسالة كلها ، لأنها تتعلق بالمشاكل التى نشأت فى كنيسة كورنثوس فيما يختص بالعبادة الجمهورية . وفيها نرى صورة كنيسة وليدة تكافح فى مسألة تقديم عبادة مقبولة ومناسبة لله . ولكى يسهل علينا متابعة هذه الفصول يحسن أن نبرز فى البداءة الأقسام المختلفة التى تشتمل عليها :

١ ــ أصحاح ١١ : ٢ ــ ١٦ يتعلق بمشكلة ما إذا كانت السيدات يعبدن برءوسهن غير مغطاة أم لا .

٢ ــ أصحاح ١١ : ١٧ ــ ٢٣ يتعلق بالمشاكل التى نشأت حول وليمة المحبة التى كانت الأكلة الأسبوعية التى يشترك فيها جمهور المسيحيين .

٣ ــ أصحاح ١١ : ٢٤ ــ ٣٤ يتعلق بالممارسة الصحيحة لفريضة عشاء الرب .

٤ ــ أصحاح ١٢ يناقش مشكلة إنسجام الذين لهم أنواع مختلفة من المواهب الروحية ، بحيث يكونون جميعاً وحدة متناسقة . وهنا نرى الصورة العظيمة للكنيسة باعتبارها جسد المسيح ، ولكل عضو فيها باعتباره عضواً فى ذلك الجسد .

٥ ــ أصحاح ١٣ هو ترنيمة المحبة العظيمة التى تظهر للناس الطريق الأمثل والأعظم للحياة والسلوك .

٦ ــ أصحاح ١٤ : ١ ــ ٢٣ يتعلق بمسألة التكلم بألسنة .

٧ ـــ أصحاح ١٤ : ٢٤ ـــ ٣٣ يصر على ضرورة مراعاة الترتيب فى العبادة الجمهورية ، ويحاول أن يجعل الحماس الفياض المتدفق فى كنيسة مولودة حديثاً يقترن بالتزام النظام وعدم التشويش .

٨ ـــ أصحاح ١٤ : ٣٤ ـــ ٣٦ يناقش مكانة النساء فى العبادة الجمهورية لله فى كنيسة كورنثوس .

الأصحاح الحادى عشر

التواضع الضرورى

(١ كورنثوس ١١ : ٢ — ١٦)

هذا الفصل هو أحد الفصول التى تتسم بالطابع المحلى والمؤقت . وقد تبدو هذه الفصول لأول وهلة كما لو كانت لا تستحق سوى إهتمام علماء الآثار ، إذ أنها تعالج موقفاً أو وضعاً لم يعد له أية صلة أو شأن بنا فى العصر الحاضر . ومع ذلك فإن مثل هذه الفصول مهمة جداً لأنها تلقى نوراً كبيراً على الشئون العائلية ، ومشاكل الكنيسة الأولى . كما أن لها أهمية عظمى لأن بولس فى معالجته لها وضع مبادىء أبدية مناسبة لكل عصر .

وكانت المشكلة هى ما إذا كان من الجائز فى الكنيسة المسيحية أن تشترك المرأة فى الخدمة ورأسها غير مغطى . وكان جواب بولس جواباً صارماً قاطعاً . فالحجاب أو البرقع هو دائماً رمز التبعية ، يلبسه الأقل أو الأصغر فى حضور الأعلى أو الأكبر . وما دامت المرأة أقل من الرجل ، باعتبار أن الرجل هو رأس الأسرة ، فإنه بالتالى من الخطأ أن يظهر الرجل فى العبادة الجمهورية وهو مغطى ، كما كان من الخطأ أيضاً ، بالنسبة للمرأة ، أن تظهر وهى غير مغطاة . فحتى فى أثناء العبادة كان على كل منهما أن يحافظ على مقامه ونسبته للآخر . ويتعذر علينا فى القرن العشرين أن نهضم فكرة نقص مركز النساء وتبعيتهم للرجال . ولكننا يجب أن نقرأ هذا الأصحاح ليس فى نور القرن العشرين بل فى نور القرن الأول . وعندما نقرأه يجب أن نتذكر ثلاثة أشياء .

١ — يجب أن نذكر مكانة البرقع أو الحجاب فى الشرق . فإلى يومنا هذا تلبس بعض سيدات الشرق « اليشمك » الذى هو عبارة عن برقع طويل يصل إلى القدمين تقريباً ولا يظهر من الجسم سوى الجبهة والعينين . وفى أيام بولس كان البرقع أو الحجاب الشرقى يغطى من الجسم أكثر من ذلك ، فلم يكن يظهر من الجسم سوى العينين . ولم يكن يخطر ببال أية سيدة شرقية محترمة أن تظهر دون حجاب . ويقول ت . و . ديفيز فى « قاموس الكتاب » : لا يمكن أن تخرج امرأة محترمة فى قرية أو مدينة شرقية دون حجاب ، ولو فعلت ذلك فإنها تعرض نفسها لخطر إساءة الظن بها والتعريض بسمعتها » . والواقع أن الحجاب كان يعنى شيئين :

١ — كان رمزاً للنقص .

٢ — ولكنه كان يعتبر أيضاً حماية ووقاية والحقيقة أنه من الصعب ترجمة عدد ١٠ فى هذا الفصل . يمكننا أن نترجمه بعبارة كهذه : « لهذا ينبغى للمرأة أن تغطى رأسها رمز كونها تحت سلطان شخص آخر » . ولكن المعنى الحرفى للعبارة اليونانية يفيد أن المرأة ينبغى أن تبقى « سلطانها فوق رأسها » ويشرح سير وليليام رمزى هذا المعنى فيقول : « فى البلاد الشرقية يعتبر الحجاب أو البرقع

بمثابة قوة المرأة وشرفها وكرامتها . وما دام الحجاب فوق رأسها فإنها تستطيع أن تذهب إلى أى مكان وهى فى أمان واحترام كامل . فلا ينظر إليها أحد ، لأن التطلع إلى امرأة متحجبة فى الشارع يعتبر دليلا على أسوأ الأخلاق وأحطها . فهى تمشى منفردة وكأن الناس من حولها غير موجودين ، كما تصبح هى بالنسبة للناس الآخرين غير موجودة . وتسير فى وسط الجمهور والزحام متشامخة فقبل أن نقرر عمل شيء ما ، أو عدم عمله ، يجب أن نفكر أولاً فى تأثير ما نعمله ، ليس علينا من أى واحد . وكأن المرأة التى تتخلى عن حجابها الكامل يضيع كل سلطانها وتتلاشى كرامتها واحترامها » . فالحجاب إذاً فى الشرق له الأهمية الكبرى . فهو ليس رمزاً لحالة المرأة باعتبارها أقل من الرجل وحسب ، ولكنه أيضاً بمثابة الحماية والوقاية التى تحفظ للمرأة تواضعها وطهارتها .

٢ ــ كما يجب أيضاً أن نتذكر المرأة ومنزلتها بحسب النظرة اليهودية . فبحسب الناموس اليهودى كانت المرأة تعتبر أقل من الرجل بكثير . فقد خلقت من ضلع من أضلاع آدم (تكوين ٢ : ٢٢ و ٢٣) ، وخلقت لأجل الرجل لتكون معينا له ورفيقاً (تكوين ٢ : ١٨) . ويصور التلمود ، تفسيراً لذلك ، فيقول : « إن الله لم يخلق المرأة من رأس الرجل لئلا تتكبر وتتفاخر عليه ، ولا من عينه لئلا تشتهى ، ولا من أذنه لئلا تصبح فضولية ، ولا من فيه لئلا تصبح ثرثارة ، ولا من قلبه لئلا تحقد وتحسد ، ولا من يده لئلا تصبح طماعة جشعة ، ولا من قدمه لئلا تصبح مجرد جسم هائم على وجهه ، ولكنه خلقها من ضلع من أضلاعه . والضلع دائماً مغطى ، ولذلك فالتواضع ينبغى أن يكون صفتها الأولى » . ومن الحقائق التعسة أن المرأة بحسب الناموس اليهودى كانت تعتبر شيئاً ، وجزءاً من ممتلكات زوجها ، له عليها السلطان الكامل وحق التصرف المطلق .

وفى السنهدريم مثلا ، لم يكن للنساء أى حق فى المشاركة فى العبادة ، ولكنهن كن يعزلن تماماً عن الرجال فى رواق خاص يغلق عليهن أو يوضعن فى أى جزء آخر من المبنى . ولم يكن يخطر بالبال ، بحسب الناموس والتقليد اليهودى ، أن النساء يمكن أن يطالبن بأى نوع من المساواة مع الرجال . وفى عدد ١٠ نجد العبارة الغريبة أن النساء يجب أن تتغطى « من أجل الملائكة » .

ولسنا نستطيع أن نحدد ما تعنيه هذه العبارة على وجه التأكيد ، ولكن من المحتمل جداً أنها تحمل المعنى عينه الذى ورد فى القصة القديمة الغريبة الواردة فى تكوين ٦ : ٢١ التى تحكى لنا كيف وقع الملائكة فى شرك فتنة النساء الحسنات وهكذا أخطأوا . فربما تكون الفكرة أن السيدة غير المغطاة تكون تجربة وفخاً حتى بالنسبة للملائكة ، لأن تقليداً تلمودياً قديماً يقول إن الذى أغوى الملائكة كان هو جمال شعر النساء الطويل .

٣ ــ وينبغى أن نذكر دائماً أن هذا الوضع كله نشأ فى كورنثوس ، ويحتمل أنها كانت أكثر بلاد العالم خلاعة ودعارة ، وأن وجهة نظر بولس أنه فى مثل هذا الوسط كان من الأفضل أن يكون الشخص متطرفاً وصارماً فى التواضع والمحافظة ، من أن يتساهل فى شيء لئلا يعطى للوثنيين فرصة لينتقدوا المسيحيين ويتهموهم بالتهاون والتراخى ، وقد يكون التساهل أيضاً سبباً فى تجربة المسيحيين أنفسهم . ومن الخطأ تماماً أن نظن أن الكلام فى هذا الفصل ينطبق على كل مكان فى العالم . لقد كان الأمر يتعلق بكنيسة كورنثوس ، ولكن لا علاقة له بمسألة ما إذا كانت السيدات

فى عصرنا الحاضر يلبسن قبعات فى الكنيسة أم لا .

غير أنه بالرغم من أن كل ما يعنيه هذا الفصل هو ذات طابع محلى بحت ، فإنه يقدم لنا ثلاثة حقائق عظيمة دائمة :

١ — إنه من الأفضل أن نخطىء بأن نشتط فى الصرامة والتصميم من أن نخطىء بأن نتهاون ونتراخى . ومن الأفضل جداً أن نتخلى عن حقوق قد تكون معثرة لبعض الناس ، من أن نصر على ممارستها . وقد يكون طابع هذا العصر أن ينتقد تقاليد الماضى ، ويندد بما جرى عليه العرف ، ولكن العاقل يجب أن يتريث كثيراً قبل أن يتحدى التقاليد ، ويزدرى بها ، حتى لا يصدم الآخرين ويعثرهم . حقاً إنه لا ينبغى أن يكون عبداً للتقاليد ، ولكنه فى الوقت عينه يجب أن يلاحظ أن التقاليد لم تنشأ فى الأصل للاشىء ، بل لابد أن فيها أشياء ذات قيمة وذات معنى .

٢ — وحتى بعد أن نبر بولس على تبعية النساء ، نراه يواصل حديثه منبراً بشدة على الشركة التى بين الرجل والمرأة باعتبارها شيئاً أساسياً لا غنى عنه . فلا يستطيع الواحد منهما أن يعيش دون الآخر . فإذا كانت هناك تبعية من طرف لآخر فليست التبعية مقصورة لذاتها ، ولكن لتكون الشركة الروحية بالنسبة للطرفين أجمل وأحلى وأكثر ثمراً .

٣ — ويختتم بولس هذا الفصل بتوبيخ للرجل الذى يجادل ويخاصم لمجرد هواية المجادلة والخصومة ، فمهما كانت الخلافات التى تنشأ بين الناس ، فإنه لا مكان فى الكنيسة للشخص الذى يتعمد إثارة الخصام والنزاع . إننا يجب أن نتمسك بمبادئنا ونثبت عليها ، ولكننا لا ينبغى أبداً أن نضيع وقتاً فى المجادلات والمنازعات . وليس هناك ما يمنع الناس عن أن يختلفوا ، ومع ذلك فإنهم يستطيعون التعايش والبقاء جنباً إلى جنب فى سلام .

العشاء الخطأ

(١ كورنثوس ١١ : ١٧ — ٢٢)

كان العالم القديم من نواح كثيرة عالماً إجتماعياً يفوق فى ذلك عالمنا اليوم . فكان هناك ، مثلا ، تقليد عام وهو أن تجتمع جماعات من الناس ليشتركوا معاً فى تناول الطعام فى شبه ولائم عامة . وكان هناك ، بنوع خاص ، وليمة معينة يحضر فيها كل واحد طعامه الخاص معه ، ثم تجمع كل الأطعمة معاً لتكون كلها الوليمة العامة . وكان للكنيسة الأولى مثل هذه العادة ، فكانت لهم وليمة يسمونها « وليمة المحبة » . وكان يأتى إلى هذه الوليمة كل المسيحيين حاملين معهم ما استطاعوا من الأطعمة . وبعد أن يقدم الجميع كل ما أحضروه ، كانوا يجلسون معاً ويشتركون فى تناول الطعام .

وكان هذا تقليداً جميلا ، ومما يؤسف له أن مثل هذا التقليد لم يعد له وجود بيننا اليوم . لقد كان هذا التقليد بمثابة بذرة الشركة المسيحية الحقيقية وغذاء لها . ولكن المؤسف أنه قد حدثت أخطاء وانحرافات فى كنيسة كورنثوس بخصوص وليمة المحبة هذه . فقد كان فى الكنيسة أغنياء

وفقراء ، كان هناك الذين يستطيعون إحضار الكثير ، وكان هناك العبيد الذين لم يستطيعوا أن يحضروا شيئاً يذكر . والحقيقة أن وليمة المحبة كانت تعتبر بالنسبة لعبيد كثيرين ، الأكلة الوحيدة اللذيذة فى الأسبوع كله . ولكن فى كورنثوس ضاع فن المشاركة وفقدت روح الشركة .

وحدث أن الأغنياء امتنعوا عن مشاركة طعامهم مع الآخرين ، وكانوا يتناولونه فى مجموعات صغيرة تكاد تكون مقتصرة عليهم ، ولم يشتركوا مع الفقراء أو يتركوا لهم شيئاً . وكان من نتيجة ذلك أن المائدة التى كان ينبغى أن تزال فيها الفوارق الاجتماعية بين أعضاء الكنيسة ، أدت بالعكس إلى تعميق هذه الفوارق وزيادة حدتها . وما كان ينبغى أن ينظر إليه باعتباره شركة ومشاركة ، قد انحط فأصبح مجرد إظهار للفوارق الطبقية ، وتحزب سافر للطبقات ، ولم يتردد بولس فى توبيخ هذا كله توبيخاً صريحاً صارماً .

١ ــ ربما كانت الجماعات المختلفة تتكون من أفراد لهم آراء مختلفة . وقد قال أحدهم : « إذا كانت لك الغيرة الدينية ، دون أن تكون متحزباً دينياً ، فهذا برهان عظيم على التكريس الحقيقى » . ومهما اختلف تفكيرنا عن تفكير شخص آخر فإننا نستطيع ــ إذا تحدثنا إليه وحرصنا على استمرار الشركة معه أن نفهمه ، وقد نرثى له ونقدر دوافعه وظروفه ونواسيه ، ولكننا إن أبعدنا أنفسنا عنه ، وجعلنا من أنفسنا جماعة قليلة مقفلة بينما بقى هو داخل دائرة جماعته القليلة الخاصة به ، ففى هذه الحالة لن يكون هناك تقارب أو أى فهم متبادل .

إن أفضل السبل إذا رأينا هذا الشخص يظل داخل دائرته ويقفل بابه فى وجوهنا ويندفع فى الضلال بعيداً عنا ، أن نكن له من المحبة وروح الشركة ما يجعلنا نفتح دائرتنا نحن فى وجهه ونكسبه .

٢ ــ كانت الكنيسة الأولى هى المكان الوحيد ، فى العالم القديم ، الذى تحطمت فيه الحواجز التى كانت تفصل العالم وتمزقه . كان ذلك العالم منقسماً بشكل عنيف وصارم جداً . وكان هناك الأحرار والعبيد ، واليونانيون والبرابرة ــ أى الناس الذين لم يكونوا يتكلمون اليونانية ، واليهود والأمم ، والمواطنون الرومانيون وغيرهم ممن اعتبروا من جنسيات أقل من الجنسية الرومانية ، والمتعلمون والجهلاء : أما الكنيسة فكانت هى المكان الوحيد الذى يمكن لكل هؤلاء الناس المختلفين المنقسمين أن يجتمعوا فيه معاً . وقد كتب أحد مؤرخى الكنيسة عن تلك الجماعات المسيحية الأولى ، فقال : « لقد استطاعوا فى حدودهم الخاصة أن يحلوا المشكلة الاجتماعية التى أعيت روما ، والتى لا تزال تحير أوروبا . لقد رفعوا من مقام المرأة فوضعوها فى مكانتها الشرعية ، وردوا للعامل كرامته ، وأزالوا الشحاذة ، وانتزعوا شوكة العبودية .

وقد كان السر فى هذه الثورة أن أنانية الجنس والطبقة قد اختفيت تماماً فى عشاء الرب ، وحل محلها أساس جديد للمجتمع دعامته محبة الناس الذين خلقوا على صورة الله والذين مات المسيح لأجلهم » . إن الكنيسة التى يوجد بها تمييز ومراعاة للفوارق الإجتماعية والطبقية ليست كنيسة حقيقية فالكنيسة الحقيقية هى بمثابة جسد واحد مكون من أعضاء من الرجال والنساء متحدين بعضهم مع بعض لأنهم جميعاً مرتبطون بالمسيح . وحتى اللفظ المستعمل لوصف الفريضة له دلالته .

فإننا نسميها عشاء الرب ، وكلمة عشاء لم يعد لها المعنى العميق الذى كان يعرفه اليونانيون . فالعشاء قد لا يكون فى بعض البلدان الوجبة الرئيسية . أما عندهم فقد كان كل ما يتناولونه فى الإفطار هو قطعة صغيرة من الخبز يغمسونها فى الخمر . وكانوا يتناولون وجبة الظهر فى أى مكان حسبما اتفق ، ربما فى الشارع . أما طعام العشاء فقد كان هو الوجبة الرئيسية فى اليوم حيث كان الناس يجتمعون معاً دون إحساس بالعجلة ، ولم يكتفوا بالأكل حتى الشبع ولكنهم كانوا يتسامرون طويلا : ففى إطلاق لفظ العشاء على الفريضة بيان بأن الأكلة المسيحية ينبغى أن تكون فرصة طويلة يستمتع فيها الناس بعضهم ببعض فى شركة جميلة متبادلة .

٣ ــ إن الكنيسة لا تكون كنيسة حقيقية إذا فقدت أو نسيت روح الشركة وفن المشاركة . فعندما يرغب أناس فى الإحتفاظ بكل شىء لأنفسهم وداخل دائرتهم الخاصة بهم ، فهم ليسوا بمسيحيين ، ولا يمتون للمسيحية بصلة . إن المسيحى الحقيقى لا يقبل أن يمتلك أكثر من اللازم ، بينما يرى الآخرين لا يجدون الكفاف ، إن امتيازه الأعظم ليس فى حرصه على ماله من امتيازات والاحتفاظ بها لنفسه بل فى أن يشارك الآخرين امتيازاته .

عشاء الرب

(١ كورنثوس ١١ : ٢٣ ــ ٣٤)

يعتبر هذا الفصل من أعظم فصول العهد الجديد وأجدرها بالإهتمام ، وذلك لسببين : السبب الأول لأنه يأمرنا بممارسة أقدس فريضة للعبادة فى الكنيسة ، وهى فريضة العشاء الربانى . والسبب الثانى لأن الرسالة إلى كورنثوس أسبق من إنجيل مرقس وهو أقدم البشائر . ومن ثم فإن هذا الفصل يعتبر فى الواقع أول سجل لدينا يسرد لنا كلمات نطق بها يسوع .

ولا يمكن أن يكون للفريضة المعنى عينه بالنسبة لكل شخص . ونحن لسنا فى حاجة لأن نفهمها تماماً حتى نستفيد منها . كما قال أحدهم : « إننا لا نحتاج لأن نفهم كيمياء الخبز حتى نتمكن من هضمه والإستفادة منه » . ولكن يجب أن نحاول ، على الأقل أن نفهم شيئاً عما كان يسوع يعنيه . عندما تحدث عن الخبز والخمر . فقد قال عن الخبز « هذا هو جسدى » . وهناك حقيقة واحدة بسيطة تمنعنا من أن نفهم هذا الكلام فهماً حرفياً . فعندما قال يسوع هذا ، كان لا يزال فى الجسد . وكان واضحاً أنه فى تلك اللحظة التى نطق فيها بهذا الكلام كان جسده والخبز شيئين مختلفين تماماً . كما أنه لم يكن يقصد فقط أن يكون معنى كلامه : « هذا يقوم مقام جسدى » . إن هذا حق ، ولكنه ليس كل المعنى المقصود . إن الخبز المكسور فى الفريضة يقوم فعلا مقام جسد المسيح ، ولكنه بالنسبة للشخص الذى يتناوله بيديه وعلى شفتيه بايمان ومحبة وتكريس حقيقى ، لا يكون الخبز مجرد أداة للذكرى ، بل يكون أيضاً وسيلة للاتصال الحى بيسوع المسيح . إنه بالنسبة للغريب ، ولغير المؤمن ، وللمستهزىء ، لا يعنى شيئاً ، ولكن بالنسبة لمن يحب المسيح هو الطريق لمحضر المسيح . وعن الكأس قال يسوع : « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى » . ومن الأصل اليونانى

يمكن ترجمة هذه العبارة على هذا النحو « هذه الكأس هى العهد الجديد الذى يكلفنى دمى » أى « الذى أدفع دمى ثمناً له » . والعهد هو علاقة يدخل فيها شخصان . وكان هناك عهد قديم أى علاقة قديمة بين الله والإنسان . وكانت هذه العلاقة مبنية على أساس الناموس . وفى هذه العلاقة اختار الله شعب إسرائيل وصار ، بمعنى خاص ، إلهاً لهم . ولكن كان هناك شرط لبقاء هذه العلاقة ودوامها ، وهو أنه ينبغى أن يحفظ شعب إسرائيل ناموس الله . (خروج ٢٤ : ١ — ٨) . فاستمرار العهد كان يتوقف على حفظ الناموس . ولكن بيسوع أعلنت علاقة جديدة أمام الإنسان ، لا تعتمد على أساس الناموس ، بل على أساس المحبة ، ولا تعتمد على قدرته على حفظ الناموس — لأنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يفعل ذلك — ولكنها تعتمد على النعمة المجانية لمحبة الله المقدمة للبشر . وهذا يغير كل علاقة الله بالإنسان من أساسها . ففى العهد القديم لم يكن أمام الإنسان سوى أن يكون باستمرار خائفاً من الله ، لأنه كان يشعر دائماً بقصوره وعجزه عن أن يحفظ الناموس حفظاً كاملا . ولكن فى العهد الجديد يستطيع الإنسان أن يتقدم إلى الله كما يأتى الطفل لأبيه ، وليس كما يمثل المجرم المذنب أمام القاضى الديان . ومهما كانت نظرتك للأمور . فالحقيقة هى أن حياة يسوع قد دفعت ثمناً لتجعل هذه العلاقة الجديدة بين الله والإنسان ممكنة . وإذا كان الناموس يقول إن « الدم هو النفس » (تثنية ١٢ : ٢٣) فاننا نستطيع أن نقول إن يسوع قد دفع نفسه ، أى دفع دمه ، ثمناً ليجعل العلاقة الجديدة ممكنة . وهكذا يقوم الخمر القرمزى الذى يتناول فى الفريضة مقام ذات دم المسيح عينه الذى لولاه لما كان العهد الجديد ، ولما كانت علاقة الإنسان الجديدة بالله أمراً ممكناً .

ثم يستطرد هذا الفصل فيتحدث عن الأكل من هذا الخبز والشرب من هذه الكأس بدون استحقاق . فما معنى ذلك ؟ إن عدم الاستحقاق يعنى أن الإنسان الذى كان يفعل ذلك كان « غير مميز جسد الرب » ويمكن أن تعنى هذه العبارة أحد شيئين أو كليهما معاً . وكلاهما حقيقى وهام :

١ — إنها قد تعنى أن الإنسان الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق لا يدرك ما تشير إليه هذه الرموز المقدسة وما تعنيه . وبذلك لا يحس بعظمة هذا الشىء الذى يعمله ، ولا يقدر قداسته وقد تشير أيضاً إلى الشخص الذى يأكل ويشرب بلا وقار أو احترام للفريضة ، ودون إدراك للمحبة التى تمثلها هذه الرموز ، ودون فهم للالتزام المفروض عليه إزاءها .

٢ — ولكن يمكن أن يكون لهذه العبارة معنى آخر . فإن عبارة جسد المسيح تستخدم فى مرات كثيرة لتشير إلى الكنيسة كما سنرى فى أصحاح ١٢ . وقد رأينا أن بولس كان يوبخ الذين كانوا يقسمون الكنيسة بسبب انشقاقاتهم وتمييزهم للفروق الطبقية .

لذلك يمسى الشخص الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق ، هو الذى لا يدرك أن كل الكنيسة هى جسد المسيح ، أو الشخص الذى بينه وبين أخيه خلافات ، أو الذى يحتقر أخاه ويزدرى به ، أو الذى — لأى سبب من الأسباب — ليس فى وئام مع إخوته . فكل شخص يتقدم إلى مائدة الرب وفى قلبه روح الكراهية أو الحقد أو المرارة أو الاحتقار لأخيه فهو يأكل ويشرب بدون استحقاق . فالخلاصة إذاً أن هذه العبارة تعنى إما عدم الوقار وقلة الإدراك لعظمة هذه الفريضة ،

أو القيام بها حينما يكون المرء فى خلاف مع أخيه الذى مات المسيح لأجله كما مات لأجلنا .

ويستطرد بولس فيقول إن المصائب التى حلت على كنيسة كورنثوس كان مردها إلى أنهم يتقدمون إلى هذه الفريضة بينما هم منقسمون فيما بينهم ، ولكن هذه المصائب لم يقصد بها تحطيمهم بل تأديبهم وإعادتهم إلى الطريق الصحيح .

وهناك شيء واحد يجب أن يكون واضحاً تماماً أمامنا . وهو أن العبارة التى تمنع الإنسان من أن يأكل ويشرب بدون استحقاق ، لا تقفل الباب فى وجه الشخص الخاطىء الذى يعرف ذلك ويحس به . عندما لاحظ أحد الخدام فى كنيسة من الكنائس أن سيدة عجوز تتردد فى التناول من الكأس مد يده وقدمها إليها قائلا « خذيها ياسيدتى ، إنها للخطاة ، إنها لك » . فلو كانت مائدة المسيح تقدم للكاملين فقط ، فلن يوجد إنسان يمكنه التقدم إليها أو الاقتراب منها . إن باب الاقتراب إليها والتناول منها لا يمكن أن يغلق فى وجه الخاطىء التائب النادم . والطريق دائماً مفتوح أمام الإنسان الذى يحب الله ويحب الناس ، حتى ولو كانت خطاياه كالقرمز ، فانها تبيض كالثلج .

الأصحاح الثانى عشر

اعتراف الروح

(١ كورنثوس ١٢ : ١ ــ ٣)

كانت الأمور العجيبة المذهلة التى تحدث فى كنيسة كورنثوس تتم بلاشك بعمل الروح القدس . ولكن فى عصر ساده الاستغراق والانجذاب الروحى كان يمكن أن يكون هناك حماس هستيرى ، أو غرور وهوس ، أو أخطاء بالغة . وفى هذا الأصحاح والأصحاحين التاليين يتحدث بولس عن الظواهر الحقيقية والصادقة لعمل الروح .

وهذا الفصل مهم جداً لأنه يقدم لنا عبارتين كانتا ترددان كصيحات المعارك :

١ ــ فهناك عبارة « يسوع أناثيما » . وهذه العبارة الشنيعة كانت تقال لأحد أربعة أسباب :

(أ) فاليهود قد يستعملونها ، إذ أن صلوات المجمع كانت تشمل باستمرار صب اللعنات على الهراطقة المارقين وأهل البدع المرتدين ، ولابد أنهم كانوا يحسبون يسوع واحداً من هؤلاء . وفضلا عن ذلك فإن بولس كان يعرف جيداً (غلاطية ٣ : ١٣) أن الناموس اليهودى يقول إنه « ملعون كل ما علق على خشبة » ، وقد علق يسوع على خشبة الصليب . إذا لم يكن شيئاً غريباً أن يسمع اليهود وهم يكيلون لعناتهم على ذلك المنحرف الملعون الذى كان المسيحيون يعبدونه .

(ب) ويحتمل جداً أن اليهود كانوا يخيرون المهتدين حديثاً إلى المسيحية بين أن ينطقوا بهذا اللعن أو أن يتحملوا نتائج الطرد والنبذ من كل العبادة اليهودية . وعندما كان بولس يتحدث إلى أغريباس عن الأيام التى كان يضطهد فيها المسيحيين قال : « وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة واضطرهم إلى التجديف » وإذا أفرط حنقى عليهم كنت أطردهم إلى المدن التى فى الخارج » (أعمال ٢٦ : ١١) . ومن المرجح أنه كان يشترط بل ويحتم على من يرغب البقاء داخل المجمع أن ينطق بلعن على يسوع المسيح ...

(ج) بغض النظر عن حقيقة ما كان يجرى فى ذلك الوقت المعين الذى كان بولس يكتب رسالته فيه ، فان الحقيقة المؤكدة أنه فيما بعد ، أيام الاضطهاد المرير الذى وقع على المسيحيين ، كان المضطهدون يجبرون المسيحيين على أن يختاروا بين الموت أو لعن المسيح . وفى أيام الامبراطور تراجان كان الشخص الذى يتهم بأنه مسيحى يطلب منه أن يلعن المسيح . وبذلك يعرف ما إذا كان مسيحياً أم لا . وعندما قبض على بوليكاربوس ، أسقف سميرنا ، طلب منه الوالى الرومانى استاتيوس كوادراتوس « أن يلعن الكافرين وأن يقسم برأس الإله قيصر وأن يجدف على المسيح » .

وأجاب الأسقف العجوز بعبارته المشهورة : « لقد خدمت المسيح ستة وثمانين عاماً ، لم يسىء

إلى فيها ولا مرة واحدة ، فكيف ألعن ملكى الذى خلصنى وكيف أجدف عليه ؟ » . لقد جاء وقت ما ، كان يتحتم على الإنسان فيه أن يختار بين لعن المسيح أو مواجهة الموت .

(د) كما كان محتملا ، حتى فى الكنيسة ، أنا شخصاً ما ــ فى حالة من حالات الخبل ونصف الجنون ــ يصرخ قائلا : « ليكن يسوع ملعوناً » . ففى ذلك الجو الهستيرى كان كل شىء محتملا ثم يزعم أنه من عمل الروح . ولذلك يسجل بولس ويؤكد أن ليس أحد يقدر أن يقول كلمة ضد المسيح ثم ينسب تلك الكلمة إلى تأثير الروح أو عمله .

٢ ــ ولكن إلى جانب هذا توجد أيضاً الصيحة المسيحية : « يسوع رب » . وكانت هذه العبارة البسيطة هى بمثابة عقيدة الكنيسة الأولى ودستور إيمانها (فيلبى ٢ : ١١) . وكانت كلمة « رب » باليونانية هى اللقب الرسمى للأمبراطور الرومانى . وكان المضطهدون دائماً يطلبون من المسيحيين أن يقولوا « قيصر رب » . وهى نفس الكلمة اليونانية التى ترجم إليها إسم يهوه القدوس فى الترجمة اليونانية لأسفار العهد القديم . فعندما كان شخص ما يقول « يسوع رب » فإنه كان يعنى أنه يقدم ليسوع ولاءه الأعظم فى حياته وعبادته الأسمى من قلبه .

وجدير بالذكر أن بولس آمن أنه ليس أحد يقدر أن يقول « يسوع رب » إلا عندما يمكنه الروح القدس من ذلك . فإن ربوبية يسوع ليست شيئاً يمكن أن يكتشفه الإنسان لنفسه ، بقدر ما هى شىء يكشفه الله بنعمته للانسان .

مواهب الله المتنوعة

(١ كورنثوس ١٢ : ٤ ــ ١١)

إن مجمل فكرة بولس فى هذا الفصل هى أن ينبر على لزوم الوحدة فى الكنيسة وأهميتها القصوى . فالكنيسة هى جسد المسيح ، والصفة المميزة للجسد السليم هى أن كل عضو من أعضائه يؤدى وظيفته على الوجه الأكمل لصالح الجسد ككل . ولكن الوحدة لا تعنى أن يكون الجميع من طراز واحد ، ففى الكنيسة توجد مواهب مختلفة ووظائف متنوعة ، ولكن كل واحدة منها إنما هى هبة من الروح الواحد ، وكل واحدة منها لم يقصد بها مجد عضو الكنيسة كفرد ، بل قصد بها خير الكل .

ويبدأ بولس كلامه هنا بالقول إن كل المواهب الخاصة هى من الله . فهو يعتقد أن أية موهبة أو قدرة خاصة عند الإنسان هى فى الأصل من الله ، وأنها لذلك يجب أن تستخدم فى خدمته . إن خطأ الكنيسة ، فى العصور الحديثة على الأقل ، هو أنها فسرت فكرة المواهب الخاصة هذه تفسيراً ضيقاً للغاية . فمن الواضح أن الكنيسة قد تصرفت فى أغلب الأحوال على افتراض أن المواهب الخاصة التى يمكن أن تستفيد منها هى تقريباً المواهب الفكرية والأكاديمية ، كالوعظ والصلاة والتعليم والكتابة . وكان يجدر بالكنيسة أن تدرك أن مواهب الرجل ذى الحرفة وصاحب الصنعة الذى

يشتغل بيديه ليست أقل شأناً ، وأنها هى أيضاً فى الحقيقة هبة من الله . فالبناء والنجار والكهربائى والنقاش والمهندس والسباك ، كل هؤلاء لهم مواهبهم الخاصة . ولسوف تزيد قدرات الكنيسة وتتسع إمكانياتها وتخصب نواحى نشاطها وخدمتها ، لو أنها وظفت فى أعمالها وخدماتها أصحاب الحرف والصناعات المستعدين أن يكرسوا لله كل مهاراتهم اليدوية ، تماماً كما تفعل مع المقتدرين فى الخطابة أو التفكير أو الكتابة .

فلا يوجد مبرر لعدم تعيين أصحاب الحرف الذين يرحبون بوضع حرفهم فى خدمة الكنيسة ، شيوخاً فى الكنيسة مثلا . فكل موهبة خاصة هى من الله . ويمكن استخدامها لمجد الله .

ومن الأهمية بمكان أن نفحص قائمة المواهب الخاصة التى يذكرها بولس لأننا نستطيع منها أن نعرف الكثير عن سجايا الكنيسة الأولى وعملها . فلنتحدث عن هذه المواهب واحدة واحدة .

يذكر بولس فى البداية شيئين يبدوان وكأنهما متشابهان تماماً :

« كلام حكمة » و « كلام علم » . وقد عرف اكليمندس الأسكندرى الكلمة اليونانية المترجمة هنا « حكمة » بأنها « معرفة الأمور الإنسانية والإلهية ومسبباتها » وقد وصفها أرسطوطاليس بأنها « الكفاح للوصول إلى أحسن الأهداف باستخدام أحسن الوسائل » . وهذه هى أسمى أنواع الحكمة ، وهى ليست أقل من معرفة الله نفسه . ولذلك فهى لا تأتى من الفكر والعقل البشرى بقدر ما هى نابعة من الشركة مع الله . إنها الحكمة التى تعرف الله . أما الكلمة اليونانية المترجمة « علم » هنا فهى تعنى الجانب العملى . إنه العلم الذى يعرف ماذا يفعل وكيف يتصرف فى أى موقف . فهو التطبيق العملى « للحكمة » فى الحياة الإنسانية وشئونها . وكلا الشيئين لازم وضرورى : الحكمة التى بالشركة مع الله تعرف أعماق الله ، والعلم الذى يستطيع أن يمارس هذه الحكمة فى الحياة اليومية وفى العمل الدنيوى وفى خدمة الكنيسة .

وتأتى بعد ذلك فى قائمة المواهب موهبة « الإيمان » .

ولعل بولس يقصد شيئاً أكثر مما يمكن أن نسميه الإيمان العادى . فهذا النوع من الإيمان هو الإيمان المقتدر ، وهو القوة التى تدرك الروحيات وغير المنظور . إنه الإيمان الذى يستطيع أن يحقق نتائج واضحة ، الإيمان الذى ــ بحسب العبارة القديمة ــ يستطيع أن يحرك الجبال . إنه ليس مجرد الاقتناع الفكرى بصدق شىء ما ، ولكنه الإيمان السريع الحاد الذى يدفع الإنسان أن ينفق كل ما عنده وأن يضحى بكل ماله فى سبيل هذا الشىء الذى يؤمن أنه حق . إنه الإيمان الذى يجعل الإرادة صلبة والعزيمة قوية ، ويدفع الإنسان إلى العمل بقوة ونشاط ليتمم مقاصد الله فى حياته . إنه الإيمان الذى يترجم الرؤى إلى حقائق وأعمال .

ثم يتحدث بولس بعد ذلك عن « مواهب الشفاء » . ولقد عاشت الكنيسة الأولى فى عالم كانت فيه معجزات الشفاء شيئاً شائعاً . فاذا مرض يهودى فإنه كان يفكر فى الذهاب إلى الحبر أو الحاخام قبل أن يفكر فى الذهاب إلى الطبيب . وكان يشفى فى أغلب الأحيان . وكان اليونانيون يذهبون إلا اسكيولا بيوس إله الشفاء فيزورون هياكله ، ويقضون هناك ليالى بأكملها لكى يشفوا ، وكانوا

يشفون . وإلى يومنا هذا لا تزال توجد نقوش أثرية على لوحات تذكارية من آثار تلك الهياكل ، مسجل عليها تذكارات لحوادث الشفاء التى تمت فى تلك الهياكل . وفى معبد أبيدوروس يوجد نقش يحكى كيف أن شخصاً اسمه الكيتاس كان أعمى ، ولكنه رأى فى حلم وكأن الإله جاء إليه ليفتح عينيه بأصابعه . وعند طلوع النهار مضى فى طريقه وقد نال الشفاء وصار يبصر . وفى الهيكل الموجود فى روما يوجد نقش أثرى آخر يحكى كيف أن جندياً اسمه فالريوس أبركان أعمى ، وأوحى الإله إليه أن يمزج دم ديك أبيض بعسل نحل ويعمل منهما مرهماً يدهن به عينيه لمدة ثلاثة أيام . ولما شفى الجندى من العمى وصار يبصر جاء إلى هيكل الإله ليقدم له الشكر علانية .

وهكذا نرى أن حوادث الشفاء كانت كثيرة فى ذلك العصر . ولا يوجد أدنى شك فى أن مواهب الشفاء كانت موجودة فعلا فى الكنيسة الأولى .

ولم يكن بولس ليذكرها لولا أنها كانت موجودة حقاً . وفى رسالة يعقوب (٥ : ١٤) يعلم الرسول بأنه إذا كان أحد مريضاً فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب . ومن الحقائق التاريخية البسيطة أن فريضة المسحة كانت حتى القرن التاسع تمارس للشفاء .

وحينئذ فقط أصبحت فريضة المسحة النهائية ، وإعداداً للموت . ولم تفقد الكنيسة أبداً موهبة الشفاء هذه . وهى اليوم بدأت تستكشفها من جديد . قال الكاتب الفرنسى الحكيم مونتين وهو يتحدث عن تعليم الولد : « إننى لا أحب أن يكون تدريب أعضاء جسمه أقل جودة أو عناية من تدريب عقله وتفكيره . إننا لا نربى عقلا فحسب ، ولا جسماً فحسب ، ولكننا نربى إنساناً ولا ينبغى أن نشطر هذا الإنسان شطرين » . ولقد ظلت الكنيسة لمدة طويلة تقسم الإنسان إلى نفس وجسد . وتحملت مسئولية نفسه فقط ولم تشعر بأن عليها مسئولية تجاه جسده . ومن أعظم ما استرددناه فى عصرنا الحاضر أننا أصبحنا مرة أخرى نتعلم أن نعامل الإنسان ككل . وسيأتى اليوم الذى سيعمل فيه الطبيب والقسيس جنباً إلى جنب بيد واحدة .

ثم يضع بولس فى القائمة موهبة « عمل قوات » وأغلب الظن أن الرسول يشير هنا إلى مسألة الرقى والتعاويذ . وفى تلك الأيام كانت أمراض كثيرة ، إن لم يكن كلها ، وخصوصاً الأمراض العقلية ، تنسب إلى عمل الشياطين والأرواح النجسة . وكانت إحدى وظائف الكنيسة وأعمالها هى أن تطرد هذه الأرواح النجسة . وسواء أكانت هذه الأرواح حقيقية أم لا ، فان الشخص الذى كانت تمتلكه لا يخامره الشك فى أنها حقيقية . واستطاعت الكنيسة أن تساعده ، وساعدته فعلا . ولا يزال إخراج الشياطين والأرواح النجسة أمراً حقيقياً وملموساً فى حقول العمل المرسلى . إن على الكنيسة فى كل الأوقات والعصور أن تهتم بخدمة العقل المريض والمضطرب .

ثم يستطرد بولس فى حديثه عن المواهب فيذكر موهبة « النبوة » . ولو أننا ترجمنا هذه الكلمة إلى « الوعظ » لكان معناها أكثر وضوحاً أمامنا . ذلك لأن كلمة « نبوة » ترتبط فى أذهاننا بمعنى التنبؤ بالمستقبل . ولكن الحقيقة هى أن معنى هذه الكلمة كان أقرب إلى الحديث عن المستقبل منهَ إلى التنبؤ بما سيحدث فى المستقبل . إن النبى هو الإنسان الذى يعيش على مقربة وثيقة جداً من الله بحيث يتمكن من معرفة فكر الله وقلبه وإرادته وقصده ، وهكذا يستطيع أن يعلن ذلك للناس .

ولهذا السبب فإن عمل النبى مزدوج :

(أ) إنه يقدم للناس التوبيخ والإنذار ويخبرهم أن سلوكهم ليس مطابقاً لمشيئة الله .

(ب) وهو أيضاً يقدم للناس النصح والإرشاد حتى يقودهم إلى الطريق الذى يعرف أن الله يريدهم أن يسيروا فيه .

ثم يواصل بولس حديثه فيذكر موهبة القدرة على « تمييز الأرواح » . وفى مجتمع يكون الجو فيه متوتراً ومتكهرباً ، وحيث تكون كل أنواع الشذوذ أشياء عادية ، كان من اللازم التمييز بين ما هو حقيقى وما هو مجرد مظاهر هستيرية ، بين ما هو أصيل وما هو خداع أو وهم ، بين ما كان من الله وما كان من الشيطان . وإلى يومنا هذا ، عندما نرى شيئاً غير عادى أو غير مألوف لنا ، فإنه من الصعوبة بمكان أن نميز ما إذا كان ذلك الشىء من الله أم لا . والمبدأ الوحيد الذى ينبغى أن نلتزم به هو أنه يجب علينا دائماً أن نحاول أن نفهم قبل أن ندين .

وأخيراً يختتم بولس قائمة المواهب بموهبة « أنواع ألسنة » وموهبة القدرة على « ترجمة ألسنة » . وقد كانت هذه أهم المسائل ، كما سنرى فيما بعد ، وكانت سبب حيرة عظيمة وارتباك شديد فى كنيسة كورنثوس . ومع أن موضوع التكلم بألسنة لا يزال موجوداً ، لكنه فى معظم جوانبه غريب عن اختبارنا والذى كان يحدث هو هذا : فى أثناء الخدمة فى الكنيسة كان أحدهم من فرط سروره الذى يصل إلى حد الذهول يتدفق منه سيل من الأصوات غير المفهومة بغير لغة معروفة . وكانت هذه الموهبة هى أعلى ما يطمع فيه من المواهب لأنه كان ينظر إليها باعتبارها نتيجة للتأثير المباشر لروح الله . وبالنسبة للجمهور كانت هذه الموهبة بالطبع غير مفهومة كلية . وكان الشخص الذى يصل إلى هذا الحد من التأثر يستطيع أحياناً أن يترجم كل ما يتدفق من لسانه من أصوات ، ولكن الأمر كان يتطلب شخصاً آخر له موهبة الترجمة لكى يقوم بهذه المهمة . ولم يشك بولس أبداً فى حقيقة موهبة الألسنة هذه ، ولكنه كان يدرك جيداً أن لها أخطارها ، لأنه من الصعب التمييز بينها وبين حالات الذهول والهستيريا والاستسلام لما يشبه التنويم المغناطيسى .

والصورة التى ترسم أمامنا من هذا كله هى صورة كنيسة حية نشطة . حدثت فيها مظاهر مدهشة عمقت الحياة وسمت بها وزادت من قدرها وعظمتها وجعلتها زاخرة بالحيوية والقوة . ولم يكن هناك عن الكنيسة الأولى شىء تافه أو ممل أو عادى . وقد علم بولس أن كل هذا النشاط القوى الزاخر بالبهاء الملىء بالانتعاش والحيوية كان من عمل الروح القدس الذى أعطى لكل واحد موهبته التى يستخدمها لأجل الكل .

جسد المسيح

(١ كورنثوس ١٢ : ١٢ — ٣١)

نجد هنا فى هذا الفصل صورة من أشهر الصور التى كتبت عن وحدة الكنيسة . ولقد تعود الناس أن يسحروا ويبهروا عندما يتأملون الطريقة التى تتعاون بها أجزاء الجسم المختلفة . ومنذ زمان طويل رسم أفلاطون فى كتاباته صورة شهيرة قال فيها إن الرأس هى القلعة ، والرقبة فى البرزخ ، بين الرأس والجسم ، والقلب هو نبع الجسد ، والمسامات هى دروب الجسم ، والشرايين هى قنواته ، وهكذا رسم بولس صورة الكنيسة كجسد . فالجسد يتكون من أجزاء كثيرة ولكنها فى مجموعها تعتبر وحدة لازمة . وأوضح أفلاطون أننا لا ينبغى أن نقول : « إصبعى يتألم » بل أن يقول « أما أحس بألم ». ومن ثم فإنه يوجد « أنا » الشخصية ، التى تكسب الوحدة لكل أعضاء الجسم الكثيرة والمختلفة والمسيح بالنسبة للكنيسة هو بمثابة « أنا » — الشخصية — بالنسبة للجسد . ففى المسيح تجد كل الأجزاء المختلفة والمتنوعة وحدتها .

ثم يستطرد بولس فنراه ينظر إلى هذا الأمر بطريقة أخرى . فهو يقول : « أنتم جسد المسيح » . وهو فى هذه الفقرة يقدم لنا فكرة عظيمة رائعة . فلم يعد يسوع المسيح موجوداً بالجسد فى هذا العالم . ولذلك فاذا كان يريد أن يؤدى شيئاً أو عملا ما فى هذا العالم فلابد أن يجد إنساناً يؤديه له . فاذا أُراد أن طفلا يتعلم ، فلابد أن يجد له المعلم . وإذا أراد مريضاً يشفى ، فلابد أن يهيىء له الطبيب أو الجراح الذى يقوم له بهذا العمل . وإذا أراد أن قصته تذاع وتنشر ، فلابد أن يجد الشخص الذى يفعل ذلك . أى أننا ينبغى أن نكون جسد المسيح ، أن نكون اليدين اللتين تؤديان عمله ، وأن نكون القدمين اللتين تسرعان لأداء المهام والمأموريات التى يكلفنا بها ، وأن نكون الصوت الذى يتكلم بما يريد هو أن يعلنه . وهذا هو المجد العظيم السامى الذى يتوج هامة الإنسان المسيحى — أنه جزء من جسد المسيح على الأرض .

وهكذا يرسم بولس صورة الوحدة التى ينبغى أن تكون داخل الكنيسة إذا ما أرادت أن تحقق رسالتها الحقيقية ووظيفتها الصحيحة . فالجسد يكون صحيحاً وقوياً وكفءاً عندما يؤدى كل جزء فيه عمله على الوجه الأكمل . وأعضاء الجسم مترابطة لا يحسد واحد منها الآخر ، ولا يطمع واحد منها فى عمل الآخر أو وظيفته . بل إن كل جزء يقوم بعمله الخاص ، وبهذا فقط يمكن أن يتمتع الجسم بصحة جيدة . وفى هذه الصورة التى يرسمها بولس نجد أشياء معينة ينبغى توافرها فى الكنيسة التى هى جسد المسيح .

١ — ينبغى أن ندرك أن كلا منا يحتاج إلى الآخر . فلا يمكن أن يوجد فى الكنيسة شيء اسمه انعزالية أو انفصالية . ولكن يحدث كثيراً أن بعض الناس فى الكنيسة ينشغلون بعمل ما ، ويستغرقون فيه ويحسون بأهميته العظمى حتى ينسون الآخرين الذين اختاروا لأنفسهم عملا آخراً يقومون به داخل الكنيسة نفسها ، وقد ينتقدونهم ويسخرون من عملهم . وهذا خطأ كبير . فلكى تكون

الكنيسة جسداً صحيحاً ، فإنها تحتاج إلى العمل المشترك الذى يستطيع كل واحد أن يقوم به .

٢ ــ كما ينبغى أن يحترم كل منا الآخر . فلا مجال فى الجسد لأن يشعر جزء منه بأنه أهم من الآخر أو أكثر لزوماً منه . وإذا توقف أى عضو من أعضاء الجسم عن أداء وظيفته فإن الجسد كله سيتعطل . وهكذا الأمر بالنسبة للكنيسة فكل أنواع الخدمة فيها على درجة متساوية من الأهمية والضرورة فى نظر الله وفى الوقت الذى نبدأ فيه فى التفكير فى أهميتنا الذاتية فى الكنيسة المسيحية ، تضيع من أيدينا كل إمكانة لأى عمل مسيحى حقيقى .

٣ ــ يجب أن يواسى كل منا الآخر ويشاركه ظروفه . فاذا تأثر أى جزء من الجسم من شىء ما فإن كل أجزاء الجسم الأخرى يجب أن تشعر به ، ولا تستطيع أن تتغاضى عن مواساته أو تتجاهل مشاعره . والكنيسة وحدة كاملة بأعضائها . والشخص الذى لا يستطيع أن يمد بصره ليرى ما وراء جمعيته أو منظمته ، والشخص الذى لا يستطيع أن يرى ما وراء طائفته أو جماعته ، والشخص الذى لا يستطييع أن يرى ما هو خارج دائرة الروابط العائلية والعلاقات الشخصية ، مثل هؤلاء الأشخاص لم يعوا بعد حقيقة وحدة الكنيسة الكبيرة الجامعة .

وفى نهاية هذا الأصحاح يواصل بولس حديثه عن الأنواع المختلفة للخدمة فى الكنيسة . وقد سبق أن ذكر بعضها فيما تقدم ، ولكن البعض الآخر لم تسبق الإشارة إليه :

١ ــ يضع بولس « الرسل » أو كل شىء . وكان الرسل بلا جدال هم أعظم الشخصيات فى الكنيسة . ولم يكن سلطانهم محصوراً فى مكان واحد ، ولم تكن خدمتهم ذات صبغة محلية مستقرة ، بل كانت تشمل الكنيسة كلها ، وكانت كلمتهم مسموعة فى جميع أنحائها ... لماذا ؟

لقد كان المؤهل الأساسى للرسول هو أن يكون شخصاً رافق يسوع حياته على الأرض ، وكان شاهداً للقيامة (أعمال ١ : ٢٢) .

فكان الرسل إذن أوثق الناس اتصالا بيسوع فى أيام وجوده فى الجسد وشاهدين لقيامته . ولم يسطر يسوع كلمة على ورق ، ولم يخلف وراءه كتاباً مطبوعاً ، ولكنه كتب رسالته على قلوب جماعة من الناس ، وكان هؤلاء الناس هم الرسل . فلا يمكن لأية منظمة بشرية أن تعطى إنساناً ما نفوذا أو سلطاناً كهذا . إن النفوذ الحقيقى يناله الإنسان الذى كان مرافقاً ليسوع . قال أحدهم مرة لالكساندر هوايت بعد انتهاء الاجتماع .

« لقد وعظت اليوم كما لو كنت قادماً مباشرة من محضر الله » . إن الشخص الذى يأتى من محضر الله لابد أن يكون لكلماته سلطان وتأثير رسولى بغض النظر عن الطائفة التى ينتمى إليها .

٢ ــ سبق الكلام عن الأنبياء ، ولكن بولس الآن يضيف إليهم « معلمين » . ومهما وصفنا أهمية هؤلاء المعلمين فلن يصل وصفنا إلى حد المبالغة . فقد كانوا هم المنوط بهم تثبيت وبنيان المتجددين الذين ربحهم المبشرون والرسل . وكان عليهم أن يواصلوا تعليم الرجال والسيدات الذين لم يكونوا يعرفون شيئاً عن المسيحية . فاذا تذكرنا أن أول ما كتب من بشائر الإنجيل ، وهو إنجيل

مرقس ، لم يكتب إلا حوالى عام ستين بعد الميلاد تقريباً ، أى بعد صلب يسوع بحوالى ثلاثين عاماً ، وإذا تذكرنا أن الطباعة لم تكن معروفة فى ذلك العصر وأن الكتب كانت تكتب باليد وكانت نادرة جداً ، وأن شراء كتاب فى حجم العهد الجديد كان يكلف حوالى أربعين جنيهاً ، وهو مبلغ أكبر من طاقة الرجل العادى ، لامتلاك كتاب خاص به . عرفنا أنه كان لا مناص من الاعتماد على الكلام الشفوى بسرد قصة يسوع وتعاليمه وكان المعلمون هم الذين يقومون به . وهذا يرينا الأهمية الكبرى لوجود هؤلاء المعلمين للقيام بهذا العمل العظيم وبهذه المهمة الضخمة . كما يجب أن نذكر أن الدارس يتعلم من المعلم القدير أكثر مما يتعلم من أى كتاب . وحتى فى أيامنا هذه ، وبالرغم من وجود الكتب الكثيرة وسهولة اقتنائها ، لا تزال هذه الحقيقة قائمة . إننا نتعلم كثيراً عن المسيح من الناس .

٣ — ويتحدث بولس عن « أعوان » . وكان واجب هؤلاء إعانة الفقراء ومساعدة الأيتام والأرامل والغرباء . إن المسيحية كانت منذ بدايتها ديانة عملية . وقد يحرم إنسان من موهبة الكلام أو التعليم ، ولكن إعانة الآخرين هو باب مفتوح أمام الجميع .

٤ — ثم يتحدث بولس عن « تدابير » . وجدير بالذكر أن هذه الكلمة ، فى الأصل ، تعنى حرفياً عمل قبطان السفينة الماهر الذى يقود سفينته خلال الصخور والأماكن الضحلة ، حتى يصل بها إلى ميناء بسلام . والناس الذين يشير إليهم بولس هنا هم الذين يتولون تنفيذ الأمور الإدارية فى الكنيسة . وهو عمل رئيسى ومهم للغاية . ففى المقدمة يعمل الوعاظ والمعلمون ويقومون بأداء الرسالة التى يحملون مشعلها . ولكنهم لا يستطيعون المضى فى ذلك إطلاقاً إذا لم يكن خلفهم الذين يحملون مسئولية شئون الكنيسة الإدارية يوماً بعد يوم . وكما أن هناك أعضاء فى الجسد غير منظورة ، ولكن عملها أكثر أهمية من أى عضو آخر ، كذلك هناك الذين يخدمون الكنيسة بطرق متنوعة بلا ظهور أو إعلان ، وبدون خدمتهم لا تستطيع الكنيسة مواصلة أداء رسالتها .

وفى ختام الأصحاح يقول بولس إنه سيتحدث عن موهبة أعظم من كل المواهب الأخرى . فهناك دائماً خطر يتهدد الذين لهم مواهب مختلفة ، وهو أنه قد يختلف الواحد منهم مع الآخر ، وبذلك يتعطل الجسد عن العمل الفعال المنتج . ولكن هناك شيئاً واحداً فقط هو الذى يستطيع أن يربط الكنيسة فى وحدة كاملة ، وهو المحبة . وهكذا سيواصل بولس حديثه فيترنم بأنشودته التى تدعو إلى المحبة .

الأصحاح الثالث عشر

أنشودة المحبة

(١ كورنثوس ١٣)

يعتبر الكثيرون أن هذا الأصحاح هو أعظم أصحاحات العهد الجديد . ولو أننا حاولنا أن نحلل بالتفصيل المعانى العظيمة التى تحويها كلمات هذا الأصحاح لقضينا طول عمرنا ونحن نكتشف منها فى كل يوم جديداً .

يبدأ بولس كلامه هنا بالقول إن كل هبة روحية يمتلكها الإنسان ، إذا لم تكن مصحوبة بالمحبة فلا جدوى منها .

١ ـــ فقد يكون للانسان موهبة التكلم بألسنة . ولكن هذه الموهبة ، التى كان يتطلع إليها الكثيرون ، إذا خلت من المحبة فإنها لن تكون أفضل من العبادة الوثنية ـــ وخصوصاً عبادة ديونيسيوس وسايبل ـــ التى كانت تتميز بضجيج رن الصنج أو طن النحاس أو نفخ البوق .

٢ـــ وقد يكون للانسان موهبة النبوة . وقد رأينا أن النبوة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوعظ . وهناك نوعان من الوعاظ ؛ فهناك الواعظ الذى يجعل هدفه الوحيد أن يخلص نفوس شعبه ، وهو يخطب ودهم ويشتاق إليهم بكل حنين ومحبة . ولم تنطبق هذه الأوصاف على أحد قدر انطباقها على بولس نفسه . فقد كان يحس بالضرورة العظمى الملقاة على عاتقه أن يبشر النفوس ليربحها للمسيح . كان مستعداً أن يهلك ويموت عنهم ، إذا كان هذا هو السبيل لخلاصهم جميعاً . والنوع الثانى هو الواعظ الذى يمطر على سامعيه وابلا من التهديد والوعيد ويرهبهم بلهب الجحيم الذى ينتظرهم إذا لم يخلصوا ، يظهر لهم أنه سيكون مبتهجاً سواء خلصوا أم هلكوا . قيل أن سير جورج آدم سميث سأل مرة أحد أعضاء الكنيسة اليونانية ، وكان قد قاسى كثيراً من الاضطهاد على أيدى جماعة من غير المسيحيين : « لماذا أوجد الله غير مسيحيين كثيرين هكذا » . فكان جواب عضو الكنيسة : « ليملأ بهم جهنم » . إن الوعظ المملوء بالتهديد والوعيد لا مكان فيه لنغمة المحبة والعطف واللطف ـــ مثل هذا الوعظ قد يخيف ويرعب ، لكنه لن يخلص أحداً .

٣ ـــ وقد يكون للانسان موهبة العلم والمعرفة العقلية . والخطر الدائم الذى يتهدد العلم والمعرفة هو خطر الزهو والخيلاء والكبرياء الفكرية . فالرجل المتعلم قد تعتريه روح احتقار تفكير الآخرين ، والإزدراء بأشخاصهم . أما العلم الذى تؤججه نار المحبة هو العلم الذى يمكن أن يستخدم فى خلاص النفوس .

٤ ـــ وقد يكون للانسان كل الإيمان حتى ينقل الجبال . ولكن إذا لم تكن له محبة فليس شيئاً . إن الإيمان المجرد شيء قاسى حقاً . قيل إن رجلا أحس بتعب شديد ولما استشار طبيبه أخبره بأن قلبه متعب وأنه ينبغى أن يستريح . فأمسك الرجل المريض بالتليفون وأخبر رئيسه فى العمل بذلك .

وكان ذلك الرئيس رجلا مسيحياً معروفاً . فاذا به يجيبه فى جفاف وخشونة : « إن لى إيماناً يمكننى من مواصلة العمل بدونك » . ولقد كانت هذه كلمات إيمان ، لكنها كانت كلمات إيمان خال من المحبة . ولذلك كانت كلمات جارحة مؤذية .

٥ — وربما أطعم الإنسان كل أمواله ويمارس كثيرا مما يسميه الناس بالإحسان . ربما تصدق بما عنده على الفقراء . ولكن هذا الإحسان المزعوم إذا خلا من المحبة كان أقسى مذلة للانسان . فإن تعطى كمجرد واجب ، وأن تعطى بشىء من الازدراء والاحتقار للآخرين ، وأن تقدم للفقراء الفتات الذى يفضل عنك . أن تعطى وأنت تصحب عطاءك بمحاضرة أخلاقية عن عمل الخير ، أو بتوبيخ وتعنيف لأولئك المحتاجين — فإن ما تفعله هذا ليس إحساناً أو عمل خير ، إنه الكبرياء بعينها والكبرياء دائماً قاسية ، لأن الكبرياء لا تعرف المحبة .

٦ — وقد يسلم الإنسان جسده حتى يحترق ، ولكن إذا لم تكن له محبة فلا ينتفع شيئاً . وهنا ربما يكون فكر بولس قد انصرف إلى شدرخ وميشخ وعبد نغو وأتون النار المتقدة (دانيال ٣) . أو ربما فكر بولس فى أثر مشهور من آثار أثينا يسمى « قبر الهندى » ، حيث أحرق أحد الهنود نفسه أمام الناس بعد أن نحت على القبر الذى أوصى بدفنه فيه هذه الكلمات التى تدل على روح الكبرياء والتفاخر : « هنا يرقد ذار مانو تشيجاز الهندى من بلدة بارجوزا الذى خلد نفسه طبقاً للتقاليد الهندية » . وربما قصد بولس أيضاً أن يشير إلى نوع من المسيحيين الذين قاسوا الاضطهاد فعلا . وكأنه يريد أن يقول إنه إذا كان الدافع الذى يجعل الإنسان يسلم حياته لأجل المسيح هو دافع الكبرياء وحب إظهار النفس وتمجيد الذات ، فحتى الاستشهاد عندئذ يصبح بلا قيمة وبلا جدوى . ولسنا نتهكم إذا كنا نذكر أن كثيراً من الأعمال التى تبدو فى نظرنا كتضحيات ، ليست من ثمار المحبة والتكريس ولكنها فى الحقيقة من ثمار الكبرياء والتفاخر .

والواقع أنه لا يكاد يوجد فصل آخر من الكتاب المقدس يتطلب من المؤمنين فحص نفوسهم فحصاً دقيقاً فى نور ما جاء فيه قدر ما يتطلبه هذا الأصحاح .

طبيعة المحبة المسيحية

يسجل بولس فى الأعداد من ٤ — ٧ من هذا الأصحاح قائمة تضم خمس عشرة صفة تتميز بها هذه المحبة المسيحية .

فالمحبة « تتأنى » . والكلمة الأصلية المستعملة فى اللغة اليونانية تعنى « التأنى مع الناس » وليس التأنى مع الظروف . ويقول القديس يوحنا فم الذهب إن هذه الكلمة هى التى تستعمل لتصف الرجل الذى يساء إليه ، وفى إمكانه أن ينتقم لنفسه ، ولكنه مع ذلك لا يفعل . إنها تصف الرجل الذى لا يغضب بسرعة . وهى تستعمل أيضاً لتصف موقف الله نفسه فى علاقته مع الناس . وفى معاملاتنا مع الناس ينبغى أن ندرب أنفسنا على التأنى معهم ، تماماً كما يتأنى الله معنا ، مهما كان الناس مشاكسين ضدنا ، ومهما كانوا قساة علينا ، ومهما أساءوا إلينا . والحقيقة البسيطة أن مثل

هذا التأنى ليس مظهراً من مظاهر الضعف ، ولكنه علامة من علامات القوة . إنه ليس هزيمة ، ولكنه الطريق الوحيد للنصر .

والمحبة ترفق : قال عنها أوريجانس إنها « عذبة مع الجميع » . وتحدث عنها أيرونيموس فوصفها « بالرأفة والشفقة » . وهناك مسيحيون كثيرون متدينون ، ولكن تدينهم ، للأسف ، ينقصه الرفق والرأفة ، ويشينه العنف والقسوة . فقد كان فيليب الثانى ملك أسبانيا مثلا أكثر الناس تديناً ، ومع ذلك فقد أقام فى أسبانيا « محاكم التفتيش » ، وظن أنه كان يؤدى خدمة لله بذبح وقتل كل من كان يخالفه فى الرأى . وأعلن الكاردينال بول المشهور أن القتل والزنا أشنع وأفظع من الهرطقة والضلال ، ومن ثم يجب أن يكون عقابهما أشد وأقسى . وبغض النظر عن روح الاضطهاد والتنكيل هذه ، فإن فى نفوس كثير من الناس الطيبين المتدينين إتجاهاً إلى الانتقاد وإدانة الآخرن . وكثير من أعضاء الكنائس اليوم كانوا يقفون إلى جانب الفريسيين المنتقدين وليس إلى جانب يسوع لو أنهم تدخلوا فى موضوع المرأة التى أمسكت وهى تزنى .

والمحبة لا تحسد . وقد قيل إن هناك طبقتين فقط بين الناس فى هذا العالم ، وهما « طبقة أصحاب الملايين ، وطبقة الذين يتمنون أن يصبحوا كذلك » . وهناك نوعان من الحسد : النوع الأول هو الذى يشتهى ممتلكات الآخرين ويطمع فيها . ومثل هذا النوع من الحسد يصعب جداً تجنبه لأنه يكاد يكون طبيعة بشرية . ولكن النوع الآخر هو أسوأ من هذا بكثير ، إنه يحقد على الذين يمتلكون ما لا يمتكله هو . والحاسد من هذا النوع هو الشخص الذى لا يشتهى الأشياء التى يمتلكها الآخرون لذاتها بقدر ما يتمنى لو أنهم لم يمتلكوها بالمرة . وهذه هى أحط الدركات التى يمكن أن تنحدر إليها النفس الوضيعة الحقيرة .

والمحبة لا تتفاخر : إنها تتميز بمحاولة إخفاء الذات ومحو ظهورها . إن المحبة الحقيقة تشعر دائماً بعدم جدارتها .

ولكن هناك بعض الناس ممن يظهرون محبتهم للآخرين باشعارهم أنهم يمنحونهم امتيازاً . إن المحب الحقيقى يبقى دائماً متواضعاً ، ويشعر باستمرار أنه لا يستطيع أن يقدم لمحبوبه شيئاً يكفى للتعبير عن حبه .

وهو لا ينتظر لقاء ذلك أجراً أو شكراً أو عرفاناً بالجميل .

والمحبة لا تنتفخ : كان نابليون يردد دائماً أن قداسة البيت ، ولزوم العبادة الجمهورية فضائل يطالب بها الآخرون . أما عن نفسه فقد قال : « إننى لست مثل الآخرين . إن نواميس الآداب والأخلاق لا تنطبق على » .

أما الرجل العظيم حقاً فإنه لا يفكر فى أهميته الشخصية . كان وليم كارى أول المرسلين إلى بلاد الهند واحداً من أعظم المرسلين . كما كان بكل تأكيد واحداً من أعظم اللغويين الذين عرفهم العالم ، فقد ترجم أجزاء من الكتاب المقدس إلى ما لا يقل عن أربع وثلاثين لغة من اللغات الهندية . وكان قد بدأ حياته إسكافياً . وعندما ذهب إلى الهند ازدرى به الكثيرون وعاملوه بكراهية واحتقار .

وكان يوماً فى حفل عشاء ، أن أراد أحدهم أن يذله ويحقره أمام الناس ، فقال بصوت عال سمعه الجميع : « وأظن يامستر كارى أنك اشتغلت مرة صانع أحذية » . فأجاب كارى قائلا : « لا ياسيدى ، لم أكن صانع أحذية . ولكنى كنت فقط إسكافياً أصلح الأحذية » . إن كارى العظيم المتواضع لم يدع أنه كان حتى صانع أحذية ، بل قال إنه كان فقط يصلح الأحذية . إن الناس لا يحبون الرجل « المهم » المتنفخ . وهو عندما يضفى على نفسه هالة من النفوذ والسلطان والأهمية يصبح إنساناً يستحق الأسف والرثاء .

والمحبة لا تقبح : إنها تتسم باللطف والرقة والجمال . ويخطىء بعض المسيحيين الذين يجدون لذة فى أن تكون مسيحيتهم خشنة وفظة . هذا وإن كان يجعلهم يظهرون بمظهر القوة ولكنهم بذلك يجعلون مسيحيتهم ووجوههم تفتقر إلى روح البهجة والسرور التى هى الطابع الأصيل للمسيحية الحقيقية . كان « لا يتفوت » يقول عن تلميذه « أرتوسيم » : « دعه يذهب أينما يذهب إن وجهه فى حد ذاته عظة » . إن المحبة المسيحية الجميلة لا تنسى أن المجاملة والأدب والحصافة والذوق فى المعاملة هى كلها فضائل يجب أن يتحلى بها كل مسيحى .

والمحبة لا تطلب ما لنفسها : هناك نوعان فقط من الناس فى هذا العالم : أناس يفكرون باستمرار فى حقوقهم ، وآخرون يفكرون باستمرار فى واجباتهم ، أناس يصرون دائماً على امتيازاتهم وآخرون يذكرون دائماً مسئولياتهم ، أناس يفكرون دائماً فيما تدين به الحياة لهم ، وآخرون لا ينسون أبداً ما هم مدينون به للحياة . ولو أن الناس فكروا فى واجباتهم أكثر من تفكيرهم فى حقوقهم لاستطاعوا التوصل إلى المفتاح الذى يمكنهم من حل معظم المشاكل التى تواجههم اليوم . وعندما يتسلط علينا التفكير المستمر فى « مركزنا ومكانتنا » فإننا نكون بذلك قد بعدنا كثيراً عن المحبة المسيحية .

والمحبة لا تحتد : والمعنى الحقيقى لهذه العبارة هو أن المحبة المسيحية لا تحنق أبداً على الناس ولا تسخط عليهم ولا تغتاظ منهم . فالحنق والسخط والغيظ دليل الهزيمة . وعندما نحتد نحن نفقد كل شيء .

قال كبلنج : إن أدق اختبار للانسان هو ما إذا كان يستطيع أن يحتفظ بهدوئه عندما يثور عليه الجميع ويلومونه ويوبخونه ، وما إذا كان يستطيع أن يتمالك نفسه فلا يكره الآخرين عندما يكرهونه هم . إن الرجل الذى يتمكن من أن يكون سيد مشاعره ومزاجه وطباعه يمكنه أن يرقى بنفسه فيصبح سيد كل شيء آخر .

والمحبة لا تظن السوء : فكثيرون . من الناس يحرصون على أن يذكروا السوء وقد يدونونه حتى لا ينسونه . ولكن المحبة المسيحية لا تحاول أن تحتفظ بالسوء فى الذاكرة ، بل تتناساه حتى تنساه فعلا . ومن أعظم الفنون فى الحياة فن تعلم نسيان ما ينبغى أن ينسى . قيل إن أهل بلد من البلاد كانوا يقضون جل وقتهم فى المعارك . وكان من عادة كل واحد منهم أن يحتفظ فى بيته بأشياء تذكره بكراهيته للآخرين ، كما كانوا يعلقون فى سقوف أكواخهم بعض الأدوات التى تذكرهم دائماً باساءات الآخرين لهم ـــ سواء أكانت تلك الإساءات حقيقية أو وهمية . وهذا ما يفعله كثيرون

من الناس الذين يغذون فى نفوسهم عوامل الغضب والكراهية . والذين يتفكرون باستمرار فى الإساءات التى يوجهها الآخرون إليهم حتى يصبح مستحيلا عليهم بعد ذلك أن ينسوها . إن المحبة المسيحية تعلم صاحبها الدرس العظيم فى نسيان السوء .

والمحبة لا تفرح بالإثم : وليس المقصود هنا التلذذ بعمل الإثم ، بقدر التلذذ الخاطىء الردىء الذى يحس به معظمنا عندما نسمع أشياء مهينة عن الآخرين وماسة بكرامتهم . فمن الصفات الغريبة التى تتصف بها طبيعتنا البشرية أننا أغلب الأحيان نفضل أن نسمع عن مآسى الآخرين ومصائبهم أكثر من أن نسمع عن أفراحهم وأخبارهم الطيبة . فإن نبكى مع الباكين أسهل علينا بكثير من أن نفرح مع الفرحين . ونحن نهتم أن نسمع قصة تذم شخصاً ما وتسىء إلى سمعته أكثر من اهتمامنا بسماع قصة تمدحه . ولكن المحبة المسيحية السامية لا تسمح بوجود هذه الصفة البشرية الرديئة التى تتلذذ بسماع الأخبار السيئة عن الآخرين

والمحبة تفرح بالحق : وهذا ليس بالأمر السهل كما يبدو . فهناك أوقات لا نريد فيها أن يسود الحق ، وهناك أوقات أكثر يكون الحق فيها هو آخر شىء نحب أن نسمعه . ولكن المحبة المسيحية لا ترغب أبداً أن تقيم أمام الحق حجاباً حاجزاً ، لأن لها الشجاعة الكافية أن تواجه الحق ، إذ ليس لها شىء تريد إخفاءه أو التستر عليه ، ولذلك فهى تفرح عندما يسود الحق .

والمحبة تحتمل كل شىء : ويمكن أن تعنى هذه العبارة أيضاً أن المحبة تستطيع أن تستر كل شىء ، أى أنها لا تحاول أبداً أن تفضح أخطاء الآخرين وتشهر بهم . ولكنها بالحرى تحاول فى هدوء أن تصلح الأمور بدلا من إشهارها علانية والتنديد بها وتوبيخها أمام الناس . كما أن هذه العبارة تعنى بالأكثر أن المحبة تستطيع أن تحتمل أية إهانة أو إساءة أو خيبة أمل . إنها تصف نوع المحبة التى كانت فى قلب يسوع نفسه الذى كان ممتلئاً بالمحبة الغافرة لكل إساءات الناس .

والمحبة تصدق كل شىء : وهذه الصفة للمحبة يمكن أن يكون لها معنى مزدوج : ١ — بالنسبة لعلاقاتنا مع الله فهى تعنى أن المحبة تؤمن إيماناً مطلقاً بصدق كلمة الله وبصدق مواعيده التى تشمل كل واحد منا . إنها المحبة التى تنبثق من الإيمان بأن الله موجود . ٢ — وبالنسبة لعلاقاتنا مع الناس فهى تعنى المحبة التى تصدق دائماً ما هو الأفضل عن الآخرين . وقد قيل حقاً ، إننا نصنع الناس بحسب ما نعتقده فيهم ونعاملهم به . فاذا كنا نتصرف معهم بطريقة تشعرهم أننا لا نصدقهم ، وأننا نشك فيهم ، فإننا بذلك نجعلهم غير جديرين بالثقة . أما إذا كنا نعامل الناس بطريقة تشعرهم أننا نثق فيهم ثقة مطلقة ، ما دام لم يصدر عنهم ما يخل بالشرف ، فإننا بذلك نخلق منهم أناساً جديرين بالثقة حقاً .

والمحبة ترجو كل شىء : وقد كانت عقيدة يسوع أنه لا ينبغى أن نفقد الرجاء بالنسبة لأى شخص . كان آدم كلارك واحداً من أعظم اللاهوتيين . وعندما كان فى المدرسة كان بطيئاً جداً فى الدراسة . وحدث يوماً أن زار المدرسة ضيف كبير ، فأشار المدرس إلى آدم كلارك وقال للضيف : « هذا هو أغبى ولد فى المدرسة » . ولكن الزائر قبل أن يغادر المدرسة جاء إلى آدم كلارك

وقال له برفق ومحبة : « لا تقلق أيها الصبى ، فقد تصبح يوماً من الأيام دارساً وعالماً عظيماً . لا تفشل أبداً ، ولكن جاهد وكافح وثابر على الاجتهاد » . لقد كان المعلم يائسا منه ، ولكن الزائر كان يرجو ويأمل . وتحقق الرجاء . ومن يدرى ؟ — ربما كانت تلك الكلمة التى قالها الزائر للتلميذ آدم كلارك هى التى بعثت فى نفسه الرجاء والأمل فجعلت منه العالم اللاهوتى الكبير « آدم كلارك » .

والمحبة تصبر على كل شىء : والكلمة اليونانية الأصلية المترجمة هنا « تصبر » هى من أعظم الكلمات اليونانية . وهى فى الحقيقة لا تعنى روح الاستسلام السلبى للأشياء ، ولكن الروح التى مع تحملها للأشياء ، تنتصر عليها وتغيرها وتبدلها إلى الأفضل . عندما فقد جورج مائيسون بصره كتب فى إحدى صلواته يقول : « يارب ، دعنى أقبل مشيئتك ، ليس باستسلام أبكم بل بفرح مقدس ؛ ليس بعدم التذمر بل أيضاً بالتسبيح بحمدك » . إن المحبة تصبر على كل شىء ليس بالاستسلام السلبى ولكن بالثبات والعزم المنتصر ، لأنها تعرف أن الله محبة وأن يد الأب لا يمكن أن تسمح لطفله أن يذرف دمعة لا لزوم لها .

يبقى بعد ذلك شىء واحد ينبغى أن يقال . وهو أننا عندما نفكر فى صفات هذه المحبة كما صورها بولس فإننا نجدها كلها قد تحققت وتمثلت وتجسدت كاملة فى حياة يسوع نفسه .

سمو المحبة

فى ١ كورنثوس ١٣ الأعداد ٨ — ١٣ يذكر بولس ثلاثة أشياء يختتم بها حديثه عن هذه المحبة المسيحية .

١ — **فهو ينبر على دوامها المطلق** : فالمحبة ستظل باقية حتى عندما تنتهى وتبطل كل الأشياء التى يتفاخر بها الناس وتدفعهم إلى الكبرياء والانتفاخ . إن من أعظم الآيات الشعرية فى الكتاب المقدس ما جاء فى سفر نشيد الأنشاد ٨ : ٧ « مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها » . أى أن المحبة هى الشىء الوحيد الذى لا يقهر أبداً . وهذا سبب من أعظم الأسباب للايمان بالخلود . فالمحبة تدخل فى حياة الإنسان شركة وعلاقة لا تسقط أبداً ، ولا تستطيع هجمات الزمن وتقلبات الأيام أن تزعزعها . إن قوة المحبة تفوق قوة الموت .

٢ — **وهو ينبر على كمالها المطلق** : إن الأشياء التى نراها الآن إنما هى مجرد إنعكاسات كما لو أننا ننظر فى مرآة . وهذه الفكرة كانت ذات مغزى بالنسبة للكورنثيين أكثر مما تعنيه لنا اليوم . فإن كورنثوس كانت تشتهر بصناعة المرايا . أما المرآة الحديثة التى نعرفها اليوم فلم تكن معروفة حتى القرن الثالث عشر . وكانت المرآة الكورنثية تصنع من معدن مصقول صقلا جيداً . ولكنها لم تكن تستطيع أن تعكس ، حتى فى أفضل حالاتها ، إلا صورة باهتة غير واضحة . ومعنى كلام بولس هنا هو أنه يشعر أننا فى هذه الحياة نرى فقط إنعكاسات الله وأننا لذلك نجد أنفسنا أمام ألغاز وغوامض كثيرة ، ونحن نرى هذا الانعكاس فى عالم الله ، لأن أعمال يدى أى صانع تعرفنا

شيئاً عن شخص الصانع نفسه ، ونراه فى الإنجيل ، ونراه أيضاً فى يسوع المسيح ، وحتى إذا كنا نرى فى المسيح الإعلان الكامل ، فإن عقولنا المحدودة لا تستطيع أن تدرك إلا جزءاً يسيرا فقط من هذا الإعلان ، لأن المحدود لا يمكن أبداً أن يستوعب غير المحدود . إن معرفتنا لا تزال كمعرفة طفل . ولكن طريق المحبة سيوصلنا فى النهاية إلى اليوم الذى تزول فيه الغشاوة من أعيننا وحينئذ سنراه وجهاً لوجه ، وسنعرف كما عرفنا . ونحن لا يمكن أبداً أن نصل إلى ذلك اليوم بدون المحبة ، لأن الله محبة ، ولا يستطيع أحد أن يرى الله إلا إذا كان قلبه عامرا بالمحبة .

٣ ـــ **هو ينبر أيضاً على سموها المطلق** : فمهما كان الإيمان عظيماً ، ومهما كان الرجاء عظيماً ، فإن المحبة تظل أعظم . فالإيمان بدون المحبة بارد ، والرجاء بدون المحبة عابس . والمحبة هى النار التى تضرم الإيمان ، وهى النور الذى يحول الرجاء تأكداً ويقيناً .

الأصحاح الرابع عشر

العبادة المخلصة والعبادة المزيفة

(١ كورنثوس ١٤ : ١ — ١٩)

إن هذا الأصحاح كله صعب جداً على أفهامنا ، لأنه يعالج ظاهرة هى فى الواقع بالنسبة لمعظمنا ، خارجة عن دائرة اختبارنا . وفى هذا الأصحاح يعقد بولس مقارنة بين موهبتين من المواهب الروحية . الموهبة الأولى هى « التكلم بألسنة » . وقد كانت ظاهرة شائعة جداً فى الكنيسة الأولى . وكان الشخص الذى له هذه الموهبة يصبح من فرط السرور فى حالة تقرب من الذهول بحيث لا يستطيع معها التحكم فى سيل الأصوات التى تتدفق من لسانه بلغة غير مفهومة . وما لم تترجم هذه الأصوات فلا يكون ممكنا لأى واحد أن يدرك معناها . والغريب أن هذه الموهبة كانت من أعظم ما يطمع فيه من المواهب فى الكنيسة الأولى . ولكنها كانت موهبة خطيرة لسببين : السبب الأول أنها كانت موهبة شاذة بتهافت الجميع عليها ، ويعجبون بها إعجاباً عظيماً ، فقد كان الشخص الذى يمتكلها معرضاً ، أن يسقط فى فخ الكبرياء الروحية ، والسبب الثانى أن نفس هذه الرغبة المتهافتة على امتلاك هذه الموهبة نتج عنها عند بعضهم شبه تنويم مغناطيس أو إيحاء ذاتى متعمد جعلهم يستسلمون إلى الغش والتزييف ، فيتظاهرون بالتكلم بألسنة دون أن تكون لهم هذه الموهبة حقيقة . وفى مقابل التكلم بألسنة يضع بولس موهبة التنبؤ . وليس المقصود بالتنبؤ هنا ذكر حوادث فى المستقبل بل هى ، كما أشرنا من قبل ، أقرب ما يكون إلى الوعظ ، وليس لها علاقة بالنبوة عن المستقبل . وفى هذا الفصل كله يتحدث بولس عن أخطار التكلم بألسنة ، وعن أفضلية التنبؤ بالحق بطريقة يمكن أن يفهمها الجميع .

ولكى نتتبع تفكير بولس فى هذا الموضوع يحسن بنا أن نتناول الفصل كله بالتحليل والتفصيل .

يبدأ بولس هذا الفصل باعلان أن من يتكلم بألسنة يكلم الله وليس الناس ، لأن الناس لا يستطيعون أن يفهموه . والشخص الذى يمارس هذه الموهبة قد يبنى اختباره الروحى الشخصى ، ولكنه بكل تأكيد لا يبنى نفوس الجمهور فى الكنيسة ، لأن كلامه بالنسبة لهم غير مفهوم . ومن الناحية الأخرى ، تقدم موهبة النبوة للناس شيئاً يمكن أن يفهمه كل واحد وتستفيد منه كل نفس

ثم يستطرد بولس فيستخدم إيضاحا وتشبيهات معينة . فهو إن جاء إليهم متكلماً بألسنة فماذا ينفعهم بذلك ؟ إنهم لن يفهموا ما يحدثهم عنه . وضرب لهم مثلا بالآلة الموسيقية . فإن كان اللاعب عليها يلعب بحسب القوانين العادية للتوافق بين الأصوات فإنها تستطيع أن تعطى نغمات يتعرف عليها كل واحد ، ولكنه إن لم يفعل ذلك فإن كل ما يقدمه ما هو إلا مجرد أصوات مشوشة . وقدم لهم مثلا آخر هو البوق . فاذا أعطى البوق الصوت الصحيح للنداء فهو يستطيع أن يدعو الناس إلى التقدم ، وإلى التراجع ، وإلى النوم ، وإلى الإستيقاظ .

أما إذا أعطى البوق خليطاً من الأصوات غير الواضحة ، والتى لا معنى لها فلا يستطيع أحد أن يعرف ماذا يفعل ، وفى هذا العالم توجد أنواع لغات كثيرة ، ولكن إذا التقى اثنان لا يفهم الواحد منهما لغة الآخر ، وتحدث كل منهما للآخر ، فإن حديثهما سيكون بالنسبة لكل منهما مجرد تمتمة أو رطانة لا معنى لها ، فلا يخرجان من إجتماعهما معاً بأية نتيجة أو فائدة . وهكذا نرى أن بولس لا ينكر وجود موهبة الألسنة ، بل يقول إنه يتكلم بألسنة أكثر من أى واحد آخر ، ولكنه يصر على أن قيمة أية موهبة تقاس بمدى فائدتها لكل جمهور الكنيسة . ولذلك فإن موهبة الألسنة عندما تستعمل لن تكون لها فائدة ما إذا لم تترجم . فاذا كان الواحد يتكلم أو يصلى أو يرتل فإنه ينبغى أن يفعل ذلك لا بروحه فقط بل بذهنه أيضاً . فينبغى أن يكون هو عارفاً بما يقول كما ينبغى أن يكون الآخرون قادرين على أن يفهموه . وهكذا يصل بولس إلى النتيجة الحاسمة القاطعة أنه ، فى الكنيسة ، من الأفضل أن يقول عبارات قليلة مفهومة من أن يفيض بأصوات غير مفهومة بلسان .

وهنا تبرز أمامنا حقائق معينة قيمة جداً من هذا الفصل الصعب جداً والبعيد جداً عن دائرة اختبارنا .

يسجل عدد ٣ إجمالاً موجزاً للهدف من الوعظ والتعليم . وهو هدف مثلث :

١ — فهو يجب أن يهدف إلى البنيان ، أى إلى زيادة معرفة الإنسان عن الحق المسيحى وزيادة مقدرته على أن يحيا الحياة المسيحية . وهو يجب أن يوسع من إدراك عقل الإنسان ليكون له فهم أفضل ، وأن يزود حياته بما تحتاج من قوة للسلوك فى الطريق المسيحى .

٢ — كما يجب أن يهدف أيضاً إلى التشجيع . ففى كل جماعة من الناس يوجد الخائرون واليائسون والمنكسرو القلوب لأن أحلامهم لم تتحقق ، أو لأن مجهوداتهم قد باءت بالفشل ولم تحقق لهم إلا القليل ، أو لأنهم لا يرون شيئاً سوى نقائصهم وضعفاتهم وفشلهم . ومثل هؤلاء يجب أن يجدوا فى الشركة المسيحية ما يبهج قلوبهم ويشد أزرهم ويرفع رؤوسهم . يمكن أن يبدأ الوعظ بأن يشعر الناس بذلهم وبوضاعتهم بعيداً عن الله ، وبأن يبين لهم خطاياهم ونقائصهم ، ولكنه إذا اقتصر على هذا ولم يشر للناس إلى نعمة الله ، ويقودهم إلى الله الذى يمكنهم من قهر خطاياهم والتغلب على ضعفاتهم ونقائصهم فإنه حتماً سيفشل .

٣ — ويجب أن يهدف الوعظ أيضاً إلى التسلية والتعزية . ففى كل يوم يوجد أناس تكسر قلوبهم وتذرف الدموع غزيرة من عيونهم لسبب ما ، فهناك من جرحتهم تجارب الحياة وآلامها ، ومن ضاع من حياتهم جمال الربيع وبسمته ورونقه ، وخيم عليهم جدب الخريف أو زمهرير الشتاء وليله الطويل هؤلاء يجب أن يشعروا أنهم فى داخل دائرة الشركة المسيحية يمكنهم أن يجدوا ما يغذى حياتهم بزيت الابتهاج ، وما يغمر قلوبهم بالفرح والتعزية ، وما يملأ أفواههم بالتسبيح والترنيم ، وما يضفى على حياتهم الممزقة اليائسة ثوباً من الجمال والرجاء والمحبة .

ويقدم لنا العدد الخامس الأشياء التى كانت بالنسبة لبولس أرضية ومادة كل الوعظ والتعليم :

١ ــ فقد جاء هذا من إعلان مباشر من الله ، إذ لا يستطيع أحد أن يكلم الآخرين إلا إذا كان الله قد كلمه أولا . قيل عن واعظ عظيم إنه كان يصمت قليلا بين وقت وآخر أثناء العظة كأنما كان ينصت إلى صوت . إننا عندما نعظ أو نعلم لسنا نعطى الناس حقاً من صنعنا نحن ، أو حتى من اكتشافنا ، ولكننا ننقل إليهم الحق الذى أعطى لنا .

٢ ــ وقد يحمل إليهم بعض المعرفة الخاصة فليس هناك من يستطيع أن يكون خبيراً فى كل شىء ، ولكن لكل إنسان معرفة خاصة بشىء ما . وقد قيل إن فى استطاعة أى إنسان أن يكتب كتاباً شيقاً إذا كان يدون بأمانة كاملة كل ما قد يحدث له . إن اختبارات الحياة ذات مغزى خاص بالنسبة لكل واحد منا . والوعظ والتعليم الأكثر تأثيراً وفعالية هو ببساطة ، الشهادة لما نعرف أنه حق حتى أننا اختبرناه ووجدنا أنه هو الحق .

٣ ــ وهو يشمل التنبؤ . وفى الكنيسة الأولى كان أول وعظ يقدم لأية جماعة هو عبارة عن إعلان مباشر بسيط عن حقائق القصة المسيحية . هناك أشياء معينة لا يرقى إليها شك أو جدل . ومهما كان الأمر فإنه يحسن بنا دائماً أن نبدأ بحقائق عن المسيح والمسيحية .

٤ ــ ثم يأتى دور التعليم . إذ لابد أن يأتى الوقت الذى يسأل فيه الإنسان عن معنى هذه الحقائق وعن مغزاها . ولأننا مخلوقات مفكرة يجب أت يتضمن الدين علم اللاهوت . فقد يضمر إيمان الكثيرين ويضعف ولاؤهم وإخلاصهم لله لأنهم لم يفكروا فى الأمور ويدرسوها كما ينبغى .

ومن هذا الفصل كله يبرز أمامنا ميدانان عريضان بخصوص العبادة المسيحية .

١ ــ فالعبادة ينبغى ألا تكون أنانية . وكل ما يجرى فيها ينبغى أن يكون لأجل الجميع . وليس من حق أى واحد فى العبادة ، سواء أكان قائدا لها أو مشتركا فيها ، أن يواجهها حسب استحسانه ومزاجه الشخصى . بل يجب أن يراعى خير وبنيان شركة جميع العابدين . إن أعظم اختبار لأى جزء من أجزاء العبادة هو : «هل هذا يساعد كل واحد ؟ » . ليس المهم هو : « هل يظهر هذا مواهبى الخاصة ؟ » ، ولكن المهم هو : « هل يزيد من شركة العابدين هنا مع الله ومن شركتهم بعضهم مع البعض ؟ » .

٢ ــ والعبادة يجب أن تكون واضحة ومفهومة . إن الأشياء العظيمة هى الأشياء البسيطة ، وأسمى لغة هى أبسط لغة . وما يمكن أن يفهمه عقلى هو ما يستطيع أن يعزى قلبى ، وما يستطيع عقلى أن يدركه هو ما يستطيع أن يملأ حياتى بالقوة .

تأثيرات العبادة المخلصة والعبادة المزيفة

(١ كورنثوس ١٤ : ٢٠ ــ ٢٥)

لا يزال بولس يعالج مسألة التكلم بألسنة . فيبدأ كلامه بطلب إلى الكورنثيين ألا يكونوا أولاداً . وقد كانت هذه الرغبة الجامحة للتكلم بألسنة والمبالغة فى تقدير قيمتها ــ كانت فى الحقيقة نوعاً من حب الظهور الذى لا يتهافت عليه سوى الأولاد الصغار .

ثم يسوق بولس دليلا من العهد القديم ــ وقد كان بولس ككل حبر من أحبار اليهود ــ يستطيع أن يجد فى العهد القديم معانى دفينة يستند إليها . فنراه يذكر ما ورد فى إشعياء ٢٨ : ٩ ــ ١٢ . وكان الله فى هذا الفصل ، عن طريق نبيه ، يهدد الشعب . فقد وعظهم إشعياء بلغتهم العبرانية ، ولكنهم لم ينصتوا ولم يفهموا . وبسبب عدم طاعتهم ، أخبرهم بأن الأشوريين سيهزمونهم ويحتلون مدنهم ، وسيضطرون إلى الاستماع إلى لغة لا يفهمونها أى أنهم كانوا سيجبرون على الإصغاء إلى ألسنة قاهريهم الأجنبية وهم يتكلمون بأشياء غير مفمومة . وحتى ذلك الاختبار المرعب لم يستطع أن يجبر شعباً غير مؤمن أن يتجه إلى الله .

وهكذا نرى بولس يعلن أن الألسنة قصد بها شعب قاسى القلب وغير مؤمن ، وانها كانت فى النهاية عديمة التأثير بالنسبة لهم .

ثم يستخدم بولس حجة أخرى عملية جداً . وهى أنه إذا دخل إنسان غريب ، أو شخص بسيط ، إلى اجتماع مسيحى حيث كان كل واحد ينطق بأصوات غير مفهومة ، كما كانوا يفعلون عندما يتكلمون بألسنة ، فان هذا الشخص قد يتوهم أنه دخل إلى مستشفى للمجاذيب به مجانين يهذون . ولكن اذا كان حق الله يعلن فى وسط الاجتماع بوقار وبلغة مفهومة فإن النتيجة ستكون مختلفة . إذ أن هذا الشخص سيجد نفسه وجهاً لوجه أمام خفايا قلبه ونفسه وأمام الله .

ونجد فى عددى ٢٤ ، ٢٥ تلخيصاً حياً لتأثيرات الوعظ المسيحى ، ولما يحدث عندما يعلن حق الله بلغة واضحة مفهومة :

١ ــ فهو يوبخ الإنسان على خطاياه . ولأول مرة يكتشف الإنسان حقيقة نفسه فيذهل ويفزع . كان « السيبيادس » الفاسد صديقاً لسقراط . وقد تعود أحياناً أن يقول لسقراط : « إننى أكرهك باسقراط لأنك فى كل مرة ألقاك فيها تجعلنى أرى فساد نفسى وما أنا عليه » . وقالت المرأة السامرية فى دهشة وخجل : « هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت » (يوحنا ٤ : ٢٩) . إن أول شىء تفعله رسالة الله هو أنها تجعل الإنسان يدرك أنه خاطىء .

٢ ــ وهو يجعل الإنسان يشعر بأن أمامه حكم ودينونة . ولأول مرة يحس بأنه ملتزم أن يعطى حساباً عما فعل . فحتى هذه اللحظة ربما كان قد عاش حياته دون تفكير فى نهايتها . وربما عاشها منغمساً فى الشهوات والملذات ، ولكنه يرى الآن أن لها نهاية ، وأنه هناك ، عند هذه النهاية ،

يقف الله ولا مفر من لقائه .

٣ ـــ وهو يظهر للانسان خفايا قلبه . فإن الشيء الوحيد الذى لا ينظر الانسان عادة إليه هو ذاته . والشيء الأخير الذى نفكر فى مواجهته وكشفه هو قلوبنا ذاتها . وكما يقول المثل : « لا يوجد عميان مثل الذين لا يريدون أن يبصروا » . إن الرسالة المسيحية تجبر الإنسان على أن يكون متضعاً وأميناً وصريحاً فى مواجهة نفسه وكشف خبايا وخفايا قلبه .

٤ ـــ وهو يجعل الإنسان يخر على وجهه ويسجد لله . إن المسيحية تبدأ بانسان جاث على ركبتيه أمام الله . فالبوابة التى تدخل منها إلى محضره منخفضة جداً بحيث لا نستطيع أن ندخل منها إلا على ركبنا . وعندما يواجه الإنسان الله ، ويواجه نفسه ، لا يبقى أمامه من شيء سوى أن يركع أمامه ويصلى قائلا : « ارحمنى أنا الخاطىء » .

وهكذا يخرج الإنسان من الكنيسة وهو متأكد أنه كان فى محضر الله . إن محك أى جزء من أجزاء العبادة هو : « هل هذا الجزء يجعلنا نشعر بمحضر الله ؟ » . وعندما نشعر بالقرب من الله وبقرب الله منا نكون قد اشتركنا حقاً فى العبادة ومارسناها واختبرناها .

النصيحة العملية

(١ كورنثوس ١٤ : ٢٦ ـــ ٣٣)

إذ يقترب بولس من نهاية هذا الفصل يقدم نصيحة عملية فهو مصمم على أن من له موهبة ينبغى أن ينتهز كل فرصة لممارسة هذه الموهبة ، ولكنه مصمم أيضاً ، وبالقدر عينه ، على أن الخدمات فى الكنيسة لا ينبغى أن تكون مجالا للتنافس الفوضوى المشوش . فهو يصرح لاثنين أو ثلاثة فقط أن يمارسوا موهبة الألسنة ، وذلك بشرط أن يكون هناك شخص يقوم بالترجمة . وإن كان لجميعهم موهبة التنبؤ ، فلا يستطيع إلا اثنان أو ثلاثة فقط أن يمارسوها ، وإذا اقتنع أحد الحاضرين الجالسين فى الكنيسة أن لديه إعلاناً خاصاً فإن الرجل المتكلم ينبغى أن يفسح له المجال ويعطيه الفرصة ليعبر عن رسالته . ويستطيع المتكلم أن يفعل هذا بسهولة وتأن ، ولا حاجة للادعاء بأنه محمول ومدفوع بالوحى ولا يستطيع التوقف . وذلك لأن الواعظ قادر على أن يتحكم فى نفسه . أى أنه يجب أن تكون هناك حرية ولكن يجب أيضاً لا يكون هناك فوضى أو تشويش . فإن إله السلام ينبغى أن يعبد فى هدوء وسلام .

حقاً لا يوجد فى كل الرسالة إلى كورنثوس فصل يثير الاهتمام أكثر من هذا الفصل ، لأنه يلقى ضوءاً كبيراً على نظام الخدمة الكنسية كما كانت تمارس فى الكنيسة الأولى . فمن الواضح أنها كانت تتسم بالحرية وعدم التقيد بالرسميات ـــ الأمر الذى يعتبر غريباً تماماً على أفكارنا اليوم . ومن هذا الفصل تبرز أمامنا مسألتان عظيمتان جداً :

١ ــ من الواضح أنه لم يكن فى الكنيسة الأولى خدام محترفون . صحيح أن الرسل كان لهم سلطان ونفوذ خاص ، ولكن حتى هذه المرحلة لم يكن للكنيسة أشخاص محترفون يقومون بالخدمة فى الكنيسة المحلية . بل كان المجال مفتوحاً أمام أى واحد له موهبة لأن يستخدم موهبته ويمارسها . فهل أخطأت الكنيسة بعد ذلك فى إنشاء نظام الاحتراف فى الخدمة أم أنها أصابت فى ذلك ؟ من الواضح أن هناك سبباً أساسياً دفع الكنيسة إلى إدخال هذا النظام إليها ، وهو أنه فى عصرنا هذا الذى أصبح كل الناس فيه مشغولين بالأشياء المادية ، أضحى من اللازم أن يفرز أحدهم ليحيا حياة قريبة إلى الله ووثيقة الصلة به حتى يستطيع أن يوصل إلى الناس الحق والإرشاد والتعزية التى يعطيها له الله . ولكن من الناحية الأخرى هناك خطر واضح فى هذا الأمر ، وهو أن الشخص الذى يصبح واعظاً محترفاً يجد نفسه على الأقل فى بعض الأحيان فى موقف يضطره أن يقول شيئاً ما ، بينما لا يحمل فى نفسه رسالة ما . ومهما كان الأمر ، فإن الباب يجب أن يبقى مفتوحاً أمام كل واحد يحس أن لديه رسالة يريد أن يبلغها للناس ؛ ولا ينبغى أن تقف الأنظمة الكنسية حائلا دون إعطائه الفرصة لأن يفعل هذا . فمن الخطأ البالغ بكل تأكيد ، أن نظن أن الخادم المحترف هو وحده الذى يستطيع أن يبلغ الحق الإلهى للبشر .

٢ ــ ومن الواضح أنه كانت هناك مرونة فى نظام الخدمة فى الكنيسة الأولى ، الأمر الذى تفتقر إليه الكنيسة الآن . فلم يكن هناك نظام ثابت مستقر . بل كان كل شىء فى الخدمة بعيداً عن الصبغة الرسمية حتى كان يسمح لأى واحد يشعر أن لديه رسالة يعطيها دون تردد أو تقيد بشىء . أما فى يومنا هذا فإننا نلتزم أكثر من اللازم بالوقار والنظام حتى كدنا نصبح عبيداً للأنظمة الموضوعة للخدمة . إن الصفة الجميلة حقاً الواضحة حقاً التى كانت تتميز بها الخدمة فى الكنيسة الأولى هى أن كل واحد كان يحضر إلى الكنيسة كان يشعر أن له إمتياز الوجود فى الكنيسة كما أن عليه فى الوقت نفسه التزام الاشتراك فى الخدمة بشىء ما . فلم يكن يحضر إلى الكنيسة ليكون مجرد مستمع سلبى يأخد دون أن يعطى ، بل كان يشعر أنه يجب أن يكون إيجابياً وأن يعطى أيضاً كما يأخذ ومن الواضح أن هذا الأمر كانت له أخطاره أيضاً ، إذ أنه كان فى كورنثوس جماعة مغرمون بأن يسمعوا أصواتهم هم بأى شكل من الأشكال . ولكنه على الرغم من هذا فلابد أن المسيحى العادى فى تلك الأيام كان ينظر إلى الكنيسة باعتبارها ملكاً حقيقياً له . ولقد خسرت الكنيسة كثيراً عندما أعطت الكثير للخدمة المحترفة ، ولم تترك لعضو الكنيسة العادى إلا القليل . وقد لا يقطع اللوم على الخدام فيما أصبح لهم من حقوق بقدر ما يقع على العلمانيين لأنهم تخلوا عنها . فهناك عدد كبير من أعضاء الكنيسة الذين يفكرون أكثر من اللازم فيما تستطيع الكنيسة أن تفعله لأجلهم ، ولا يهتمون بالتفكير فيما يستطيعون هم أن يفعلوه لأجل الكنيسة . وهم على استعداد كبير لأن ينتقدوا كل ما يعمل فى الكنيسة ، ولكنهم ليسوا على استعداد لأن يسهموا بأنفسهم بنصيب ما من عمل الكنيسة .

البدع المتنوعة

(١ كورنثوس ١٤ : ٣٤ ـــ ٤٠)

ظهرت فى كنيسة كورنثوس بدع كانت تهددها . ولكن بولس أبى أن يسمح لها بالوجود أو البقاء فيها . ولذلك يسأل الكورنثيين عما دفعهم للانزلاق فيها . هل كانوا هم مؤسسى الكنيسة المسيحية ؟ وهل لهم الحق فى أن يحتكروا حق الإنجيل وقصته ؟ ولقد تسلموا تقليداً ، ويجب أن يطيعوا هذا التقليد .

ليس من السهل أن يرتفع إنسان ما فوق الأفكار والتقاليد السائدة فى بيته وفى العصر الذى يعيش فيه ، وفى المجتمع الذى ينشأ بين أحضانه . لذلك لم يستطع بولس فى فهمه وتصوره لمكانة النساء داخل الكنيسة ، أن يرتفع فوق مستوى الأفكار التى شب عليها وعرفها طوال حياته . وقد سبق أن عرفنا أن مكانة النساء فى العالم القديم كانت منخفضة . وكان الصمت هو الصفة الطيبة التى ينبغى أن تتحلى بها المرأة الفاضلة . وكانت النساء فى اليونان يعشن حياة انعزالية متحجبة ، ما عدا النساء الفقيرات أو النساء الخليعات الفاجرات . وكانت فكرة اليهود عن النساء أكثر إنخفاضاً وإنحطاطاً . وفى التلمود توجد أقوال كثيرة تقلل من شأن النساء وتحط من قدرهن ، مثل « إن تعليم الناموس للمرأة هو بمثابة إلقاء الدرر واللآلىء أمام الخنازير » . ويضع التلمود فى قائمة الأوبئة فى العالم « الأرملة الفضولية الثرثارة والعذراء التى تضيع وقتها فى الصلوات » . وكان محظوراً أن يتكلم أحد مع امرأة فى الشارع . وبحسب أقوال التلمود كان يجب ألا يطلب أحد خدمة ما من امرأة ولا أن يحييها . وفى مجتمع كهذا كتب بولس عباراته التى وردت فى هذا الفصل . ولابد أن الفكرة التى سيطرت على ذهنه هى حالة الإنحلال الخلقى الذى كان سائداً فى كورنثوس ؛ وكان هدفه ألا يسمح لأى شىء يثير الشك بالنسبة إلى كنيسة ما فتئت فى المهد . ومن الخطأ أن ننتزع عبارات بولس هذه من العصر الذى كتبت فيه ثم نحاول أن نجعل منه قاعدة عامة أو مبدأ ثابتاً للكنيسة فى كل مكان .

ثم يستطرد بولس فيتحدث بشىء من العبوسة والصرامة . ويعلن أن ما يحظى به فرد من مواهب روحية لا يعطيه أى حق فى أن يكون متمرداً ضد السلطة . وهو يعلن أن النصائح التى قدمها والقواعد التى وضعها قد جاءته من يسوع المسيح ومن روحه ، وأنه إذا كان أحد يرفض أن يفهمهم فإنه يجب أن يترك فى جهله المتعمد .

ثم يختتم بولس أقواله فى هذا الصدد ؛ فيؤكد بوضوح تام أنه لا يرغب فى أن يطفىء موهبة أى واحد ، وأن الشىء الواحد الذى يطالب به باصرار هو حسن الترتيب واللياقة فى الكنيسة . والقاعدة التى يضعها هى أن كل من قبل موهبة من الله ، مهما كانت هذه الموهبة ، فإنه ينبغى أن يذكر أن القصد من هذه الموهبة ليس أن تكون لأجل ذاته هو بل لأجل بنيان الكنيسة ، وليس لمجده هو بل لمجد الله الأعظم . وعندما يستطيع إنسان أن يقول « ليكن المجد لله » فإنه عندئذ وعندئذ فقط يستطيع أن يستخدم مواهبه داخل الكنيسة وخارجها الاستخدام الصحيح .

قيامة يسوع وقيامتنا

إن الأصحاح الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى كورنثوس ، الذى نبدأ الآن فى دراسته ، يعتبر من أعظم أصحاحات العهد الجديد وأصعبها فى الوقت نفسه . وهو ليس صعباً فى حد ذاته فقط ، ولكن لأنه يضيف إلى قانون الإيمان عبارة يجد الكثيرون صعوبة كبيرة فى إثباتها ، فعلى هذا الأصحاح بصفة رئيسية ، بنيت عقيدة قيامة الجسد . إلا أن هذا الأصحاح يصبح بالنسبة لنا ، أقل صعوبة لو أننا درسناه فى ضوء البيئة التى ظهر فيها ، وحتى هذه العبارة الصعبة ستصبح واضحة تماماً ومقبولة تماماً عندما ندرك حقيقة ما كان بولس يعنيه بها . لذلك قبل أن ندرس هذا الأصحاح يجدر بنا أن نذكر جيداً أشياء معينة .

١ — انه لأمر على جانب عظيم من الأهمية أن نذكر أن الكورنثيين لم ينكروا قيامة يسوع المسيح ، وان ما كانوا ينكرونه هو قيامة الجسد ، وان ما كان بولس ينبر عليه هو أن إنكار إمكانة قيامة الجسد إنما هو بمثابة إنكار إمكانة قيامة يسوع المسيح ، وان من يفعل هذا فكأنه يجرد الرسالة المسيحية من صدقها ، والحياة المسيحية من حقيقتها وواقعيتها .

٢ — وكان يوجد فى كل كنيسة ، فى بداية عهد المسيحية ، جماعتان تختلف بيئتاهما وتفكيرهما : هما اليهود واليونانيون . ويجب أن نتأمل الآن هاتين البيئتين .

فأولا . كان هناك الوسط اليهودى . وكان فيه الصدوقيون الذين كانوا ينكرون أنه توجد حياة بعد الموت . ولذلك أنكروا إنكاراً تاماً كلا من خلود النفس وقيامة الجسد (أعمال ٢٣ : ٨) . وحتى فى العهد القديم نفسه لم يكن قد اتضح بعد ، كما حدث فى العهد الجديد ، رجاء الحياة بعد الموت . وبحسب الاعتقاد العام فى ذلك الزمن كان كل الناس دون استثناء ، سيذهبون بعد الموت إلى « شيول » (الهاوية) وكثيراً ما ترجمت شيول خطأً إلى جهنم . مع أنها فى حقيقتها وبحسب العقيدة التى كانت سائدة هى مقر كل الأموات ، وهى عبارة عن أرض قاحلة مجدبة تحت هذا العالم ، كان الأموات فيها يعيشون كظلال وأشباح ، بلا قوة ، وبلا نور ، وفى معزل تام عن الناس وعن الله .

وكان العهد القديم زاخراً بمثل هذا التشاؤم الكئيب البشع عما سيحدث بعد الموت .

« لأنه ليس فى الموت ذكرك . فى الهاوية من يحمدك » (مزمور ٦ : ٥)

« ما الفائدة من دمى إذا نزلت إلى الحفرة . هل يحمدك التراب . هل يخبر بحقك » (مزمور ٣٠ : ٩) .

« أفلعلك للأموات تصنع عجائب أم الأخيلة تقوم تمجدك . هل يحدث فى القبر برحمتك أو بحقك فى الهلاك . هل تعرف فى الظلمة عجائبك وبرك فى أرض النسيان » (مزمور ٨٨ : ١٠ — ١٢) .

وكانت شيول إذن هى أرض الظلام والموتى الذين يطويهم النسيان « ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكوت » (مزمور ١١٥ : ١٧) . « لأن الهاوية لا تحمدك .

الموت لا يسبحك . لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك » (إشعياء ٣٨ : ١٨) .

« اقتصر عنى فأتبلج قبل أن أذهب فلا أوجد » (اشعياء ٣٩ : ١٣) . « لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحى خير من الأسد الميت . لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون . أما الموتى فلا يعلمون شيئاً ... كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب إليها » (جامعة ٩ : ٤ و ٥ و ١٠) .

ويقول أحد مشاهير علماء العهد القديم إن هذا القصور فى عقيدة الخلود فى العهد القديم يرجع إلى « فهم أولئك الناس لشخصية الله فاعتقدوا أنه قوة مسيطرة فى هذا العالم وكانوا يخشونه » ، ثم يستطرد فيقول : « وفى تاريخ الدين الطويل عاش الناس فى قرون كثيرة أنبل حياة أدوا فيها الفرائض المطلوبة منهم وتحملوا فيها آلامهم وأحزانهم بلا أمل أو رجاء فى مكافأة أو جزاء فى المستقبل . وقد فعلوا ذلك لأنهم كانوا فى خروجهم ودخولهم متيقنين من وجود الله .

حقاً إنه توجد فى العهد القديم بعض الإشارات القليلة عن حياة حقيقية فى المستقبل . وأحياناً كان الناس يشعرون أنه لابد أن يأتى وقت فيه يبرهن الله على وجوده وقوته بعمل ما ينقض به الأوضاع أو الأحكام غير المفهومة فى هذا العالم . ولذلك يصرخ أيوب قائلا :

« أما أنا فقد علمت أن وليى حى والآخر على الأرض يقوم . وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله . الذى أراه أنا لنفسى وعيناى تنظران وليس آخر . إلى ذلك تتوق كليتاى فى جوفى » (أيوب ١٩ : ٢٥ — ٢٧) .

وكان الشعور الحقيقى للقديس هو أنه ، حتى فى هذه الحياة ، يمكن للانسان أن يدخل فى علاقة وشركة مع الله — علاقة وشركة قوية وثمينة ، ووثيقة جداً حتى أن الموت لا يستطيع أن يفصم عراها أو يضع لها نهاية .

« جسدى أيضاً يسكن مطمئناً . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً . تعرفنى سبل الحياة . أمامك شبع سرور . فى يمينك نعم إلى الأبد » (مزمور ١٦ : ٩ — ١١) .

« أمسكت بيدى اليمنى . برأيك تهدينى وبعد إلى مجد تأخذنى » (مزمور ٧٣ : ٢٤) .

قد نما وتطور الرجاء فى الخلود فى إسرائيل . وقد ساعد على انتشار هذا الرجاء وتطوره عاملان :

(أ) العامل الأول أن إسرائيل كان الشعب المختار ، ومع ذلك فإن تاريخهم كان قصة متصلة الحلقات من المصائب والكوارث .

ولذلك بدأ الناس يشعرون أن الأمر يتطلب عالماً آخراً . يتم فيه الإنصاف وتعادل كفتى الميزان .

(ب) والعامل الثانى هو أن الفرد ظل قروناً كثيرة يكاد يكون لا قيمة له ولا اعتبار . فقد كان المفهوم أن الله هو إله الشعب ككل ، أما الفرد فهو مجرد وحدة ليس لها أية أهمية . ولكن بمرور القرون بدأت الديانة تصبح ديانة شخصية . ولم يعد الله فى نظر الناس هو إله الأمة أو الشعب ككل ، ولكنه أصبح إلهاً لكل إنسان كفرد . وهكذا أصبح الناس بسليقتهم وبغريزتهم يشعرون

أنه يوم أن يعرف الإنسان الله ، ويعرف منه ، فعندئذ تنشأ علاقة بينهما لا يستطيع حتى الموت أن يفصمها أو يقطعها .

٣ ـــ والآن لنتجه إلى العالم اليونانى . وإذ نفعل ذلك يجب أن نفهم شيئاً واحداً هو فى الحقيقة مفتاح الأصحاح كله . فقد كان اليونانيون بوجه عام يؤمنون بخلود النفس ، ولكن لم يخطر ببالهم أبداً أن يؤمنوا بقيامة الجسد . وكان اليونانيون بغريزتهم يخافون من الموت . وقد كتب عنهم أحد مفكريهم فقال : « مع أنهم يعرفون أنهم بشر مائتون ومثقلون بعدد لا يحصى من العيوب والشرور ، لكنهم ظلوا يحبون الحياة . وكانوا يشتاقون إلى كل يوم جديد ، يسرون بأن يحتملوا المصائب التى يعرفونها بدلا من مواجهة الموت الذى يجهلونه » . ولكن ، اليونانيين بوجه عام وكل الذين تأثروا بالفكر اليونانى فى هذه المنطقة من العالم ، يؤمنون إيماناً واثقاً بخلود النفس . غير أنهم كانوا يؤمنون ـــ وهنا موضع الخلاف ـــ أن خلود النفس يتضمن محو الجسد وانقراضه وانحلاله الكامل . وكان عندهم مثل يقول : « إن الجسد هو قبر » . وقال أحدهم : « أنا نفس مسكينة مقيدة ومكبلة بجثة مائتة » . وقال سينكا الفيلسوف الرومانى : « لقد سرنى أن أحقق فى مسألة خلود النفس وأن أؤمن بها . ولقد سلمت نفسى لذلك الرجاء العظيم ؛ » . ولكنه قال أيضاً : « عندما يأتى اليوم الذى يفصل بين هذا المزيج الإلهى والإنسانى فى حياتى ، فانى سأعود بنفسى إلى الآلهة ، أما جسدى فانى سأتركه هنا » . وقال إبكيتس Epictetus : « عندما ينفتح باب الله وينادينا فاننا نتحلل ونعود إلى العناصر التى منها أتينا » . وقال أفلاطون : « إن الجسم هو نقيض النفس ، لأنه مصدر كل الصفات ومعطل كل شيء صالح » . وهكذا كان اليونانيون يعتقدون أن الإنسان عندما يموت يتحلل جسده إلى عناصره الأولية التى يتكون منها وترجع نسمة الحياة التى كانت فيه إلى الله باعتبارها جزء منه ونفحة من نفحاته ، وأن الخلود يتوقف ، فى الحقيقة على التخلص من الجسد . أما فكرة قيامة الجسد فلم تخطر ببال اليونانى ولم يكن يتصورها . وبعبارة أخرى ، لم يكن اليونانيون فى الواقع يعتقدون بالخلود « الشخصى » ، لأن القوة التى كانت تعطى الحياة للناس كانت ترجع إلى الله الذى هو مصدر كل حياة .

٤ ـــ أما وجهة نظر بولس فقد كانت تختلف عن ذلك تماماً . فاذا كنا نبدأ بحقيقة واحدة ضخمة فان كل شيء بعد ذلك سيصبح واضحاً تماماً . والعقيدة المسيحية فيما يتعلق بما بعد الموت تؤمن أن الفرد سيحيا من جديد بشخصه ، أى أنك أنت ستظل أنت ، وأنا سأظل أنا ، وبالإضافة إلى ذلك هناك حقيقة أخرى ضخمة ، فبحسب رأى اليونانى لم يكن تكريس الجسم أمراً ممكناً . فان الجسم كان فى نظره مجرد مادة ، وهو أصل كل شر ، وهو قيد للنفس وسجن لها . ولكن فى نظر المسيحى ليس الجسد فى حد ذاته شريراً . ولم يكن ممكناً أن يكون كذلك بعد التجسد الإلهى . فان يسوع ، ابن الله ، قد اتخذ لنفسه هذا الجسد الإنسانى ، ومن ثم فلا يمكن اعتباره شيئاً حقيراً يستحق الازدراء . ولذلك فان الحياة المقبلة ، فى نظر المسيحى وبحسب إيمانه ، ستشمل الإنسان كله ، جسداً ونفساً . ومن السهل أن يساء فهم عقيدة قيامة الجسد . وقديماً حاول سلسس Selsus الذى عاش حوالى عام ٢٢٠ بعد الميلاد والذى كان من بين أوائل الذين هاجموا المسيحية ـــ حاول أن يفعل ذلك ؛ فقال : « كيف يستطيع الذين ماتوا أن يقوموا بنفس الأجساد

التى ماتوا بها ؟ إن هذا فى الحقيقة هو أمل الديدان . فأى إنسان تقبل نفسه أن تعود إلى جسد قد تعفن وبلى ؟ » . ومن السهل أن يحتج المتشككون بأمثلة كثيرة مثل شخص تهشم جسده فى حادثة ، وآخر مات بالسرطان ، وثالث أصابه العجز والشلل وشخص رابع تشوه جسده لسبب ما وهكذا . ولكن بولس لم يقل إننا سنقوم بنفس الأجساد التى متنا بها . بل أصر على أنه ستكون لنا أجسام روحانية . وما كان بولس يعنيه فى الحقيقة هو أن « شخصية » الإنسان هى التى ستحيا فى القيامة من الموت . ويكاد يكون مستحيلا أن نتصور شخصية بلا جسم ، لأن الشخصية تعرف عن طريق الجسم وبه تستطيع أن تعبر عن نفسها . وما يحاول بولس جاهداً أن يؤكده هو أنه بعد الموت لن يكون هنا ضياع أو تلاشى للنفس أو للشخصية ، بل سيبقى الفرد كفرد ، له شخصيته المميزة . فلم يرث بولس أو يعتنق الفكر اليونانى الذى كان يحتقر الجسد ويزدرى به ، بل كان يؤمن بقيامة الإنسان كله . ولا يستطيع أحد أن يدرك أو يتصور شكل الحياة بعد القيامة ، ولكن العقيدة المسيحية تؤكد أن الذى سيقوم ثانية ليس جزءاً من الإنسان بل الإنسان كله . أى أن الإنسان سيظل هو بنفسه ، وسيحيا كشخص ، وهذا ما كان يعنيه بولس بقيامة الجسد . إن الجسد والنفس كلاهما يلزمان لجعل الإنسان شخصاً متميزاً يحيا ثانية ، ولكن بصورة جديدة . وسيكون كل من الجسم والروح مختلفاً عن الأرضيات ، لأن كلا منهما سيصبح سماوياً .

الأصحاح الخامس عشر

الرب المقام

(١ كورنثوس ١٥ : ١ — ١١)

فى هذا الفصل يحمل بولس الأخبار المفرحة أو الإنجيل الذى بشر به الكورنثيين فى الأول . ولم يكن ذلك الإنجيل من اختراعه هو ، بل كان الإنجيل الذى سلم إليه أولاً ، إنجيل الرب المقام .

وفى العددين الأول والثانى يذكر بولس سلسلة من الأشياء الجديرة بالاهتمام عن هذا الإنجيل .

١ — فقد كان شيئاً « قبله » المسيحيون . إن الإنجيل دائماً شيء نقبله من شخص سبق أن قبله وامتلكه . فلم يحدث أن إنساناً اخترع الإنجيل أو اكتشفه لنفسه . إنه شيء يقبله ويتسلمه . وهذه الحقيقة توضح وظيفة الكنيسة وعملها . فالكنيسة هى المجرى الذى ينساب فيه الإنجيل . وكما قال أحد الأباء الأقدمين : « لا يمكن لأحد أن يعرف الله كأب ما لم يعرف الكنيسة كأم » . إن الإنجيل شيء يقبل ويستلم مرة خلال شركة ورفقة .

٢ — وكأن هذا الإنجيل شيئاً ، كان الكورنثيون « يقومون » فيه . إن العمل الأول للإنجيل هو أن يعطى للانسان ثباتاً واستقرارا . ففى عالم مليء بالمخاطر والمزالق يحفظ الإنجيل أقدام الإنسان من السقوط والانزلاق . وفى عالم مليء بالتجارب والمغريات والشهوات ، يعطيه قوة للمقاومة والصمود . وفى عالم مليء بالجراح والإساءات يمنحه قوة تحفظه من الاستسلام لانكسار القلب واضطراب الجسم وآلامه . وما أجمل ما جاء فى سفر أيوب ٤ : ٤ « قد أقام كلامك العاثر وثبت الركب المرتعشة » . وهذا بالضبط هو ما تفعله كلمة الإنجيل .

٣ — وكان هذا الإنجيل أيضاً شيئاً « به يخلصون » . ومما تجدر ملاحظته أن هذه العبارة باللغة اليونانية ، تفيد الزمن المضارع وليس الزمن الماضى . فيصبح تماماً أنها تترجم « به تخلصون » وليس « به قد خلصتم » . إن عظمة الخلاص هى أنه يتقدم بالإنسان من مجد إلى مجد . ولذلك فهو لا يكمل أو يتم فى هذا العالم . بل يتطلب عالماً أخراً فيه يفتح أمام الإنسان كنوز الخلاص كاملة . إن إحدى المميزات العظمى للحياة المسيحية أنها غير محدودة ، توجد أشياء كثيرة فى هذه الحياة يمكن أن نستهلكها ونستنفذها ، ولكن الخلاص ليس شيئاً من هذا القبيل .

٤ — وهذا الإنجيل شيءٌ يجب أن « يذكروه » وأن يتمسكوا ويتشبثوا به باستمرار . ففى الحياة تصادفنا قوى تحول انتزاع إيماننا أو زعزعته . وكم من الأشياء التى تحدث لنا وللآخرين تحير عقولنا وتخيب انتظاراتنا . والحياة زاخرة بالمشاكل التى يبدو أن لا حل لها ، وبالأسئلة التى يبدو أن لا جواب عليها . والأماكن المظلمة التى يبدو أن لا شيء يمكن عمله سوى أن نواصل السير فيها بثبات . إن الإيمان يحمل بين طياته دائما نصرة ، هى نصرة النفس التى تظل متمسكة بالله بقوة وإصرار .

٥ — وهو شيء يجب ألا يتمسكوا به اعتباطاً أو « عبثاً » فالإيمان الذى ينكمش ويضمر هو الإيمان الذى لا يدرس الأمور ولا يعيها ولا يفكر فيها وكثيراً ما يكون الإيمان والعقيدة شيئاً سطحياً فى حياتنا « فنحن نميل إلى أن نقبل أشياء لمجرد أننا سمعناها من آخرين ، وأن نمتلكها بعد أن يستعملوها هم ، ولكن إذا تعمقنا فى دراسة المواقف فاننا قد نكتشف أشياء يجب أن نبعدها عنا ، ولكن ما يتبقى لنا يصبح ملكاً لنا حقاً ولا يستطيع أحد أن ينتزعه منا .

وفى مرات ظهور الرب المقام والتى يشير إليها بولس . توجد إثنتان جديرتان بالاهتمام والتأمل .

١ — الأولى ظهور الرب لبطرس . وفى أول قصة القيامة كانت كلمات الشاب اللابس حلة بيضاء فى القبر الفارغ هى :

« إذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس » . (مرقس ١٦ : ٧) . وفى لوقا ٢٤ : ٣٤ يقول التلاميذ : « إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان » . وإنه لشيء مدهش حقاً أن يظهر الرب أولا للتلميذ الذى كان قد أنكره .

وهذا يظهر عمق محبة يسوع المسيح ونعمته العجيبة . ولربما كره الآخرون بطرس ، لكن يسوع رغب فى أن يشجع ويثبت هذا التلميذ العزيز الذى ضل وأخطأ . فمع أن بطرس أساء إليه وجرح قلبه ، ولكن قلبه انفطر حزناً وندماً على هذه الإساءة وبكى بكاءاً مراً ، لذلك كانت رغبة يسوع العجيبة أن يواسى هذا الإنسان الحزين . إن أعظم ما يمكن أن تصل إليه المحبة ، هى أن تعمل على مواساة الشخص الذى يسبب لها الجراح ويسيء إليها ، أكثر من تفكيرها فى مداواة الجراح التى أصابتها .

٢ — وهناك أيضاً ظهور الرب ليعقوب . ويعقوب المشار إليه هنا هو بلاشك أخو الرب . ويتضح مما رواه الإنجيل ، أن أقرباء يسوع لم يفهموه ، بل وناصبوه العداء . ومن مرقس ٣ : ٢١ يتبين لنا أنهم حاولوا أن يردعوه وأن يقبضوا عليه لأنهم اعتقدوا أنه مختل . ولابد أن يعقوب أحس أخيراً بالندم الشديد على هذه المعاملة التى عامل الرب بها . وهنا تظهر نعمة يسوع ومحبته المذهلة ، فقد ظهر لهذا الأخ الذى اتهمه بالجنون وعامله بعداء ، ظهر له لكى يملأ بالسلام نفسه المضطربة ، التى كانت تعانى من تأنيب الضمير ومن الإحساس بالندم الشديد .

ومن أكثر ما يذيب القلب تأثراً فى كل قصة يسوع أنه يظهر مرتين عند قيامته للرجلين اللذين كانا قد أساءا إليه بقسوة ، ثم شعرا بالأسف والندم . إن يسوع يسرع للالتقاء بصاحب القلب النادم الراجع إليه عند أبعد بكثير من منتصف الطريق .

وأخيراً يلقى لنا هذا الفصل نوراً ساطعاً على شخصية بولس نفسه . فقد كان يحسب أن أثمن شيء فى العالم هو أن يسوع قد ظهر له هو أيضاً . وكان هذا الظهور نقطة التحول فى حياته بل كان فى الوقت نفسه لحظة نواله للقوة الدافعة والمحركة لحياته كلها . وتلقى لنا الأعداد من ٩ — ١١ مزيداً من الضوء على هذه الشخصية :

١ — فمن هذه الأعداد نرى « تواضع » بولس . فهو يعتبر نفسه أصغر الرسل ، ويشعر أنه

لم يكن أهلا لنوال هذه الوظيفة العظمى . ولم يزعم لنفسه أى فضل فيما وصل إليه بل إنه يعترف أنه بلغ ما بلغه بفضل نعمة الله المعطاة له ، ولم يتردد فى تواضعه عن أن يذكر نقصاته وعيوبه ، (٢ كورنثوس ١٠ : ١٠) .

وربما كان اليهود ، بعد أن صار مسيحياً يشيرون إليه بازدراء ويقولون « هذا السقط » . وربما اشترك فى هذا الازدراء المسيحيون من اليهود ، الذين كانوا يريدون أن يفرضوا الناموس والختان على من يصيرون مسيحيين ولذلك يكرهون تعليمه عن النعمة المجانية . وكان بولس يشعر بعدم استحقاقه حتى أنه كان يحس أنه مهما قيل عنه من سوء ، ومهما وجه إليه من نقد ، فلن يصل إلى حد المبالغة . إننا عندما نراجع حياتنا بوجه عام نجد أننا نستحق كل ما يوجه إلينا من نقد ولوم . وكان هذا شعور بولس ، إنه لم يكن متكبراً حتى يرفض إنتقاد الناس وتعييرهم له ، بل كان متواضعاً إلى الدرجة التى شعر فيها أنه يستحق هذا النقد والتعيير .

٢ ـــ ترينا هذه الأعداد فى الوقت عينه « إحساس بولس بقدره وقيمته » فهو يدرك جيداً أنه قد تعب أكثر منهم جميعهم . إن تواضع بولس لم يكن تواضعاً مزيفاً . ولذلك كان يتحدث دائماً ، لا عما فعله هو ، ولكن عما عملته به نعمة الله التى معه .

٣ ـــ وتحدثنا أيضاً عن « إحساسه بالشركة » . فانه لم يعتبر نفسه ظاهرة منعزلة له رسالة فريدة . ولكنه كان يشعر أنه والرسل الآخرون يكرزون بالإنجيل الواحد . وهنا تتجلى عظمة بولس الحقيقية التى كانت تزيد إحساسه وارتباطه بالشركة المسيحية قوة وتوثقاً . إن العظمة التى تفصل الإنسان عن شركائه وزملائه، وتفصم روابط الشركة والتعاون بينه وبينهم ، هى عظمة ناقصة تفتقر إلى عنصر الشركة الذى لا يمكن الاستغناء عنه لتدعيمها وبقائها .

لو لم يقم المسيح

(١ كورنثوس ١٥ : ١٢ ـــ ١٩)

هنا يهاجم بولس خصومه فى كورنثوس فى صميم ما كانوا يحاولون أن يقاوموه به . فقد كانوا ينادون صراحة أن « الموتى لا يقومون » . وكان جواب بولس القاطع هو : إن زعمكم هذا معناه أن يسوع المسيح لم يقم ، وإن كان الأمر كذلك ، فان الإيمان المسيحى يكون قد انهار من أساسه .

ولكن لماذا نظر بولس إلى الإيمان بقيامة يسوع كعقيدة أساسية ؟ ولماذا كانت تتضمن هذه العقيدة من قيم عظيمة وحقائق ثمينة ؟ .. إن قيامة يسوع تبرهن أربع حقائق إذا تأكدت لإنسان فانها تستطيع أن تغير وجهة نظره عن الحياة الحاضرة والحياة المستقبلة .

١ ـــ إن القيامة تبرهن على أن « الحق أقوى من الباطل » . وبحسب ما جاء فى البشارة الرابعة قال يسوع لأعدائه : « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق » (يوحنا

٨ : ٤٠) . لقد جاء يسوع يحمل للناس فكرة حقيقية عن الله وعن الصلاح والخير ؛ ولكن أعداءه تمكنوا من أن ينفذوا مؤامرتهم فصلبوه لأنهم أرادوا ألا تتحطم آراؤهم المزيفة عن الله وعن الصلاح . وبعبارة أخرى ، لو أن أعداء يسوع كانوا قد نجحوا فى القضاء عليه نهائياً ، لكان معنى ذلك أن الباطل أقوى من الحق . قال ايرل مورتون حاكم اسكوتلندا فى مناسبة ما لأندرو ملفيل زعيم الإصلاح العظيم : « لن تهدأ هذه البلاد إلا إذا شنق عدد منكم أو نفوا من البلاد » . فأجاب ملفيل « يمكنك ياسيدى أن تهدد رجال بلاطك أو رجال حكومتك بمثل هذا الكلام . أما أنا فانه يستوى عندى أن يتعفن جسدى فى التراب أو يعلق فى الهواء . ومع ذلك فانه ، مجداً لله ، لن يكون فى مقدورك إطلاقاً أن تشنق الحق الإلهى أو تنفيه ! » . إن القيامة هى الضمان النهائى لخلود الحق وعدم قابليته للفناء .

٢ ـــ والقيامة تبرهن على أن « الخير أقوى من الشر » . وهنا نقتبس مما جاء فى البشارة الرابعة أيضاً ما قاله يسوع وهو يواجه أعداءه : « أنتم من أب هو أبليس » . (يوحنا ٨ : ٤٤) . إن القوى التى صلبت يسوع كانت هى بعينها قوى الشر ، وإذا لم تكن هناك قيامة فان قوى الشر هذه تكون قد انتصرت . كتب L . A . Froude المؤرخ العظيم يقول : « هناك درس واحد وواحد فقط ، يمكن أن يقال إن التاريخ يردده بشكل واضح ومميز ، وهو أن العالم قد بنى بشكل ما على أسس أدبية وأخلاقية . وعلى المدى البعيد سوف يتضح لنا أن الخير لابد يعلو وينتصر ، وأن الشر لابد يقضى عليه وينهزم » ولكن لو لم تحدث القيامة لتزعزع هذا المبدأ العظيم للناموس الأدبى والأخلاقى للكون ، ولما كان لنا أن نستعيد ثقتنا ويقيننا فى أن الخير أقوى من الشر .

٣ ـــ والقيامة تبرهن على أن « المحبة أقوى من الكراهية » لقد كان يسوع هو الحب الإلهى متجسداً . ومن الناحية الأخرى كان موقف الذين قاموا بصلبه يعكس الكراهية المجسمة . لقد بلغت كراهيتهم له حداً جعلهم ينسبون المحبة والنعمة المتجسدة فى حياته إلى قوة الشيطان . ولو لم تكن هناك قيامة لكان معنى هذا أن كراهية الإنسان فى النهاية هزمت محبة الله . ولكن القيامة كانت برهان انتصار المحبة على كل ما استطاعت الكراهية أن تفعله . إن القيامة هى البرهان النهائى القاطع على أن المحبة أقوى من الكراهية .

٤ ـــ والقيامة تبرهن على أن « الحياة أقوى من الموت » . فلو أن يسوع قد مات دون أن يقوم ثانية لكان معنى هذا أن الموت قد استطاع أن يقضى نهائياً على أجمل وأحسن حياة ظهرت فى الوجود . حدث فى سنوات الحرب الأخيرة أن إحدى كنائس لندن قامت بجمع تقدمات وهبات عيد الشكر . وكان من بين الهبات حزمة نبات القمح . ولكن الاجتماع الذى كانت ستقام فيه خدمة الشكر لم يعقد بالمرة لأن غارة جوية وحشية جاءت على لندن مساء السبت ، وأصابت مبنى الكنيسة فحولته إلى أنقاض ومرت الشهور وجاء الربيع . ولاحظ أحدهم فى وسط الخرائب حيث كان مبنى الكنيسة قائماً قبل أن تحطمه القنابل ـــ بعض الأغصان الخضراء . ثم جاء الصيف . فاذا بهذه الأغصان تنضر وتترعرع . وعندما جاء فصل الخريف كان الناس يرون فى وسط الخرائب والأنقاض رقعة من نبات القمح المترعرع . إن القنابل المدمرة المخربة لم تستطع أن تقتل الحياة فى نبات القمح وبذوره . لقد كانت الحياة أقوى من الموت . إن القيامة هى البرهان النهائى القاطع

على أن الحياة أقوى من الموت .

وأصر بولس على أنه إذا لم تكن قيامة يسوع حقيقة ، فان أساس الرسالة المسيحية عندئذ يكون باطلا وكذباً ، ويكون كل أولئك الذين ماتوا وهم يؤمنون بالقيامة ، إنما كانوا يثقون فى أوهام باطلة . فبدون القيامة لن يكون هناك أى ضمان لانتصار القيم العظمى فى الحياة أو لبقائها . وإذا انتزعت حقيقة القيامة من المسيحية لتحطم أساس المسيحى وبنياته .

باكورة الراقدين

(١ كورنثوس ١٥ : ٢٠ — ٢٨)

هذا الفصل يعتبر أيضاً من الفصول الصعبة بالنسبة لنا ، لأنه يعالج أفكاراً ومفاهيم غريبة علينا .

فهو يتحدث عن المسيح باعتباره « باكورة الراقدين » . وهنا يستخدم بولس لتوضيح هذا المعنى ألفاظاً كانت فى مدلوها معروفة عند كل يهودى . فهو يستعير بعضاً من معانى عيد الفصح الذى كان له أكثر من دلالة أو معنى . فهو ، كما يعرف كل واحد ، ذكرى تحرير بنى إسرائيل من أرض مصر . ولكنه كان أيضاً عيداً عظيماً للحصاد . وكان يجيء عادة فى الوقت الذى يبدأ فيه حصاد الشعير ؛ وقد حدد الناموس ما يعمله الشعب فى ذلك العيد بقوله « تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن . فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم . فى غد السبت يرددها الكاهن (لاويين ٢٣ : ١٠ و ١١) . وأمرهم بوجوب حصاد بعض حزم الشعير من حقل عام . فلا ينبغى أن تؤخذ هذه الحزم من حديقة أو بستان أو من أرض تعد خصيصاً لذلك ، بل كان لابد أن يؤتى بها من حقل رمزى . وعندما كان الشعير يقطع كان يؤتى به إلى الهيكل . وهناك كان يدرس أو يدق بقضيب ناعم حتى لا يهرس . ثم يجفف أو يحمص فوق النار فى حلة مخرمة حتى تلمس النار كل حبة من حبات الشعير . ثم كان يعرض للريح حتى يتطاير منه القش . وبعد ذلك كان يسحق فى طاحونة شعير . ثم يقدم الدقيق لله . وتلك كانت الباكورة . ومن المهم جداً أن نلاحظ أن الناموس يمنع بيع الشعير الجديد أو شراءه أو طحنه إلى دقيق إلا بعد تقديم الباكورة لله . وكما كانت الباكورة إشارة للمحصول فى المستقبل . كذلك كانت قيامة يسوع إشارة لقيامة كل المؤمنين فى المستقبل . وكما أن الشعير الجديد لم يكن ليستعمل حتى تقدم الباكورة ، كذلك لم يكن ممكناً أن يأتى حصاد الحياة الجديد حتى قام يسوع من الأموات .

ثم يستطرد بولس فيستخدم فكرة يهودية أخرى . فبحسب القصة القديمة فى تكوين ٣ : ١ — ١٩ . دخل الموت إلى العالم عن طريق خطية آدم . وكان الموت هو النتيجة المباشرة والعقاب المباشر لتلك الخطية . وكان اليهود يعتقدون أن كل الناس قد أخطأوا حرفياً فى آدم . ومن السهل علينا أن نرى أن خطية آدم قد أمكنها أن تنقل إلى ذريته « الميل » إلى الخطية . وكما قال (اشيلوس) Aeschyylus : « إن العمل غير النقى يخلف نسلا أكبر يحمل نفس طابع عدم التقوى » . وكما

كتب « جورج اليوت George Eliot » : « إن أعمالنا مثل الأطفال الذين يولدون لنا ، فهم يعيشون ويتصرفون بعيداً عن تدخل إرادتنا وتأثيرنا عليهم . بل ربما أمكن قتل الأطفال أو التخلص منهم ، أما الأعمال فلا يمكن ملاشاتها أبداً ، إن هذه الأعمال لها حياة لا يمكن القضاء عليها سواء فى داخل أو خارج وعينا وإدراكنا » . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الطفل يمكن أن يرث ميلا لعمل الخطية ، أو أن خطايا الآباء لها رد فعل عند الأبناء . ولا يستطيع أحد أن ينكر كذلك أن الطفل يمكن أن يرث نتائج خطية الأب . فنحن نعرف جيداً أن الآثار الجسمية لنتائج الحياة اللاأخلاقية التى يحياها الأب يمكن أن تنتقل إلى الطفل . ولكن اليهودكانوا يعنون ما هو أكثر من هذا . فقد كانوا يحسون إحساساً ضخماً بالتضامن بين الجموع . فكان يثق أنه لا يستطيع إنسان ما أن يعمل شيئاً ما يتأثر به هو بمفرده فكل واحد كان لابد أن يكون مرتبطاً بحزمة الحياة .

وكان اليهود يعتقدون أن كل الناس قد أخطأوا فى آدم ، لأن آدم ، فى نظرهم ، كان أب الجنس البشرى أى أن كل عالم البشر كان فيه . وعندما أخطأ هو أخطأ الجميع . وقد تبدو هذه فكرة غريبة لنا ، وقد تبدو أمامنا أنها غير عادلة ، ولكن كان هذا هو الاعتقاد اليهودى . فالجميع قد أخطأوا فى آدم ، ولذلك كان الجميع تحت عقاب الموت . وهكذا صار الوضع الحتمى أن جميع الناس خطاة لذلك يجب أن يموت الجميع . ولكن بمجيء المسيح تحطم هذا القيد وكسرت هذه السلسلة . وأصبح هذا الوضع القديم يواجه شيئاً جديداً يقتحمه ويغزوه . فالمسيح كان بلا خطية . والمسيح قد هزم الموت .

وكما أخطأ الجميع فى آدم ، هكذا فى المسيح ينجو الجميع من الخطية . وكما مات الجميع فى آدم ، هكذا فى المسيح يهزم الجميع الموت . ووحدتنا بالمسيح هى حقيقة واقعة مثل وحدتنا مع آدم . وهذه الوحدة الجديدة تقضى على التأثير الشرير للوحدة القديمة . وهكذا يكون لدينا مجموعتان متناقضتان من الحقائق .

فهناك أولا : آدم ، والخطية ، والموت . يقابلها : المسيح ، والصلاح ، والحياة ، وكما أن خطية الإنسان الأول قد شملتنا جميعاً ، كذلك انتصار الإنسان الثانى يشملنا جميعاً . ومهما كان نظرنا اليوم إلى طريقة التفكير تلك ، فانها كانت مقنعة للذين سمعوها لأول مرة . ومهما تشككنا فى كثير من الأمور فان الأمر الذى يبقى حقيقة لا يرقى إليها الشك هو أنه بيسوع المسيح دخلت إلى العالم قوة جديدة لتحرير الناس من الخطية ومن الموت اللذين جازا على الناس جميعاً .

وقد تبدو الأقوال الواردة فى الأعداد من ٢٤ ـــ ٢٨ غريبة بالنسبة لنا فاننا قد اعتدنا أن نفكر بالأسلوب الذى يضع الآب والابن على قدم المساواة ولكننا نرى بولس هنا يخضع الابن للآب بوضوح تام ومقصود ولسنا نملك سوى التعبيرات أو التشبيهات البشرية لكى نوضح فكرة بولس هنا ، فنقول إن الله أعطى يسوع عملا ليقوم به . وكان هذا العمل هو أن يهزم الخطية ويقهر الموت ويحرر الإنسان . وسيأتى اليوم الذى يتمم فيه عملا كاملا ونهائياً ، وحينئذ ، ويمكن أن نتصور الأمر على هذا النحو ، سيعود الابن إلى أبيه حاملا معه النصرة والغلبة الكاملة . فالأمر إذاً ليس حالة ابن خاضع لأبيه كما يخضع العبد أو حتى الخادم لسيده . ولكنه ابن أكمل العمل الذى كلف

بالقيام به فيتممه ويعود بمجد الطاعة الكاملة كاكليل له . وكما أرسل الله ابنه ليفدى العالم ، فان الله سيتسلم فى النهاية عالماً مفدياً . وحينئذ لن يكون فى السماء أو فى الأرض شىء خارجاً عن دائرة محبة وقوة الله .

لو لم تكن هناك قيامة

(١ كورنثوس ١٥ : ٢٩ ــ ٣٤)

مرة أخرى نجد أنفسنا أمام فصل صعب جداً . وقد وقف الناس دائماً حيارى أمام ما تعنيه عبارة ، « يعتمدون من أجل الأموات » . وحتى الآن لا يمكن القول إنهم قد استقروا على تفسير محدود قاطع بشأنها . وكلمة « لأجل » فى العبارة المشار إليها لها فى الأصل اليونانى معنيان رئيسيان . فعندما تستخدم للمكان فانها تعنى « فوق » . ولكنها غالباً ما ترتبط بالأشخاص أو الأشياء وتعنى « بدلا من » أو « بالنيابة عن » . وإذ نتذكر هذين المعنين لنتأمل بعض المعانى التى فسرت بها هذه العبارة .

١ ــ استنتج بعض المفسرين الذين يترجمونها بكلمة « فوق » ــ أن هذه العبارة تشير إلى الذين كانوا يعتمدون فوق قبور الشهداء . وعزوا هذه الفكرة إلى أن الاعتماد فوق الأرض المقدسة ، أرض السحابة غير المنظورة من الشهود المحيطة بالمكان ــ هو شىء مثير بصفة خاصة . وهى فكرة جذابة وجميلة ، إلا أنه فى الوقت الذى كان بولس يكتب فيه إلى أهل كورنثوس لم يكن الاضطهاد العنيف للمسيحيين قد بدأ بعد . ربما كانوا يتعرضون فى ذلك الوقت للنفى أو للاضطهاد الاجتماعى ، ولكن عصر الشهداء لم يكن قد بدأ بعد .

٢ ــ أما إذا كنا نفهمها بمعنى « بدلا من » و « بالنيابة عن » ، فان العبارة المشار إليها يمكن أن تقودنا إلى ثلاثة احتمالات . فقد تشير إلى الذين يعتمدون ليشغلوا الأماكن الخالية فى الكنيسة التى خلفها الأموات . وما أمجد أن يملأ المؤمن الجديد ، والشاب المسيحى ، الذى يأتى إلى الكنيسة مكان المتمرنين المدربين الذين أدوا رسالتهم وانطلقوا إلى راحتهم . فالكنيسة تحتاج إلى مدد يقويها وينعشها ، وإلى أعضاء جدد يملأون الفراغ الذى يخلفه الراحلون ويحلون محلهم .

٣ ــ كما أن هذه العبارة يمكن أن تشير إلى الذين يعتمدون احتراماً للموتى وتعبيراً عن محبتهم لهم . وهنا أيضاً توجد حقيقة ثمينة ، فان كثيرين منا قد انضموا إلى الكنيسة لأنهم عرفوا وتذكروا إنساناً أحبهم وأحبوه ، وكان قبل موته يصلى لأجلهم ويتمنى هدايتهم . وكثيرون منا سلموا حياتهم للمسيح بفضل التأثير غير المنظور الذى كان لأحد المؤمنين عليهم قبل أن يعبر إلى الحياة الأخرى .

٤ ــ ومع أن كل هذه الأفكار جميلة ، ولكننا فى النهاية نظن أن هذه العبارة لا يمكن إلا أن تشير إلى عادة واحدة كانت موجودة فى الكنيسة الأولى ، ولكن ممارستها اختفت تماماً فيما بعد .

فقد كانت فيها عادة المعمودية بالنيابة . فاذا حدث أن مات شخص ما كان ينوى أن يصير عضواً فى الكنيسة وكان يتلقى التعليم المسيحى فعلا ، فان شخصا آخراً كان يعتمد نيابة عنه بعد موته . أى أنها كانت بمثابة معمودية بالانابة أو بالتوكيل . وقد نشأت هذه العادة بسبب وجهة نظر غير صحيحة عن المعمودية وهى أنه ما لم يعتمد الشخص فانه سيحرم من سعادة السماء ومن الهناء والمجد الذى سيتمتع به الأمناء المخلصون . ولكى يحمى الناس أصدقاءهم الموتى من هذا الحرمان ، كانوا أحياناً يتطوعون لأن يعتمدوا فعلا بالنيابة عن أولئك الموتى . وهنا لا يؤيد بولس ممارسة هذه العادة ولا يعارضها ، ولكنه فقط يتساءل عما إذا كان لها أى معنى على الإطلاق إذا لم تكن هناك قيامة وإذا لم يكن الأموات سيقومون ثانية .

ثم ينتقل بولس من هذه النقطة ليتحدث عن أحد الدوافع العظيمة للحياة المسيحية . فنراه يتساءل : « لماذا يقبل المسيحى مخاطر ومتاعب الحياة المسيحية إذا كان كل شىء يمضى دون جدوى أو منفعة ؟ » .

ويذكر هنا اختباره الشخصى ، فقد كانت حياته كل يوم فى خطر . ولابد أن شيئاً ما مرعباً قد حدث لبولس فى أفسس ولم يسجله العهد الجديد وهو يشير إلى ذلك ثانية فى ٢ كورنثوس ١ : ٨ — ١٠ فيقول إنه كان فى آسيا فى أفسس ، فى ضيقة كبيرة فوق الطاقة حتى أنه يئس من الحياة وكان له فى نفسه حكم الموت . وإلى يومنا هذا نجد فى أفسس مبنى يعرف بسجن بولس . وهو هنا يدعوه « محاربة وحوش » . والكلمة التى يستعملها هنا تستعمل للمصارع الذى كان يضطر إلى أن يصارع الأسود فى الساحة . وتخبرنا القصص الدينية فيما بعد أن بولس قد عمل ذلك فعلا وأن حياته حفظت بكيفية عجيبة لأن الوحوش لم تكن تهجم عليه . ولكن بولس كان مواطناً رومانياً ، ولم يكن يجبر على الصراع من الوحوش فى الساحة أو فى ميدان المصارعات . ولذلك يحتمل أن يكون بولس قد استخدم هذه العبارة ليصور تصويراً حياً مدى ما تعرض له من تهديد وإرهاب ومعاملة سيئة لقيها من الناس أو من الغوغاء الذين كانوا له بمثابة وحوش مفترسة . وإزاء هذا كله يتساءل بولس عما يدفع المسيحى إلى تحمل كل هذه المخاطر والآلام والجروح إذا لم تكن هناك قيامة وإذا لم تكن هناك حياة أخرى بعد حياتنا هنا فى هذا العالم .

إن الرجل الذى يظن أن هذه الحياة هى كل شىء ، وأنه لا يوجد شىء بعدها ، يمكن أن يقول « لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت » . والكتاب المقدس نفسه يذكر بعض الذين تكلموا بمثل هذا الكلام .

فيتحدث إشعياء (٥٦ : ١٢) عن الذين يقولون « هلموا آخذ خمراً ولنشتفَّ مسكراً ويكون الغد كهذا اليوم عظيماً بل أزيد جداً » . والجامعة الذى ظن أن الموت هو خاتمة المطاف كتب يقول : « ليس للانسان خير من أن يأكل ويشرب ويرى نفسه خيراً فى تعبه » (جامعة ٢ : ٢٤ ، ٣ : ١٢ ، ٥ : ١٨ ، ٨ : ١٥ ، ٩ : ٧) . بل إن يسوع نفسه تحدث عن الغنى الغبى الذى نسى الأبدية واتخذ شعاراً لنفسه : « كلى واشربى وافرحى » (لوقا ١٢ : ١٩) . والأدب القديم زاخر بهذه الروح . نذكر على سبيل المثال ما كتبه المؤرخ اليونانى هيرودوت عن عادة من عادات

المصريين القدماء ، قال : « عندما تنتهى المأدبة فى حفلة من الحفلات التى تقام بين الأغنياء ، يأتى خادم يحمل نعشاً به تمثال خشبى لجثة إنسان طوله ذراع أو ذراعان ، ثم يمر الخادم بهذا التمثال بين الضيوف ويريه لكل واحد منهم ثم يقوله له : « تأمل هذا جيداً وحملق فيه . إشرب وافرح لأنك عندما تموت ستكون مثل هذا » .

ويحدثنا أحد مؤرخى اليونان أنه عندما بدأ وباء الطاعون ينتشر فى أثينا ، استباح الناس لأنفسهم ارتكاب كل جريمة فاضحة ، واندفعوا بشغف إلى محاولة إشباع كل شهواتهم الجسدية ، لأنهم اعتقدوا أن الحياة كانت قصيرة وأنه لم يكن هناك متسع من الوقت لتوقع عليهم أية عقوبة . وفى قصيدة من أشهر القصائد فى العالم كتب شاعر اللاتين يقول : « لنعش ياعزيزتى « لسبيا » ، ولنحب ، ولنعمل ما يحلو لنا ، ودعك من قصص العجائز المليئة بالعبوس فهى لا تساوى بنساً واحداً . إن الشمس تغرب ثم تشرق ثانية بعد ليل قصير ، أما حياتنا فعندما يغيب ضياؤها الخافت القصير فاننا لابد أن ننام بعد ذلك فى ليل واحد دائم » .

إننا لو أنكرنا فكرة حياة أخرى فى المستقبل ، فان هذه الحياة الحاضرة تفقد كل قيمها . ولو أنكرنا أن هذه الحياة هى تدريب وإعداد لحياة أعظم فى المستقبل لتزعزت كل دعائم وروابط الأخلاق والشرف . ومن العبث أن نزعم أو نصدق عكس هذا بحجة أن الناس يجب أن يكونوا طيبين وشرفاء دون توقع لمكافأة أو جزاء . فان الحقيقة التى ستظل باقية هى أن الرجل الذى يعتقد أن هذا العالم هو العالم الوحيد فانه يعيش كأن هذا العالم وحده هو مشتهاه .

وهكذا يصر بولس على أن الكورنثيين ينبغى ألا يعاشروا أولئك الذين يقولون بأنه لا توجد قيامة . فمعاشرة أمثال هؤلاء هى مخاطرة تجلب العدوى التى تدنس الحياة وتنجسها . والقول بأنه لا توجد قيامة ليس علامة تدل على علو المعرفة أو سموها ، ولكنه علامة الجهل المطبق بالله . ويحاول بولس عن طريق تخجيلهم أن يعيد هؤلاء الضالين إلى الطريق الصحيح .

الحيوانى والروحانى

(١ كورنثوس ١٥ : ٣٥ ــ ٤٩)

قبل أن نبدأ فى محاولة تفسير وفهم هذا الفصل يجدر بنا أن نتذكر شيئاً واحداً ، وهو أن بولس يتحدث هنا عن أشياء لا يعرف أحد عنها شيئاً على وجه التحقيق . فهو لا يتحدث عن أمور معروفة لها صلة بالاختبار البشرى ولكن أمور نقبلها بالإيمان . فهو يحاول أن يعبر عن الأشياء التى لا يعبر عنها وأن يصف الأشياء التى لا يمكن وصفها ، مستخدماً لذلك كل ما أمكنه استخدامه من الأفكار والألفاظ البشرية . وإذا تذكرنا هذا فاننا نجنب أنفسنا خطر الوقوع فى خطأ محاولة التفسير الحرفى لهذه الأقوال ، ونركز أفكارنا على المبادىء التى كانت فى ذهن بولس والتى أراد أن يعبر عنها بهذه الأقوال . فان بولس فى هذا الفصل يتحدث إلى أناس كانوا يقولون : « إذا إفترضنا وسلمنا جدلا

أن هناك قيامة للجسد ، فأى نوع من الجسد يقوم الناس به ؟ » . وفى إجابة بولس عن هذا السؤال نرى مبادىء ثلاثة :

١ ـــ فهو يتخذ البذرة مثلا وتشبيها . فالبذرة توضع فى الأرض وتموت ، ولكنها فى وقت معين تقوم ثانية لتحيا بجسم يختلف عن الجسم الذى زرعت به . ويريد بولس بهذا التشبيه أن يبين أنه فى وقت واحد يمكن أن يكون هناك تحلل واختلاف للجسم ، ومع ذلك يظل مستمراً وباقياً . فالبذرة تتحلل ، وعندما تنمو يكون الجسم الذى أعطاه الله لها مختلفاً اختلافاً كبيراً ، ومع ذلك ، فبالرغم من تحللها وبالرغم من اختلافها ، هى نفس الحياة الأولى ، ونفس البذرة التى زرعت وهذه الحجة تبرهن على أن أجسامنا الأرضية تدفن وتتحلل ، ولكنها ستقوم ثانية . وقد يكون الشكل الذى تقوم به مختلفاً جداً ولكن الحقيقة التى تبقى دائماً هى أن الشخص الذى يقوم هو نفس الشخص الذى مات مهما كان اختلاف شكل الجسد المقام . إننا قد نتحلل بالموت ، وقد نتغير بالقيامة ولكن الحقيقة أن أشخاصنا تظل وتبقى هى بعينها .

٢ ـــ والمبدأ الأساسى الثانى الذى يسجله بولس هو أنه حتى فى هذا العالم كما نعرفه لا يوجد نوع واحد من الأجسام . فلكل قسم مستقل من الخليقة جسمه القائم بذاته . وهذه الحجة تبرهن أن الله يعطى لكل مخلوق حى ، ولكل شىء حى الجسم المناسب والملائم لدوره فى الخليقة . وإذا كان الأمر كذلك فانه من المعقول أن نتوقع أن الله سيعطينا أيضاً جسماً مناسباً لحياة القيامة .

٣ ـــ والمبدأ الأساسى الثالث هو أنه يوجد فى الحياة تقدم وتحسن . فقد جبل آدم ، الإنسان الأول ، من تراب الأرض (تكوين ٦ : ٧) . ولكن يسوع آدم الثانى هو أسمى من أن يكون مجرد إنسان جبل من تراب الأرض . إنه تجسيد لروح الله ذاته . وكما كنا واحداً مع آدم ، بحسب طبيعة حياتنا القديمة ، مشتركين معه فى خطيته ، وارثين موته ، لابسين جسده ، هكذا ، وبحسب طبيعة الحياة الجديدة ، نحن واحد مع المسيح ، ولذلك سوف نشترك معه فى حياته وكيانه . وهذه الحجة تبرهن على أنه وإن كنا حقاً نبدأ بجسم مادى ، فلابد أنه سيكون لنا يوماً ما جسم روحى أيضاً .

وفى هذا الفصل كله ظل بولس فى وقار وحكمة ، يمسك عن الحديث عن الصورة التى سيكون عليها ذلك الجسد وكأنه يريد أن يقول إنه يكفى الآن أن نعرف أنه سيكون جسماً روحانياً ، وأنه سيكون بالصورة التى يعلم الله أننا نحتاج إليها ، وأننا سنكون مثل المسيح . ولكن فى الأعداد من ٤٢ ـــ ٤٤ يصور بولس أمامنا أربع مقابلات تلقى أمامنا بعض الضوء عن حالتنا التى سنكون عليها فى المستقبل .

١ ـــ إن جسمنا الحاضر قابل للفساد ، أما جسمنا المقبل فلن يكون كذلك ، إن كل شىء فى عالمنا هذا خاضع للتغيير والفساد ، وكما قال الشاعر اليونانى القديم سوفكليس Sophocles « إن جمال الشباب يذبل ، ونضارة الرجولة تذوى » ولكن الحياة القادمة سيكون لها البقاء والدوام . وتظل فيها الأشياء الجميلة جميلة ، وتحتفظ فيه الأشياء الناضرة بنضرتها ورونقها .

إن جسمنا الحاضر فى هوان ، أما جسد القيامة فسيكون فى مجد . وماذا يعنى بولس بهذا ؟ ربما قصد أن الهوان يمكن أن يأتينا بسهولة فى هذه الحياة ، عن طريق مشاعرنا الجسدية وشهواتنا وغرائزنا ، أما فى تلك الحياة القادمة فان أجسادنا لن تكون فيما بعد خادمة لشهواتنا وبواعثنا ، ولكنها ستكون أدوات الخدمة الطاهرة لله ـــ الأمر الذى لا يمكن أن يكون هناك ما هو أكثر منه مجداً أو أعظم منه شرفاً .

٣ ـــ إن جسمنا الحاضر فى ضعف ، أما جسمنا المقبل فسيكون فى قوة ، إن الناس يتحدثون كثيراً فى عصرنا الحاضر عن قوة الإنسان ، ولكن الشىء الملحوظ حقاً هو ضعفه لا قوته . فقطرة ماء أو مجرى هواء قد يؤدى إلى قتله . ونحن محدودون فى هذه الحياة فى أغلب الأحيان بسبب ما يفرضه علينا الجسد ويحتمه من حصر وتحديد ، وقد يقف تكويننا الجسدى المادى مراراً وتكراراً فى وجه رؤانا وخططنا وأحلامنا ويقول لنا : « إلى هنا قف » . وفى أغلب الأحيان تخيب آمالنا فى الحياة بسبب ما نحن عليه من عجز وضعف ومحدودية . ولكن فى تلك الحياة القادمة لن يكون هناك أدنى أثر لهذا كله . بل إننا سنكتسى بالقوة التى لا تعرف الضعف ، وسنجد كل ما أملنا فيه هنا أو أردناه أو حلمنا به من خير . وسنصل إلى كل ما كنا نظن أنه لا يمكننا الوصول إليه ، وسنبلغ كل ما كان يبدو أمامنا ، ونحن على الأرض ، ضرباً من المحال . إن كل ما لدينا على الأرض هو « أقواس مكسرة » ولكن فى الحياة القادمة سيكون لنا « الدائرة الكاملة » .

٤ ـــ إن جسمنا الحاضر جسم حيوانى طبيعى ، أما جسمنا المقبل فسيكون جسماً روحانياً ، وربما قصد بولس بهذا أننا ، فى الحالة التى نحن عليها ، لسنا إلا أوان غير كاملة للروح القدس ، وأننا أدوات ناقصة له ، ولكننا فى الحياة القادمة سنصل إلى الحالة التى فيها يستطيع الروح حقاً أن يملأنا بطريقة لا نختبرها هنا ، وسيستطيع الروح حقاً أن يستخدمنا ، كما لا يمكن الآن ، ويمكننا هناك أن نقدم العبادة الكاملة ، والخدمة الكاملة ، والمحبة الكاملة التى لا يمكن أن تكون فى هذا العالم إلا مجرد رؤية وحلم .

غلبة الموت

(١ كورنثوس ١٥ : ٥٠ ـــ ٥٨)

مرة أخرى يجب أن نتذكر قبل أن نبدأ التأمل فى هذا الفصل أن بولس لا يزال يتحدث عن أشياء تتحدى أية لغة وتفوق أى تعبير . ويجب أن نقرأ هذا الفصل بالذهن الذى نقرأ به قصيدة عظيمة ، فهذا أفضل من أن نقرأه بالذهن النقدى الذى يحاول أن يشرح أو يحلل مقالة أو رسالة .

ويسير الموضوع هنا متدرجاً فى سلسلة من الخطوات حتى يصل إلى ذروته :

١ ـــ يصر بولس على أننا بحالتنا الحاضرة لا نصلح لأن نرث ملكوت الله . ربما كنا الآن على

درجة من الأهلية تكفينا للحياة فى هذا العالم ، ولكنها لا تصلح أبداً للحياة فى العالم الآتى . فقد يستطيع إنسان ما أن يجرى بسرعة تمكنه من اللحاق بالقطار الذى يستقله فى الصباح ، ولكنه يحتاج إلى أن يكون إنساناً آخراً مختلفاً تماماً حتى يستطيع أن يجرى بسرعة تؤهله لأن يشترك فى الألعاب الأوليمية . وقد يستطيع إنسان أن يكتب كتابة حسنة تكفى لتسلية أصدقائه ، ولكنه يحتاج إلى أن يكون إنساناً آخر ليجيد الكتابة التى تمكنه من أن يكتب شيئاً يحرص أصدقاؤه على الاحتفاظ به كذخيرة تستحق الإقتناء الدائم . وقد يستطيع إنسان أن يتحدث حديثاً طيباً مناسباً ومقبولاً فى دائرة ناديه ، ولكنه يحتاج إلى أن يكون إنسانا آخر حتى يستطيع أن يقود الحديث فى دائرة الخبراء والعلماء . إن الإنسان يحتاج دائماً إلى أن يتغير حتى يدخل إلى مرتبة أعلى من مراتب الحياة . ولذلك يصر بولس على أنه ينبغى أن نتغير أولا قبل أن نتمكن من الدخول فى ملكوت الله .

٢ ــ وفضلا عن ذلك فإنه يلح على أن ذلك التغيير المفاجىء قد يحدث فى زمان حياته إذ كان يتطلع إليه عند مجىء يسوع المسيح ثانية .

٣ ــ ثم يستطرد ليعلن فى إحساس بالنصرة والغلبة أنه لا ينبغى أن يخشى أحد ذلك التغيير . لقد كان الموت دائماً هو الشبح الذى يخيف الناس ويرعبهم فقد كان الدكتور « جونسون » من أعظم وأطيب الناس ، ومع ذلك كان يخشى شبح الموت . ولما أخبره صديقه « بوسول » مرة أنه كثيراً مالا يخشى الموت ، أجابه جونسون بأنه لا يذكر لحظة واحدة لم يكن الموت فيها ، بالنسبة له أمراً مخيفاً مرعباً . وعندما قالت له « مسز نولز » مرة ، إنه ينبغى ألا يخشى ذلك الذى هو بمثابة باب الحياة الأخرى ، أجابها بقوله « لا يستطيع إنسان عاقل أن يموت دون الإحساس بكثير من الخشية والرهبة » . وأعلن أن الخوف من الموت هو أمر طبيعى بالنسبة لكل إنسان ، حتى أن الحياة كلها إنما هى جهد واحد متواصل يبذله الإنسان لكى لا يفكر فى الموت . فمن أين يتأتى للانسان هذا الخوف من الموت ؟ إن جانباً منه يحدث بسبب الخوف من المجهول . ولكن الجانب الأكبر يرجع إلى الإحساس بالخطية . أما إذا كان إنسان ما يشعر أنه سيقابل الله فى سهولة فان الموت عندئذ سيكون بالنسبة له ، كما قال « بيتربان » ، مجرد مغامرة عظيمة . ولكن من أين يأتى للانسان ذلك الإحساس بالخطية ؟ إنه يأتى من إحساسه بأنه تحت الناموس . فما دام يرى الإنسان فى الله مجرد ناموس للبر ، فانه يكون دائماً فى مركز المجرم فى قفص المجرمين أمام الله القاضى ، بلا أمل فى البراءة بل بيقين الإدانة . ولكن هذا هو ما جاء يسوع ليمحوه ويلاشيه . فقد جاء ليخبرنا أن الله ليس هو الناموس ، بل المحبة ، وأن مركز كيان الله ليس هو القانون أو الشريعة ، بل النعمة ، وأننا سنمثل ليس أمام قاض ، بل أمام أب ينتظر عودة أبنائه إلى حظيرة البيت ولهذا السبب عينه أعطانا يسوع المسيح النصرة على الموت . وهكذا يزول الخوف من الموت أمام محبة الله العجيبة .

٤ ــ وختاماً ، فى نهاية هذا الأصحاح ، يفعل بولس ما يفعله دائماً . فنرى الحقيقة اللاهوتية تصبح فجأة حافزاً ودافعاً ، ونرى التأملات تتحول إلى أشياء عملية ، ونرى أن هناك حاجة ملحة للعمل الدائم . وهكذا يختم بولس هذا الأصحاح بقوله : « إذاً ياإخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب » . إن الحياة المسيحية قد تكون صعبة ، ولكن هدفها فى النهاية جدير بكل ما يبذل فى الطريق من كفاح ونضال

وتعب . وهذا الهدف هو الذى يعطينا الرجاء السماوى العظيم الذى يمكننا من تحمل كل التجارب والمتاعب ، وهو الذى يطهر النفس من كل زغل أو خطية .

الأصحاح السادس عشر

خطط عملية

(١ كورنثوس ١٦ : ١ — ١٢)

ليس هناك ما يوضح أمامنا شخصية بولس بشكل نموذجي أكثر من التغيير المفاجىء بين الأصحاح الخامس عشر والأصحاح السادس عشر . فهو فى الأصحاح الخامس عشر يحلق بنا فى أرق أجواء الفكر واللاهوت ويناقش حياة العالم الآتى ، بينما يعالج فى الأصحاح السادس عشر بطريقة عملية جداً أشياء تتعلق بالحياة اليومية وبشئون الكنيسة الإدارية . أى أن بولس كان يستطيع أن يصعد إلى أرقى وأسمى مستويات الفكر ، كما كان يستطيع أن يتذكر أدق وأصغر التفاصيل العملية للادراة . إنه لم يكن واحداً من أصحاب الأحلام والرؤى الذين يستطيعون التحليق فى التأملات اللاهوتية ولكنهم يتيهون ويعجزون تماماً فى الأمور العملية . لقد مرت ببولس أوقات كان رأسه فيها فى السحاب ، وربما أعلى من ذلك بكثير ولكن أقدامه كانت دائما ثابتة على هذه الأرض الصلبة .

وهو يبدأ كلامه فى هذا الفصل بالحديث عن الجمع لأجل فقراء القديسين فى أورشليم . وقد كانت هذه الخدمة عزيزة جداً على قلبه (راجع غلاطية ٢ : ١٠ ، ٢ كورنثوس ٨ و ٩ ، رومية ١٥ : ٢٥ ، أعمال ٢٤ : ١٧) . ولابد أنه كانت هناك أخوة معينة فى العالم القديم . ففى العالم اليونانى كانت هناك جمعيات تسمى « أرانوى » . فاذا وقع إنسان ما فى ضائقة أو عوز مالى مفاجىء ، كان أصدقاؤه فى الجمعية يجتمعون معاً ليوفروا له قرضاً لمساعدته بدون فوائد . وكان للسنهدريم موظفون من واجبهم أن يجمعوا من الأغنياء الموسرين ثم يوزعوا على المعدمين المحرومين .

وكان اليهود الذين هاجروا خارج بلادهم وأفلحوا واغتنوا — كانوا كثيراً ما يبعثون برسلهم إلى أورشليم محملين بتبرعاتهم للهيكل وللفقراء . ولم يكن بولس يريد أن تتخلف الكنيسة المسيحية فى العطاء والسخاء عن العالم اليهودى والعالم الوثنى . ولكن هذا الجمع للفقراء فى أورشليم كان يعنى لبولس ما هو أكثر من ذلك :

١ — إنه كان طريقة لإظهار وحدة الكنيسة ، ولتعليم المسيحيين المبعثرين ، إنهم ليسوا أعضاء فى جمعية بل هم أعضاء كنيسة ، وأنه على كل واحد منهم إلتزامات ومسئوليات تجاه الباقين . لقد كان مفهوم الكنيسة فى نظر بولس أبعد من أن يكون نظرة مذهبية محدودة وضيقة لا تهتم باحتياجات الآخرين .

٢ — كما أن هذا الجمع كان طريقة لتطبيق التعليم العملى للمسيحية وبتنظيم هذا الجمع كان بولس يمد المتجددين بفرصة الترجمة العملية لتعليم المسيح عن فضيلة المحبة المسيحية .

ويستخدم بولس فى مواضع مختلفة من رسائله ما لا يقل عن تسع كلمات يصف بها هذا الجمع :

(١) فهو هنا يستخدم كلمة لوجيا Logia التى تعنى « جمعاً إضافياً » . ومعنى هذا أن المسيحى لا يكتفى بمجرد الوفاء بالإلتزامات التى يفرضها عليه القانون أو الشرع . بل إنه يفعل ويقدم أكثر مما يطلب منه . وقد كان سؤال يسوع يؤدى إلى هذا المعنى عينه « إن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ » (متى ٥ : ٤٧) .

(٢) وأحياناً يستخدم كلمة « خارس » Charis التى تعنى « إحساناً » (كورنثوس ١٦ : ٣ ، ٢ كو ٨ : ٤) . وقد تعنى « الهبة المجانية التى تعطى بمحض إرادة الشخص وباختياره » . إن الشيء الجميل حقاً ليس هو الشيء الذى يؤخذ من الإنسان عنوة وقسراً مهما كان كبيراً ، ولكنه الشيء الذى يأتى من قلب يفيض بالمحبة ، مهما كان ذلك الشيء صغيراً تافهاً . ويجب أن نلاحظ هنا أن بولس لا يحدد مبلغاً معيناً ينبغى أن يعطيه كل مسيحى كورنثى . ولكنه يخبرهم أنهم ينبغى أن يعطوا ما تيسر وما يتناسب مع ثروتهم . فالمبلغ الذى قد يكون تافهاً بالنسبة لرجل غنى قد يعتبر تضحية حقيقية ومبلغاً كبيراً بالنسبة لرجل فقير . إن كل واحد يجب أن يعطى بقدر ما يرشده إليه قلبه وما يحثه عليه ضميره .

(٣) وأحياناً يستعمل بولس لوصف هذا الجمع كلمة كوينونيا Koinonia (٢ كورنثوس ٨ : ٤ ، ٩ : ١٣ ، رومية ١٥ : ٦) . وهى كلمة تعنى « شركة » وجوهر الشركة هو « المشاركة » . إن الشركة المسيحية تقوم على أساس الروح التى لا تستطيع أن تستأثر لنفسها بما لها ، ولكنها تعتبر أن كل ما لديها من ممتلكات يجب أن يكون مشتركاً مع الآخرين . والسؤال الذى ينبغى أن يكون مهيمناً عليها ليس هو « ماذا يمكننى الإحتفاظ به ؟ » ولكن : « ماذا يمكننى أن أعطيه ؟ » .

(٤) وأحياناً يستخدم بولس كلمة دياكونيا Diakonia (٢ كورنثوس ٨ : ٤ ، ٩ : ١ و ١٢ و ١٣) . وهى كلمة تعنى الخدمة المسيحية العملية . ومنها اشتقت الكلمة الإنكليزية Deacon التى تعنى شماس الكنيسة . وقد يحدث أحياناً أن محدودية حياتنا تحول دون أن نؤدى خدمات بأنفسنا شخصياً ، وهنا يمكن للمال الذى نسهم به أن يذهب حيث لا نستطيع نحن أن نذهب بأشخاصنا .

(٥) ومرة يستخدم بولس كلمة هادروتيس Hadrotes التى تعنى « جسامة » (٢ كورنثوس ٨ : ٢٠) . وفى ذلك الفصل يتحدث بولس عن رسل الكنيسة الذين يرافقونه لضمان عدم إساءته لاستخدام « جسامة » هذه المهمة الموكولة إليه . ولم يكن يرغب فى أن يحصل على شيء لنفسه ، فقد كان مكتفياً وقانعاً بما كان يكتسبه من تعب يديه وعرق جبينه . ولكنه كان بلاشك يفرح فى قلبه عندما تكون له وفرة أو جسامة للتوزيع . من التعليقات اللاذعة عن الطبيعة البشرية أنه عندما يحلم إنسان بما سوف يفعله إذا أصبح من أصحاب الملايين فانه دائماً يبدأ بالتفكير فيما سيشتريه لنفسه ، وقلما يفكر فيما يعطيه أو يوزعه على الآخرين . ولكن بولس لم يكن كذلك .

(٦) وأحياناً يستخدم بولس كلمة يولوجيا eulogia التى تعنى فى هذه الحالة « بركة » (٢ كورنثوس ٩ : ٥) . هناك نوع من العطاء ليس بركة ، وهو الذى يعطى كمجرد واجب ثقيل

اضطرارى ، ويقدم بتضجر وبدون إبتهاج . ولكن كل العطاء الحقيقى توجد فيه بركة تسر وتفرح جداً بالعطاء السخى .

(٧) وأحياناً يستخدم كلمة لايتورجيا Leitourgia (٢ كورنثوس ٩ : ١٢) وهى كلمة لها تاريخ نبيل عند اليونان . ففى عهود أثينا العظيمة كان هناك مواطنون أسخياء يتبرعون من أموالهم الخاصة لدفع نفقات بعض المشروعات التى كانت تهم أهل المدينة ، مثل تدريب فريق لتمثيل رواية شعرية أو تلعب فى مباريات رياضية لشرف المدينة ، أو لدفع نفقات لوازم وتشغيل سفينة حربية عندما تكون المدينة فى خطر أو فى حرب . فهذه الكلمة كانت تستعمل فى الأصل بمعنى الخدمة التى يؤديها للدولة تطوعاً واختياراً . وهكذا العطاء المسيحى إنه شيء ينبغى ألا يطلب من أحد أو يفرض عليه ، ولكنه يجب أن يقدم طوعاً واختباراً وبمحض الإرادة الشخصية . ويجب أن يكون مقبولا باعتباره إمتيازاً لمساعدة القديسين وأهل بيت الله .

(٨) ومرة يتحدث بولس عن هذا الجمع مستخدماً كلمة أيليموسونى eleemosune (أعمال ٢٤ : ١٧) . وهى كلمة يونانية تعنى صدقات . وقد كان تقديم الصدقات أمراً جوهرياً بالنسبة للفكرة اليهودية عن الدين ، حتى إنه كان يمكن لليهود أن يستخدموا الكلمة عينها التى تعنى « تقديم الصدقات » بمعنى « البر » أيضاً . وكانوا يتساءلون « كيف يستطيع أحد أن يبين أنه رجل بار إلا بأن يكون كريماً سخياً ؟ » .

(٩) وأخيراً نرى أن بولس قد استخدم كلمة بروسفورا prosphora (أعمال ٢٤ : ١٧) التى تعنى قرابين . ومما تجدر ملاحظته هنا أن هذه الكلمة هى الكلمة عينها التى تعنى تقدمة وذبيحة . وهذا يعنى أن كل ما يعطى لإنسان محتاج هو فى الحقيقة تقدمة وذبيحة لله . إن أفضل وأحسن الذبائح لله ، بعد ذبيحة القلب التائب ، هى ذبيحة الشفقة والرحمة التى نظهرها لأحد أولاد الله عندما يكون فى ضيق أو فى حاجة .

وفى نهاية هذا الفصل نرى بولس يوصى باثنين من مساعديه ، أولهما هو تيموثاوس . وقد كان الموقف فى كورنثوس من الصعوبة بمكان حتى بالنسبة لرجل مختبر كبولس ، فكم بالحرى تكون بالنسبة لشاب كتيموثاوس . وكانت وصية بولس لهم أن يحترموه ، ليس لأجل شخصه بل لأجل العمل الذى يقوم به . فليس الرجل هو الذى يمجد العمل بل إن العمل هو الذى يمجد الرجل . ولا يوجد شرف أو كرامة تضارع شرف العمل العظيم وكرامته . وكان الشخص الثانى الذى أوصى به بولس هو أبلوس . ويبرز أبولس أمامنا من هذا الفصل كرجل له حكمة عظيمة . وقد رأينا فى بداية هذه الرسالة أن جماعة فى كورنثوس أطلقت على نفسها إسم أبلوس دون مصادقة أو موافقة منه . ولقد علم أبلوس بذلك ، ولاشك فى أنه رغب فى البقاء بعيداً عن كورنثوس لئلا تنشق هذه الجماعة وتتبعه لو ذهب إلى هناك . وكان أبلوس من الحكمة بحيث أدرك أنه عندما تكون الكنيسة ممزقة بسبب الخلافات والتحزبات فان البقاء بعيداً يكون أكثر حكمة وأبعد نظراً .

كلمات وتحيات ختامية

(١ كورنثوس ١٦ : ١٣ — ٢٤)

هذا فصل شائق ، لأنه فى عباراته العادية والعملية يلقى لنا ضوءاً ساطعاً على الحياة اليومية فى الكنيسة الأولى .

وفى العددين الثالث عشر والرابع عشر يبدأ بولس بتقديم سلسلة من خمس أوامر . ويلاحظ أن الأوامر الأربعة الأولى ذات طابع عسكرى ، وكأنها أوامر يصدرها قائد جيش إلى جنوده : « اسهروا كالحارس أو الديدبان . وعندما يهجم العدو عليكم أن تثبتوا فى الإيمان ولا تسلموا للعدو بوصة واحدة . وفى وقت المعركة كونوا رجالا وأبطالا . وكالجندى المعد إعداداً جيداً والمدرب تدريباً حسناً ، تقووا للحرب لأجل ملككم » .

ثم تتغير الكناية فى أوامر الرسول بعد ذلك . فمهما كان موقف الجندى المسيحى بالنسبة لأولئك الأشخاص والأشياء التى تهدد الإيمان المسيحى من الخارج ، فانه بالنسبة للذين داخل الكنيسة ينبغى أن يكون رفيقاً ومحباً . إن الحياة المسيحية ينبغى أن يكون فيها الشجاعة التى لا تتراجع ، كما ينبغى أن يكون فيها المحبة التى لا تسقط أو تفشل أبداً .

وكان قد جاء إلى بولس فى أفسس استفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس . يحملون إليه الأخبار التى تضمنت معلومات جديدة عما كان حادثاً فى كورنثوس . والعبارات التى كتبها فى هذا الفصل ليوصى الإخوة باستفاناس وليثنى عليه ، هى عبارات شائقة جداً . واستفاناس هذا كان جديراً بالإحترام لأنه كان قد وضع نفسه فى خدمة الكنيسة .

وفى الكنيسة الأولى كانت الخدمة التطوعية الإختيارية هى بداية الخدمة الرسمية . ولم يكن أحد يصبح قائداً بتعيين أو بتكليف من الناس ، بل لأن حياته وعمله كانا يبرزانه كشخص نافع يحترمه الجميع ويوقرونه ، وكان الإحترام واجباً لكل أولئك الذين يشتركون فى العمل والتعب لأجل الإنجيل ، لا لأن الناس عينوهم لهذه الخدمة ، ولكن لأنهم يواصلون عمل المسيح . وقد علق أحدهم تعليقاً مختصراً عن الذين يعملون ويتعبون ، فقال : « فى الكنيسة كثيرون يعملون ، ولكن قليلين يتعبون » .

أما العددان التاسع عشر والعشرون فهما سلسلة من التحيات . ومن بينها تحيات كثيرة يرسلها إليهم أكيلا وبريسكلا . وقد تردد ذكر هذين الشخصين فى رسائل بولس وفى سفر الأعمال وكانا يهوديين . وكانا يشتغلان مثل بولس بصناعة الخيام . وكانا يقيمان فى الأصل فى رومية ، ولكن حوالى سنة ٤٩ أو ٥٠ ق . م . أصدر الإمبراطور الرومانى كلوديوس أمراً بطرد ونفى كل اليهود من رومية . فمضى أكيلا وبريسكلا إلى كورنثوس حيث التقى بهما بولس لأول مرة وأقام معهما (أع ١٨ : ٢) . ومن كورنثوس ذهبا إلى أفسس التى منها يرسل الآن بولس تحياتهما وسلامهما لرفقائهما وأصدقائهما القدامى فى كورنثوس . ومن رومية ١٦ : ٣ نعرف أنهما قد عادا إلى رومية

وأقاما هناك ثانية . ومن الأشياء الشائقة عن أكيلا وبريسكلا أن السفر بالنسبة لهما كان سهلا وطبيعياً حتى فى ذلك الزمان . فقد تنقل الاثنان بحكم حرفتهما من فلسطين إلى رومية ، ومن رومية إلى كورنثوس ، ومن كورنثوس إلى أفسس ، ومن أفسس عائدين إلى رومية . ولكن هناك شيئاً واحداً عظيماً يذكر عن هذين الاثنين . ففى تلك الأيام لم يكن للكنيسة مبان خاصة . ولم نسمع على الإطلاق أنه قد بنيت كنائس حتى القرن الثالث . بل كانت جماعات المسيحيين القليلة تجتمع فى البيوت الخاصة حيث توجد غرف كبيرة تتسع لهم ليتمتعوا بالشركة المسيحية معاً . ونحن نرى أنه حيثما ذهب أكيلا وبريسكلا كان بيتهما يصبح كنيسة . فعندما كانا فى رومية نرى أن بولس يرسل تحياته وسلامه لهما وللكنيسة التى فى بيتهما (رومية ١٦ : ٣ — ٥) . وعندما يكتب من أفسس يبعث بالسلام منهما ومن الكنيسة التى فى بيتهما . لقد كان أكيلا وبريسكلا من الناس الأتقياء العظماء الذين يجعلون بيوتهم مراكز إشعاع للنور المسيحى وللمحبة المسيحية ، والذين يرحبون بضيوف كثيرين لأن المسيح هو دائماً ضيفهم غير المنظور الموجود معهم دواماً ، والذين يجعلون بيوتهم ملاجىء راحة وسلام وصداقة للذين يعانون الوحدة والوحشة ، وللمجربين والحزانى والمتألمين ، وإذا كان أعظم ثناء ميز به هوميروس إحدى شخصياته هو أن « ذلك الرجل كان يسكن فى بيت بجانب الطريق ، وكان بيته مفتوحاً لكل إنسان ، وكان صديقاً لكل عابر سبيل » ، فان كل مسيحى عابر سبيل كان يجد فى بيت أكيلا وبريسكلا ملجأ راحة وسلام . ليت الرب يمنحنا القدرة والنعمة لكى نجعل بيوتنا كلها هكذا .

ويقول بولس : « سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة » . لقد كانت قبلة السلام عادة جميلة فى الكنيسة الأولى . وربما كانت فى الأصل عادة يهودية ثم تناقلتها الكنيسة الأولى . ويظهر أنها كانت تعطى فى نهاية الصلوات وقبل أن يتناول الحاضرون من الفريضة المقدسة . وكانت إشارة ورمزاً إلى جلوسهم إلى مائدة المحبة ، وإلى أنهم متحدون معاً بالمحبة الكاملة . كما أنها لم تكن مثل القبلة التى يتبادلها الأصدقاء عندما يلتقون فى مكان ما كالسوق مثلا . وبالتأكيد لم تكن قبلة مختلطة بين الرجال والسيدات ، بل كانت بين رجل ورجل ، وبين امرأة وامرأة . وأحياناً لم تكن تعطى على الشفاه بل على الأيدى . وأطلق عليها ببساطة « السلام » . وبالتأكيد لم تكن هناك كنيسة فى حاجة إلى تذكيرها بممارسة هذه العادة الجميلة أكثر من كنيسة كورنثوس هذه ، التى مزقها الخصام والشقاق هكذا . ولماذا اختفت هذه العادة الجميلة من حياة الكنيسة ؟ ...

لقد أبطلت أو قلت ممارستها ، بالرغم من جمالها لأنها كانت عرضة لإساءة استخدامها . الأكثر من ذلك ، كانت عرضة لافتراءات الوثنيين الذين لابد أنهم أساءوا تفسيرها وتأويلها . ولكن السبب الثانى كان فى الحقيقة أن الشركة فى الكنيسة قلت وضعفت شيئاً فشيئاً . فعندما كانت الاجتماعات الصغيرة تعقد فى البيوت ، كانت هناك رابطة قوية وعلاقة وثيقة تربط جميع الأعضاء والأصدقاء الذين يلتقون هناك . ولكن عندما تحولت الاجتماعات الصغيرة إلى اجتماعات كبيرة وعندما أصبحت الغرف الصغيرة كنائس كبيرة ضاعت الألفة والمودة ، وضاعت معها قبلة السلام . لأنه كلما تتسع الكنيسة وتكبر ، وكلما يكثر عدد من يحضرون إجتماعاتها ، فانه من الصعب أن توجد الشركة الحقيقية التى فيها يعرف كل واحد الآخر معرفة حقيقية والتى فيها يحب كل واحد الآخر المحبة

الحقيقية . ومع ذلك فان الكنيسة التى هى مجرد مجموعة من الغرباء ، أو على أحسن الفروض ، مجموعة من المعارف ، ليست كنيسة حقيقية بكل معنى الكلمة .

وهكذا نصل إلى نهاية الرسالة الأولى التى تولى سكرتير ما مهمة كتابتها ، ونرى بولس فى ختامها يبعث بسلامه إلى أهل كورنثوس بخط يده . ويحذرهم من كل شخص لا يحب الرب يسوع المسيح . ثم يكتب بالأرامية عبارة « ماران أثا » التى يغلب أنها تعنى « الرب قريب » . ومن الغريب أن نجد عبارة أرامية فى رسالة باللغة اليونانية إلى كنيسة يونانية . وتفسير ذلك أن تلك العبارة كانت قد صارت بمثابة كلمة السر لدى المؤمنين فى ذلك الوقت . وهى عبارة تلخص فيها الرجاء الحيوى للكنيسة الأولى ، وكان المسيحيون يتهامسون بها الواحد مع الآخر . ويتعرف بها الواحد منهم على الآخر ، بلغة لم يكن الوثنيون يفهمونها .

وأخيراً ، يرسل بولس إلى أهل كورنثوس شيئين : نعمة المسيح ، ومحبته هو الشخصية . لقد سبق أن حذرهم وأنذرهم ووبخهم بل وحدثهم بغضب مقدس ، ولكن بعد كل ما قيل وعمل ، فان الكلمة الأخيرة الباقية هى المحبة .

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

الأصحاح الأول

نعزى لنعزى

(٢ كورنثوس ١ : ١ — ٧)

إن هذا الفصل يكاد يكون تلخيصاً للحياة المسيحية بشكل ما :

١ — يكتب بولس هذا الكلام إلى أصدقائه فى كورنثوس كانسان يعرف الضيق ويكتب إلى الذين يعانون من الضيق أيضاً . وكلمة « ضيقة » التى يستخدمها بولس هنا تصف ، فى اللغة اليونانية العادية ثقلا مادياً يوضع على جسم الإنسان . وقد كانت إحدى وسائل العقاب التى استباحها القانون الانكليزى القديم بوضع أحمال ثقيلة على صدور المذنبين لتسحقها . وهذا هو المعنى الحرفى للكلمة اليونانية المترجمة هنا « ضيقة » . وقد يجثم أحياناً على روح الإنسان ثقل كثير من أحمال هذا العالم ، وغوامضه التى يعسر فهمها أو تفسيرها ، وفى السنين الأولى للمسيحية كان الرجل الذى يختار أن يكون مسيحياً إنما يكون قد اختار لنفسه أن يواجه الضيق ويتحمله . فقد تنبذه عائلته ، ويناصبه جيرانه الوثنيون العداء وتذيقه السلطات الرسمية كل صنوف الاضطهاد والتنكيل وقد كان أمراً مكلفاً أن يكون الواحد مسيحياً حقيقياً ، فلا يمكن أن تكون هناك مسيحية حقيقية دون أن يكون فيها صليب .

٢ — والموقف الذى ينبغى أن يتحلى به كل مسيحى فى هذا الضيق هو موقف الإحتمال . والكلمة اليونانية المترجمة هنا « إحتمال » لا تعنى فى الأصل قبول الضيق والتجارب بكآبة وتذمر واستسلام ، بل تعنى الانتصار والغلبة . إنها تصف الروح التى لا تتقبل التجربة فحسب ، بل تنتصر عليها وتسمو فوقها . قال أحدهم لإنسان متألم : « إن الألم يغير لون الحياة ، أليس كذلك ؟ » فأجابه المتألم قائلا « نعم ، ولكنى أنا الذى أختار اللون الجديد » . وكما تخرج الفضة من النار أكثر نقاء وأكثر لمعاناً ، هكذا يخرج المسيحى من الظروف الصعبة وأوقات الشدة أكثر نقاء وأكثر قوة . إن المسيحى هو رجل الله « الرياضى » الذى تزداد عضلاته الروحية قوة وصلابة كلما أكثر من التدريب الشاق والتمرينات الصعبة ، وكلما واجه المزيد من مشقات الحياة ومصاعبها الكثيرة .

٣ — ولكننا لسنا متروكين وحدنا لكى نواجه هذه التجارب ونتحمل هذا الضيق . بل إن تعزية الله تغمرنا وترافقنا . فمن عدد ٣ إلى عدد ٧ ترد كلمة « تعزية » أو « يعزى » لا أقل من تسع مرات . وكلمة « تعزية » فى العهد الجديد تعنى دائماً ما هو أكثر من مجرد المؤاساة المسكنة

والمخففة للألم . إنها تؤدى دائماً المعنى اللاتينى أى « الشجاعة » . إن التعزية المسيحية هى التعزية التى تعطى شجاعة وإقداماً ، والتى تمكن الإنسان من النضال والفكاح مع كل ما قد تتعرض له حياته . وقد كان بولس متأكداً أن الله لا يرسل لإنسان ما رؤية ، دون أن يصحبها بالقوة لتحقيقها وإتمامها ، ولا يكلف إنساناً ما برسالة دون أن يمنحه العزيمة لأدائها . وإلى جانب هذا هناك دائماً إلهام معين يحمله الألم الذى يصيب الإنسان بسبب مسيحيته ، وكل جهد يبذله لأجلها . لأن مثل هذا الألم ، كما يقول بولس ، هو فى الحقيقة فيض آلام المسيح التى تلحقنا ، إذ « تكثر آلام المسيح فينا » . فهى مشاركة فى آلام المسيح . اعتاد الفارس فى أيام الفروسية القديمة أن يقوم بعمل خاص صعب ومتعب ، وفيه الكثير من المجازفة والمخاطرة ، لكى يبرهن على مدى ولائه وإخلاصه للسيدة التى يحبها . والتشبيه مع الفارق العظيم ، فإن الألم لأجل المسيح هو فى الحقيقة إمتياز وعندما تفرض الصعاب على المسيحى فانه يستطيع أن يقول كما قال القديس بوليكاربوس العجوز أسقف سمرنا ، عندما ربطوه إلى الوتد ، « أشكرك ياإلهى لأنك حسبتنى أهلا لهذه الساعة » .

٤ — والنتيجة العظمى لهذا كله هى أننا نكتسب القوة لنعزى الآخرين الذين يجتازون مثل هذه الآلام . فيقول بولس إن الأشياء التى حدثت له ، والتعزية التى نالها ، قد جعلته قادراً على أن يكون مصدر تعزية للآخرين .

يحدثنا « بارى » كيف تعزت أمه عندما فقدت ابنها العزيز ، ثم يقول : « ومن هنا كانت عينا أمى تفيضان بكل معانى الاحتمال والتعزية ، ولذلك كانت تهرع إليها الأمهات الأخريات اللواتى فقدن أولادهن » .

ولقد قيل عن يسوع نفسه : « لأنه فى ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » (عبرانيين ٢ : ١٨) . فمرحباً باختبار الألم والأسى ، إذا كان هذا الاختبار يمكننا من مساعدة الآخرين الذين يكافحون ويناضلون ضد أمواج الحياة العالية ولججها العاتية .

متكلين على الله

(٢ كورنثوس ١ : ٨ — ١١)

إن ما يسترعى انتباهنا فى هذا الفصل هو أنه لا يذكر أية معلومات عن الضيقة الفظيعة التى اجتازها بولس فى أفسس . فان شيئاً ما قد حدث له ، كان بالنسبة إليه فوق الطاقة . وكان الخطر محدقاً به حتى اعتقد بولس معها أنه قد حكم عليه بالموت وأنه لم يكن ممكناً أن ينجو ، حتى يئس من الحياة أيضاً . ومع ذلك فان بولس يكتفى هنا ، وفى مواضع أخرى من هاتين الرسالتين ، بمجرد الإشارة إلى هذه الحادثة ، وإلى بعض الحوادث الأخرى المماثلة دون أن يشرح بالتفصيل ما حدث . هذا مع أننا كبشر نميل إلى المبالغة والتهويل فى وصف ما قد نجتازه من شدائد أو

ضيقات . فالشخص الذى عملت له عملية جراحية بسيطة يحاول أن يجعل منها موضوع حديثه لمدة طويلة .

حدثنا أحدهم عن رجلين التقيا زمن الحرب ليعقدا صفقة تجارية . وكان أحدهما يحكى فى حماس واهتمام بالغ كيف تعرض القطار الذى كان يستقله لغارة جوية عنيفة . وكان يعيد حديثه عن ذلك الخطر العظيم وعن نجاته بأعجوبة . ولم يقاطعه الشخص الآخر بكلمة ، ولكنه عندما انتهى من حديثه قال له الثانى فى هدوء : « حسناً ، دعنا الآن نتقدم لإنهاء صفقتنا . إنى أريد أن ننتهى بسرعة لأن بيتى قد حطمته القنابل تماماً فى الليلة الماضية » . ومن هذا نرى أن الناس الذين يقاسون المصائب العظيمة هم فى العادة أقل الناس حديثاً عنها .

اعتاد الملك جورج الخامس أن يقول : « إذا لم يكن هناك مفر من أن أقاسى أو أتألم ، فدعنى أخلو إلى نفسى لأتحمل الألم وحدى فى هدوء » . وهذا ما فعله بولس . فانه لم يستعرض آلامه ومصائبه ولم يسجلها باستفاضة وإسهاب . وعلينا نحن الذين تقل آلامنا عن ذلك أن نقتدى بمثاله .

ولكن بولس رأى أن ذلك الاختبار الفظيع الذى اجتازه كانت له فائدة عظمى — ففيه قاده الله لكى لا يكون متكلا على نفسه بل عليه . إن خطر النجاح واليسر هو أنه يقودنا إلى استقلال مزيف ، ويجعلنا نعتقد أننا نستطيع أن ندبر أمور حياتنا بمفردنا . إن كل صلاة ترفع إلى الله فى أوقات اليسر يقابلها عشرة آلاف صلاة ترفع فى أوقات الضيق والعسر .

كما قال لنكولن : « لقد اضطررت فى أغلب الأحيان أن أركع على ركبتى فى الصلاة ، لأنه لم يكن أمامى أى مكان آخر أذهب إليه » .

إن الإنسان فى أغلب الأحيان لا يكتشف أصدقاءه الحقيقيين إلا فى أوقات الشدة والمصائب . لذلك كثيراً ما نحتاج إلى أوقات الشدائد والمحن والمصائب لنرى كم نحتاج إلى الله ولا نستطيع أن نستغنى عنه .

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت لبولس ثقة فى الله لا تتزعزع . وقد علم الآن بما لا يقبل الشك مقدار ما يستطيع الله أن يفعله لأجله . فاذا كان الله قد استطاع أن ينقذه من هذه الضيقة ويخرجه منها بسلام ، فانه يستطيع إذاً أن يجيزه فى أية ضيقة أخرى دون أن يصيبه أذى أو ضرر . وما أجمل صيحة صاحب المزامير « لأنك أنقذت نفسى من الموت وعينى من الدمعة ورجلى من الزلق » (مزمور ١١٦ : ٨) .

وقد تجددت حياة يوحنا بنيان عندما سمع بعض السيدات العجائز يتحدثن عما فعله الله لنفوسهن . إن ثقة المسيحى فى الله ليست شيئاً نظرياً أو خيالياً ، لكنها شىء حقيقى يستند إلى التجربة والاختبار . فهو يعلم ما فعله الله له ، ولذلك فهو لا يخاف على الإطلاق .

وأخيراً يطلب بولس من الكورنثيين أن يصلوا لأجله . وهنا نلاحظ ، كما سبقت الإشارة ، أن أعظم القديسين لا يستحى أن يطلب من أقل الإخوة أن يصلوا لأجله . وربما لا يكون لدينا من الأشياء المادية التى نستطيع أن نعطى منها لأصدقائنا سوى القليل جداً . وربما اشتاقت نفوسنا أن

يكون لنا من هذه الأشياء الكثير حتى نستطيع أن نعطى أحباءنا بسخاء . ولكن مهما كانت ممتلكاتنا المادية قليلة وتافهة ، فاننا نستطيع أن نعطى أصدقاءنا وأحباءنا الكثير من كنز صلواتنا التى لا تقدر بثمن .

فخرنا الوحيد

(٢ كورنثوس ١ : ١٢ ــ ١٤)

هنا نبدأ فى ملاحظة الاتهامات الخفية التى كان الكورنثيون يتهامسون بها ضد بولس ، والافتراءات والوشايات التى كانوا يحاولون أن يثلموا صيته بها .

١ ــ ولعلهم كانوا ينسبون إليه بعضاً من التصرفات السرية والسلوك الخفى مما لم يكن يبدو للعيان . وكانت إجابة بولس على ذلك أنه كان يعيش فى قداسة وإخلاص الله . فليس فى حياته أية أعمال أو تصرفات خفية ، وهذه البساطة النقية يمكن أن تضاف إلى قائمة التطويبات « طوبى للانسان الذى ليس له ما يخبئه أو يخفيه » . ومن الطرائف القديمة أن إنساناً جعل يتنقل مرة من باب إلى باب وهو يقول للناس فى كل بيت : « اهربوا ! إن كل شيء قد اكتشف ! » : والغريب أن عدداً كبيراً من الناس قد تركوا بيوتهم فعلا وهربوا . ويقال إن مهندس مبان عرض مرة على فيلسوف يونانى أن يبنى له بيتاً يستحيل على أحد خارجه أن يرى شيئاً بداخله . ولكن الفيلسوف أجابه قائلا : « إننى مستعد أن أعطيك ضعف المبلغ الذى تطلبه لنفقات البناء إذا كنت تبنى البيت بحيث يستطيع أى واحد من الخارج أن يرى ما بداخل كل غرفة فيه » . إن الكلمة الأصلية التى يستخدمها بولس هنا والمترجمة « إخلاص » كلمة جديرة بالتأمل حقاً . فهى يمكن استخدامها لوصف شيء يلمع عندما يوضع أمام أشعة الشمس . وما أسعد الإنسان الذى تتحمل كل تصرفاته مواجهة نور النهار ، والذى يستطيع أن يجاهر ــ كما جاهر بولس ــ بأنه لا توجد أية أفعال أو تصرفات خفية .

٢ ــ وكان هناك من ينسب لبولس دوافع خفية . وكانت إجابة بولس أن كل تصرفاته لم تكن تدفع إليها أو تحكمها حكمة جسدية بل نعمة الله . فلم تكن هناك فى حياة بولس أية دوافع خفية أو مستترة . وإذا كنا أمناء تماماً وصرحاء مع أنفسنا فاننا نعترف أننا قلما نعمل شيئاً دون أن يكون فى نفوسنا مزيج من الدوافع والبواعث . وحتى عندما نعمل الأشياء الحسنة ، قد يكون الباعث عليها الحذر أو التعالى أو حب إثبات الذات أو الخوف أو انتظار المكافأة والجزاء . وقد لا يرى الناس هذه البواعث ، ولا يكتشفونها . ولكن كما قال توما الأكوينى : « الإنسان يلاحظ العمل ويحكم عليه ، أما الله فانه يرى الباعث والنية التى تدفع إليه » . فاذا كانت طهارة العمل ونقاؤه والإخلاص فيه أمراً صعباً ، فان طهارة البواعث ونقاءها والإخلاص فيها أصعب بكثير . ولا يمكن أن تتسم أعمالنا وبواعثنا بالطهارة والنقاء والإخلاص إلا إذا كنا نستطيع أن نقول إن الذات القديمة فينا قد ماتت ، وإن المسيح هو الذى يحيا فينا .

٣ — وكان هناك من يقولون إن بولس فى رسائله لم يكن يعنى تماماً ما كان يقوله . وكانت إجابة بولس على ذلك أنه لم تكن هناك معان خفية أو مستترة لكلماته . والألفاظ كثيراً ما يشذ معناها وتكون قابلة للتلاعب بها . فقد يستعمل إنسان ما كلمات معينة ليكشف بها عن أفكاره يعلنها ، وقد يستعمل الكلمات عينها ليخفى بها أفكاره أو يداريها . وقليلون منا هم الذين يستطيعون أن يقولوا بأمانة وإخلاص إنهم يقصدون المعنى الحقيقى الكامل لكل كلمة يتفوهون بها . فقد نقول شيئاً ما لأنه هو الشىء الصائب فعلا ، وقد نقوله لمجرد المجاملة وإرضاء الآخرين ، وقد نقوله لتجنب المتاعب والمضايقات . وإذ رأى الرسول يعقوب أخطار اللسان واضحة وبينة ، قال : « إن كان أحد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل » (يعقوب ٣ : ٢) . إن الرجل الذى يستطيع أن يقول بأنه يعنى كل كلمة يقولها لهو رجل جدير حقاً بأن يشار إليه بالبنان .

وفى حياة بولس لم تكن هناك أعمال خفية أو بواعث مكنونة أو معان مستترة خلف كلامه . لقد كانت أعماله وبواعثه ومعانيه فى بساطة وإخلاص الله . وهذه حقاً أشياء جديرة بأن نجعلها هدفا لنا نقتدى بها .

« نعم » الله فى يسوع المسيح

(٢ كورنثوس ١ : ١٥ — ٢٢)

إن هذا الفصل يبدو لأول وهلة أنه صعب الفهم . وبين سطوره نستطيع أن نلمح اتهاما آخر وفرية أخرى ضد بولس . فقد وعدهم أنه سيزورهم ، ولكن عندما أصبح الموقف متأزما أجل زيارته لهم إشفاقاً عليهم ، وحرصاً منه على ألا يسبب لهم أى ألم (عدد ٢٣) . وعندئذ أسرع أعداؤه فاتهموه بأنه رجل يقول نعم ولا فى نفس الوقت . وقالوا إنه أعطى وعوداً طائشة مستهترة مترددة متقلبة ، وأنه لم يكن ممكنا أن يوثق فى كلامه أو يصدق فى وعوده بنعم أو لا . ومع أن هذا الاتهام كان إلى هذا الحد سيئا وشنيعاً ، ولكنهم استطردوا يجادلون قائلين : « إذا كنا لا نستطيع أن نثق فى مواعيد بولس اليومية . وإذا كنا لا نستطيع أن نعتمد عليه فى عمل ما وعد بعمله ، فكيف نستطيع أن نثق فيما يقوله لنا عن الله ! وكيف نؤمن أن كل مواعيد الله التى ذكرها لنا صادقة وحقيقية ؟ » .

وكان جواب بولس على هذا أننا نستطيع أن نعتمد على الله ، وأنه فى يسوع المسيح لم يكن هناك تردد أو ذبذبة بين نعم أو لا . ثم يلخص الأمر فى عبارة حية ساطعة بقوله : « مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم » ، أى أن يسوع هو النعم لكل مواعيد الله . وهو يعنى بهذا أنه لو لم يأت يسوع لكان لنا أن نشك فى مواعيد الله العظمى والثمينة . وربما جاز لنا أن نقول إنها مواعيد صالحة جداً وعظيمة جداً بحيث يجوز لنا أن نصفها كالمواعيد البشرية حقيقية أو صادقة .

ولكن الإله الذى يحبنا حتى أنه أعطانا ابنه لابد أنه يفى بكل وعد قطعه . وحقيقة مجىء يسوع هى فى حد ذاتها دليل على صدق مواعيد الله وتحقيق لها . وكأن يسوع يكتب بنفسه آخر كل وعد من وعود الله « نعم ! هذا حق ! » . إن يسوع هو الضامن والكفيل الشخصى . على أن مواعيد الله ، أعظمها وأقلها على السواء ، لابد أن تكون حقيقية وصادقة . ويستطيع كل إنسان أن يثق فى هذا بدون ريب ، وأن يؤمن بدون تساؤل ، وأن يعتمد كلية على المحبة التى تحقق له ذلك .

ومع أن الكورنثيين كانوا يفترون على بولس ، فاننا نجد فى هذا درساً نافعاً ـــ إن الثقة فى الرسول أو المرسل تؤثر فى الثقة فى الرسالة التى يحملها . والوعظ دائماً ما هو إلا توصيل الحق عن طريق شخصية . وإذا لم يكن ممكناً أن يثق إنسان ما فى الواعظ فليس محتملا أنه يثق فى رسالته . وقد كان من بين القواعد اليهودية الخاصة بأخلاق المعلم وسلوكه أنه ينبغى ألا يعد تلاميذه بشىء يعلم أنه لا يستطيع عمله أو ليس له نية عمله . فان ذلك سيعود التلاميذ على الكذب والبهتان . وهنا نجد تحذيراً أن الوعود لا ينبغى أن تعطى جزافاً أو باستخفاف . فان الوعود التى تعطى باستخفاف تكسر وتنكث باستخفاف أيضاً . وقبل أن يعطى إنسان وعداً ينبغى أن يحسب نفقات الوفاء به والمحافظة عليه ، وأن يكون متأكداً من أنه قادر وعازم على أن يفى به .

ويستطرد بولس فيذكر شيئين عظيمين جداً :

١ ـــ أننا بيسوع نقول : « آمين » لمواعيد الله . ونحن نختم صلواتنا بالقول « بيسوع المسيح ربنا . آمين » . وعندما نقرأ كلمة الله كثيراً ما نختتمها بالقول « آمين » . و « آمين » تعنى « ليكن كذلك » والحقيقة العظمى هى أن « آمين » ليست مجرد عادة رسمية أو طقسية ، ولكنها الكلمة التى تعبر عن ثقتنا المبينة على مجىء يسوع . ونحن نستطيع أن نقدم صلواتنا لله بكل ثقة ، وبكل ثقة أيضاً نستطيع أن نملك كل مواعيد الله العظيمة ويقين صلواتنا ستسمع ، وأن كل المواعيد العظمى هى حقيقية وصادقة . لأن يسوع هو الضامن ، وهو « نعم » الله التى لا تكسر أبداً .

٢ ـــ وختاماً ، يتحدث بولس عما يسميه « عربون » الروح . والعربون هو بمثابة القسط الأول الذى يؤكد ويضمن أن الباقى سيتبع . وهى كلمة شائعة ومعروفة فى المعاملات التجارية والقانونية ، وتستعمل للدلالة على أن كل بنود العقد سيتم الوفاء بها بضمان هذا العربون . وهكذا عندما يتحدث بولس عن الروح القدس « كعربون » يعطيه الله لنا ، فهو إنما يعنى أن نوع الحياة التى نحياها فى الروح القدس وبمعونة الروح القدس إنما هى بمثابة القسط الأول من الحياة فى السماء ، والضمان على أن ملء هذه الحياة وكما لها سيتحقق لنا يوما ما . إن عطية الروح القدس هى إشارة وعهد من الله أنه لا تزال هناك أشياء أعظم تنتظرنا فى المستقبل .

عندما ينتهر قديس

(٢ كورنثوس ١ : ٢٣ ـــ ٢ : ٤)

هنا نستطيع أن نسمع صدى الأشياء المحزنة والمؤلمة . وكما رأينا فى المقدمة لابد أن تتابع الحوادث على هذا النحو : كان الموقف فى كورنثوس قد صار من سيىء إلى أسوأ . وكانت الكنيسة قد مزقتها الإنقسامات والتحزبات ثم كان هناك من ينكر سلطان بولس . وأراد بولس أن يصلح الأمور فقام بزيارة خاطفة لكورنثوس . ولكنه لم ينجح فى مهمته ، الأمر الذى ملأ قلبه بالألم والحزن الشديد . ونتيجة لذلك كتب إليهم رسالة توبيخ عنيفة وشديدة اللهجة ، رسالة كتبها بدموع وبقلب كسير . وكان هذا الأمر بالذات هو السبب الذى جعل بولس لا يفى بوعده بزيارته لهم ثانية . لأن الزيارة ، والأمور على هذه الحال ، كان لابد أن تحزنه هو وأن تحزنهم هم أيضاً .

ويتجلى لنا من عبارات هذا الفصل كل مشاعر قلب بولس عندما اضطر أن يكون عنيفاً وصارماً مع الذين كان يحبهم . وهنا نرى بأجلى بيان كيف ينتهر القديس عندما يتحتم عليه أن ينتهر الآخرين :

١ ـــ لقد اضطر بولس ـــ على غير إرادته ورغبته ـــ أن يلجأ إلى الانتهار الصارم . ولم يلجأ إلى ذلك إلا مرغماً مضطراً ، بعد أن لم تفلح معهم أية وسيلة أخرى وهناك أناس يفتحون أعينهم دائماً لتلمس أخطاء الآخرين ، ويحفزون ألسنتهم لانتقادهم وإدانتهم وينهشون بأصواتهم الحادة سمعتهم . ولكن بولس لم يكن هكذا ، بل كان فى انتهاره وصرامته حكيماً . فاذا كنا دائماً ننتقد الآخرين ونبحث عن أخطائهم ، وإذا كنا قد اعتدنا الغضب والخشونة والغلظة فى معاملة الآخرين ، وإذا كنا ننتهرهم ونوبخهم أكثر مما نمدحهم أو نثنى عليهم ، فان الحقيقة الحتمية التى تنتج عن ذلك هى أن انتهارنا أو توبيخنا سيفقد أثره ويصبح بلا جدوى . فان استمرار التوبيخ والتعنيف والانتهار يقلل بلاشك من قيمته ويضعف من تأثيره وكلما كان التجاء الإنسان إلى التوبيخ والانتهار نادراً أو قليلا ، وكان أثره كبيراً عندما يضطر فى النهاية لاستخدامه كوسيلة لمحاولة العلاج أو الإصلاح . هذا وإن عينى المسيحى الحقيقى تبحثان دائما عن النواحى الطيبة التى تمدحها وتثنى عليها ، وليس عن الأشياء التى تنتقدها وتدينها .

٢ ـــ وعندما انتهر بولس ، فانه فعل ذلك فى محبة . إنه لم يتكلم فى كل حياته لمجرد أن يؤذى أو يجرح مشاعر الآخرين . هناك أناس يجدون لذة فى رؤية أحدهم عندما يجفل أو يفزع لكلمة قاسية عنيفة . ولكن بولس لم يكن هكذا . فهو لم ينتهر لكى يؤلم ، لكنه انتهر لكى يعيد البهجة ويجدد الفرح . عندما كان جون نوكس فى ساعاته الأخيرة على فراش الموت قال : « الله يعلم أن قلبى كان دائماً خالياً من الكراهية للناس الذين كنت أرعدهم بأقسى وأعنف أحكامى عليهم وإدانتى لهم » . إنه لفى الإمكان أن نكره الخطية ولكن نحب الخاطىء . إن الانتهار المؤثر المصلح حقاً هو الانتهار الذى يقدم بينما ذراع المحبة تحوط بالشخص الذى تنتهره . إن الإنتهار الذى يقدم فى غضب

وهياج شديد قد يؤذى وقد يخيف ويرعب ، ولكن انتهار المحبة الجريحة المتألمة هو وحده الذى يذيب القلب ويحطم قساوته وعناده .

٣ — وعندما انتهر بولس ، فان آخر شيء كان يريده أو يفكر فيه هو أن يسود أو يسيطر . إن الخطر العظيم الذى قد يتعرض له الواعظ أو المعلم هو خطر التفكير فى أنه من واجبه أن يحث الآخرين أو أن يجبرهم على أن يفكروا كما هو يفكر بالضبط ، وأنه إذا لم يوافقوا على كل ما يعتقده هو ، وإذا لم ينظروا إلى الأمور بمثل نظرته هو ، فلابد أنهم مخطئون . ولكن واجب المعلم الأول ليس أن يفرض معتقداته على الناس الآخرين ، بل أن يمكنهم ويشجعهم على أن يصلوا بأنفسهم إلى معتقداتهم الخاصة . فان الهدف ليس هو القضاء على شخصية الفرد وانطفائها ، بل بالعكس ، هو تنميتها وإبرازها . وليس الهدف هو خلق أفرادهم نسخة باهتة من شخصية الواعظ أو المعلم ، بل خلقهم شخصيات إنسانية مستقلة . ولقد عرف بولس جيداً أنه كمعلم لا ينبغى أن يسود أو يسيطر ، مع أنه كان ينبغى عليه أحياناً أن يهذب ويرشد .

٤ — وأخيراً ، وبالرغم من عدم رغبة بولس فى الانتهار ، وبالرغم من رغبته فى رؤية أفضل الأشياء فى الآخرين ، وبالرغم من كل ما كان فى قلبه من محبة ، بالرغم من كل ذلك فاننا نرى بولس يلجأ إلى الانتهار عندما يراه ضرورة لامناص منها . فهو لا يريد أن يفعل ذلك ، ولكنه لا يتردد أو يتراجع عنه عندما يراه أمراً حتمياً . عندما انتهر جون نوكس الملكة مارى بسبب مشروع زواجها من « دون كارلوس » ، حاولت الملكة أن تنتزع موافقته ، فجربت إظهار الغضب الشديد ثم جربت ذرف الدموع الغزيرة . ولكن نوكس أجابها قائلا : « لم أبتهج قط لبكاء أى واحد من مخلوقات الله . ولست أستطيع أبداً أن أفرح لبكاء جلالتك . ولكن ينبغى أن أحتمل ، ولو على غير إرادتى ، دموع جلالتك ، أفضل من أن أجرؤ على الإساءة إلى ضميرى وخيانة بلادى بصمتى عن قول ما ينبغى قوله » . وكم من المرات التى نحجم فيها عن الانتهار بسبب شفقة مغلوطة ، أو بسبب الرغبة فى تجنب المتاعب .

ولكن تجنب المتاعب قد يكون فى بعض الأوقات بمثابة تخزين للمتاعب وتجنب الخطر والصدام عن طريق التخاذل والجبن باسم المحافظة على السلام قد يحمل بين طياته خطراً أعظم . وإذا كنا نسترشد فى حياتنا بالمحبة والتبصر ، ليس لأجل ذواتنا أو كبريائنا الشخصية ، بل لأجل صالح الآخرين وخيرهم النهائى ، فاننا سنعرف أن نميز بين الوقت الذى ينبغى علينا فيه أن نتكلم ، والوقت الذى ينبغى علينا فيه أن نصمت .

طلب مسامحة الخاطىء

(٢ كورنثوس ٢ : ٥ ــ ١١)

مرة ثانية نجد أمامنا هنا فصلا هو صدى للمتاعب وللحزن . فعندما زار بولس كورنثوس وجد هناك شخصاً يتزعم المعارضة . وقد عمل هذا الرجل كل ما فى وسعه على تشويه وإفساد هذه الزيارة القصيرة غير السعيدة . ومن الواضح أنه قد أهان بولس وأساء إليه شخصياً . وكان بولس قد أصَر على ضرورة توقيع التأديب والجزاء عليه . وكانت أغلبية الكورنثيين قد رأت أن سلوك هذا الرجل لم يسىء إلى بولس فقط بل أساء إلى شرف وسمعة كنيسة كورنثوس كلها . وقد وقع عليه التأديب بالفعل ، ولكن كان هناك بعض الأشخاص الذين شعروا أن ذلك العقاب لم يكن شديداً كما ينبغى ، ومنهم من كانوا يرغبون فى اتخاذ إجراءات أكثر صرامة وقسوة معه ، وفى فرض عقاب أشد عليه . وهنا تبرز عظمة بولس وتتجلى . فهو يناشدهم الاكتفاء بما عمل مع هذا الرجل فان الكورنثيين قد أظهروا طاعتهم بممارستهم التأديب . وقد ندم الرجل الآن على ما فعل . وتوقيع المزيد من التأديب عليه قد يضر أكثر مما ينفع ، فقد يقوده إلى اليأس ، وهذا لا يخدم المسيح أو الكنيسة ، بل بالعكس يعطى فرصة للشيطان ليمارس منها قوته المجربة وليستحوذ على الرجل ويضعه تحت سلطانه . ولو أذعن بولس للدوافع والحوافز البشرية فقط لطرب بلاشك للمصير الصعب الذى وصل إليه عدوه السابق . فلاشك أن الطبيعة البشرية تبتهج عندما ترى الجزاء يصب ويكوم فوق رأس الخصم . ولسنا نرى عظمة شخصية بولس تتجلى فى أى مكان آخر قدر تجليها عندما نراه بكل النعمة والمحبة المتدفقة من قلبه يطلب الرحمة لإنسان كان عدوا له . وهكذا يقدم لنا مثلا أعلى للسلوك المسيحى الذى يجب أن نلتزم به عندما نهان أو يساء إلينا من أحد .

١ ــ إن بولس لم يعتبر الأمر مسألة إهانة شخصية وجهت له . فلم يكن الأمر الذى يهمه هو الإساءة التى جرحت مشاعره الشخصية ولكن الأمر الذى كان حريصاً عليه هو سلام الكنيسة واستتباب النظام فيها . هناك بعض الناس الذين يأخذون كل شيء على محمل شخصى . فالنقد مثلا ، حتى إذا كان يوجه فى لطف ورفق ، يعتبرونه إهانة وإساءة شخصية . ومثل هؤلاء الناس يصبحون أكثر تشويشاً للسلام فى الكنيسة أكثر من أية فئة أخرى ولعله مما يجدر بنا أن نذكره أن النقد والنصح إنما يقدمان لنا عادة ليس للإساءة إلينا بل لمساعدتنا ، ليس لنكف عن الخدمة بل لنكون خداماً أفضل للمجتمع أو للكنيسة .

٢ ــ إن الدافع الذى كان يحفز بولس إلى ممارسة التأديب لم يكن هو الانتقام بل الإصلاح والتقويم . فهو لم يكن يهدف إلى أن يلقى بانسان أرضاً ، بل أن يساعده على النهوض والوقوف على قدميه . ولم يكن يحكم على إنسان أو يدينه بحسب قواعد ومقاييس العدالة المجردة ، بل بقواعد وأصول المحبة المسيحية . وبعبارة أخرى لم يكن هدفه مجرد عقاب إنسان فعل شراً أو ارتكب إثماً بقدر ما كان هدفه تغيير هذا الإنسان وإصلاحه . وكثيراً ما تكون الخطايا صفات طيبة انحرفت

أو أخطأت السبيل .

فالرجل الذى يستطيع أن يدبر خطة ناجحة للسطو والسرقة لابد أن يكون له ذهن قادر على الابتكار والتنظيم . والكبرياء هى نوع من المبالغة فى النزعة الاستقلالية والإحساس بالقدرة على الاعتماد على النفس . والبخل الدنىء الخسيس هو المبالغة فى الاقتصاد . وهكذا دواليك . ولم يكن هدف بولس من التأديب أن يستأصل مثل هذه الصفات التى قد تتوافر فى شخص ما ، بل بالحرى أن يهذبها ويسمو بها ، ويشق أمامها الطريق السليم ليصل بها إلى الأهداف العليا السامية . والواجب المسيحى لا يجعلنا نحاول أن نشل الخاطىء ونكبته ونخضعه حتى يكف عن الأذى ، بل أن نحفزه إلى الصلاح ونشجعه عليه ليصبح قديساً .

٣ — يصر بولس على أن العقاب يجب ألا يصل إلى الدرجة التى تبعث على الفشل وتدفع الرجل إلى هوة اليأس والقنوط . فالمعاملة الخاطئة قد تقذف به نهائياً إلى أحضان الشيطان . والمبالغة فى استعمال القسوة قد تقوده بعيداً عن الكنيسة وشركتها ، بينما قد يعيده إليها ويقومه الإصلاح المترفق الشفوق . فقد كانت معاملة الأم القاسية سبباً فى إصابة « مارى لامب » باختلال العقل . وكانت الابنة تصيح دائماً « لماذا لم أتمكن من عمل أى شىء يسر أمى ؟ » . واستطاع لوثر بصعوبة أن يصلى الصلاة الربانية لأن أباه كان عنيفاً صارماً معه حتى صارت كلمة أب مرتبطة فى ذهنه بصورة قاتمة من الرعب والفزع . واعتاد بعد ذلك أن يقول : « لا تمنع التأديب عن الولد لأنك إن ضربته بعصا لا يموت — نعم ، هذا صحيح ، ولكن ، إلى جانب العصا ، ليكن معك تفاحة تعطيها له إذا عمل حسناً » . إن العقاب يجب أن يكون مشجعاً لعمل الصواب وليس مثبطاً للهمة . إنه لا ينبغى أن يهدف إلى توليد اليأس الذى يجعل الرجل يبطل وينبذ كل كفاح فى سبيل الصلاح والصواب ، بل ينبغى أن يكون لإيجاد حافز جديد ، ونظرة جديدة تدفع بالرجل إلى كفاح أعظم وأكثر نجاحاً . وهذا لا يتأتى إلا إذا كنا ، عندما نعاقب شخصاً ما ، نحرص على أن نبين له بوضوح أننا لا نزال نثق فيه ونحبه .

فى نصرة المسيح

(٢ كورنثوس ٢ : ١٢ — ١٧)

يذكر بولس فى بداية هذا الفصل كيف أن اهتمامه الشديد بمعرفة ما كان يحدث فى كورنثوس قد جعله قلقاً حتى أنه لم يستطع الانتظار فى ترواس ، مع أن حقل الخدمة هناك كان مفتوحاً وكان خصيباً ، فأسرع لمقابلة تيطس الذى لم يكن قد وصل بعد . وهناك يطلق بولس صيحة الانتصار والشكر لله الذى أتى بكل الأشياء إلى خاتمة سعيدة .

وقد تبدو الأعداد من ١٤ — ١٦ صعبة الفهم عندما نتأملها قائمة بذاتها ، ولكن عندما نتأملها

فى ضوء الأرضية الفكرية التى كانت أفكار بولس متأثرة بها فاننا نجد فيها صورة زاهية بهية . إذ يتحدث بولس عن قيادتنا فى موكب نصرة المسيح ، ثم يستطرد فيتحدث عن كوننا رائحة المسيح الذكية أمام الناس ، رائحة موت بالنسبة لبعضهم ، ورائحة حياة بالنسبة لأناس آخرين .

وقد كان فى ذهن بولس صورة موكب النصرة الرومانى ، وصورة المسيح باعتباره المنتصر الأعظم فى كل الكون . وقد كان التقدير الحقيقى والتشريف لقائد رومانى منتصر هو أن يعمل له موكب نصرة . وقبل أن ينال هذا الشرف العظيم يجب أن يكون قد استوفى شروطاً معينة . فلابد أن يكون هو القائد الفعلى المسئول فى ميدان المعركة . ولابد أن تكون الحملة قد انتهت تماماً وأن يكون الهدوء قد ساد المنطقة وأن تكون القوات المنتصرة قد عادت إلى أرض الوطن . ولابد أن يكون خمسة آلاف جندى على الأقل من جنود الأعداء قد سقطوا قتلى فى معركة واحدة . ولابد أن تكون مساحة من الأرض قد كسبت فعلا وأضيفت إلى ممتلكات الدولة ، ولا يكون الأمر مجرد استرداد لخسارة لحقت أو صد لاعتداء وقع . كما كان يشترط أن يكون النصر الذى تم قد أحرز على عدو أجنبى وليس فى حرب أهلية . وعندما تتوافر الشروط الفعلية لهذا النصر كان موكب القائد المنتصر يسير فى شوارع روما إلى هيكل الكبيتول على النحو التالى :

يسير أولا كبار موظفى الدولة وأعضاء مجلس الشيوخ أو مجلس الأعيان ثم يتبعهم نافخو الأبواق . وبعدهم تحمل الغنائم المنهوبة من البلد المهزوم . فمثلا عندما هزم تيطس القائد الرومانى أورشليم حمل الشمعدان ذا السبعة فروع فى الهيكل ، والمائدة الذهبية ، والأبواق الذهبية ــ حملت كل هذه الأشياء وطافوا بها فى شوارع روما . ثم كانوا يحملون فى الموكب أيضاً صور البلد المهزوم ونماذج للقلاع والسفن المهزومة . ويتبع ذلك الثور الأبيض الذى كان سيقدم كذبيحة . وبعد ذلك كان يسير الأسرى التعساء ، وأمراء العدو وزعماؤه وقادة جيشه مقيدين بالسلاسل ليزج بهم فى السجن حالا بعد انتهاء الموكب . ثم يسير الموسيقيون حاملين قياثيرهم وأعوادهم ، يتبعهم الكهنة حاملين مباخرهم التى يحترق فيها البخور ذات الرائحة العبقة . وبعد ذلك كله كان يأتى قائد الجيش نفسه واقفاً فى عربة يجرها أربع جياد . وكان يلبس صديريا أرجوانياً مطرزاً بالذهب ومزيناً بنجوم ذهبية . وكان يمسك فى يده بصولجان من العاج عليه النسر الرومانى ويضع فوق رأسه تاج الإله جوبيتر . وخلفه كانت تركب عائلته . وأخيراً كان يأتى جنود الجيش لابسين كل أوسمتهم ونياشينهم وهم يصيحون صيحة النصر . وهكذا كان الموكب يخترق الشوارع ، والكل يحملون أوسمتهم وأكاليلهم ، وسط الجموع الهاتفة المهللة ، فى يوم النصر العظيم ، ذلك اليوم الذى قد لا يحدث أكثر من مرة واحدة فى العمر . هذه هى الصورة التى كانت فى ذهن بولس .

فهو يرى فى المسيح القائد المنتصر سائراً فى موكب نصرته فى جميع أنحاء العالم ، وهو يرى نفسه سائراً فى موكب نصرته هذا ويؤكد أن هذه النصرة لا يستطيع شىء ما أن يعوقها أو يعترض سبيلها . وكما رأينا فى ذلك الموكب كان الكهنة يسيرون بمباخرهم المليئة بالبخور . التى تبعث للقائد وللمنتصرين معه رائحة الفرح والنصرة والحياة ، ولكنها فى نفس الوقت كانت بالنسبة للأسرى البؤساء ، الذين كانوا يسيرون على مقربة منهم ، رائحة الموت لأنها كانت تشير إلى هزيمتهم الماضية

وإلى حكم الإعدام الذى ينتظرهم . وهكذا كانت فكرة بولس عن الذين كانوا يسمعون الكرازة بانجيل المسيح المنتصر . منه أو من زملائه الرسل . فبالنسبة للذين يقبلونه ويخلصون هى رائحة حياة ، كما كانت بالنسبة للمنتصرين من الرومان ، وبالنسبة للذين يرفضون هى رائحة موت ، كما كانت بالنسبة للمقهورين المغلوبين . والشيء الواحد الذى كان بولس متأكداً منه ، دون أدنى شك ، هو أنه ليس فى وسع العالم كله أن يهزم المسيح . ولذلك لم يكن يحيا فى خوف متشائم ، بل فى رجاء مجيد يعرف عظمة المسيح التى لا يمكن أن تهزم أو تقهر أبداً .

ثم يعود الصدى الحزين يتردد مرة أخرى فى ختام هذه الآيات . فقد كان هناك من كانوا يقولون عنه إنه لم يكن يصلح للكرازة بالمسيح . بل كان هناك من يوغل فى سوء النية فيقول عنه إنه كان يستخدم الإنجيل كتجارة ، وكوسيلة ليملأ بها جيوبه بالمال . وهنا يستخدم بولس مرة أخرى كلمة « إخلاص » . فان دوافعه ونياته لم تكن تخشى مواجهة أشعة الشمس الكاشفة ، وكانت إرساليته من الله ، ولذلك كان مستعداً للفحص الدقيق من المسيح نفسه . إن بولس لم يكن يخاف أبداً مما قد يقوله الناس عنه ، لأن ضميره كان يؤكد له موافقة الله ورضاء المسيح .

الأصحاح الثالث

كل واحد هو رسالة المسيح

(٢ كورنثوس ٣ : ١ — ٣)

كانت هناك عادة شائعة فى العالم القديم ، وهى عادة إرسال رسائل توصية مع الأشخاص. فاذا كان شخص ما ذاهباً إلى مجتمع غريب ، فانه كثيراً ما يأخذ معه رسالة توصية من أحد أصدقاءه الذين يعرفون أحد الناس فى ذلك المجتمع ، وذلك ليقدمه إليه أو ليشهد له عن أخلاقه . وهذه الرسائل هى أقرب ما تكون إلى الشهادات أو المراجع التى نعرفها اليوم . ومن أمثلة تلك الرسائل رسالة كتبها شخص يدعى « أوريليوس أرخيلاوس » ، كان جندياً يتمتع بامتيازات خاصة ، إلى « يوليوس دومديوس » الذى كان قائداً لفرقة ومحاميا عسكرياً ، يقدم إليه فيها شخصاً يدعى « ثيون » ويوصيه به . تقول الرسالة : « إلى يوليوس دومديوس المحامى العسكرى وقائد الفرقة من جنديه أوريليوس أرخيلاوس . تحياتى . سبق أن أوصيتكم بصديقى ثيون ، وهأنذا الآن أيضاً أسألكم ياسيدى أن يحظى برعايتكم وعنايتكم واهتمامكم كما لو كنتم تفعلون ذلك بى أنا . لأنه رجل جدير بمحبتكم ، إذ أنه ترك أهله وممتلكاته وعمله وتبعنى ، وقد بذل الكثير من أجل سلامتى . ولذلك أرجوكم أن تمنحوه حق الحضور لرؤيتكم . وهو يستطيع أن يخبركم بكل شىء عن عملنا ... لقد أحببت هذا الرجل ... وإنى أتمنى لكم ، ياسيدى ، مع عائلتكم ، سعادة عظيمة وعمراً طويلاً وصحة طيبة . وأرجو أن تكون هذه الرسالة أمام أنظاركم لتذكركم بى . والسلام » . كانت هذه الرسالة عينة من رسائل التوصية التى كان بولس يشير إليها . وهناك رسالة مثل هذه فى العهد الجديد .

فان الأصحاح السادس عشر من الرسالة إلى أهل رومية هو بمثابة رسالة توصية كتبها بولس إلى كنيسة رومية ليقدم إليهم فيبى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا وليوصيهم بها . ولكن أحيانا لم يكن فى العالم القديم ، كما هو الحال فى أيامنا الحاضرة ، لهذه الشهادات أو التوصيات المكتوبة قيمة كبيرة . فقد طلب أحدهم مرة من « ديوجينس » ، الفيلسوف الساخر ، رسالة توصية إلى صديق له ، فأجابه « ديوجينس » قائلا : « لأنك رجلا فانك لا تحتاج إلى رسالة توصية ، فان صديقى سيعرف ذلك لأول وهلة ، ولئن كنت رجلٌ صالحٌ أو شرير ، فانه سيكتشف ذلك إذا كانت لديه القدرة على التمييز بين الخير والشر أما إذا لم تكن له هذه القدر فانه لن يستطيع أن يكتشف الحقائق حتى لو كتبت له آلاف الرسائل » . ومع ذلك فقد كانت مثل هذه الرسائل مهمة جداً فى الكنيسة المسيحية التى كانت تضم كثيرين من المسيحيين البسطاء الذين يسهل التأثير عليهم ، حتى أن لوسيان الوثنى الساخر ، قال إنه كان من السهل على أى دجال أن يكون ثروة كبيرة من المسيحيين البسطاء السذج .

وقد خشى بولس أن يفهم من عباراته السابقة فى رسالته أنه كان يريد أن يعطى لنفسه شهادة

عن نفسه ، فأعلن أنه ليس فى حاجة إلى مثل هذه التوصية . ثم يلقى نظرة سريعة جانبية على الذين كانوا يسببون المتاعب فى كورنثوس ، فيقول إن هناك قوماً يحتاجون إلى رسائل توصية إليهم أو رسائل توصية منهم ويرجح جداً أنه كان يقصد أولئك الأشخاص الذين أرسلهم اليهود إلى كورنثوس لكى يفسدوا عمل بولس هناك ، وكانوا قد أخذوا معهم رسائل توصية من السنهدريم تفوضهم لهذه المهمة . وقد حدث مرة أن بولس نفسه أخذ مثل هذه الرسائل عندما شرع فى الذهاب إلى دمشق بقصد اضطهاد الكنيسة والقضاء عليها (أعمال ٩ : ٢) . ويقول بولس إن شهادته أو رسالته الوحيدة هى الكورنثيون أنفسهم . فان التغيير الذى حدث فى أخلاقهم وفى حياتهم هى التوصية الوحيدة التى يحتاج إليها .

ثم يستطرد فيسجل إدعاء وطلباً عظيماً ، وهو أن كل واحد منهم هو رسالة المسيح . وقديماً قال « أفلاطون » إن المعلم الصالح لا يكتب رسالته بحبر يبهت ، أو بكلمات تعجز عن النطق . ولكنه يفتش لنفسه عن تلميذ نابه ويغرس رسالته فى قلبه وعقله . أى أنه يكتب رسالته على الناس . وهذا ما فعله يسوع . فقد كتب يسوع رسالته على الكورنثيين ، عن طريق خادمه بولس ، ليس بحبر يزول أو يبهت بل بروح الله الحى ، وليس على ألواح من حجر كما كتب الناموس أولا ، بل على قلوب الناس .

وفى هذا الإعلان حقيقة عظيمة ، وحافز ملهم ، وفى الوقت عينه تحذير خطير — وكل إنسان هو رسالة مفتوحة ليسوع المسيح . فكل مسيحى ، سواء أراد أو لم يرد ، هو إعلان للمسيح والمسيحية . أى أن كرامة الكنيسة ، ومجد المسيح يتركزان فى أيدى تابعيه . فنحن نحكم على صاحب الدكان من نوع البضاعة التى يبيعها ، وعلى صاحب الحرفة من نوع الأدوات التى يصنعها ، وعلى الكنيسة من نوع الناس الذين تكونهم ، ولذلك فان الناس يحكمون على المسيح مما يرونه من حياة سلوك تابعيه . بعد أن ظل « ديك شبرد » سنوات يعظ للناس الذين لم تكن لهم صلة بالكنيسة ، أعلن أنه قد اكتشف أن « أكبر معطل يعرقل الكنيسة فى العالم حولها هو الحياة غير اللائقة وغير المدققة التى يعيشها عدد كبير ممن يزعمون أنهم مسيحيون » . عندما نخرج إلى العالم الكبير حولنا ليكن فينا الإحساس الملهم بالمسئولية الرهيبة التى علينا ، وهى كوننا رسائل مفتوحة ، أو إعلانات ، عن المسيح وكنيسته .

المجد الفائق

(٢ كورنثوس ٣ : ٤ — ١١)

ينقسم هذا الفصل فى الواقع إلى جزءين . ففى بدايته نرى بولس يشعر أن إعلانه عن الكورنثيين أنهم رسالة المسيح الحية بواسطة خدمته هو ، قد يبدو كأنه مدح لذاته . ولذلك نراه يستدرك بسرعة فيؤكد باصرار أن كل ما فعله ليس من عمله هو ولكنه من عمل الله . فان الله هو الذى جعله كفءاً للعمل الذى عمله . ولعله وهو يذكر هذا كان يفكر فى إحدى صفات الله العظيمة

التى تعود اليهود أن يذكروها ألا وهى كلمة « شداى » أى القدير فإن اليهود كانوا أحياناً يفهمون من هذه الكلمة معنى « الواحد الذى فيه كل الكفاية » وكأن بولس يريد أن يقول يوقل إن الله الذى فيه كل الكفاية هو الذى جعله كفءاً لأن يكون خادماً له . وبهذا يرجع كل الفضل إلى الله ، ويؤكد أنه لم يكن سوى أداة متواضعة فى يده تستمد كل كفايتها منه ، وليس لها أى فضل فى ذاتها . فالمجد كله والمدح كله إذاً يجب أن يكون لله .

ولهذا يحاول بولس ألا يلفت الأنظار إلى ما فعله هو . ولكنه كان يريد أن المجد لله وحده ، وينسب إليه كل الفضل فلم يتصور فى نفسه أبداً الكفاية الذاتية للقيام بأى عمل ، ولكنه كان دائماً يعتقد أن الله هو الذى يعطيه الكفاية . وهذا هو السبب الذى من أجله لم يخش القيام بأى عمل بالرغم من إدراكه لضعفه الذاتى . إنه كان يعرف أنه لا يقوم بالعمل بمفرده ، ولكنه كان يقوم به مع الله .

أما الجزء الثانى من الفصل فانه يتحدث عن التباين بين العهدين القديم والجديد . وكلمة عهد تعنى تدبيرا أو ترتيباً أو اتفاقاً يعقد بين شخصين وبمقتضاه يرتبطان معاً بشركة معينة . ولكن هذه الكلمة بحسب الاستعمال الكتابى لا تعنى اتفاقاً عادياً ، ذلك لأن الأطراف المتعاقدة فى الاتفاق العادى يكون على قدم المساواة ولكن بحسب المعنى الكتابى لكلمة عهد ، نجد أن الله هو الذى له المبادأة ، وأنه المحرك الأول ، وأنه هو الذى يتقرب من الإنسان ويعرض عليه العلاقة معه والارتباط به بحسب الشروط التى يضعها هو . والتى لا يمكن للانسان أن يعدل فيها أو يغيرها ، ولكنه يستطيع فقط أن يقبلها أو يرفضها ، والكلمة التى يستخدمها بولس بمعنى « جديد » عندما يتكلم عن « العهد الجديد » هى الكلمة عينها التى استخدمها يسوع ، وهى كلمة مهمة جداً لها مغزاها ودلالتها . وتوجد كلمتان فى اللغة اليونانية بمعنى « جديد » . فهناك أولا كلمة نيوس Neos بمعنى « جديد » بالنسبة للمكان والزمان فقط . وهناك ثانياً كلمة كاينوس Kainos التى تعنى ، ليس الجدة بالنسبة للزمان فقط ، بل الجدة بالنسبة للنوع أيضاً . فاذا وصفنا شيئاً ما بكلمة Kainos فمعنى هذا أنه أضاف إلى الموقف أو الوضع الموجود عنصراً جديداً مختلفاً كلياً . وهذه هى الكلمة التى يستخدمها كل من يسوع وبولس عن العهد الجديد . والمغزى فى ذلك هو أن ذلك العهد الجديد ليس جديداً من ناحية الزمان فقط ، ولكن من ناحية نوعه وصفاته فهو ينتج . ليس مجرد شركة جديدة أو علاقة جديدة بين الإنسان والله فحسب ، ولكنه ينتج أيضاً شركة من نوع مختلف تماماً .

فأين إذاً يوجد ذلك الاختلاف ؟

١ — لقد كان العهد القديم مؤسساً على وثيقة مكتوبة . ونستطيع أن نجد قصة بداية هذا العهد فى سفر الخروج ٢٤ : ١ — ٨ . فقد أخذ موسى كتاب العهد وقرأه فى مسامع الشعب فوافقوا عليه وقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له . أما العهد الجديد فانه مؤسس على قوة الروح الواهب الحياة . الحياة الوثيقة المكتوبة ، أو الكتاب . أو القانون هو دائماً شيء خارجى ، أى أنه يفرض من الخارج على الإنسان الذى يوافق عليه ، بينما عمل الروح القدس يغير قلب الإنسان نفسه من الداخل . فقد يحرص إنسان ما على طاعة القانون المكتوب بينما هو يرغب فى قرارة نفسه طول

الوقت أن يعصاه .

ولكن عندما يدخل الروح القدس إلى قلبه ويتحكم فيه ويسود عليه ، فانه لا يحرص على عدم مخالفة القانون ظاهراً فحسب ، ولكنه فى قرارة قلبه لا يرغب فى مخالفته ، لأنه قد تغير وأصبح إنساناً جديداً . إن العهد المكتوب أو القانون المكتوب قد يغير تصرفات الإنسان وسلوكه من الخارج ، ولكن الروح القدس وحده هو الذى يستطيع أن يغير قلب الإنسان وطبيعته البشرية .

٢ ـــ كان العهد القديم شيئاً مميتاً . لماذا ؟ ذلك لأنه أنتج علاقة قانونية شرعية بين الله والإنسان . وخلاصة هذه العلاقة كانت : « إذا كنت أيها الإنسان ترغب فى الاحتفاظ بهذه العلاقة ، فلابد أن تنفذ هذه القوانين ، أما إذا كسرتها فان علاقتك بالله ستنقطع وستضيع » . وبذلك أنشأ وضعاً يقف الله فيه بالضرورة موقف القاضى ، بينما يقف الإنسان فيه بالضرورة أيضاً ، ودائماً ، موقف المذنب والمقصر فى قفص المجرمين . كان العهد القديم مميتاً لأنه قتل أشياء معينة .

(أ) لقد قتل الرجاء . فلم يكن هناك أدنى رجاء فى أى إنسان أن يحافظ على ذلك العهد . فبالنسبة للطبيعة البشرية كانت المحافظة على ذلك العهد ـــ ولا تزال ـــ أمراً مستحيلا . ولذلك لم ينتج عن ذلك العهد سوى الخيبة والفشل واليأس .

(ب) وقتل الحياة . ففى ظل ذلك العهد لم يتمكن الإنسان من أن يكتسب لنفسه شيئاً سوى الدينونة والعقاب . فلم يكن هناك مفر من أن يدان لفشله فى المحافظة عليه ، والدينونة كانت تعنى الموت .

(ج) وقتل القوة . لقد أعلن للناس ما كان ينبغى أن يفعلوه ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يساعدهم على عمله . لقد شخص الداء لكنه لم يستطع أن يقدم العلاج ، أما العهد الجديد فكان يختلف عن ذلك تماماً .

١ ـــ لقد كانت العلاقة فيه هى علاقة المحبة . وقد خرج إلى حيز الوجود لأنه هكذا أحب الله العالم .

٢ ـــ وكانت علاقة بين أب وأبنائه . فلم يعد الإنسان ذلك المجرم المقصر فى قفص الإتهام ، ولكنه صار ابناً لله ، حتى ولو كان ابناً عاصياً .

٣ ـــ وقد غير حياة الإنسان ، ليس بفرض مجموعة جديدة من القوانين ولكن بتغيير قلبه وجعله إنساناً جديداً .

٤ ـــ ولذلك فهو لم يقتصر على مجرد الإعلان عما ينبغى أن يفعله الناس ، بل أعطاهم القوة لعمله. أى أنه قدم مع الوصايا والتعاليم القوة التى تمكن الناس من اتباعها وتنفيذها .

وهكذا يستطرد بولس فيشرح التباين بين العلاقتين وبين العهدين فيذكر أن العهد القديم قد ولد فى مجد . فعندما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يده وعليهما الوصايا العشر ،

التى هى دستور العهد القديم ، كان وجهه يلمع بمجد حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إليه (خروج ٣٤ : ٣٠) . وواضح أن ذلك المجد كان عابراً ومؤقتاً . فهو لم يدم ولم يكن ممكناً له أن يدوم أو يبقى ، لأنه ولد لكى يذوى ويزول . ولكن العهد الجديد ، الذى هو العلاقة الجديدة التى جعلها يسوع المسيح ممكنة بين الإنسان والله ، فله مجد أعظم ، لأنه يقدم الغفران وليس الدينونة ، الحياة وليس الموت . إنه مجد فائق لن يزول ، وليس كالمجد الزائل الذى بدأ يذوى بمجرد أن بدأ يسطع .

وهنا يجب أن نتنبه إلى تحذير مهم . فان اليهود فضلوا العهد القديم ــ عهد الناموس والقانون ، ورفضوا العهد الجديد ــ عهد العلاقة الجديدة فى المسيح . ولم يكن العهد القديم شيئاً رديئاً ، ولكنه كان مرحلة على الطريق . قال أحد المفسرين : « عندما تشرق الشمس ، لا يصبح هناك داع لاستعمال الشموع » . ولكن الخطأ الذى يقع فيه الناس دائماً هو أنهم يصرون على التعلق بالقديم ، بينما يقدم لهم الجديد ما هو أفضل من القديم الذى يتعلقون به . فعندما اكتشف الكلوروفورم مثلا ظل الناس مدة طويلة يحرمون استعماله ظناً منهم أنه يتنافى مع أصول الدين . والناس فى مختلف أنحاء العالم يتمسكون بكل شيء قديم ألفوه واعتادوا عمله ويعتبرون أنه هو الحق والصواب ، أما الشيء الذى لم يسبق عمله فهو فى نظرهم خطأ لا ينبغى ارتكابه أو الوقوع فيه . إننا يجب أن نظل فى حياتنا حذرين لئلا نكون عباد مراحل أو تقاليد معينة . بدلا من أن تكون عيوننا شاخصة دائماً نحو الهدف الأسمى . وعلينا ألا نتمسك بالقديم لمجرد كونه مألوفاً ومعروفاً ، وبذلك نحرم أنفسنا من بركات الجديد الأفضل ، كما فعل اليهود الذين أصروا على أن طرقهم القديمة هى الحق ورفضوا الأمجاد الجديدة التى فتحها الله أمامنا .

البرقع الذى يخفى الحقيقة

(٢ كورنثوس ٣ : ١٢ ــ ١٨)

إن كل الصور التى تظهر أمامنا فى هذا الفصل تبرز مباشرة من الفصل السابق . فاننا نرى بولس يبدأه بالفكرة أن موسى عندما نزل من الجبل كان المجد الذى على وجهه ساطعاً ولامعاً حتى أن أحداً لم يستطع أن يحملق فيه أو ينظر إليه .

١ ــ وهو يعود بفكره إلى خروج ٣٤ : ٣٣ . وقد ترجمت هذه الآية فى الترجمة المعروفة باسم The Authorised Version الانكليزية بما يعنى أن موسى وضع برقعاً على وجهه حتى انتهى من الكلام . لكن الترجمة الصحيحة من العبرانية ، وهى الترجمة التى تنبع منها أفكار بولس ، تفيد أن موسى وضع برقعاً على وجهه لما فرغ من الكلام . ويعلل بولس هذا بقوله إن موسى وضع برقعاً على وجهه حتى لا يرى الناس المجد الذى كان مرة على وجهه وهو يذوى ويزول ببطء . ولذلك كان أول ما لاحظه بولس هو أن مجد العهد القديم ، مجد العلاقة القديمة بين الله والناس ، كان

فى جوهره مجداً زائلاً . وكان مصيره إلى الزوال ، ليس باعتباره شيئاً خاطئاً ينتهى ليحل محله شىء صواب أو حق ، ولكن باعتباره شيئاً غير كامل ينتهى ليحل محله الكامل أو باعتباره مرحلة على الطريق نحو الهدف النهائى . لقد كان الإعلان الذى جاء به موسى حقيقياً وعظيماً ولكنه كان إعلاناً جزئياً فقط . أما الإعلان الذى جاء فى شخص يسوع المسيح فهو تام ونهائى وكامل . وقد عبر أغسطينوس عن ذلك تعبيراً حكيماً عندما قال :

« إننا نسىء إلى العهد القديم إذا كنا ننكر أنه يصدر عن نفس الإله العادل والصالح الذى يصدر عنه العهد الجديد . ومن ناحية أخرى نحن نسىء إلى العهد الجديد إذا كنا نضعه فى مستوى العهد القديم . إن العهد القديم هو خطوة نحو المجد ، أما العهد الجديد فهو قمة المجد وذروته .

٢ ــ إن فكرة البرقع هنا تسيطر على ذهن بولس ، وهو يستخدمها فى طرق مختلفة . فهو يقول إنه عندما ينصت اليهود إلى قراءة العهد القديم ، كما يفعلون كل يوم سبت فى المجمع ، يمنعهم البرقع الذى على عيونهم من رؤية المعنى الحقيقى الأصلى لما يسمعونه . وهذا الذى ينصتون له يشير إلى يسوع المسيح ، ولكن البرقع يمنعهم من رؤية ذلك . ونحن أيضاً قد نفشل فى رؤية المعنى الحقيقى لكلمة الله بسبب الحجاب الذى نغطى به عيوننا .

(أ) فقد نغطى عيوننا بحجاب **التعصب لأفكارنا** . فاننا كثيراً ما نكون لأنفسنا نظريات معينة ونتعصب لها ثم نحاول أن نبحث لها عن الآيات الكتابية التى يمكن أن نستند إليها لإثباتها ، وذلك بدلا من أن نتقدم باتضاع إلى كلمة الله لنتعلم منها ما نريد أن تعلمنا إياه . وبعبارة أخرى ، كثيراً ما نذهب إلى كلمة الله لنحاول أن نجد سنداً ندعم به وجهات نظرنا نحن ، بدلاً من أن نحاول تفهم وقبول الحقائق الإلهية .

(ب) وقد نغطى عيوننا بحجاب التفكير فى رغباتنا الشخصية . فاننا كثيراً ما نحاول أن نجد فى كلمة الله ما نرغب نحن أن نجده هناك ، وليس ما هو موجود هناك فعلا . وعلى سبيل المثال ، نحن نفرح ونبتهج لكل الشواهد الكتابية التى تتكلم عن محبة الله ورحمته ، ولكننا نتجاوز أو نتجاهل عمداً كل الشواهد التى تذكرنا **بغضبه وقضائه** . أى أننا نجدما نريد أن نجده ونهمل ما لا نريد أن نراه .

(ج) وقد نغطى عيوننا بحجاب **التفكير المجزأ** . ينبغى أن نفهم روح الكتاب ككل أولاً . من السهل أن نأخذ آيات فردية من الكتاب ونتنقدها . ومن السهل أن نجد سنداً كتابياً للنظريات الشخصية الخاصة ، وذلك باختيار آيات وفصول معينة وإغفال آيات وفصول أخرى . ولكننا يجب أن نحرص على فهم رسالة كلمة الله ككل لا أجزاء منها فقط . وبعبارة أخرى يجب أن نقرأ كل كلمة الله فى نور يسوع المسيح .

٣ ــ ولا يقتصر الأمر على البرقع الذى يحجب عن اليهود رؤية المعنى الحقيقى للمكتوب ، ولكن هناك أيضاً برقع يفصلهم عن الله ، ويحول بينهم وبينه .

(أ) قد يكون هذا البرقع ، برقع العصيان . فكثيراً ما يكون العمى الأدبى ، وليس العمى

العقلى . هو الذى يمنعنا من رؤية الله . وإذا تمادينا فى عصياننا لله بعناد وإصرار ، فاننا نفقد شيئاً فشيئاً القدرة على رؤية الله . إن الرؤى الإلهية ومعاينة الله هى لأنقياء القلب .

(ب) وأحياناً يكون برقع الروح **غير القابلة للتعلم** . وكما يقول المثل الاسكتلندى « لا يوجد بين الناس من هم أكثر عمى من الذين لا يريدون أن يبصروا » . إن أعظم معلم على الأرض لا يستطيع أن يعلم إنساناً جاهلاً لا يرغب فى التعلم ، وفى الوقت نفسه يظن أنه يعلم كل شيء . إن الله أعطانا ارادة حرة ، فاذا كنا نصر على السير فى طريقنا الخاص ، فاننا لا نستطيع أن نتعلم طريقه هو .

٤ ــ ثم يستطرد بولس فيقول إننا ننظر مجد الرب بوجه مكشوف ، ولهذا السبب نتغير نحن أيضاً من مجد إلى مجد . وما يعنيه بولس هنا هو أننا إذا كنا نطيل النظر إلى المسيح فان صورته فى النهاية ستنعكس فينا وتظهر فى حياتنا . فان من ناموس الحياة أننا نصبح مثل الناس الذين نطيل النظر إليهم . فالناس ، مثلا ، الذين يطيلون النظر إلى نجوم الأناقة يبدأون فى تقليد أزيائهم . والناس الذين يعشقون أحد الأبطال سرعان ما تنعكس بطولته فى حياتهم فيقلدونه فى أعماله . وإذا كنا نطيل التأمل فى الله ، وإذا كنا نسير متطلعين وناظرين إلى يسوع المسيح ، وإذا كنا نثبت أعيننا عليه ، فاننا فى النهاية ستجد أننا قد بلغنا مجد الحياة المسيحية التى هى فى الحقيقة انعكاس لشخصيته فينا .

وقد تعرض بولس فى هذا الفصل لأكثر من مشكلة لاهوتية . فهو يقول « الرب الروح » . ويبدو هنا أنه يريد أن يثبت شخصية الرب المقام وشخصية الروح القدس . ويجب أن نذكر أن بولس هنا لم يكن يقصد أن يكتب علم لاهوت ، ولكنه كان يسجل اختباراً . الاختبار المسيحى يؤكد أن عمل الروح وعمل الرب المقام هما عمل واحد . فان القوة ، والنور ، والإرشاد تأتينا من الروح ومن الرب المقام . ولا يهم كيف نعبر عن ذلك مادمنا نختبره فى حياتنا.

ويقول بولس إنه حيث روح الرب هناك حرية . وهو يعنى بذلك أنه طالما كانت طاعة الإنسان لله محكومة ومشروطة بالطاعة لكتاب ولناموس ، فان الإنسان فى هذه الحالة يكون فى وضع العبد أو الخادم الذى يخدم بدون رغبته . ولكن عندما يعمل الروح فى قلبه ، فان مركز وجوده وكيانه يتغير ، فتصبح رغبته الوحيدة هى أن يخدم الله ويطيعه ، لأن المحبة حينئذ هى التى تدفعه وتربطه وليس الناموس . وهناك أشياء كثيرة نستاء من عملها ، إذا كنا نجبر ، كالخدم ، على عملها ، ولكننا نعتبر عملها امتيازاً لنا إذا كنا نؤديها لإنسان عزيز علينا ونحبه ، إن المحبة تلبس أدنى الأعمال وأحقرها ثوباً من المجد . إننا فى خدمة الله نجد حريتنا الكاملة .

الأصحاح الرابع

الذهن الأعمى

(٢ كورنثوس ٤ : ١ — ٦)

فى هذا الفصل يتحدث بولس ، صراحة أو تضمينا ، عن أربعة أشخاص مختلفين أو أنواع مختلفة من الناس .

١ — فهو يتحدث أولا عن نفسه ، فيقول إنه لا يفشل أبداً فى الخدمة العظيمة التى كلف بها وأعطيت له . ويذكر ضمناً أن هناك شيئين يجعلانه يواصل خدمته ويثابر عليها .

(أ) فهناك الإدراك والوعى الكامل بعظمة الخدمة التى يقوم بها . والرجل الذى يدرى عظمة خدمته ورسالته ويعيها جيداً يستطيع أن يعمل أشياء عظيمة مذهلة . تعتبر موسيقى « المسيا » التى ألفها هاندل من أعظم روائع الموسيقى التى أنتجتها عبقرية الإنسان فى عالم الموسيقى . ومما يذكر أن كل هذا العمل العظيم لم يستغرق لتأليفه وتسجيله أكثر من اثنين وعشرين يوماً ، وأن هاندل خلال هذه المدة كلها لم ينم أو يأكل إلا قليلا . إن العمل العظيم يحمل بين طياته القوة التى تعين الإنسان على عمله وإتمامه .

(ب) وهناك ذكرى الرحمة والمحبة اللتين شملتاه . وكان كل هدف بولس أن يقضى حياته كلها وأن يبذل طاقته كلها فى عمل كل ما يمكن عمله لأجل خاطر المحبة التى فدته وخلصته .

٢ — ثم يشير بولس تضمينا إلى خصومه والمفترين عليه . وهنا نسمع مرة أخرى صدى لأشياء مؤلمة . فاننا نستطيع أن نستنتج أن أعداءه كانوا قد وجهوا إليه ثلاث تهم . فقد اتهموه باستخدام أساليب احتيالية ماكرة لتحقيق أهدافه ، كما اتهموه بتزييف رسالة الإنجيل . عندما يساء تفسير نياتنا وبواعثنا ، وعندما تفهم أعمالنا على غير المقصود منها ، وعندما تحرف معانى كلماتنا عن معانيها الحقيقية . ليكن عزاؤنا أن نذكر أن هذا أيضاً قد حدث من قبل لرجل عظيم هو بولس نفسه .

٣ — ثم يستطرد بولس فيتحدث عن الذين قد رفضوا قبول الإنجيل . فنراه يصر على أنه كرز بالإنجيل بطريقة تجعل أى إنسان ، لديه أى نوع من الضمير ، أن يستجيب لندائه ودعوته . ولكن بالرغم من ذلك ، كان هناك من أعاروا نداء الإنجيل أذناً صماء ، ومن عميت أعينهم عن رؤية مجده وجلاله . فماذا يقول بولس عن هؤلاء ؟ إنه يقول عنهم شيئاً صعباً جداً . إنه يقول إن إله هذا الدهر قد أعمى أذهانهم حتى لا يؤمنوا . وكتاب الوحى فى الكتاب المقدس يعلنون أن فى هذا العالم قوة للشر ، وتسمى أحياناً إبليس ، وأحياناً أخرى الشيطان . ويذكر يوحنا ثلاث مرات تحدث فيها يسوع عن « رئيس هذا العالم » وهزيمته (يوحنا ١٢ : ٣١ ، ١٤ : ٣٠ ، ١٦ : ١١) .

ويتحدث بولس فى (أفسس ٢ : ٢) عن « رئيس سلطان الهواء » ، وهنا نراه يتحدث عن « إله هذا الدهر » . وحتى فى الصلاة الربانية توجد إشارة إلى وجود هذه القوة الشريرة المؤذية : « نجنا من الشرير » (متى ٦ : ١٣) . وخلف هذه الفكرة التى تظهر فى العهد الجديد توجد مؤثرات وأصول معينة .

(أ) فالديانة الفارسية المسماة « دين زرادشت » تعتبر الكون كله ميدان معركة بين إله النور وإله الظلام ، بين « ارموزد Ormuzd و « اهرمان Ahriman » والإنسان وما يقرر مصيره عن طريق الجانب الذى يختاره فى هذا الصراع الكونى . وعندما كان اليهود خاضعين للفرس تأثروا بهذه الفكرة ، ولاشك أنها صبغت تفكيرهم بلونها .

(ب) ومن العقائد الأساسية فى الديانة اليهودية فكرة وجود دهرين : الدهر الحاضر والدهر الآتى . وقبيل بداية المسيحية كان اليهود يعتقدون أن الدهر الحاضر ردىء وشرير ولا علاج له ، وأنه فى قبضة الشرير كلية ، وأن مصيره الخراب والدمار الكامل عندما يبزغ نور فجر الدهر الآتى . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الدهر الحاضر تحت سلطان إله هذا العالم ، وأنه فى عداء وخصومة مع الإله الحقيقى .

(ج) ولكننا يجب أن نتذكر أن هذه الفكرة عن وجود قوة شريرة معادية لله ، ليست فى الحقيقة فكرة لاهوتية بقدر ما هى حقيقة اختبارية . فاننا إذا اعتبرناها مسألة لاهوتية سنجد أنفسنا أمام صعوبات خطيرة . فمن أين نشأت تلك القوة الشريرة فى عالم خلقه الله ؟ وما هو مصيرها النهائى ؟ ولكننا إذا اعتبرناها مسألة اختبارية فاننا جميعاً نختبر حقيقة وجود الشر فى عالمنا هذا . فمهما كانت فكرة وجود قوة للشر صعبة القبول من الناحية اللاهوتية أو من الناحية الفلسفية ، إلا أنها فكرة مقبولة ومفهومة من الناحية الاختبارية . والذين لا يستطيعون أن يؤمنوا بالمسيح أو أن يقبلوا البشارة المسيحية هم أولئك الذين قد أسلموا نفوسهم لشر العالم بحيث أنهم لا يستطيعون أن يسمعوا صوت دعوة الله عندما تقدم لهم . فليس الأمر أن الله قد نبذهم أو منعهم من الإيمان به وقبوله ، ولكن الأمر هو أنهم بسلوكهم الخاص قد أبعدوا أنفسهم عن الله بعيداً .

٤ ـــ ثم يتحدث بولس فى ختام هذا الفصل عن يسوع . وهنا نجد أن الفكرة العظيمة التى أراد أن يبرزها ويؤكدها هى أننا فى يسوع المسيح نرى الله . قال يسوع : « الذى رآنى فقد رأى الآب » (يوحنا ١٤ : ٩) . عندما كان بولس يكرز لم يكن يقول : « انظروا إلى » . ولكنه كان يقول : « انظروا إلى يسوع المسيح ، وفيه سترون مجد الله وقد أتى إلى الأرض فى صورة يستطيع الإنسان أن يراها ويفهمها .

الضيق والنصرة

(٢ كورنثوس ٤ : ٧ ـــ ١٥)

يبدأ بولس هذا الفصل بالاعتقاد أن الامتيازات والأمجاد التى يتمتع بها المسيحى قد تؤدى به إلى الكبرياء . ولكن طبيعة الحياة نفسها قد رسمت بحيث تحفظ الإنسان من هذا الخطأ . فمهما بلغت عظمة الامتيازات والأمجاد التى يتمتع بها المسيحى فهو لا يزال إنساناً مائتاً ، وهو لا يزال فريسة وضحية للظروف ، وهو لا يزال مورطاً أو غارقاً فى مواقف إنسانية ليس له تحكم فيها أو سيطرة عليها ، ولا يزال فى الجسد المائت بكل ما فيه من ضعفات وآلام . إنه يشبه إنساناً يمتلك كنزاً ثميناً ، ولكن كنزه هذا موضوع فى آنية خزفية ضعيفة ولا قيمة لها . إننا نتحدث كثيراً عن قدرة الإنسان ، وعن القوات الضخمة الشاسعة التى يتحكم فيها الآن . ولكن الصفة الحقيقية المميزة للانسان ليست هى قوته أو قدرته ، بل هى ضعفه . قال الفيلسوف « بسكل pascal » « إن نقطة واحدة من الماء أو نسمة واحدة من الهواء تستطيع قتل إنسان » .

وقد سبق أن رأينا كيف كانت النصرة بالنسبة للقائد الرومانى شيئاً عظيماً مجيداً يفتخر به . ولكن كان هناك أمران يعملان فيحفظان القائد الرومانى من الكبرياء . الشىء الأول ، إنه عندما كان يركب المركبة والتاج على رأسه ، لم يكن الجمهور يهتفون ويهللون له فقط ، ولكنهم كانوا ، بين وقت وآخر ينادونه قائلين : « أنظر خلفك وتذكر أنك يوماً ما سوف تموت » . والشىء الثانى أن جنود القائد الخصوصيين كانوا يمشون فى مؤخرة الركب ، وكانوا فى سيرهم يعملون شيئين : كانوا ينشدون الأناشيد فى مدح القائد ، ولكنهم كانوا أيضاً يصيحون بهزل مرتفع وبشتائم بذيئة لكى يحفظوا القائد من خطر الكبرياء والتشامخ .

إن الحياة قد أحاطتنا بالعجز ، مع أن المسيح قد أحاطنا بالمجد ، حتى نتذكر أن العجز هو منا وفينا ، وأن المجد هو من الله وله ، وحتى ندرك أن نعتمد على الله اعتماداً مطلقاً كاملا ، وأن فضل القوة لله لا منا .

ثم يستطرد بولس فيصف هذه الحياة المسيحية التى يمتزج فيها عجزنا بمجد الله ، فى سلسلة من التناقضات الوهمية :

١ ـــ فنحن مكتئبون فى كل شىء لكن غير متضايقين . وقد نتعرض لكل أنواع المآذق والضيقات ، ولكننا فى كل مرة نجد لنا مخرجاً ومنفذاً . إن من مميزات الحياة المسيحية أنها تتصف دائماً بوجود عنصر الرحابة والفرج فمهما كانت ظروف الإنسان ضيقة وصعبة فلا ينبغى أن يشعر أنه محصور أو حبيس . قد يكون جسده حبيساً فى بيئة صعبة أو فى ظروف ضيقة ، ولكنه يجد دائماً منفذاً لروحه يؤدى به إلى رحابة الله وفرجه . قد يكتئب جسده ويتحير لوجوده فى مكان ضيق أو وضيع ، ولكن نفسه تستطيع أن تنطلق إلى فسحة ورحابة الشركة مع المسيح ، وأن تنتصر على ظلام اليأس والكآبة بنور الرجاء والبهجة .

٢ ــ ونحن مضطهدون من الناس لكن غير متروكين من الله . من أعجب وأعظم ما يذكر عن الشهداء أنهم تمتعوا بأحلى أوقات الشركة مع المسيح فى وسط أمر وأظلم أوقات الاضطهاد . وكما قالت « جان دارك » عندما تخلى عنها الذين كان ينبغى أن يقفوا إلى جانبها : « إنه من الأفضل جداً أن أكون وحيدة مع الله ، فان صداقته المخلصة لا يمكن أن تخيب رجائى ، ومشورته الصالحة لا يمكن أن تخذلنى ، ومحبته الفائقة لا يمكن أن تتنكر لى . واستناداً إلى قوته التى أؤمن أنها معى ، لن أتردد فى أن أظل جسورة جريئة حتى أموت » وكما كتب صاحب المزامير : « إن أبى وأمى قد تركانى والرب يضمنى » (مزمور ٢٧ : ١٠) . ولا يوجد شيء يستطيع أن يغير أمانة الله ووفائه ومواعيده الصادقة .

٣ ــ ونحن متحيرون لكن غير يائسين . هناك أوقات يتحير فيها المسيحى ولا يعرف ماذا ينبغى أن يفعل ، ولكنه حتى فى مثل هذه الأوقات لايشك أبداً فى أن شيئاً ما يمكن أن يعمل . هناك أوقات لا يستطيع المسيحى فيها أن يتبين بوضوح طريق الحياة قدامه ، ولكنه لا يشك فى أن هذا طريق لا يخلو من الرجاء والإبتسام والفرج . وإذا وجد المسيحى نفسه ، وقد أحاطت بها الغيوم من كل جانب ، فانه سيظل واثقاً أنه يستطيع أن يشق طريقه فيها ويعلو فوقها فى الوقت الذى يراه الله مناسباً لخيره ونفعه . وهناك أوقات يتحتم فيها على المسيحى أن يتعلم أصعب الدروس ، وهو كيف أن يتقبل ما لا يستطيع أن يفهمه . هناك أوقات يصادف المؤمن فيها أشياء لا يستطيع أن يفهمها ، ولكنه يظل منادياً : « ياالله . أنت محبة . وأنا أبنى إيمانى على هذا الأساس » . إننا فى أحلك أوقات حياتنا وأكثرها إرتباكاً وحيرة ، نستطيع أن نتمتع بحضور المسيح فينا وبشركته المباركة معنا . قد نتحير أحياناً ، ولكن إذا كان المسيح حاضراً فينا ، فاننا لن نكون يائسين أبداً .

٤ ــ ونحن مطروحون لكن غير هالكين . إن أسمى صفة يتميز بها المسيحى ليست هى أنه لا يسقط ، بل فى كل مرة يسقط فيها يقوم مرة ثانية ، ولا أنه لا يغلب أبداً ، بل إنه لا يهزم هزيمة نهائية . قد يخسر معركة فى حربه مع الشيطان ، ولكنه لن يخسر الحرب كلها أو يهزم هزيمة كاملة . قد يتعثر ولكنه لا يولى الأدبار . قد يسقط ، ولكنه يتعلم من سقوطه كيف يحارب أحسن وأفضل . قد يلقى أرضاً ولكنه سرعان ما ينهض . قد ينام ولكنه سرعان ما يستيقظ ليعاود السهر من جديد .

وبعد أن سجل بولس التناقضات الوهمية العظيمة للحياة المسيحية يستطرد ليذكر سر حياته الخاصة ، والأسباب التى جعلته يستطيع أن يفعل ما فعله ، وأن يبذل ما بذله ، وأن يتحمل ما تحمله .

١ ــ كان بولس يدرك جيداً أنه إذا كان إنسان ما يرغب فى أن يتمتع بحياة المسيح فيه ، فلابد أن يشترك أيضاً فى مخاطر هذه الحياة وتضحياتها ، وأنه إذا أراد أحد أن يحيا مع المسيح ، فانه ينبغى أن يكون مستعداً أيضاً لأن يموت مع المسيح . لقد علم بولس قانون الحياة المسيحية الذى لا يلين ولا يتبدل « لاتاج بدون صليب » ، وقبل هذا القانون والتزم به .

٢ ــ ولقد واجه بولس كل شيء وهو يذكر قوة الله التى أقامت يسوع المسيح من الموت . وقد استطاع أن يتكلم بمثل هذه الشجاعة وبمثل هذه اللامبالاة بسلامته الشخصية ، لأنه كان يؤمن

أنه حتى ولو انتزعه الموت ، فان الإله الذى أقام يسوع المسيح سيقيمه هو أيضاً . لقد كان متأكداً أنه كان يعتمد على قوة فيها كفاية للحياة ، وهى أيضاً أعظم من الموت .

٣ ـــ وقد تحمل كل شيء معتقداً أنه بواسطة آلامه وتجاربه كان يقود آخرين إلى نور الله ومحبته . حينما كانوا يبنون سد « بولدر » العظيم فى أمريكا الذى بفضله تحولت أراضى صحراوية شاسعة إلى أراض زراعية تكسوها الخضرة الجميلة ، لم يكن هناك مفر من أن يموت عدد كبير من العمال بسبب الحوادث والكوارث . وعندما تم بناء السد علقت لوحة تذكارية على جدار السد نقش عليها أسماء العمال الذين ماتوا أثناء العمل ، وكتب تحتها : « هؤلاء ماتوا لكى تتحول الصحراء القاحلة إلى أراض خضراء مثمرة » . ولقد استطاع بولس أن يتحمل كل ما تحمله من عناء وتعب لأنه علم أن جهده لم يكن هباء ، وأن الهدف من وراء كل ذلك هو أن يأتى بالآخرين إلى المسيح . وعندما يكون للانسان إقتناع كامل بأن كل ما يحدث له إنما يحدث لأجل خاطر المسيح ، فانه يستطيع أن يواجه أى شيء وأن يتحمل أى شيء .

سر الصبر والتحمل

(٢ كورنثوس ٤ : ١٦ ـــ ١٨)

يقدم لنا بولس فى هذا الفصل سر الصبر والتحمل :

١ ـــ بمرور الأيام لابد أن يصيب جسد الإنسان الضعف والوهن ، ولكن بمرور الأيام أيضاً ينبغى أن تظل نفس الإنسان متجددة ونامية . وربما تكون الآلام التى تضعف الإنسان جسدياً هى بعينها التى تقوى نفسه وتبعث فيها الحيوية والنشاط . إن السنين التى تنتزع منا الجمال الجسدى لابد أن تضيف إلينا الجمال الروحى . وقد تكون الحياة من وجهة النظر الجسدية إنزلاقاً بطيئاً لا مفر منه على المنحدر الذى يؤدى بنا إلى الموت وينتهى بنا فى القبر . ولكنها من وجهة النظر الروحية هى صعود للجبل الذى يرفعنا إلى قمة الشركة مع الله . ومن ثم ينبغى ألا يخشى أحد مرور السنين ، لأنها تقربنا أكثر فأكثر ، لا إلى الموت ، بل إلى الله .

٢ ـــ كان بولس مقتنعاً تماماً بأن كل ما كان يحمله من آلام فى هذا العالم ، لم يكن شيئاً يذكر بالنسبة للمجد الذى سيتمتع به فى العالم الآتى . وكان متأكداً أن الله لا يمكن أن يكون مديناً لأى إنسان ، وأن الآلام والضيقات الأرضية ستنسى عندما نتمتع بالأمجاد السماوية . من الحقائق الجديرة بالذكر فى قصة الإنجيل أن يسوع لم يشر إلى موته أبداً دون أن يشير إلى قيامته . وكل من يتألم لأجل المسيح سينال نصيباً فى مجده . هذه حقيقة تضمنها أمانة الله وصدق مواعيده .

٣ ـــ ولهذا السبب عينه ، يجب أن تكون أنظارنا متطلعة ومثبتة ، لا على الأشياء التى ترى ، بل على الأشياء التى لا ترى . فان الأشياء التى لا ترى . أشياء هذا العالم ـــ لها زمانها المؤقت ثم تنتهى ، أما الأشياء التى لا ترى ـــ أشياء السماء ـــ فانها تبقى إلى الأبد . وهناك طريقتان ننظر

بهما إلى الحياة . فنحن نستطيع أن ننظر إلى الحياة باعتبارها عملية انحطاط بطيئة ولا مفر منها ، أو تباعد بطيء عن الله . وإذا كنا نفكر فقط فى الأشياء المنظورة ، فان هذا يدل على أننا ننظر إلى الحياة بهذه الطريقة . ولكننا نستطيع أن ننظر إلى الحياة بطريقة أخرى ، وهى أن نتطلع إلى الأشياء التى لا ترى . وهذه هى الطريقة الأفضل طبعاً . قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن موسى إنه « تشدد كأنه يرى من لا يرى » (عبرانيين ١١ : ٢٧) وكل من ينظر النور ويظل سائراً نحوه وهو شاخص إليه ، فهو أيضاً يتشدد ويصبر ويتحمل « كأنه يرى من لا يرى » .

الأصحاح الخامس

السرور والدينونة القادمين

(٢ كورنثوس ٥ : ١ — ١٠)

نرى فى هذا الفصل تدرجاً فى التفكير ذات مغزى كبير ، تدرجاً يعطينا خلاصة تفكير بولس .

١ — يشعر بولس أنه سيكون يوم فرح بالنسبة له عندما يتخلص من هذا الجسد الإنسانى . وهو يعتبره مجرد خيمة ، أو مكان سكنى مؤقت ، نقيم فيه حتى يأتى اليوم الذى ينحل فيه وندخل المسكن الحقيقى لنفوسنا . وقد سبق أن ذكرنا أن المفكرين اليونانيين والرومان كانوا يحتقرون الجسد . فكانوا يقولون إن « الجسد مقبرة » . وكان بلوتينس يذكر أنه خجل لأنه كان له جسد . وقال ابكتيس عن نفسه إنه « نفس مسكينة تحمل ثقل جثمان ميت » . وكتب سينكا يقول : « إننى كائن أسمى ، وقد ولدت لأشياء أسمى من أن أكون عبداً لجسدى الذى أعتبره قيداً يكبل حريتى .. وفى مثل هذا المنزل الكريه البغيض تسكن النفس الحرة » . وحتى الفكر اليهودى كانت له أحياناً هذه الفكرة عينها . ولكن الأمر بالنسبة لبولس كان مختلفاً . فلم يكن يحلم بسلام يناله بزوال الجسد ، ولم يكن يتطلع إلى حرية الروح المنفصلة عن الجسم ، ولكنه كان ينتظر اليوم الذى سيعطيه الله فيه جسماً جديداً ، جسماً روحانياً ، فيه سيظل قادراً — حتى فى الأماكن السماوية — أن يخدم الله وأن يمجده .

كان يعتبر حياة المستقبل التى يستوطن فيها عند الرب فرصة أعظم وأوسع لخدمة الله حيث تكون الخدمة للجميع لذة وبهجة فى ذاتها ، وليس من أجل مال أو شهرة أو ثناء من الناس . فهو لم يعتبر الأبدية مهرباً إلى العدم والفناء ، أو عتقاً إلى خمول وكسل دائم ، بل مدخلاً إلى حياة جديدة وجسم جديد فيهما يمكن أن تكون الخدمة على الوجه الأكمل .

٢ — ولكن ، بالرغم من شوق بولس وحنينه إلى الحياة المقبلة فهو لا يحتقر هذه الحياة الحاضرة . إنه — كما يقول — يثق ويسر . وسبب هذا هو أننا ، حتى هنا وفى هذا الزمان نمتلك روح الله القدوس ، والروح القدس هو عربون (٢ كورنثوس ١ : ٢٢) الحياة القادمة . وهكذا كانت عقيدة بولس أننا حتى هنا فى هذا العالم وفى هذا الزمان ، يستطيع المسيحى أن يتمتع مقدماً بلذة الحياة الأبدية . أى أنه يمكن القول بأنه قد أعطى للمسيحى الحق فى أن يكون مواطناً فى عالمين . فهو يضع قدماً فى الزمان الحاضر ويضع الأخرى فى الأبدية . إنه بجسمه على الأرض ولكنه بقلبه فى السماء . ونتيجة لذلك ، ليس له أن يحتقر هذا العالم ، هذا العالم يصبح مكسواً بثوب من المجد الذى هو انعكاس للمجد الأعظم العتيد أن يكون .

٣ — تأتى بعد ذلك ملاحظة فيها عبوسة وتذكير . فان بولس ، حتى عندما كان يفكر فى الحياة

القادمة ويشتاق إليها لم ينس أبداً أننا لسنا فى الطريق إلى المجد فحسب ، ولكننا فى الطريق إلى القضاء أيضاً . « لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح » . والكلمة التى يستخدمها بولس هنا لتعنى كرسى القضاء هى كلمة Dema . وربما كان فى ذهن بولس وهو يكتب هذه الكلمات محكمة القاضى الرومانى الذى سبق أن وقف أمامه . أو ربما كان يفكر فى طريقة العدالة اليونانية . فقد كان كل المواطنين اليونانيين مكلفين للقيام بمهمة القضاء أو الأعضاء فى مجلس شورى المحكمة . وعندما كان الرجل الأثينى يجلس للحكم فى قضية ، كان يعطى قرصين من البرونز لكل منهما مدار اسطوانى وكان أحد القرصين أجوف وهذا يرمز إلى الدينونة . وكان الآخر أصم وذلك يرمز إلى البراءة . وكان يوضع فوق كرسى القضاء Bema وعاءان ، أحدهما من البرونز ، ويضع فيه القاضى القرص الذى يشير إلى حكمه أو فتواه ، والآخر من الخشب ويضع القاضى فيه القرص الذى يرغب فى إبعاده . أى أن القاضى أو عضو مجلس المحكمة كان يسقط فى النهاية فى الوعاء البرونزى ، إما القرص الذى يشير إلى الإدانة أو القرص الذى يشير إلى البراءة . ولكن بالنسبة لأى ناظر على بعد ، كان القرصان يبدوان متشابهين تماماً . ولم يكن أحد يستطيع أن يخبر بالأحكام التى أصدرها القضاة . ثم كانت الأقراص تحصى وبعد ذلك يعلن الحكم . وهكذا الأمر بالنسبة لنا . فاننا يوماً ما سننتظر حكم الله . وعندما نذكر هذا تصبح الحياة فى نظرنا شيئاً ضخماً ومثيراً ، لأننا منها نصنع مصيرنا أو نفسده ، نحن نكسب تاجاً أو نخسره . وهكذا يصبح الزمن أساس الاختبار بالنسبة للأبدية .

الخليقة الجديدة

(٢ كورنثوس ٥ : ١١ ــ ١٩)

يرتبط هذا الفصل مباشرة بالفصل الذى سبقه . فقد تحدث بولس فى الفصل السابق عن كرسى المسيح ــ كرسى القضاء . وقد عاش بولس حياته كلها وفى ذهنه هذه الفكرة عن نهاية الحياة ، ولا يظهر بولس ، بحديثه عن تفكيره هذا ، أنه يحس بالرعب والذعر من المسيح . ولكنه يظهر بالحرى إحساسه بالرهبة والخشوع والخوف الإلهى . إن العهد القديم حافل بفكرة الخوف المطهر . فيقول أيوب : « مخافة الرب هى الحكمة » (أيوب ٢٨ : ٢٨) .

ويتساءل كاتب سفر التثنية « ماذا يطلب منك الرب إلهك ؟ » . ثم يبدأ إجابته عن هذا التساؤل بقوله : « تتقى الرب إلهك » أى تخشاه وتخافه . ويقول سفر الأمثال : « مخافة الرب رأس المعرفة » (أمثال ١ : ٧) و « بدء الحكمة مخافة الرب » (أمثال ٩ : ١٠) و « فى مخافة الرب الحيدان عن الشر » (أمثال ١٦ : ٦) . إن هذا الخوف المقصود هنا ليس كخوف الكلب الذى يخشى جلده بالسوط ، أو كخوف الطفل الذى يحس بالرعب قبل أن يضرب بالعصا ، ولكنه بمثابة الخشوع والاحترام الذى يجعل حتى الرجل العديم التفكير يمتنع عن تدنيس المكان المقدس أو انتهاك حرمته . إنه الخوف الذى يجعل الإنسان يحجم عن عمل الأشياء التى يعرف أنها تجرح قلب شخص يحبه أو أنها تسىء إلى مشاعره . ويقول صاحب المزامير : « خوف الرب نقى » (مزمور ١٩ : ٩) .

فهناك خوف يطهر وينقى ، وبدونه لا يستطيع الإنسان أن يعيش الحياة التى ينبغى أن يعيشها .

إن ما يحاول بولس هنا أن يقنع الناس به هو إخلاصه وصدق نواياه فهو لا يشك أبداً فى نقاوة يديه وطهارة نواياه فى نظر الله ، ولكن أعداءه قد ألقوا عليها ظلالا من الشك فى نظر الناس . لذلك يرغب فى أن يبين لأصدقائه الكورنثيين إخلاصه ونقاوة دوافعه ونياته . وهو لا يريد أن يفعل ذلك لرغبته فى تبرئة نفسه أو فى مدحها ، ولكن لعلمه أنه إذا تطرق الشك إلى الناس فى إخلاصه فان هذا سيصيب رسالته بالكثير من الأذى والإساءة . ذلك لأن رسالة إنسان ما تسمع دائماً مع قرائن شخصيته وصفاته . ولهذا السبب يجب أن يرقى شخص المعلم وشخص الواعظ فوق مستوى الشبهات . فعلينا إذاً أن نتجنب ، ليس الشر وحسب ، بل حتى مجرد مظهر الشر أو شبه الشر أيضاً ، لئلا يرى الآخرون فينا شيئاً يجعلهم يزدرون ، ليس بأشخاصنا فحسب ، بل أيضاً بالرسالة التى نحملها وننادى بها .

وفى عدد ١٣ نرى بولس يصر على أن يظهر أن من وراء كل تصرفاته وسلوكه دافعاً واحدا فقط ـــ وهو أنه يخدم الله وأن يساعد الكورنثيين . ولقد ظن بعضهم أكثر من مرة أن بولس كان مختلا وأنه كان يهذى (أعمال ٢٦ : ٢٤) . وهو بهذا كان يقاسى من سوء فهم الناس له كما حدث مع يسوع (مرقس ٣ : ٢١) . إن الشخص الغيور حقاً والمتحمس لرسالته يبدو دائماً فى نظر الناس الفاترين كأنه مختل ، ويذكر « كبلنج » ما حدث عندما ركب الجنرال « بوث » السفينة فى أحد الموانىء أثناء جولة عالمية له . فقد ودعه جماعة من القوم الرحل الذين نالوا الخلاص وهم يصيحون ويهللون بالدف والطبول ، وقال كبلنج إنه حينئذ استاء وتضايق كثيراً لما حدث . وعندما صارح الجنرال فيما بعد باستيائه وعدم موافقته على مثل هذه الأشياء قال له الجنرال بوث : « أيها الشاب العزيز ، لو أنهم طلبوا منى أن أقف على يدى وأضرب الدف بقدمى لكى أكسب نفساً واحدة أخرى للمسيح ، لما ترددت فى تعلم ذلك ، وفى عمله » . إن الشخص الغيور الحقيقى لا يعبأ كثيراً بما يظنه الآخرون به ، فاذا سلك أحد المسيحيين الأتقياء الطريق المسيحى فى السخاء ، والغفران ، والوفاء الكامل ، فلابد أن يتصدى له أناس كثيرون ممن يزعمون لأنفسهم الحكمة العالمية ، ويتهمون صراحة باختلال العقل . وقد عرف بولس أن هناك وقتاً يتحتم فيه السلوك الهادىء العاقل الرزين ، وأن هناك وقتاً آخر يتحتم فيه السلوك والتصرف الذى يبدو فى نظر العالم وكأنه الجنون بعينه . وهكذا كان مستعداً لكل موقف لأجل خاطر المسيح والناس .

ثم يستطرد بولس ليذكر الدافع المحرك للحياة المسيحية كلها . فقد مات المسيح لأجل الجميع . والمسيحى فى نظر بولس ، وبحسب عبارته المحببة إليه ، هو فى المسيح ، ولذلك فان النفس أو الذات القديمة للمسيحى قد ماتت فى ذلك الموت ، وقد قام هو إنساناً جديداً تماماً ، كما لو أن يد الله قد خلقته من جديد . وفى جدة الحياة هذه يكتسب المسيحى مجموعة جديدة من المستويات والمقاييس . فهو لا يعود يحكم على الأشياء بالمستويات والمقاييس عينها التى يستخدمها العالم . وهو لا يعود يسبغ على الأشياء القيم عينها التى يضيفها العالم عليها . فقد كان بولس قبلا يحكم على يسوع المسيح بحسب المقاييس البشرية ، وفى ذلك الوقت كان يحاول أن يمحو إسمه من الأرض ، وأن يقضى على أتباعه ، فيزيل الإيمان المسيحى من العالم . ولكنه الآن لا يحاول ذلك ، إذ أن مقاييسه

أصبحت تختلف عما كانت قبلا . الآن ، أصبح شخص يسوع المسيح الذى كان يريد قبلا أن يمحو إسمه من ذاكرة الناس ، أعظم وأعجب شخص فى العالم ، لأنه هو الذى كسب له الصداقة مع الله ، التى كان طوال حياته يتوق للحصول عليها و لم يتمكن ، ولكنه وجدها الآن فى شخصه .

سفراء فى المسيح

(٢ كورنثوس ٥ : ٢٠ ــ ٦ : ٢)

هنا نرى أن المركز الذى وصل إليه بولس ، وكان يعتبره فخره الوحيد ورسالته الأساسية ، هو مركز سفير للمسيح . والكلمة اليونانية التى يستخدمها بولس هنا هى كلمة Presbeuein . وهى كلمة عظيمة كانت تستخدم فى اليونانية لتشير إلى معنيين . وكانت الكلمة اللاتينية التى ترجمت إليها وهى كلمة Legatus تستخدم أيضاً لهذين المعنيين :

١ ــ كانت الأقاليم أو الولايات الرومانية تنقسم إلى نوعين . النوع الأول كان يخضع خضوعاً مباشراً لمجلس الشيوخ أو الأعيان ، والنوع الآخر يخضع لسلطان الامبراطور مباشرة وكان التمييز بين النوعين على هذا الأساس : كانت الولايات المسالمة التى لم يكن بها قوات من الجيش تتبع مجلس الشيوخ ، أما الولايات الأخرى التى كانت الأحوال فيها خطيرة والتى كانت تحتفظ فيها الدولة بقوات من الجيش للسيطرة عليها وحفظ الأمن بها فكانت تتبع الامبراطور مباشرة . وكان الممثل الشخصى الذى يحكم هذه الولايات نيابة عن الامبراطور يسمى Legatus أو باليونانية Presbeutes ولذلك فان هذه الكلمة تصور لنا رجلا يحمل تفويضاً أو تكليفاً مباشراً من الامبراطور . وقد اعتبر بولس نفسه مفوضاً أو مكلفاً من يسوع المسيح لعمل الكنيسة .

٢ ــ ولكن لكلمتى Presbeutes و Legatus معنى آخر أكثر أهمية وجدارة بالتأمل . فهما تعنيان البعثة أو الرسل الذين يرسلهم مجلس الشيوخ أو الأعيان الرومانى ليضعوا مع القائد المنتصر شروط السلام للشعب المهزوم فى القطر الذى يقرر المجلس اعتباره ولاية رومانية ، وليحددوا حدود الولاية الجديدة ، وليضعوا دستوراً لإدارتها ، ثم يعودون ليرفعوا للمجلس تقريراً عما فعلوه حتى يصدق المجلس عليه . أى أن هؤلاء الرسل كانوا الرجال المسئولين عن ضم أناس جدد إلى عائلة الإمبراطورية الرومانية . وهكذا يعتقد بولس عن نفسه أنه رجل مرسل إلى الناس ليقدم لهم عرض الله وشروطه التى يستطيع الناس بها أن يصبحوا مواطنين فى أمبراطورية الله وأعضاء فى العائلة السماوية .

وليس هناك مركز أكثر أهمية ومسئولية من مركز السفير .

١ ــ فالسفير « المصرى » مثلا هو مواطن مصرى فى بلد أجنبى . وهو يقضى حياته بين أناس يتكلمون عادة لغة تختلف عن لغته ، ولهم تقاليد تختلف عن تقاليده ، ولهم أسلوب فى الحياة يختلف عن أسلوبه . وهكذا المسيحى دائماً فهو يعيش فى العالم ، وهو يشترك فى كل حياة وأعمال العالم ،

ولكنه مواطن سماوى . وإلى ذلك الحد هو غريب . فالمسيحى يعيش دائماً فى عالم يعتبر بالنسبة له أجنبياً وغريباً . والإنسان الذى لا يرضى أو يرغب فى أن يكون مختلفاً عن العالم لا يمكن أن يكون مسيحياً .

٢ ـــ والسفير يتكلم نيابة عن بلده . فعندما يتكلم السفير « المصرى » فى مكان ما فان صوته هو صوت مصر . أى أنه يعبر عن رسالة مصر وسياستها وقراراتها . وهناك أوقات ينبغى أن يتكلم المسيحى فيها نيابة عن المسيح . ففى كل القرارات والمشورات العالمية يجب أن يكون صوته ورأيه معبرين عن رسالة المسيح وكلمته فى الأوضاع والمواقف الإنسانية كافة .

٣ ـــ وشرف بلد ما وسمعته يتوقف على سفيرها . فان الناس يحكمون على بلده مما يرونه فى شخصه . فهم ينصتون إلى كلامه ، ويراقبون أعماله ، ثم يقولون « هذه هى الطريقة التى يتكلم بها أهل بلده ويتصرفون » . قال « لايتفوت » ـــ أسقف ضرهام العظيم ـــ فى خطاب رسامة « إن السفير لا يتصرف كوكيل لدولته فقط ، ولكنه أيضاً كممثل لها .. إن واجبه ليس أن يبلغ أو يوصل رسالة محددوة ، أو أن ينفذ سياسة محددة وحسب ، ولكنه ملتزم بأن يراقب الفرص ، وأن يدرس الشخصيات ، وأن يتخير الوسائل حتى يقدم رسالته لسامعيه فى أجمل صورة ممكنة » . إن مسئولية السفير العظمى هى أن يقدم للناس الذين يوجد بينهم صورة مشرفة لبلاده ، تجعل الجميع يمدحونها ويشيدون بها . وهذا هو الامتياز العظيم الذى يفخر به المسيحى ، وهو أيضاً مسئوليته الخطيرة الرهيبة . فان مجد المسيح والكنيسة أمانة فى يديه ، فبكل كلمة يقولها وبكل عمل يقوم به يستطيع أن ينال مدح الناس أو ذمهم للكنيسة التى هو عضو فيها ، وللسيد الذى هو ملك له ، والذى يجب أن يتطلع دائماً إلى خدمته .

ولابد أن نذكر مضمون رسالة بولس : « تصالحوا مع الله » . إن العهد الجديد لا يتحدث أبداً عن تصالح الله مع الناس ، ولكنه يتحدث دائماً عن تصالح الناس مع الله . إذ ليست المسألة تهدئة أو مصالحة إله غاضب . فان كل عملية الخلاص قد بدأت من جانب الله . فهو قد « أحب » العالم وأرسل ابنه . إذاً فحقيقة الأمر ليس أن الله قد انفصل عن الإنسان وتخاصم معه ، بل إن الإنسان هو الذى انفصل عنه ونفر منه . وليس الله هو الذى أقام الحواجز بينه وبين الإنسان ، ولكن الإنسان هو الذى فعل ذلك . ورسالة الله ، الرسالة التى حملها بولس ، كانت عبارة عن نداء من الآب المحب يناشد الأولاد الضالين المخطئين والنافرين البعيدين ، أن يعودوا إلى البيت حيث تنتظرهم المحبة المشتاقة الغافرة .

ويطلب بولس منهم ألا يقبلوا نعمة الله باطلا . فليس هناك مأساة أكثر إيلاماً وإحزاناً من مأساة رفض النعمة وإحباط مسعاها ، فهى مأساة الأبدية . ولكى نقرب الفكرة إلى أذهاننا ، لنفكر فى الأمر بصورة إنسانية . هب أن أباً يضحى ويتعب ويشقى لكى يقدم لابنه كل فرصة طيبة فى الحياة ، وهو يحيطه بكل إعزاز ، ويغدق عليه كل حب ، فيخطط لمستقبله بعناية واهتمام بالغ . ويفرغ كل ما فى جعبته ليعده للحياة وليزوده بكل ما يحتاج إليه . ثم هب أن هذا الإبن لم يشعر نحو أبيه بأى دين أو عرفان بالجميل . ولم يحاول أن يثبت له جدارته بكل هذا . ثم ينحرف عن الطريق

السوى ، ويمضى يعبث فى استهتار وعدم مبالاة ، ويختط لنفسه طريقاً خاصاً لا يرعى فيه مسئولية أو واجباً . ألا ينكسر قلب الأب ويحزن لتصرفات ابنه هذه ؟ هذا هو لب المأساة وجوهرها . فعندما يعطى الله كل نعمته للناس ، فاذا بالناس يسلكون فى طرقهم الخاصة بطياشة وحمق . ويخيبون أمل النعمة التى كان يمكن أن تجدد حياتهم وتنعشهم وترفع من شأنهم ومصيرهم ـــ عندئذ ينكسر قلب الله وكأن المسيح يصلب ثانية .

عاصفة فى الشدائد والضيقات

(٢ كورنثوس ٦ : ٣ ـــ ١٠)

فى كل فرص الحياة وتقلباتها كان لبولس إهتمام واحد فقط ، وهو أن يظهر نفسه كخادم مخلص ونافع ليسوع المسيح . وعندما ينسب إلى نفسه هذا كان يعود بذهنه إلى ما دعاه القديس يوحنا فم الذهب « عاصفة من الشدائد والضيقات » التى واجهها والتى كان لا يزال يكافح فى وسطها ولاشك أن كل كلمة وردت فى هذه القائمة الضخمة ، التى سماها أحدهم « لحن رسالة الخلاص » ، لها صورتها وأساسها فى حياة بولس المليئة بالمخاطرات .

ويبدأ الرسول القائمة بشعار النصرة فى الحياة المسيحية ـــ وهى الصبر . وهذه الكلمة فى الأصل اليونانى ليس من السهل ترجمتها فهى لا تعنى حالة الإنسان عندما يجلس مضموم اليدين خافض الرأس مستسلماً لسيل الضيقات والمتاعب التى تكتسح تفكيره وتستولى على ذهنه . ولكن تصف القدرة على تحمل الأشياء ومواجهتها بطريقة منتصرة ، فتتمكن من أن تغير شكلها وتحولها إلى أشياء جديدة . وقد كتب الذهبى الفم يقرظ هذا الصبر المسيحى المنتصر ويثنى عليه فقال : « إنه أصل كل الأشياء الصالحة ، وهو أم التقوى ، والثمرة التى لا تذبل ، والقلعة التى لا تقهر ، والميناء الذى لا تعرف العواصف إليه سبيلا » وهو يسميه « ملك الفضائل ، وأساس كل الأعمال الصائبة ، إنه السلام فى وسط الحرب ، والهدوء فى قلب العاصفة ، والأمان الكامل فى وسط المكائد والمؤامرات » . إن الصبر المسيحى هو المقدرة الباسلة الغلابة التى تمكن الإنسان من تحمل كل الأشياء دون أن ينحنى لها أو تخور قواه فيها ، وهو القوة التى يستطيع بها أن يهلل للمجهول ، وأن يواجه غير المنظور بابتسام وثقة . إنه الكيمياء العجيبة التى تحول الضيق إلى قوة ومجد .

ثم يستطرد بولس فيتحدث عن ثلاث مجموعات ، كل منها يشمل ثلاثة أشياء ، يظهر فيها هذا الصبر المنتصر :

١ ـــ فهناك الصراعات الداخلية للحياة المسيحية .

(أ) الشدائد : والكلمة التى يستخدمها بولس هنا هى كلمة ثليبسيس **thlipsis** ، وكما سبق أن رأينا ، تعنى هذه الكلمة فى اليونانية الضغط المادى المحض الذى يقع على الإنسان . وهناك أشياء

تثقل روح الإنسان وتضعف قواه المعنوية ، كالأحزان التى تجثم على قلبه كحمل ثقيل ، وأسباب الفشل التى تكاد تنتزع الحياة منه وتسحقه سحقاً ، ومطاليب الحياة المادية وضغطها عليه . ولا يستطيع أن يصمد فى مواجهة هذا كله سوى الصبر المسيحى الغلاب .

(ب) الضرورات : هناك أحمال معينة يمكن للانسان أن يهرب منها وأن يتجنبها ، ولكن هناك أحمالا أخرى لا يمكن الهروب منها . هناك أشياء معينة لابد أن يتحملها كل من ينتمى إلى الجنس البشرى . ومن أعظم هذه الأشياء الحزن ، لأن الحياة التى لا تعرف الحزن هى الحياة التى لم تعرف المحبة . وهناك الموت الذى لا مهرب منه لأى إنسان . إن الصبر المسيحى المنتصر هو الذى يمكن الإنسان من مواجهة كل ما يتعلق به أو يصيبه كانسان .

(ج) الضيقات : والمعنى الحرفى للكلمة التى يستخدمها بولس هنا هو المكان الضيق جداً . ويمكن أن تستخدم مثلا لتصف مضيقاً صخرياً حرجاً يقع فيه جيش ما ، فلا يستطيع الهروب ولا هو يستطيع المقاومة . ويمكن أن تستخدم أيضاً لتصف سفينة فاجأتها العاصفة فلم تدع لها فرصة للنجاة ، ولم تستطع السفينة الإفلات منها . وفى الحياة أوقات يشعر فيها الإنسان بأن الدنيا قد ضاقت فى وجهه وأحكمت عليه الخناق . وقد يميل الإنسان فى مثل هذه الأوقات إلى نوع من اليأس والكآبة الروحية ، إذ يبدو له أن كل منافذ الحياة قد سدت أمام وجهه . ولكن ، حتى فى مثل هذه المواقف والظروف الضيقة ، يستطيع الصبر المسيحى أن يجعل الإنسان يسمو فوقها ويتمتع بالحرية والانطلاق ، واثقاً أن فى رحابة السماء وفسحتها متسعاً للرجاء والانتظار والأمل .

٢ ــ وهناك ضيقات الحياة وشدائدها الخارجية .

(أ) الضربات : ولم تكن الحياة المسيحية بالنسبة لبولس آلاماً روحية فقط ، ولكنها كانت أيضاً آلاماً جسدية . ومن الحقائق البسيطة والواضحة أنه لولا الذين كانوا مستعدين وقادرين على تحمل الألم والتعذيب والاضطهاد بالنار وبالوحوش المفترسة ، لما كنا اليوم ننعم بالحياة المسيحية . ولا تزال هناك إلى يومنا هذا بلاد يعانى فيها المسيحيون آلاماً جسدية . وستظل عبارة « دم الشهداء بذار الكنيسة » حقيقية دائماً .

(ب) السجون : يذكر أكليمندس الرومانى أن بولس دخل السجن مالا يقل عن سبع مرات ويتبين لنا من سفر الأعمال أن بولس ، قبل أن يكتب رسالته إلى الكورنثيين ، كان فى سجن فيلبى ، وبعد أن كتب الرسالة دخل السجن فى أورشليم ، ثم فى قيصرية ثم فى رومية . إن موكب المسيحيين الذين دخلوا السجن بسبب مسيحيتهم يمتد من القرن الأول إلى القرن العشرين . وقد كان هناك دائماً الذين يرحبون بأن يتخلوا عن حريتهم إذا لزم الأمر ، ولكنهم لم يكونوا ليقبلوا أبداً أن يتخلوا عن إيمانهم .

(ج) الاضطرابات : مراراً وتكراراً نجد أمامنا صورة المسيحى وهو يواجه ، ليس شدة القانون أو صرامته ، بل عنف الغوغاء وقسوتهم . إن السوقة والغوغاء الذين يندفعون فى أعمال العنف والقسوة ، دون أن يجدى معهم أى جهد للتفاهم والإقناع ، هم فى أغلب الأحيان أعداء المسيحية .

وليس العنف هو الموقف الذى يجب أن يجابهه المسيحى ويثبت أمامه فى عصرنا هذا ، بل هو سخرية الغوغاء وهزؤهم وتندرهم باحتقار المسيحى والازدراء به .

٣ ــ وكانت هناك جهود الحياة المسيحية .

(أ) الأتعاب : والكلمة التى يستخدمها بولس هنا تكاد تكون اصطلاحاً فنياً مميزاً للحياة المسيحية فى العهد الجديد . فهى تصف التعب الذى يصل إلى حد الإعياء المتناهى ، التعب الذى ينتزع من الإنسان كل ما يستطيع أن يبذله من جسده وعقله وروحه . إن المسيحى هو العامل الذى يعمل ويتعب لأجل الله .

(ب) الأسهار : كان بولس يقضى لياليه أحياناً فى الصلاة ، وأحياناً أخرى فى اضطرابات وأخطار حيث كان النوم مستحيلا . لقد كان فى كل الأوقات مستعداً لأن يكون الديدبان أو الحارس الذى لا ينام لأجل المسيح .

(ج) الأصوام : ولاشك أن بولس هنا لم يكن يقصد الأصوام المقصودة أو المتعمدة باختياره ، ولكنه كان يقصد الأوقات التى اضطر فيها أن يمضى جائعاً لأجل عمل الله . ما أبعد الفرق بين روح بولس هذه وروح الرجل الذى لا يقبل أن تفوته وجبة واحدة من الطعام إذا لزم الأمر لكى يحضر اجتماعاً للعبادة فى بيت الله .

ثم يتحول بولس من الحديث عن الضيقات والتجارب التى انتصر عليها بصبره ، إلى الحديث عن إعداد الله له للحياة المسيحية . وهنا أيضاً يرتب حديثه ويقسمه إلى ثلاث مجموعات تشمل كل منها ثلاثة أشياء .

١ ــ فهناك الصفات التى يعطيها الله للعقل .

(أ) الطهارة : والكلمة التى يستخدمها بولس هنا كان اليونانيون يعنون بها « التجنب الحريص لكل الخطايا التى هى ضد الآلهة » . ويمكن تعريفها بأنها « الحذر فى أعلى درجة من درجات التوتر » ، أو هى « التحرر من كل ما يلطخ الجسد والروح » وهذه هى الصفة التى تمكن الإنسان من الدخول إلى محضر الله ذاته . إن الحياة المطهرة وحدها هى الحياة التى تستطيع أن تلد وتنتج الرسالة العظيمة . إن البساطة المقهقهة من إنسان قديس تفوق بكثير الكياسة السلسة المنطلقة من لسان محب للعالم وشهواته .

(ب) العلم : والعلم المقصود هنا يعرف بأنه « العلم بالأشياء التى ينبغى عملها » . هو العلم الذى لا يظهر فى دقائق الحقائق اللاهوتية ولكن فى أعمال المسيحى وتصرفاته .

(ج) الأناة : وهذه الكلمة تشير فى العهد الجديد عادة إلى « الأناة مع الناس » أى القدرة على تحمل الناس حتى إذا أخطأوا أو انحرفوا ، وحتى إذا كانوا قساة مهينين . إنها كلمة عظيمة . جاء فى سفر المكابيين الأول (٨ : ٤) أن الرومان قهروا العالم « بصبرهم وأناتهم » . فهذه الكلمة

تعبر عن الروح التى لا تقهر أبداً ، والتى لا تقبل السلام إطلاقاً إذا كانت الهزيمة ثمناً له . إن « الأناة » هى صفة الرجل الذى قد يخسر معركة ما ولكنه لا يمكن أن يستسلم أو يقبل الهزيمة فى الحرب كلها .

٢ ــ وهناك الصفات التى يعطيها الله للقلب .

(أ) اللطف : واللطف هو من أعظم الكلمات الواردة فى العهد الجديد إنه عكس العنف والشدة . وقد وصفه أحد كبار المفسرين بأنه « الرفق الذى يوآسى الآخرين ، وعذوبة المزاج ورقة الطبع التى تجعل الآخرين يحسون بالراحة والتى تحجم عن أن تسبب الألم لهم » . ومن أعظم الأمثلة على ذلك سلوك إسحق الذى تجنب النزاع ورفض أن يلجأ إلى الحرب (تكوين ٢٦ : ١٧ ــ ٢٢) . إن اللطف هو الصفة التى تجعل صاحبها يفكر فى الآخرين أكثر جداً من تفكيره فى نفسه .

(ب) الروح القدس : لقد أدرك بولس جيداً أنه لا يمكن قول أية كلمة نافعة أو عمل أى شىء صالح إلا بمعونة الروح القدس . ولكن هذه العبارة قد لا تعنى « الروح القدس » بل « روح القداسة » ، أى أن روح بولس نفسها كانت روحاً مقدسة ، أو أن الدافع الداخلى الذى كان يهيمن على بولس ويدفعه إلى العمل ، كان دافعاً مقدساً ــ دافعاً موجهاً فقط نحو مجد الله وخدمته .

(ج) محبة لا رياء : والكلمة التى يستخدمها بولس بمعنى المحبة هنا هى كلمة agape ، وهى كلمة لها دلالتها الخاصة فى العهد الجديد . فهى تعنى حب الخير والنية الصالحة التى لا تقهر أبداً . إنها تعنى الروح التى تطلب دائماً مصلحة الآخرين العليا بغض النظر عما يفعلون ، والتى لا تحلم أبداً بالانتقام أو بالثأر ، بل تقابل كل الإساءات والإضطهادات بمحبة للخير لا تيأس ولا تهزم أبداً .

٣ ــ وهناك اللوازم أو المعدات التى يعطيها الله للقيام بعمل الكرازة بالإنجيل .

(أ) كلام الحق : لقد علم بولس أن يسوع لم يعطه فقط إنجيلا ينادى به ويكرز ، بل أعطاه أيضاً القوة والمقدرة على المناداة والكرازة . فهو إذاً كان مديناً لله بالكلمة وبالقدرة على النطق بها وإعلانها .

(ب) قوة الله : وهى بالنسبة لبولس كانت كل شىء . فالقوة الوحيدة التى كانت له هى قوة الله . فما كان بولس ليقول أبداً فى كبرياء : « أنا فعلت هذا » بل كان لسان حاله دائماً بكل تواضع : « الله هو الذى مكننى من عمل هذا » .

(ج) سلاح البر لليمين ولليسار : وهذا يعنى سلاحاً للدفاع وسلاحاً للهجوم . كانت اليد اليمنى تمسك بالسيف أو بالرمح ، بينما كانت اليسرى تمسك بالترس . وما يعنيه بولس هنا هو أن الله قد أعطاه القوة للمبادرة بالقيام بعمله ورسالته ، كما أعطاه القوة أيضاً ليدفع عن نفسه أية تجربة .

ويكمل بولس هذا الفصل بسلسلة من الأشياء المتباينة ، فيبدأ بالتباين أو الفرق بين « المجد والهوان » ... والكلمة التى يستخدمها بولس هنا بمعنى « هوان » هى الكلمة التى تستعمل عادة فى اليونانية لتعنى فقدان الفرد لحقوقه كمواطن . وكأن بولس يريد أن يقول : « قد أفقد كل الحقوق والامتيازات التى يمكن أن يمنحها العالم لى ، ولكننى لا أزال مواطناً فى مملكة الله » . ثم يقول إنه

فى « صيت ردىء وصيت حسن » . فقد كان هناك أولئك الذين ينتقدون كل عمل يقوم به ، والذين يكرهون إسم بولس ذاته ، ولكن صيته مع الله لا غبار عليه .

وكان هناك أولئك الذين يظنونه مخادعاً ويقولون عنه إنه دجال وأفاك متجول . ذلك ما كان يقوله الآخرون عنه ويتهمونه به ، ولكنه كان يعلم أن رسالته هى الحق الإلهى . وهو يقول إنه « مجهول ومع ذلك فهو معروف جيداً » . لقد قال عنه اليهود الذين كانوا يفترون عليه إنه كان إنساناً لا وزن له ولم يسمع به أحد ، ولكنه بالنسبة للذين قدم المسيح لهم كان معروفاً حقاً . بالشكر والعرفان بالجميل . لقد كانت حياته تبدو وكأنها دائماً مهددة بالموت . كان الخطر ملازماً له باستمرار وكان يتوقع الموت فى كل لحظة ومع ذلك فقد كان بنعمة الله يعيش بانتصار حياة لم يستطع الموت ولا الخوف منه أن يقتلها . لقد كانت الأشياء التى حدثت لبولس كفيلة بأن تعذب روح أى رجل آخر ، وأن تحطم قواه المعنوية ، ولكنها لم تستطع أن تقتل روحه . كانت هذه الأشياء تستطيع أن تكسر قلب أى رجل آخر وأن تملأه بالحزن والألم ، ولكنها لم تستطع أن تقضى على الفرح والابتهاج الذى كان يغمر قلبه والذى لم يكن هناك من يستطيع أن ينتزعه منه . لقد كان يبدو أنه متجول فقير لا يملك بيتاً أو مالا ، ولكنه كان يحمل ما يستطيع أن يغنى به نفوس الناس . فهو وإن بدا أنه لا يملك شيئاً ، لكنه — لأنه كان يملك المسيح — فقد كان يملك كل شيء يمكن أن تكون له قيمة فى هذا العالم وفى العالم الآتى .

نبرة المحبة

(٢ كورنثوس ٦ : ١١ — ١٣ ، ٧ : ٢ — ٤)

أدمجنا هنا هذين الفصلين (٦ : ١١ — ١٣ ، ٧ : ٢ — ٤) معاً . وأبقينا مؤقتاً الفصل من ٦ : ١٤ إلى ٧ : ١ . وسيتضح سبب هذا عندما نتأمل فى الفصل الأخير بعد ذلك . وهنا نجد بولس يتكلم بنبرة الحب الطاهرة النقية فان الجروح قد التأمت ، والمنازعات قد انفضت وأصلحت ، وعادت المحبة تسود وتهيمن من جديد . والمعنى الحرفى لعبارة « قلبنا متسع » هو أن « قلبنا قد كبر وتضخم » . ويعلق القديس يوحنا فم الذهب على ذلك تعليقاً جميلا فيقول : « كما أن حرارة الشمس تجعل الأشياء تتمدد ، هكذا حرارة المحبة تجعل قلب الإنسان يتسع » . وإذا كان المعتقد أن القلب هو مركز العواطف فى الإنسان فان المحبة التى هى تاج العواطف تجعل القلب يتسع بها ويكبر .

وهنا يسجل بولس سلسلة عظيمة من الإدعاءات . فهو لم يظلم أحداً ، ولم يفسد أحداً ، ولم يطمع فى أحد ، مما يؤثر عن « سير والتر اسكوت » قوله العظيم قرب نهاية حياته : « لم أزعزع إيمان أحد ، ولم أفسد مبادىء أحد » . وصلى « ثاكرى Thackery طالباً ألا يكتب أبداً كلمة تتعارض أو تتناقض مع محبة الله ، أو محبة الناس ، وألا يبث فى الآخرين أفكاره المغرضة أو المتحاملة

أو الملتوية ، وأن يدع قلمه يكتب كلمة الحق فقط ، وألا ينساق لإغراء شهوة أو لطمع مادى » . هناك شيء واحد أسوأ من أن يرتكب الإنسان الخطية بنفسه ، ألا وهو أن يعلم الآخرين أن يخطئوا مثله . فمن أبشع حقائق الحياة أن يتعلم الإنسان الخطية لأول مرة من شخص آخر إذ يدفعه ذلك الشخص إلى السقوط فى أى تجربة ، فيؤدى به إلى ممارستها والانغماس فيها . وكم هو مرعب حقاً أن تقود أخاً لك ، أصغر أو أضعف منك ، إلى الوقوع فى الأخطاء والتردى فيها . حكى أحدهم قصة رجل عجوز وهو على فراش الموت . فقال إنه كان يبدو عليه الاضطراب والغم الشديد . ولما سئل عن سبب اضطرابه أجاب قائلا : « عندما كنت ولداً صغيراً كنت ألعب مع رفاقى قرب مفترق الطرق . ورأينا العمود الذى كانت عليه إشارات المرور ولم يكن مثبتاً جيداً فى مكانه فخلعناه ثم وضعناه بطريقة عكسية بحيث كانت أسهم الإشارات تشير إلى عكس الاتجاهات الصحيحة » . ثم استطرد الرجل العجوز قائلا بألم واضطراب . « ولست أستطيع الآن أن أبعد عن ذهنى التفكير فى نتائج ما عملناه . كم من الناس ضلوا فى الطريق يومئذ ! وكم من المتاعب قاساها الكثيرون بسبب ما فعلناه ! » . إنه لا يوجد إحساس بالأسف يفوق أسفنا عندما نذكر أن آخرين قد ضلوا الطريق الصحيح وانحرفوا عنه بسببنا لذلك كان يحق لبولس أن يفخر بادعائه أن إرشاده وتأثيره كانا دائماً يقودان الآخرين إلى الطريق الأمثل والأفضل .

ويختتم بولس هذا الفصل بقوله للكورنثيين أن تعزيته كانت كاملة ، وأن فرحه كان فائضا حتى فى وسط الضيقات التى كانت محيطة به . وليس هناك دليل أكثر وضوحاً من هذا يظهر أن العلاقات الإنسانية هى أهم شيء فى الحياة . فاذا كان الرجل سعيداً فى بيته مثلا ، فانه يستطيع أن يواجه كل شيء خارج بيته بطمأنينة وهدوء . وإذا كان يتمتع بشركة طيبة مع أصدقائه ، فانه يستطيع أن يواجه مفاجآت المستقبل وتقلبات الأيام وسهامها بابتسامة وبشجاعة وكما يقول كاتب سفر الأمثال : « أكلة من البقول حيث تكون المحبة خير من ثور معلوف ومعه بغضة » (أمثال ١٥ : ١٧)

اخرجوا من وسطهم

(٢ كورنثوس ٦ : ١٤ : ٧ : ١)

والآن نأتى إلى الفصل الذى سبق أن أرجأنا التأمل فيه ... فهو بلا شك بوضعه هذا مربك للغاية . فلو قرأنا الفصل السابق حتى ٦ : ١٣ ثم قرأنا بعده مباشرة ابتداء من ٧ : ٢ ، لكان المعنى متسقاً كاملا . أى أن هذا الفصل يظهر أنه فى غير موضعه ، إذ أنه لا يتمشى مع معانى المحبة المبتهجة الفرحة التى تتجلى فى الآيات السابقة واللاحقة له . وقد رأينا فى شرح مقدمة الرسالة أن بولس كان قد كتب إلى كورنثوس رسالة أخرى سابقة على الرسالة الأولى المعروفة لدينا . فهو يقول فى ١ كورنثوس ٥ : ٩ « كتبت إليكم فى الرسالة أن لا تخالطوا الزناة » . وربما ضاعت هذه الرسالة كلها ، أو ربما كان هذا الفصل جزءاً منها . ومن المحتمل جداً أن تكون إحدى الصحائف قد وضعت فى غير مكانها عندما جمعت رسائل بولس . ذلك لأن جمع هذه الرسائل لم يتم إلا

حوالى سنة ٩٠ بعد الميلاد .

وفى ذلك الوقت ربما لم يكن هناك من يعرف ترتيبها الصحيح . على أن مادة هذا الفصل الذى نحن بصدده الآن تناسب تماماً الرسالة المشار إليها فى كورنثوس ٥ : ٩ . ولابد أنه كان فى ذهن بولس عند كتابته لهذا الفصل صور معينة من العهد القديم . فهو يبدأ بحث الكورنثيين على ألا يكونوا تحت نير مع غير المؤمنين . ولا شك أن هذا يعود بالذاكرة إلى الوصية القديمة فى تثنية ٢٢ : ١٠ « لا تحرث على ثور وحمار معاً » (راجع أيضاً لاوين ١٩ : ١٩) . والفكرة الأساسية هنا هى أنه توجد أشياء معينة متغايرة ومتناقضة من أساسها ، وبحسب طبيعة تكوينها لا يمكن أن توضع معاً . فيستحيل مثلا أن تتمشى طهارة المسيحى مع دنس الوثنى ، ولا يمكن أن يوضع الاثنان فى إطار مشترك أو فى طقم واحد .

وعندما قال بولس : « أية موافقة لهيكل الله مع الأوثان ؟ » لابد أنه عاد بذهنه إلى منسى عند ما أحضر سارية منحوتة ووضعها فى هيكل الله » (٢ ملوك ٢١ : ١ — ٩) ، وكيف أن يوشيا فيما بعد حطم مثل هذه الأشياء تحطيما كاملا (٢ ملوك ٢٣) . أو ربما كان يفكر فى مثل الأشياء الممقوتة المكروهة التى جاء وصفها فى حزقيال ٨ : ٣ — ١٨ . وعبر التاريخ حاول الناس أحياناً أن يشركوا أو يربطوا هيكل الله بالعبادة الوثنية ، وقد كانت نتائج ذلك مروعة ومرعبة حقاً .

إن هذا الفصل كله هو عبارة عن دعوة قوية ونداء حار للمؤمنين حتى لا تكون هناك شركة أو إتفاق بينهم وبين غير المؤمنين . وهو مطالبة للكورنثيين أن يتحفظوا لأنفسهم من أية لوثة أو لطخة تصيبهم من العالم . قيل إن تاريخ إسرائيل وجوهره يتلخص فى هذه الكلمة « أخرجوا ! » . كانت هذه هى كلمة الله التى جاءت لإبراهيم : « وقال الرب لأبرام إذهب (أى أخرج) من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك » (تكوين ١٢ : ١) وكانت هى الإنذار الذى وجه إلى لوط قبل تدمير سدوم وعمورة (تكوين ١٩ : ١٢ — ١٤) . نستخلص من هذا أن هناك أشياء فى العالم لا يستطيع المسيحى الحقيقى أن يربط نفسه بها أو يشترك فيها ، ولا يجرؤ على ذلك .

ومن الصعب أن ندرك ما كانت المسيحية تعنيه بالنسبة للناس الذين قبلوها أولا ، وما كانت تحتمه عليهم من انفصال فى أشياء كثيرة . فالحقيقة أن المسيحية كانت فى كل حالة تتطلب إنفصالا من نوع ما ، أو خروجاً من شيء ما ، أو التخلى عن شيء ما .

١ — ففى حالات كثيرة كان يتحتم على من يتقبل المسيحية أن يتخلى عن حرفته . فالبناء أو المقاول المعمارى مثلا ، الذى أصبح مسيحياً ، لم يكن يستطيع أن يقبل أو يشترك فى بناء معبد للوثن . والحائك ، إذا أصبح مسيحياً ، لا يستطيع أن يحيك ملابس كهنة الآلهة الوثنية . والجندى ، إذا أصبح مسيحياً لا يستطيع أن يلقى بالبخور على المذبح المقام فى باب خيمته رمزاً لعبادة القيصر هذا ما كانت الكنيسة الأولى تواجهه فى أوقات ومناسبات كثيرة أى أنه كان من المحتم أن يختار الشخص بين حرفته وبين ولائه ليسوع المسيح . وقد كان قبول المسيحية أيام الكنيسة الأولى كثيراً ما يعنى التخلى عن الحرفة . وماذا عن موقفنا نحن فى عصرنا هذا ؟ ليس من حق إنسان ما أو من سلطانه أن يكون حارساً لضمير إنسان آخر أو متحكماً فيه . فانه ينبغى على كل إنسان أن

يقرر لنفسه ما إذا كانت حرفته تتفق مع المسيح أم لا ، وما إذا كان ممكناً أن يرافقه المسيح إلى عمله اليومى أم لا .

٢ ـــ وفى أحيان كثيرة كان قبول المسيحية يتطلب التخلى عن الحياة الاجتماعية . وقد سبق أن رأينا ، عندما كنا ندرس الفصل الذى تحدث عن اللحم المذبوح للأوثان ، كيف أنه كانت تقام الولائم الكثيرة فى معابد الآلهة الوثنية فى العالم القديم . وكانت صيغة الدعوة التى تقدم فى هذا المقام هى : « أدعوك للعشاء معى على مائدة إلهنا سيرابيس » . وكانت هذه الولائم تفتتح وتختتم بصب الخمر فى الكئوس لتشرب باسم الآلهة . فهل كان يمكن أن يشترك المسيحى فى عمل مثل هذا ؟ أم كان يتحتم عليه أن يخرج من مثل هذه الشركة ويودع مثل هذه المجتمعات التى كانت تعنى الكثير بالنسبة له ؟

٣ ـــ وكان من يقبل المسيحية يضطر غالباً إلى أن يتخلى عن الربط العائلية . وكانت الطريقة التى كانت تنقسم بها العائلات فى السنين الأولى للمسيحية طريقة مؤلمة حقاً . فقد كان يحدث مثلا أن زوجة تصبح مسيحية فيطردها زوجها من البيت . وأن زوجاً يصبح مسيحياً فتهجره زوجته . وربما توصد الأبواب فى وجه ابن أو ابنة صارا مسيحيين . فتمت بذلك العبارة التى قالها المسيح ، إنه لم يأت ليلقى سلاماً بل سيفاً ، وبذلك كان المؤمنون به مستعدين أن يحبوه هو أكثر من محبتهم لأقرب الناس إليهم وأعزهم عندهم . لقد كان يتحتم على من يقبلونه أن يكونوا مستعدين لأن « يخرجوا » حتى من بيوتهم .

ومهما كان الأمر صعباً ، فان الحقيقة ستظل قائمة ، وهى أن هناك أشياء معينة لا يستطيع الإنسان أن يفعلها إذا أراد أن يبقى مسيحياً . بل يتحتم عليه أن « يخرج » منها .

وقبل أن نختتم دراسة هذا الفصل توجد نقطة واحدة جديرة بالملاحظة . وهى أن بولس يقتبس هنا بعض الشواهد الكتابية ، ولكن اقتباساته ليست دقيقة تماماً وبعضها وردت فى لاويين ٢٦ : ١١ و ١٢ ، إشعياء ٥٢ : ١١ ، حزقيال ٢٠ : ٣٤ ، ٣٧ : ٢٧ ، ٢ صموئيل ٧ : ١٤ . ولا يمكن أن ننكر أن بولس قلما كانت اقتباساته دقيقة أو مضبوطة . لماذا ؟ للاجابة على ذلك يجب أن نذكر أنه فى أيام بولس لم يكن هناك ما يمكن أن يسمى بالكتاب على النحو الذى نعرفه اليوم . فقد كانت الكتب تكتب على لفائف البردى . فكتاب بحجم سفر الأعمال مثلا كان يتطلب ملفاً طوله حوالى خمسة وثلاثين قدماً ، ولاشك أن حجماً كهذا كان ضخماً للغاية وثقيل الحمل . وفضلا عن ذلك ، لم يكن التقسيم إلى أصحاحات قد عرف بعد ، فان فكرة تقسيم الأسفار المقدسة إلى أصحاحات قد أدخلها استيفن لانجتن Stephen Langtom فى القرن الثالث عشر . كما لم يكن هناك تقسيم إلى أعداد أو آيات ، فان هذا التقسيم قد أدخله استفانوس Stephanus ، الطباع الباريسى ، فى القرن السادس عشر . وأخيراً ، لم يكن هناك شىء مثل « فهرس الكتاب » الذى لم يعرف حتى القرن السادس عشر . ونتيجة لذلك كله عمل بولس الشىء الوحيد المعقول ـــ وهو أنه كان يعتمد فى اقتباساته على الذاكرة . وطالما أنه كان يذكر المعنى الصحيح ، فانه لم يكن يهتم كثيراً بالنصوص اللفظية المضبوطة . فلم يكن المهم فى نظر بولس ألفاظ المكتوب بل رسالته ومعناه .

الفرح والحزن الذى بحسب مشيئة الله

(٢ كورنثوس ٧ : ٥ ــ ١٦)

يرتبط هذا الفصل فى الحقيقة بما جاء فى الأصحاح الثانى والعددين الثانى عشر والثالث عشر ، إذ يذكر بولس هناك أنه لم تكن له راحة عندما جاء إلى ترواس لأنه لم يكن يعرف ما تطورت إليه الأحوال فى كورنثوس . ثم يقول بعد ذلك إنه خرج إلى مكدونية ليقابل تيطس ليعرف منه الأخبار بأسرع ما يمكن . فلنسترجع معاً هذه الظروف التى كانت تعيش فيها كنيسة كورنثوس . لقد حدثت أخطاء فى هذه الكنيسه . وحاول بولس أن يصلحها فقام بزيارة خاطفة لها ، ولكن الأمور صارت إلى أسوأ ــ الأمر الذى جرح قلبه وأحزنه كثيراً . وبعد فشل الزيارة أرسل إليهم تيطس يحمل رسالة قاسية عنيفة . وكان قلقاً جداً حتى أنه لم يستطع أن يستريح فى ترواس ، مع أنه كان يمكن أن يعمل هناك أشياء كثيرة ، ولذلك خرج للقاء تيطس حتى يعرف الأخبار بأسرع ما يستطيع . والتقى بتيطس فى مكان ما فى مكدونية . وكم كان فرحه عظيما عندما علم منه أن المتاعب قد انتهت ، وأن الجروح قد التأمت ، وأن كل شيء قد أصبح على ما يرام . ذلك هو الفرش التاريخى للأحداث التى يجب أن يقرأ هذا الفصل فى ضوءه . وإذا وضعنا هذا فى أذهاننا استطعنا أن نكتشف مدى غنى هذا الفصل الزاخر بالمعانى . فهو يقدم لنا أموراً معينة تشرح أسلوب بولس ونظرته فى الانتهار والزجر .

١ ــ كان بولس واضحاً وصريحاً فى أن هناك وقتاً يكون فيه الانتهار والزجر ضرورياً . فالذى يحدث غالباً هو أن الرجل يبحث عن سلام سهل لا يجدى فى النهاية سوى المتاعب . فكثيراً ما يدع موقفاً عصيباً يتطور حتى يتأزم لأنه يخشى مواجهته ، والوالد الذى لا يمارس فى بيته أى نوع من التأديب أو المراقبة أو السلطة لأنه يخشى التكدير ، إنما يختزن لنفسه فى النهاية مزيداً من المتاعب الأشد . إن المتاعب والمضايقات كالوباء ، إذا ضبطت وعولجت فى الوقت المناسب أمكن استئصالها بسهولة ؛ أما إذا لم تواجه هكذا فقد تتفشى كالسرطان ، وعندئذ يعجز عن مواجهتها كل علاج أو دواء .

٢ ــ ومع كل ذلك ، فان آخر شيء كان بولس يرغبه هو أن يلجأ إلى الانتهار والزجر . وهو لم يفعل ذلك إلا مضطراً ، ولأنه لم يجد أمامه شيئاً آخر يعمله . إنه لم يكن يسر أبداً بتوقيع القصاص على أحد أو جرحه بالألم . فهناك من يجدون لذة فى تسليط ألسنتهم على الآخرين ، ويزعمون أنهم صرحاء مع أنهم فى الحقيقة وقحاء . وهم يفتخرون ببرودهم ، مع أنهم فى الحقيقة مثال للفظاظة والخشونة اللاذعة . إن الحقيقة البسيطة هى أن الانتهار الذى يقدمه شخص بتلذذ أو بتشف لا يمكن أن يكون نافعاً أو بانياً أو مجدياً كما يكون الانتهار الذى ينتزع انتزاعاً من شخص آخر يقدمه مضطراً ، ولأنه يجد أمامه سبيلا آخر غيره للاصلاح .

٣ ــ وفضلا عن ذلك ، فقد كان هدف بولس الوحيد فى توجيه الانتهار والزجر هو أن يمكن

الناس من أن يكونوا كما ينبغي . وكان يرغب فى أن يظهر بواسطته للكورنثيين مدى اجتهاده وحماسه لأجلهم بالرغم من عدم طاعتهم والمتاعب التى سببوها له . وربما كان تصرف بولس معهم ومعاملته إياهم مؤلماً بعض الوقت ، ولكن الألم لم يكن هو الهدف النهائى له ، فلم يكن يريد أن يلقى بهم أرضاً ، بل أن يرفعهم من سقطتهم ، ولم يكن يريد أن يفشلهم ويثبط همتهم ، بل أن يشجعهم ، ولم يكن يريد مجرد استئصال الشر بل أن يعطى للخير فرصة النماء والازدهار .

ويحدثنا هذا الفصل عن ثلاثة أفراح بشرية عظيمة :

١ ـــ فأول فرح هو فرح المصالحة ، فرح الجرح الذى التأم والنزاع الذى انفض وانتهى . لاشك أن كل واحد منا يذكر بعضاً من أوقات الطفولة عندما كنا نرتكب خطأ ما يجعل علاقتنا بوالدينا متوترة ويقيم حاجزاً يفصلنا عنهم . وقد يحدث هذا الشيء عينه الآن بيننا وبين من نحب . ولاشك أيضاً أننا نحس بفيض الراحة النفسية والسعادة والسكينة عندما تزول هذه الحواجز وتعود المياه إلى مجاريها بيننا وبين من نحبهم . ولا جدال فى أن الرجل الذى يحتفظ فى نفسه بمرارة الخصومات لا يؤذى فى النهاية سوى نفسه . إن كلمة واحدة شافية قد تحول هذه المضايقات والمرارة النفسية إلى سلام وفرح .

٢ ـــ وهناك فرح رؤية الشخص الذى يثبت أنه أهل لثقتنا ، والذى يحقق آمالنا فيه . فقد فرح بولس كثيراً جداً عندما وفق تيطس فى مواجهة الموقف العصيب الذى أرسله إليه بولس وأثبت أن افتخار بولس به كان صادقاً وفى محله ، إذ حقق آماله فيه . فليس هناك شيء يثلج صدورنا ويملأ قلوبنا بالبهجة والرضا قدر معرفتنا بأن أولادنا ـــ فى الجسد أو فى الإيمان ـــ موفقون ومباركون فيما يعملون . وليس هناك فرح يستطيع ابن أو ابنة أو تلميذ أن يجلبه لأب أو المعلم أعظم أو أعمق من أن يحقق الآمال التى عقدت عليه . يظهر بحياته وبتصرفاته أنه عند حسن ظن الأب أو المعلم . وإذا كانت أمر مآسى الحياة هى خيبة الآمال فان أعظم أفراح الحياة هى تحقيقها .

٣ ـــ وهناك الفرح الذى نحس به عندما نرى شخصاً نحبه يرحب به وتحسن معاملته . فمن حقائق الحياة أن المعاملة اللطيفة الرقيقة التى يعامل بها من نحبه تأسر قلوبنا أكثر مما لو عوملنا نحن بها . وهذا أيضاً حق بالنسبة لله . ولذلك فان أحسن طريقة يمكن أن نعبر بها عن محبتنا لله هى أن نحب الناس . فان الشيء الذى يبهج قلب الله هو أن يرى واحداً من أولاده يعامل بلطف ورقة . وكلما نفعله بهم فبه قد فعلناه .

كما يصور لنا هذا الفصل أيضاً واحدة من أهم الفوارق الموجودة فى الحياة . فهو يصور لنا الفارق بين الحزن « الإلهى » والحزن « العالمى » :

١ ـــ فالحزن الإلهى ينشىء توبة حقيقية ، والتوبة الحقيقية هى التوبة التى تظهر حزنها بأعمالها . وقد برهن الكورنثيون على توبتهم بعمل كل ما استطاعوا عمله لكى يصلحوا الموقف التعس الذى أدى إليه تصرفهم الطائش . فقد كرهوا الخطية التى كانوا قد ارتكبوها ، بل وكرهوا أنفسهم أيضاً لارتكابها وعملوا جاهدين للتكفير عنها .

٢ ــ والحزن العالمى له خاصيتان :

(أ) فهو ليس حزناً حقيقياً على الإطلاق ، إنه مجرد استياء أو استنكار . وهو استياء أو استنكار بسبب الخوف من العقوبة إذ أن صاحبه لم يستطع الإفلات بخطيته والهروب من العقاب .

(ب) وهو ليس حزناً على الخطية ذاتها أو على الأذى والحزن الذى سببته للآخرين ، ولكنه حزن لأنها اكتشفت وافتضح أمرها . ولو أن صاحب هذا الحزن استطاع أن يجد فرصة أخرى يرتكب فيها الخطية عينها مرة ثانية على شرط أن يفلت من عقابها ، لارتكبها بكل تأكيد وبلا تردد . أى أن الحزن ليس كراهية للخطية ، ولكنه مجرد أسف لأنها قد أوقعته فى المشاكل والمتاعب . إن التوبة الحقيقية ، والحزن الإلهى ؟ هما التوبة والحزن الشخصى الذى يدرك شناعة الخطأ وبشاعته الذى ارتكبه . فهو لا يأسف فقط لنتيجة ما عمل ، ولكنه يكره العمل ذاته . فينبغى علينا أن نحرص جداً على أن نتأكد أن حزننا على الخطية ليس مجرد الأسف لافتضاح أمرنا ، أو لما أوقعتنا فيه الخطية من مشاكل ومتاعب ، بل الحزن الذى يفتح أعيننا لنرى شناعة الخطية ، ويجعلنا نصمم على عدم ارتكابها ثانية ، وأن نكرس بقية حياتنا للتكفير ــ بنعمة الله ــ عما فعلناه .

الأصحاح الثامن

حث على الكرم والسخاء

(٢ كورنثوس ٨ : ١ ـــ ١٥)

كان من أقرب المشروعات أو الخطط إلى قلب بولس هو مسألة جمع العطاء لكنيسة أورشليم . فقد كانت هذه الكنيسة هى الأم بالنسبة لكل الكنائس الأخرى ، ولكنها كانت كنيسة فقيرة ، وكانت رغبة بولس أن كل كنائس الأمم تذكرها وتساعدها كأم لهم فى الإيمان . ولذلك نراه فى هذا الفصل يذكر الكورنثيين بواجبهم من هذه الناحية ، وهو هنا يستخدم خمس حجج يسوقها إليهم لكى يحثهم على أن يعطوا بكرم وسخاء .

١ ـــ فهو يضع أمامهم مثال الآخرين ، فيخبرهم عن سخاء كنائس مكدونية . فقد كانت تلك الكنائس فقيرة وفى ضيقة ، ومع ذلك فقد أعطوا كل ما كان لديهم ، بل إن عطاءهم فاق بكثير ما كان يتوقعه منهم . كانت من قواعد عيد « الفوريم » اليهودى أن كل رجل ، مهما كان فقره ، ينبغى أن يبحث عن شخص آخر أفقر منه ليعطيه نصيباً أو عطية . والواقع أن أغنى الناس ليسوا هم دائماً أكرمهم أو أسخاهم ، بل إن الفقراء هم فى أغلب الأحيان أكثرهم استعداداً للعطاء . وكما يقول المثل الشائع : « إن الفقراء هم الذين يساعدون الفقراء ، لأنهم يذوقون طعم الفقر ويعرفونه جيداً » .

٢ ـــ وهو يضع أمامهم مثال يسوع المسيح . ففى نظر بولس لم تظهر تضحية يسوع بموته على الصليب ، ولا حتى فى ميلاده ، ولكنها بدأت فى السماء عندما قبل أن يتخلى عن مجده وارتضى أن يأتى إلى الأرض . وكأن التحدى الذى يريد بولس أن يضعه أمام كل مسيحى هو هذا : « كيف يمكن أن نضن بالعطاء أو نتخاذل عنه وأمامنا هذا المثال العظيم الهائل للتضحية الكريمة السخية » ؟

٣ ـــ وهو يضع أمامهم سجل ماضيهم ذاته . فقد كانوا سباقين فى كل شىء . فهل تراهم يتأخرون أو يتباطأون فى هذا الأمر ؟ .. لو أن الناس حرصوا على أن يظلوا يعيشون طبقاً لأعلى المستويات والمثل التى بلغوها لاختلفت حياتهم إختلافاً كبيراً . ليت شعارنا دائماً ألا ننزل عن المستوى الأفضل الذى أمكننا الوصول إليه .

٤ ـــ وهو ينبر بصفة خاصة على ضرورة التنفيذ العملى للمشاعر الطيبة . فقد كان الكورنثيون هم أول من شعروا بالاستجابة لهذا المشروع . ولكن الاستجابة التى لا تتخطى مجرد الشعور ، والعطف الذى يبقى مجرد إحساس فى القلب فقط ، والرغبة الطيبة التى لا تتحول إلى عمل طيب ، هى أمور لا تجدى شيئاً بل وتبعث على اليأس وخيبة الأمل وتثبيط الهمة . إن مأساة حياتنا فى أغلب الأحيان ، ليست أننا لا نملك بواعث نبيلة سامية ، ولكننا كثيراً ما ندع هذه البواعث حبيسة

فى نفوسنا ولا نحاول أن نخرج بها إلى حيز العمل والتنفيذ .

٥ ـــ وهو يذكرهم بأن الحياة لها طريقتها الغريبة فى مساواة الأشياء . فمن الحقائق التى كثيراً ما نختبرها أنه يكال لنا بنفس الكيل الذى نكيل به للآخرين . فللحياة طريقتها فى مكافأة السخاء بالسخاء ، وروح الشح والتقتير بمثلها .

ويذكر بولس شيئاً جميلا جداً عن المكدونيين . فهو يقول إنهم « أعطوا أنفسهم أولا للرب ولنا » . وهذا هو بالحقيقة ما فعلوه بالضبط . وقد فاق اثنان منهم الآخرين فى عطائهم وتضحياتهم . فكان هناك « ارسترخس التسالونيكى » الذى كان مع بولس فى الرحلة الأخيرة إلى رومية (أعمال ٢٧ : ٢) . ولابد أنه فعل مثلما فعل لوقا فاتخذ لنفسه قراراً خطيراً وحاسماً . فقد كان بولس فى ذلك الوقت فى طريقه للمحاكمة أمام الإمبراطور . ولم يكن أمام أرسترخس لكى يتمكن من مرافقته سوى طريق واحد فقط ، وهو أن يدرج نفسه كعبد له . وهكذا أعطى أرسترخس نفسه لبولس بكل معنى الكلمة . وكان هناك أيضاً ابفرودتس الذى ذهب إلى بولس فى سجنه يحمل معه عطية من فيلبى . وهناك مرض قريباً من الموت ، وقال عنه بولس : « من أجل عمل المسيح قارب الموت مخاطراً بنفسه » (فيلبى ٢ : ٢٦ ـــ ٣٠) .

وليس هناك عطية يمكن اعتبارها عطية بالمعنى الحقيقى ما لم يقدم المعطى معها قطعة من نفسه . ولذلك فان الجود بالنفس هو دائماً أسمى أنواع العطاء . وفى هذا كان يسوع المسيح المثل الأعلى لنا .

أما اقتباس العهد القديم الذى يختتم به بولس هذا الفصل فقد كان من خروج ١٦ : ١٨ ، عندما كان الإسرائيليون يلتقطون المن فى البرية لم يفضل المكثر ، والمقلل لم ينقص ، أى أنه كان كافياً للجميع .

ترتيبات عملية

(٢ كورنثوس ٨ : ١٦ : ٢٤)

إن الأهمية العظمى لهذا الفصل هى أنه ذا طابع عملى جداً . فقد كان بولس يعلم أن له أعداء ومنتقدين . وأن هناك من كانوا لا يترددون فى اتهامه باحتجاز جزء من العطايا التى تجمع لاستعماله الشخصى . ولذلك نراه يتخذ الخطوات التى يضمن بها استحالة توجيه مثل هذه التهمة إليه ، وذلك بحرصه على التأكد من أن آخرين سيشتركون معه فى مهمة حمل تلك العطايا إلى أورشليم . ولم يعرف أحد على وجه التأكيد من هما الأخوان المشار إليهما ، واللذان لم يذكر إسماهما . ولكن يرجح أن الأول كان لوقا وهو الأخ الذى مدحه فى جميع الكنائس وقد يكون هذا هو أساس تسمية يوم جمع العطايا بيوم القديس لوقا . وفيه يردد المصلون « أيها الإله القوى القادر على كل شىء الذى دعوت لوقا الطبيب الذى مدحه فى الإنجيل ، ليكون مبشراً وكارزاً بالإنجيل وطبيباً للنفوس ، إشف

أمراض نفوسنا بالأدوية الناجعة الشافية التى تضمنتها المبادىء والتعاليم التى كان لوقا يعلنها وينادى بها » .

إن هدف بولس الأساسى كان أن يظهر أنه كان فوق مستوى الريبة والشك أمام الله والناس .

وجدير بالملاحظة أن بولس كان يستطيع أن يكتب كالشاعر الملهم وأن يفكر كاللاهوتى الضليع ، كان يستطيع — إذا اقتضى الأمر — أن يتصرف بدقة وعناية متناهية كالمحاسب القانونى . لقد كان رجلا عظيماً وكبيراً ، فلا غرو إذا كان يستطيع أن يقوم بعمل الأشياء الصغيرة ، والأشياء العملية بدقة فائقة .

الأصحاح التاسع

المعطى من تلقاء نفسه

(٢ كورنثوس ٩ : ١ — ٥)

رأى كثير من الآباء الأولين بين سطور هذا الفصل لمسة إنسانية جميلة . فان بولس وهو يهتم بمسألة الجمع لأجل القديسين فى أورشليم نراه يشجع الكورنثيين على الكرم والسخاء اقتداء بالمكدونيين (٨ : ١ — ٥) ، ونراه أيضاً يشجع المكدونيين على الكرم والسخاء اقتداء بالكورنثيين ! وهو الآن يخشى قليلا لئلا يخيب الكورنثيون أمله فيهم ! وهذا المعنى يقدم لنا صورة نموذجية لصفات بولس ولعظمة قلبه . فهو لم ينتقد كنيسة ما أمام كنيسة أخرى بل كان يمدح الواحدة أمام الأخرى . وهو لم يذكر أخطاء وضعفات كنيسة أمام كنيسة أخرى ولكنه كان يذكر دائماً لكل كنيسة حسنات الكنيسة الأخرى وما فيها من أشياء جديرة بالمدح والثناء . ولاشك أن المقياس الطيب الذى يمكن أن نختبر به أخلاق رجل ما وصفاته ، هو أن يلاحظ ما إذا كان ذلك الرجل يتلذذ بذكر محاسن الآخرين أو بذكر عيوبهم .

وهناك أربع طرق على الأقل يمكن للشخص أن يقدم بها عطيته :

١ — فهو قد يقدم عطيته كمجرد واجب . وقد يبدو عليها كل مظاهر الكرم والسخاء ، ولكنه فى نفسه يفعل ذلك كمن يسدد حساباً أو يدفع ضريبة فرضت عليه . وهى كذلك تصبح واجباً ثقيلا فرض عليه يقدمه بتردد واشمئزاز واضح . والعطية التى تقدم بهذه الطريقة كان من الأفضل لصاحبها لو لم تقدم على الإطلاق .

٢ — وقد يقدم عطيته لمجرد الشعور بارضاء الذات . فهو يفكر فى السرور الذى يحس به عندما يعطى ، أكثر من تفكيره فى مشاعر الشخص الذى يتقبل عطيته . فهناك أناس يودون أن يعطوا قرشاً لشحاذ لشعورهم بلذة إرضاء الذات عندما يفعلون ذلك ، أكثر من أن يكون لديهم أى رغبة حقيقية فى مساعدة الآخرين . ومثل هذا العطاء هو فى جوهره أنانية . إنهم يقدمون العطايا لأنفسهم وليس للآخرين .

٣ — وهو قد يعطى بدافع الحرص على الكرامة والهيبة الشخصية . والباعث الحقيقى لمثل هذا العطاء هو الكبرياء وليس المحبة . فالعطاء يقدم لا لمساعدة المحتاج بل لتمجيد المعطى وتعظيمه . والمعطى فى هذه الحالة لا يعطى إلا إذا وجد الفرصة التى يرى الناس فيها عطاءه ليمدحوه وإذا لم تسنح هذه الفرصة فلا يعطى شيئاً . وقد يقدم مثل هذا المعطى عطاءه ظناً منه أنه بذلك يقرض الله نفسه ، كما لو كان فى مقدور أى إنسان أن يجعل الله مديوناً له .

٤ ــ ولا يمكن أن تعتبر كل طريقة من هذه الطرق السالفة الذكر سيئة . فهناك على الأقل عطية تقدم . ولكن الطريقة الوحيدة للعطاء هى أن يكون بدافع المحبة . فالمعطى الحقيقى يعطى لأنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من العطاء ، وهو يعطى لأن منظر النفس المحتاجة يثير فيه رغبة فى العطاء لا يمكن أن تهدأ أو تسكن إلا إذا تحققت . وهذه هى طريقة الله . إذ قيل « هكذا أحب » العالم حتى بذل ابنه .

إن رغبة قلب بولس العظمى هى أن تكون عطية الكورنثيين جاهزة ، حتى لا يضطروا إلى جمعها وإعدادها وهو بينهم . هناك مثل لاتينى قديم يقول « الذى يعطى بسرعة يعطى مرتين » . وهذا حق دائماً . فان أجمل العطايا والهبات هى التى تقدم قبل طلبها ، وليس عند طلبها . عندما تدفع الحاجة بالمحتاج إلى طلبها .

فالرجل الذى له العين المفتوحة والقلب الحساس واليد الممدودة ليسرع بالعطاء حتى قبل أن يطلب منه . فبينما كنا نحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا والله يسمع صلواتنا حتى قبل أن نسأل أو ننطق بها . ولذلك ينبغى علينا أن نعمل نحن مع الناس مثلما قد عمل الله ولا يزال يعمل معنا .

مبادىء السخاء

(٢ كورنثوس ٩ : ٦ ــ ١٥)

يقدم لنا بولس فى هذا الفصل ملخصاً لمبادىء العطاء والسخاء :

١ ــ فهو يصر على أن الرجل الكريم السخى لا يمكن أن يكون خاسراً فالعطاء هو بمثابة زرع البذور ، والذى يزرع بالشح لا يستطيع أن ينتظر شيئاً سوى الحصاد الشحيح ، ولكن الذى يزرع بيد سخية سيلقى حصاداً وفيراً مباركاً فى حينه . إن العهد الجديد هو كتاب عملى ، ومن ملامحه العظيمة أنه لا يخشى أن يصرح بوجود مكافأة أو كباعث على العمل . فهو لا يقول إن عمل الخير يذهب هباء ، أو أن الحياة تستوى بالنسبة للرجل الذى يطيع الله والذى لا يطيعه . وهو لا ينسى أن هناك شيئاً جديداً وثميناً وعجيباً يدخل حياة الشخص الذى يقبل أوامر الله ووصاياه كناموس لحياته ودستور لها . ولكن المكآفات التى يشير إليها العهد الجديد ليست مكافآت مادية ، فهو لا يعد بثروة الأشياء المادية ولكنه يعد بغنى القلب والروح . إذاً فماذا يستطيع الرجل السخى أن ينتظر ؟

(أ) إنه سيكون غنياً فى المحبة . وهذه نقطة سنعود إليها فيما بعد . وليس من شك فى أنه لا يوجد من يحب الإنسان الدنىء البخيل ، بينما قد يغطى كرم الإنسان وسخاءه على عيوب كثيرة أخرى قد تكون فيه . فالناس بالطبع يفضلون القلب المحب الذى يبالغ فى حرارة الترحيب عند اللقاء والعطاء عن الروح الباردة الجافة التى تعمل حساباً لكل شىء .

(ب) وهو سيكون غنياً فى الأصدقاء . والرجل الذى له أصدقاء لابد أن يكون هو نفسه صدوقاً ودوداً لهم . والذى لا يستطيع أن يحب أحداً لا يمكن أن يتوقع من أحد أن يحبه . إن الرجل الذى يفتح قلبه للآخرين تتفتح له قلوب الآخرين أيضاً .

(ج) وهو سيكون غنياً فى المساعدة . فلا بد أن تمر بحياتنا أيام نحتاج فيها إلى مساعدة الآخرين ، فاذا كانت مساعدتنا لهم مساعدة شحيحة مقترة ، فلابد أن تكون مساعدتهم لنا بنفس الشح والتقتير . والكيل الذى نستخدمه مع الآخرين هو الذى يحدد الكيل الذى يعاملوننا به .

(د) وهو سيكون غنياً نحو الله . فقد علمنا يسوع أن ما نفعله للآخرين إنما نفعله لله . وسيأتى اليوم الذى نثاب فيه عن كل مرة فتحنا فيها قلوبنا وأيدينا ، كما أن كل مرة أغلقنا فيها قلوبنا وأيدينا فى وجه الآخرين ستكون شاهدة ضدنا .

٢ ـــ ويصر بولس على أن المعطى المسرور هو الذى يحبه الله . فى سفر التثنية ١٥ : ٧ ـــ ١١ نقرأ عن واجب السخاء نحو الأخ الفقير . ويقول العدد العاشر : « أعطه ولا يسوء قلبك عندما تعطيه » . وجاء فى التلمود أن استقبال صديق ببشاشة وابتهاج وعدم إعطائه شيئاً أفضل من إعطائه كل شىء باشمئزاز وكآبة وجه . وقال سينكا Seneca الفيلسوف الرومانى إن العطاء المتردد والمتأخر أسوأ من عدم العطاء . ويقتبس بولس من مزمور ١١٢ : ٣ و ٩ ما يعتقد أنه من مواصفات الرجل التقى السخى . فهو يوزع بسخاء ، ويعطى المساكين بكرم وسخاء وليس بشح وتقتير ، وبره وعمله هذا يبقى قائماً لابتهاجه إلى الأبد . ويقص علينا « كارليل » كيف انه عندما كان ولداً صغيراً جاء إلى باب البيت شحاذ مسكين . وكان والداه فى ذلك الوقت خارج البيت . وكان هو وحيداً فيه . فما كان من كارليل ، إلا أنه كسر حصالة نقوده الخاصة ، وأعطى الشحاذ كل ما كان بداخلها . ويقول كارليل إنه لم يشعر فى حياته بسعادة غامرة مثلما شعر فى تلك اللحظة . حقاً إن العطاء فى ذاته يحمل للمعطى فرحاً وسروراً عظيماً .

٣ ـــ يصر بولس على أن الله يستطيع أن يمنح الإنسان المادة التى يعطيها والروح التى يعطى بها هذه المادة . وفى العدد الثامن يتحدث بولس عن الاكتفاء الذى يعطينا الله إياه . والكلمة التى يستخدمها هنا هى كلمة autarkeia . وهى تعنى ، ليس اكتفاء الرجل الذى يمتلك كل الأشياء بكثرة ووفرة . ولكنها تعنى القدرة على الاستقلال الذاتى . فهى تصف الرجل الذى لم يوجه حياته نحو تكديس الممتلكات وزيادتها بل إلى إستبعاد احتياجاته الشخصية . إنها تصف الرجل الذى درب نفسه على أن يكون قانعاً بالقليل جداً فلا يريد شيئاً لنفسه ، الرجل الذى تعلم أن يستغنى عن كثير من الأشياء . ومن الواضح أن مثل هذا الرجل سيكون قادراً على أن يعطى الكثير للآخرين لأنه لا يريد لنفسه سوى القليل . إن الذى يحدث فى أغلب الأحيان هو أننا نريد لأنفسنا الكثير بحيث لا يتبقى عندها شىء لدينا نعطيه للآخرين .. ولكن الله لا يمنحنا فقط ما نعطيه ، بل أن يعطينا الروح التى تعطى ..

كان خدم روبرت لويس استيفنسن يحبونه جداً . وقد اعتاد خادمه الخاص أن يوقظه كل صباح بفنجان شاى . وحدث مرة أن كان خادمه فى أجازة ، وكان هناك خادم آخر يقوم بعمله . وعندما

ذهب هذا فى الصباح ليوقظ سيده كان يحمل إلى جانب فنجان الشاى طبقاً من العجة الشهية . فشكره استيفنسن وقال له : « عظيم تفكيرك » فأجاب الخادم قائلا : « لا ياسيدى ، عظيمة محبتى » . إن الله وحده هو الذى يستطيع أن يضع فى قلوبنا المحبة التى هى جوهر الروح السخى وخلاصته .

ولو أننا قرأنا هذا الفصل وتأملناه ملياً لرأينا فيه أن العطاء يفعل أشياء عجيبة لثلاثة أشخاص مختلفين :

١ ـــ فهو يفعلَ شيئاً للآخرين :

(أ) إنه يخفف من احتياجاتهم. فعندما تقدم عطية أو هدية لإنسان متحير متضايق فانها تبدو وكأنها هدية السماء ذاتها له .

(ب) وهو يعيد للآخرين ثقتهم بالناس فكثيراً ما يشعر الإنسان عندما يكون فى ضيقة ، بمرارة فى نفسه ، ويحس أنه منسى ومهمل من الآخرين . ولكن العطاء يعيد ثقته بالناس ، ويريه أن المحبة والحنان لم يموتا بعد .

(ج) وهو يجعلهم يشكرون الله . فان العطية التى نقدمها للناس وهم فى ضيقة أو فى حاجة إليها لهى شيء لا يجعل الآخرين يحبوننا نحن فقط ، بل يجعلهم يحبون الله أيضاً .

٢ ـــ والعطاء يفعل شيئاً لنا :

(أ) فهو يضمن ويثبت صدق اعترافنا بمسيحيتنا . وكان هذا الأمر ذا أهمية خاصة بالنسبة للكورنثيين . ولقد كانت كنيسة أورشليم ، ذات صبغة يهودية خالصة وتنظر إلى الأمم بارتياب ، متشككة فى أعماقها فيما إذا كان يمكن أن تكون المسيحية هى للأمم أيضاً . لذلك كانت عطية كنائس الأمم أكبر تأكيداً وبرهاناً على حقيقة مسيحيتهم وصدقها . فبالسخاء يظهر الإنسان مسيحيته لا بالكلام فحسب بل فى الأعمال أيضاً .

(ب) والعطاء يكسبنا محبة الآخرين وصلواتهم أيضاً . إن ما يحتاج إليه العالم اليوم أكثر من أى أمر آخر هو شيء يربط بين الإنسان وسائر الناس الآخرين . وليس هناك ما هو أثمن أو أجمل من الشركة أو المشاركة . وما السخاء إلا الخطوة الأساسية ، على الطريق الذى يوصل إلى هذا الاتحاد الحقيقى .

٣ ـــ والعطاء يفعل شيئاً لله :

فهو يجعل صلوات الشكر ترتفع إليه . إن الناس عندما يرون أعمالنا الحسنة لا يمجدوننا نحن بل يمجدون أبانا الذى فى السماوات كما قال يسوع .

وعندما نفعل شيئاً ما يوجه أفكار الناس وقلوبهم إلى الله إنما نعمل عملا عظيماً ، لأن هذا يعنى أننا نستطيع أن نفعل شيئاً يفرح قلب الله .

وختاماً ، يوجه بولس أنظار الكورنثيين إلى عظمة عطية الله العجيبة فى يسوع المسيح ، العطية التى لا يمكن أبداً أن نصل إلى مداها والتى لا يمكن أبداً أن نعبر عنها ، وكأنه يريد أن يقول لهم : « هل يمكن لكم ، أنتم الذين عاملكم الله بسخاء هذا مقداره ، إلا أن تكونوا أسخياء فى سد إعواز إخوانكم من القديسين .

والآن ، قبل أن نتقدم لدراسة الأصحاحات من ١٠ ـــ ١٣ من هذه الرسالة لنذكر ما سبقت الإشارة إليه فى مقدمة رسالتى كورنثوس . فهناك فجوة مدهشة بين الأصحاح التاسع والأصحاح العاشر . فحتى الأصحاح التاسع يبدو كل شيء حسناً ، فالشرخ قد جبر والنزاع قد إنقضى . وكنا نتوقع أن بولس ، وقد تحدث فى الأصحاحين الثامن والتاسع عن مسألة الجمع للكنيسة فى أورشليم ، أن يختتم حديثه فى هذا الأمر بعد ذلك . ولكننا ، بدلا من ذلك ، نجد أمامنا أربعة أصحاحات تعتبر ، بالنسبة لكل ما كتبه بولس ، من أكثرها حزناً وألما ومرارة . وهذا يجعلنا نتعجب كيف وضعت هذه الأصحاحات فى مكانها هذا . وهنا يجب أن نذكر أن بولس فى رسالته الثانية أشار مرتين إلى رسالة شديدة اللهجة كان قد كتبها إليهم . وكانت هذه الرسالة صارمة حتى أن بولس أحس مرة بالأسف لأنه كتبها (٢ كورنثوس ٢ : ٤ ، ٧ : ٨) . وهذا الوصف لا ينطبق أبداً على الرسالة الأولى إلى كورنثوس ولا يتناسب معها إطلاقاً . لذلك نجد أنفسنا أمام أحد أمرين : إما أن تكون الرسالة العابسة شديدة اللهجة قد فقدت كلية ، أو على الأقل أن جزءاً منها متضمن فى هذه الأصحاحات من ١٠ إلى ١٣ . ويكاد يكون الإحتمال كله أن الأصحاحات ١٠ ـــ ١٣ من الرسالة الثانية هى ذاتها الرسالة العابسة شديدة اللهجة المشار إليها ، وأنها وضعت خطأ فى هذه الأصحاحات عندما جمعت رسالة بولس . ومعنى هذا أننا إذا أردنا أن نضع الأمور أمامنا بحسب الترتيب الصحيح كان لزاما علينا أن نقرأ الأصحاحات ١٠ ـــ ١٣ قبل أن نقرأ الأصحاحات التسعة السابقة . ولا نجانب الصواب ، إذا كنا نعتقد أننا سنقرأ فى الأصحاحات القادمة نص الرسالة التى آلم بولس جداً أن يضطر إلى كتابتها ، ولكنه كتبها لمحاولة إصلاح وضع كاد يكسر قلبه ويحطمه من الحزن والألم .

الأصحاح العاشر

بولس يبدأ فى مجاوبة منتقديه

(٢ كورنثوس ١٠ : ١ — ٦)

يستخدم بولس فى مستهل هذا الفصل كلمتين يحدد بهما النغمة التى يريد أن يصوغ بها حديثه كله . فهو يتحدث أولا عن وداعة المسيح وحلمه . والكلمة المترجمة هنا وداعة هى فى الأصل كلمة Prautes وهى كلمة ذات مغزى مشوق . عرفها ارسطوطاليس بأنها الوسط الصحيح بين الإسراف فى الغضب وعدم الغضب إطلاقاً . إنها صفة الرجل الذى يستطيع أن يسود على غضبه ويتحكم فيه حتى أنه يغضب دائماً عندما يكون الغضب لازماً ومناسباً ، ولا يغضب أبداً عندما يكون الغضب خطأً أو لا تكون له ثمة ضرورة . كما أنها تصف الرجل الذى لا يغضب بسبب أية إساءة أو إهانة شخصية توجه إليه ، ولكنه قادر على الغضب المقدس عندما يرى الآخرين يساء إليهم أو تلحق بهم مظالم أو إهانات . وكأن بولس باستخدامه لهذه الكلمة فى مستهل رسالته الصارمة شديدة اللهجة — يريد أن يقول لهم إنه لا يتحدث إليهم بدافع غضب شخصى ولكنه بدافع الوداعة القوية التى ليسوع نفسه .

أما الكلمة الأخرى « حلم » ، وهى باليونانية epieikeia ، فهى كلمة لا تقل عن الكلمة الأولى جمالا ولمعانا . ويعرف اليونانيون أنفسهم هذه الكلمة بقولهم إنها تعنى « ما هو عادل بل وما هو أفضل من عادل » . وهم يعتبرونها الصفة التى تصون العدل وتحفظه من خطر الانحراف إلى الظلم . فهناك بعض الحالات والظروف التى لو طبقت فيها القوانين والقواعد والأنظمة تطبيقاً حرفياً لاعتبرت فى الواقع ظلماً . وفى بعض الأحيان تنشأ ظروف معنية يتطلب العدل الحقيقى إزاءها ، لا الإصرار على تطبيق القواعد أو الالتزام بحرفية القانون ، بل أن تتدخل فى الأمر صفة أخرى أعلى وأسمى من مجرد العدل . فالرجل الذى له « حلم epieikeia » المسيح هو الرجل الذى يعرف أن القول الفصل فى كل أمر من الأمور ، بحسب المستوى المسيحى ، هو للمحبة وليس للعدل . وإذ يستخدم بولس هذه الكلمة فى البداية فهو فى الواقع يريد أن يقول إنه لا يستهدف من وراء هذه الرسالة المطالبة بحقوقه ، أو الإصرار على فرض قواعد وأنظمة معينة ، أو تطبيق ناموس ما تطبيقاً حرفياً . ولكنه يريد أن يعالج هذا الموقف بمحبة كمحبة المسيح التى تفوق أنقى وأسمى درجات العدل الإنسانى . فهو سيحاول معالجة الموقف كما لو كان المسيح نفسه يعالجه .

ولكننا الآن نصل إلى جزء من الرسالة يصعب علينا جداً أن نفهمه . وسبب صعوبة فهمه هو أننا نسمع جانباً واحداً فقط من طرفى المحاورة . فنحن هنا نسمع فقط رد بولس ، ولسنا نعلم بالضبط ماذا كانت التهم التى وجهها الكورنثيون ضده . ولذلك علينا أن نستنتج هذه التهم من

الأجوبة التى يعطيها بولس لهم . ذلك لأن الصعوبة الأساسية فى محاولة تفسير أية رسالة هى أنه ليس أمامنا سوى جانب واحد من المحادثة . ولكننا نستطيع على الأقل أن نستخلص لأنفسنا بعض الاستنتاجات .

١ ــ من الواضح أن الكورنثيين كانوا قد اتهموا بولس بأنه كان جريئاً متجاسراً عندما لم يكن معهم وجهاً لوجه ، وأنه كان فى الواقع مخلوقاً مسكيناً ذليلا عندما يوجد بينهم . وهم يقولون إنه يستطيع أن يكتب رسائل طية عندما يكون غائباً ، ولكنه لا يملك الشجاعة لكى يقول أمامهم الأشياء التى يكتبها لهم . ويرد بولس عليهم بقوله إنه يرجو ألا تسنح له المناسبة التى فيها يعالج الأمور معهم شخصياً مع أنه يعلم أنه قادر على ذلك تماماً . ومع أن الرسائل يمكن أن تكون أشياء خطيرة حقاً إذ أن كاتب الرسالة يمكن أن يكتب رسالته بلهجة قاسية مريرة قد لا يستخدمها أبداً فى مواجهة المرسل إليه ، ومع أن تبادل الرسائل ربما يسبب ضرراً بالغاً كان من الممكن تلافيه بالمناقشة وجهاً لوجه ، لكن بولس يؤكد أنه لم يكن ليكتب أى شىء لو لم يكن مستعداً لأن يقوله وجهاً لوجه .

٢ ــ ومن الواضح أنهم اتهموه بأنه يبنى سلوكه على بواعث ودوافع بشرية . ويرد بولس على هذا الاتهام بأن كلا من سلوكه وقوته هما من الله . حقاً إنه كانسان يخضع لكل ما فى الإنسانية من محدودية وقصور ، ولكن الله هو الذى يرشده ويقويه . وما يجعل هذا الفصل صعب الفهم هو أن بولس يستخدم الكلمة المترجمة جسد Sark فى معنيين مختلفين :

(أ) فهو يستخدمها فى المعنى العادى الذى يقصد به الجسد الإنسانى ، وقوله : « نسلك فى الجسد » يعنى ببساطة أنه إنسان كأى شخص آخر .

(ب) ولكنه يستخدم هذه الكلمة أيضاً بطريقته الخاصة المميزة فيعنى بها ذلك الجانب من الطبيعة الإنسانية الذى يقود الإنسان إلى الخطية ويعطى للتجربة قوتها ويؤدى بالإنسان الذى يعيش بدون الله إلى حياة الضعف والهزيمة والاستسلام .

ولذلك قال : « لسنا نسلك حسب الجسد » . وكأنه أراد أن يقول : « أنا إنسان لى جسد بشرى ، ولكنى لا أسمح لنفسى مطلقاً أن تخضع تحت سيطرة الدوافع والبواعث البشرية المحضة . ولن أحاول أن أعيش بدون الله » . إن الإنسان يمكن أن يعيش فى الجسد ومع ذلك يسلك بقيادة وإرشاد روح الله .

ويستطرد بولس فيسجل ثلاث نقط هامة لها مغزاها :

١ ــ فهو يقول إنه قادر على التعامل مع كل مهارة أو براعة بشرية مغرورة ، بل وقادر بالله على هدم كل كبرياء بشرية وكل حكمة بشرية تبدو بحسب الظاهر معقولة . فهناك نوع من البساطة أقوى بكثير من أية مجادلة عقلية بشرية مهما اتسمت بالبراعة والمهارة . إنها البساطة الكاملة التى تنبعث من القلب المخلص والتى تستطيع أن تصيب الهدف وأن تحقق ما تعجز المجادلة العقلية عن تحقيقه أو الوصول إليه بالحجة والبرهان .

٢ ــ يتحدث بولس عن استئثار كل فكر إلى طاعة المسيح ، فالمسيح له طريقته العجيبة المذهلة

فى استئثار كل ما كان وثنياً وفى إخضاعه لأغراضه الجيدة ، حدثنا ماكس وارن Max Warrn عن عادة كانت منتشرة بين أهالى غينيا الجديدة عند إقامتهم لشعائرهم الدينية ، فقد كانوا فى أوقات معينة يرددون بأصوات الغضب المجنون ما يسمونها « أناشيد القتل » يذكرون فيها أمام إلهم أسماء الناس الذين يريدون قتلهم . وعندما أصبح هؤلاء الأهالى مسيحيين أبقوا على عادة إقامة الشعائر والطقوس الدينية ، ولكنهم استبدلوا فى « أناشيد القتل » هذه أسماء الناس الذين كانوا يكرهونهم ويريدون قتلهم بأسماء الخطايا التى أصبحوا يكرهونها والتى يرجون من الله أن يساعدهم على القضاء عليها والخلاص منها . وهكذا خضعت للمسيح عادة وثنية قديمة . إن يسوع لا يرغب أن ينتزع منا صفاتنا وقدراتنا ومميزاتنا . ولكنه يرغب فى أن يأخذها ويستخدمها لنفسه ولمجده ، فلا نعود نستخدمها لخطايانا ولذواتنا . فدعوته لنا هى لأن نأتى إليه ونقدم له كل ما لدينا ، وهو ما سيمكننا ـــ إذا كنا نسلم كل شيء له ـــ من أن نستخدم كل طاقتنا وإمكاناتنا بطريقة أفضل مما كنا نفعل من قبل .

بولس يستمر فى مجاوبة منتقديه

(٢ كورنثوس ١٠ : ٧ ـــ ٨)

يستمر بولس فى هذا الفصل فى الإجابة على منتقديه ، ومرة أخرى تصادفنا المشكلة عينها ، وهى أننا هنا نستمع إلى طرف من المحاورة . ولهذا لا نملك إلا أن نستنتج ماهية الانتقادات التى وجهت إلى بولس من إجابة بولس نفسه عليها .

١ ـــ يبدو أن بعض خصومه زعموا أنه لم يكن ينتمى إلى المسيح بنفس الطريقة التى كانوا هم ينتمون بها إليه . وربما كانوا لا يزالون يتددون به ويذكرون أنه كان يوماً ما كبير المضطهدين لكنيسة المسيح . أما هو فقد زعموا لأنفسهم معرفة ورؤى خاصة . وادعوا قداسة روحانية خاصة . وكانوا على أية حال ينتهزون كل فرصة ليحقروا من شأن بولس ويمجدوا أنفسهم وعلاقتهم الخاصة بالمسيح ، غير عالمين أن التدين الذى يجعل الإنسان يحتقر الآخرين ، ويظن فى نفسه أنه أفضل منهم لا يمكن أن يكون تديناً حقيقياً . منذ سنوات ليست ببعيدة حدثت نهضة روحية كبيرة فى كنائس شرق إفريقية . وكانت إحدى ملامح النهضة اعتراف الناس العلنى بخطاياهم . وبينما كان الأهالى يتسابقون على الاعتراف كان الأوربيون الذين معهم يترفعون عن الاشتراك فى ذلك الاعتراف . فكتب أحد المرسلين يقول :

« إن الإحجام والترفع عن الاعتراف معناه عدم الرغبة فى الشركة مع الخطاة الذين غفرت خطاياهم . وكثيراً ما يتهم الأوربيون بالكبرياء وبعدم الرغبة فى الشركة المسيحية على هذا النحو » . ولست أظن أن هناك تعريفاً للكنيسة أجمل أو أدق من كونها شركة خطاة قد غفرت خطاياهم . وعندما يدرك شخص ما أنه ينتمى إلى شركة كهذه فلن يكون هناك مكان فى نفسه للكبرياء . إن مشكلة المسيحى المتعجرف المتكبر هى أنه يحس أن المسيح ينتمى إليه أكثر من إحساسه بأنه

هو ينتمى إلى المسيح .

٢ ــ ويبدو أن الكورنثيين كانوا فعلا قد عيروا بولس بشأن مظهره الشخصى . ويبدو أنهم كانوا قد تهكموا عليه قائلين إن حضوره الجسدى ومظهره الشخصى ضعيفان ، وأنه ليس خطيباً أو كليماً . وربما كانوا فى ذلك على حق . فقد جاء وصف لمظهر بولس الشخصى فى كتاب قديم جداً إسمه « أعمال بولس وثكلا The Acts of paul and Thecla يرجع تاريخه إلى عام ٢٠٠ م . ويصف هذا الكتاب بولس بأنه « رجل صغير القوام ، رقيق الشعر فوق الرأس ، عنده التواء فى القدمين ، حالة جسمه طيبة ، حاجباه ملتقيان ، أنفه معقوف نوعاً ما ، ملىء بالنعمة ، كان يظهر أحياناً كانسان وأحياناً كأن له وجه ملائكى » . ويجدر بنا أحياناً أن نذكر أنه ليس أمراً نادراً أن روحاً عظيمة تسكن جسداً متواضعاً . فقد كان « وليم ولبرفورس » الذى حمل مسئولية تحرير العبيد فى الامبراطورية البريطانية مخلوقاً صغيراً وضعيفاً حتى أنه كان يبدو وكأنه قشة فى مهب الريح . ولكن عندما سمعه « بوسول » مرة وهو يتحدث أمام الجمهور قال عنه :

« رأيت أمامى فى البداية ما بدا لى كأنه برغوث البحر ، ولكن عندما أنصت إليه بدأ يكبر ويكبر حتى صار فى نظرى حوتاً كبيراً » . لقد وصل الكورنثيون إلى أحط درجات اللياقة والحكمة عندما عيروا بولس بمظهره الشخصى .

٣ ــ ويبدو أنهم اتهموا بولس بالتفاخر بالسلطان الذى أعطاه إياه الرب ، وبمحاولته إستغلال هذا السلطان فى منطقة أو دائرة لا تخصه . ولا شك أنهم قالوا « فليلعب بولس دور السيد فى كنائس أخرى ، ولكن ليس فى كورنثوس » . وإذا بجواب بولس القاطع على ذلك أن كورنثوس هى فى صميم دائرة أو منطقة سلطانه لأنه كان أول من أبلغهم بشارة يسوع المسيح . ولقد كان بولس واحداً من الربيين ، وربما كان يفكر فى إدعاء اعتاد الربيون كثيراً أن يستخدموه وأن يرددوه . فقد كانوا يتمتعون باحترام خاص لأنهم علموا الناس إن احترام المعلم يجب أن يفوق احترام الوالد ، فالوالد فى نظرهم يحضر طفلاً إلى الحياة فى هذا العالم ، ولكن المعلم يعده للحياة فى العالم الآتى . وبكل تأكيد لم يكن هناك من يستطيع أن يزعم لنفسه حق ممارسة سلطانه فى كنيسة كورنثوس أكثر من الرجل الذى استخدمه الله وقاده فى تأسيس تلك الكنيسة .

٤ ــ ثم نرى بولس يوجه إليهم اتهاماً ، فيقول فى تهكم واستهزاء إنه لا يمكن أن يحلم بمقارنة نفسه مع الذين يمدحون أنفسهم ، ثم يضع إصبعه بدقة على موضع الداء . وهو أنهم لا يعملون شيئاً سوى أن يمدحوا أنفسهم لأن مستوى القياس الوحيد بالنسبة إليهم هو أنفسهم ويقارنون أنفسهم الواحد بالآخر . لقد كانوا يستخدمون ، كما يفعل أناس كثيرون ، مستوى خاطئاً للقياس . فقد تظن فتاة أنها أفضل من يستطيع العزف على البيانو ، ولكنها لو قارنت نفسها بكبار العازفين لغيرت رأيها . وقد يظن رجل أنه أحسن من يلعب الكرة مثلا ، ولكنه لو قارن نفسه بكبار اللاعبين لغير رأيه فى نفسه . وقد يظن آخر أنه أحسن واعظ ، ولكنه لو قارن نفسه بأحد القديسين وأمراء الوعظ فانه يود لو أقفل فمه عن الوعظ مرة ثانية . إنه من السهل أن يقول أحدهم « أنا طيب مثل جارى ، أو أنا طيب مثل فلان الذى يسكن على مقربة منا » ، وقد يكون هذا القول صادقاً

ولاشك فيه . ولكن ليس هذا هو المهم . إن المهم هو : هل نحن طيبون مثل يسوع المسيح ؟ إن يسوع هو أساس قياسنا وهو مستوى المقارنة الحقيقية ، وعندما نقيس أنفسنا به فلن يكون هناك مكان فى حياتنا للكبرياء والتفاخر . إن « مدح النفس » كما يقول بولس ليس شرفاً أو « تزكية » . إن الإنسان لا ينبغى أن يبحث عن مدحه لنفسه أو تقديره لها . بل يجب أن يطلب مدح المسيح له ورضاءه عنه .

وقبل أن ننتهى من هذا الفصل يجب أن نتأمل قليلا عبارة وردت فيه وهى عبارة « لنبشر إلى ما وراءكم » . وهذه العبارة تعبر عن صفة من الصفات المميزة لقلب بولس . فهو يرغب فى أن تستقر الأمور فى كورنثوس لأنه يشتاق إلى أن يذهب إلى المناطق الأخرى التى لم يصل إليها أحد ولم يعرفوا قصة المسيح بعد . اعتاد . و . م مكجريجر W . M - Macgregor أن يقول عن بولس إن فكره كان دائماً مشغولا بالمناطق الأخرى التى لم تسمع بشارة الإنجيل .

فلم يكن يرى سفينة تلقى مراسيها فى ميناء إلا ويشتاق لركوبها ليحمل رسالة الإنجيل إلى المناطق التى « وراء » . ولم يكن يرى سلسلة من التلال البعيدة إلا ويرغب فى اجتيازها ليحمل قصة المسيح إلى المناطق التى « وراء » . إن الشخص الذى يحب المسيح لابد أن يكون فكره مشغولا دائماً بالرغبة فى تبشير الملايين الذين لم يسمعوا قط عن المسيح الذى يعنى بالنسبة إليه كل شىء فى الحياة .

الأصحاح الحادى عشر

خطر ضياع العفة

(٢ كورنثوس ١١ : ١ ــ ٦)

فى هذا الفصل كله نلاحظ أن بولس يستخدم أسلوباً ووسائل تعتبر بالنسبة له كريهة ومستقبحة كلية . فقد اضطر إلى أن ينبر على سلطانه ، واضطر أن يقدم ما يمكن اعتباره أوراق اعتماده ، واضطر أن يتحدث بالفخر عن نفسه ، واضطر أن يقارن بينه وبين أولئك الذين كانوا يحاولون إغواء كنيسة كورنثوس وإغراءها على التفريط فى عفتها . وكان بولس يكره أن يستخدم مثل هذا الأسلوب . ولذلك نراه يعتذر فى كل مرة يضطر فيها إلى الكلام بمثل هذه الطريقة . فلم يكن هو الرجل الذى يجب أن يفرض على الناس مراعاة كرامته واعتباره . قيل عن رجل عظيم إنه « لم يذكر كرامته واعتباره أبداً حتى نسى الآخرون ما له من كرامة واعتبار » . ولكن بولس كان يعتقد أن الذى كان تحت الخطر ، لم يكن هو شرف بولس وكرامته ، بل شرف يسوع المسيح وكرامته .

ويبدأ بولس حديثه فى هذا الفصل باستخدام صورة حية من عادات الزواج اليهودية . وقد كانت فكرة اعتبار إسرائيل « عروس » الله فكرة شائعة فى العهد القديم . قال إشعياء : « لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه » (إشعياء ٥٤ : ٥) ، « وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك » (إشعياء ٦٢ : ٥) . لذلك كان طبيعياً أن يستخدم بولس استعارة الزواج وأن يفكر فى كنيسة كورنثوس باعتبارها عروس المسيح . وقد كان فى حفلات الزفاف اليهودية أناس يسمون أصدقاء العريس . وهما فى العادة اثنان أحدهما ينوب عن العروس والآخر ينوب عن العريس . وكان على هذين الشخصين واجبات كثيرة . فكانا يقومان بدور حلقة الاتصال بين العريس والعروس . وكانا يحملان الدعوات للضيوف . ولكن كانت لهما مسئولية خاصة . وهى ضمان طهارة العروس وعفتها . وهذه الفكرة هى التى كانت تجول فى خاطر بولس . ففى زواج يسوع المسيح بكنيسة كورنثوس يشعر بولس أنه يقوم بدور صديق العروس . ومن ثم فهو مسئول عن ضمان عفة العروس وطهارتها ، وعليه أن يبذل كل ما فى وسعه لكى يحافظ على كنيسة كورنثوس نقية طاهرة كعذراء عفيفة مناسبة ليسوع المسيح .

وكانت هناك أسطورة يهودية ، شائعة فى أيام بولس ، تقول إن الشيطان خدع حواء فى جنة عدن وأفسدها وأغواها ، وإن قايين كان ثمرة اتحادهم الآثم . ولابد أن بولس كان يفكر فى تلك الأسطورة القديمة عندما قال إنه يخشى على كنيسة كورنثوس من الفساد والزنى والضلال بعيداً عن المسيح .

وواضح تماماً أنه كان فى كورنثوس أناس يكرزون بالمسيحية بحسب روايتهم الخاصة ، وكانوا يصرون على أن إنجيلهم يفوق الإنجيل الذى يكرز به بولس . ومن الواضح أيضاً أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم من طبقة ممتازة وخاصة ، حتى أن بولس يدعوهم متهكماً « فائقى الرسل » . ويقول متهكماً

أيضاً إن الكورنثيين كانوا يجيدون الإنصات إليهم . فاذا كانوا ينصتون إلى هؤلاء الناس بمثل هذا الإصغاء والاهتمام البالغ أفلا ينبغى عليهم بالحرى أن ينصتوا إليه هو ؟ .

ثم يعقد بعد ذلك مقارنة بين هؤلاء الرسل المزيفين وبين نفسه . فهو « عامى فى الكلام » . والكلمة التى يستخدمها بولس فى هذا المعنى هى كلمة idiotes . وقد كانت تعنى أولا الشخص الذى لم يكن يشترك بشىء فى الحياة العامة . ثم صارت تستخدم لتعنى الشخص الذى لم يحصل على تدريب فنى خاص ، أى الشخص الذى يمكن أن يسمى « علمانى » . ولذلك يقول بولس إن هؤلاء الرسل المزيفين والمتكبرين المتعاظمين قد يفوقونه فى الخطابة فهم متمرنون مدربون عليها محترفون ، أما هو فهو مجرد هاو . هم جماعة حصلت على مؤهلات علمية وفنية خاصة . أما هو فهو مجرد علمانى . ولكن الحقيقة التى تظل قائمة مع ذلك هى أنه مهما كان عدم مهارته فى الخطابة فهو يعرف ما يتكلم عنه أما أولئك فانهم لا يعرفون . هناك قصة مشهورة تقول إن جماعة من الناس كانوا يتناولون طعام العشاء ذات مساء . وبعد العشاء اتفقوا على أن يتلو كل منهم شيئاً مما يحفظه . فوقف ممثل مشهور ، وبكل مالديه من مواهب الخطابة والفصاحة وفن التمثيل تلى على الجماعة المزمور الثالث والعشرين ثم جلس ، وصفقت له الجماعة طويلاً . ثم تبعه رجل آخر . وبصوت هادىء رزين بدأ يردد هذا المزمور أيضاً وحاول أفراد الجماعة فى البداية أن يكتموا ضحكاتهم ، ولكن الرجل استمر فى تلاوة المزمور بطريقة جعلتهم يصمتون صمتاً كان فى ذاته أبلغ وأفصح من أى تصفيق . ولما انتهى الرجل من القاء الكلمات الأخيرة فى المزمور حدث سكون عميق مؤثر ، فتقدم الممثل إليه وقال له : « ياسيدى ، أنا أعرف المزمور ، ولكن أنت تعرف الراعى » . ربما كان خصوم بولس يعرفون كل أصول الخطابة وفن الإلقاء . وربما كان بولس بسيطاً وعامياً فى الكلام ، ولكنه كان هو الذى يعلم ما كان يتحدث عنه أكثر من هؤلاء ، لأنه هو الذى كان يعرف المسيح الحقيقى .

الذين يغيرون شكلهم إلى شبه المسيحيين

(٢ كورنثوس ١١ : ٧ ــ ١٥)

وهنا نرى بولس مرة أخرى يدافع عن نفسه وهو يفند الاتهامات التى وجهت ضده . والتهمة هذه المرة واضحة . فقد كان الحقد الملتهب يتقد فى عقول أعضاء كنيسة كورنثوس بسبب رفض بولس قبول أية معونة منهم ، كما قال لشيوخ كنيسة أفسس وهو يريهم يديه المخشوشنتين من العمل والتعب : « إن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان » (أعمال ٢٠ : ٣٤) وعندما كان محتاجاً كانت كنيسة فيلبى هى وحدها التى أمدته باحتياجاته (فيلبى ٤ : ١٠ ــ ١٨) .

وقبل أن نواصل دراستنا لهذا الفصل يجب أن نضع أمامنا سؤالا واحداً وهو : هل كان بولس متقلباً أو مناقضاً لنفسه ؟ وكيف كان بولس يتمسك بموقف الاستقلال الكلى إزاء كنيسة كورنثوس ، ومع ذلك يقبل عطايا وهبات من كنيسة فيلبى ؟ الحقيقة أن بولس لم يكن متقلباً

أو غير ثابت على مبدأ ، والسبب فى ذلك كان سبباً عملياً وممتازاً . وعلى قدر ما وصل إليه علمنا نعرف أن بولس لم يقبل عطية أو هبة من كنيسة فيلبى عندما كان فى مدينة فيلبى ، ولكنه فعل ذلك فقط بعد أن غادرها مواصلا رحلاته . وسبب ذلك واضح ، فطالما كان بولس فى مكان ما كان يحرص على أن يكون معتمداً على نفسه ، ومستقلا تماماً . ولم يكن يستطيع أن يكون تحت التزام أو مديونية لأحد . فمن الصعب جداً أن يقبل الواحد مساعدة أو منحة من إنسان وهو يعلم أنه قد يجد نفسه بعد ذلك مضطراً لأن يدين ذلك الإنسان أو يعظ ضده . لذلك عندما كان بولس بين الفيلبيين لم يرض أن يكون مديناً لأحد . لكنه بعد أن غادرهم اختلف الأمر وأصبح حراً فى أن يقبل ما قدمته له محبة الفيلبيين ، لأن قبوله آنئذاك لم يكن ليجعله تحت ضغط أى فرد أو جماعة . وبالمثل كان مستحيلاً على بولس عندما كان فى كورنثوس أن يقبل مساعدة الكورنثيين وفى نفس الوقت يحتفظ بالحرية والاستقلال الذى كان الموقف يتطلبه . إذاً لم يكن بولس متقلباً لكنه كان حكيما .

فلماذا إذن كان الكورنثيون متضايقين لرفضه مساعدتهم المادية له ؟ كان السبب الأول هو أنهم ، ككل الإغريقيين ، كانوا يعتقدون أن العمل اليدوى شيء لا يليق بكرامة الرجل الحر . ونسوا بذلك كرامة واعتبار العمل الأمين الشريف ، فلم يفهم الكورنثيون لذلك وجهة نظر بولس فى هذا الأمر . والسبب الثانى هو أنه كان مفروضاً أن المعلمين فى العالم اليونانى ، فى ذلك العصر كانوا يكتسبون رزقهم من التعليم . ولم يحدث أن كان عصر من العصور يكتسب فيه من يستطيع الكلام مالا وفيراً مثل ذلك العصر . وقد كانت كل مدينة ملتزمة بأن تمنح إعفاء كاملاً من الضرائب لعدد معين من معلمى البلاغة والأدب . وكان مفروضاً أن يكتسب المعلم ماله من الناس الذين يعلمهم . لذلك كان استقلال بولس مادياً واعتماده على نفسه شيئاً غريباً بالنسبة للكورنثيين حتى أنهم لم يستطيعوا أن يفهموه .

أما بالنسبة للرسل الكذبة فانهم هم أيضاً قد اتخذوا من استقلال بولس هذا تهمة يوجهونها ضده . فهم كانوا يتقبلون المساعدات بترحاب ، وكانوا يزعمون أن قبولهم لها برهاناً على أنهم كانوا رسلا حقيقيين ، وعلى هذا فقد زعموا أن بولس رفض أن يأخذ شيئاً لأن تعليمه لم يكن يستحق شيئاً . ومع ذلك فقد كانوا فى قرارة نفوسهم خائفين لئلا يكتشف الناس أمرهم يوماً ما ، فليس من السهل أن يخدع كل الناس كل الوقت ، وكانوا يخافون أيضاً من افتضاح قصدهم الدنىء فى أن يهبط ببولس إلى مستوى أطماعهم المادية فيصبح مثلهم ، ولا يكون استقلاله المادى موضوع مقارنة الناس بينه وبينهم .

واتهم بولس هؤلاء الرسل بأنهم يغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح . وكانت الأسطورة اليهودية تقول إن الشيطان غير شكله مرة إلى شبه ملاك نور ينشد ويسبح لله ، وإن حواء رأته فخدعت بمكره وأغويت بكلامه .

ولا يزال الكثيرون يغيرون شكلهم ليظهروا كمسيحيين ، وبعضهم يفعلون ذلك بوعيهم ، ولكن الأكثرين يفعلون ذلك لا شعورياً .

ومسيحية هؤلاء لا تزيد عن كونها ثوباً خارجياً ظاهرياً لا حقيقة فيه . وضع سنودس الكنيسة فى أوغندة الاختبارات الأربعة التالية التى يمكن لأى إنسان أن يفحص بها نفسه ليختبر صدق مسيحيته :

١ ــ هل تعرف الخلاص عن طريق صليب المسيح ؟

٢ ــ هل أنت تنمو فى قوة الروح القدس ، وفى الصلاة ، وفى التأملات الروحية ، وفى معرفة الله ؟

٣ ــ هل لديك رغبة حقيقية فى نشر ملكوت الله بالقدوة وبالكرازة وبالتعليم ؟

٤ ــ هل تأتى بآخرين للمسيح بالعمل الفردى وبالزيارات وبالشهادة العلنية ؟

وليس لنا أن نحكم على ضمائر الآخرين أو نتدخل فيها ، ولكننا بهذه الاختبارات نستطيع أن نفحص أنفسنا ونمتحن مسيحيتنا لئلا يكون إيماننا نحن أيضاً مجرد مظهر خارجى وليس إيماناً حقيقياً .

شهادات اعتماد رسول

(٢ كورنثوس ١١ : ١٦ ــ ٣٣)

نرى بولس هنا مضطراً ، رغماً عن إرادته ، لأن يقدم شهادات إعتماده كرسول . وهو يشعر أن الأمر كله حماقة وغباوة ، وعندما يجد نفسه وقد وصل إلى درجة مقارنة نفسه مع الآخرين فان الأمر يبدو أمامه وكأنه اختلال فى العقل . ولكنه اضطر أن يفعل ذلك ، لا ليمجد نفسه هو بل ليمجد الإنجيل الذى يكرز به ، وواضح أن خصومه كانوا من المعلمين اليهود الذين كانوا يزعمون أن لديهم إنجيلاً وسلطاناً يفوق بكثير ما كان لبولس .

وعندما يتحدث بولس عما كان الكورنثيون مستعدين لأن يتحملوه على أيدى هؤلاء المعلمين نراه يجمل وصف هؤلاء المعلمين بكلمات قليلة لاذعة خاطفة :

(أ) فهم « يستعبدون » الكورنثيين ، ويفعلون ذلك لأنهم يحاولون أن يخضوهم على الخضوع للختان وللقواعد والأحكام الصغيرة التى فى الناموس اليهودى والتى يبلغ عددها الألف وواحدة ، وهكذا ينبذون الحرية المجيدة التى يقدمها لهم إنجيل النعمة .

(ب) وهم « يأخذون » الكورنثيين « ويأكلونهم » . وكان الربيون (الأحبار) اليهود فى أسوأ حالاتهم يصلون إلى درجة الجشع والسلب والنهب بلا حياء أو خجل . فقد كانوا من الناحية النظرية يعلمون بأن الربى (الحبر) لا ينبغى أن يتقاضى أجراً نظير تعليمه ، وعليه أن يكسب ماله بعمل يديه ، ولكنهم كانوا يعلمون أيضاً بأنه هناك امتيازاً كبيراً استثنائياً لمن يعول أحد الأحبار ، فهو إذ يفعل ذلك يضمن له مكاناً فى الأكاديمية السماوية .

(ج) وهم « يرتفعون » ويتكبرون على الكورنثيين . والواقع أن هؤلاء الربيين كانوا يطلبون لأنفسهم احتراماً أعظم من الاحترام الذى يقدم للوالدين . وكانوا يعلمون أنه إذا وقع الوالد والمعلم فى قبضة قطاع طرق فعلى الإبن أن يفدى معلمه أولا وبعد ذلك والده .

(د) وكانوا « يضربون أتباعهم على وجوههم » . وقد يكون المقصود بهذه العبارة وصف سلوكهم المتكبر والمهين ، أو لعلهم كانوا يفعلون ذلك (أعمال ٢٣ : ٢) . لكن مع كل هذا فقد بلغ هؤلاء الكورنثيون مرحلة غريبة من التفكير إذ كانوا يرون فى وقاحة وعجرفة المعلمين اليهود دليلا وضماناً لسلطانهم الرسولى .

وقد زعم المعلمون الكذبة المزيفون لأنفسهم ثلاثة إدعاءات يؤكد بولس أنه يستطيع أن يضارعهم وأن يعادلهم فيها . فهم كانوا يدعون أنهم « عبرانيون » وهذه الكلمة يراد بها بصفة خاصة اليهود الذين كانوا لا يزالون يذكرون ويتكلمون لغتهم العبرانية القديمة فى شكلها الآرامى ، وهو الشكل السائد أيام بولس . وكان هناك يهود مشتتون فى جميع أنحاء العالم ، وكان هناك مليون منهم فى اسكندرية — وهؤلاء اليهود المشتتين تقريبا نسوا لغتهم القومية وبدأوا يتكلمون اليونانية . أما اليهود الذين بقوا فى فلسطين ، والذين ظلوا يحتفظون بلغتهم القومية ويتمسكون بها ، فقد كانوا ينظرون باحتقار وإزدراء إلى أولئك اليهود الأجانب . ويحتمل جداً أن خصوم بولس كانوا يقولون : « إن بولس هذا مواطن من طرطوس . وهو ليس مثلنا يهودياً فلسطينياً أصيلا . إنه واحد من أولئك اليهود الذين تأثرت حياتهم ولغتهم باليونانية » ويرد بولس على ذلك بقوله : « لا ، أنا أيضاً واحد من أولئك الذين لم ينسوا لغتهم الأصلية لغة الأجداد » . وهكذا لم يستطع خصومه أن يزعموا التفوق عليه من هذه الناحية . ثم كانوا يدعون أنهم « إسرائيليون » . وكلمة « إسرائيلى » تصف اليهودى باعتباره « واحداً من شعب الله المختار » وكانت العبارة الأساسية فى دستور الإيمان اليهودى ، التى تبدأ بها كل خدمة من خدمات المجمع ، هى « اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد » (تثنية ٦ : ٤) . ولاشك أن خصوم بولس من اليهود كانوا يقولون : « إن بولس الذى لم يعش أبداً فى فلسطين بل قضى كل حياته فى المناطق اليونانية فى كيليكية فانه يعتبر منسلخاً عن الشعب المختار » . ويرد بولس على ذلك بقوله : « لا ، أنا إسرائيلى أصيل كأى واحد آخر . وسلسلة نسبى هى نفس سلسلة نسب شعب الله » . فهم إذاً لا يستطيعون إدعاء التفوق عليه من هذه الناحية . وهم كانوا يدعون أنهم « نسل إبراهيم » . وكانوا يعنون بذلك أنهم كانوا السلالة المباشرة لإبراهيم ومن ثم فانهم ورثة للوعد العظيم الذى كان الله قد قطعه لإبرام (تكوين ١٢ : ١ — ٣) وقد كانوا يدعون أن بولس لم يكن من صميم نسل إبرهيم كما كانوا هم . ويرد بولس على ذلك بقوله : « لا ، أنا من صميم نسل إبراهيم كأى واحد آخر » (فيلبى ٣ : ٥ و ٦) . فاذا كان الأمر يتعلق بنقاوة وصفاء الدم اليهودى فأنا أستطيع أن أقف على قدم المساواة مع أى واحد آخر » . أى أنهم من هذه الناحية أيضاً لا يستطيعون أن يزعموا لأنفسهم أى تفوق أو أفضلية عليه .

ثم يقدم بولس بعد ذلك شهادات إعتماده كرسول ، وشهادات إعتماده هذه هى ما تحمله لأجل المسيح من أتعاب وآلام . وكأن الادعاء الوحيد الذى أراد بولس أن يبرزه عن نفسه هو قائمة

الآلام التى تحملها لأجل سيده . وكأنه يريد أن يعلن إن الشهادات الوحيدة التى يعتز بها فى حياته وخدمته هى الكفاح الشجاع الذى قام به والآلام والمتاعب التى لقيها من أجل الله الذى سيمنحه المكافأة فى السماء بعد أن ينتهى زمان سياحته فى هذا العالم .

وعندما نقرأ القائمة التى تصف ما عمله بولس وما تحمله ، فان الشيء الوحيد الذى يلفت نظرنا هو مدى قلة معلوماتنا عن بولس . فعندما كتب رسالته هذه كان فى مدينة أفسس . أى أننا لم نتعد الأصحاح التاسع عشر من قصة سفر الأعمال . وبالمقارنة بما جاء هنا وما ذكر فى سفر الأعمال لوجدنا أن ما سجل فى ذلك السفر لا يزيد عن ربع ما هو مذكور هنا . فهذه القائمة تظهر أن بولس أعظم بكثير مما تصورنا ، لأن سفر الأعمال لم يسجل لنا إلا مقتطفات مما عمله وما تحمله .

ويمكننا أن نلخص هذه القائمة الطويلة فى ثلاث فقرات :

١ — يقول بولس : « ثلاث مرات ضربت بالعصى » . وقد كانت هذه عقوبة رومانية . وكان أتباع القضاة أو خدمهم يسمون الجلادين Lictors . وكانوا مزودين بعصى مصنوعة من خشب شجر البتولا يضربون بها المجرمين والمذنبين ويعذبونهم . وقد حدث هذا لبولس ثلاث مرات . وكان ينبغى ألا يحدث ذلك له أبداً لأن القانون الرومانى كان يحظر جلد المواطن الرومانى وكان بولس مواطناً رومانياً . ولكن ، لأن الغوغاء كانوا هائجين ، ولأن القاضى كان ضعيفاً ، فقد قاسى بولس الضرب مع أنه كان مواطناً رومانياً .

٢ — ويقول بولس : « خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة » . وكانت هذه عقوبة يهودية ، وقد وضع الناموس اللوائح الخاصة لهذه العقوبة (تثنية ٢٥ : ١ — ٣) . وكانت العقوبة العادية أربعين جلدة ، ولا ينبغى أن تزيد الجلدات عن هذا العدد بأى حال من الأحوال ، وإلا فالجلاد نفسه كان توقع عليه عقوبة الجلد ، ولذلك كانوا يتوقفون عند الجلدة التاسعة والثلاثين . ولذلك عرفت عقوبة الجلد بأنها « أربعين جلدة إلا واحدة » . أما اللوائح التفصيلية لعقوبة الجلد فقد سجلت فى « المشناه Mishnah » وهو الكتاب الذى جمعت فيه القوانين اليهودية التقليدية . وجاء فيه كيفية توقيع عقوبة الجلد على النحو التالى : « تربط يد المذنب إلى عمودين على اليمين وعلى اليسار ثم يمزق خادم المجمع ملابس المذنب حتى يعرى صدره . ويقف الخادم على حجر خلفه وهو يمسك بسوط مصنوع من طبقات متعددة من جلد خام أو مدبوغ متصل به سوطان آخران كل منهما بحجم اليد على أن يصل طرف السوط الرئيسى إلى سرة البطن (حتى أنه عندما يجلد المذنب عند الكتف لابد أن يصل طرف الجلدة إلى سرة البطن) . وكان الجلاد يضرب ثلث عدد الجلدات على صدر المذنب والثلثين على ظهره . ولم يكن يسمح للمذنب أن يقف أو يجلس عند جلده . ولكنه كان يجلد وهو منحنى فقط ...

وكان الجلاد يجلده بيد واحدة وبكل قوته ، وإذا مات المذنب تحت يد الجلاد لا يلام الجلاد على ذلك ، ولكن إذا ضربه الجلاد مرة واحدة زيادة عن الأربعين ومات المذنب بعدها ، فان الجلاد يجب أن يهرب إلى المنفى » . هذا ما احتمله بولس « خمس مرات » ، جلداً قاسياً يكاد يكون قاتلا .

٣ ـــ مراراً وتكراراً فى هذه القائمة يتحدث بولس عن أخطار أسفاره . صحيح أن الطرق البرية والبحرية فى أيام بولس كانت أكثر أماناً عن ذى قبل ولكنها كانت لا تزال محفوفة بالمخاطر . وبوجه عام لم يكن الناس قديماً يستطيبون السفر بالبحر . كتب سينكا Seneca الفيلسوف الرومانى إلى صديق له يقول : « تستطيع الآن أن تحضنى على الإقدام على أية مخاطرة ، لأننى قد أغريت منذ عهد قريب على السفر بالبحر » . وكان الناس يعتبرون المسافر بحراً كأنه جازف بحياته وألقى بها إلى التهلكة . أما عن الطرق البرية فقد كانت معرضة كثيراً لهجمات اللصوص وقطاع الطرق . ولم يكن الواحد يجرؤ على أن يسافر بمفرده بل كان يسافر بصحبة جماعة من الناس ، أو يحتمى برفقة ضابط أو مبعوث رومانى رسمى . ولم يكن مع بولس أى رفيق من هذا النوع . وكان أمراً عادياً جداً أن ينقض جماعة من اللصوص أو قطاع الطرق على المسافر ويقبضون عليه ولا يطلقون سراحه إلا بعد أن يأخذوا فدية كبيرة عنه . لذلك لا غرابة أن يعتبر بولس جسوراً ومخاطراً بحياته ومجازفاً بها وهو يقوم بأسفاره العديدة لنشر الإنجيل .

وفضلا عن ذلك كله كان هناك « الاهتمام بجميع الكنائس » ، ولا تعنى هذه العبارة مجرد الأحمال والمسئوليات الإدارية اليومية للمجتمعات المسيحية فقط ولكنها تعنى أيضاً أن بولس كان يحمل فى قلبه كل آلام وضيقات ومشاكل شعبه من جميع الكنائس .

ثم ينتهى هذا الفصل بخاتمة غريبة . إذ يبدو أن حادثة هروب بولس من دمشق لم تكن محببة أو مستساغة بالنسبة لرجل كبولس . وقد وردت عنها إشارة فى أعمال ٩ : ٢٣ ـــ ٢٥ . وقد كان سور دمشق ضخماً بحيث يتسع لعربة وكانت هناك بيوت كثيرة تطل عليه ، ولابد أن بولس قد أنزل من السور من إحدى هذه البيوت . فلماذا يذكرها هنا بصراحة ؟ ربما فعل ذلك لأنها كانت تقرحه وتلهبه . ذلك لأن رجلا كبولس لابد أنه أحس بأن الخروج الخفى من دمشق على هذا النحو كان أسوأ من الجلد والتعذيب . ولابد أنه كان يكره من كل قلبه العظيم أن يجد نفسه هارباً شارداً فى الليل .. ولاشك أن الرجل الذى لم يكن يخشى المخاطر وأن يواجهه الغوغاء والأعداء ، وجد أن هذا الهروب السرى أمر صعب الاحتمال على نفسه العظيمة .

الأصحاح الثانى عشر

الشوكة والنعمة

(٢ كورنثوس ١٢ : ١ — ١٠)

إن قليلا من الشعور والإحساس يدفعنا لأن نقرأ هذا الفصل باجلال ووقار خاص ، ففيه يكشف بولس مكنونات قلبه ، ويرينا فى وقت واحد مجده وألمه .

وعلى الرغم من إرادته نراه يستمر فى إبراز شهادات اعتماده ، فيقص علينا اختباراً لا نملك إزاءه إلا أن نقف متعجبين وعاجزين عن أن نسبر غوره أو ندرك مداه . وكأنه يقف خارج نفسه بطريقة عجيبة غريبة وينظر إلى نفسه ويقول « أعرف إنساناً » . وهذا الإنسان هو بولس ذاته ، ومع ذلك فهو ينظر إليه بتعجب وذهول لهذا الذى حدث له . إن أعظم هدف لتدين الإنسان المتصوف أو العالم الروحانى هو أن يرى الله ، وما يتوق إليه ويحلم به فوق هذه الرؤية هو أن يتحد مع الله . فالمتصوف يهدف دائماً إلى الوصول إلى تلك اللحظة العجيبة عندما يصبح « الرائى والمرئى شخصاً واحداً » . وقد جاء فى تقاليد اليهود أن أربعة من الربيين (الأحبار) اختبروا هذه الرؤية : أولهم « ابن عزاى » إذ رأى مجد الله ومات ، وثانيهم « بن سوما » رآه ففقد عقله ، وثالثهم « أشير » رآه ، وبالرغم من هذه الرؤية فقد أصبح مهرطقاً ومن أهل البدع ، ولكن « عقيبة » وحده هو الذى صعد فى سلام وعاد فى سلام . ونحن لا نستطيع حتى أن نخمن بما حدث لبولس . ولسنا فى حاجة لأن نكون نظريات عن عدد السماوات لأن بولس يتحدث عن السماء الثالثة . فهو يعنى فقط أن روحه ارتفعت إلى غيبوبة روحية وقرب من الله فوق مستوى الإدراك العادى . وهناك شيء واحد جميل يمكن أن نلحظه ونذكره لأنه قد يساعدنا قليلا فى فهم هذا الأمر . وهو أن كلمة فردوس Paradise تأتى من كلمة فارسية معناها « حديقة لها أسوار » . وعندما كان الملك الفارسى يرغب أن يمنح لشخص عزيز عليه امتيازاً وتكريماً خاصاً فانه كان يجعل منه « رفيق الحديقة » أى أنه كان يمنحه حق السير معه فى الحدائق الملكية فى شركة وثيقة وصداقة متينة . وفى هذا الاختبار الذى حظى به بولس ، كما لو لم يحظ به إنسان من قبل أو من بعد ، يمكن أن نقول إن بولس كان رفيقاً لله .

وبعد المجد جاء الألم . وها نحن نراه يحدثنا فى هذا الفصل عن « شوكة » فى جسده . والكلمة الأصلية Skolops المترجمة هنا « شوكة » يمكن أن تعنى شوكة ولكنها تعنى بالأكثر « خازوق » . وكان المجرمون يوضعون فوق خازوق حاد . أى أن بولس كان يشعر بما يشبه الخازوق الذى يفرى جسده فماذا ترى كانت الشوكة التى فى جسده ؟ لقد قدمت إجابات كثيرة عن هذا السؤال . ويمكننا أن نستعرض هذه الإجابات ، التى بالرغم من أنها تنسب إلى كثير من علماء الكتاب إلا أنها تفتقر إلى الدليل القاطع ، ولا يمكننا أن نقرها أو نتفق معهم فيها .

١ — اعتقد كلفن أن الشوكة المقصودة كانت هى التجارب الروحية ، كالشك ، والتنصل من

واجبات الحياة الرسولية ، وتأنيب الضمير عند السقوط فى هذه التجارب والانهزام أمامها .

٢ ــ أما لوثر فقد كان يعتقد أن المقصود بالشوكة هو الاضطهاد الذى اضطر بولس أن يواجهه ، والنضال المستمر ضد أولئك الذين كانوا يعارضونه ويحاولون أن يفسدوا عمله وخدمته .

أما الرأى السائد فى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية إلى يومنا هذا هو أن الشوكة المشار إليها تعنى التجارب الجسدية . التى يختبرها الرهبان والنساك فى أديرتهم وصوامعهم وهى تلك التى تتصل بالغريزة الجنسية . فقد أرادوا بكل مثلهم العليا فى النسك والتقشف أن يستأصلوها ولكنهم فشلوا إذ كانت تراودهم كثيراً . ظنوا أن بولس كان هكذا .

ولا يمكن أن تكون أية إجابات من هذه الإجابات صحيحة لأسباب ثلاثة :

(أ) إن نفس كلمة شوكة تبين الألم الشديد الفظيع .

(ب) إن الصورة كلها أمامنا هى صورة ألم جسدى .

(ج) مهما كانت الشوكة . فقد كانت متقطعة ، فبالرغم من أنها كانت تؤلم بولس وتضعفه لكنها لم تعقه كلية عن عمله . لذلك دعنا ندرس الآراء الأخرى التى قدمت إجابة عن مسألة الشوكة هذه .

٤ ــ ظن بعضهم أن شوكة بولس كانت مظهره الجسمانى . فقد كان « حضوره الجسدى ضعيفاً » (٢ كورنثوس ١٠ : ١٠) . وظنوا أنه كان يقاسى من تشوه معيب فى جسده ، كان يعوق عمله ويعطله عن خدمته . ولكن هذا لا يفسر الألم الواضح الصريح الذى لابد كان يحس به .

٥ ــ قال آخرون إن بولس كان مصاباً بالصرع . ومرض الصرع هذا مؤلم ينتاب المريض بين وقت وآخر . لكنه لا يعوقه عن أن يزاول عمله . وكانوا ينسبون هذا المرض قديماً إلى الشياطين والأرواح النجسة . وعندما كان الناس فى العالم القديم يرون شخصاً مصاباً بالصرع كانوا يبصقون لكى يبعدوا عنهم الشيطان الشرير أو الروح النجس . وفى غلاطية ٤ : ١٤ يقول بولس إن الغلاطيين عندما رأوا تجربته التى فى جسده لم يزدروا بها ولم يكرهوها ولم يرفضوه بسببها ، والترجمة الحرفية لهذا المعنى « أنهم لم يبصقوا عليه » . وفضلا عن ذلك فقد كان يوليوس قيصر وأوليفر كرومويل ونابليون كلهم مصابين بالصرع . ولكن هذه النظرية تحمل وراءها نتائج يصعب قبولها . فان معنى هذا أن رؤى بولس كانت رؤى عقل تنتابه أوقات من الاضطراب والخلل المؤقت ، وأنها كانت نوبات غيبوبة صرع . ولاشك أنه يصعب أن يصدق الناس أن الرؤى التى غيرت العالم كانت ترجع أولا وأساساً إلى نوبات صرع .

٦ ــ أما أقدم هذه النظريات جميعاً فهى أن بولس كان يقاسى من صداع شديد متعب يعاوده من وقت لآخر . وكان ترتليانوس وأورينموس من بين الذين يعتقدون بهذا الرأى .

٧ ــ وهذا الرأى الأخير قد يقودنا إلى الحقيقة التى نبحث عنها حول شوكة بولس . فهناك نظرية أخرى تقول إن بولس كان يقاسى من ألم فى عينه . وهذا قد يشرح لنا سر نوبات الصداع

التى كانت تنتابه . فبعد أن انتهى اللقاء المجيد فى الطريق إلى دمشق أصبح بولس أعمى لا يبصر (أعمال ٩ : ٩) . وربما لم تستعد عيناه قوة إبصارهما ثانية . ومما يؤكد هذا المعنى ما قاله بولس عن الغلاطيين من أنهم كانوا مستعدين لو أمكن أن يقلعوا عيونهم ويعطونها له (غلاطية ٤ : ١٥) . وفى خاتمة رسالته إليهم يقول لهم « أنظروا ما أكبر الأحرف التى كتبتها إليكم بيدى » (غلاطية ٦ : ١١) . كما لو كان يصف الحروف الهجائية الكبيرة جداً التى لا يكتبها سوى الشخص الذى يكاد لا يبصر .

٨ ــ ولكن الأمر الأكثر إحتمالا هو أن بولس كان يقاسى من نوع من الملاريا المزمنة التى كانت تنتاب كثيراً سكان سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط . وعندما كان أهل تلك المنطقة يرغبون فى إيقاع الأذى بعدو لهم كانوا يصلون لآلهتهم حتى يهلك بهذه الحمى . وقد وصف أحد الذين أصيبوا بهذا الصداع الذى يصاحبها بأنه يشبه « قضيباً ملتهباً توخز به مقدمة الرأس » . ومثل هذا الألم يستحق بأن يوصف بأنه شوكة فى الجسد ، هذه الشوكة التى تحتم على الرسول الذى تحمل كل هذه القائمة من الآلام أن يتحملها هى أيضاً .

وصلى بولس أن يرفع الله عنه هذه الشوكة . ولكن الله استجاب هذه الصلاة كما يستجيب لأغلب الصلوات التى من هذا القبيل ، فهو لم يرفعها أو يبعدها عنه ، ولكنه أعطاه قوة لتحملها . إن الله لا يمنعنا من مواجهة المشاكل ، ولكنه يجعلنا قادرين على أن نهزمها وأن نجتازها بقوة وغلبة .

وأعطى الله لبولس النعمة الكافية لكل شيء . وهلم الآن لنر من حياته الخاصة بعض الأشياء التى مكنته تلك النعمة الكافية لمواجهتها :

١ ــ كانت هذه النعمة كافية لمواجهة الإعياء الجسدى . فقد جعلت بولس قادراً على مواصلة خدمته والاستمرار فيها . قيل عن جون وسلى أنه ألقى ٤٢٠٠٠ عظة ، وأنه كان يسافر بمعدل ٤٥٠٠ ميلا فى العام ، وأنه كان يعظ ثلاث مرات يومياً فى المتوسط وعندما بلغ الثالثة والثمانين من عمره كتب فى يومياته يقول : « إننى أعجب لنفسى ، فأنا لا أحس بالتعب أبداً ، لا فى الوعظ ولا فى الكتابة ولا فى السفر » . لقد كان هذا بكل تأكيد هو عمل النعمة التى تكفى لكل شيء .

وكانت هذه النعمة كافية لمواجهة الألم الجسدى . فقد جعلت بولس قادراً على تحمل الشوكة القاسية . ذهب رجل لزيارة فتاة كانت تحتضر إثر مرض طويل مؤلم استعصى شفاؤه . وأخذ معه لها كتاباً صغيراً مبهجاً ومسلياً ومضحكاً ومشجعاً للمتضايقين وللبائسين ، فقالت الفتاة له : « أشكرك جداً ولكننى أعرف هذا الكتاب » . فسألها الزائر : « هل قرأته من قبل ؟ » فأجابت الفتاة : « أنا التى كتبت هذا الكتاب » . أو لم يكن ذلك من عمل النعمة التى تكفى لكل شيء ؟ .

٣ ــ وكانت هذه النعمة كافية لمواجهة المعارضة والمقاومة . فقد استهدفت حياة بولس كلها للمقاومة والمعارضة ، ولكنه لم يضعف أو يخر طوال حياته . فلم يكن أى قدر من المقاومة أو المعارضة قادراً على تحطيمه أو إجباره على التخاذل والتراجع عن خدمته . ولاشك أن ذلك كان من عمل النعمة التى تكفى لكل شيء .

٤ — وكانت هذه النعمة ، كما نرى فى هذه الرسالة كلها ، كافية لمواجهة الافتراءات . وليس هناك شىء أصعب إحتمالا أو مواجهة من الافتراء والتأويل السيء والحكم القاسى الظالم الذى يمليه التجنى وسوء الظن . قيل إن رجلا قذف دلو ماء على أرخيلاوس المكدونى . فلم ينبس أرخيلاوس بكلمة . وعندما سأله صديق له كيف احتمل هذه الإهانة بمثل هذه الرزانة وهذا الهدوء أجابه أرخيلاوس قائلا : « إنه لم يقذف الماء على أنا ولكنه قذفه على الرجل الذى ظن أنى أنا هو » . لقد جعلت النعمة الكافية بولس لا يعبأ بما يظنه الناس فيه بل بما يعلمه الله عنه .

إنه مجد الحياة العظيم أن تتجلى هذه النعمة العجيبة فى وسط ضعفاتنا ، لأنه عندما تصل حاجة الإنسان إلى شدتها القصوى تسنح الفرصة لله لسد حاجتها وإشباعها .

الرسول يختتم دفاعه

(٢ كورنثوس ١٢ : ١١ — ١٨)

عندما نقرأ هذا الفصل الذى يقترب فيه بولس من نهاية دفاعه عن نفسه نحس كأن كاتب هذا الكلام قد بذل جهداً ضخماً مضنياً . ويبدو بولس لنا خلال أقواله هنا وهو فى غاية الإعياء والتعب بسبب الجهد الذى بذله .

ويعود مرة أخرى ، على غير إرادته ورغبته ، إلى الحديث فى موضوع تبريره لنفسه ، الأمر الذى كان ينبغى أن يحسم . فان الإهانة التى توجه إلى شخصه تعتبر شيئاً تافهاً ، ولكن الإهانة التى توجه إلى الإنجيل الذى يكرز به لا يمكن التغاضى عنها أو السكوت عليها .

١ — فهو يؤكد قبل كل شىء أنه لا ينقص شيئاً من خصومه الذين يدعون أنهم فائقو الرسل . وهو يستند فى قوله هذا إلى تأثير خدمته وفاعليتها . عندما أرسل يوحنا المعمدان اثنين من تلاميذه ليسألا يسوع عما إذا كان هو الآتى الموعود به أم ينتظرون آخر . كان جواب يسوع « اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما » (لوقا ٧ : ١٨ — ٢٢) . وعندما يريد بولس أن يؤكد حقيقة الإنجيل الذى كرز به فى كورنثوس فانه يذكر قائمة من الخطايا والخطاة وحينئذ يضيف هذه العبارة الغامضة « وهكذا كان أناس منكم » (١ كورنثوس ٦ : ٩ — ١١) . إن تأثير الرسالة وفاعليتها لهما الدليل عليها وضمان حقيقتها . إن حقيقة وجود الكنيسة لا تتجلى فى فخامة مبانيها أو فى حسن عبادتها أو فى سخاء عطائها أو فى كثرة المترددين عليها ، ولكنها تتجلى فى النفوس المتجددة . وإذا لم تكن هناك نفوس متجددة فان الكنيسة تصبح مفتقرة إلى العنصر الأساسى لحقيقة وجودها . إن القياس الوحيد الذى يحكم به بولس على صدق إرساليته هو قدرتها على تقديم نعمة يسوع المسيح المغيرة لحياة الناس والمجددة لهم .

٢ — لابد أن عدم قبول بولس شيئاً من عطايا الكورنثيين قد سبب لهم مضايقة بالغة ، لأننا

نراه مراراً وتكراراً يعود إلى الحديث عن تلك التهمة . وهنا نراه يضع أحد المبادىء السامية للعطاء المسيحى ، فيقول : « إنى لست أطلب ما هو لكم بل إياكم » . إن المعطى الذى لا يقدم نفسه مع عطائه لا يكون عطاؤه ذا قيمة . هناك ديون يمكن أن نسددها بدفع مبلغ معين من المال ، ولكن هناك ديوناً أخرى يعتبر المال إزاءها شيئاً لا يستحق الذكر . قص هـ . ل . جى . H . L . Gee عن شحاذ قرع باب سيدة طيبة يطلب منها إحساناً . و لم تجد السيدة فى بيتها رغيفاً تعطيه له كما لم يكن معها نقود صغيرة . فما كان منها إلا أن أعطته جنيهاً وقالت له . « ليس معى الآن عملة صغيرة . وأنا أحتاج إلى رغيف . خذ هذا الجنيه . اشتر لى منه رغيفاً وأحضر الباقى وسأعطيك منه شيئاً » . ونفذ الرجل ما طلبته السيدة وعاد إليها . ولما أعطته عملة صغيرة أخذها وعيناه مغرورقتان بالدموع شاكراً إياها وقال لها : « إن الذى أثر فى كثيراً ياسيدتى ليس هو ما أعطيتنى من المال ، ولكن الطريقة التى عاملتنى بها . فلم يحدث أبداً أن وثق بى أحد من قبل ، ولست أستطيع أن أفيك حقك من الشكر » . ربما يقال إن هذه المرأة تصرفت بسذاجة أو ببلاهة ، ولكنها أعطت ذلك الفقير بثقتها فيه شيئاً أكثر من المال ، لقد أعطته من ذاتها ومن نفسها . ويقول : « تورجنيف » إن شحاذاً استوقفه مرة فى الشارع ، وبحث « تورجنيف » فى جيبه عن نقود يعطيها لذلك الشحاذ فلم يجد شيئاً . فما كان منه إلا أن مد يده وصافح الشحاذ وقال له : « ياأخى ، ليس لى ما أعطيه لك سوى يدى هذه » . فاذا بالشحاذ يجيبه قائلا : « أنت تدعونى أخاً ، وتمسك بيدى ، هذه فى نظرى أعظم عطية تقدمها لى » . قد يظن أحدهم أنه أدى واجبه لمجرد أنه دفع شيئاً للكنيسة أو لجمعية خيرية أو لرجل فقير . ومع أن تقديم العطاء هكذا أمر سهل وشىء طيب ، لكنه فى نفس الوقت ليس كل شىء لأن العطاء الحقيقى يتطلب أن يقدم المعطى ، ليس عطيته المادية فحسب ، بل نفسه أيضاً .

٣ ـــ ويبدو أن الكورنثيين كانوا قد وجهوا تهمة أخيرة لبولس . فانهم لم يستطيعوا أن يقولوا عنه إنه قد أخذ منهم شيئاً . و لم يستطع خبثهم أن يجد دليلا لتوجيه هذه التهمة إليه . ولكن يبدو أنهم كانوا قد ألمحوا إلى أن بولس قد أخذ نصيبه مما جمع لفقراء أورشليم عن طريق تيطس والأخ الآخر الذى أرسله معه . وهنا ينكشف العقل الخبيث الذى يحاول أن يختلق أى أساس يبنى عليه الانتقاد والاتهام . ولكن إخلاص بولس لصديقيه يجعله يتصدى للدفاع ونفى التهمة عنهما . فقد كان بولس يثق فى مساعديه وأتباعه ومؤيديه ثقته فى نفسه . إن المسيح يحتاج إلى مثل هؤلاء .

سمات كنيسة غير مسيحية

(٢ كورنثوس ١٢ : ٩ ـــ ٢١)

إذ يدنو بولس من نهاية دفاعه تخالجه فكرة واحدة . فان كل ما سرده من مؤهلاته وكل ما ذكره من تبريره لنفسه قد يظهره وكأنه يعير أهمية كبيرة لموقف الناس إزاءه ورأيهم فيه ، مع أن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة . فطالما كان يعلم أنه يسلك الطريق الصحيح مع الله ، لم يكن

يعبأ كثيراً لما يظنه الناس فيه . وكل ما قاله لا ينبغي أن يفسر بأنه محاولة منه لكسب رضاء الناس عليه وموافقتهم له . قيل إن إبراهام لنكولن ومستشاريه قد اتخذوا يوماً ما قراراً حاسماً في موضوع هام . فقال له واحد من مستشاريه : « حسناً ياسيادة الرئيس ، أرجو أن يكون الله في جانبنا » . فأجاب لنكولن : « إن ما يشغل بالي ليس هو ما إذا كان الله في جانبنا ، بل ما إذا كنا نحن في جانب الله » . وهكذا كان هدف بولس الأسمى ، أن يقف الموقف الصحيح في جانب الله بغض النظر عما يظنه الناس فيه أو يقولونه عنه .

ثم يستطرد بولس فيتحدث عن الزيارة التي كان يزمع القيام بها لكورنثوس . فيذكر بشيء من الكآبة والعبوس أنه يخشى أن يأتي إلى كورنثوس فلا يجدهم كما يريد ، لأنه إذا حدث هذا ، فانهم بكل تأكيد أيضاً سيجدونه كما لا يريدون . وهذا الكلام يحمل لهم تهديداً معيناً . فهو لا يريد أن يتخذ معهم إجراءات قاسية عنيفة ، ولكنه لن يتردد أو يجبن عن اتخاذها إذا لزم الأمر . ثم يواصل حديثه فيذكر قائمة بما يمكن أن يسمى علامات أو سمات الكنيسة غير المسيحية :

فهناك « الخصومات » . وهي كلمة تعني النزاع والنفور والمنافسة والخلاف . وهي سمة الشخص الذي نسي أن من يضع نفسه هو فقط الذي يمكن أن يرتفع . وهناك « المحاسدات » . وهي في الأصل كلمة عظيمة ، لكن معناها قد انحدر وهبط في العالم . فهي في الأصل كانت تصف عاطفة الرجل الذي يرى حياة جميلة أو عملا جميلا فيتبارى ويتنافس ليصل بنفسه إلى مستواها . ولكن المنافسة قد تنقلب بسهولة فتصبح حسداً ، أي الرغبة في الحصول على ما ليس لنا حق في الحصول عليه ، أو الروح التي تتضجر وتتذمر عندما يمتلك شخص آخر شيئاً ما تعذر امتلاكنا نحن له . فالمنافسة في سبيل الأشياء الفضلى صفة نبيلة ، ولكن الحسد صفة العقل الصغير الدنيء .

هناك « السخطات » . هذه الكلمة لا تعني الغيظ والحنق الطويل الراسخ ، ولكنها تعبر عن الهياج المفاجيء والانفجار في الغضب . إنها نوع من الغضب الذي وصفه **Basil** بأنه « سطل النفس وسكرها » الذي يدفع الإنسان إلى إرتكاب أشياء يشعر بعد صحوه بالندم المرير على ارتكابها . وكان الناس قديماً يقولون إن مثل هذا الانفجار المفاجيء في الغضب هو صفة من صفات الحيوان لا من صفات الإنسان . فان الحيوان لا يستطيع أن يكبح جماح نفسه ، ولكن الإنسان يجب أن يكون قادراً على ذلك ، أما إذا سمح للغضب بأن يطيح بصوابه فانه يصبح أقرب إلى الحيوان غير العاقل منه إلى الإنسان المفكر .

وهناك « التحزبات » . وكانت هذه الكلمة في الأصل تصف العمل الذي يعمل نظير أجر ، كعمل العامل باليومية . ثم أصبح معناها العمل الذي لا يعمل بأي حافز آخر إلا حافز الحصول على الأجر . أي أنها تصف الطمع الأناني البحت الذي لا يهتم بشيء ما إلا بمقدار ما يحققه له من منفعة ذاتية ، والذي لا يعرف للخدمة والتضحية معنى أو سبيلا .

وهناك « المذمات والنميمات » . والكلمة الأولى تصف الهجوم السافر بالشتائم والسباب والإهانات العلنية على شخص ما تختلف آراؤه ووجهات نظره عن آرائنا ووجهات نظرنا . أما الكلمة الثانية فهي أردأ من هذا بكثير . إنها تعني حملات الهمس الخبيث والافتراءات الحافلة بالتجني

والكذب ، والوشايات التى تردد فى الآذان ، والقصص المختلفة التى تروى عن الآخرين كما لو كانت سراً من أسرار الجاسوسية . وإذا كان الإنسان يستطيع أن يرد المذمة لأنها هجوم علنى وجهاً لوجه ، فانه يعجز عن رد النميمة لأنها ترتكب ضده سراً ، وهى كالسم الخفى الذى يفسد ويسمم عليه حياته وهو لا يستطيع أن يقضى عليه لأنه لا يعرف مصدره . وهناك « التكبرات » ، وفى داخل الكنيسة ينبغى على الإنسان أن يمجد عمله وأن يعلى من شأنه ، ولكنه لا ينبغى أبداً أن يمجد شخصه ، حتى أن الناس عندما يرون أعمالنا الصالحة لا يمجدون أشخاصنا بل يمجدون آبانا الذى فى السموات ، فهو الذى مكننا من عمل هذه الأعمال .

وهناك « التشويشات » . وهى كلمة تعنى إحداث الشغب وإثارة الفوضى والاضطرابات . هناك خطر واحد دائماً يحدق بالكنيسة ويهددها . فالكنيسة ديمقراطية ، ولكنها قد تتطرف فى الديمقراطية إلى درجة الجنون والفوضى . إن الديموقراطية ليس معناها أن يكون من حق كل واحد أن يفعل ما يشاء ، ولكن أن يرتبط الناس بشركة تسودها روح الجماعة المتضامنة فتتفق كلمة السر فيها ، ولا مكان للانعزال أو للانفرادية . وأخيراً كانت هناك الخطايا التى لم يكن حتى المعارضين أو المقاومين الكورنثيين قد تابوا عنها بعد . فهناك خطية « النجاسة » . وهذه الكلمة هى عكس الطهارة والنقاوة ، وهى تشمل كل شىء لا يتناسب مع وجود الإنسان فى محضر الله . وهى تصف الحياة التى تلوثت بأقذار العالم واتسخت بأدرانه وانغمست فى مفاسده . وهناك « الزنا » . وقد كان الكورنثيون يعيشون فى مجتمع لم يكن يعتبر الزنا خطية ، بل كان أمراً طبيعياً وعادياً فى نظر الناس أن يشبع الإنسان شهواته حينما أراد وأينما استطاع .

وقد كان إنتشار عدوى هذه الخطية المشينة بينهم أمراً سهلا لأنها كانت تستهوى الجانب الدنىء فى طبيعتهم . لذلك كان ينبغى عليهم أن يتمسكوا بذلك الرجاء الذى يستطيع أن يطهر النفوس من الخطية ويجعلها طاهرة كما أن المسيح نفسه طاهر . وكانت هناك « العهارة » . وهذه الكلمة ليس فى الإمكان ترجمتها بالضبط . فهى لا تعنى فقط النجاسة الجنسية ، إنها تعنى أيضاً وقاحة الخلاعة السافرة والفجور الصريح ، أو كما عرفها Basil « إنها موقف النفس التى لا تتحمل ولن تتحمل مشقة ضبط النفس وترويضها » . إنها الخلاعة الوقحة التى لا تعرف كبحاً لجماحها ، والتى لا تحس أبداً بعذوبة الأشياء وجمالها ، والتى تتجاسر على عمل كل شىء يشبع نزواتها ، والتى لا تعبأ للرأى العام ولا تحرص على سمعتها طالما أنها تحصل على ما تهواه وما تريده . إنها روح الأنانية السفيهة الوقحة التى فقدت كل تقدير للشرف وأصبح كل همها هو أن تأخذ ما تريد أينما تريد بلا حياء أو خجل ودون مراعاة لله ولا للناس . وينسب يوسيفوس هذه الخطية إلى إيزابل التى بنت هيكلا فى نفس مدينة الله ذاتها .

الأصحاح الثالث عشر

تحذير ــ رغبة ــ رجاء ــ بركة

(٢ كورنثوس ١٣)

فى هذا الفصل الأخير من هذه الرسالة العنيفة شديدة اللهجة يختتم بولس حديثه بأربعة أمور :

١ ــ تحذير أو إنذار :

فإن بولس سيأتى إلى كورنثوس . ولن يكون هناك فى هذه المرة مجال للمزيد من الحديث غير المسئول والعبارات الطائشة . بل إن كل ما يقال لابد أن يدعم بالدليل الحاسم والبرهان القاطع . أو بعبارة أخرى يصر بولس على أنه ينبغى أن يكشف النقاب عن كل شيء ، وأنه لابد من وضع حد لهذه الحالة السيئة . لقد علم أنه لا مناص من مجيء الوقت الذى تواجه فيه المشكلة بصراحة حاسمة . فعندما تفشل كل الأدوية فى العلاج لا مناص من استخدام مشرط الجراح . ولم يحدث أبداً أن استطاع أحد حل مشكلة ما بالهروب من مواجهتها .

٢ ــ رغبة :

إن رغبة بولس هى أن يتصرفوا حسناً وألا يعملوا شيئاً ردياً حتى لا يضطر إلى ممارسة سلطانه . ولن يكتئب لذلك ، بل بالعكس سيكون فرحه بذلك حقيقياً وعميقاً . فهو لم يرد أن يستخدم سلطانه لمجرد إظهاره أو إثبات وجوده ولكنه عمل كل شيء بقصد البنيان . وهكذا يجب أن يهدف التأديب إلى رفع الناس وبنيانهم وليس إلى مجرد إذلالهم وتحطيمهم .

٣ ــ رجاء أو أمل :

وبولس هنا له ثلاثة آمال يرجوها للكورنثيين :

(أ) فهو يرجو أنهم يتقدمون وينمون نحو الكمال ، فان الحياة المسيحية لا تعرف الوقوف عند حد معين . ومن لا ينمو أو يتقدم فلابد أنه ينزلق فى طريق الانحدار والتراجع . إن المسيحى هو الشخص الذى يسير دائماً قدماً فى الطريق نحو الله ، ولذلك فهو ــ بنعمة المسيح يزداد يوماً فيوماً استعداداً وتأهلا للفحص الإلهى .

(ب) وهو يرجو أنهم يصغون للنصح والإنذار اللذين وجههما إليهم . ولاشك أن الرجل الكبير هو الذى يتقبل بصدر واسع ما يقدم له من نصح حتى وإن كان شديداً . وسوف تكون حياتنا أفضل بكثير لو أننا توقفنا عن الحديث عما نريده وبدأنا ننصت إلى أصوات ونصائح الحكماء ، وبصفة خاصة إلى صوت يسوع المسيح .

(ج) وهو يرجو أنهم يعيشون فى انسجام وفى سلام . فلا يمكن لجماعة أن تتعبد لإله السلام بينما تمزقها روح الفرقة والبغض والخصام . ولابد أن يحب الناس بعضهم بعضاً حتى يمكن أن تكون محبتهم لله محبة حقيقية صادقة وليست مجرد زعم لا أساس له من الصحة .

٤ ــ وختاماً ينهى بولس رسالته ببركة ، فبعد الشدة والصرامة والنزاع والمجادلة يعطى البركة الهادئة الصافية .

إن من أحسن الوسائل لصنع السلام مع أعدائنا هى أن نصلى لأجلهم ، لأنه لا يستطيع إنسان أن يكره أخاه وأن يصلى لأجله فى الوقت نفسه . وهكذا ننتهى من قصة متاعب بولس مع كنيسة كورنثوس بالبركة والسلام يدويان فى آذاننا ويعلقان بأذهاننا .

لقد كان الطريق شاقاً وصعباً ، ولكن الكلمة الأخيرة هى كلمة السلام .

الرسالة إلى أهل غلاطية

تمهيد :

كان لرسالة غلاطية تأثير عظيم على الكنيسة . ولذلك فلقد كان طبيعيا أن يقوم الكثيرون بكتابة شرح لها . ولهذا فإن من يكتب عن الرسالة الى غلاطية ، أو يقوم بدراستها يجد نفسه أمام ثروة دراسية كبيرة .

فمن أعظم كتابات لوثر تفسيره لرسالة غلاطية ، وتفسير ج . ب . ليتفوت لن يفوقه تفسير آخر . كما أن تفسير أ . د . بيرتون يقف شامخا كنموذج من الدراسة العلمية الممتازة إذ يحوى رصيدا كبيرا من المادة الدراسية .

أما من حيث النص الإنجليزى فإن تفسير أ . د . ف بلانت فى مجموعة كلارندون تفسير جيد إلا أن أفضل تفسير إنجليزى هو ذاك الذى وضعه ج . س دنكان فى سلسلة تفسير موفات .

ولا تقربنا رسالة الى قلب بولس الرسول مثل الرسالة الى غلاطية . وأملى أن هذا التفسير المختصر يجعل هذه الرسالة حقيقة ملموسة ، ويجعل معانيها سهلة المنال .

وليم باركلى

كلية ترينتى ، جلاسجو

سبتمبر ١٩٥٨ .

مقدمة

هجوم على بولس الرسول :

شبه أحدهم رسالة غلاطية بسيف مسلول فى يد فارس عظيم ، فقد كان هنالك هجوم على بولس الرسول وعلى الإنجيل الذى نادى به ولو نجح ذلك الهجوم ، فلربما أصبحت المسيحية مجرد جماعة من الجماعات اليهودية ، ولعلها كانت تصبح شيئا محدودا فى نطاق اليهودية ولليهود وحدهم ، شيئا يعتمد على الختان وحفظ الناموس ، بدلا من النعمة . وأنه لمن الغريب أن نتأمل كيف أنه لو نجح أعداء بولس الرسول ، لبقى الإنجيل محصورا فى دائرة اليهود وما كانت تتاح لنا الفرصة لنتعرف الى محبة المسيح .

هجوم على رسولية بولس الرسول :

من المستحيل أن تكون لانسان شخصية قوية مليئة بالحيوية مثل شخصية بولس الرسول دون أن يصادف الاعتراضات . ومن المستحيل أن يقود انسان ثورة فى التفكير الدينى بمثل ما فعل بولس الرسول ، دون أن يتعرض للهجوم . وكان الهجوم الأول ضد رسولية بولس الرسول . فقال كثيرون ان بولس ليس رسولا على الاطلاق ، وكانوا محقين من وجهة نظرهم الخاصة . فالتعريف الأساسى للرسول موجود فى أع ١ : ٢١ و ٢٢ فاذ انتحر يهوذا الخائن كان لزاما أن يأخذ واحد مكانه . فكيف وصفوا مؤهلات الشخص الذى يجب اختياره ؟ قالوا إنه يجب أن يكون واحدا من « الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى دخل الينا الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا الى اليوم الذى ارتفع فيه عنا » فإنه يجب أن يكون شخصا ممن عاينوا القيامة . وعلى ذلك فيجب أن يكون الرسول انسان اجتمع مع يسوع ابان خدمته الأرضية ، وعاين قيامة السيد . وواضح أن بولس لم يستكمل هذه المؤهلات . وبالاضافة الى ذلك فانه منذ عهد قريب كان قائد اضطهاد الكنيسة المسيحية . ويجيب بولس على ذلك فى الآية الأولى من رسالته فيصر بفخر على أن مصدر رسوليته ليس مصدرا انسانيا . فإن يد إنسانية لم تخصصه لهذه الوظيفة ، ولكن دعوته جاءت من الله رأسا . فلقد كانت لدى الآخرين المؤهلات اللازمة عندما خلا المكان بين جماعة الرسل الا ان بولس كان له المؤهل الخاص والمميز وهو أنه قد تقابل مع المسيح وجها لوجه فى الطريق الى دمشق .

الاستقلال والاتفاق :

وقد أصر بولس الرسول أيضا على أنه لا يعتمد فى رسالته على انسان ولذلك يوضح بالتفصيل وبدقة فى الفصلين الأول والثانى زيارته الى أورشليم فهو يصر على أنه لا يقدم فى وعظه رسالة تسلمها من واحد من البشر . ولكنه يعظ برسالة تسلمها مباشرة من المسيح . الا أن بولس لم يكن فوضويا و لم يكن متمردا . ولذلك فهو ينبر على أنه برغم تسلم رسالته فى استقلال تام ، الا أن قادة الكنيسة المعترف بهم قد أقروا تلك الرسالة (٢ : ٦ — ١٠) فقد أصر بولس على أن الانجيل الذى نادى به قد جاءه مباشرة من الله . كما أنه الإنجيل الذى يوافق تماما الايمان المسلم للكنيسة .

المتهودون :

الا أن الإنجيل الذى نادى به بولس الرسول كان أيضا معرضا للهجمات . وقد كان الصراع لابد آتيا ، وسيخوض المعركة لا محالة . فلقد قبل بعض اليهود المسيحية ، الا أنهم اعتقدوا أن كل مواعيد الله وهباته إنما هى لليهود فقط وأنه لا يمكن السماح لأى واحد من الأمم لأن يتمتع بتلك المميزات الثمينة . ولذلك فقد اعتقدوا أن المسيحية انما هى لليهود ، ولليهود فقط . فان كانت المسيحية هى أعظم عطايا الله للبشرية ، فهذا انما يدعو للمزيد من الاعتقاد بأن لا يستمتع بها سوى اليهود . ولعله لم يكن ممكنا تجنب هذا . فقد كان هنالك نوع من اليهود ممن آمنوا بكبرياء وخيلاء بفكرة الشعب المختار . وكان هذا النوع من اليهود ينادون بأفظع التعاليم فقالوا : « يحب الله اسرائيل فقط من بين الأمم التى خلقها » . « سيدين الله اسرائيل بمقاييس تختلف عن المقاييس التى يدين بها الأمم » . « اسحق أفضل الحيات ، واقتل أفضل الأمم » « خلق الله الأمم ليكونوا وقودا لنيران جهنم » . كانت هذه هى الروح التى جعلت وصاياهم تمنع مساعدة السيدة الأممية فى ساعة ضيقها ، لأن ذلك انما كان يؤدى الى دخول أممى آخر الى العالم . ورأى هذا النوع من اليهود بولس الرسول يقدم الانجيل لمثل هذا الأممى المكروه والمحتقر . فراعهم ذلك وأثار سخطهم . ولأن بولس الرسول نادى بانجيل عام للجميع فلذلك كرهوه هو وإنجيله من كل قلوبهم .

الشريعة اليهودية :

الا أنه كان هنالك منفذ من ذلك . فقد رأوا أنه إن أراد أممى أن يصبح مسيحيا فليصبح **يهوديا أولا** . وماذا كان ذلك يعنى يا ترى ؟ كان يجب أن يختتن وأن يحمل كل عبء الشريعة اليهودية . وكان هذا بالنسبة لبولس يتعارض تماما مع معنى المسيحية . فهذا كان يعنى أن خلاص الانسان يعتمد على ما يمكنه أن يقوم به ، وأنه يعتمد على علامة فى الجسد ، وعلى مقدرة الانسان على حفظ الشريعة . وهذا يعنى أن المرء يستطيع أن يستحق الخلاص بمجهوده الخاص ، دون مساعدة . أما فى نظر بولس ، فالخلاص شىء من عمل **النعمة** تماما . فقد اعتقد أنه لا يستطيع انسان قط أن يستأهل رضى الله فكل ما يستطيع المرء عمله هو أن يقبل محبة الله المقدمة له ، وأن يقوم على الايمان ويلقى بنفسه ضعيفا فقيرا عاجزا على محبة الله . فقد كان اليهودى يتقدم الى الله قائلا « انظر ! ها هى أعمالى الصالحة . انظر الى ختانى ، ها هى أعمالى فأعطنى الخلاص الذى استأهله » أما بولس الرسول فيقول :

إن أعمال يدى .

فرض شرعك لا تفى .

مهما كانت غيرتى .

مهما سالت أدمعى .

لا تمحو خطيتى .

وحدك مخلصى .

ليس شيء فى يدى .

بالصليب أحتمى .

عاريا تكسونى .

عاجزا ترجمنى .

من أقذارى اغسلنى .

وحدك مخلصى .

فالشيء الأساسى بالنسبة لبولس ليس هو ما يستطيع الانسان أن يفعله لله ، بل ما فعله الله للانسان .

الا أن اليهود قالوا « إن أعظم شيء فى حياتنا وقوميتنا هو الشريعة التى أعطاها الله لموسى وحياتنا كلها تعتمد على هذه الشريعة » . ولكن بولس يجادلهم قائلا : « مهلا ! من هو مؤسس أمتنا ؟ ولمن أعطيت أعظم مواعيد الله » ؟ وكانت الاجابة طبعا هى ابراهيم . وهنا يقول بولس فلنسأل : « كيف حصل ابراهيم على رضى الله ؟ إنه لم يحصل عليه نتيجة حفظه للشريعة الموسوية ، فلقد عاش ابراهيم قبل أن يعطى الناموس لموسى بأربعمائة وثلاثين سنة ، حيث لم تكن هنالك شريعة يجب حفظها . فكيف نال ابراهيم رضى الله اذن ؟ لقد ناله بالايمان . فعندما قال له الله أن يترك شعبه ويذهب ، وثق ابراهيم بالله لدرجة أنه خرج بالايمان وذهب واضعا ثقته الكاملة فى الله . فخلص ابراهيم بالايمان ، لا بالشريعة » . ويمضى بولس الرسول فيقول : « إنه هذا هو الأساس ، فالايمان هو الذى يخلص الانسان وليس أعمال الناموس » . « فابن ابراهيم الحقيقى » ، « يقول بولس » ليس هو المولود من نسل ابراهيم الجسدى . لكن ابن ابراهيم الحقيقى ، هو ذاك الذى ، بغض النظر عن جنسه وبلاده ونسبه ، يخضع لله بالإيمان بنفس أسلوب ابراهيم . واسرائيل الحقيقى لا يتعلق بالنسب الجسدى ، ولكنه يتكون من كل من يكررون ايمان ابراهيم » . كان هذا هو الأسلوب الذى به أوضح بولس الرسول أن الايمان ، وليس الأعمال ، هو الذى يصل بالانسان الى دائرة رضى الله .

الشريعة والنعمة :

إن كان كل هذا صحيحا ، فهنالك سؤال هام يظهر فى الأفق : ما هو اذن مكان الشريعة ؟ لا يمكن أن ننكر أن الشريعة أعطيت من الله ، فالشريعة اذن شيء الهى . فهل هذا التنبير على النعمة يمحو الشريعة نهائيا ؟ إن الشريعة لها مكانها فى الخطة كلها . فأولا ، يعرف الانسان ما هى الخطية عن طريق الشريعة . فإن لم تكن هنالك قوانين فالانسان لا يستطيع أن يكسر القانون . وان لم تكن هنالك شريعة ، فلا يوجد شيء اسمه خطية . فالناموس يوضح ما هى الخطية . وثانيا — وهذا أهم — تدفع الشريعة الانسان الى نعمة الله . فالمشكلة مع الشريعة هى أنه لكوننا بشر خطاة ،

فلن نستطيع أن نحفظ الشريعة كاملة تامة . فمحاولة حفظ الشريعة صراع محكوم عليه بالفشل .

إنها معركة يخسرها الانسان دائما . فتأثير الشريعة هو أن تكشف للانسان ضعفه ، مما يدفعه لنوع من الفشل لا يجد منه مخرجا سوى أن يلقى بنفسه بايمان عظيم فى أحضان رحمة الله ومحبته . فالناموس يكشف لنا عجزنا ، ويقنعنا بعدم امكانتنا فى ذواتنا ، ويدفعنا فى النهاية لأن نعترف بأن الشيء الوحيد الذى يخلصنا ليس هو تلك الطاعة المستحيلة للناموس ولكن نعمة الله . وعلى ذلك فالناموس خطوة أساسية فى الطريق إلى نعمة الله . وبذلك فان الموضوع الهام فى هذه الرسالة هو مجد نعمة الله ، وأهمية أن نتحقق أننا بأعمالنا لن نخلص أنفسنا ، وأن كل ما يمكننا عمله هو أن نسلم أنفسنا فى ايمان كامل لنعمة الله .

التفسير

الأصحاح الأول

صوت بوق الإنجيل

(غلاطية ١ : ١ ـــ ٢٥)

جاء أناس الى غلاطية ليقولوا إن بولس فى الحقيقة ليس رسولا ، ولذلك فلا يجب الاصغاء اليه وبنوا تقليلهم من شأنه على حقيقة أنه لم يكن أحد الاثنى عشر الأوائل ، وأنه كان أبشع مضطهد للكنيسة ، وأنه لم يحمل تعيينا رسميا من قادة الكنيسة . ولم يجب بولس على هؤلاء بالمجادلة ، ولكن بعبارة لا يمكنهم الرد عليها ، فهو ليس مدينا برسوليته لانسان ، ولكنه مدين بها لذلك اليوم الذى تقابل فيه وجها لوجه مع الرب يسوع فى الطريق الى دمشق . وبذلك قال بولس الرسول إن وظيفته وخدمته انما قد أخذها مباشرة من الله .

١ ـــ كان بولس متأكدا من أن الله كلمه . يحدثنا « ليسلى وذرهيد » عن صبى صمم على أن يكون خادما للمسيح وعندما سئل عن الوقت الذى وصل فيه إلى هذا القرار قال إن ذلك حدث بعد أن استمع لعظة فى كنيسة المدرسة ولما سألوه عن اسم الواعظ الذى أثر على حياته هذا التأثير الكبير قال « لست أعلم اسم الواعظ ، ولكننى أعلم أن الله تحدث الى فى ذلك اليوم » . فلا يستطيع انسان فى الحقيقة أن يجعل انسانا آخر خادما لله . فالله وحده هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك . والاختبار الحقيقى للمسيحى ليس كونه قد تمم بعض الممارسات ، وأخذ بعض العهود أم لا ، ولكنه السؤال عما إن كان قد رأى المسيح وجها لوجه ؟ قال أحد كهنة اليهود القدامى واسمه « عبد طوب » عن الوظيفة التى يشغلها :

« إن أبى وأمى لم يجعلانى حيث أنا ، ولكن ذراع المالك الالهى المقتدر أعطتنى هذه الوظيفة » .

٢ ـــ إن السبب الذى أعطى بولس القدرة على تحمل التعب كان تأكده التام من أن عمله قد أعطى له من الله . فاعتبر كل مجهود يطلب منه كتكليف له من الله . وليس أمثال بولس فقط هم الذين نالوا وظيفتهم ومسئوليتهم من الله . فقد يكون العمل الذى يكلف الله به واحد من البشر شيئا يعرفه الناس جميعا ويذكره التاريخ ، ولكنه قد يكون أمراً لا يسمع عنه أحد شيئا . إلا أنه فى كلا الحالين مسئولية من الله . كتب طاغور قصيدة تقول :

« فى منتصف الليل ، قال معتزم النسك :

هذا هو الوقت الذى أهجر فيه بيتى وأسعى نحو الله .

من ذا الذى خدع نفسى طويلا هنا » ؟ .

وهمس الله قائلا : « أنا » الا أن أذن الرجل كانت صماء وكانت زوجته ترقد فى الجانب الآخر من الفراش وهى تحتضن طفلها فى سلام .

تقف تلك القوة التى لا تحدها حدود والتى لا يمكن أن يصيبها القنوط وهى تنقذ من تحب من أغلال الخطية .

عبد المسيح

(غلاطية ١ : ٦ — ١٠)

إن الحقيقة الأساسية التى تقف من خلف ظروف هذه الرسالة هى أن إنجيل بولس الرسول كان إنجيل النعمة المجانية . فلقد آمن بكل قلبه ، أن كل ما يمكن للانسان أن يعمله لا يستطيع أن يستحق لأجله رضى الله . فلقد آمن ايمانا عارما بأنه لن يمكن أبدا لأى انسان أن يستأهل محبة الله . ولذلك فليس للانسان سوى أن يلقى بنفسه تماما فى أحضان حب الله ورحمته ، وذلك فى خطوة ايمان جريئة . فقد اعتقد أن كل ما يمكن للانسان أن يفعله هو أن يتناول فى شكر ممتزج بالدهشة ما يقدمه الله . وليس المهم هو ما يمكننا أن نفعله ، بأنفسنا لأنفسنا ، ولكن بولس الرسول ، وجاء من بعده أناس نادوا بمسيحية لها صبغة يهودية فقالوا إنه ان أراد أحد أن يسر الله ، فيجب أن يختتن أولا ثم يتقدم بعد ذلك فى تكريس حياته كاملة لتنفيذ قواعد وفرائض الناموس . ولذلك فقد قالوا انه كلما نفذ الانسان أمرا من فرائض الناموس ، أضاف الله شيئا جديدا لكشف حسابه الدائن مع الله ، فقد علموا بأنه يجب على الانسان أن يكسب لنفسه رضى الله ومحبته . وهذا ما اعتبره بولس الرسول أمرا مستحيلا . أما خصومه فقد اعتبروا أن بولس يجعل الدين بذلك شيئا سهلا جدا وأنه يقف هذا الموقف ليكسب رضى الناس ومودتهم . الا أن الحقيقة كانت بعكس هذا الاتهام فلو كانت الديانة تتكون من الختان ومن تنفيذ مجموعة من الفرائض والوصايا لاستطعنا أن نقول ، ولو من الناحية النظرية ، إنه من الممكن تنفيذ متطلباتها . ولكن دعونا نتأمل ما يقوله بولس الرسول . إنه يرفع صليب المسيح عاليا ويقول « هكذا أحبكم الله » . وبذلك تصبح الديانة أمرا ، لا يتعلق بتنفيذ متطلبات الناموس ولكنها الوفاء بالتزام المحبة . فانه يمكن للانسان أن يفى بمتطلبات الناموس ، لأن حدودا ثابتة واضحة ، ولكن هيهات له أن يفى بمتطلبات المحبة . فلو أعطى الشمس والقمر والنجوم لمن يحبه ، لشعر بعد ذلك أن تلك لا تساوى شيئا . الا أن كل ما استطاع خصوم بولس من اليهود ان يتبينوه هو أن بولس قد أعلن أنه لم يعد هناك لزوم للختان وأن الناموس قد أصبح غير ذى موضوع .

وأنكر بولس الرسول أنه يحاول ان يكسب رضى الناس فلم يأبه برأى الناس عنه لأن سيده هو الله . ولذلك تقدم بالحجة التى لا يمكن دحضها قائلا ، « فلو كنت أرضى الناس لما كنت عبد المسيح » . والذى كان يدور بخلده هو أن العبد كان يوسم باسم وعلامة سيده ، تلك العلامة التى كان يكوى بها بقطعة من الحديد الملتهب . وقد حمل بولس الرسول فى جسده علامات تجواله وآلامه ، علامات عبد المسيح . فهو يقول : « لو كنت أرضى الناس ، فهل كانت تظهر على هذه العلامات ؟ ولو كان كل هدفى هو العلاقات الطيبة مع البشر ، فهل كان جسدى يحمل هذه العلامات ؟ إن حقيقة كونه يحمل تلك العلامات لتقدم الدليل النهائى على أن هدفه الواحد هو خدمة

وقال الرجل : من أنت يا من خدعتنى طويلا ؟ .

فقال الصوت ثانية : « إنها الآلهة » ولكنه لم يسمع .

وصرخ الطفل بسبب أحد أحلامه وتشبث بأمه . وأمره الله قائلا : « قف أيها الجاهل لا تترك بيتك » ولكنه لم يسمع أيضا .

وتنهد الله شاكيا « لماذا يسير خادمى هائما على وجهه ليبحث عنى واذا به يهجرنى . هناك مسئوليات متواضعة ولكنها ، أيضا ، تكليف الهى » .

فالمسئولية التى تلقاها بولس من الله كانت تبشير العالم أجمع . أما بالنسبة لغالبيتنا فهى ببساطة أن تسعد واحدا أو اثنين فى دائرة أصدقائنا الضيقة وهذا أيضا واجب الهى .

ويلخص بولس الرسول فى بداية رسالته كل أمانيه وصلواته لأصدقائه فى كلمتين عظيمتين :

١ ـــ فهو يطلب لهم النعمة . وهنالك فكرتان أساسيتان فى كلمة « نعمة » . الفكرة الأولى هى فكرة الجمال فى حد ذاته . فالكلمة اليونانية Charis تعنى النعمة فى معناها اللاهوتى الا أنها تعنى دائما الجمال والجاذبية . وحتى عندما تستخدم هذه الكلمة فى معناها اللاهوتى ، ففكرة الجمال ليست بعيدة عنها مطلقا . فعندما تتواجد النعمة فى الحياة المسيحية فلابد أن تجعل منها شيئا جذابا محبوبا . فكثيرا ما تجد الصلاح دون جاذبية والجاذبية دون صلاح ، وعمل النعمة يظهر عندما يجتمع الصلاح والجاذبية معا . والفكرة الثانية هى **فكرة الكرم والسخاء الذى يقدم دون استحقاق** . والفكرة هى فكرة العطية التى ينالها الانسان دون استحقاق ، والتى ما كان يمكنه أن يحصل عليها بمجهوده الشخصى ، ولكنها تقدم له بناء على كرم وسخاء وحب قلب الله له . فكلمة نعمة تحوى بين ثناياها كل محبة الله فعندما يصلى بولس الرسول طالبا النعمة لأصدقائه ، كأنى به وهو يقول : ليحل عليكم جمال محبة الله العجيبة التى لا يستحقها بشر ، حتى تجعل حياتكم شيئا جميلا أيضا .

٢ ـــ وهو يرجو لهم السلام . كان بولس الرسول رجلا يهوديا ولاشك أن كلمة « شالوم » العبرية كانت فى مخيلته حتى عندما كتب الكلمة اليونانية eirene (سلام) . وكلمة شالوم تعنى أكثر بكثير من مجرد اتقاء المشاكل ، فهى تعنى كل شىء يؤدى الى أفضل الخير للانسان . إنها تعنى كل شىء يجعل فكره نقيا وارادته ثابتة وقلبه مسرورا . إنها الشعور بمحبة الله وعنايته التى تحيط قلب الانسان بالسلام والبهجة حتى ولو كان جسده يعانى ألوان العذاب .

وإذ يتحدث بولس الرسول عن يسوع ، يلخص فى عبارة واحدة تضم معانى غير محدودة قلب الرب يسوع المسيح وعمله « بذل نفسه ... لينقذنا » .

١ ـــ فحب المسيح هو الحب الذى أعطى وتألم .

٢ ـــ وحب المسيح هو الحب الذى انتصر وأحرز .

فمأساة الحب فى هذه الحياة هى أنه كثيرا ما لا تتحقق آماله فهو يتحمل آلام المحبة ولكنه قد لا يستطيع أن ينقذ الشخص الذى يحبه . الا أن حب المسيح هو ذلك الحب الكامل لأن من خلفه

المسيح وليس إرضاء البشر .

فعندما أراد بولس الرسول أن يثبت أنه خادم المسيح استشهد بتلك السمات والعلامات ، إذ انها كانت أوسمته ونياشينه التى يفخر بها . يحدثنا « جون جونتر » عن الشيوعيين الأوائل فى روسيا ، وكثيرون منهم كانوا فى سيبريا ، وقد كانوا جميعهم تقريبا فى السجون تحت حكم قيصر روسيا وكانوا يحملون فى أجسادهم علامات ما عانوه وقاسوه . ويقول لنا إنهم عوض أن يخجلوا من تلك العلامات التى شوهتهم ، جعلوها موضوع فخرهم وكبريائهم . وقد نعتقد نحن أنهم كانوا فى ضلال ، وكانوا يضلون الآخرين ، الا أنهم لأجل عقيدتهم ، فإنه عندما يرى الناس أننا على استعداد لأن نقاسى شيئا لأجل الايمان الذى نقول إننا نتمسك به ، سيقتنعون بأننا نؤمن به فعلا . فما لا يكفنا شيئا ، سيكون تافها فى نظر الآخرين .

يد الله تستقر

(غلاطية ١ : ١١ — ١٧)

كان بولس الرسول يعتقد أن الانجيل الذى ينادى به للناس لم يكن مجرد قصة أو رواية سمعها من آخرين ، فلقد جاءه من الله مباشرة ولقد كان مثل هذا « القول » شيئا كبيرا يحتاج الى برهان . ولقد كانت لدى بولس الرسول الشجاعة الكافية لأن يشير الى نفسه شخصيا ويقدم من نفسه برهان هذه الحقيقة . فأشار الى التغيير الشامل الذى جرى فى حياته .

١ — فلقد كان متمسكا بالناموس لدرجة التعصب . كان الناموس هو حياته . فلقد كان موضوع دراسته الوحيد هو أن يعرف الناموس ، وهدف حياته الواحد هو أن يحفظه . أما الآن فقد أصبح الموضوع المسيطر على حياته هو النعمة فهذا الانسان الذى حاول بمجهود جبار أن يكسب رضى الله أصبح الآن قانعا بأن يأخذ فى اتضاع ما يقدمه الله ، وبذلك كف نهائيا عن الافتخار بما يمكنه أن يقوم به لنفسه ، وأصبح يفتخر من ذلك الوقت فصاعدا بما صنعه الله لأجله .

٢ — ولقد كان مضطهد الكنيسة رقم ١ فلقد شتت الكنيسة ، والكلمة التى يعبر بها عن هذه الحقيقة هى الكلمة التى تعبر عن سلب المدينة تماما . لقد حاول أن يحرث الأرض التى كانت الكنيسة قائمة عليها . اما الآن فقد أصبح الهدف الواحد الذى لأجله كان مستعدا لأن يبذل نفسه حتى الموت ، هو أن تنتشر الكنيسة فى كل بقاع العالم . وكل مجهود يجب أن يكون له سبب مناسب ، فعندما يندفع انسان بكل قوته فى اتجاه ، ثم يتحول فجأة ويندفع فى الاتجاه المضاد تماما ، وعندما تتغير القيم فى حياة أى انسان ، فتنقلب رأسا على عقب ، فيجب أن يكون هنالك تفسير مناسب لذلك . وكان التفسير بالنسبة لبولس الرسول هو تداخل الله المباشر . لقد استقرت يد الله على كتف بولس الرسول وكأنه القى القبض عليه وهو فى أوج نشاطه هذا . قال بولس « هو نوع التأثير الذى لا يمكن أن يصنعه غير الله » . انه لمما يستحق العجب الذى عن بولس الرسول انه لم يخشى أن يتحدث عما يدعو للخجل فى حياته ، لكى يظهر قوة الله .

وهناك أمران يشير اليهما حديثه عن تدخل الله :

١ ــ ان ذلك لم يكن شيئا لم يسبق التفكير فيه ، فهو جزء من خطة الله الأزلية ، والخطة كانت موجودة حتى قبل مولد بولس الرسول . يحدثنا « أ . ج . جوسب » عن الكيفية التى أتى بها « ألكسندر وايت » الى رسامته فى أول كنيسة خدم بها . وكانت رسالة « وايت » هى أن الله من الأزل ، كان يعد هذا الرجل لهذا الشعب ، وهذا الشعب لهذا الرجل ، وأنه فى اللحظة المناسبة بالضبط قد جمعهما معا . كل انسان هو فكرة من أفكار الله . ولله خطة لكل انسان ، ويرسل الله كل انسان الى العالم وقد وضع له دورا يقوم به فى خطة الله وقصده وقد يكون ذلك دورا كبيرا أو دورا صغيرا . وقد يكون عملك عملا يسمع عنه العالم بأسره ، وقد يكون شيئا لا يسمع به سوى أقرب الأقربين . يقول « أبكتيتس » الفيلسوف المشهور « لتكن لك الشجاعة التى بها ترفع ناظريك نحو الله قائلا : « افعل بى كما تبغى من الآن فصاعدا ، فانى فى اتحاد معك ، فانى ملك لك . وانى لا أجفل من شيء تراه أنت أنه صالح ، قدنى حيثما شئت وألبسنى الرداء الذى تشاء ، فان كنت تريدنى أن أحمل مسئولية أو أن أحرم منها ، أن أبقى أو أن أنطلق ، أن أكون غنيا أو فقيرا ؟ فى كل هذه الأحوال سأدافع عنك أمام الناس » . إن كان فليسوف وثنى قد استطاع أن يستودع نفسه بهذا القدر فى يد اله لم يعرف عنه سوى القليل فكم بالحرى نحن ! .

٢ ــ ولقد عرف بولس أنه قد اختير لعمل محدد . إنه لم يفكر فى نفسه وكأنه اختير ليشغل مناصب الشرف ، ولكنه اختير للخدمة . ليس لعمل سهل ولكن للمعارك . والقائد انما يختار خيرة رجاله لأصعب المعارك . والمعلم يختار خيرة تلاميذه لأصعب الدراسات . لقد عرف بولس أنه إنما اختير للخدمة .

طريق المختارين

(غلاطية ١ : ١٨ ــ ٢٤)

يجب أن نربط بين هذه الفقرة والفقرة السابقة لنرى ما فعله بولس الرسول عندما استقرت يد الله عليه .

١ ــ ان أول ما فعله هو أنه ذهب الى العربية . لقد ذهب ليكون منفردا وذلك لسببين :

أولا : ليتأمل هذا الأمر العظيم الذى حدث معه .

ثانيا : كان يجب أن يتحدث الى الله قبل أن يتحدث الى البشر .

كان يجب أن يكون متيقنا من نفسه ومتيقنا من الله . قليلون هم الذين يخصصون شيئا من الوقت لمواجهة أنفسهم ومواجهة الله . وكيف يمكن لانسان أن يواجه تجارب وضغط وشدة الحياة دون أن يتدبر أموره جيدا ، ودون يقين .

٢ ــ ذهب الى **دمشق** . كان هذا عملا يتطلب كثيرا من الشجاعة . فاننا نذكر أن بولس كان فى طريقه الى دمشق ليمحو الكنيسة ، عندما استقرت يد الله عليه ، وكانت دمشق كلها تعرف ذلك . وذهب بولس فورا ليشهد للناس الذين كانوا يعرفون حاله السابق جيدا . كتب « كبلنج » قصيدة اسمها « نذر ملهولند » وملهولند هذا كان راعيا للأغنام المنقولة على ظهر احدى السفن ، وهبت عاصفة هوجاء عبثت بالسفينة وتعهد « ملهولند » لله بأنه ، إن انقذه من خطر الغرق ، فانه سيخدمه من ذلك الوقت فصاعدا . ونجا وعزم على تنفيذ وعده لله ، الا أنه قرر أن يعظ حيث لا يعرفه أحد ، وفى مكان مريح أنيق بعيد عن المخاطر . وعندئذ جاءه أمر الله بأن يعود الى سفن الأغنام ويعظ بالانجيل هنالك وبذلك أرسله الله الى المكان الذى يعرفه والذى هو معروف فيه . إن شهادتنا المسيحية مثل تقدماتنا المسيحية تماما فهى يجب أن تبدأ بالبيت .

٣ ــ ذهب بولس **الى أورشليم** ونراه يخاطر بحياته للمرة الثانية . فلسوف يطلب أصدقاؤه القدامى ، اليهود ، دمه لأنه كان مرتدا فى نظرهم أما أعداؤه القدامى ، المسيحيون ، فلسوف يتجنبونه لأنهم سوف لا يصدقون أنه قد تغير . وكانت لدى بولس الرسول الشجاعة لأن يواجه ماضيه . إننا لا نستطيع أن نتخلص من الماضى بأن نهرب منه . ان خير تعامل مع الماضى انما يكون بمواجهته والاعتراف به والانتصار عليه .

٤ ــ ذهب بولس الرسول الى سوريا وكليكية حيث كانت طرسوس التى نشأ فيها ، وحيث ذهب للمدرسة يتعلم . وفى تلك المنطقة كان أصدقاء طفولته وشبابه . ونراه مرة أخرى يختار الطريق الصعب . فلاشك أنهم سيعتبرونه معتوها ، ويقابلونه بالغضب ، بل أسوأ من ذلك انهم سيقابلونه بالسخرية . وكان بولس على أتم استعداد لأن يعتبر معتوها لأجل المسيح .

يحاول بولس الرسول فى هذه الآيات أن يدافع عن انجيله ويثبت استقلاله . فانه لم يأخذه من انسان ولكنما من الله . فهو لم يستشر انسانا ولكنه استشار الله وبينما كان بولس يكتب اذا به يقدم نفسه ، دون ، أن يشعر ، كذلك الانسان الذى لديه الشجاعة لأن يشهد للتغيير الذى حدث فى حياته ويكرز بالانجيل فى أصعب الأماكن .

الأصحاح الثانى

الرجل الذى رفض أن يرهبه أحد

(غلاطية ٢ : ١ ــ ١٠)

أثبت بولس فى الفقرة السابقة استقلال انجيله ، وأنه ليس مدينا به لبشر ، ولكنما أتى اليه من الله مباشرة . وفى الفقرة التى أمامنا يثبت أن هذا الاستقلال ليس ضربا من الفوضى وأن انجيله لم يكن دعوة للانقسام والطائفية ، ولكنه عين الايمان المسلم للكنيسة . فبعد أن عمل لمدة أربع عشرة سنة ذهب الى أورشليم وأخذ معه تيطس صديقه الصغير وأحد أتباعه وهو يونانى الجنسية . ولم تكن تلك الزيارة سهلة لدرجة أن اضطرابه الفكرى يظهر فى سرده للأحداث .

فهنالك اضطراب فى النص اليونانى لا يمكن أن يظهر كاملا فى الترجمة العربية . فلقد كانت مشكلة بولس أنه لم يستطع أن يقتصد فى الحديث والا فسيبدو وكأنه قد تخلى عن مبادئه ، كما أنه لم يستطع الا أن يتحدث بافاضة لئلا يظهر وكأنه على خلاف مع قادة الكنيسة . لذلك فعباراته مفككة وغير مترابطة وكلماته تدل على مشغوليته واضطراب فكره .

ولقد قبل قادة الكنيسة الحقيقيين موقفه من البداية ، الا أنه كان هنالك من أرادوا أن يخمدوا هذه الروح المتأججة . فالبعض ، كما سبق أن رأينا ، قبلوا المسيحية ولكنهم كانوا يعتقدون أن الله لم يعط أية امتيازات لغير اليهود . ولذلك فلكى يصبح الانسان مسيحيا يجب عليه أن يختتن أولا وأن يحترم فرائض الشريعة كلها . واتخذ هؤلاء المتهودون وهذا هو الاسم الذى يطلق عليهم ــ من تيطس حالة يختبرون بها نوايا بولس الرسول . وهنالك معركة من وراء العبارات التى نقرأها هنا ، ويحتمل أن قادة الكنيسة حثوا على أن يتنازل قليلا عن مبادئه فى حالة تيطس ، حفاظا على السلام . الا أن بولس ثبت كالصخر ، فلقد عرف أن هذه الحالة يقصد بها اختباره ، ولذلك فلم يقبل أن يتنازل ولو للحظة واحدة . فالخضوع انما يعنى الاستعباد للناموس ورفض الحرية التى فى المسيح .

ولقد انتصر ثبات بولس فى النهاية وقبلوا ، من حيث المبدأ ، أن تكون خدمة بولس خارج الدائرة اليهودية ، بينما خدمة بطرس ويعقوب بين اليهود ، ويجب أن نلاحظ بدقة أننا لا نتحدث عن الوعظ بانجيلين مختلفين ولكنما هو انجيل واحد يدخل ميدانين مختلفين بواسطة أشخاص مختلفين لهم المؤهلات الخاصة التى تناسب ذلك .

ومن هذه الصورة تبرز ميزات خاصة لبولس الرسول :

١ ــ لقد قدم بولس الرسول للمسئولين فى الكنيسة الاحترام اللائق بهم فهو لم يتصرف على هواه . لقد ذهب وتقابل وتحدث مع قادة الكنيسة مهما اختلف معهم . إن أحد القواعد العظيمة

والمهملة فى الحياة هو أنه مهما كنا على صواب ، فلن نكسب شيئا عن طريق الوقاحة . فلا يوجد ما يمنع أن تسير المجاملة مع التصميم يدا بيد .

٢ ــ لقد رفض بولس الرسول أن يرهبه أحد فهو يتحدث عدة مرات عن الشهرة التى تمتع بها قادة الكنيسة وأعمدتها . لقد احترمهم وعاملهم بمنتهى المجاملة ولكنه لم يتحول عن مبادئه فهنالك احترام الآخرين ، كما أن الحكمة قد تقتضى أن ننحنى أمام من يعتبرهم العالم أو تعتبرهم الكنيسة شخصيات عظيمة . الا أن بولس الرسول كان على يقين من أنه لا يسعى لكى يرضى الناس بل الله .

٣ ــ ولقد كان بولس الرسول يحس بأن عليه مسئولية خاصة وقد شعر بأن الله قد أعطاه عملا خاصا يقوم به ، ولذلك فلن يسمح لمعارضة من الخارج أو لما يثبط الهمة من الداخل بأن تعوقه عن اتمام ذلك العمل وتلك الرسالة . إن من يعلم بأن الله قد كلفه برسالة معينة ، لسوف يجد دائما أن الله قد منحه قوة خاصة لتنفيذ هذه الرسالة .

الوحدة الأساسية

(غلاطية ٢ : ١١ ــ ١٣)

لم تنته المشكلة . فلقد كانت هنالك فى حياة الكنيسة الأولى أكلة عامة كانوا يطلقون عليها اسم Agapa أى وليمة المحبة . وكان كل شعب الكنيسة يجتمع معا فى تلك الوليمة ليستمتعوا بأكلة مشتركة يساهم الجميع فيها . وغالبا ما كانت تلك الأكلة هى الأكلة الوحيدة المشبعة بالنسبة لكثيرين من العبيد ، كما كانت تلك الأكلة تعبيرا عن شركة ووحدة المسيحيين . وأن النظرة السطحية للأمر لتثير الكثير من الإعجاب . الا أننا يجب أن نتذكر موقف بعض اليهود المتزمتين الجامد . فلقد اعتبر أولئك أن شعبهم هو الشعب المختار وأن الله قد رفض كافة الشعوب الأخرى التى اعتبروها نجسة . فكانوا يعتقدون ان « الرب حنان ورحيم » (مز ٢ : ٥) « ولكنه رحيم للاسرائيليين فقط ، وسوف يرهب الأمم الأخرى » فالأمم مثل النفاية أو القش الذى سيحرقه ، أو مثل التبن الذى تبعثره الرياح . « إن تاب انسان فان الله يقبله الا أن هذا ينطبق على الاسرائيليين فقط وليس على غيرهم من الأمم » . « أحبوا الجميع ولكن كرهوا الهراطقة » . ولقد أثرت هذه النظرة الضيقة على الحياة اليومية . فاليهودى المتمسك بيهوديته كان ممنوعا عن التعامل مع الأممى . فهو لا يسافر معه ولا يقدم له شيئا كما لا يقبل منه أى شيء . ولذلك فلقد ظهرت هذه المشكلة بكيفية حادة فى انطاكية . فهل كان يمكن فى مواجهة كل هذا أن يجلس اليهود والأمم معا فى أكلة عامة ؟ لو طبق الناموس والعادات القديمة ، فان مثل هذا الأمر يكون ضربا من المستحيل . وجاء بطرس الى أنطاكية وأنسته أمجاد الايمان الجديد ممنوعات الماضى ، واشترك فى الأكلة العامة مع اليهود والأمم سواء بسواء . ثم جاء جماعة من الفرقة اليهودية من أورشليم واستخدموا اسم يعقوب ، ولكنهم بالتأكيد لم يمثلوا أراءه ، وأثروا على بطرس لدرجة أن امتنع عن الأكلة العامة ، وتبعه اليهود الآخرون حتى أن برنابا أيضا

امتنع معهم . وهنا تكلم بولس بكل القوة التى انطوت عليها طبيعته . ورأى بولس بوضوح عدة أمور :

١ ــ لا يمكن للكنيسة المسيحية أن تستمر ككنيسة مسيحية إن كانت فيها خلافات طبقية فالاختلافات التى يظهر الناس بها أمام أعين البشر لا ذكر لها فى حضرة الله فالانسان فى حضرة الله ليس يهوديا ولا أممياً ، نبيلا أم حقيراً ، غنياً أم فقيراً ولكنه خاطىء مات المسيح لأجله ، وإن كان للبشر أن يشتركوا فى بنوة واحدة فانهم أخوة وعلاقتهم الجديدة تهدم كل الحواجز الأرضية لأنهم أبناء الآب الواحد ، الله .

٢ ــ وأحس بولس بأن الأمر يحتاج الى عمل حاسم ، ليوقف مسار ذلك التيار . فلم ينتظر بل هوى عليه بضربة قاضية ولم يبال بأن ذلك التيار قد ارتبط باسم بطرس . فانه كان تياراً خاطئاً وكان هذا هو كل ما اهتم به بولس . فالاسم المشهور لا يمكن أن يبرر عملا دنيئا . ويقدم بولس الرسول مثالا حياً لرجل واحد قوى استطاع بثباته أن يوقف تياراً ابتعد عن جادة الصواب ، وذلك قبل أن يصبح التيار موجة جارفة .

نهاية الناموس

(غلاطية ٢ : ١٤ ــ ١٧)

هنا نصل فى النهاية الى جذور المشكلة . فلقد كان لزاما أن يتخذ قرارا ما كان يمكن تأجيله . فلقد كان قرار أورشليم فى الواقع حلا وسطا . وككل الحلول الوسط كان يحمل بين ثناياه بذار المشاكل . لقد كان قرار أورشليم يعنى أن اليهود يمكن لهم أن يستمروا فى الحياة كيهود ، فيمارسون الختان ويحفظون الناموس ، أما الأمم فكانوا أحرارا من ذلك وكان من الواضح أن الأمور لا يمكن أن تسير على هذا المنوال ، لأن النتيجة الطبيعية لذلك كانت تعنى أن يكون هنالك نوعان من المسيحيين ، وطبقتان متميزتان فى الكنيسة وكانت حجة بولس كما يلى : قال لبطرس إنك جلست الى المائدة مع الأمم . لقد أكلت وعشت مثلهم وبذلك فانك قبلت من جهة المبدأ أن هنالك طريقا واحدا لليهود وللأمم سواء بسواء . فكيف يمكنك الآن أن تتنكر لما استقر رأيك عليه ؟ لقد كنت مستعدا أن تعيش كالأمم ، ولكنك تحولت وتريد من الأمم أن يختتنوا وأن يحفظوا الناموس ويصبحوا يهودا .

لم يستطع بولس قبول كل هذا . ويجب علينا أن نتأكد من معنى كلمة محددة فعندما كان اليهودى يتحدث عن الأمم **كخطاة** لم يكن يفكر فى شىء أخلاقى على الاطلاق ، ولكنه كان يفكر فى حفظ الناموس . فعلى سبيل المثال يقدم الفصل الحادى عشر من سفر اللاويين شريعة الطعام اليهودى ويعدد ويوضح الحيوانات التى يمكن ، والتى لا يمكن استخدامها طعاما . فمن أكل لحم الأرانب أو أكل لحم الخنزير كسر تلك الوصايا وبذلك أصبح خاطئا بهذا المعنى . وبذلك يقول بطرس لبولس . « ولكننى إن أكلت مع الأمم وأكلت ما يأكلون ، أصبح خاطئا » . وكانت اجابة بولس مزدوجة

فهو يقول أولا : « لقد اتفقا منذ أمد بعيد على أن أية درجة من حفظ الناموس لا يمكن أن تجعل موقف الانسان صحيحا أمام الله ، فهذا عمل النعمة . فالانسان لا يمكن أن يكسب عطية محبة الله السخية ولكنه انما يقبلها . وأن الثقة التامة فى محبة الله فى المسيح هى التى تضع الانسان فى علاقة صحيحة مع الله . ولذلك فكل الحديث عن الناموس غير ذى موضوع على أى حال » . ثم يستخدم بولس الرسول حجة ثانية تضع خصمه فى زاوية لا يستطيع الفرار منها فيقول له : « أنت تقول إن إهمال الناموس والفرائض والوصايا يجعلك خاطئا ، الا أن هذا هو عين ما أمرك به المسيح . انه لم يقل لك انك تحصل على الخلاص بأن تأكل من هذا الحيوان وأن لا تأكل من ذلك ولكنه قال لك أن تلقى بنفسك تماما وبلا تحفظات على نعمة الله . فهل ستقول اذن ان يسوع المسيح قد علمك أن تكون خاطئا ؟ وكان واضحا أن هنالك اجابة واحدة لهذا الأمر وكانت تلك الاجابة تعلن أن الناموس القديم قد انتهى .

كان يجب أن تأتى هذه الحقيقة ، فليس من الصواب أن يأتى الأمم إلى الله عن طريق النعمة بينما يأتى اليهود الى الله عن طريق الناموس . لقد كانت هنالك حقيقة واحدة بالنسبة لبولس الرسول ، وتلك الحقيقة هى النعمة وأنه يجب أن يأتى جميع البشر الى الله عن طريق الخضوع الكامل لتلك النعمة .

تتعرض الحياة المسيحية لتجربتين عظيمتين ، ويمكننا أن نقول ، من زاوية معينة ، إن الشخص الأفضل يتعرض لهما أكثر من غيره . فالتجربة الأولى هى محاولة كسب رضى الله . ولكن الانسان لا يعطى الله شيئا ، وانما يأخذ دائما . أما التجربة الثانية فهى تجربة ذلك الذى استطاع أن ينجز شيئا ، واذا به يقارن بين نفسه والآخرين ، ليبرز نفسه على حسابهم . والمسيحية التى يتبقى فيها جزء من الذات ، يدفعها لأن تظن أنها بمجهودها تستطيع أن تكتسب رضى الله ، وأنها بانجازاتها يمكن أن تبرز نفسها وكأنها أعلى من مستوى سائر البشر ، ليست مسيحية حقيقية على الاطلاق .

الحياة المصلوبة والمقامة

(غلاطية ٢ : ١٨ — ٢١)

يتحدث بولس هنا من عمق اختباره الشخصى . وقد اعتبر أن إعادة بناء الناموس بكل تفصيلاته ، بالنسبة للمسيحى ، انما هو انتحار روحى فهو يقول إنه بالناموس مات عن الناموس ليحيا لله . وما يعنيه هو أنه قد جرب طريق الناموس ، فحاول بكل قلبه أن يكتسب رضى الله وأن يضع نفسه فى علاقة صحيحة مع الله عن طريق الطاعة الكاملة للناموس ، واكتشف أن هذه المحاولة قد خلفت من ورائها احساسا أعمق وأعمق بالفشل ، واحساسا أعمق وأعمق بأنه مهما فعل فلن يضعه ذلك فى علاقة صحيحة مع الله . فكل ما فعله الناموس هو أن كشف له عن عجزه التام . وعندئذ هجر طريق الناموس فجأة وألقى بنفسه تماما ، خاطئا كما كان ، على رحمة الله . فلقد دفعه الناموس إلى الله ولذلك فالعودة للناموس تعنى ببساطة أن يجد نفسه وقد عاد

الى ذلك الاحساس المميت بوجود فجوة بينه وبين الله . ولقد كان ذلك التغيير عظيما جدا لدرجة أنه لم يستطع أن يصفه الا بأنه قد صلب مع المسيح وأن الانسان الذى كان هو اياه قد مات وقوة الحياة التى تدب فيه ليست سوى المسيح نفسه ، فلو كنت أستطيع أن أضع نفسى فى علاقة صحيحة مع الله بالطاعة التامة للناموس فما لزوم النعمة ياترى ؟ وإن كنت أستطيع أن أكسب خلاص نفسى بنفسى فلماذا مات المسيح ؟ .

لقد كان بولس على يقين من أمر واحد ، وذلك أن المسيح يسوع قد عمل له ما لم يكن ممكنا له أن يفعله لنفسه . لقد كان « مارتن لوثر » هو الرجل الذى كرر اختبار بولس الرسول . فلقد كان « لوثر » نموذجا للخضوع وممارسة أعمال التوبة ، وإنكار الذات ، وتعذيب النفس . ولذلك فهو يقول « لو كان يمكن للرهبنة أن تخلص انسانا فاننى كنت ذلك الانسان » لقد ذهب الى روما وكان صعود « السلم المقدس » ساجدا على ركبتيه ويديه يعتبر من الأعمال التى تستحق ثوابا عظيما . وبذل مجهودا شاقاوهو يصعد تلك السلم محاولا أن يحصل على شىء من الثواب وجاءه فجأة صوت من السماء يقول : « البار بالايمان يحيا » فلا يمكن أن نحصل على حياة السلام مع الله عن طريق مجهود لا ينتهى ولا ينتصر وليس من تحته طائل . ولذلك فالطريق الوحيد انما هو بأن نلقى بأنفسنا تماما على محبة الله ورحمته كما أعلنها المسيح يسوع للبشر . فالسلام يأتى عندما يتخلى الانسان عن الصراع الذى تصور له كبرياؤه بأنه سينتصر فيه ، واذا به لاشك ينهزم . وعندما يلقى بنفسه على محبة الله الغافرة فلابد أن يأتى ذلك السلام .

وعندما وثق بولس فى كلمة الله تحول ظلام ليل فشل الناموس الى نور أشعة شمس النعمة .

الأصحاح الثالث

عطية النعمة

(غلاطية ٣ : ١ — ٩)

يقدم بولس الرسول هنا دليلا آخر على أن الثقة بالله وليست أعمال الناموس هى التى تضع الانسان فى علاقة صحيحة بالله . وقد قبل المتجددون حديثا فى الكنيسة الأولى الروح القدس بصورة منظورة واضحة . والفصول الأولى من سفر أعمال الرسل توضح هذه الفكرة مرارا وتكرارا (اقرأ أع ٨ : ١٤ — ١٧ ، ١٠ : ٤٤)، فقد جاءهم نوع من الحياة وقوة كان يمكن لأى واحد أن يلحظها . وهذا ما اختبره الغلاطيون ويقول بولس إن ذلك حدث لا استجابة لأى شيء من جانبهم فانهم لم يطيعوا فرائض الناموس ، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا شيئا عن الناموس ولكنهم نالوا ذلك الاختبار لأنهم سمعوا الأخبار السارة عن محبة الله واستجابوا لها فى ثقة كاملة .

إن أسهل طريقة يمكن أن تستوعب بها فكرة ما ، هى أن تلك الفكرة متجسدة فى انسان . ولذلك فكل كلمة عظيمة يجب أن تتجسد . ولذلك يوجه بولس الغلاطيين الى انسان تجسد فيه الايمان وهو ابراهيم ، ذلك الرجل الذى أعطاه الله ذلك الوعد العظيم بأن فى نسله تتبارك كل قبائل الأرض (تك ١٢ : ٣) فهو الانسان الذى اختاره الله بصفة خاصة كشخص قد سر به . ولكن لماذا سر الله بابراهيم ؟ لم يكن ذلك عن طريق حفظ الناموس لأن الناموس لم يكن موجودا ، ولكنما كان ذلك بتصديق كلمة الله وبالثقة الكاملة ، وذلك بترك كل الأشياء الأرضية وتسليم نفسه تماما بخطوة من الايمان العظيم . ووعد البركة كان لنسل ابراهيم وهذا ما اعتمد عليه كل يهودى . وبذلك اعتبر انه لمجرد تسلسله الطبيعى من ابراهيم فهو على مستوى يختلف عن سائر البشر فى نظر الله . ويغير بولس كل هذه المفاهيم فيقول إن الانتساب لابراهيم لا يتعلق بالتسلسل الجسدى الدموى ، ولكنما الانتساب الحقيقى لابراهيم هو أن يمارس الانسان فى كل يوم وفى كل جيل نفس مجازفة الايمان التى قام بها ابراهيم . ولذلك فان من يرثون وعد ابراهيم ليسوا من يبحثون عن مكافأة حفظ الناموس ولكنما أولئك الذين من كل أمة يؤمنون بالله كما آمن ابراهيم . ولقد بدأ الغلاطيون بالايمان ويقول بولس إنهم يقينا سوف لا يعودون الى الفرائض المختلفة فيفقدون ميراثهم .

والفقرة التى نتأملها مليئة بالكلمات اليونانية التى لها تاريخ حافل ، كلمات يحيط بها جو معين ومن ورائها قصص . ويتحدث بولس الرسول فى الآية الأولى عن « العين الشريرة » . وكان اليونانيون يفزعون من عواقب العين الشريرة ، ولذلك نجد الكثير من خطابات الأفراد فى ذلك العصر تنتهى بمثل هذه الكلمات : « وأهم شيء ، أصلى أن تكون فى تمام الصحة **بعيدا عن أذى العين الشريرة** ومتقدما وناجحا » (راجع كتاب مليجان ، مختارات من البردى اليونانى رقم ١٤) .

وفى نفس الآية يتحدث بولس عن المسيح وقد تصور أمامه على الصليب والكلمة اليونانية التى يستخدمها هى Prographein وتعبر عن فكرة الاعلانات والملصقات . وهى فى الواقع كلمة كانت

تستخدم عن ذلك الاعلان الذى يعلقه الوالد فى ذلك العصر ليعبر عن كونه ليس مسئولا عن ديون ابنه ، أو الاعلان عن مزاد من المزادات العلنية . وفى الآية الرابعة يتحدث بولس الرسول عن كونهم بدأوا اختبارهم بالروح وانتهوا بالجسد والكلمتان اللتان يستخدمهما بولس الرسول هما كلمتان تعبران عن البدء فى تقديم ذبيحة من الذبائح واكمال ذلك العمل . والكلمة الأولى enachesthai هى الكلمة التى تعبر عن رش حبات الشعير على الذبيحة ومن حولها وكانت تلك هى أول خطوة فى تقديم الذبيحة . والكلمة الثانية epiteleisthai هى الكلمة التى تعبر عن اتمام كافة ممارسات أى ذبيحة . واذ يستخدم بولس الرسول هاتين الكلمتين يوضح لنا أنه يعتبر الحياة المسيحية بجملتها ذبيحة نقدمها لله . ويتحدث فى الآية الخامسة عن سخاء الله فى عطائه للغلاطيين والكلمة « يمنحكم » هى الكلمة اليونانية .

ففى أيام اليونان القديمة كان الممثلون اليونانيون العظماء أمثال ايرربيديس وسوفوكل يقدمون تمثيلياتهم فى الاعياد والمناسبات الهامة وكانت التمثيليات اليونانية تشمل فرقا للغناء ، وكان تدريب فرق الغناء أمرا مكلفا . الا أن محبى الشعب من اليونانيين كانوا يدفعون نفقات هذه الفرق . وبعد هذه الحقبة كان اليونانيون الوطنيون يتبرعون للدولة بسخاء فى أوقات الحرب . كل هذا يوصف بهذه الكلمة choregia وفى اللغة اليونانية التى تلت ذلك مما نجده فى ورق البردى ، استخدمت هذه الكلمة فى عقود الزواج لتعبر عما يقدمه الزوج لاعالة زوجته تعبيرا عن حبه لها . وإذ يستخدم بولس الرسول هذه الكلمة فهو ينبر على سخاء الله ذلك السخاء الذى يتولد من الحب الذى لا يعتبر حب المواطن لمدينته أو الزوج لزوجته سوى القبس الضئيل منه .

لعنة الناموس

(غلاطية ٣ : ١٠ — ١٤)

ويحاول بولس مرة أخرى أيضا أن يدفع خصومه الى ركن لا يستطيعون منه الفرار . فيقول « لنفرض أنكم قد أخذتم أن تسلكوا سبيل ارضاء الله عن طريق قبول الناموس وإطاعته . ولنفترض أنكم تحاولون الوصول الى العلاقة السليمة مع الله عن طريق هذا السبيل فماذا تكون النتيجة الحتمية يا ترى ؟ .

فالحقيقة الأولى ، هى أن من يفعل ذلك يقوم أو يسقط بناء على قراره الشخصى . فان اختار الناموس فانه يجب عليه أن يعيش بحسب الناموس . أما الحقيقة الثانية فهى أن تحقيق ذلك ضرب من المستحيل . فانه لم ينجح أحد ، وسوف لا ينجح أحد ، فى اطاعة وارضاء الناموس .

أما الحقيقة الثالثة فهى أنه إن صح كل هذا ، فان من يسلك هذا السبيل ملعون ، لأن الكتاب يقول (تث ٢٧ : ٢٦) إن من لا يحفظ الناموس كله ملعون . ولذلك فان النتيجة المنطقية الحتمية لمحاولة الوصول الى علاقة سليمة مع الله عن طريق اعتبار الناموس مبدأ للحياة انما هى اللعنة . ولكن الكتاب يقول إن من كان على علاقة صحيحة مع الله عن طريق الايمان فهو يحيا حقا (حب ٢ :

٤) ولذلك فالطريق الأوحد لعلاقة صحيحة مع الله ، والطريق الوحيد للسلام ، هو طريق الايمان والقبول والتسليم . الا أن مبدأ الناموس ومبدأ الايمان متعارضان . ولا يمكن أن نوجه حياتنا بكليتهما فى وقت واحد ، فيجب أن نختار أحدهما . ولذلك فالاختيار المنطقى الوحيد هو أن نهجر طريق الشرائع ونجازف فى طريق الايمان ، بأن نصدق ما قاله الله ونثق فى حبه .

وكيف نعرف أن الأمر كله بهذه الصورة ؟ إن الضامن النهائى لصدقه هو يسوع المسيح . ولقد مات على الصليب ، ليقدم لنا هذه الحقيقة . ولكن الكتاب يقول : « ملعون كل من علق على خشبة » (تث ٢١ : ٢٣) — ولذلك فلكى يحررنا من لعنة الناموس كان لابد أن يصير المسيح نفسه ملعونا — ولقد صار المسيح ملعونا ليخبرنا عن محبة الله .

ومما كان بولس مشغولا — وهو هنا مشغول فهنالك حقيقة بسيطة ولكنها هامة جدا لا تغرب أبداً عن فكره وقلبه وهى **تكلفة الانجيل** . فلم يمكن له أن ينسى أبدا أن السلام ، والحرية والعلاقة الصحيحة مع الله تلك التى نمتلكها ، قد كلفت حياة وموت المسيح فكيف كان يتيسر للبشر أن يعرفوا ما يكنه قلب الله لو لم يمت المسيح لينبئهم بأن حب الله انما هو هكذا .

العهد الذى لا يمكن أن يتغير

(غلاطية ٣ : ١٥ — ١٨)

عندما نقرأ فقرة كهذه والتى تليها فيجب أن نذكر أن بولس قد تربى فى سلك الربيين . وكان حاذقا فى أسلوبهم المدرسى . وقد استخدم أسلوبهم الجدلى وهو الأسلوب الذى كان معروفا وكان مقنعا لكل يهودى مهما صعب علينا نحن أن نتابعه أو أن نتفهمه اليوم . وكان هدف بولس أن يثبت تفوق طريق النعمة على طريق الناموس ويبدأ بأن يوضح بأن طريق النعمة أقدم من طريق الناموس فاذ بدأ ابراهيم مجازفة الايمان كان الله قد منحه وعده العظيم وبذلك فيمكن القول بأن وعد الله كان نتيجة الايمان فأساس العهد بين الله وابراهيم كان الايمان . ولم يأت الناموس حتى عهد موسى وذلك بعد ٤٣٠ سنة . ومن هنا يجادل بولس فيقول إنه متى تم عهد أو اتفاق أو وصية فلا يمكن أن يتغير ولا يمكنك أن تضيف اليه شروطا جديدة ، بل يجب أن يبقى دون تغيير وبذلك فلا يمكن للناموس الذى جاء متأخرا أن يغير من طريق الايمان . فالايمان هو الذى أوجد ابراهيم فى علاقة صحيحة مع الله ، ولا يمكن للناموس أن يغير ذلك ولا زال الايمان هو الطريق الأوحد للعلاقة الصحيحة مع الله .

وكان الربيون مغرمين باستخدام الجدل الذى يعتمد على معنى كلمة واحدة واستخدامها وتفسيرها . فكانوا يبنون بعض التعاليم اللاهوتية على أساس كلمة واحدة . وهنا يأخذ بولس الرسول كلمة واحدة من قصة ابرهيم ويؤسس نقاشه عليها . فيعود الى وعد الله القديم لابراهيم كما نجده فى تكوين ١٧ : ٧ و ٨ حيث يقول : « وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك » ويقول

أيضا « وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك » . والنقطة التى يركز عليها بولس هى أن كلمة « **نسل** » انما هى فى صيغة **المفرد** لا فى صيغة **الجمع** وعلى ذلك فعهد الله لا يشير الى جمهور من الناس ولك الى **فرد بعينه** . ويقول بولس إن الشخص الذى يتحقق فيه العهد هو يسوع المسيح وبذلك فطريق السلام والعلاقة الصحيحة مع الله هو طريق الايمان الذى سلكه ابرهيم وهو الطريق الذى جاءه به وعد الله . ويجب علينا أن نسلك نفس هذا السبيل بأن ننظر الى يسوع المسيح بايمان كامل . ويعود بولس الرسول لنفس النقطة مرارا وتكرارا . فمشكلة الانسان الأساسية هى أن يجد العلاقة الصحيحة مع الله . فطالما كنا نتوجس خوفا من الله ، طالما كان الله غريبا عنا فلا يمكن أن يكون هنالك سلام فى الحياة فكيف يمكننا أن نحصل على هذه العلاقة الصحيحة ؟ هل يمكننا أن نحصل عليها على أساس الطاعة المدققة للناموس مهما تحملت نفوسنا فى سبيل ذلك ، أم بممارسة الكثير من الأعمال أم بمراعاة كل تفصيلات الناموس بدقة ؟ إن سلكنا هذا السبيل فسوف لا نحوز الرضى أبد الدهر ، لأن العجز البشرى لن يتمكن من أن يفى بمستلزمات الكمال الالهى ، وستلاحقنا خيبة الأمل وكأننا نداوم صعود جبل دون أن تلوح قمته فى الأفق ، فنستمر تحت الدينونة . أما متى هجرنا هذا الصراع الفاشل وأتينا بأنفسنا وخطايانا الى الله فستفتح نعمة الله أحضانها لنا فننال السلام مع الله اذ يصبح أبانا بعد أن كان القاضى الذى يحكم علينا . والنقطة التى يركز عليها بولس الرسول هى أن هذا بعينه هو ما حدث مع ابراهيم ومهما حدث بعد ذلك فلن يتغير العهد الذى تم وتثبت .

فى أسر الخطية

(غلاطية ٣ : ١٩ — ٢٢)

هذه احدى أصعب الفقرات التى كتبها بولس الرسول . ولشدة صعوبتها فقد بلغت تفسيراتها حوالى ثلاثمائة تفسيراً . ولنبدأ بأن نذكر أنفسنا بأن بولس لازال يحاول أن يقدم الدليل على سمو طريق النعمة والايمان على طريق الناموس . وهنا يذكر ثلاثة أمور بشأن الناموس :

١ — لماذا جاء الناموس ؟ لقد جاء بسبب التعديات . وهو يقصد بذلك أن يقدم أحد أفكاره المحببة وهو أنه حيث لا يوجد ناموس فلا توجد خطية فانك لا تستطيع أن تكسر قانونا غير موجود . فقبل أن نعتبره انسانا خاطئا ، فانه يجب أن يعرف الناموس .

فلا يمكن أن ندينه لأجل خطأ لم يعلم أنه خطأ وبذلك فوظيفة الناموس هى أن يقدم **تعريفا للخطية** . الا أنه بينما يستطيع الناموس أن يقدم تعريفا للخطية لكنه لا يستطيع أن يقدم شيئا للعلاج . وهنا نجد قوة الناموس وضعفه فى آن واحد . فقوة الناموس تظهر فى تعريفه للخطية ، الا أن ضعفه يتضح فى عجزه عن علاج الخطية . فهو مثل الطبيب المتخصص فى تشخيص المرض ، ولكنه يعجز عن أن يزيل الألم الذى شخصه .

٢ — ان الناموس لم يعط مباشرة من الله . ففى القصة القديمة المذكورة فى الفصل العشرين

من سفر الخروج نجد أن الناموس قد أعطى مباشرة لموسى . الا أنه فى أيام بولس الرسول كان الربيون ينبرون كثيرا على قداسة الله وعلى بعده والمسافة الكبيرة التى تفصل بينه وبين البشر لدرجة انهم اعتبروا تعامل الله المباشر مع البشر ضربا من المستحيل لذلك أدخلوا فكرة أن الناموس أعطى أولا للملائكة ثم من الملائكة الى موسى (قارن أع ٧ : ٥٣ ، عب ٢: ٢) وهنا يستخدم بولس أفكار الربيين المعاصرين وبذلك فالناموس بعيد عن الله بعدا مزدوجا . فقد أعطى أولا للملائكة ثم الى وسيط ، والوسيط هو موسى . واذ نقارن بين هذا وبين الوعد الذى اعطاه الله بكيفية مباشرة تماما ، نجد أن **الناموس** شيء غير مباشر أتى عن طريق وسطاء .

٣ ـــ ونصل الآن الى تلك العبارة الفائقة الصعوبة « وأما الوسيط فلا يكون لواحد ، ولكن الله واحد » فما هو فكر بولس هنا ؟ أى اتفاق يتأسس على الناموس يشمل دائما شخصين فهنالك المعطى وهنالك الشخص الذى يقبل الاتفاق يعتمد على تصرف **شخصين** . فلو أخل الشخص الذى يقبل العهد بشروط الاتفاق ينتهى كل شيء . فكل اتفاق قانونى يعتمد على مدى حفظ الطرفين لشروط الاتفاق . وهذا هو الموقف الذى يجد فيه ، من يضعون ثقتهم فى الناموس ، وأنفسهم . فلو كسروا الناموس ينتهى كل الاتفاق . أما الوعد فهو يعتمد على شخص **واحد** . فالوعد يقدمه شخص واحد ومهما فعل غيره فلا يمكن أن يتغير ذلك الوعد أو يتبدل . فطريق النعمة يعتمد على طريق الله فالوعد وعده . والنعمة نعمته ، والمحبة محبته . والا تغير أفعال الانسان شيئا من ذلك ، فقد يخطىء ، وقد يضل ولكن محبة الله ونعمته تثبت دون تغيير . فرأى بولس أن ضعف الناموس يكمن فى اعتماده على **شخصين** فهو لا يعتمد على معطى الشريعة فقط ولكنه يعتمد ايضا على حفاظ الانسان عليها ونحن نعلم أنه قد حطمها . أما النعمة فهى من الله ، ولا يستطيع الانسان أن يمنعها مهما فعل . وواضح ، بما لا يترك مجالا لأى جدل أنه خير للانسان أن يعتمد على نعمة الله غير المتغيرة من أن يعتمد على المجهودات البشرية المحكوم عليها بالفشل .

٤ ـــ فهل هذا يعنى أن الناموس والنعمة ضدان ؟ والمنطق يوجب على بولس أن يقول « نعم » الا أنه يقول « لا » فيقول ان الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية وهو يفكر هنا فى تث ٢٧ : ٢٦ حيث نجد الكلمات ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس وواضح أن هذا يشمل **الجميع** لأنه لم يمكن ، ولن يمكن لأحد ، أن يحفظ الناموس تماما .

فما هى نتيجة الناموس اذن ؟ ان نتيجة الناموس بكل بساطة هى أن يدفع كل واحد لأن يطلب النعمة لأن الناموس قد أثبت عجز الانسان . وهذه هى الفكرة التى يستكمل بولس الرسول ايضاحها فى الأصحاح التالى ، فهو يقدمها ويشير اليها اشارة مجردة هنا . فقيمة الناموس العظمى ومكانته السامية هى أن يدفع الانسان الى النعمة عندما يكتشف عجزه الكامل أمام الناموس . فليحاول الانسان اذن أن يصل الى علاقة صحيحة مع الله عن طريق الناموس وسيجد أنه لا يستطيع ، وعندئذ سيكتشف أن كل ما يستطيعه هو أن يقبل النعمة العجيبة التى جاء يسوع المسيح ليحدث البشر عنها .

مجيء الإيمان

(غلاطية ٣ : ٢٣ — ٢٩)

لازال بولس الرسول يفكر فى هذه الفقرة فى الدور الأساسى الذى لعبه الناموس فى خطة الله وتدبيره . وقد كان فى العالم اليونانى خادم ممن يعملون بالبيوت يطلق عليه اسم Paidagogos لم يكن معلما ، ولكنه كان عادة عبدا كبير السن موثوقا به ، وقد خدم الأسرة لمدة طويلة وله شخصية محترمة . وكان يسند اليه الاشراف الاخلاقى على الطفل وكان من واجبه أن يتأكد أن الطفل لا يتعرض للتجارب أو الأخطار وأن يكتسب الصفات الأساسية للرجولة الحقيقية . فلم يكن له واجب محدد . وكان عليه أن يأخذ الطفل يوميا من المنزل الى المدرسة ثم من المدرسة الى المنزل . فلم يكن له دور فى تعليم الطفل ولكنه كان يجب عليه أن يأخذ الطفل سالما للمدرسة ويسلمه للمعلم . وقال بولس ان هذا يشبه الوظيفة التى يقوم بها الناموس ، فالناموس موجود ليقود الانسان الى المسيح . انه لا يستطيع أن يأتى به الى محضر المسيح ولكنه انما يصل به الى الموقع الذى يستطيع أن يدخل منه اليه . ولقد كانت وظيفة الناموس أن يأتى بالانسان الى المسيح ، وذلك بأن يكشف له أنه لو ترك لنفسه فانه يعجز تماما عن ان يحفظ الناموس . وهذا احساس بالفشل والعجز يقود الانسان الى المسيح . الا أنه حالما يقبل الانسان الى المسيح يصبح فى غير حاجة الى الناموس فهو لا يعتمد الآن على الناموس بل على النعمة .

ويقول بولس « لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح » وهنا نجد صورتين واضحتين . فلقد كانت المعمودية احدى الطقوس والعادات اليهودية فلو أراد شخص أن يقبل الايمان اليهودى كان عليه أن يعمل أشياء ثلاثة . فكان يجب أن يختتن وأن يقدم ذبيحة وأن يتعمد . فالغسلات الطقسية التى تغسل الأدران كانت شيئا عاديا فى الممارسات اليهودية (قارن لاويين ١١ الى ١٥) وتفصيلات المعمودية اليهودية كانت كما يلى : كان الشخص الذى يعتمد يحلق شعره ويقص أظافره وكان يتجرد تماما من ملابسه وكان يجب أن يحتوى حوض المعمودية على ٤٠ سحا أى برميلين من الماء ويجب أن يتلامس الماء مع كل اعضاء جسم الانسان . وكان يجب أن يعترف بايمانه أمام ثلاثة رجال كان يطلق عليهم اسم **آباء المعمودية** . وبينما الشخص بعد فى الماء كانت تتلى عليه أجزاء من الناموس ، كما كانت تقدم له كلمات التشجيع وينطقون بالبركات عليه وحالما صعد من الماء أصبح عضوا فى الإيمان اليهودى . فعن طريق المعمودية دخل الى الايمان اليهودى ، وقد تعمد فى الايمان اليهودى . وبالمعمودية المسيحية يدخل الانسان « فى المسيح » . وكان المسيحيون الأوائل ينظرون الى المعمودية كشىء ينشىء حقا وفعلا اتحاداً حقيقيا مع المسيح . ويجب أن نلاحظ بالطبع أنه فى جو عمل الكنيسة المرسلى حيث كان الناس يقبلون من الوثنية مباشرة الى المسيحية كانت المعمودية ، الى درجة كبيرة معمودية بالغين ، والبالغ يمر بالضرورة فى اختبار لا يمكن للطفل أن يحصل عليه . وكما كان المتهود يتحد فعلا ويقبل فعلا فى الايمان اليهودى ، كذلك كان من يصبح مسيحيا يتحد بالمسيح ويدخل ليكون فى المسيح — (قارن رو ٦ : ٣ وما يليه ، كو ٢ : ١٢)

فلم تكن المعمودية مجرد رسم وطقس خارجى ولكنها كانت اتحاد حقيقيا بالمسيح . ويضيف بولس الرسول قائلا انهم قد لبسوا المسيح . وقد نجد هنا اشارة الى عادة نعلم أنها كانت موجودة فيما بعد . فطالب المعمودية كان يلبس ثيابا بيضاء رمزا للحياة الجديدة التى دخل فيها . فكما يلبس المبتدىء ثيابه البيضاء ، كان يلبس المسيح . فحياته كانت مكسوة بالمسيح ويترتب على كل هذا أنه لا يوجد فارق بين الأعضاء فى الكنيسة ، فلقد أصبح الجميع أبناء الله ، فيقول الرسول فى عدد ٢٨ إن الفوارق بين اليهودى واليونانى ، العبد والحر ، الذكر والانثى أزيلت . وهنا نجد شيئا طريفا للغاية ، ففى الصلاة الصباحية اليهودية التى لابد أن يكون بولس الرسول قد استخدمها فى حياته قبل المسيحية ، هنالك عبارات شكر قدمها اليهودى لله « لأنك لم تجعلنى أمميا ، أو عبدا ، أو أمرأة » ويأخذ بولس هذه الصلاة ويقلبها رأسا على عقب . فالتفرقة القديمة قد انتهت وبدل التفرقة هنالك اتحاد ، وبدل العزلة هنالك شركة فالكل واحد فى المسيح .

لقد رأينا من قبل فى عدد ١٦ أن بولس يفسر المواعيد لابرهيم بأنها تبلغ تحقيقها بصفة خاصة فى المسيح ، وان كنا متحدين مع المسيح فنحن نرث المواعيد — وقد بلغنا هذا الامتياز العظيم لا باتمام الناموس بكيفية دقيقة ، ولكن بالايمان والثقة فى نعمة الله الغنية المجانية .

فهنالك شىء واحد يمكن أن يمحو التفرقة والتمييز والعزلة الحادة بين انسان وانسان . فعندما يكون الجميع مدينين لنعمة الله وعندما يكون الجميع فى المسيح ، فعندئذ ، وعندئذ فقط ، يصبح الجميع واحدا . فمحبة الله لا قوة الانسان هى التى تستطيع وحدها أن توحد العالم المنقسم .

الأصحاح الرابع

أيام الصبا

(غلاطية ٤ : ١ ــ ٧)

كانت مراحل النمو فى العالم القديم أكثر تحديدا مما هى عليه اليوم :

١ ــ ففى العالم اليهودى متى تجاوز الغلام عيد ميلاده الثانى عشر كان الأب يأخذ ابنه فى أول سبت يلى ذلك الى المجمع حيث يصبح A son of the Law ابنا **للناموس** . وكان الوالد ينطق عندئذ بالبركة قائلا « مبارك أنت يا الله يامن أخذت عنى مسئولية هذا الغلام » ويصلى الولد صلاة يقول فيها « ياإلهى واله آبائى فى هذا اليوم الرهيب المقدس الذى يتحدد فيه انتقالى من مرحلة الصبا إلى مرحلة الرجولة أرفع عينى باتضاع اليك وأعلن فى إخلاص وصدق أن احفظ وصاياك من الآن فصاعدا وأقوم بمسئولية أفعالى من نحوك وأتحملها » فكان هنالك خط فاصل واضح فى حياة الصبى فانتقاله للرجولة يكاد يكون مفاجئا .

٢ ــ وفى اليونان كان الغلام فى رعاية والده من سن السابعة حتى الثامنة عشرة حتى يصبح ما كان يطلق عليه **أفيبوس** أو ما شبه الطالب بالكلية الحربية وكان يبقى لمدة عامين فى رعاية الدولة . وكات الاثينيون منقسمين الى عشرة من المجموعات الأخوية أو العشائر وقبل أن يصبح الغلام **أفيبوس** فى احتفال يطلق عليه اسم **أباتوريا** كانوا يقبلونه فى العشيرة ، وكانوا يقصون شعره الطويل فى ممارسة طقسية ويقدمونه للاله . وهنا نرى مرة أخرى كيف كان « البلوغ شيئا محددا » .

٣ ــ وفى القانون الرومانى لم يكن العام الذى يعتبر فيه الغلام قد بلغ سن النضوج محددا تماما ولكنه كان دائما بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة . وفى احتفال عائلى مقدس يطلق عليه اسم **ليبراليا** كان الصبى يخلع الرداء الذى يطلق عليه اسم **توجا بريتكستا** وهو رداء يحيط به من أسفل طوق بنفسجى ضيق ، ويلبس رداء يطلق عليه اسم **توجا فيريليس** وهو رداء بسيط يلبسه البالغون ثم أن أصدقاءه وأقاربه كانوا يقودونه بعد ذلك الى الساحة العامة حيث يبدأ رسميا فى الاشتراك فى الحياة العامة . وكان الحفل أساسا حفلا دينيا . الا أننا نلاحظ مرة أخرى أن الغلام كان يعتبر أنه قد وصل سن البلوغ فى يوم محدد بالذات . وكان من عادات الرومان أنه عندما يصل ولد أو فتاة سن البلوغ يقدم الولد الكرة التى كان يلعب بها وتقدم الفتاة العروسة التى كانت تلهو بها الى أبولو ليعبرا عن أنهما قد هجرا ما يتعلق بالطفولة . وعندما كان الغلام طفلا فى نظر القانون ، فلربما كان يملك فى الواقع ممتلكات واسعة ، ولكنه لا يستطيع أن يتخذ أى قرار قانونى بشأنها . فلم تكن حياته تحت تصرفه الشخصى ، ولكنما يفعل الآخرون كل شىء يتعلق به . ولذلك فلم يكن من الناحية العلمية أكثر حرية من العبيد . ولكنه عندما يصبح رجلا يستطيع أن يتصرف فى ميراثه ويستمتع بحرية الرجال .

ولذلك يقول بولس الرسول انه عندما كان العالم غلاما ، كان الناموس متحكما فى كل شىء ، الا أن الناموس لم يكن سوى معرفة ابتدائية ويصف ذلك بالكلمة Stoicheia وقد كانت هذه الكلمة تعنى أولا صفا من الأشياء المتراصة فكانت تعنى مثلا صفا من الجنود الا أن هذه الكلمة أصبحت تعنى الألف باء ، ثم بعد ذلك أصبحت تعنى أى تعليم أو معلومات بدائية . ويجب أن نلاحظ أنها ربما تحمل معنى آخر قد يلمحه البعض منا . فقد تعنى العناصر التى يتكون منها العالم والنجوم بصفة خاصة . ونلاحظ أن العالم القديم كانت تسيطر عليه بعض عقائد التنجيم فلو ولد انسان فى وقت أحد النجوم ، فانهم كانوا يؤمنون بأن مصيره قد تحدد وتثبت . فقد كان الناس يعيشون تحت سطوة النجوم ، وكانوا يتوقون الى سر الحرية . ويرى بعض علماء الكتاب المقدس أن بولس الرسول يقول هنا إن الغلاطيين كانوا يعيشون فى الخوف والفزع والعبودية بسبب اعتقادهم فى تأثير النجوم الشريرة المدمرة . الا أن القرينة فى النص كله تدفعنا لأن نفهم كلمة Stoicheia بمعنى الشىء البدائى أو المعلومات الأولية ولذلك فالرسول بولس يقول انه عندما كان الغلاطيون وكل البشر فى الواقع مجرد أطفال عاجزين ، فقد كانوا تحت سطوة الناموس . الا أنه بعد أن استكمل اعداد كل شىء جاء المسيح وحرر الناس من عبودية الناموس . ولذلك فقد تحررت البشرية من هذه العبودية ، لقد أصبح البشر أبناء ، وأصبح ميراثهم تحت تصرفهم . ولذلك فصبا الناموس يجب أن يمضى لتحل محله حرية الرجولة .

ودليل أننا أبناء يأتى من صرخة القلب الغريزية . ففى حاجة الانسان الماسة يرفع المرء عينه الى أعلى ويصرخ لله قائلا « أبى » ويستخدم بولس الرسول الكلمة المكررة « أبا الآب » وكلمة أبا هى الكلمة الأرامية التى تعنى الآب ويلوح أن الرب يسوع قد استخدم هذه الكلمة كثيرا وكان وقعها على آذان البشر ذا قدسية خاصة حتى إن احتفظ بها الأولون فى لغتها الأصلية . ويعتقد بولس الرسول أن صرخة القلب الغريزية هذه انما هى من عمل الروح القدس وان كانت قلوبنا تصرخ هكذا فنحن نعلم اذن أننا أبناء وأن كل ميراث النعمة هو لنا . ويرى بولس أن الانسان الذى يسمح لحياته بأن تتحكم فيها عبودية الناموس فهو مجرد طفل أما من تعلم طريق النعمة فقد أصبح بالغا ، انه انسان ناضج فى الايمان المسيحى .

التقدم المعكوس

(غلاطية ٤ : ٨ — ١١)

فى هذه الفقرة لازال بولس الرسول يؤسس فكره على الاعتقاد بأن الناموس هو مرحلة ابتدائية فى الديانة وأن الانسان الناضج هو الذى يؤسس حياته على النعمة . فلقد كان الناموس صالحا للأيام السابقة اذ لم يعرفوا ما هو أفضل ، الا أنهم الآن قد بلغوا معرفة الله ونعمته . وهنا يستدرك بولس الرسول فكره فيقول ان الانسان لا يستطيع بمجهوده الخاص أن يعرف الله ، ولكن الله فى نعمته يعلن ذاته للانسان . فنحن لا نسعى نحو الله الا بعد أن يكون هو قد وجدنا . ولذلك يطلب بولس الرسول قائلا : هل تعودون الآن الى المستوى الذى يجب أن تكونوا قد تركتموه منذ أمد

بعيد ! هل يكون تقدمكم معكوسا ؟

ويقول بولس الرسول ان الأشياء الأولية أى الديانة المبنية على الناموس **ضعيفة وفقيرة** .

١ ــ فهى **ضعيفة** لأنها عاجزة ، فهى تقدم تعريفا للخطية وتكشف للانسان خطيته وتؤنبه على الخطية ، الا أنها لا تستطيع أن تقدم له ، لاغفرانا لخطاياه السابقة ، ولا قوة ينتصر بها على خطايا المستقبل . فعجز الناموس الأساسى والذى هو جزء لا يتجزأ منه هو أنه كان ولازال يستطيع أن يشخص المرض ولكنه لا يستطيع أن يقدم الشفاء .

٢ ــ وهى **فقيرة** عندما نقارنها بمعنى النعمة المجيد . فالناموس بطبيعته يعالج حالة واحدة فقط ولكل موقف جديد يحتاج المرء الى ناموس جديد . الا أن ما يدهش المرء وهو يتأمل النعمة هو أنها كما يطلق عليها الرسول Poikilos أى أنها ذات ألوان كثيرة متنوعة ، وهذا يعنى أنه لا يوجد موقف من مواقف الحياة مما لا تستطيع النعمة أن تعالجه بكفاءة . فالناموس يتعثر من مشكلة الى مشكلة أما النعمة فهى كافية لكل شيء .

ومن خاصيات الناموس اليهودى حفظ أيام ومواسم معينة . وفى هذه الفقرة **الأيام** هى السبوت الأسبوعية **والشهور** هى الهلال الجديد الذى كان يعتبر مناسبة خاصة والأوقات هى الأعياد السنوية العظيمة مثل الفصح والخمسين وعيد المظال **والسنين** هى سبوت السنين كل سابع سنة وهى التى كانت تعتبر سنة خاصة . وخطأ الديانة التى تعتمد على أيام ومواسم خاصة هو أنها بالضرورة تقسم الأيام الى مقدسة وعامة ، أيام مخصصة لله وأيام يعمل فيها المرء ما يشاء . وأكثر من ذلك فالخطوة التالية التى لا يمكن تجنبها ، هى أنه بعد أن يحافظ المرء على الأيام الخاصة بكل دقة فهو معرض لأن يعتقد أنه قد قام بكل واجبه من نحو الله . ومع أن هذه هى ديانة الناموس الا أنها كانت بعيدة تماما عن الديانة التى نادى بها الأنبياء . لقد قيل : « لا توجد فى لغة العبرانيين القدماء مثل كلمة ديانة كما نستخدمها عادة اليوم » .

فالحياة بجملتها كما رأوها انما هى عطية الله وهى تخضع لناموسه وأحكامه فلا يوجد فيها جزء منفصل يطلق عليه اسم ديانة فلم يقل المسيح أتيت لتكون لهم ديانة ولكن لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل . فمن يجعل الدين شيئاً يتعلق بأيام وأوقات ومواسم انما يجعله شيئاً خارجياً . الا أن كل يوم هو يوم الهى للمسيحى الحقيقى . وكان بولس يخشى أنه بعد أن يعرف الناس مجد النعمة ينزلقون ثانية الى الناموس ، وأن أولئك الذين عاشوا من قبل فى حضرة الله يقصرون علاقتهم بالله على أيام خاصة .

دعوة المحبة

(غلاطية ٤ : ١٢ ــ ٢٠)

لا يقدم الرسول بولس هنا دعوة لاهوتية ولكنه يوجه نداء ورجاء شخصيا ، وهو لا يستخدم الجدل العقلى ، ولكن دعوة القلب ، وهو يذكرهم بأنه لأجلهم قد أصبح هو أمميا وقد هجر طرق

وميزات شعبه كما هجر التقاليد التى تربى فيها وأصبح مثلهم . وهو يدعوهم الآن لأن لا يحاولوا أن يصبحوا يهودا ، بل أن يصبحوا مثله .

ونجد هنا اشارة لشوكة الجسد التى عانى منها بولس الرسول . فلقد تقابل معهم لأول مرة بسبب المرض وجاء اليهم مريضا ونتحدث عن الشوكة حديثا مستفيضا فى دراستنا للفصل الكتابى المشهور فى ٢ كو ١٢ : ٧ واعتقد البعض أن الشوكة هى الاضطهاد الذى عاناه بولس الرسول ، وتجارب الجسد التى يقولون انه لم ينجح أبدا فى اذلالها ، ومظهره الجسدى الذى اعتبره الكورنثيون حقيراً (٢ كو ١٠ : ١٠) وأقدم التقاليد يقول ان الشوكة تشير الى صداع شديد كان ينتابه فيلقيه أرضا . وفى الفصل الذى أمامنا تلوح فكرتان فقد كان الغلاطيون على استعداد لأن يعطوه عيونهم لو استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وهذا يدفع البعض لأن يقولوا ان عينى بولس الرسول كانتا مصدر متاعب كثيرة له لأن مجد رؤيا الطريق الى دمشق قد بهرهما ، ولذلك فلم يستطع أن يرى بعد ذلك الا بصعوبة وألم . وكلماته التى نترجمها « ولا كرهتموها » تعنى حرفيا « لم تبصقوا على » . وكانت من عادات العالم القديم أن يبصق المرء متى صادف انسانا مصابا بالصرع ليحول تأثير الروح الشرير الذى كانوا يعتقدون أنه يسكن المريض . ولذلك رأى البعض أن بولس الرسول كان مصابا بالصرع ولنحاول أن تكتشف متى ذهب بولس الرسول الى غلاطية وقد يمكننا أن نستنتج لماذا ذهب الى هناك . أغلب الظن أن أعمال ١٣ : ١٣ و ١٤ يصفان مجىء بولس الى غلاطية . وهذا الفصل الكتابى يواجهنا بمشكلة . فلقد وصل بولس وبرنابا ومرقس من قبرص الى الشاطىء ووصلا الى برجة فى بمفيلية وهنالك تركهما مرقس ثم ذهبا مباشرة الى انطاكية بيسيدية التى تقع فى مقاطعة غلاطية . فلماذا لم يبشر بولس فى بمفيلية ؟ لقد كانت اقليما شعبيا . فلماذا اختار أن يذهب الى انطاكية بيسدية ؟ والطريق الذى يؤدى الى هنالك فى منتصف الهضبة كان من أخطر وأصعب الطرق فى العالم . ولربما كان هذا هو السبب الذى دفع مرقس لأن يتركهما ويذهب راجعا الى بيته . فلماذا ذهب بولس مسرعا من بمفيلية ؟ أغلب الظن أن هذا هو السبب : كانت بمفيلية والسهل الساحلى مناطق موبوئه جدا بحمى الملاريا وهنالك احتمال كبير أن يكون بولس قد أصيب هنالك بالملاريا وكان علاجه الوحيد أن يذهب الى أعالى غلاطية . ولذلك فقد وصل الى الغلاطيين وهو فى حال المرض . والملاريا تعاود الانسان ويصحبها صداع شديد يلقى بالمرء أرضا وهو ما يصفه من اختبروه « وكأنه قضيب من الحديد المحمى جدا يخترق مقدم الرأس » أو مثل مثقاب طبيب الاسنان وهو يفرى داخل الضروس . وأغلب الظن أن ذلك الألم الفظيع ، الذى لا شفاء له ، والذى كان يلقى بصاحبه أرضا ، كان هو بعينه الشوكة التى فى الجسد التى عانى منها بولس الرسول ، والتى عذبته عندما وصل لأول مرة الى غلاطية .

ويتحدث عن أولئك الذين كانوا يقومون باغراء الغلاطيين لكى يوقعوا بهم وهو يقصد أولئك الذين كانوا يحاولون اقناعهم بأن يسلكوا مسلك اليهود ، وكانوا يخطبون ودهم ليضعوا الحواجز . فلو أمكنهم أن يقنعوا الغلاطيين بأن يسلكوا السبيل اليهودى لاضطر الغلاطيون أن يعودوا اليهم فى اتضاع ليختتنوا ، وليقبلوا فى الأمة اليهودية . لقد كان أولئك القوم يخطبون ود الغلاطيين ليسودوا عليهم وليخضعوهم لذواتهم وللناموس .

ويستخدم بولس الرسول فى النهاية تشبيها قويا فلقد كان الاتيان بالغلاطيين الى المسيح فى نظر بولس الرسول مؤلما مثل آلام المخاض التى تجتازها الأم . وها هو الآن فى حاجة لأن يجتاز نفس الألم مرة أخرى . فالمسيح فيهم وكأنه فى دور التكوين ويجب عليه أن يلدهم فى المسيح .

ولا يمكن لأحد أن لا يلمح عواطف المحبة فى كلماته الأخيرة ياأولادى (الصغار) . والحديث عن الكبار بلغة الصغار فى اللاتينية واليونانية انما هو للتعبير عن عمق العواطف والاحساسيس . ويستخدم يوحنا الرسول هذا التعبير مرات كثيرة ، الا أن بولس الرسول لا يستخدمه الا فى هذا الموضع فلقد فاض قلبه ! وحرى بنا أن نلاحظ أن بولس لم يؤنب بكلمات قلسية . لقد أشفق على أبنائه الضالين . قيل عن « فلورنس الشورن » ، تلك المرسلة والمعلمة الشهيرة ، إنه عندما كان الأمر يدعو لأن تؤنب أحد تلاميذها أنها كانت تفعل ذلك وكأنها تطوقه بذراعها . ان نبرات المحبة يمكن أن تتغلغل حيث لا يمكن لنغمة الغضب أن تجد لنفسها من سبيل .

القصة القديمة ومعنى جديد

(غلاطية ٤ : ٢١ — ٣١ و ٥ : ١)

عندما نحاول أن نفسر هذا الفصل الكتابى يجب أن نتذكر أنه بالنسبة لليهودى المتعبد وخاصة للربيين كانت الكتب المقدسة تحمل اكثر من معنى . ومن الصواب أن نقول ان المعنى الحرفى كان يعتبر أقلها شأنا فللربيين اليهود كان كل فصل كتابى يحمل أربعة معان :

١ — فيشات وهو المعنى البسيط الحرفى .

٢ — اماز وهو المعنى الذى يمكن استنتاجه .

٣ — ديروش وهو المعنى العميق والذى يمكن استنباطه بالدراسة .

٤ — سود وهو المعنى الرمزى .

والحروف الأولى لهذه الكلمات الأربعة « فردوس » هى الحروف الأساسية لكلمة فردوس فقالوا انه وعندما ينجح انسان فى ان يصل الى عمق هذه المعانى الأربعة فانه يصل الى سعادة الفردوس ، وينبغى أن نلاحظ أن قمة المعانى وأسماها هو المعنى الرمزى . ولذلك فكثيرا ما كان الربيون يأخذون قصة تاريخية بسيطة من العهد القديم ويقرأون فيها بعض المعانى الداخلية مما نقف اليوم أمامه مشدوهين . الا أن تلك التفسيرات كانت مقنعة جدا لأناس عصرهم وكان بولس الرسول ربيا متمرسا . وهذا ما يفعله هنا ، فهو يأخذ القصة التى تحدثنا عن ابراهيم وسارة وهاجر واسماعيل واسحق (تك ١٦ ، ١٧ ، ٢١) وهى قصة بسيطة من قصص العهد القديم ولكنه يفسرها تفسيراً رمزياً ليوضح النقطة التى يتحدث عنها . وخلاصة القصة كما يلى : ان ابراهيم وسارة كانا متقدمين فى العمر ، ولم يكن لسارة ابن ولذلك فعلت ما كانت أى زوجة تفعله فى تلك الأيام . فقد وجهت

ابراهيم الى خادمتها هاجر لعلها ترزق ابنا منها . وولد لهاجر ابن هو اسماعيل . الا أن الله جاء ووعد بأن ترزق سارة ابنا مما كان يصعبه تصديقه جدا حتى ان ابراهيم وسارة اعتبرا هذا ضربا من المستحيل . ولكن بمرور الزمن ولد ذلك الابن ، اسحق . ولذلك فيمكننا أن نقول ان اسماعيل قد ولد عن طريق الدوافع البشرية العادية بينما ولد اسحق بناء على وعد الله . وكانت سارة حرة بينما كانت هاجر جارية مستعبدة . وكان واضحا من البداية أن هاجر ستنتصر على سارة لأن عدم وجود الأبناء كان شيئا مشينا للمرأة وكان الجو مشحونا بالمشاكل . وبمرور الزمن وجدت سارة أن اسماعيل « يسخر » من اسحق . ويقول بولس ان هذا يساوى الاضطهاد . وأصرت سارة على أن تطرد هاجر لأن ابن الجارية لا ينبغى أن يشارك ابن الحرة فى الميراث وبالاضافة لذلك فان « العربية » كانت تعتبر بلاد العبيد حيث عاش نسل هاجر .

ويأخذ بولس الرسول هذه القصة القديمة البسيطة ويفسرها رمزيا فيعتبر ان هاجر تركز لعهد الناموس القديم الذى تم على جبل سيناء الذى يقع فى العربية التى هى بلاد نسل هاجر . أما هاجر نفسها فهى جارية مستعبدة وكل أولادها ولدوا فى العبودية . وذلك العهد المبنى على الناموس يجعل من الناس عبيدا للناموس وقد ولد ابن هاجر بدوافع بشرية مجردة والتمسك بالشرائع هو أقصى ما يمكن للانسان أن يحققه أما من الناحية الأخرى فان سارة تشير للعهد الجديد فى المسيح يسوع ، أى طريقة الله الجديدة للتعامل مع البشر وذلك ليس عن طريق الناموس ولكن عن طريق النعمة . ولقد ولد ابنها حرا ، وكذلك كل نسله يجب أن يكونوا أحرارا . كما أنه لم يولد بدوافع بشرية ولكنما بوعد الهى . وفى القصة القديمة نرى ابن الجارية يضطهد ابن الحرة ويتكرر الأمر فى اضطهاد اليهود للمسيحيين فأبناء الناموس يضطهدون أبناء النعمة والوعد . وفى نهاية القصة القديمة يطرد ابن الجارية خارجا مع نصيب فى الميراث وكذلك فى النهاية يطرد المتمسكون بالشرائع من حضرة الله ولا يمكن أن ينالوا نصيبا فى ميراث النعمة . ومهما بدا هذا غريبا بالنسبة لنا فان حقيقة واحدة تبقى ثابتة وهى أن الشخص الذى يتخذ من الناموس مبدأ لحياته ، هو مكانة العبد وهو يحاول كل حياته أن يرضى سيده ، الناموس ، بينما من يتخذ من النعمة مبدأ لحياته يجعل المحبة المبدأ السائد ، فهو الرجل الحر لأن المبدأ المسيحى ، كما عبر قديس عظيم عن ذلك ، هو « احب الله وافعل ما شئت » . وعندئذ تكون قوة ذلك الحب ، وليس قيود الناموس ، هى التى تحفظك فى الطريق الصحيح . والحب أقوى من الناموس دائما .

الأصحاح الخامس

العلاقة الشخصية

(غلاطية ٥ : ١ — ١٢)

كان بولس الرسول يعتبر أن طريق النعمة وطريق الناموس متعارضان تماما . والخطأ الأساسى الذى يقع فيه من يختار طريق طاعة الناموس ، هو أن يظن أن ما يفعله سيكسبه الثواب أمام الله ، وطريق الناموس يجعل الخلاص يعتمد على المنجزات البشرية . أما من يختار سبيل النعمة فانه يلقى بنفسه وخطيته على رحمة محبة الله . وهنا يقدم بولس الرسول وجهة نظره فى تسلسل منطقى فيقول : انك لو قبلت الختان — فهذا يعنى أنك تقبل جزءا من الناموس ، ويتبع ذلك منطقيا أنه يجب عليك أن تقبل الناموس بجملته . فلنفترض أن انسانا يرغب فى أن يكتسب جنسية احدى البلاد ولنفترض أنه ينفذ كل شروط وقوانين تلك البلاد التى تتصل بالجنسية ، فهل يكفى هذا ؟ انه لا يستطيع أن يتوقف عند هذا الحد ، بل يجب عليه أن يقبل كل القواعد والقوانين والتعليمات الأخرى أيضا . ولذلك يقول بولس ان اختتن انسان ، فانه يصبح ملتزما بالناموس كله ، الذى يعتبر الختان مدخلا له . فان سلك هذا السبيل فانه بذلك يكون قد رفض تلقائيا سبيل النعمة ، ويكون المسيح بالنسبة له وكأنه لم يمت أبدا . وكان كل ما يهم بولس هو ذلك الايمان العامل ، عن طريق المحبة . وهذا يعنى بصورة أخرى أن جوهر الدين ليس هو الناموس ، ولكن العلاقة الشخصية مع المسيح يسوع . إنه ذلك الحب القلبى الذى يحب يسوع المسيح لدرجة ان يسلم المرء جسده ونفسه له . فايمان المسيحى لا يتأسس أبدا على كتاب ، ولكن على شخص ، والقوة الدافعة فيه ليست طاعة أى ناموس ولكن الحب للمسيح يسوع — ولقد عرف الغلاطيون فى البداية كل هذا ولكنهم يعودون الآن للناموس . فيقول بولس « ان خميرة صغيرة تخمر العجين كله » . والخمير بالنسبة للعقلية اليهودية يكاد أن يمثل دائما تأثيرات الشر . وما يقوله بولس الرسول هو : « ان هذه الحركة الداعية للتمسك بالشرائع ربما لم تصل الى مداها البعيد بعد ، ولكنها يجب أن تقتلع من جذورها قبل ان تفسد وتحطم ديانتكم كلها » .

ويختتم بولس حديثه بمثل يكاد يفتقر الى التهذيب . فغلاطية كانت قريبة من فريجية وكانت العبادة العظيمة فى كل ذلك الجزء من العالم هى عبادة الالهة « سيبيل » . ولقد اعتاد كهنة تلك الالهة والمتعبدون لها أن يخصوا أنفسهم . فكهنة الاله « سيبيل » كانوا خصيان . ويقول بولس الرسول « ان بدأتم فى هذا السبيل الذى يبدأ بالختان فلعلكم تنتهون بأن تخصوا أنفسكم مثل هؤلاء الكهنة الأمميين » وهذا ايضاح غريب قد يشمئز منه المهذبون اليوم ، الا أن هذا الأمر كان حقيقة واضحة للغلاطيين الذين كانوا يعرفون جيدا كل ما يتعلق بكهنة الالهة « سيبيل » . الذين عاشوا بين ظهرانيهم .

الحرية المسيحية

(غلاطية ٥ : ١٣ ــ ١٥)

بهذه الفقرة يتحول التنبير فى خطاب بولس الرسول . فحتى هذه النقطة كان اهتمامه لاهوتيا ولكنه يصبح الآن أخلاقيا لدرجة كبيرة . لقد كانت عقلية بولس الرسول بصورة متميزة ، عقلية عملية . فمهما سما فى أجواء التفكير العليا كان يختم خطاباته دائما بنبرة عملية . فالأفكار اللاهوتية تعتبر فى نظر بولس الرسول تافهة ما لم يمكن للمرء أن يحياها عمليا فى العالم . ولذلك ، ففى رسالة رومية ، التى دون لنا فيها بحثا من أهم المباحث اللاهوتية فى العالم ، نراه ينزل فجأة فى الفصل الثانى عشر الى الحياة فى هذا العالم ويقدم التحديات والنصائح العملية . وقد قال فنسنت تيلور مرة « ان الاختبار الذى نمتحن به اللاهوتى الناجح هو إن كان يمكنه أن يكتب نبذة صغيرة » أى أن نسأل : هل يستطيع بعد التحليق فى أجواء الفكر أن ينزل بهذه الأفكار الى المستوى الذى يستطيع فيه الشخص العادى أن يتفهمها ويطبقها عمليا فى حياته ولقد نجح بولس دائما نجاحا باهرا فى هذا الاختبار وهذه هى نقطة الارتكاز فى هذه الرسالة ، فهو يخضع كل تعليمه لاختبار الحياة العملية اليومية القاسى .

وقد تعرض تعليم بولس اللاهوتى لخطر معين ، فمتى أعلن أن سلطان الناموس قد انتهى ، وأن عصر النعمة قد ابتدأ ، فانه يمكن لأحدهم أن يسىء تفسير تعليمه فيقول : « ان هذا يعنى أننى استطيع أن أفعل ما أشاء ، فاذ قد زالت كل الضوابط يمكننى أن أطلق العنان لميولى ورغباتى وشهواتى وعواطفى لتسوقنى حيثما شاءت » . فالناموس قد مضى وفى النعمة ضمان للغفران على أى حال الا أن بولس كان يصر دائما على التزامين :

١ ــ وهو لا يشير الى هذا هنا ولكنه متضمن فى كل تفكيره . انه الالتزام من نحو الله . فان كان الله قد أحبنا بهذا المقدار ، فان حب المسيح يجب أن يحصرنا . فلا يمكننى أن ألطخ حياة اشتراها الله بحياته .

٢ ــ **وهنالك الالتزام من نحو اخوتنا البشر** . فنحن احرار ، الا أن حريتنا هى تلك التى تحب للقريب ما تحب لنفسها . ولعلنا نستنبط هذا من أسماء أنواع الحكومات فحكومة الفرد تهدف نحو الدقة وسرعة الاداء لأن حكومة اللجان لها عيوبها . **وحكومة القلائل** يبررونها بأن القلائل هم الذين يصلحون لشغل مناصب الحكم . **والأرستقراطية** هى حكومة الطبقة الأفضل الا أن كلمة **الأفضل** تترك دون تعريف . وحكومة طبقة **الأغنياء** يبررونها بأن أصحاب الثروات لهم منطقيا الحق فى الحكم . الا أن **الديمقراطية** هى حكم الشعب بالشعب ولأجل الشعب . ويمكننا أن نقول ان المسيحية هى الديمقراطية الحقيقية الوحيدة لأنه فى المسيحية يفكر المرء فى جاره بقدر ما يفكر فى نفسه ، فالحرية المسيحية ليست رخصة للبسطاء ، ولكنها سبب قوى يدفع المسيحى لا لأن يصبح حرا ليخطىء ، بل ليكون ذلك الشخص الذى قد صار بنعمة الله حرا لأن لا يخطىء . فالمسيحى هو ذاك الذى اذ يسكن روح المسيح فيه يتطهر من الذات حتى يحب قريبه كنفسه ، الأمر الذى

لا يستطيعه سوى المسيحى .

ويختتم بولس كلامه بنصيحة جادة فيقول « ما لم تجدوا حلا لمشكلة الحياة معا فانكم ستجعلون الحياة نفسها مستحيلة تماما » فالأنانية لا تعظم الانسان ولكنها تحطمه .

الأشياء الشريرة

(غلاطية ٥ : ١٦ — ٢١)

لم يدرك أحد توتر الطبيعة البشرية بمثل ما أدركه بولس الرسول كما قال الجندى فى أشعار ستودرت كندى .

انى انسان ومزيج من الانسان

وذلك من مولدى

فجزء منه سماوى

بينما الآخر أرضى

كان من الأمور الأساسية فى نظر بولس الرسول أن الحرية لا تعنى الانغماس فى الجانب الوضيع من الطبيعة البشرية ولكنها الحرية للسلوك فى حياة الروح . ويقدم لنا بولس الرسول هنا قائمة بالأمور الشريرة . وهنالك صورة معينة من وراء كل كلمة ويجب أن نتأمل كل كلمة على حدة .

« **زنى** » « **عهارة** » لقد قيل ، وصدق القول ، ان الفضيلة الكاملة التى أتت بها المسيحية للعالم هى الطهارة . فلقد جاءت المسيحية الى عالم لم يكتف بأن يغض الطرف عن الخطايا الجنسية ، بل اعتبرها أمرا عاديا وأساسيا للحياة اليومية

« **نجاسة** » والكلمة اليونانية التى يستخدمها بولس akatharsia كلمة جديرة بالدراسة ، فهى تطلق على القيح الذى ينجم عن وسخ الجروح ، وعن الشجرة التى لم تقلم مطلقا وعن المادة التى لم تتم تنقيتها . وفى صيغتها الايجابية Katharos وهى صفة تعنى (النقاء) تستخدم كثيرا فى عقود ايجار المساكن لتدل على المنزل النظيف وعن حالته . الا أن أكثر المعانى وضوحا هو تلك الصفة التى تستخدم عن النظافة الطقسية التى تؤهل المرء لأن يقترب من الآلهة . فالعهارة اذن هى ما تجعل المرء غير أهل للمثول فى حضرة الله . فهى عكس النقاء ، الذى يعاين الله ، وهى تلوث الحياة بما يفصل بيننا وبين الله . **دعارة** وهذه الكلمة aselgia وردت بترجمات مختلفة فى المواضع الآتية مز ٧ : ٢٢ ، ٢ كو ١٢ : ٢١ ، غل ٥ : ١٩ ، أف ٤ : ٢٩ ، ١ بط ٤ : ٣ ، يه ٤ ، رو ١٣ : ١٣ ، ٢ بط ٢ : ١٨ وقد عرفها البعض بالاستعداد لأى نوع من الملذات والذى يمارسها لا يكبح له جماح فيفعل أى ما تمليه عليه نزواته وشهواته . وينسب يوسيفوس هذا لايزابل اذ بنت هيكلا للبعل فى أورشليم المدينة المقدسة . والفكرة اجمالا تقدم لنا صورة انسان

انغمس فى الشهوات والملذات لدرجة لا يبالى معها بما يقوله الناس أو يفكرون فيه « عبادة الأوثان » وهذه الكلمة تعنى عبادة آلهة من صنع يد البشر فهى الخطية التى تحتل فيها الأشياء المادية مكان الله . « **سحر** » وهذه الكلمة تعنى حرفيا استخدام المخدرات . وقد تشير الى الاستخدام المفيد **للمخدرات** كما يستخدمها الطبيب . ولكنها تعنى أيضا **التسمم** ، وتستخدم بصفة خاصة عن استخدام ـــ المخدرات فى السحر والشعوذة التى امتلأ بها العالم القديم . « **عداوة** » والفكرة تشير الى من يظهر عداء خاصا لرفاقه من البشر ، فهى ضد فضيلة المحبة المسيحية للاخوة وسائر البشر على خط مستقيم . « **خصام** » كانت هذه الكلمة تعنى فى البداية **المنافسة على الجوائز** ويمكن استخدامها بمعنى حسن فى هذا الصدد الا أن استخدامها الشائع يتعلق بالمنافسة التى تقود للشجار والخصام . « **غيرة** » وكانت هذه الكلمة أصلا كلمة حسنة فكانت تعني **المنافسة** ، وهى الرغبة فى بلوغ نبل الاخلاق متى لاح لنا ذلك الا أن هذه الكلمة تدهورت فأصبحت تعنى الرغبة فيما يملكه الآخرون أى الرغبة الخاطئة فيما للآخرين . « **سخط** » والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول تعنى ثورات المزاج الحاد . فهى لا تصف الغضب الذى يدوم طويلا ولكنها ذلك الغضب الذى يتأجج ثم لا يلبث أن يخمده « **تحزب** » وتاريخ هذه الكلمة يلقى ضوءا كبيرا عليها . فهى الكلمة eritheia وكانت تعنى أصلا **العمل الذى يقوم به الأجير** erithos وبذلك أصبحت تعنى **العمل الذى يقوم به المرء نظير أجر** ثم أصبحت تعنى بعد ذلك **الحملة التى يقومون بها للوصول لوظيفة سياسية أو عامة** وتصف الانسان الذى يسعى للوظيفة لا بدوافع الخدمة ولكنها لأجل ما يمكن أن تدر عليه تلك الوظيفة . فهى صفة ذلك الانسان الذى يهتم بنفسه ولا قبل له بخدمة الانسانية على الاطلاق . « **شقاق** » وتعنى هذه الكلمة حرفيا **الوقفة المنفردة** . قال نلسون بعد احدى انتصاراته إنه انتصر لأنه كان له الحظ السعيد فى أن يقود جماعة من الاخوة . « **بدعة** » وتصف هذه الكلمة جماعة تعمل عكس ما يجب أن تتصف به الجماعة فهى تعنى التفكك بدلا من التجمع ، وانقسام الهرطقات انما هو قمة الانقسام . وكلمة hairesis هى الكلمة التى تشتق منها كلمة هرطقة . ولم تكن كلمة hairesis أصلا كلمة سيئة ، فهى مشتقة من فكرة الاختيار وكانت تستخدم عن اتباع احدى مدارس الفلسفة أو عن أى مجموعة من الناس يشتركون فى اعتقاد واحد . الا أن مأساة الحياة ، ان من يختلفون فى الرأى لا ينتهون بالنفور من آراء بعضهم ، ولكنهم ينفرون من بعضهم الآخر ، رغم أنه من المفروض أنه يمكن أن يختلف اثنان وتبقى صداقتهما . « حسد » هذه الكلمة Phthonos كلمة وضيعة ويقول عنها أربيدس « أعظم الأمراض بين الناس » وجوهر هذه الكلمة هو أنها لا تصف الروح التى ترغب سواء بكيفية وقورة أو غير وقورة ما للآخرين وما لديهم ، فهى لا ترغب فى تلك الأشياء لنفسها ، ولكن كل ما تبغيه هو أن يحرم الآخرون منها . وكان الرواقيون يطلقون عليها الحزن على ما للآخرين من خيرات ويطلق عليها باسيلى « الحزن على حسن حظ الجار » . « فهى ليست صفة الحسد فى حد ذاته ، بقدر ما هى المرارة التى يحس بها قلب الانسان » « سكر » لم تكن هذه رذيلة شائعة فى العالم القديم . فلقد شرب اليونانيون خمرا أكثر من شربهم للبن . وحتى الأطفال شربوا الخمر ، الا أنهم شربوا الخمر بنسبة الثلثين ماء الى ثلث من الخمر . فاليونانيون والمسيحيون على السواء رفضوا السكر كشىء يحول الانسان الى حيوان . « **بطر** » هذه الكلمة Komos لها تاريخ حافل فكلمة Komos كانت تطلق على فرقة الأصدقاء الذين

كانوا يرافقون من يفوز فى الألعاب الرياضية بعد فوزه . فكانوا يرقصون ويمرحون ويتغنون بمدحه . وكانت هذه الكلمة تصف أيضا أولئك الذين كرسوا أنفسهم للاله باخوس اله الخمر فهى تصف ما يمكن أن نسميه بالدهماء أو الرعاع وكانت تعنى المنافسة والمتعة التى لا تحدها ضوابط فانحدرت الى الحضيض .

واذ ندرس معانى هذه الكلمات بعمق ندرك أن حياة البشر لم تتغير كثيرا ! .

الأشياء الجميلة

(غلاطية ٥ : ٢٢ ـــ ٢٦)

كما استعرض بولس الرسول فى الآيات السابقة تلك الأشياء الشريرة التى يتميز بها الجسد يقدم لنا الآن الأشياء الجميلة والمحببة التى هى ثمر الروح . ويجدر بنا أن نتوقف عند كل كلمة على حدة .

« **محبة** » : والكلمة التى يستخدمها العهد الجديد عن المحبة هى agape وهذه كلمة لم تكن مألوفة الاستخدام فى اليونانية الكلاسيكية . وهنالك أربع كلمات للتعبير عن المحبة فى اللغة اليونانية .

(أ) eros وهى تعبر عن محبة الرجل لفتاة . فهى المحبة التى نسميها الهوى وهذه الكلمة لا تستخدم بتاتا فى العهد الجديد .

(ب) Philia وهى ذلك الحب الدافىء الذى نحس به من نحو أقرب الأقربين الينا وأعز الأعزاء وهى محبة تتعلق بالقلب ومشاعره .

(ج) Storge وهى تعنى بصفة خاصة العواطف . وهى تستخدم عادة عن حب الآباء والأبناء .

(د) agape والكلمة المسيحية تعنى فى الواقع حب عمل الخير الذى لا يمكن أن ينتصر عليه شىء فهى تعنى مهما تصرف الانسان من نحونا سواء بالاهانات أو التحقير فسوف لا يثنينا هذا عن أن نطلب خيره الأسمى فهى شعور بالعقل ، كما هو بالقلب ، وهى تخص الارداة كما تخص العواطف وهى تصف ذلك المجهود المتعمد الذى لا نستطيع أن نقوم به دون معونة الهية وبه لا نبغى ما هو أقل من أفضل الأشياء حتى لأولئك الذين يبغون لنا الأسوأ .

« **الفرح** » والكلمة اليونانية هى Chara والصفة المميزة لهذه الكلمة هى أنها تصف فى أغلب الأحيان ذلك الفرح المبنى على ناحية دينية بينما أساسه الحقيقى هو الله (قارن مز ٣٠ : ١١ ، رو ١٤ : ١٧ ، ١٥ : ١٣ ، فى ١ : ٤ و ٢٥) فهو الفرح الذى لا تمنحه الخيرات الأرضية ولا الانتصارات الرخيصة ، بل إنه أبعد ما يكون عن ذلك الفرح الذى يحس به المرء عندما ينتصر فى منافسة الآخرين . فهو الفرح المبنى على الله .

« **سلام** » وفى اللغة اليونانية الدارجة فى عصر بولس الرسول كان لهذه الكلمة eirene استخدامان شيقان . فهى تعبر عن الهدوء والسكون اللذان تتمتع بهما احدى البلاد تحت حكم

أحد الأباطرة الطيبين المحسنين وهى تستخدم عن النظام المستتب فى مدينة أو قرية . فلقد كان فى القرى موظف كانوا يسمونه المشرف على **سلام القرية** فهو الذى يحافظ على سلام الجماهير . وكلمة eirene المستخدمة فى العهد الجديد تعبر عن الكلمة العبرية **شالوم** ولا تعنى مجرد التحرر من المشاكل ، ولكنها تشير بالأكثر إلى كل الأشياء التى تعمل على خير الانسان الأسمى . وهى تعنى هنا هدوء واستقراره النابع من الإحساس العجيب بأن ظروف حياتنا انما هى فى يد الله . وانه لمن الطريف إن الكلمتين اليونانيتين Chara - eirene أصبحتا اسمين مسيحيين شائعين فى الكنيسة makrothumia « **طول أناة** » وهذه كلمة سامية العظمة فيقول كاتب المكابيين الأول (٨ : ٤) أنه **makrothumia** قد أصبح الرومان سادة العالم ويقصد بذلك مثابرة الرومان التى دفعتهم لأن لا يقبلوا أن يقيموا صلحا حتى مع العدو والمهزوم ، فهو نوع من الصبر الظافر . ولا تستخدم هذه الكلمة عادة عن الصبر فيما يتعلق بالأشياء أو الأحداث ولكن الصبر فى التعامل مع الناس ويقول يوحنا فم الذهب إن هذه الكلمة تعبر عن النعمة التى تدفع الشخص الذى فى وسعه أن ينتقم لأن لا يفعل ذلك . فهو الانسان البطيء الغضب . وأن ما يلقى كثيرا من الضوء على هذه الكلمة هو أنها تستخدم عادة فى العهد الجديد عن موقف الله أو موقف المسيح من البشر (رو ٢ : ٤ ، ٩ : ٢٢ ، ١ تى ١ : ١٨ ، ١ بط ٣ : ٢٠) فلو كان الله انسانا ، لمحا هذا العالم من الوجود منذ زمن بعيد . ولكن الله عنده ذلك الصبر الذى يحتمل كل خطايانا ولا يطرحنا بعيدا . ففى حياتنا وفى موقفنا من معاملات الناس معنا يجب أن نقتفى آثار موقف الله الصابر من نحونا ، فى حبه واحتماله وغفرانه .

والكلمتان **لطف وصلاح** ترتبطان برباط وثيق فالكلمة اليونانية المترجمة بكلمة لطف هى كلمة Chrestotes وكثيرا ما تترجم بالكلمة صلاح فهى تعبر عن اللطف والرقة (تى ٣ : ٤ ، رو ٢ : ٤ ، ٢ كو ٦ : ٦ ، أف ٢ : ٧ ، كو ٣ : ١٢ ، غل ٥ : ٢٢) وتعبر احدى الترجمات الانجليزية عن هذه الكلمة فى ٢ كو ٦ : ٦ بكلمة « حلاوة » فيالها من كلمة جميلة ! ويقول عنها بلوتارك إن مجالها أوسع بكثير من العدل . فالخمر العتيقة يسمونها Chrestos فهى طيبة . ونير المسيح يوصف بأنه Chrestos (مت ١١ : ٣٠) فهو لا يثير ولا يتعب ولا يدفع للغضب وكل فكرة الكلمة هى الصلاح الذى يحمل الطيبة بين ثناياه والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول عن الصلاح هى الكلمة اليونانية agathosune وهى احدى كلمات الكتاب المقدس المتميزة فهى لا ترد فى غيره من الكتابات اليونانية (رو ١٥ : ١٤ ، أف ٥ : ٩ ، ٢ تس ١ : ١١) وهى كلمة تعبر عن الصلاح فى أوسع نطاق فهى « الفضيلة التى تناسب كافة المواقف » فما الفارق اذن بين الكلمتين ؟ الكلمة المترجمة صلاح فيها امكانة التوبيخ والتصحيح والتأديب أما الكلمة المترجمة بكلمة لطف فهى تعنى المساعدة فقط . فيقول العالم « ترنش » إن المسيح أظهر « الصلاح » عندما طهر الهيكل وطرد الذين جعلوا منه سوقا ولكنه أظهر اللطف عندما تعامل مع المرأة التى دهنت رجليه بالطيب . فالمسيحى فى حاجة الى ذلك الصلاح الذى يمكن أن يجمع بين اللطف والقوة . « **ايمان** » وهذه الكلمة تعنى فى الكتابات اليونانية خارج الكتاب المقدس فكرة **الجدارة بالثقة** . فهى صفة الانسان الذى يمكن الاعتماد عليه . **وداعة** وهى الكلمة اليونانية Praotes وهى من أكثر الكلمات تحديا

لكل ترجمة فهى تحمل فى العهد الجديد ثلاثة معان :

(أ) فهى **تعنى الخضوع لارادة الله** (متى ٥ : ٥ ، ١١ : ٢٩ ، ٢١ : ٥) .

(ب) وهى تعنى **القابلية للتعليم** فهى تصف ذلك الشخص الذى له الاتضاع الكافى (يع ١ : ٢١) .

(ج) وفى أغلب الأحيان تعنى المجاملة والإحساس بما يحس به الآخرون . (١ كو ٤ : ٢١ ، ٢ كو ١٠ : ١ ، أف ٤ : ٢) وقد عرف أرسطو الكلمة praotes بأنها الوسط بين الغضب الشديد والهدوء فهى تصف الرحل الذى يغضب دائما فى الوقت المناسب ولا يغضب أبدا فى وقت غير مناسب . ومما يلقى أكبر الضوء على هذه الكلمة أن الصفة praus تستخدم عن الحيوان الذى استئونس وأصبح خاضعا لمدربه فالكلمة تتحدث عن ضبط النفس والسيادة عليها مما لا يستطيع أحد أن يمنحه سوى المسيح فالكلمة praotes تتحدث عن الروح التى تضخع لله والقابلة للتعلم فى كل الأشياء الصالحة والمترفقة من نحو الآخرين . « تعفف » والكلمة هنا **paraptoma** ويستخدمها أفلاطون عن السيادة على النفس وضبطها فهى الروح التى تحكمت فى رغباتها وفى حبها للملذات . وهى تستخدم عن تدريب الرجل الرياضى لجسده (١ كو ٩ : ٢٥) وضبط الشخص المسيحى للغريزة الجنسية (١ كو ٧ : ٩) وتستخدم فى اللغة اليونانية خارج الكتاب المقدس عن الفضيلة التى يتحلى الامبراطور الذى لن يسمح لمصالحه الشخصية بأن تؤثر على كيفية حكمه لشعبه . فهى الفضيلة التى تجعل المرء يمسك بزمام نفسه لدرجة يصلح فيها لخدمة الآخرين .

لقد كانت عقيدة بولس واختباره أن المسيحى قد مات مع المسيح وقام ثانية لحياة جديدة نظيفة ، قد مضت منها الأمور الشريرة التى تنتمى للنفس العتيقة وأثمرت فيها أمور الروح الجميلة .

الأصحاح السادس

حمل الأثقال

(غلاطية ٦ : ١ – ٥)

كان بولس يعلم جيدا المشاكل التى تظهر فى أى مجتمع مسيحى فإن أفضل البشر يمكن أن ينزلق . والكلمة التى يستخدمها بولس هنا وهى كلمة paraptoma لا تعنى الخطأ المتعمد ولكن الانزلاق الذى قد يحدث لانسان يسير على طريق ثلجى أو سبيل خطر . فالخطر الذى يحيط بأولئك الروحيين والذين يحاولون بأمانة أن يعيشوا الحياة المسيحية ، هو أنهم معرضون لأن يدينوا خطايا كثيرين من الرجال الصالحين . فهنالك كثيرون من الرجال الصالحين الذين لا تستطيع أن تذهب اليهم لتذرف دموع الندامة وأنت تروى لهم قصة فشل أو هزيمة أو خطأ ، لأنهم سوف لا يظهرون أى عطف أو تفهم للأمور . الا أن بولس يقول إن انزلق انسان فإن الواجب المسيحى هو أن نحاول أن نعاون مثل هذا ليقف على قدميه ثانية . وكلمة « أصلحوا » التى يستخدمها بولس الرسول تعنى إجراء إصلاح . وهى تستخدم أيضا للتعبير عن العمل الذى يقوم به الجراح لاستئصال ورم من جسم الانسان أو جبر أحد الأطراف المكسورة . ولذلك فالجو الذى يحيط بالكلمة ينبر على العلاج وليس على العقاب . ويصور التصحيح اصلاحا وليس تأديبا . ويقول بولس إننا عندما نرى انسانا وقد سقط فى خطأ أو خطية فيحسن بنا أن نقول : « كان يمكن أن أكون أنا ذلك الانسان لولا نعمة الله » . ويتقدم بولس خطوة أخرى فيوبخ الغرور ، ويقدم طريقة يستطيع المرء بها ان يتجنبه . فيجب علينا أن لا نقارن انجازاتنا بالآخرين من حولنا ، ولكن بما كان يمكن لنا أن نفعله . لو حققنا الأهداف السامية التى رسمناها لأنفسنا . فقد نحس بسعادة غامرة ونحن نقارن انجازاتنا بالآخرين ولكنا عندما نقارنها بأسمى ما كنا نؤمله لأنفسنا فعندئذ ينتفى كل غرور .

ويتحدث بولس الرسول مرتين فى هذا الفصل عن حمل الأثقال . فهنالك أحمال تقع على الانسان بسبب ظروف الحياة وتقلباتها ، فهى تأتيه من الخارج إذ يصادف مشكلة أو شيئا طارئا أو حزنا . إن معاونة مثل هذا الشخص لهى إتمام لناموس المسيح . إلا أن هنالك حملا ينبغى للانسان أن يحمله بنفسه . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول هنا هى الكلمة التى تعبر عن مهمات العسكرى . فهناك واجب لا يقوم به أحد نيابة عنا وهنالك عمل نحن مسئولون عنه شخصيا . كما أن هنالك أشياء لا يستطيع إنسان مهما كانت مشاعره رقيقة أن يقوم بها نيابة عنا ومهما حاولنا التخلص فليس لنا منها فرار .

المثابرة

(غلاطية ٦ : ٦ — ١٠)

هنا يصبح بولس الرسول عمليا جدا . فلقد كان للكنيسة المسيحية معلمون ، وكانت الكنيسة فى تلك الأيام مؤسسة المشاركة الحقيقية . فلم يستطع أى مسيحى فعلا أن يحتمل أن يكون لديه الكثير بينما غيره كان لديهم القليل ، فلذلك يقول بولس « إن » علمكم إنسان الحقائق الأبدية ، فإن أقل واجب هو أن تشركوه فى الخيرات المادية التى لكم .

ثم يقدم بولس حقيقة هامة فيؤكد أن الحياة سوف تزن الأمور بميزان دقيق . وإن سمح انسان للناحية الوضيعة فى طبيعته بأن تتغلب عليه فلا يمكن أن يتوقع فى النهاية سوى حصاد من المتاعب . أما اذا استمر الانسان فى طريق السمو والارتقاء نحو الأشياء الطيبة دائما ، فقد يضطر أن ينتظر طويلا ، الا أن الله يكافىء فى النهاية . فالمسيحية لم تجرد الحياة من نغمة التحذير .

ولقد كان اليونانيون يؤمنون باله الانتقام المسمى « نميس » فكانوا يعتقدون أنه عندما يخطىء انسان فان « نميس » كان يهم فورا لمحاكمته ، وانه ولابد معاقبته وكل تراجيدية يونانية إنما هى عظة على الكلمات « المخطىء لابد أن يعاقب » . ومالا نذكره بالكفاية ، هو أنه برغم الحقيقة المؤكدة والمباركة بأن الله يغفر فعلا للبشر خطاياهم الا أنه حتى الله نفسه لا يستطيع أن يمحو نتائج الخطية . فإن من يخطىء ضد جسده فسيدفع إن آجلا أو عاجلا ثمن ذلك ، صحة محطمة — برغم الغفران . وإن أخطأ أحد ضد أعزائه فهنالك قلوب سوف تتحطم إن آجلا أو عاجلا ، برغم الغفران . وان « جون ب . جوه » ، أحد خطباء الامتناع عن المسكرات ، والذى كانت حياته المبكرة حياة ماجنة اعتاد أن يقول محذراً : « إن أثر الجرح يبقى » . واوريجانوس الاسكندرى ذلك العالم المسيحى العظيم ، الذى كان يعتقد أن كل البشر يخلصون ، كان يؤمن أنه حتى بعد أن يخلص الجميع ، تبقى أثار الخطية . فيجب أن نتذكر أننا لا نستطيع أن نقامر على حساب غفران الله . فهنالك قانون أخلاق فى الكون ، وإن كسره انسان فانه ينال الغفران ولكنه يعرض نفسه للمخاطر .

ويختم بولس حديثه بأن يذكر أصدقاءه بأن واجب وعمل الاحسان والكرم قد يكون مضنياً وصعبا ، الا أنه لا يمكن التنصل منه . وأنه لم يوجد من ألقى بخبزه على وجه المياه الا وعاد ذلك الخبز إليه يوما ما .

الكلمات الختامية

(غلاطية ٦ : ١١ — ١٨)

اعتاد بولس أن يوقع بامضائه فقط على الرسالة التى يمليها على من يقوم بكتابتها إلا أن قلبه فاض بحب عجيب مشوب بشىء من القلق من نحو الغلاطيين ، فكتب بخطه كل هذه الفقرة الأخيرة .

فيقول « أنظروا ما أكبر الأحرف التى كتبتها إليكم بيدى » والأحرف الكبيرة يمكن أن يكون لأسباب ثلاثة :

(أ) قد تكون أحرف هذه الفقرة كبيرة لأهميتها . كما لو كنا نطبعها ببنط كبير .

(ب) وقد تكون الأحرف كبيرة لأن بولس لم يكن قد تدرب على استخدام القلم وكانت تلك الكتابة هى أفضل ما يستطيع .

(ج) ربما كان نظر بولس ضعيفا أو أن الصداع الذى أعمى البصر كان قد حل به عندئذ ، وكان كل ما يمكن أن يكتبه هو الخط الكبير غير المنسق الذى ينتجه انسان لا يرى الا بصعوبة بالغة .

ويعود ثانية الى الأمر المركزى . فإن أولئك الذين يريدون من الغلاطيين أن يختتنوا كانت لهم أهداف ثلاثة :

(أ) الختان ينقذهم من الاضطهاد : فلقد اعترفت الدولة الرومانية بالديانة اليهودية وسمحوا رسميا لليهود بممارستها . وكان الختان هو العلامة المميزة تماما لليهودى . ولذلك فقد رأى أولئك القوم أن الختان هو جواز السفر إلى أرض الأمان متى حل الاضطهاد . فالختان يحفظهم فى أمان من كراهية اليهود وقانون الرومان .

(ب) كانوا فى نهاية المطاف يحاولون عن طريق الختان والحفاظ على قواعد الناموس وتعليماته ، أن يفوزوا برضى الله . وكان بولس على يقين تام بأنه ليس فى وسع الانسان أن يعمل شيئا به يستطيع أن يفوز بالخلاص . ولذلك فهو يوجههم ثانية الى حيث يظهر حب الله ونعمته فى أجلى بيان . وهو يدعوهم لأن يكفوا عن محاولة كسب الخلاص بمجهودهم الشخصى ، وأن يثقوا فى النعمة التى أحبتهم بهذا المقدار .

(ج) إن أولئك الذين أرادوا من الغلاطيين أن يختتنوا لم يحفظوا الناموس « فلا يستطيع انسان أن يحفظ الناموس كله ، ولكنهم ، كانوا يريدون أن يفخروا بالغلاطيين كآخر من اكتسبوهم وكأنهم أصبحوا الجوائز التى فازوا بها . فلقد أرادوا أن يفخروا بسلطانهم على الشعوب الذين أخضعوهم لعبودية ناموسهم . ولذلك فيكرر بولس بكل ما أوتى من قوة ، إن الختان أو عدمه لا يؤخر ولا يقدم . فكل ما يهم هو خطوة الايمان والثقة فى المسيح ، تلك التى تفتح الطريق للانسان نحو حياة جديدة وهى التى تخلقه تماما من جديد » .

« أحمل فى جسدى » يقول بولس « سمات الرب يسوع » وهنالك معنيان محتملان لهذه الكلمات :

(أ) الفكرة المسماة Stigmata ستجماتا [1] « كثيرا ما استحوذت على تفكير الناس فيقولون إنه بينما كان القديس فرانسيس الأسيسى صائما على قمة جبل منفرد ، تصور له أنه يرى حب الله

---

(١) كلمة « ستجماتا » تعبير فنى يشير الى علامات كالتى أحدثتها المسامير فى جسد المسيح عند صلبه ويقال انها ظهرت على بعض المؤمنين ومنهم القديس فرنسيس الأسيسى (المترجم) .

معلقا على صليب من أقصى الأفق الى أقصاه . وبينما هو يتأمل هذا المنظر اخترق قلبه سيف من الأسى والشفقة وغابت الرؤيا رويداً رويداً وابتدأ القديس يلتقط أنفاسه ، وعندئذ يقولون إنه التفت واذا به يرى المسامير فى يديه ورافقته تلك الأثار حتى الممات . ولا يمكننا أن نعلم عن يقين إن كانت هذه القصة حقيقية أم خرافة . ففى عالمنا الكثير مما لا تستطيع فلسفتنا المادية أن تتصوره ! وهنالك من يعتقدون أن بولس قد اختبر فعلا حقيقة الصلب مع سيده حتى إنه أيضا حمل آثار المسامير فى يديه .

(ب) كثيراً ما كان السادة يسمون عبيدهم بعلامة يظهر منها أنهم ملكهم . وأغلب الظن أن ما قصده بولس هو أن آثار الجروح وغيرها مما لحق بجسمه نتيجة ما تحمله لأجل المسيح هى السمات التى يظهر منها أنه عبد المسيح . ولذلك فهو لا يناشدهم فى الختام بسلطانه الرسولى ،ولكنما بحق الجراحات التى احتملها لأجل المسيح . وكأنى ببولس يقول ما قاله المدافع عن الحق فى قصة سياحة المسيحى « إنى أحمل معى علامات وآثار جراحى لتكون شاهدى أمام ذاك الذى سيصبح الآن مكافئا لى » .

وهكذا بعد عواصف وضغوط وشدة الرسالة يأتى السلام وتأتى البركة الرسولية فلقد جادل بولس ووبخ ولاطف ولكن كلمته الأخيرة هى النعمة فهى الكلمة الواحدة الوحيدة التى تهم .

الرسالة إلى أهل أفسس

تمهيد :

الرسالة الى أفسس تعتبر من أكثر الرسائل التى تدرس . وستبقى الرسالة الى أفسس كاحدى أهم رسائل بولس الرسول لأنه لنا فيها عقيدته بشأن الكنيسة والصورة المثلى التى يود أن يراها عليها .

ولقد كانت الرسالة الى أفسس محظوظة بمن قاموا بشرحها . فمن ناحية النص اليونانى هناك ثلاثة تفاسير هامة للمؤلفين : ج . ارميتاج روبنسون ، ب . ف .. وستكون و ت . ك . أبوت فى سلسلة International Critical Commentary أما من ناحية تفسير النص الانجليزى فهنالك صياغة أخرى لتفسير ج . ارمتياج روبنسون وهى التى يقدمها أ . ف سكوت فى سلسلة تفسير موفات ، كما أن هنالك تفسير هـ . ج . س . مول فى سلسلة تفسير كمبردج الذى لازال عظيم الفائدة رغم قدمه . كما أن هنالك تفسيرا حديثا ممتازا جدا للدكتور ج . أ . مكاى عنوانه God's Order ولقد استعملت كل هذه التفاسير بصفة مستمرة .

وفى الرسالة الى أفسس نجد أمامنا نموذج الكنيسة . وإن أملى وصلاتى أن هذا الكتاب يعاونا على أن نرى فى وضوح عظمة الكنيسة التى ننتمى اليها وسمو الحياة المسيحية التى دعينا لنحيا لها .

وليم باركلى

كلية ترينيتى جلاسجو

مقدمة

الرسالة السامية :

هناك اتفاق عام على أن الرسالة الى أفسس تحتل مركزا ساميا بين الكتابات التقوية واللاهوتية فى الكنيسة المسيحية . ولقد أطلق عليها اسم « ملكة الرسائل » وهى جديرة بهذه التسمية . وكثيرون يعتبرونها قمة فكر العهد الجديد . وعندما كانت حياة يوحنا نوكس تقترب من نهايتها كان الكتاب الذى رغب فى أن يقرأوا له منه أكثر من أى كتاب آخر هو عظات يوحنا كالفن على الرسالة الى أفسس . وقد قال الشاعر والفيلسوف العظيم كوليربدج عن الرسالة الى أفسس أنها « اعظم الكتب اللاهوتية التى أنتجتها البشرية بالوحى الالهى فهى تحوى أولا تلك العقائد الخاصة بالمسيحية ثم إنها تحوى الأفكار العامة التى تتفق فيها المسيحية مع الديانة الطبيعية » . وواضح أن الرسالة الى أفسس تحتل مكانا خاصا بين كتابات بولس الرسول .

وبرغم ذلك فهنالك مشاكل تتعلق بالرسالة الى أفسس وهى مشاكل لم تكتشفها العقول المتطرفة فى النقد ولكنها مشاكل تظهر واضحة لكل قارىء . الا اننا يجب أن نسارع فنقول إنه عندما تحل هذه المشاكل تظهر عظمة رسالة أفسس أكثر فأكثر وتتسع بنور أبهى وأهمية أعظم .

ظروف كتابة الرسالة الى أفسس :

وقبل أن نناقش الأمور التى تحيط بها الشكوك دعنا نتأمل الحقائق الثابتة . فنرى أولا أن رسالة أفسس كتبت وقت أن كان بولس الرسول سجينا فهو يقول عن نفسه إنه « أسير المسيح يسوع » ٣ : ١ وهو يناشد قراء الرسالة بما يناشدهم به بوصف كونه « الأسير فى الرب » ٤ : ١ وهو يصف نفسه فى كلمته الشهيرة بأنه « سفير فى سلاسل » ٦ : ٢٠ فبينما كان فى السجن وبينما النهاية تقترب كتب رسالة أفسس . ثم نرى ثانيا أن رسالة أفسس وثيقة الصلة والارتباط برسالة كولوسى . ويلوح أن تيخيكس حمل الرسالتين فيقول بولس فى رسالة كولوسى إن تيخيكس سيعرفهم بأحواله كو ٤ : ٧ ويقول فى رسالة أفسس « لكى تعلموا أنتم أيضا أحوالى ماذا أفعل يعرفكم بكل شيء تيخيكس الأخ الحبيب » أف ٦ : ٢١ فتيخيكس يرتبط ارتباطا وثيقا بالرسالتين . الا أن ما نلاحظه أكثر من ذلك هو التشابه الشديد بين مادة الرسالتين . وقد بلغ هذا التشابه مبلغا عظيما حتى أننا نجد ٥٥ آية بنفس الكلمات فى الرسالتين . ولذلك نقول — كما قال كوليريدج — إن رسالة كولوسى إما أن تكون بمثابة ما فاضت عنه رسالة أفسس أو أن رسالة أفسس بمثابة نسخة أخرى مفصلة من رسالة كولوسى وسنرى فى النهاية أن هذا التشابه هو الذى يكشف لنا سر المكانة الخاصة التى تحتلها رسالة أفسس بين رسائل بولس الرسول .

المشكلة :

فمن المؤكد إذن أن رسالة أفسس كتبت عندما كان بولس الرسول فى السجن لأجل الإيمان وأن رسالة أفسس وثيقة الصلة برسالة كولوسى . فأين تكمن المشكلة ياترى ؟ تبرز المشكلة عندما

نسأل : لمن كتبت رسالة أفسس ؟ فقديما كانت الرسالة تكتب على درج من البردى . وعندما كان الكاتب يفرغ من كتابة الرسالة كانوا يربطونها بخيط وإن كانت الرسالة شخصية أو هامة فان عقد الخيط كانت تختم بنوع من الشمع . وقلما كانوا يضعون عليها عنوانا وذلك ببساطة لأنه لم تكن هنالك خدمات بريدية للفرد العادى فى العالم القديم . فقد كان هنالك بريد حكومى الا أنه كان للمراسلات الرسمية والامبراطورية فقط ولم يكن متاحا لمراسلات الشخص العادى . فقد كانت الرسائل تسلم وكان يطلب من أحد الأفراد أن يسلمها شخصيا ، لذلك فلم يكن هنالك لزوم لكتابة العناوين . ولهذا ، فعناوين رسائل العهد الجديد ليست على الاطلاق جزءا من الرسائل وإنما اضيفت فيما بعد عندما جمعت تلك الرسائل ونشرت لتقرأها كل الكنائس .

وعندما ندرس الرسالة إلى أفسس بدقة وبدرجة من الفهم ، نلاحظ ضعف احتمال كتابتها لكنيسة أفسس . فهنالك أسباب داخلية تقودنا لهذه النتيجة :

(أ) واضح أن الرسالة قد كتبت للأمم . فالمرسل إليهم « أمم فى الجسد المدعوون غرلة من المدعو ختانا .. بدون مسيح ، أجنبيون عن رعوية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد » ٢ : ١١ و ١٢ ويستحثهم بولس الرسول قائلا لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم » ٤ : ١٧ وطبيعى أن كون الرسالة قد كتبت للأمم لا يعنى أنها لم تكتب لأفسس الا أن هذه هى الحقيقة المؤكدة عمن كتبت اليهم هذه الرسالة .

(ب) ولا يستطيع أحد أن ينكر أن رسالة أفسس جاءت خالية من اللمسة الشخصية أكثر من أى رسائل بولس الرسول . فمن بدايتها الى نهايتها خلت من اللمسة الشخصية ، فلا توجد فيها أية تحيات شخصية ، وهى تخلو تماما من العبارات الشخصية الموجهة الى هذا أو الى ذاك مما تفيض به رسائل بولس الرسول الأخرى . ويدفعنا هذا الى مزيد من التساؤل ، متى تذكرنا أن بولس قضى فى أفسس مدة أطول من الوقت الذى قضاه فى أية بلدة أخرى . فقد مضى ما لا يقل عن ثلاث سنوات فى أفسس (أع ١٨ : ٩ و ١٠) ثم نجد مرة أخرى فى أع ٢٠ : ١٧ — ٣٥ خطاب بولس الوداعى لشيوخ أفسس قبل أن يغادر ميليتس فى رحلته الأخيرة . ولا يوجد فى العهد الجديد بجملته ما يفوق هذه الفقرة فى مشاعر الود والقرب . وإزاء كل هذا فمن الصعب جدا أن نعتقد أنه يمكن لبولس الرسول أن يكتب مثل هذا الخطاب لأفسس ، ويأتى خاليا تماما من اللمسة الشخصية ودون علامات الود والقرب .

(ج) وبالاضافة الى ذلك فان الخطاب يدل على أن بولس والمكتوب اليهم لم يعرفا بعضهما البعض معرفة شخصية وأن معرفتهما لبعضهما انما تعتمد على المسموعات — وعلى ما قرره آخرون وليس عن صلة شخصية . فيقول بولس فى ١ : ١٥ « إذ قد سمعت بايمانكم بالرب يسوع » . وولاء المكتوب اليهم إنما بلغة من آخرين وليس عن طريق الاختبار . ففى ٣ : ٢ يكتب اليهم « إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لى لأجلكم » ومعنى هذا : « إن كنتم قد سمعتم بأن الله أعطانى عمل ووظيفة رسول الأمم أمثالكم » . فمعرفة الكنيسة ببولس فى هذه الحالة باعتبار كونه رسول الأمم كانت شيئا قد سمعوا عنه ، ولكنهم لم يتعرفوا اليه عن طريق الاتصال الشخصى به .

وبذلك فالرسالة تحوى من الداخل علامات لا تتناسب والعلاقة الشخصية الوثيقة التى كانت تربط بولس بكنيسة أفسس .

ويمكن أن يجد المرء أسبابا لهذه الحقائق ، كما يمكنه أن يفسرها حتى لا تقود المرء الى ما قررناه الآن . إلا أن هنالك حقيقة خارجية تنهى التساؤل بصفة قاطعة . ففى ١ : ١ لا تحوى أى المخطوطات اليونانية القديمة كلمة « فى أفسس » فالمخطوطات الهامة كلها تقول « بولس ... الى القديسين والمؤمنين فى المسيح يسوع » ونعلم من الطريقة التى كتب بها الآباء اليونانيون القدماء تعليقاتهم وشروحاتهم لهذه الرسالة ، أن هذه هى الصورة التى عرفوا بها الآية الأولى من هذه الرسالة .

هل كتب بولس هذه الرسالة :

هنالك من العلماء من وجدوا صعوبة أخرى من رسالة أفسس . فلقد شكوا فى أن يكون بولس هو الذى كتب هذه الرسالة . فعلى أى أساس بنوا شكوكهم ياترى ؟ يقولون إن مفردات الرسالة تختلف عن المفردات التى يتميز بها بولس . وفى الواقع أنه يوجد ما يقرب من سبعين كلمة فى أفسس لا نجدها فى أى من الرسائل التى كتبها بولس . ويجب أن لا تثير فينا هذه الحقيقة أى شىء من القلق فالحقيقة الواضحة هى أن بولس يتحدث فى أفسس بشأن أمور لم يتحدث عنها من قبل . فهو يسير على درب لم يسبق له أن سار فيه ، وطبيعى أنه احتاج الى كلمات جديدة تعبر عن الأفكار الجديدة . فمن غير المعقول أن نطلب من رجل له مثل عقلية بولس أن لا يضيف الى مفرداته شيئا وأن يعبر عن نفسه بنفس الكلمات . ويقولون إن الأسلوب ليس أسلوب بولس . وواضح أن أسلوب أفسس يختلف عن سائر الرسائل مما نلمحه فى الترجمات المختلفة ويظهر واضحا فى اللغة اليونانية . فالرسائل الأخرى كتبت جميعا لمواجهة موقف محدد ، أو حالة طارئة محددة أو مجموعة محددة من المشاكل . الا أن **أفسس** كما يقول عنها أ . هـ مكنيل « رسالة لاهوتية ، أو بالأحرى رسالة دينية » وحتى استخدام اللغة مختلف . ويعبر « موفات » عن هذا الأمر بأن لغة بولس تفيض عادة وكأنها سيل منهمر ، وتحوى كلمات حماسية كأنها شلالات ، إلا أننا نجد فى أفسس « مجرى واضح هادىء يفيض منتظما وقد بلغ أقصى شطوطه » وطول الجمل فى **أفسس** طول مدهش ففى اليونانية نجد أن أف ١ : ٣ — ١٤ و ١٥ — ٢٣ ، ٢ : ١ — ٩ ، ٣ : ١ — ٧ كل منها جملة طويلة متشابكة . ولذلك فيقول مكنيل عن هذه الرسالة فى تعبير صادق جميل ، إنها « شعر منثور » وكل هذا يختلف عن أسلوب بولس العادى . فماذا يمكن أن نقول عن هذا ؟ هناك أولا الحقيقة العامة بأن كل كاتب عظيم لا يكتب دائما بنفس الأسلوب . فشكسبير هو الذى استطاع أن ينتج الأساليب المتباينة جدا التى نجدها فى « هملت » و « حلم ليلة منتصف الصيف » وغيرهما من الروايات والأشعار . إن أى كاتب عظيم — وقد كان بولس كاتبا عظيما — يكتب الأسلوب الذى يناسب هدفه وظروفه وقت الكتابة . إن من يقول إن بولس لم يكتب أفسس لأنه يستخدم مفردات جديدة وأسلوبا جديدا ، يعتبر نقده نقداً رديئا . إلا أن هنالك ما هو أعمق من ذلك . فلنتأمل كيف كتب بولس أغلب رسائله : لقد كتبها وسط انشغال كبير فى الخدمة حيث كان فى أغلب الأحيان مسافرا من مكان الى مكان . لقد كتبها وهو يواجه فى كل منها مشكلة ملحة ، كان يجب

أن يواجهها فورا وللتو . وهذا يعنى أن بولس كتب أغلب رسائله فى ظروف صعبة جدا . و لم يكن عنصر الوقت فى جانبه فى أغلب الأحيان . فلنتأمل الآن كيف كتب أفسس . لقد كتبها **وهو فى السجن** . وبذلك نقول إن الوقت كان متوافرا لديه تماما . فلم يكن فى حاجة لأن يسرع بكتابة هذه الرسالة ، فقد كانت أمامه الشهور الطويلة فى السجن و لم يكن لديه ما يشغله سوى أن يفكر ويكتب . ولذلك فهل غريب ياترى أن يكون أسلوب أفسس مختلفا عن سائر الرسائل ؟ وأكثر من ذلك ، أن هذا الأسلوب المختلف أسلوب التأمل واللغة الشعرية يظهر واضحا بصفة خاصة فى الفصول الثلاثة الأولى ، التى هى صلاة طويلة تنتهى فى كلمات التمجيد التى يختتم بها الفصل الثالث . وفى الحقيقة أنه لا يوجد ما يماثل ذلك فى كل رسائل بولس الرسول . فهذه لغة الصلاة الشعرية لا لغة الجدل واختلاف وجهات النظر والتوبيخ .

إنه من الصواب حقا أن نقول « إن رسالة أفسس مكتوبة بمفردات وأسلوب يختلف عن رسائل بولس الأخرى ، إلا أن رسالة أفسس قد كتبت لتعبر عن أفكار جديدة فى ظروف مختلفة تماما — وكما سنرى — لغرض يختلف تمام الاختلاف عن سائر الرسائل الأخرى فالاختلافات لا تثبت أبدا أن بولس الرسول لم يكتب رسالة أفسس .

فكر الرسالة :

هنالك علماء يذهبون الى القول بأن فكر رسالة أفسس يتجاوز فكر أية رسالة أخرى من رسائل بولس الرسول . فلنتأمل ما هو فكر رسالة أفسس . لقد لاحظنا أن رسالة أفسس ترتبط ارتباطا وثيقا برسالة كولوسى والفكر المركزى العظيم لرسالة كولوسى هو **كفاية المسيح يسوع التامة** . ففى يسوع المسيح تحل كل المعرفة وكل الحكمة (كو ٢ : ٣) فقد سر الآب أن يحل فيه كل الملء (كو ١ : ١٩) . فى تلك العبارة العظيمة ، فى المسيح يحل كل ملء اللاهوت جسديا (كو ٢: ٩) فهو وحده الضرورى والكافى لخلاص الانسان (كو ١ : ٤) وكل فكر كولوسى مبنى على كفاية المسيح الكاملة . وفكر أفسس هو تنمية هذه الفكرة . وكل فكر أفسس يتلخص فى آيتين من الفصل الأول وهما اللتان يتحدث فيهما بولس الرسول عن الله الذى عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الازمنة ليجمع كل شىء فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك (أفسس ١ : ٩ و ١٠) ومفتاح فكر أفسس هو جمع كل شىء فى يسوع المسيح . فالمسيح هو المركز الذى تجتمع فيه كل الأشياء والرباط الذى يوحد كل الأشياء . فالطبيعة بدون المسيح لا يوجد فيها سوى التفكك وعدم التوافق . فهناك حرب فى الطبيعة ، وهى مخضبة بالدماء فتسلط الانسان قد حطم الرابطة التى يجب أن تكون بين الانسان والحيوان ، وانقسم الانسان على الانسان ، والطبقة على الطبقة ، والأمة على الأمة ، والمبادىء على المبادىء ، والأممى على اليهودى . فالعالم إذ نراه بدون المسيح عالم منقسم مفكك دون ما توافق . وما يصدق على عالم الطبيعة الخارجية إنما يصدق على الطبيعة البشرية نفسها . ففى كل انسان هنالك توتر . وكل انسان إنما هو حرب أهلية متحركة . فهنالك معركة مستمرة بين الجانب السامى والجانب الوضيع فى الانسان . ويتمزق الانسان دائما بين الرغبة فى الخير والرغبة فى الشر . فهو يمقت خطاياه ويحبها فى عين الوقت . ويقول الفكر اليونانى واليهودى فى عضر بولس الرسول إن هذه المعركة وعدم

التوافق وعدم الاتحاد إنما تمتد أيضا الى الاماكن السماوية . فهنالك معركة كونية تدور رحاها بين قوات الشر وقوات الخير ، بين الأرواح الطيبة والأرواح الشريرة ، وبين القوات الملائكية ، وبين الله والشياطين . وأسوأ من كل هذا هنالك عدم توافق ، وانقسام ، وانفصال بين الله والانسان . فالانسان الذى كان مقدرا له أن يكون فى شركة مع الله ، أصبح غريبا عن الله ، ولذلك ففى هذا العالم بدون المسيح حيثما امتد بنا البصر لا يوجد سوى الانقسام . وهذا الانقسام ليس قصد الله . فلقد قصد الله لهذا الكون أن يكون توافقا وليس عدم توافق . ولا يمكن الانقسام أن يصبح اتحادا ، وعدم التوافق أن يصير توافقا الا عندما تتحد جميع الأشياء . يتحد كل البشر وكل القوات فى السماء وعلى الأرض فى المسيح . ويعبر أ . ف . سكوت عن هذه الحقيقة بقوله : « إن الأجزاء المحطمة التى لا تحصى ، كان مقدرا لها أن تتحد فى المسيح ، لتتجمع مرة ثانية فى وحدة واحدة ، كما كانت فى البداية . فالفكر المركزى فى رسالة أفسس هو أن يدرك المرء التفكك فى الطبيعة ، والتفكك فى الانسان ، والتفكك فى الزمن ، والتفكك فى الأبد ، والتفكك بين الله والانسان ، وأن يقتنع بأن كل هذا التفكك يمكن أن يتحول الى وحدة وتوافق عندما يتحد كل البشر وتتحد كل القوى فى المسيح .

مصدر فكر بولس :

كيف وصل بولس الرسول الى هذه الفكرة العظيمة التى تقول بوحدة كل الأشياء فى المسيح يسوع ؟ أغلب الظن أنه وصل الى هذه الفكرة عن طريقين . فمن المؤكد أن هذه الفكرة كانت نتيجة اقتناعه الذى يقرره بوضوح فى رسالة كولوسى بأن المسيح فيه الكفاية التامة . فإن كانت الكفاية التامة فى المسيح فكل البشر وكل الأشياء وكل القوى يمكن أن تبلغ التوافق والاتحاد عندما تقبل المسيح وتحيا فيه . الا أن أغلب الظن أن هنالك شيئا آخر حرك فكر بولس فى هذا الاتجاه . لقد كان بولس مواطنا رومانيا . وكان يفخر بذلك . وفى رحلاته رأى الكثير من الامبراطورية الرومانية ، وها هو قد وصل الى روما عاصمة الامبراطورية .

ولقد قادت الامبراطورية الرومانية العالم الى وحدة جديدة وما كانوا يطلقون عليه اسم Pax Romana أى السلام الرومانى كان حقيقة واقعة . فالممالك والولايات والبلدان التى تطاحنت فى المعارك وتصارعت وتنافست وتحاربت قد تجمعت فى وحدة جديدة فى امبراطورية روما فزالت الحواجز ، وحلت الجسور مكان الانقسامات ، وانتهت العداوة ، وهدأ التوتر ، وتم جمع شمل الجميع فى روما الواحدة ، ولعل بولس فى سجنه رأى بصورة جديدة كيف تركزت هذه الوحدة فى روما ، ولعله رأى فى تلك الوحدة رمزاً ومثالا للوحدة التى يجب أن تتمركز فى المسيح وتتجمع فيه ، ان كان يمكن للطبيعة وللعالم وللانسانية أن تصل الى التوافق والاتحاد . وأنه لمن المتيقن أن هذه الفكرة لم تكن خارج نطاق تفكير بولس ، فكل فكره واختباره انما يقوده الى هذه الحقيقة بالذات .

عمل الكنيسة :

يتناول بولس الرسول فكرة التوافق والوحدة فى المسيح فى الفصول الثلاثة الأولى . وفى الفصول الثلاثة الثانية يتحدث كثيرا عن مكانة الكنيسة فى الخطة الالهية للتوافق والاتحاد . فإلى أى شيء

تشير الكنيسة ؟ وما هو عمل الكنيسة الحقيقى فى الخطة الالهية ؟ وما هو دور الكنيسة فى إتمام القصد الالهى بأن يخلق عالما جديدا متحدا فى وسط عالم منقسم . وهنا يصوغ بولس عبارة من أعظم عباراته : **الكنيسة جسد المسيح** . فالكنيسة هى الأيدى التى تقوم بعمل المسيح ، والأقدام التى تسعى لتنفيذ شئونه ، والفم الذى يتحدث بالنيابة عنه ، والأداة والجسد الذى يعمل من خلاله . وبذلك فهنالك فكرة مزدوجة فى رسالة أفسس .

أولا : إن المسيح هو الأداة الالهية للمصالحة .

ثانيا : إن الكنيسة هى أداة المسيح للمصالحة . فيجب على الكنيسة أن تقدم المسيح للعالم ، وفى داخل الكنيسة يجب أن تتحطم كل الحوائط الحاجزة والفاصلة فعن طريق الكنيسة يجب أن تتم وحدة كل العناصر المتنافرة وتتحقق . فالكنيسة هى التى تقدم المسيح الذى فيه وحده يمكن الاتحاد ، وداخل الكنيسة يجب أن يبلغ المرء هذه الوحدة ويحققها . ويعبر أ . ف . سكوت عن ذلك قائلا : « إن الكنيسة قائمة لتتحقق المصالحة التى جاء المسيح لأجلها فى كل أنحاء العالم ، ولذلك ففى كل تعامل المسيحيين مع بعضهم البعض يجب أن يسعوا لتحقيق هذه الفكرة التى تتكون الكنيسة على أساسها » .

من سوى بولس :

هذا إذن هو فكر رسالة أفسس . لقد رأينا ، أن هنالك من لا يمكنهم وهم يتأملون مفردات وأسلوب وفكر هذه الرسالة ، أن يصدقوا أن بولس قد كتبها . ولقد قدم العالم الامريكى أ . ج . جود سبيد نظرية طريفة ولكنها غير مقنعة . فالاحتمال الأعظم هو أنه تم جمع رسائل بولس الرسول لأول مرة فى سنة ٩٠ م وذلك فى أفسس حيث نشرت تلك الرسائل وأرسلت الى الكنيسة العامة . وتقول نظرية جود سبيد إن الشخص الذى قام بجمع رسائل بولس كان تلميذا محبا لبولس وقد كتب رسالة أفسس لتكون بمثابة مقدمة وتمهيد للمجموعة كلها . وتتحطم هذه النظرية تماما أمام حقيقة واضحة : فأى محاكاة تكون دائما وطبعا أقل من الأصل . فالعمل الثانوى ينبىء عن نفسه بأنه عمل ثانوى . إلا أن أفسس على نقيض ذلك ، بعيدة كل البعد عن أن تعتبر الأدنى ، لأنها يمكن أن تعتبر أعظم رسائل بولس على الاطلاق . وعلى ذلك فان لم يكن بولس قد كتبها فيجب أن نستنتج أن كاتبها شخص تعادل عظمته عظمة بولس الرسول أو بالأحرى أعظم منه . ويطالب أ . ف . سكوت فى هذا الصدد قائلا : هل يمكننا أن نصدق أنه كان فى كنيسة عصر بولس الرسول معلم مجهول بمثل هذا التفوق والروعة ؟ فالافتراض الطبيعى ، بكل تأكيد ، هو أن رسالة تشبه كثيرا أفضل ما سطرته يد بولس الرسول ، انما لم يكتبها سوى بولس الرسول نفسه . فلم ير أحد المسيح فى صورة أروع من هذه الصورة التى تقدمه لنا كالمركز الواحد الذى تتحد فيه كل تمزقات الحياة . ولم ير أحد الكنيسة فى صورة أعظم من أن يراها أداة الله للمصالحة التى تشمل العالم بأسره بل الكون كله . وحرى بنا أن نؤمن أنه ما من شخص سوى بولس الرسول يسمو الى مثل هذه الرؤية .

وجهة رسالة افسس :

يجب أن نعود ثانية الى المشكلة التى تركناها معلقة من قبل ، فان لم تكن رسالة أفسس قد كتبت لأفسس — وقد رأينا من قبل أن هنالك شكاً عظيما فى أن تكون كذلك : فلنسأل الآن لأى كنيسة قد كتبت ؟ .

وتقول أقدم الآراء إنها كتبت الى لاودكية . ففى كو ٤ : ١٦ يقول بولس : ومتى قرئت هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضا فى كنيسة اللاودكيين والتى من لاودكية تقرأونها أنتم أيضا . ومن هذه العبارة نتأكد أن بولس الرسول قد أرسل خطابا الى لاودكية . وليست هنالك رسالة بهذا الاسم بين رسائل بولس الرسول التى بين أيدينا . ولقد كان مارسيون من أول من كوَّن مجموعة من رسائل بولس . وكتب قائمة بها فى منتصف القرن الثانى تقريبا وهو يطلق فعلا على رسالة أفسس اسم الرسالة الى لاودكية . ولذلك فمن عصر مبكر جدا لابد أنه ساور الكنيسة إحساس بأن أفسس قد أرسلت أولا الى لاودكية .

فان كنا نقبل هذا الافتراض الجذاب فاننا سنحتاج بعد ذلك أن نوضح كيف فقدت هذه الرسالة عنوانها الخاص بلاودكية وارتبطت بأفسس ؟ ويمكن أن نجد تفسيرين . فلربما بعد موت بولس الرسول علمت كنيسة أفسس أن كنيسة لاودكية تمتلك رسالة رائعة جدا من قلم بولس الرسول . ولربما كتب المسيحيون فى أفسس الى لاودكية فى طلب نسخة من الرسالة . ولربما عملت نسخة وأرسلت و لم تحذف منها سوى الكلمتين « فى لاودكية » فى الآية الأولى وتركوا فراغا فى مكانهما ، حيث أننا نجد فراغا فى أقدم المخطوطات . وبعد ما يقرب من ثلاثين سنة بعد ذلك ، جمعت رسائل بولس الرسول للنشر العام . وتقع لاودكية فى منطقة اشتهرت بالزلازل . ولعل كل ما حفظته كنيسة لاودكية اندثر . ولذلك فعندما جمعوا رسائل بولس كانت النسخة الوحيدة من الرسالة الى لاودكية هى تلك التى كانت موجودة بأفسس . وضمت تلك الرسالة الى مجموعة رسائل بولس الرسول ، واذ وجدت تلك الرسالة فى أفسس عرفت باسم الرسالة الى أفسس لأن النسخة الوحيدة الموجودة انما كانت فى أفسس ، وهذا محتمل جدا .

والتفسير الثانى هو ما نادى به العالم الألمانى العظيم هارناك . ففى الأيام التالية لخدمة بولس الرسول سقطت كنيسة لاودكية من النعمة سقوطا مؤسفا . ففى سفر الرؤيا هنالك رسالة مؤثرة الى كنيسة لاودكية (رؤ ٣ : ١٤ — ٢٢) وفى تلك الرسالة يعاتب المسيح المقام فى حزن وبلا هوادة كنيسة لاودكية لدرجة أن يقول لها تلك العبارة الشديدة « سأتقيأوك من فمى » (رؤ ٣ : ١٦) وقد كانت فى العالم القديم عادة يطلقون عليها اسم Damnatio Nemoriae وهى لعنة ذكرى واحد من الناس . فلربما قام احدهم بخدمات بارزة للدولة تدعو إلى ذكر اسمه فى الكتب وفى سجلات الدولة وفى اللوحات التذكارية . الا أن هذا الانسان قد ينهى حياته بعمل دنىء من الخيانة أو شىء مشين من عدم الامانة أو فعل يقضى تماما على الشرف . وفى مثل تلك الحالات كانوا يحكمون « بلعنة » ذكراه فيمحون اسمه من كافة الكتب ، ويحذفونه من كافة اللوحات التذكارية . وبذلك كانوا يطبقون على هذا الانسان فكرة Damnatio Memoriae ويعتقد هارناك أن هذا هو عين ما

حدث مع كنيسة لاودكية ولذلك فقد شطبوا اسمها من السجلات المسيحية . وإن كان الأمر كذلك فإن نسخ الرسالة الى لاودكية تكون قد حفظت دون عنوان على الاطلاق ، وعندما جمعوا الرسائل فى أفسس ، وبما أن هذه الرسالة وجدت فى أفسس ، فلعل اسم أفسس ارتبط بها لأنه لم يكن بها اسم آخر .

الخطاب الدورى :

إن التفسيرين السابقين ممكنان . الا ان هنالك رأيا آخر يرجح احتمال وقوعه كثيرا وهو ما نعتقد أنه صواب . فنعتقد أن النسخ المبكرة من رسالة أفسس لا تحوى اسم أى كنيسة ، لأن هذه الرسالة لم تكتب فى الواقع لكنيسة واحدة ، ولكنها كتبت كخطاب دورى لكل كنائس بولس الرسول فى آسيا . فلم تكن هذه الرسالة ملك كنيسة واحدة ولكنها كانت دائما ملك الكنائس . ولننظر مرة أخرى لما قاله بولس الرسول فى كو ٤ : ١٦ فهو يقول : « متى قرئت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضا فى كنيسة اللاودكيين والتى من لاودكية تقرأونها أنتم أيضا » . ونلاحظ أن بولس الرسول لا يقول إن الكولوسيين يجب أن يقرأوا الرسالة الى لاودكية ، بل أن يقرأوا الرسالة من لاودكية . فكأنه يقول : « هنالك رسالة تمر من كنيسة الى كنيسة ، وفى هذه اللحظة قد وصلت هذه الرسالة الى لاودكية ، فمتى وصلت اليكم ، أى متى أرسلت اليكم من لاودكية ، تأكدوا من أن تقرأوها . « وهذا يعنى أن هنالك رسالة كانت تمر بين كنائس آسيا . ونعتقد أن الخطاب الذى كانوا يحملونه من كنيسة الى كنيسة انما هو رسالة أفسس .

خلاصة تعليم بولس الرسول :

فإن كان الأمر كذلك ، وهذا ما نعتقده ، فتكون رسالة أفسس هى أسمى رسائل بولس الرسول . لقد لاحظنا أن أفسس وكولوسى قريبتان جدا إحداهما للأخرى . ونعتقد أن ما حدث هو أن بولس كتب لكولوسى ليعالج موقفا محددا وهرطقة محددة ظهرت فى الأفق . وبينما كان يكتب عثر على تعبيره العظيم عن كفاية المسيح الكاملة . فقال لنفسه : « يجب أن أوصل هذه الفكرة لكل البشر » . وبذلك أخذ المادة التى استخدمها فى كولوسى وجردها من كل الأمور المحلية والأمور التى ترتبط بزمن معين ، كما خلصها أيضا من النواحى الجدلية ، وكتب رسالة جديدة لكل البشر عن كفاية المسيح التامة . فالرسالة الى أفسس كما نراها هى الرسالة الوحيدة التى أرسلها بولس الرسول لكل الكنائس الشرقية ليقول لهم إن الوحدة المقررة لكل البشر وكل الأشياء لا يمكن أن نجدها الا فى المسيح ، وأن يحدثهم عن واجب الكنيسة الأعظم ، ألا وهو أن تكون اداة المسيح وجسده فى القيام بالمصالحة التى تشمل العالم بأسره ، اذ يتصالح الانسان مع الانسان ، والانسان مع الله . ولهذا تعتبر أفسس بلا شك ملكة الرسائل .

التفسير

« وإن الفكرة التي يقدمها بولس الرسول في أفسس مترابطة تماماً وتبدأ في أحيان كثيرة بجمل طويلة معقدة يصعب جداً تحليلها . فإن كنا نريد فعلاً أن ندرك المعاني التي قصدها فهنالك أجزاء يحسن أن نقرأ الرسالة فيها في أقسام طويلة أولاً ثم نقسم هذه الأجزاء بعدئذ إلى فقرات قصيرة للدراسة التفصيلية. »

الأصحاح الأول

قصد الله

(أفسس ١ : ١ ــ ١٤)

تحيات لشعب الله

يبدأ بولس رسالته بالشيئين الوحيدين اللذين كان يعتز بأنه يملكهما .

١ ــ فهو رسول المسيح . وعندما قال بولس ذلك فقد كانت فى فكره أشياء ثلاثة :

(أ) فهو يعنى أنه ينتمى للمسيح ، فحياته لم تكن ملكا له يفعل بها ما يشاء ، ولكنه كان ملكا ليسوع ، ويجب عليه أن يحيا دائما ، لا كما يريد هو أن يعيش ولكنما أراد له المسيح أن يحيا .

(ب) قصد أنه مكلف ومرسل من يسوع المسيح فالكلمة apostolos مشتقة من الفعل apostellein الذى يعنى يرسل أو يبعث فيمكن استخدامه مثلا عن بعثة بحرية ترسل فى مهمة خاصة ، كما يمكن أن يستخدم أيضا عن سفير ترسله بلاده . فهذا الفعل يصف شخصا يرسل فى مهمة خاصة ليقوم بها . فالمسيحى يحس بنفسه فى كل حياته كأحد أفراد قوات المسيح الخاصة . فهو انسان صاحب رسالة ، رسالة خدمة المسيح فى هذا العالم .

(ج) قصد أن أية قوة يمتلكها هى قوة موكولة اليه . لقد كان السنهدريم مجلس اليهود الأعلى . ففى الشئون الدينية كان للسنهدريم سلطان على كل يهودى فى مختلف أنحاء العالم . وعندما كان السنهدريم يصل الى قرار معين كانوا يسلمون هذا القرار « لرسول » ، ليقوم بتوصيله لمن يهمهم الأمر وليتحقق من تنفيذ القرار فعلا . وعندما كان مثل هذا « الرسول » يذهب ، فإنه لم يذهب ببساطة بسلطانه الشخصى ولا بقوته هو . فمن خلفه ، وفى شخصه ، كانت تستقر سلطة السنهدريم الذى كان يمثله . والمسيحى ممثل المسيح فى العالم ، ولكنه لم يترك ليقوم بهذا الواجب بقوته الشخصية ، بل بقوة المسيح فيه .

٢ ــ ويقول بولس أيضا إنه رسول بمشيئة الله . وإذ فاه بهذه الكلمات لم تكن نبرات صوته نبرات الكبرياء وإنما نبرات الدهشة البالغة . فقد وقف بولس للنهاية مشدوها : كيف أمكن أن يختار الله انسانا مثله ليقوم بعمل الله .

أحسنت ظنك بنا
وأنت ذا الاله
عقلى أنا ياسيدى ، فى ظلمة قد تاه
لكن قلبى يشرق بالنور ياالله

يجب على المسيحى أن لا يمتلىء أبدا بالكبرياء إزاء أى عمل يكلفه الله به ، بل يجب أن يمتلىء بالدهشة البالغة لأن الله قد اعتبره مستحقا لنصيب فى عمله .

ثم يتقدم بولس ليوجه خطابه الى شعب أفسس والمؤمنين فى المسيح يسوع . والمسيحى انسان يعيش دائما حياة مزدوجة . فأصدقاء بولس كانوا يعيشون فى أفسس وكذلك فى المسيح . ولكل مؤمن عنوان بشرى وعنوان الهى . فهو يقيم فى مكان محدد فى هذا العالم ، ولكنه يقيم أيضا فى المسيح . وهذا بالضبط هو سر الحياة المسيحية . يحدثنا اليستر مكلين عن سيدة مرت فى ظروف قاسية ولكنها كانت متزنة دائما ، وعندما سألوها عن سر ذلك قالت : « إن سرى هو أننى وأنا أشق عباب البحار ، أحتفظ بقلبى دائما فى الميناء » . إن سر الوقار المسيحى هو أنه حيثما كان المسيحى فهو دائما فى المسيح .

ويبدأ بولس بالتحية التى يستهل دائما بها رسائله « نعمة لكم وسلام » . وهنا نجد كلمتى الايمان المسيحى العظيمتين . وكلمة نعمة تحمل بين طياتها باستمرار فكرتين رئيسيتين فالنعمة دائما شىء محبب الى النفس . فيجب أن تحوى الحياة المسيحية شيئا جذابا ومحببا للنفس ، والمسيحية التى فقدت الجاذبية ليست مسيحية حقيقية . والنعمة تصف دائما عطية أو هدية ، وهى تلك العطية التى ما كان يمكن للمرء أن يحصل عليها بنفسه وما كان يمكنه أن يدفع مقابلها ولا أن يستحقها . ومعاملة الله معنا وعطيته لنا انما هى أشياء يسبغها علينا سخاء قلب الله . فكلما ذكرنا كلمة نعمة يجب أن نفكر فى جمال المسيحية الرائع ، وسخاء قلب الله الذى يجود به علينا دون استحقاق منا . وعندما نفكر فى كلمة سلام وعلاقتها بالحياة المسيحية يجب أن نكون على حذر . فالكلمة اليونانية هى eirene ولكنها ترجمة للكلمة العبرية « شالوم » . وكلمة سلام فى الكتاب المقدس لا ترد أبدا بمعنى سلبى . فهى لا تصف أبدا مجرد عدم وجود المشاكل والصعوبات والآلام . فكلمة « شالوم » تعنى كل ما من شأنه خير للانسان الأسمى ، وكل ما من شأنه أن يجعل الانسان انسانا بأسمى ما تعنيه كلمة انسان ، بل كل ما من شأنه أن يجعل الحياة جديرة بأن المرء يحياها . والسلام المسيحى لا يعتمد بتاتا على الظروف الخارجية فقد يعيش انسان حياة سهلة تحيطها الكماليات المختلفة . وقد يستمتع بخيرات الأرض ، وقد يملك أفضل بيت وقد يكون رصيده فى البنوك أكبر رصيد ، ولكنه لا يستمتع بالسلام . ومن الناحية الأخرى قد يتصور انسان جوعا فى السجن ، أو قد يكون على وشك الموت شهيدا ، أو قد يحيا حياة انتزعت منها كل وسائل الراحة ، ولكنه برغم هذا يستمتع بالسلام الكامل . فما هو تفسير ذلك ؟ إن السبب فى ذلك هو أن هنالك مصدرا واحدا للسلام فى كل العالم وذلك هو أن ننفذ مشيئة الله . فنحن نعلم جيدا أننا عندما نعمل شيئا نعلم أنه ما كان يجب علينا أن نفعله ، أو عندما نتهرب من شىء نعلم أنه كان يجب علينا أن نفعله فسيطاردنا

ويستقر فى خلفية تفكيرنا احساس بعدم الراحة وفقدان السلام . كما اننا نعلم جيدا أنه متى كنا نقوم بعمل شاق جدا ، بل حتى لو كنا نعمل شيئا لا نرغب فيه . ولكننا نعلم أنه هو الصواب فهناك شعور بالراحة فى قلوبنا . « فسلامنا انما هو فى عمل مشيئته » والسلام الوحيد فى العالم هو فى تنفيذ مشيئة الله .

المختار من الله

إن الفقرة الطويلة من الآية الثالثة حتى الآية الرابعة عشرة انما هى جملة واحدة فى اللغة اليونانية . وهى جملة طويلة ومعقدة لأنها لا تمثل فكرة منطقية ، ولكنها أغنية شكر وتسبيح . ويسترسل فكر بولس ، لا لأنه يفكر فى خطوات منطقية ولكن لأن هنالك عطية من بعد عطية ، أعجوبة الهية من بعد أعجوبة ، تمر أمام ناظريه وتدخل الى عقله . ولكى نتفهم هذه الجملة يجب أن نقسمها وأن ندرسها فى أجزاء قصيرة .

ويفكر بولس فى هذه العبارة فى المسيحيين كشعب الله المختار . ويسير تفكيره فى اتجاهات ثلاثة :

١ ــ فهو يفكر فى حقيقة اختيار الله . ولم يفكر بولس أبدا فى نفسه وكأنه اختار أن يخدم الله وأن يقوم بعمله . لقد اعتبر دائما أن الله هو الذى اختاره . قال المسيح لتلاميذه « ليس أنتم اخترتمونى ولكننى اخترتكم » (يو ١٥ : ١٦) لقد اعتبر بولس كل شيء من الله ، وهنا تكمن الأعجوبة . فليس عجيبا أن يختار الانسان الله ، ولكن الأعجوبة هى أن يختار الله الانسان .

٢ ــ ويفكر بولس فى **غنى اختيار الله** . فقد اختارنا الله ليباركنا بالبركات التى لا توجد الا فى السماء . فهنالك أشياء معينة يجدها الانسان ويكتشفها بنفسه . الا أن هنالك أشياء ليست فى متناول يده . فقد يستطيع أى انسان بمفرده أن يصل الى مستوى معين فى الصناعة أو فى العلوم ، ويمكنه أن يصل الى مركز معين فى العالم . ويستطيع أن يجمع كمية معينة من ممتلكات هذا العالم . ولكنه لا يستطيع بنفسه أن يصل الى الفضيلة أو الى سلام العقل . فلقد اختارنا الله ليعطينا تلك الأشياء التى لا يمكن أن يمنحها سواه .

٣ ــ ويفكر بولس **فى غرض اختيار الله** . لقد اختارنا الله لنكون قديسين وبلا لوم . وهنا كلمتان عظيمتان فكلمة قديس هى الكلمة اليونانية **hagios** وكلمة « هاجيوس » تحمل دائما فكرة الاختلاف والانفصال . فالشيء الذى نطلق عليه هذا الاسم هو شيء يختلف عن الأشياء العادية فالمعبد **مقدس** لأنه يختلف عن سائر المبانى . والكاهن **مقدس** لأنه يختلف عن سائر البشر العاديين . والذبيحة **مقدسة** لأنها تختلف عن سائر الحيوانات . ونقول إن الله سام فى **قداسته** لأنه يختلف عن البشر . ويوم الرب **مقدس** لأنه يختلف عن سائر الأيام . ولذا فنقول إن الله قد اختار المسيحى ليكون **مختلفا** عن سائر البشر . وهنا نجد الحقيقة ، بل التحدى الذى تتباطأ كنيسة عصرنا الحاضر عن مواجهته . فلم يساور المسيحى فى الكنيسة الأولى أدنى شك فى أنه يجب أن يكون مختلفا لدرجة قد تدفع العالم لأن يقتله ، وإن كان من المؤكد أنه على الأقل سيكرهه . الا أن الكنيسة فى عصرنا

الحاضر تميل الى اذابة الفوارق بين الكنيسة والعالم . فكثيرا ما قلنا ، فى الواقع ، للناس « مادمتم تعيشون حياة راقية محترمة فانه من المناسب جدا أن تكونوا أعضاء فى الكنيسة وأن تعتبروا أنفسكم مسيحيين . فلستم فى حاجة لأن تكونوا مختلفين كثيرا عن الآخرين » . وأنه ليجب فى الحقيقة أن يكون المسيحى متميزا تماما فى العالم . ويجب أن نذكر دائما أن هذا الاختلاف الذى ينبر المسيح عليه ليس اختلافا **يبعد** الانسان عن العالم ولكنه يجعل المسيحى مختلفا وهو فى العالم . فيجب أن يكون من الممكن تمييز المسيحى فى المدرسة وفى المحل التجارى ، وفى المصنع ، وفى المكتب ، وفى المستشفى وفى كل مكان . ووجه الاختلاف هو أن المسيحى يحيا ويعمل ويسلك لا تحت ضغط أى أحكام بشرية ، ولكن كما يملى عليه ناموس المسيح . فالمدرس المسيحى لا يسعى لأن يرضى تعليمات الادارة التعليمية أو ناظر المدرسة ، ولكنه يسعى ليرضى ما يطلبه منه المسيح وسيعنى هذا بالتأكيد موقفاً مختلفاً ازاء التلاميذ . والعامل المسيحى لا يعمل ليرضى متطلبات اتحاد العمال ولكنه يسعى لارضاء المسيح ، مما يجعله عاملا مختلفا تماما ، وقد ينتهى به الأمر لأن يكون مختلفا لدرجة أن يطرد من اتحاد العمال . ولن ينظر الطبيب المسيحى الى مريضه كمجرد حالة ، ولكنه سينظر اليه كشخص . ورب العمل المسيحى سيهتم بما هو أسمى من الحد الأدنى للأجور ، أو أن يضع قواعد الحد الأدنى من شروط التوظيف . فحقيقة الأمر ببساطة هى أنه لو أصبح العدد الكافى من المسيحيين « هجيوس » مختلفين ، يراعون المسيح فقط ، فان هذا سيحدث ثورة فى المجتمع . وهذا فعلا وفى الحقيقة هو واجب المسيحى . والكلمة **بلا لوم** هى الكلمة اليونانية amomos وأهمية هذه الكلمة سببه كونها كلمة تتعلق بالذبائح . ففى الناموس اليهودى كان يجب أن يفحص الحيوان ويمتحن قبل تقديمه ذبيحة . ومتى وجد فيه أى عيب كان يرفض باعتبار كونه لا يصلح تقدمة لله . فالأفضل فقط كان يصلح تقدمة لله . وهذه الكلمة amomos تلمس الحياة بجملتها والانسان بجملته كتقدمة الله . فهى تدفعنا لأن نأخذ كل جزء من حياتنا ، عملنا ، ملذاتنا ، رياضتنا ، حياتنا العائلية ، علاقتنا الشخصية ، وأن نجعلها بالصورة التى تليق بأن نأخذها ونقدمها لله . ولا تعنى هذه الكلمة أن يصبح المسيحى محترما ، ولكنها تعنى أنه يجب عليه أن يكون كاملا . فمتى قلنا إن المسيحى يجب أن يكون « أوموموس » فان هذا يعنى ببساطة أن ينتقى إرضاء الذات ، وأن لا يقنع المرء بما هو أقل من الأسمى ، فهو تحد لأن يجعل الانسان حياته كاملة لدرجة يصلح معها تقدمة لله . فهذا يقضى على الروح التى تقول : « أعلم أن لى أخطاء ولكننى لا أستطيع أن أغيرها » . إنها نهاية تلك الروح التى تعلم أننا نقوم بعملنا بأقل من المستوى الذى كان يمكن أن ننجز به هذا العمل ، ولكنها أصبحت راضية تماما بما هو أقل من الأسمى . فهى تعنى ببساطة أن المستوى المسيحى لا يقل عن الكمال ، وأن المسيحى لا يعلق أهمية على أحكام النظرة البشرية ولكنه يفكر فى إرضاء نظرة الله الفاحصة .

الخطة الالهية

يتحدث بولس الرسول الينا فى هذه الفقرة عن الخطة الالهية . ومن الصور التى يستخدمها بولس الرسول أكثر من مرة للتعبير عما فعله الله للانسان صورة التبنى (راجع رو ٨ : ٢٣ ، وغل ٤ :

٥) فقد تبنانا الله فجعلنا أبناء فى أسرته . ففى العالم القديم ، حيث ساد القانون الرومانى ، كان لهذه الصورة معنى أعمق مما نفهمه اليوم . ففى العالم الرومانى ، كانت الأسرة تتأسس على ما يسمونه Pattia Potestas أى سلطة الأب . فبحكم القانون الرومانى كان للأب سلطان مطلق على أبنائه ما دام الأب والأبناء على قيد الحياة . فالأب الرومانى يستطيع أن يبيع ابنه عبدا ، أو حتى أن يقتل ابنه . فبحكم القانون الرومانى ، الذى كان سائدا فى أيام بولس الرسول ، كان للأب حق الحياة أو الموت على أبنائه . فيقول لنا ديون كاسيوس عن القانون الرومانى أن ذلك القانون « يعطى الأب سلطة مطلقة على ابنه وذلك على مدى حياة الابن . فيعطيه القانون سلطانا ، إن رغب فى ذلك ، لأن يسجنه ، أو يجلده ، أو أن يجعله يعمل فى مزارعه كعبد مقيد ، أو حتى أن يقتله . ويستمر سلطان الأب هكذا حتى لو كان الابن بالغا ، ويقوم بدور فعال فى شئون البلاد السياسية ، وحتى لو أعتبر أهلا لأن يشغل منصبا قضائيا ، بل حتى لو بلغ مركز الاحترام من كافة البشر . وصحيح أنه كان من المفروض أن يدعو الأب كل أفراد الأسرة البالغين من الذكور عند محاكمة ابنه ، الا أن الأب لم يكن ملزما أن يفعل ذلك .

وهنالك حالات حقيقية فيها حكم أب على ابنه فعلا بالموت . فيقول سالوست فى كتابه عن مؤامرة كاتيلين الفصل ٣٩ إن ابنا اسمه أولوس فولفيوس رافق كاتيلين الثائر ، ولكنه قبض عليه أثناء الرحلة وعادوا به وأمر والده بأن يقتل وقد فعل الأب ذلك بناء على سلطته الشخصية . وقال الأب موضحا قراره بأنه « أنجبه لا ليرافق كاتيلين ضد بلاده ولكنما ليدافع عن بلاده ضد كاتيلين » . وبموجب القانون الرومانى لم يكن للابن أن يملك أى شيء ، وكل ميراث يوصى أى انسان به له ، أو أى هدية تقدم له ، كانت تصبح ملكا لوالده . ولم يكن عمر الابن شيئا هاما ، كما أن مركزه ومسئولياته فى المجتمع لم تكن تهم فى شيء . فقد كان تحت سلطة أبيه المطلقة ، وفى مثل تلك الأحوال يعتبر التبنى خطوة خطيرة جدا . فلقد كان شيئا خطيرا أن تأخذ ابنا من « سلطان أب » وتضعه تحت « سلطان أب آخر » . الا أن ذلك لم يكن غير عادى فقد كانوا يتبنون الأطفال حتى لا تنقرض عائلة من العائلات فتستمر فى الوجود . ولابد أن الطقوس المرافقة للتبنى كانت تترك أثرا كبيرا فى النفس . وكانت عملية التبنى تتم بطريقة بيع رمزى يستخدم فيه الميزان والنحاس . فكان الأب الحقيقى يبيع ابنه مرتين ، وكان يشتريه رمزيا مرتين . وأخيرا كان يبيعه للمرة الثالثة ولا يشتريه ثانية . ثم يذهب الأب المتبنى بعد ذلك الى أحد كبار الحكام الرومان ويعرض قضية التبنى ويدافع عنها . ولا يتم التبنى الا بعد اتخاذ كل هذه الخطوات . ولكن متى تمت خطوات التبنى فإنه يتم فعلا . فالابن المتبنى له كافة حقوق الابن الشرعى فى الأسرة الجديدة كما أنه يفقد كل حقوق الأسرة القديمة تماما ، ويصبح شخصا جديدا فى حكم القانون بل إنه يصبح شخصية جديدة ، لدرجة أن كل الديون والمسئوليات الى ترتبط بأسرته القديمة تنتهى تماما وكأنها لم تكن .

هذا ما يقوله بولس إن الله قد فعله لنا . لقد كنا تحت سلطان الخطية والعالم تماما ، ولكن الله بالمسيح ، نقلنا من نفوذ هذه السلطة الى سلطته هو ، وهذا التبنى يلغى ويمحو كل الماضى ويجعل منا شيئا جديدا . فلقد انتقلنا من أسرة العالم والشر الى أسرة الله .

نواجه فى هذه الفقرة ثلاثة أفكار هامة فى الايمان المسيحى .

١ ـــ فهنالك فكرة الفداء والكلمة المستخدمة هى كلمة apolutrosis وهذه الكلمة مشتقة من الفعل Lutroun الذى يعنى يفدى . وهى تستخدم عن افتداء سجين حرب أو عبد . وهى الكلمة التى تستخدم عن تحرير شخص من عقوبة الموت نتيجة جريمة من الجرائم ، كما أنها الكلمة التى تستخدم عن انقاذ شعب الله فى القديم من العبودية فى أرض مصر ، وعن انقاذ الله المستمر لشعبه فى وقت ضيقتهم . وفى كل حالة نجد فكرة الانقاذ أو التحرير لانسان ، من موقف ما كان يمكن له أن ينقذ نفسه بنفسه منه ، أو من عقوبة ما كان يمكنه أن يفى بمطالبها . وبذلك فان أول ما يقوله بولس الرسول هو أن الله أنقذ البشر من حالة ما كان يمكن لهم أن يخلصوا أنفسهم منها . وفى حقيقة الواقع ، يعتبر هذا ما فعلته المسيحية بالضبط للبشر ، فاذ جاءت المسيحية للعالم كان البشر يتوجسون خيفة تحت ضغط الاحساس بالضعف والعجز . لقد كانوا يعرفون خطيتهم ويعرفون عجزهم ، كما كانوا يعرفون خطأ الحياة التى يعيشونها وعدم قدرتهم على القيام بأى شىء إزاء هذا الخطأ . ولقد كان سينيكا مليئا بالاحساس بالاحباط . ولذلك فقد قال البشر يعمرهم الاحساس بالعجز أمام الأشياء الضرورية ، كما أنه قال عن نفسه إنه انسان لا يطاق ، بل أنه قال بلغة مفعمة باليأس ، إن البشر يحبون شرورهم ويكرهونها فى نفس الوقت . وصرخ قائلا بأن البشر يحتاجون الى يد تمتد اليهم لترفعهم . وقد عرف أسمى مفكرى العالم الوثنى فى ذلك العصر ، وهم الذين يمثلون العقليات الحساسة فى جيلهم ، أنهم قد وقعوا فى حبائل شىء يعجزون عن أن يخلصوا أنفسهم منه . فهم فى حاجة الى التحرر والى قوة دافعة . وهذه هى الحرية التى جاء المسيح بها . ولا زال المسيح يحرر البشر بقوته من حال الاستعباد والعجز إزاء تلك الأشياء التى ينجذبون اليها ، ويشمئزون منها فى نفس الوقت . وببساطة فلا زال المسيح يستطيع أن يخرج من الأشرار قوما صالحين .

٢ ـــ وهنالك الغفران . لقد كانت المخاوف تساور العالم القديم نتيجة الشعور بالذنب . ولعلنا نستطيع أن نقول إن العهد القديم بجملته إنما هو مزيد من الايضاح للكلمات « النفس التى تخطىء ، هى تموت » (حز ١٨ : ٤) فقد كان البشر يحسون بجرمهم وكانوا يفزعون من إلههم أو من آلهتهم . ويقال أحيانا إن اليونانيين لم يكن لديهم إحساس بالاثم ، الا أن هذا القول إنما هو أبعد ما يكون عن الصواب . لقد قال هسيود « إن الناس يستمتعون بالبحث عن الممنوع » وكل روايات اشيلوس مبنية على نص واحد « الفاعل يعاقب » فمتى فعل إنسان شيئا سيئا فإن « نيميسيز » تطارده ، ولابد أن تلحق به . والعقاب يتبع الخطأ لا محالة ، كما يتبع الليل النهار . هذا ما عبر عنه شكسبير فى روايته « ريتشارد الثالث » :

إن ضميرى له آلاف الألسنة

وكل لسان يحكى كثيرا من القصص

وكل قصة تحكم على بأنى مجرم

فان كان هنالك شيء واحد عرفه البشر فهو الشعور بالخطية والخوف من الله . وقد غير المسيح كل هذا، وفتح الطريق الى الله . لقد علم الناس عن محبة الله ، لا عن كراهية . ولأن المسيح جاء الى العالم ، فقد اكتشف البشر محبة الله حتى وهم فى خطيتهم .

٣ — وهنالك الحكمة والفطنة . والكلمتان فى اليونانية هما :

Sophia & Phronesis أتى المسيح بهما لنا . وهذا حديث شيق جدا فلقد فكر اليونانيون فى هاتين الكلمتين وكتبوا عنهما ، واعتبروا أنه إن كانت لانسان هاتان الصفتان ، فإن هذا الانسان يعتبر مهيئا تماما للحياة . وقد عرف أرسطو Sophia أى الحكمة ، كمعرفة أثمن الأشياء . وعرفها شيشرون كمعرفة الأشياء البشرية والالهية معا . وهذه الكلمة تتعلق بالذهن الباحث ، والعقل المتسائل ، وبأقصى ما يصل اليه الفكر البشرى . Sophia إذن هى الاجابة على مشاكل الحياة والموت الأزلية ، والاجابة عن الأسئلة المتعلقة بالله والانسان ، والزمن والأزل . وعرف أرسطو Phronesis بأنها معرفة الشئون البشرية ، والأمور التى تحتاج الى تدبر . وعرف بلوتارك Phronesis بأنها المعرفة العملية للأمور التى تهمنا . وعرف شيشرون هذه الكلمة بأنها معرفة الأشياء التى يجب أن نسعى اليها والأشياء التى يجب أن نتجنبها . وعرف أفلاطون Phronesis كالاستعداد العقلى الذى يعاوننا لندرك الأشياء التى يجب أن نفعلها والأشياء التى يجب أن نتجنبها . « الفطنة » ، بمعنى آخر هى أكثر الأشياء العملية فى هذا العالم فهى الاحساس السليم الذى يعاون الانسان على أن يقابل المشاكل العملية فى حياته اليومية ويجد لها حلا . ويقول بولس إن المسيح أتى لنا بالحكمة Sophis وهى معرفة الأشياء الأزلية ، تلك المعرفة الذهنية التى تشبع العقل كما أن المسيح أتى لنا بالفطنة Phronesis وهى تلك المعرفة العملية التى تعيننا على مواجهة مشاكل الحياة اليومية وحلها . وهنالك تكامل خاص فى الشخصية المسيحية . فهنالك نوع من الناس يسهل عليه أن يجلس الى مكتبه وأن يدرس بسهولة ويسر المشاكل اللاهوتية والفلسفية ، الا أنه يعجز عن مواجهة شئون الحياة اليومية مواجهة عملية . وهناك نوع آخر من البشر وهو الذى يدّعى أنه رجل عملى مشغول تماما بمسئوليات الحياة ، لدرجة أنه لا يجد الوقت للتفكير فى الأشياء الأبقى . وفى ضوء عطية الله فى المسيح ، نرى أن كلا من هاتين الشخصيتين ناقص ومتطرف الى ناحية واحدة دون الأخرى ، والمسيح يأتى الينا بالحل لمشاكل الزمن والأبد . فالمسيح يعطى البشر المقدرة على رؤية حقائق الأزل الأسمى وعلى حل مشاكل كل لحظة من لحظات الزمن .

هدف التاريخ

هنا يواجه بولس الرسول موضوعه مواجهة تامة . فيقول إن الله قد عرفنا « بسر مشيئته » . ويستخدم العهد الجديد كلمة سر بمعنى خاص . فكلمة سر فى العهد الجديد لا تعنى شيئا يصعب إدراكه . ولكنها تعنى شيئا كان مكتوما لمدة طويلة ، وقد أعلن الآن ، إلا أنه لازال غامضا على الشخص الذى لم يتضح له معناه بعد . لنأخذ مثلا : فلنفترض أن شخصا لا يعرف شيئا عن المسيحية اطلاقا حضر خدمة العشاء الربانى ، فستكون هذه الخدمة بالنسبة له سرا كاملا ، فهو

لا يدرك شيئا مما يدور حوله . أما بالنسبة لشخص يعرف قصة المسيح ، شخص يعرف قصة ومعنى العشاء الربانى ، شخص يعرف كيف أن المسيح ترك هذه الذكرى لتلاميذه ، فكل الخدمة ، وكل تصرف فيها له معناه الواضح . وهكذا نرى أن السر فى العهد الجديد معناه أن شيئا كان خافيا على الذهن أصبح واضحا للمسيحى . فهو « سر » أعلن معناه .

وماذا كان معنى سر إرادة الله بالنسبة لبولس الرسول ؟ كان هذا السر بالنسبة لبولس هو أن الأمم أيضا قد صار لهم نصيب فى الانجيل . هنا يكمن سر الله العظيم . كان يلوح ، حتى مجىء المسيح ، أن اليهود كانوا شعب الله المختار ، الا أن الله أعلن أن حبه وعنايته ، نعمته ورحمته وأخباره السارة ، لا يقصد بها اليهود فقط ، ولكنها العالم أجمع .

ويقدم بولس فكرته العظيمة ، فى جملة واحدة ، فقد كان الناس يعيشون حتى ذلك الوقت فى عالم منقسم . فحيثما نظرت كان هنالك انقسام . كان هنالك الانقسام بين الوحوش والبشر . فلقد مزق تسلط الانسان وحدة الطبيعة . كان هنالك انقسام بين اليهود والأمم ، اليونانيين والبرابرة . ففى كل العالم كان هنالك انقسام وخصام ، حرب وكراهية وتباعد . هكذا كان حال العالم وحال الأفراد . فكل انسان كان يعيش فى حرب داخلية . ففى داخله كان التوتر والانقسام والمعركة بين الخير والشر ، بين الخطأ والصواب ، بين العقل والعاطفة ، بين الغرائز والإرادة . فحيثما نظرت فى هذا العالم ، كان هنالك الانقسام . وجاء المسيح الى العالم ليمحو الانقسام ، ويزيل التوتر ويسد الفواصل ويقارب بين المتباعدين ، ويوحد كل البشر . كان هذا هو سر الله فى نظر بولس الرسول . فلقد قصد الله أن تتجمع الأشياء المختلفة، وكل التشتت ، والحروب ، والمنافسة ، وعناصر الكراهية فى هذا العالم ، الى وحدة واتحاد فى المسيح يسوع . لقد جاء المسيح ليجعل العالم عالما واحدا فى نفسه .

وهنا نجد أنفسنا أمام فكر عظيم آخر من أفكار بولس الرسول ، فيقول إن كل التاريخ إنما كان تنفيذا لهذه الخطة . ففى كل العصور كان هنالك تخطيط ، وترتيب للأحداث ، وتدبيز للأمور ، ليأتى يوم الوحدة هذا . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول عن هذا التدبير وهذا التخطيط كلمة مشوقة جدا . فالكلمة اليونانية هى Oikonomia وهى تعنى حرفيا إدارة الشئون البيتية . ولقد كان اليونانيون يطلقون اسم Oikonomos على الخادم الذى كان يدبر شئون العائلة لتسير فى سهولة ودون تقلقل . فيقول بولس الرسول إن كل التاريخ انما كان تخطيطا ، وتفكيرا ، وتدبيرا ، وترتيبا ينتهى بأن يكون العالم عائلة واحدة لله .

فالمسيحية تعتقد اعتقادا راسخا بأن التاريخ انما هو خطة ، وله هدف ، وأنه تنفيذ لإرادة الله . وليس هذا ما استطاع كل مؤرخ أو مفكر أن يراه . فقد قال أوسكار وايلد فى إحدى عباراته المشهورة : « إنك تقدم أحداث أوربا الاجرامية لأولادك تحت اسم التاريخ » . وقال ج . ن كلارك فى الخطاب الافتتاحى الذى ألقاه فى كمبردج : « لا يوجد سر ولا توجد خطة فى التاريخ ، فنبحث عنها ونكتشفها ولا أعتقد أن هنالك ختاما لحوادث المستقبل يمكن أن يعطى معنى للأمور اللامعقولة فى العصور السابقة . فإن لم يمكن شرحها ، فإنه من الأصعب جدا تبريرها » . وفى مقدمة كتابه

عن تاريخ أوربا يقول : هـ . أ . ل . فيشر — « هنالك لذة عقلية قد حرمت منها . فهناك من هم أحكم منى ، ومن تعمقوا فى الدراسة أكثر منى ، ممن استطاعوا أن يكتشفوا فى التاريخ خطة ، ورتابة ، ونمطا مقررا للأحداث . ومثل هذا التوافق قد خفى على . فلم أستطع أن أرى سوى حالة طارئة تتبع حالة طارئة ، كما تتعاقب الأمواج ، حقيقة كبيرة لا يمكن التعميم إزائها حيث أنها حقيقة فريدة . فهنالك قاعدة واحدة مأمونة للمؤرخ ، أن يلاحظ فى تطور المصير البشرى تفاعل الأشياء الطارئة وغير المتوقعة » . ويقول اندريه موريس : « إن الكون يتسم بعدم المبالاة . من الذى خلقه ؟ لماذا نجد أنفسنا فوق هذه الكومة الصغيرة من الأوحال فى الفضاء غير المتناهى ؟ لست أدرى اجابة ، وأثق أنه لا يوجد هنالك من يدرى » . فنحن نعيش فى عصر فقد فيه الناس ايمانهم بأن هنالك هدفا فى هذا العالم . الا أن المسيحى يؤمن بأن الله ينفذ قصده فى هذا العالم . وكان اعتقاد بولس الراسخ أن ذلك القصد هو أنه فى يوم من الأيام ستصبح كل الأشياء وكل البشر عائلة واحدة فى المسيح . ويعتقد بولس الرسول أن كل التاريخ يسير نحو هذا الهدف . وكان يعتقد أن ذلك السر ، ذلك الأمر الغامض لم يدركه أحد حتى أن جاء المسيح . ويرى بولس أن المسئولية العظيمة التى تقع على عاتق الكنيسة هى أن تنفذ غرض الوحدة الذى هو قصد الله أعلنه فى المسيح يسوع .

اليهود والأمم

هنا نجد المثال الأول الذى يقدمه بولس الرسول عن الوحدة الجديدة التى يأتى المسيح بها . وعندما يقول بولس الرسول « نحن » فانه يعنى أمته هو ، التى هى شعب اليهود . وعندما يقول « أنتم » فانه يعنى الأمم الذين كان يكتب اليهم . أما فى الجملة الأخيرة فعندما يقول « نحن » فانه يفكر فى اليهود والأمم معا .

ويتحدث بولس الرسول أولا عن اليهود . فلقد كان لهم نصيبهم فى خطة الله ، فهم أول من آمنوا بمسيح الله وأول من انتظروه . وفى كل تاريخهم ، كان اليهود يرجون ويأملون ويتوقعون مجىء المسيا . وكان نصيبهم فى خطة الله أن يكونوا الأمة التى يأتى منها مختار الله . قال آدم سميث ، الاقتصادى المشهور ، إن كل أنماط الحياة مبنية على ما أسماه ، توزيع الاختصاصات ، وقصد بذلك أن الحياة لا يمكن أن تسير سيرا رتيبا ما لم يكن لكل انسان عمل ، وما لم يقم كل واحد بعمله ، وما لم تتجمع نتائج كل الأعمال لتصبح ملكا للجميع . فالاسكافى يصنع الأحذية — والخباز يصنع العيش — والخياط يصنع الملابس ولكل واحد وظيفته ، ويلتزم كل واحد بوظيفته . وعندما ينجز كل واحد عمله بأمانة وباتقان يؤدى ذلك لخير المجتمع بأسره . وما يصح أن نقوله عن الأفراد يمكن أن نقوله عن الأمم . فكل أمة لها مكانها ولها نصيبها فى خطة الله . فلقد علم اليونانيون البشرية جمال الفكر وترتيبه ، وعلم الرومانيون البشرية القانون وعلم الحكم والادارة ، وعلم اليهود البشر الدين . ولقد كان اليهود مستعدين تماما ، ولذلك جاء المسيح منهم . ونحن لا نقول إن الله لم يعد شعوبا أخرى . فلو لم تكن بعض الأمم الأخرى معدة لما أمكن لهم أن يستقبلوا رسالة المسيحية عندما أتت اليهم . لقد كان الله يهىء البشرية فى كل أنحاء العالم ليكون ذهنها معدا لاستقبال الرسالة متى أتت . الا أن امتياز اليهودية العظيم هو فى كونهم كانوا أول أمة تتوقع وتنتظر مجىء مختار الله

ومسيحه الى العالم . ثم يتحول بولس الرسول بحديثه الى الأمم . ويرى بولس فى تطورهم ثلاث خطوات :

١ ــ لقد قبلوا الكلمة : فقد قدم لهم وعاظ المسيحية رسالة المسيحية ، والكلمة التى قبلوها تتكون من شيئين . فهى أولا كلمة الحق لأنها قدمت لهم الحق عن الله والحق عن العالم الذى يعيشون فيه والحق عن أنفسهم . وهى ثانيا : أخبار سارة . فالمسيحية تتميز بأنها أخبار سارة عن الله ، فهى رسالة محبة الله ونعمته .

٢ ــ لقد ختموا بالروح القدس : كانوا فى العالم القديم ــ وهذه عادة لازالت متبعة ، عندما يرسلون حقيبة أو طردا من الطرود يختمونه بخاتم يضمنون به أنه قد جاء من الراسل وأنه قد وصل سالما . وكان الختم يوضح من أين جاءت الرسالة والشخص الذى تخصه . وامتلاك الروح القدس هو الختم والعلامة التى توضح أن الانسان ينتمى لله . والروح القدس هو الذى يعرف الانسان بالله ، والروح القدس هو الذى يعضد الانسان ليواجه الحياة ولا يتحطم : فالروح القدس هو الذى يعرف الانسان بما يجب عليه أن يفعله وهو الذى يعضده ليقوم بما يطلب منه . لأن الروح القدس يعلن لنا ارادة الله ويقوينا لننفذها .

ويقدم بولس الرسول هنا فكرة عظيمة عن الروح القدس ، فهو يسميه « عربونا » . والكلمة اليونانية هى arrabon وتعبر هذه الكلمة عن إحدى السمات المميزة لعالم اليونان التجارى . فلقد كان « العربون » جزءاً من الثمن ، يدفع مقدما كضمان بأن بقية الثمن سيدفع فى الوقت المناسب . وهنالك كثير من المستندات التجارية اليونانية القديمة التى لازالت موجودة بين أيدينا تستخدم فيها هذه الكلمة . فهنالك امرأة تبيع بقرتها وتتسلم عددا من الدراخمات « كعربون » ، وهذا هو الضمان والتأكيد أن الثمن الكامل سوف يدفع . وهنالك أمثلة أخرى مشابهة ، وبذلك فان ما يقوله بولس هو أن اختيار الروح القدس الذى نناله فى هذا العالم ، انما هو تذوق مبدئى لأفراح وبركات السماء ، وهو الذى يعطينا ضمانا بأننا سنصل الى كمال المعرفة والقوة والفرح يوما من الأيام ، وهو الضمان بأننا سنمتلك يوما بركة الله الكاملة .

فهنا نجد الحقيقة العظيمة بأن أعظم وأعلى وأغلى ما يمكن أن يختبره المؤمن فى هذا العالم من السلام والفرح انما هو مجرد تذوق بسيط للفرح الذى سنستمتع به يوما من الأيام . فكأن الله قد أعطانا ما يكفى لتشويقنا الى المزيد ، وما يكفى لأن يؤكد لنا أنه سيمنحنا كل شيء .

علامات الكنيسة

(أفسس ١ : ١٥ ــ ٢٣)

والجزء الهام جدا ، وهو الخطوة الثانية الكبيرة فى حديث بولس الرسول يقع فى نهاية هذا الفصل الكبير . الا أننا قبل أن نصل الى ذلك يجب أن نلاحظ بعض الأمور التى نجدها فى الآيات السابقة .

وهنا نجد أنفسنا أمام ملخص **شامل** لخصائص الكنيسة الحقيقية . فلقد سمع بولس الرسول عن ايمانهم بالمسيح وبمحبتهم لكل شعب الله المكرس له . والشيئان اللذان يجب أن تتصف بهما الكنيسة الحقيقية هما **الولاء للمسيح والحب للبشر** . هنالك ولاء للمسيح لا يؤدى الى المحبة للبشر . فالرهبان والنساك قادهم ولاؤهم للمسيح الى الانفصال عن إخوتهم البشر ، ودفعهم لأن يهجروا أنشطة الحياة العادية ليعيشوا منفردين فى الصحارى . والذين كانوا يقودون محاكم التفتيش فى أسبانيا ويحثون عن المراطقة ، وأمثالهم كثيرون فى العصور المختلفة ، دفعهم ولاؤهم **للمسيح لأن يضطهدوا** الذين اختلفوا عنهم . وقبل أن يأتى المسيح كان **ولاء الفريسيين لله يجعلهم يمجدون برهم الذاتى وينظرون باحتقار** لأولئك الذين اعتبروهم أقل ولاء من أنفسهم . والمسيحى الحقيقى يحب المسيح ويحب إخوته البشر . وأكثر من ذلك ، فإن المسيحى الحقيقى يعلم أنه لا يستطيع أن يظهر حبه للمسيح بوسيلة أخرى غير أن يظهر حبه للآخرين . ومهما كانت أى كنيسة تعتز باستقامة تعليمها ونقاء لاهوتها ، ومهما سما أسلوب عبادتها فهى ليست كنيسة حقيقية بالمعنى الصحيح إن لم تتميز بالحب للبشر . فهنالك كنائس لا تعبر عن رأيها علنا الا لإدانة عيوب الآخرين ، فصوتها صوت النقد المستمر وقد يكون تعليمها صحيحا ، ولكنه ليس مسيحيا . فالكنيسة الحقيقية تتميز بهذا الحب المزدوج الحب للمسيح والحب للبشر . وقد قدم روبرت بوكانن فى كتابه « ظل السيف » وصفا لما سماه كنيسة الكراهية فقال : « كانت هذه الكنيسة قائمة فى بقعة جرداء فى انجلترا منذ مئة عام . وكانت حطاما : فالحوائط سوداء وقد لطختها مخلفات الكروم : ومن حول المذبح المتداعى نبتت الأعشاب وارتفعت — وكان الضباب الأسود المحمل بالأمطار يخيم ليل نهار على هذا المكان الحزين . وعلى باب تلك الكنيسة ظهر اسمها وقد كاد أن ينمحى . وكانت مكرسة لسيدة الكراهية . ويقول بوكانن : « فى ساعات الانفعال والألم كان الرجال والنساء يأتون الى هذه الكنيسة ليصبوا لعناتهم على أعدائهم — فالشابة تلعن من خانها والشاب يلعن من خانته ، والزوج يلعن زوجته الخائنة — والجميع يصلون ، لتستمع اليهم سيدة الكراهية وهم يطلبون أن عدوهم يموت خلال العام » . ثم يقول الروائى متهكما : « لقد سطع نور المسيحية اللطيف بعمق فى عقول هؤلاء ! » . إن فكرة إنشاء كنيسة للكراهية فكرة مكروهة ولا شك ، إلا أننا نتساءل هل نحن دائما بعيدون عن مثل هذه الفكرة ؟ فنحن نكره المتطرفين والمتحررين ، ونكره المتزمتين ، نحن نكره من يعتقد بغير اعتقادنا فنكره الكاثوليك أو البروتستانت كيفما كانت حالتنا . ونحن نصدر البيانات التى لا تتميز بالمحبة المسيحية ، بل تفيض بالمرارة التى تحكم على الآخرين . ولعله يجدر بنا أن نتذكر بين وقت وآخر أن الحب للمسيح ، والحب للآخرين لا يمكن أن يعيش أحدهما بدون الآخر . إن مأساتنا هى أنه كثيرا ما يصدق فينا قول سويفت : « عندنا قدر من الدين يدفعنا للكراهية ، لكن لا يوجد لدينا القدر الكافى الذى يدفعنا لأن نحب بعضنا بعضا » .

صلاة بولس لأجل الكنيسه (أفسس ١ : ١٥ — ٢٣ تتمة)

فى هذه الفقرة نرى بولس الرسول يصلى لأجل كنيسة يحبها وكان حالها طيبا .

١ — إنه يصلى لأجل روح الحكمة . والكلمة التى يستخدمها للتعبير عن الحكمة هى Sophia

وقد رأينا من قبل أن هذه الكلمة تعبر عن الحكمة فيما يتعلق بالأشياء الالهية العميقة . فهو يصلى لكى تتعمق الكنيسة أكثر فأكثر فى معرفة الحقائق الأزلية . وإن كان لهذا أن يحدث فى الكنيسة فهنالك أشياء أساسية .

(أ) يجب أن يكون لدينا شعب مفكر . ويقول بوزوال إن جولد سميث قال مرة : « كما آخذ حذائى من صانع الأحذية ، ومعطفى من الخياط كذلك آخذ ديانتى من الكاهن » . وكثيرون يعيشون على هذا المنوال . إلا أن الديانة لا تساوى شيئا على الاطلاق إن لم تكن اكتشافا شخصيا ، كما قال عنها أفلاطون قديما : « إن حياة تخلو من التساؤل والتحرى لا يجدر بالمرء أن يحياها » . « والديانة التى تخلو من التساؤل والتحرى لهى ديانة يجدر بالمرء أن لا يتبعها . إن الانسان المفكر مسئول بأن يفكر فى طريقه الى الله .

(ب) يجب أن تكون لدينا خدمة تعليمية . وقال وليم شلنجورز : « إن الكتاب المقدس ، والكتاب المقدس وحده ، هو ديانة البروتستانت » هذا حق — الا أننا كثيرا ما لا نفكر فى ذلك . إن تفسير الكتب المقدسة من المنبر هو الضرورة الأولى نحو اليقظة الروحية ، ونحن لا يهمنا ماذا يفتكر الواعظ ولكن ماذا يقول الله .

(ج) إننا فى حاجة لأن نعيد التفكير لنصل الى التناسب الصحيح بين الأشياء . إنه من الأشياء العجيبة فى حياة الكنيسة أنه فى محاكم الكنيسة مثل مجلس الكنيسة والمجمع وحتى المحفل العام ، نقضى ساعات طويلة فى مناقشة مشاكل بشرية ادارية مقابل كل ساعة واحدة نقضيها فى مناقشة حقائق الله الأزلية . فانها حقيقة واضحة أن المناقشات اللاهوتية فى محاكم الكنيسة أصبحت نادرة فى هذه الأيام . وصلى بولس الرسول أن يقود الله شعبه الى حكمة أعمق فى أمور الله الأزلية . ومثل هذه الصلاة لا يمكن أن تستجاب إن لم نقض وقتا فى التأمل فى أمور الله الأزلية .

٢ — يصلى بولس الرسول لأجل إعلان أكمل ولأجل معرفة أكمل لله . فالنمو فى المعرفة والنمو فى النعمة ضروريان للمسيحى . فكل من يزاول أية مهنة يعلم أنه لا يجرؤ على أن يكف عن الدراسة . فلا يوجد هنالك طبيب يعتقد أنه بإنهاء دراسته الجامعية قد تلقن كل العلوم التى يمكن لانسان أن يتعلمها . فهو يعلم أنه أسبوعا من بعد أسبوع ، بل ربما يوما من بعد يوم ، هنالك اكتشافات حديثة فى الأدوية وطرق العلاج . ولذلك فهو يعلم أنه إن كان يرغب فى أن يستمر فى نشاطه كطبيب وأن يستمر فى أن يقدم خدماته للمرضى والمتألمين فيجب أن يواصل التعليم ، وهكذا الحال مع المسيحى . فالحياة المسيحية يمكن أن توصف بأنها هى التعرف الى الله معرفة أفضل يوما فيوما . فالصداقة التى لا تنمو بمرور الأعوام انما تنتهى ، وهكذا علاقاتنا بالله .

٣ — وهو يصلى لأن يتحقق ويتأكد الرجاء المسيحى من جديد . ولعل إحدى سمات العصر الذى نعيش فيه أنه عصر اليأس . قال توماس هاردى : « أعتقد أحيانا أن العوالم المختلفة إنما تشبه التفاح فوق الشجرة . بعضها جميل وبعضها ردىء ، ثم يتساءل بعد ذلك عن عالمنا ، واذا به يقول إنه من النوع الردىء . قال سير فيليب جيبس فى فترة ما بين الحروب : « ان كنت أشتم رائحة الغازات السامة فى الشارع القريب فاننى سوف لا ألبس قناع الغازات السامة أو أذهب الى غرفة

مجهزة ضد تلك الغازات ، بل سأخرج الى الخارج وأستنشق تلك الغازات السامة لأننى سأعلم أن الأمر قد انقضى . فهنالك من يشعرون أننا نعيش فى عالم قد انقضى فيه الأمر . وقد قال هـ . ج . ويلز مرة يائسا : « إن الانسان الذى بدأ حياته فى كهف سينهى حياته فى جو من المرض بين الحطام » . واننا لنسمع أصوات المتشائمين من كل ناحية . فالعصر الذى نعيش فيه هو أحوج العصور لأن يستمع لصوت بوق الرجاء المسيحي . فان كانت رسالة المسيحية رسالة حقيقية ، وان كان الله فعلا كما علمنا عنه يسوع المسيح ، فان العالم ليس فى طريقه الى الانحلال بل الى الاكتمال .

٤ — ويصلى لأجل تحقيق جديد لقوة الله . والدليل العظيم لقوة الله فى نظر بولس الرسول هو القيامة . فعندما عملت الخطية كل ما فى وسعها لتقضى على المسيح ، وعندما فعل البشر أقصى ما يستطيعون للتخلص من المسيح ، أثبتت قيامة يسوع أن قوة الله أقوى من خطية البشر ، وأن غرض الله لا يمكن أن يوقفه أى عمل بشرى . ففى العالم الذى تشيع فيه الفوضى يجدر بنا أن نتذكر أن قائد السفينة المجهول الذى يسميه البشر الله لازال يمسك بزمام الأمور .

٥ — يختم بولس حديثه بأن يشير الى انتصار المسيح فى عالم قد لا نهتم به كثيرا فى هذه الأيام . فيقول : « فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى » . ففى أيام بولس الرسول كان البشر يؤمنون بشدة بالشياطين والملائكة . والكلمة التى يستخدمها بولس إنما هى ألقاب درجات متنوعة من الملائكة . وما يقوله بولس هنا هو إنه لا يوجد كائن ما كان ، فى السماء أو على الأرض الا وقد فاق المسيح عنه وعظم . فكأنى ببولس الرسول يقول : « إن لكم فى المسيح أعظم وأقوى صديق فى السماء وعلى الأرض » . فجوهر صلاة بولس هو أن يتحقق البشر عظمة السيد والمخلص الذى أعطاه الله لهم .

جسد المسيح (أفسس ١ : ١٥ — ٢٣ تتمة)

نأتى الآن الى الآيتين الأخيرتين من هذا الفصل واللتين يقدم بولس الرسول فيهما فكرة من أعظم وأجرأ الأفكار التى عرفها البشر ، فكرة تسمو وترتفع بالبشرية وتشجعها . ففى هاتين الآيتين يطلق على الكنيسة لقبها العظيم — **جسد المسيح** . فالمسيح هو رأس الكنيسة، والكنيسة هى جسد المسيح .

ولكى نتفهم ما يقصده بولس الرسول لنعد الى الفكرة الأساسية لهذه الرسالة . فالعالم كما نراه اليوم ملىء بالانقسام . هنالك انقسام بين اليهودى والأممى ، بين اليونانى والبربرى — هنالك انقسام بين أفراد الأمة الواحدة — وهنالك انقسام داخل كل انسان ، ففى كل واحد يتصارع الخير مع الشر — هنالك انقسام بين الانسان والوحوش ، فالانسان والوحوش أعداء بدلا من أن يكونوا أصدقاء ، وفوق كل هذا هنالك انقسام بين الانسان والله . وكان بولس الرسول يرى أن يسوع قد مات ليوحد بين كل العناصر غير المتوافقة فى الكون ، ويمحو كل الانقسامات والفواصل ويصالح الانسان مع أخيه الانسان ويصادق الانسان مع الله . فقد كان المسيح يسوع قبل كل شىء هو أداة الله للمصالحة . فمات المسيح ليجعل من كل الأشياء ومن كل البشر أسرة واحدة ووحدة

واحدة . الا أنه من الواضح أن الوحدة لم تتم بعد . فلنوضح هذا بمثال بشرى . لنفرض أن طبيبا عظيما يعمل فى معمله وفى مستشفاه ويكتشف يوما علاجا لداء السرطان وهكذا يصبح العلاج موجودا . الا أنه قبل أن يصبح فى متناول الجميع ، وقبل أن يشفى جميع من يعانون من السرطان فى جميع أنحاء العالم ، يجب أن يصل هذا العلاج لجميع البلاد . ويجب أن يعلم الأطباء والجراحون عنه ويجب أن يتدربوا على استخدامه . فالعلاج موجود ــ الا أن الانسان الواحد لا يمكن أن يحمله الى مختلف أنحاء العالم ــ فيجب أن تعرف مجموعة الأطباء عنه وعن كيفية استخدامه ، ويجب أن يكونوا هم الوكلاء والوسطاء الذين يصل بهم العلاج الى المتألمين فى جميع أنحاء العالم . وهذه بالضبط هى علاقة الكنيسة بالمسيح . فانه فى المسيح يصبح كل البشر وتصبح كل الأمم وحدة واحدة . الا أنه قبل أن يحدث هذا يجب أن يعرف كل البشر ، وأن تعرف كل الأمم عن المسيح يسوع . إن حقه ونعمته وغفرانه وحبه يجب أن تصل الى كل إنسان . وهذه هى مسئولية الكنيسة . فالمسيح يسوع هو أداة الله التى بها يوحد بين عناصر العالم المتحاربة والمتنافرة فتتحد فيما بينها وتتحد مع الله ــ والكنيسة هى أداة المسيح يسوع التى بها يتم هذا الاتحاد . فالمسيح هو الرأس ــ والكنيسة هى الجسد . فالرأس وحده بلا عمل ، إنه عقل ولكن ما هى فائدته . فيجب أن يكون للرأس جسد يوجهه ــ ويجب أن يكون للعقل جسد يعمل من خلاله . والكنيسة حرفيا هى الأيدى التى تقوم بعمل المسيح . وهى الأقدام التى تسعى لتؤدى ما يريد هو أن يقوم به ، وهى الصوت الذى يتحدث بكلامه .

وفى العبارة الأخيرة من هذا الفصل يقدم بولس الرسول فكرتين عظيمتين . فيقول إن الكنيسة هى ملء المسيح . فكما أن الجسد هو امتداد واستكمال للعقل ، كذلك الكنيسة هى امتداد واستكمال للمسيح . فكما أن أفكار العقل وتصوراته واكتشافاته لا يمكن أن يكون لها أى تأثير دون عمل الجسد كذلك سر المسيح العظيم ومجده اللذان أتى بهما الى العالم لا يمكن أن يكون لهما أى تأثير دون عمل الكنيسة . ثم يستطرد بولس فيقول إن المسيح يملأ شيئا فشيئا كل الأشياء فى كل الأماكن وأن الكنيسة تقوم بعملية الملء ولذلك فيجب عليها أن توصل سر المسيح الى كل البلاد والى جميع البشر . وتعتبر هذه من أعظم أفكار المسيحية . وهذا لا يعنى أقل من أن خطة الله للعالم الواحد انما هى بين يدى الكنيسة . فلقد قصد الله أن يصنع عالما تتحد فيه كل العناصر المتحاربة ويصبح متحدا معها . ولكى تتم هذه الخطة أرسل يسوع المسيح . ففى المسيح سر الاتحاد . الا أن الرسالة والقوة يجب أن تصل لكل البشر ، والكنيسة هى جسد المسيح ، الأداة التى يعمل المسيح من خلالها فى العالم . وتنفيذ خطة الله يعتمد على الكنيسة .

وهنالك تصوير قديم قد استخدم كثيرا إلا أنه يوضح فى ايجاز هذه الحقيقة العظيمة . فهنالك أسطورة تروى كيف عاد المسيح الى السماء بعد الفترة التى قضاها فوق أرضنا . الا أنه حمل فى السماء علامات الآلام التى تألم بها على الصليب . وكانت الملائكة تتحدث اليه وقال له جبرائيل : « ياسيد ، يلوح أنك قاسيت كثيرا لأجل البشر هنالك فى الأرض » . فقال له يسوع : « نعم لقد قاسيت » فقال له جبرائيل : « فهل يعلمون جميعا مقدار الحب الذى أحببتهم به ومقدار ما فعلت لأجلهم ؟ » فأجاب يسوع : « كلا ، إن هذا لم يحدث بعد . ففى الوقت الحاضر هنالك مجموعة

قليلة من البشر فى فلسطين تعرف هذه الحقيقة » . فتسائل جبرائيل : « وماذا فعلت ليعرف الجميع عن حبك ؟ » فقال يسوع : « لقد طلبت من بطرس ويعقوب ويوحنا وجماعة قليلة غيرهم أن يجعلوا الحديث عنى شغلهم الشاغل فى الحياة وهؤلاء يحدثون آخرين ، وآخرون يحدثون غيرهم ، ليعرف من يسكنون أقصى البقاع ما فعلت » . « وظهرت على وجه جبرائيل علامات الشك الكبير لأنه كان يعرف معدن البشر . فقال : « نعم ، ولكن ماذا لو أصاب الملل بطرس ويعقوب ويوحنا ؟ وماذا لو نسى الناس الذين يأتون من بعدهم ؟ وماذا لو أن الناس هنالك فى القرن العشرين لم يحدثوا الآخرين عنك ؟ هل وضعت خطة أخرى ؟ ».فأجابه يسوع : « اننى أعتمد عليهم » . فاذ نقول إن الكنيسة هى الجسد ، وهى امتداد للمسيح ، فان هذا يعنى بالضبط أن المسيح يعتمد علينا .

الأصحاح الثانى

الحياة بدون المسيح ونعمة الله

(أفسس ٢ : ١ — ١٠)

فى هذه الفقرة يفيض فكر بولس الرسول دون اعتبار لقواعد النحو ، فهو يبدأ بعض الجمل ، ولكنه لا يكملها ، وهو يبدأ فى تركيب عبارة وفى منتصف الطريق يتجه الى عبارة أخرى ، وينسى الأولى . وسبب هذا هو أن هذه الفقرة انما هى أنشودة يتغنى بها عن محبة الله وليست شرحا لاهوتياً . وأغانى الطيور المغردة لا يمكن أن نحللها على أساس القواعد الموسيقية . فالطيور المغردة تغنى لأنها تستمتع بالغناء . وهذا ما يفعله بولس الرسول هنا ، فهو يسكب قلبه ، ولذلك فان متطلبات اللغة يجب أن تفسح مجالا لمعجزة النعمة .

الحياة بدون المسيح (أفسس ٢ : ١ — ٣) :

عندما يقول بولس الرسول **أنتم** ، فهو يتحدث الى الأمم ، وعندما يقول **نحن** فهو يتحدث عن اليهود ، الذين هم شعبه . وفى هذه الفقرة يوضح بولس الرسول شناعة الحياة بدون المسيح سواء بالنسبة للأمم أو اليهود على السواء .

١ — فهو يقول أولا ان مثل تلك الحياة هى حياة فى الخطايا والذنوب . والكلمات التى يستخدمها طريفة للغاية . فكلمة خطايا هى كلمة hamartia وهى كلمة تتعلق بالتصويب نحو الهدف . وهى تعنى حرفيا **عدم اصابة الهدف** . فالانسان يرمى بسهمه نحو هدف ، والسهم لا يصيب هدفه ، هذا ما تعنيه كلمة hamartia وهذا يرينا أن الخطية هى الفشل فى أن نبلغ هدف الحياة ، فالخطية هى الفشل فى أن نكون ما يجب أن نكون عليه وما يمكن أن نحققه . وهذا بالضبط هو ما يجعل الخطية عامة شاملة لجميع البشر . ولدينا عادة فكرة خاطئة عن الخطية . فنحن مستعدون لأن نوافق على أن السارق والقاتل والنشال والسكير ورجل العصابات كلهم خطاة ، ولكننا ، بما أن أغلبنا مواطنون محترمون ، نظن فى أعماق نفوسنا أن الخطية لا شأن لها بنا . بل لعلنا نرفض بانفعال أن يقال عنا اننا خطاة نستحق جهنم . الا أن هذه الكلمة **hamartia** تضعنا وجها لوجه أمام حقيقة الخطية . فالخطية ، ولنقلها مرة ثانية ، هى الفشل فى أن نكون ما يجب أن نكون عليه والفشل فى تحقيق ما يمكن أن نحققه فى حياتنا . فهل الزوج على أحسن ما يمكن أن يكون عليه الزوج ؟ هل يسعى لأن تكون حياة زوجته حياة سهلة ؟ وهل يفرض مزاجه وأهواءه ومضايقاته على عائلته ؟ وهل الزوجة على أحسن ما يمكن أن تكون عليه الزوجة ؟ هل تهتم فعلا بعمل زوجها وتحاول أن تتفهم مشاكل ومشاغل الرجل الذى يعتمد البيت على عمله ؟ هل نحن آباء على أحسن ما يمكن أن يكون عليه الآباء هل هذبنا أبناءنا ودربناهم كما يجب أم هل تهربنا من المسئولية ؟ وعندما ابتدأ أبناؤنا يكبرون هل اقتربنا اليهم أكثر ، أم هل تباعدنا عنهم لدرجة أن أصبحت المناقشة معنا

أمرا صعبا وأصبحنا غرباء ؟ هل نحن كأبناء وبنات على أفضل ما يمكن أن يكون عليه الأبناء والبنات ؟ هل حاولنا أن نشكر ، أو أن نرد شيئا مما قدم لنا ؟ هل لاحظنا علامة الألم على وجه آبائنا ونحن نعلم أننا نحن الذين آلمناهم ؟ هل كنا عمالا على أحسن ما يمكن أن يكون عليه العمال ؟ هل شغلنا كل ساعة من ساعات العمل بأقصى قدر ممكن كما يمليه علينا ضميرنا ؟ وهل يتم كل عمل بأكمل صورة يمكن أن يتم بها ؟ عندما ندرك ما هى الخطية يمكننا أن نرى أن الخطية ليست شيئا قد اخترعه اللاهوتيون . فالخطية شيء قد تشبعت به الحياة وقد تغلغل فيها . فالخطية هى أننا ، فى أى ناحية من نواحى الحياة ، نفشل فى أن نكون ما يجب أن نكون عليه ، وما يمكن أن نحققه فعلا . والكلمة الثانية التى يستخدمها بولس الرسول هى كلمة **ذنوب** وهى الكلمة Paraptoma وهذه الكلمة تعنى حرفيا انزلاق أو سقوط فهى تستخدم عن انسان يضل الطريق ، ويمضى تائها ، وهى تستخدم عن انسان لا يستطيع أن يدرك الحق ، ولذلك يبتعد عن جادة الصواب . فالخطايا والذنوب هى أن يسير الانسان فى الطريق الخاطىء بينما كان يمكنه ، وكان يجب عليه ، أن يسير فى الطريق الصحيح ، فهى أن نضل عن الحق الذى كان يمكننا وكان يجب علينا أن نعرفه . فالخطية هى أن نفشل فى أن نبلغ هدف رحلة الحياة والغاية التى كان ينبغى أن نبلغها . فهل نحن فى الحياة حيث يجب أن نكون ؟ هل بلغنا هدف الكفاءة والمهارة والانتاج الذى كان يمكن لنا بلوغه ؟ هل وصلنا فى خدمتنا للآخرين ما كان يمكننا أن نصل اليه ؟ هل وصلنا فى سعينا نحو الحياة الصالحة ما كان يمكن أن نصل اليه ؟ هل نحن على الطريق الصحيح ، أم ضللنا ، وانجرفنا عند نقطة معينة من الحياة ؟ .

فالفكرة المركزية للخطية هى فكرة الفشل ، الفشل فى بلوغ الهدف الفشل فى السير على الطريق الصحيح ، الفشل فى أن نجعل من الحياة ما كان يمكن أن تكون عليه ، وتعريف الخطية بهذه الصورة يشملنا جميعا . وعندما ندرك ما هى الخطية ، لا يساورنا شك فى عمومية الخطية ، وأننا نحن خطاة .

موت فى الحياة (أفسس ٢ : ١ ـــ ٣ تتمة)

يتحدث بولس الرسول عن البشر فيقول إنهم **أموات فى الذنوب** . فماذا يعنى بذلك ياترى ؟ ظن البعض أن هذا يعنى أنه بدون المسيح يعيش البشر فى حال الخطية مما يقودهم فى الحياة الآتية الى موت النفس . الا أن بولس الرسول لا يتحدث عن الحياة الآتية ، إنه يتحدث عن هذه الحياة الحاضرة فى هذا العالم . فالخطية دائما لها قوة قاتلة . وهناك اتجاهات ثلاثة يكون فيها تأثير الخطية مميتا قاتلا :

١ ـــ **الخطية تقتل البراءة** : لا يمكن أن يكون المرء كما هو بعد أن يخطىء . يقول علماء النفس إننا لا ننسى اى شيء على الاطلاق . فقد يختفى شيء من ذاكرتنا الواعية من بين الأشياء التى نذكرها ، الا أن كل شيء فعلناه أو رأيناه أو سمعناه يختزن فى ذاكرتنا غير الواعية . وقد لا نعلم أنه فى ذاكرتنا ، الا أنه يختزن هناك . ونتيجة ذلك أن الخطية تترك أثرا دائما على الانسان . وهنالك مثال لذلك فى إحدى روايات دى موريه فيقول إن طفلا صغيرا اشترك لأول مرة فى حياته فى

حفل وزعوا فيه المسكرات وشرب حتى سكر فيقول إنه بعد أن نام لمدة حوالى ثمانية وأربعين ساعة أو ما أشبه وبعد ما أفاق من رائحة ذلك الحفل وجد أن شيئا مؤسفا وغريباً قد حدث له ! وكأن أنفاساً غريبة قد عبرت على مرآة عقله وتركت عليها طبقة جعلته من العسير عليه أن يذكر الأشياء بنفس الوضوح الذى اعتاد على أن يذكرها به وكأن تلك المقدرة الممتازة التى كان يدرك بها الأشياء فى جمالها وفى جوهرها قد ضعفت كثيرا . وكأن تلك البهجة التى كان يستمتع بها وهو يمارس موهبة تذكر الأشياء والحوادث والمواقف المختلفة قد ضاعت تماما . ولم يستطع أن يسترد تلك المقدرة الغالية التى كان يستمتع بها وهو فى زهرة الشباب وبهجة الصبا ، دون أن يدرى . فلقد تركت الخطية تأثيرها على عقله وعلى ذاكرته فلم يعودا كما كانا عليه . فلو اتسخ رداء أو لو اتسخت سجادة مثلا فقد نرسلها لمحلات التنظيف ، ولكنها لن تعود الى ما كانت عليه . إن الخطية تفعل شيئا بالانسان ، إنها تقتل البراءة ، وعندما يقتل المرء البراءة فانه لن يستطيع أن يستردها ثاينة .

٢ — **الخطية تقتل المثل العليا** : فى حياة الكثيرين من البشر هنالك نوع من المأساة التى تتم على دفعات . فقد يفزع المرء أولا من خطأ من الأخطاء ، الا أنه فى الخطوة الثانية يجد نفسه مجربا بأن يفعل نفس هذا الخطأ ، ولكنه وهو يفعل الخطأ يحس بعدم السعادة ولا يحس بالارتياح لأنه يشعر بخطئه ، ويصل الى الدرجة الثالثة عندما يكرر نفس الخطأ بدرجة يفقد معها كل الاحساس . إن قوة الخطية المميتة هى أن كل خطية تجعل الخطية التالية أسهل ، وكل انغماس يجعل الانغماس التالى أيسر . وتموت المثل شيئا فشيئا ، وكل خطية ، وكل فشل ، وكل انغماس يقتل تلك المثل . فالخطية نوع من الانتحار ، لأن الخطية تقتل المثل التى تجعل الحياة جديرة بأن نحياها .

٣ — **وفى النهاية تقتل الخطية الارادة** : فقد ينغمس انسان فى لذة محرمة لأنه يرغب فى ذلك ، الا أنه فى النهاية يفعلها لأنه لا يستطيع أن لا يفعلها . فعندما يصبح الشيء عادة ، فانه يصبح قريبا من كونه ضرورة وعندما يسمح الانسان لعادة من العادات ، لنوع من الانغماس ، لممارسة سرية أو ممنوعة أن تسيطر على حياته ، فانه يصبح عبدا لها . وتصبح ارادته عاجزة تماما . كما يقول المثل القديم ، ازرع عملا تحصد عادة ، ازرع عادة تحصد شخصية ، ازرع شخصية تحصد مصيرا .

فهنالك قوة قاتلة فى الخطية . فالخطية تقتل البراءة ، وحتى ولو غفرت الخطية الا أن تأثيرها يبقى . هذا ما عبر عنه رود يانوس بالقول : « أثر الجرح يبقى » . فالخطية تقتل المثل العليا فيفعل الناس ، دون مبالاة ، نفس الشيء الذى كانوا ينفرون ويفزعون منه . والخطية تقتل الارادة ، فتسيطر على الانسان تماما حتى لا يستطيع منها فكاكا .

كل هذا يعتبر على الأقل جزءا مما قصده بولس الرسول عندما تحدث عن الموت فى الخطية .

علامات الحياة بدون المسيح (أفسس ٢ : ١ — ٣ تتمة)

فى هذه الفقرة يقدم بولس الرسول قائمة بمواصفات الحياة بدون المسيح .

١ — فهى الحياة التى يحياها المرء بحسب أسلوب العصر فى هذا العالم ،أى أنها الحياة التى يحياها

الانسان بحسب مقاييس هذا العالم وقيمه . فالمسيحية تتطلب الغفران . كان الكتّاب القدماء يقولون إنه من علامات الضعف أن يكون فى مقدورك أن تنتقم ولا تفعل ذلك . الا أن المسيحية تتطلب المحبة حتى لأعدائنا . قال بلوتارك إن علامة الانسان الصالح هو أن يكون نافعا لأصدقائه ومخيفا لأعدائه . والمسيحية تتطلب الخدمة ، الا أن العالم لا يستطيع أن يتفهم مثلا لماذا يذهب مرسل الى بلاد غريبة ليعلم فى مدرسة أو ليداوى فى مستشفى متقاضيا ربع المرتب الذى يستطيع أن يتقاضاه لو بقى فى بلاده . إن جوهر مقاييس العالم هو أن نضع الذات فى مركز الدائرة ، أما جوهر مقاييس المسيحية فهو أن نضع المسيح والآخرين أولا . إن جوهر الانسان العالمى ، كما عبر عنه أحدهم هو أنه يعرف ثمن كل الأشياء ولكنه لا يعرف قيمة أى شىء . فالدافع العالمى هو دافع الانتفاع ، ولكن المسيحى يعمل بدافع الرغبة فى الخدمة .

٢ ـــ إنها حياة تحت سلطان أمير الهواء . وهنا نجد أنفسنا أمام شىء كان معروفا فى أيام بولس الرسول وإن كانت الصورة قد تغيرت فى عصرنا الحاضر . فالعالم القديم كان يؤمن ايمانا قويا بالشياطين . فكانوا يؤمنون بأن الهواء مزدحم بالشياطين لدرجة أننا لا نستطيع أن نحشر سن دبوس فيما بينها . قال فيثاغورس : « إن الهواء كله ملىء بالأرواح » وقال فيلو : « هنالك أرواح تطير فى كل مكان فى كل الهواء » . « إن الهواء هو بيت الأرواح التى لا أجساد لها » . وهذه الشياطين لم تعتبر كلها شريرة ، الا أن الكثيرين منهم كانوا كذلك . فكان عملهم هو نشر الشر ومحاربة قصد الله وإيقاع البشر فى طريقهم الشرير ، فكانوا يهدفون نحو تحطيم نفوس البشر . ومن كان تحت سلطانهم فقد جعل نفسه ضد الله .

٣ ـــ إنها حياة تتميز بعدم الطاعة . لله طرق كثيرة لاعلان ارادته للبشر . فهو يفعل ذلك عن طريق الضمير . صوت الروح القدس متكلما فى داخلنا ، وهو يفعل ذلك بأن يعطى البشر الحكمة كما يقدم وصاياه فى الكتاب المقدس . كما أنه يعلن ارداته أيضا عن طريق نصائح وتحذيرات وتوبيخات رجاله الصالحين . الا أن الانسان الذى يحيا حياة بلا مسيح يشق طريقه بنفسه حتى ولو كان يعلم طريق الله .

٤ ـــ إنها حياة تحت رحمة الشهوات . وكلمة شهوات هى الكلمة **eptihumia** وهى كلمة تعنى بصفة خاصة الرغبة فيما هو خطأ وفيما هو ممنوع . والخضوع لمثل هذه الشهوات يقود بالضرورة الى كارثة . إن احدى مآسى القرن التاسع عشر كانت حياة أوسكار وايلد . فلقد كان على قسط كبير من الذكاء وفاز بأعلى الدرجات العلمية ، وكان كاتبا لامعا وفاز بأعلى جوائز الأدب ، كانت له شخصية ساحرة ، وكان بالغريزة شخصا طيبا ، الا أنه سقط فى تجربة رذيلة غير طبيعية ، ووصل الى السجن والى المهانة . وبينما كان يقضى مدة العقوبة على سقطته ألف أحد كتبه الذى يقول فيه : « لقد أعطتنى الآلهه كل شىء تقريبا . ولكننى سمحت لنفسى بأن أنجرف فى فترات طويلة من الاسترخاء والمتعة الجسدية .. وإذ مللت البقاء عند القمة ذهبت مختارا الى الحضيض بحثا عن متعة جديدة . وكما كنت أستمتع بدراسة المتناقضات الظاهرية فى عالم الفكر أصبحت أستمتع بالانحراف فى عالم العواطف . وأصبحت لا أبالى بحياة الآخرين . فكنت أطلب اللذة حيثما وجدتها لا أبالى وأمضى فى طريقى . نسيت أن كل عمل صغير من أعمال اليوم العادية

إما أن يبنى الشخصية أو يحطمها ، وأنه لذلك ، فان ما يفعله المرء فى الخفاء سوف يعلن للجميع يوما من الأيام . وفقدت السيطرة على نفسى . ولم أصبح فيما بعد سيد حياتى ، الا أننى لم أدرك ذلك . وسمحت للذة بأن تسود على حياتى . وانتهيت الى عار مخيف . « الشهوة سيد شرير ومن عاش تحت رحمة الشهوة يصبح عبدا . والشهوة ليست شيئا جسديا فقط ، ولكنها اشتهاء أى شيء ممنوع .

٥ ــ إنها الحياة التى تسعى وراء ما نسميه شهوة الجسد ويجب أن نتفهم جيدا ما يعنيه بولس الرسول بكلمة الجسد وخطايا الجسد . فهو يعنى ما هو أكثر بكثير من الخطايا الجسدية والذهنية والجنسية . ففى غلاطية ٥ : ٩ ــ ٢١ يقدم بولس الرسول قائمة بخطايا الجسد . نعم إنه يبدأ بالاشارة الى الزنا والطهارة ، الا أنه يشير بعد ذلك الى عبادة الأوثان والعداوة والخصام والغيرة والسخط والتحزب والشقاق والبدعة . إن الجسد هو الجزء الوضيع من طبيعتنا البشرية ، والجسد هو الذى يهيء للخطية رأس جسر ونقطة هجوم على حياتنا . ويختلف معنى الجسد من انسان لانسان . فقد تكون نقطة ضعف أحدهم فى جسمه والخطورة على حياته تتعلق بالخطايا الجنسية ، أما خطية شخص آخر فقد تتعلق بالأمور الروحية والخطر عليه انما هو من الكبرياء ، بينما تكون الأمور الأرضية خطية شخص آخر ويعرضه الطموح غير اللائق للخطر ، وهنالك من يكون المزاج والطبع الحاد خطيته والخطورة عليه من الحسد وإثارة المشاكل والشغب . كل هذه خطايا الجسد . وليحذر كل انسان من أن يظن أنه لكونه قد نجا من الخطايا الجسمانية الكبيرة فانه قد تجنب بذلك خطايا الجسد ، كما وليحذر كل انسان من أن يظن أنه لكونه لا يستطيع أن يضبط جسده بذلك يصبح الوحيد الذى يحارب خطايا الجسد . فالجسد هو أى شيء فينا يعطى للخطية فرصة ، إنه الطبيعة البشرية بدون الله . إن من يعيش بحسب متطلبات الجسد انما يحيا ببساطة بكيفية تصبح فيها حياته تحت سلطان أدنى وأسوأ ما فى الطبيعة البشرية .

٦ ــ انها الحياة التى لا تستحق سوى غضب الله . تتسم حياة كثيرين بالمرارة لأنهم يشعرون أنهم لم ينالوا فى هذه الحياة ما يتناسب مع مواهبهم وكفاءاتهم والعمل الذى قاموا به ، وقد يكون هذا صحيحا ، الا أنه فى نظر الله لا يوجد من يستحق أى شيء سوى الدينونة . فلو عاملنا الله كما نستحق ، فلن يكون نصيب أفضل البشر سوى الدينونة والعقاب . فليس سوى حبه فى المسيح هو الذى غفر للبشر الذين ما كانوا يستحقون سوى عقابه والذين أحزنوا حبه وكسروا وصيته .

عمل المسيح (أفسس ٢ : ٤ ــ ١٠)

لقد بدأ بولس حديثه قائلا إننا ، كما نحن ، أموات بالذنوب والخطايا ، ويقول الآن الله فى حبه ورحمته قد أحيانا فى يسوع المسيح ــ فماذا قصد بذلك بالضبط ؟ فعن طريق ما فعله المسيح حدث شيء غير مجرى الحياة . لقد رأينا أن هنالك أمورا ثلاثة تتعلق بالموت فى الذنوب والخطايا . ويعمل يسوع شيئا ازاء كل واحد من هذه الأمور الثلاثة .

١ ــ رأينا أن الخطية تقتل البراءة ، ويجب أن نقول من البداية إنه حتى المسيح لا يستطيع أن

يرد لانسان براءته الضائعة ، فحتى المسيح لا يستطيع أن يعود بعقارب الساعة الى الوراء الا أن المسيح يستطيع أن يزيل الاحساس بالذنب الذى يترتب على فقدان البراءة . إن أول ما تفعله الخطية هو أن تخلق احساسا بالجفاء بيننا وبين الله — عندما يدرك الانسان أنه أخطأ ، يخيم عليه الاحساس بأنه لا يجرؤ على أن يقترب الى الله . عندما رأى إشعياء الله ، كان رد الفعل الأول هو أن قال : « ويل لى ! أنى هلكت . لأننى انسان نجس الشفتين وساكن فى وسط شعب نجس الشفين » . (إش ٦ : ٥) . وعندما أدرك بطرس من هو يسوع كان رد الفعل الأول : « أخرج من سفينتى يارب لأنى رجل خاطىء » (لوقا ٥ : ٨) . ويبدأ يسوع بأن يبعد عنا ذلك الاحساس بالجفاء . لقد جاء ليخبرنا بأنه مهما كان حالنا فالباب مفتوح لنا لندخل الى حضرته . فلنفرض أن ابنا أو ابنة فعل شيئا مشينا للغاية ، ثم هرب بعيدا ، لأنه كان متأكدا أنه لا جدوى من الرجوع الى البيت لأن الباب لاشك موصد . ولنفرض أن شخصا جاء لهذا الانسان ليخبره بأن الباب ليس موصدا أبدا بل على العكس لازال مفتوحاً وأن البيت ينتظره مرحبا . فما أعظم الفارق الذى تأتى به مثل هذه الأنباء ! وهذا نوع الأنباء التى أتى بها المسيح ، لقد جاء ليزيل الاحساس بالجفاء والشعور بالذنب ، بأن يخبرنا بأن الله يريدنا بالحال الذى نحن عليه .

٢ — رأينا أن الخطية تقتل المثل العليا التى يحيا الناس بها . والمسيح يحيى تلك المثل فى قلب الانسان . هنالك قصة عن مهندس زنجى كان يعمل فى سفينة صغيرة فى أمريكا وكانت سفينته قديمة ولم يهتم بها . وكانت آلاتها متسخة ولا تنال نصيبا من الصيانة . وتجدد هذا المهندس . وكان أول ما فعله أن أتى الى سفينته وأخذ يلمع ماكيناتها حتى أصبح كل جزء منها كالمرآة الساطعة . علق أحد الركاب الذين اعتادوا استخدام هذه السفينة على هذا التغيير بأن سأل المهندس قائلا : « ماذا فعلت ؟ ماذا دفعك لأن تنظف وتلمع آلاتك القديمة ؟ » فأجابه المهندس : « ياسيدى ، لقد دخل المجد الى حياتى » . هذا ما يفعله المسيح مع الانسان ، إنه يعطيه مجدا . يقولون إنه عندما جاء جورج ماثيسون ليرعى احدى الكنائس فى ادنبرا كانت هنالك سيدة ضمن شعب تلك الكنيسة تسكن فى بدروم قذر وبعد بضعة أشهر من خدمة ماثيسون فى تلك الكنيسة وجاء وقت التناول من العشاء الربانى ، ذهب أحد شيوخ الكنيسة الى البدروم الذى كانت تسكن فيه تلك السيدة فلم يجدها هناك . وبالاستفسار عنها علم أنها ذهبت لتسكن فى غرفة صغيرة فى أعلى أحد المبانى . كانت السيدة فقيرة جدا فلم يكن هناك فى غرفتها سوى الأثاث البسيط جدا . الا أن الغرفة كانت نظيفة وتتمتع بالهواء وبالنور بعكس غرفة البدروم التى كانت مظلمة وخلوية وقذرة . فقال لها الشيخ : « لقد غيرت مكان سكنك » . فأجابته السيدة : « نعم ! لقد غيرت سكنى لأن من يستمع لعظات جورج ماثيسون لا يستطيع أن يعيش فى بدروم » . إن الرسالة المسيحية توقظ المثل العليا فى حياتنا . فالنعمة تنعش فى الانسان تلك الأحاسيس الدفينة التى يحاول المجرب أن يكتم أنفاسها . ونعمة يسوع المسيح تشعل من جديد جذوة المثل العليا التى أخمدها السقوط المتكرر فى الخطية . وعندما تشتعل هذه الجذوة من جديد تشق الحياة طريقها الى الأعالى .

٣ — ويسوع المسيح يحيى ويرد ، بل يخلق من جديد ، الارادة الضائعة ، وهذا أعظم من أى شيء آخر . لقد رأينا أن الشيء المخيف والمميت الذى تفعله الخطية هو أنها تحطم ارادة الانسان

شيئا فشيئا الى أن تقضى عليها تماما ، وأن الانغماس الذى بدأ أولا كنوع من اللذة أصبح ضرورة من ضرورات الحياة ، وأن خطية الانسان تمتص قوة ارادته وتصنع السلاسل التى تقيد المرء بها فيصبح عاجزا . والمسيح يعيد خلق الارادة . وهذا فى الواقع ما تفعله المحبة دائما . إن تأثير المحبة العظيمة هو دائما تأثير مطهر . فعندما يغمر حب جارف قلب انسان حقيقة وفعلا يدخل الى حياته حب أعظم من حبه لخطاياه . ويدفعه الحب الجديد نحو الصلاح . فيحب محبوبه لدرجة ينهزم أمامها حبه للخطية ويتحطم . وهذا ما يفعله المسيح معنا . فعندما نحبه ، فان نفس هذا الحب يعيد خلق إرادتنا ورغبتنا فى الصلاح ويردها الينا ثانية . فهو يحطم قوة الخطية ، ويحرر الأسير .

عمل النعمة وأعمالها (أفسس ٢ : ٤ ـــ ١٠ تتمة)

ويختتم بولس الرسول هذه الفقرة بشرح عظيم لذلك الاختلاف الظاهرى الذى كثيرا ما نراه فى قلب نظرة بولس الرسول للانجيل . فلننظر الآن جانبى هذا التناقض الظاهرى .

١ ـــ يؤكد بولس الرسول اننا نخلص بالنعمة فنحن لا نعمل شيئا لأجل خلاص نفوسنا فنحن لم نعمل ، وما كان يمكن لنا أن نعمل ما نستحق لأجله الخلاص . فالخلاص عطية الله ، وأقصى ما يمكننا أن نفعله هو أن نقبله مؤمنين بأن عطية الله المجانية عطية حقيقية . ووجهة نظر بولس الرسول فى هذا الشأن لا يمكن انكارها ولا يمكن مكابرتها . وهى صحيحة لسببين .

(أ) فالله هو الكمال ، ولا يمكننا أن نأتى بشىء يرضى كمال الله . فمهما فعل الانسان المحدود الخاطىء فانه لا يستطيع أن يكسب أو يفوز أو يستحق رضى الله غير المحدود فى ذاته وفى صلاحه . فالكمال فقط هو الذى يليق بالله ، والانسان بطبيعته لا يستطيع أن يقدم شيئا كاملا لله . فحتى لو لم يكن الانسان خاطئا ، وإن كان له أن يشق طريقه الى الله ، فان الله يجب أن يكون هو المعطى والانسان هو الذى يأخذ .

(ب) الا أن هنالك ما هو أكثر من ذلك ، فهنالك الفكرة المسيحية العظيمة بأن الله محبة . فالخطية اذن جريمة ضد المحبة ، لا ضد شرع من الشرائع . ومن الممكن أن نكفر عن خطأ نرتكبه ضد شرع من الشرائع ولكن من المستحيل أن نعوض قلباً كسيرا ، فالخطية ليست مجرد كسر وصايا الله ولكنها بالأكثر كسر قلب الله . فلنفرض اننا تعدينا قانونا من القوانين ، فاننا نتحمل العقوبة . وقد يكون ذلك غرامة أو سجنا مما يحدده القانون ونكون بذلك قد وفينا القانون حقه فلا يطالبنا بشىء آخر ، فنصبح آحرارا بالنسبة له . لكن لنفرض أننا كسرنا قلب شخص من الأشخاص ، فلن يمكننا أن نعوض عن ذلك . فلنأخذ مثالا بدائيا بسيطا : لنفرض أن سائق إحدى السيارات نتيجة اهماله يصدم طفلا فيقتله فيلقى القبض عليه ويحاكم وتثبت الجريمة ضده ، ويحكم عليه بالسجن لمدة معينة وبغرامة يحددها القاضى وقد تسحب رخصة القيادة منه لمدة معينة . الا أنه بعد أن يسدد الغرامة ويقضى مدة السجن لا يطالبه القانون بأكثر من ذلك وينتهى بذلك كل شىء فى نظر القانون . الا أن الأمر يختلف تماما من وجهة نظر الأم التى قتل ابنها . فلا يستطيع قائد السيارة أن يعوضها ، ولن يستطيع أن يصحح علاقته بها ، بأن يقضى مدة فى السجن وبأن يدفع غرامة . فلقد اقترف

جريمته ضد حبها لابنها والسبيل الوحيد الذى يمكن له به أن يسترد علاقته بها هو أن تصفح هى عنه بكامل رغبتها واختيارها وهذا هو حالنا مع الله . فاننا لم نخطىء ضد شرائع الله ، ولكننا ضد قلب الله . وعلى ذلك فلن نستطيع أن نسترد علاقتنا الصحيحة مع الله الا بأن يصفح هو بنعمته عنا بكامل رغبته واختياره . فلن نستطيع أن نستحق غفران الله ولكننا نستطيع أن نقبل ذلك الغفران بثقة كاملة وبايمان .

٢ ــ معنى هذا أن الأعمال لا علاقة لها باستحقاق الخلاص . الا أنه عند هذه النقطة بالضبط لا يمكن . ولا يجوز لنا ، أن تتوقف دراستنا لتعاليم بولس الرسول . الا أن الكثيرين يتوقفون عند هذا الحد ! ويتقدم بولس الرسول فى حديثه قائلا إن الله قد أعاد خلقنا لأعمال صالحة . وهنا نجد التناقض الظاهرى فى تعليم بولس الرسول . فكل الأعمال الصالحة لا يمكن أن تصحح علاقتنا بالله ، الا أنه عندما تصبح لنا العلاقة الصحيحة بالله فهنالك خطأ جسيم فى المسيحية التى لا تقود الى الأعمال الصالحة . ولا يوجد هنالك سر فى هذا الأمر . فهذا ببساطة ما يحتمه قانون المحبة . فإن أحبنا انسان ، وخاصة ان كان ذلك الانسان شخصا طيبا وجميلا وممتازا فنحن نعلم أننا لا نستحق حبه ، لأنه من المستحيل أن نستحق حبا كهذا ، ولكنه عطية تفوق استحقاقنا . الا أننا فى نفس الوقت نعلم عن يقين أننا يجب أن نقضى حياتنا محاولين أن نكون جديرين بهذه المحبة وهذه هى علاقتنا بالله . فليس فى استطاعتنا أن نفعل أى شىء نستحق بسببه أو نكتسب عن طريقه رضى الله وحبه . فهذا الحب انما هو عطية الله المجانية التى يهبها لنا بالنعمة والتى نقبلها فى تواضع وثقة وشكر ، الا أن هذا لا يعنى أننا لسنا فى حاجة لأن نعمل أى شىء ولكنه يعنى أننا من هذا الوقت فصاعدا نقضى بقية عمرنا فى محاولة طويلة لاظهار مقدار شكرنا محاولين لأن نصل الى المستوى الذى نكون فيه جديرين بهذا الحب . فالأعمال الصالحة لا يمكن أن تكسبنا الخلاص ، الا أن هناك خطأ رهيبا إن لم ينتج فينا الخلاص أعمالا صالحة فأعمالنا الصالحة لا تجعل الله مدينا لنا ، ولكن حب الله يجعلنا ويدفعنا فى حياتنا بجملتها أن نسعى لأن نكون جديرين بذلك الحب .

فنحن نعلم ماذا يريدنا الله أن نفعل ، ولقد سبق له أن أعد منذ أمد بعيد نوع الحياة التى يريدنا أن نحياها ، وحدثنا عنها فى كتابه وعن طريق ابنه . فنحن لا نستطيع أن نكتسب بمجهودنا حب الله ، الا أننا نستطيع ويجب علينا أن نظهر مقدار شكرنا لأجله بأن نسعى بكل قلوبنا أن نحيا تلك الحياة التى تسر قلب الله .

قبل الميلاد وبعد الميلاد

(أفسس ٢ : ١١ ــ ٢٢)

قبل أن يأتى المسيح (أفسس ٢ : ١١ و ١٢)

يتحدث بولس الرسول فى هذه الفقرة عن حال الأمم قبل أن يأتى المسيح . كان بولس الرسول رسولا للأمم ، الا أنه فى نفس الوقت لم ينس أبدا مكان اليهود الخاص والمتميز فى خطة الله وإعلانه

ذاته . وهنا يظهر التباين بين حياة الأمم وحياة اليهود .

١ ـــ كان الذين يمارسون الختان ، وهو شيء جسدى يصنعه الانسان ، يطلقون اسم الغرلة على الأمم . وهنا نجد أول الانقسامات الكبيرة . فكان اليهود يحتقرون الأمم كثيرا . وكانوا يقولون إن الله قد خلق الأمم ليكونوا وقود نيران جهنم . وقالوا إن الله يحب اسرائيل فقط ، من كل الأمم الذين خلقهم . كما قالوا أيضا إسحق أرقى أنواع الحيات واقتل أفضل الأمم . ولم يوافق شرعهم على أن يقدم أحد يد المساعدة للسيدة الأممية فى أشد ساعات محنتها ، لأن هذا ببساطة انما يأتى بأممى آخر الى العالم . فحتى مجيء المسيح كان الأمم موضوع احتقار اليهود وكان الفاصل بينهما قاطعا تماما . ولو تزوج شاب يهودى من فتاة أممية أو لو تزوجت فتاة يهودية من شاب أممى كانوا يقيمون جنازة ذلك الشاب أو تلك الفتاة . فمثل هذا الاتصال بالأمم كان مساويا للموت . وحتى الدخول الى بيت انسان أممى كان يجعل اليهودى نجسا . فقبل مجيء المسيح كانت الحواجز قائمة وبعد أن جاء المسيح زالت الحواجز . فقبل المسيح لم يكن هنالك أمل فى الاتحاد ، وفى المسيح تمت الوحدة الجديدة .

٢ ـــ ولم يكن للأممى رجاء فى مجيء المسيح ، يقول إنهم كانوا **بدون مسيح** . وهذه ترجمة ممكنة ولربما كانت هى الترجمة الصحيحة ، إلا أن الكلمة اليونانية chrostos التى نترجمها بكلمة مسيح ليست أساسا اسم علم لشخص ، وإن كانت قد أصبحت كذلك ، ولكنها صفة وتعنى **الشخص الممسوح** . فلقد كان الملوك هم الذين يمسحون فى حفل تتويجهم ، ولا زال الأمر كذلك . وهكذا أصبحت الكلمة اليونانية التى هى ترجمة حرفية للكلمة العبرية مسيا ، تعنى الشخص الممسوح من الله ، الشخص المتوقع ، الشخص المنتظر ، فهو الملك الذى يصلى الناس لكى يرسله الله الى العالم ليرفع من شأن أتباع الله ويأتى العصر الذهبى . ولم يشك اليهود حتى فى أحلك أيامهم فى أن المسيا سيأتى . إلا أن الأمم لم يكن لديهم مثل هذا الأمل . فلم يعرفوا شيئا عن المسيا ولم يكونوا فى انتظاره . ولنلاحظ الآن نتيجة هذا الاختلاف . فبالنسبة لليهود ، كان التاريخ يسير دائما فى اتجاه معين ، فمهما كانت أوضاع الحاضر فان اليهودى كان يؤمن بأن المستقبل مجيد ، فكانت الحياة بجملتها لليهودى بمثابة تطلع من مستحيلات الحاضر الى أمجاد المستقبل الساطعة ، وبذلك فيمكننا أن نقول إن النظرة اليهودية للتاريخ كانت أساسا وفى ذاتها وفى طبيعتها نظرة متفائلة . أما التاريخ بالنسبة للأممى فهو أحداث بلا هدف . ولقد قدم الرواقيون نظرية للتاريخ ، واعتبروا أن التاريخ يسير فى دائرة واعتقدوا بأن التاريخ يسير لمدة ثلاثة آلاف سنة ، وبعد ذلك تحدث أحداث عظيمة هائلة يحترق فيها الكون ، وبعد ذلك تبدأ السلسلة مرة أخرى من جديد ، وتتكرر نفس الحوادث بنفس الأشخاص تماما . هنا نجد الفارق الكبير بين النظرتين . فالتاريخ يتقدم بلا هدف بالنسبة للأممى ، أما لليهودى فالتاريخ يسير بخطى ثابتة نحو الله . فالحياة بالنسبة للأممى لا تستحق أن يعيشها الانسان ، ولكن الحياة بالنسبة لليهودى كانت هى الطريق الى حياة أعظم . والتاريخ للأممى حلقة مفرغة ، أما لليهودى فالتاريخ هو الطريق الى الله . وبمجيء المسيح دخل الأمم الى النظرة الجديدة للتاريخ والتى فيها يصبح الانسان دائما فى الطريق الى الله .

٣ ـــ وأكثر من ذلك كان الأمم غرباء عن جماعة اسرائيل . وماذا يعنى هذا ياترى ؟ كان اسم شعب اسرائيل ho hagios Laos الشعب المقدس . لقد رأينا أن المعنى الأساسى لهذه الكلمة هو **التباين** ، الانفصال من ، والاختلاف عن . فكيف اختلف اليهود ياترى عن سائر البشر ؟ لقد اختلفوا فى كون أن ملكهم الوحيد بكل ما تعنيه الكلمة كان هو الله . فقد تكون حكومات بعض الأمم حكومات ديمقراطية أو أرستقراطية ، أما اسرائيل فكانوا أمة ثيوقراطية لأن حاكمهم هو الله . فبعد الانتصارات العظيمة التى حققها جدعون حاول الشعب أن يجعلوا منه ملكا عليهم إلا أنه قال : « لا أتسلط أنا عليكم ولا يتسلط ابنى عليكم الرب يتسلط عليكم » (قض ٨ : ٢٣) . وعندما تغنى المرنم : « أرفعك يا إلهى الملك » (مز ١٤٥ : ١) فقد قصد هذا حرفيا . فقد يحكم الأمم ملوك وقضاة وحكام وشيوخ ومجالس مختلفة أما اسرائيل فكان ملكه هو الله . فالاسرائيلى عضو فى جماعة الله ، وهويته هوية إلهية . وأن أمة ترى مصيرها بهذه الصورة لابد أن تكون حياتها حياة مختلفة . يقولون إن بريكلس ، أعظم الاثينيين ، عندما كان سائرا ليلقى خطابه فى مجمع الاثينيين كان يقول فى نفسه : « يا بريكلس ، تذكر أنك أثينى وأنك تتحدث الى أثينيين » . أما اليهودى فلعله كان يستطيع أن يقول : « تذكر أنك مواطن إلهى ، وأنك تتحدث الى شعب الله » . ولا يوجد فى كل العالم إحساس بالعظمة مثل هذا .

٤ ـــ كان الأمم أجانب بالنسبة للعهود التى كانت تتأسس عليها المواعيد . فماذا يعنى هذا ؟ كان اسرائيل بصفة متميزة **شعب العهد** فماذا يعنى هذا ؟ كانت فكرة العهد اليهودية هى هكذا : اعتقدوا أن الله تقدم الى امتهم بعرض خاص قائلا : « وأتخذكم لى شعبا وأكون لكم إلها » (خر ٦ : ٧) . وهذه العلاقة لم تعن امتيازا فقط ولكنها تحمل بين طياتها التزاما . فعلاقة العهد كانت تعنى حفظ الناموس . فالعلاقة تعتمد على أن يحفظ الشعب الناموس الذى أعطاهم الله اياه وأن يلاحظوا فرائضه وأن يطيعوه . ويقدم لنا سفر الخروج ٢٤ : ١ ـــ ٨ صورة واضحة للكيفية التى قبل بها شعب اليهود العهد وشروطه : « وقالوا كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل » (خروج ٢٤ : ٣ و ٧) . فان كانت خطة الله يجب أن تنفذ فانها ينبغى أن تنفذ من خلال أمة . واختيار الله لاسرائيل لم يكن محاباة ، فانه لم يكن اختيارا لشرف خاص ، ولكنه كان اختيارا لمسئولية خاصة . الا أن الاختيار أعطى اليهود احساسا خاصا متميزا بأنهم شعب الله . فاليهودى ببساطة كان يحس فى نفسه بالوقار والاحترام . ولم يستطع بولس أن ينسى تلك الحقيقة التاريخية أن اليهود كانوا بصفة خاصة شعب الله ، والأداة فى يد الله .

٥ ـــ كان الأمم بلا رجاء وبدون اله فى العالم . يتحدث الناس عادة عن اليونانيين كشعب مرح على مر عصور التاريخ ، إلا أن هنالك أيضا ما يطلق عليه مرض الكآبة اليونانى . فقد كان هنالك يأس جوهرى من وراء الأشياء . كان ذلك حتى فى أيام هوميروس . ففى الالياذة (٦ : ١٤٦ ـــ ١٤٩) يتقابل جلوكوس مع دايوميد فى مبارزة منفردة . وقبل أن يبتدئا يطلب دايوميد أن يتعرف الى الأسرة التى ينحدر منها جلوكوس ويجيبه جلوكوس قائلا : « لماذا تسأل عن نسبى ؟ إن أنساب

البشر كأوراق الشجر . فكما أن أوراق الشجر تبعثرها الرياح فى جميع أنحاء الأرض ثم تنبت أوراق جديدة فى أشجار الغابات مرة ثانية عندما يأتى الربيع ، كذلك أنساب البشر ينبت الواحد ويضيع الآخر . لقد استطاع اليونانيون أن يقولوا عن الانسان : « بالغداة يزهر فيزول » . الا أنه ما كان يمكن لهم أن يقولوا ظافرين منتصرين : « منذ الأزل الى الأبد أنت الله » .

وكتب ثيوجنس قائلا : « إننى أفرح وأبتهج فى شبابى ، فسوف أرقد طويلا فى التراب محروما من الحياة ، وكأنى حجر أصم ، سأحرم من ضوء الشمس الذى أحبه ، ومع أننى انسان صالح إلا أننى سوف لا أرى شيئا بعد . ولكن افرحى يانفسى فى شبابك ، فسوف يأتى آخرون الى الحياة وسأكون أنا ترابا فى تراب . ولا يوجد سعيد تحت الشمس . « وفى ترانيم هوميروس يستمتع المجمع الأولمبى بآلهة الفنون الجميلة وهى تغنى » عن عطايا الآلهة التى لا تفنى ، وعن مآسى البشر ، حتى تلك التى يتحملونها فى خضوع للخالدين ، فيعيشون وهم لا يدركون ، يعيشون وهم فى حال العجز ، فلا يجدون علاجا للموت ، ولا يملكون دفاعا ضد الشيخوخة . « ونجد فى سوفوكلس سطورا تعتبر من أجمل ما عرفه التاريخ ، ولكنها أيضا تفيض بالحزن واليأس . « الشباب ينزوى ومجد الرجولة يذبل . ويموت الايمان ويبقى عدم الايمان مزدهرا ولن تهب نسمات صادقة الى الأبد ، لا فى شوارع الحياة ، ولا فى داخل القلوب » . لقد كان الأممى حقا بلا رجاء لأنه كان بلا إله . الا أن شعب الله كان لهم ذلك الرجاء المشرق الساطع دائما والذى كان يتوقد باستمرار حتى فى أحلك الأيام وأصعبها ، أما الأمم فقد سكن القنوط قلوبهم قبل أن يأتى المسيح يسوع ليعطيهم رجاء عوض اليأس .

نهاية الحواجز (أفسس ٢ : ١٣ — ١٨)

رأينا من قبل كيف كره اليهود الأمم واحتقروهم . ويستخدم بولس الرسول الآن صورتين يوضح بهما بصفة خاصة لليهود كيف انتهت العداوة وكيف جاءت الوحدة الجديدة .

فيقول إن أولئك الذين كانوا بعيدين صاروا قريبين . لقد استمع إشعياء لصوت الله قائلا : « سلام ، سلام للبعيد وللقريب » (إش ٥٧ : ١٧) . وعندما كان الربيون يتحدثون عن قبول شخص يتحول الى اليهودية ، كانوا يقولون إن هذا الانسان ، قد صار قريبا . ويحدثنا الربيون اليهود مثلا عن امرأة أتت الى أحد الربيين واسمه اليعازر واعترفت له بأنها كانت خاطئة ، وطلبت منه أن تقبل فى الايمان اليهودى فقالت له : « يا معلم ، قربنى » . إلا أن الربى رفض فلقد كان الباب موصدا فى وجهها . الا أن الباب قد انفتح الآن وأولئك الذين كانوا بعيدين قد قربهم الله ، ولم يغلق الباب فى وجه أحد .

الا أن بولس الرسول يستخدم صورة أوضح . فيقول ان الحائط المتوسط الذى كان يفصل بين اليهود والأمم قد هدم . وهذه صورة من الهيكل . كان الهيكل يتكون من عدة أروقة ، كل رواق منها يرتفع عن الآخر والهيكل نفسه فى المكان المتوسط . فكان هنالك أولا رواق الأمم ، وبعد ذلك رواق النساء ، ثم رواق الاسرائيليين ، ثم رواق الكهنة ، ثم المكان المقدس نفسه . ولم يكن مسموحا

للأممي بالدخول الا الى الرواق الأول . وبين هذا الرواق ورواق النساء كان هنالك حائط ، أو حاجز من الرخام الجميل الذى حفر عليه بين مكان ومكان اعلان بأن أى أممى يتخطى هذا الحاجز يتعرض للموت الفورى . ويقول يوسيفوس فى وصفه للهيكل : « عندما تمر من هذا المكان الأول الى الفناء الثانى فى الهيكل كان هنالك حاجز مصنوع من الحجارة حول ذلك الفناء ارتفاعه ثلاث قامات . وكان بناؤه رشيقا وعليه كانت أعمدة على مسافات متساوية توضح شريعة التطهير . بعضها باليونانية وبعضها باللاتينية ، تقول إنه من غير المسموح للأجانب بالدخول الى المكان المقدس » . (حروب اليهود ٥ ، ٥ ، ٢) . ويقول فى وصف آخر للفناء الثانى للهيكل : « وكان هذا محاطا بحائط حجرى ليكون فاصلا ، وكانت عليه كتابة تمنع أى أجنبى من أن يتخطاه وإلا تعرض للموت » (آثار اليهود ١٥ ، ١١ ، ٥) . وفى عام ١٨٧١ اكتشف أحد الحجارة التى كان منقوشا عليها هذا التحذير : « فليحذر أى واحد من أى أمة من أن يتخطى هذا الحاجز والفاصل الذى يحيط بالمكان المقدس . وكل من يفعل هذا يكون مسئولا عن كونه سيقتل . » وكان بولس يعرف جيدا هذا الحاجز ، فقد ألقى القبض عليه فى أورشليم ، ذلك الحدث الذى أدى ببولس الى سجنه النهائى والى موته ، لأنه هو نفسه أتهم خطأ بأنه أخذ تروفيموس الأفسسى الأممى ، الى داخل الهيكل وتخطى هذا الحاجز (أع ٢١ : ٢٨ — ٢٩) . وبذلك فهذا الحائط الذى لم يكن تخطيه ممكنا حال دون دخول الأمم الى حضرة الله .

الطبيعة البشرية : نفورها وأنانيتها (أفسس ٢ : ١٣ — ١٨ تتمة)

لم يكن اليهود الشعب الوحيد الذى وضع حواجز تفصل بينهم وين سواهم من البشر . لقد كان العالم القديم مليئا بالحواجز . فقبل ذلك الوقت بما يقرب من أربعمئة عام ، عندما كان الغزو الفارسى يهدد بلاد اليونان ، كان ذلك العصر هو العصر الذهبى لحكومات المدن . وكانت بلاد اليونان تتكون من مدن شهيرة كأثينا وطيبة وكورنثوس وغيرها . وكادت بلاد اليونان أن تواجه الدمار بل لعلها قد قادت نفسها اليه ، لأن تلك المدن رفضت أن تتعاون معا وتتحد لمقابلة الخطر المشترك . وكتب ت . ر . جلوفر يقول : « كان الخطر يكمن فى أن كل جيل من الأجيال ، فى كل مدينة على حدتها ، كان يحرص على الاستقلال مهما كان الثمن » . وكتب شيشرون بعد ذلك بمدة طويلة : « كما يقول اليونانيون ، كل البشر ينقسمون الى طبقتين : اليونانيين والبرابرة » . فكان اليونانيون يسمون أى انسان لا يستطيع أن يتكلم اليونانية بربريا ، وكانوا يحتقرون البرابرة ويضعون الحواجز فى طريقهم . وعندما تحدث أرسطو عن التوحش والبهيمية قال : « إنها موجودة بكثرة بين البرابرة » . « وقد عنى بالبرابرة ببساطة من ليسوا يونانيين . ويتحدث عن « القبائل المتطرفة من البرابرة التى تنتمى الى جماعة الوحوش » . وكانت أكثر أشكال الديانة اليونانية حيوية « ديانات الأسرار » وكان البرابرة ، غير اليونانيين لا يقبلون فى أغلب هذه الديانات . ويقول كاتب يونانى إسمه ليفى : « يخوض اليونانيون حربا لا هوادة فيها ضد الأجناس الأخرى ، أى ضد البرابرة . « ويقول أفلاطون إن البرابرة ، أى الذين ليسوا يونانيين هم أعداؤنا بالطبيعة » .

وهنالك مثل هولندى يقول : « المجهول غير محبوب » . وكان اليونانيون يعتبرون الانسان من

الأجناس الأخرى فى العالم القديم شخصا يمكن أن يكون عدوهم ، بل إنه فى أغلب الأحيان كان عدوا حقيقيا . ومشكلة الحواجز ليست بحال من الأحوال مشكلة العالم القديم فقط . فتقتبس ريتا سنودن مثلين شعبيين مناسبين فى هذا المقال . فقد اعتاد الآب تيلور من مدينة بوسطن أن يقول : « هنالك متسع فى العالم بالكاد يكفى لجمييع البشر ، إلا أنه لا يوجد مكان للحواجز التى تفصل بينهم » . ويقول السير فيليب جيبس فى كتابه « صليب السلام » عن الحالة الحاضرة : « إن مشكلة الحواجز قد أصبحت من أهم مشاكل العالم التى يجب أن نواجهها . فهنالك اليوم مختلف أنواع الحواجز التى تفصل الأجناس والشعوب فى العالم . إن التقدم الحديث جعل العالم بأسره وكأنه أحد الأحياء التى نسكن فيها .. ولقد كلفنا الله بأن نجعله مكان أخوة . ففى وجه الانقسامات العنصرية والطبقية والعقائدية اليوم يجب أن نهز الأرض من جديد برسالة المسيح الذى يشمل الجميع والذى لا يوجد فيه عبد وحر ، يهودى ويونانى ، سكيثى وبربرى ولكن الكل واحد .

وكانت للعالم القديم حواجزه وأسواره . فكان اليهودى يكره كل البشر ، وكان يعتبر أن الله يكره جميع البشر فيما عدا أمته . وكان اليونانى يرى البرابرة فى مرتبة الوحوش ، وكان يعتبر أن الحرب بلا هوادة ضدهم انما هى من طبيعة الأشياء . واليوم هنالك الستار الحديدى والحواجز التى تفصل بين أمة وأمة ، وطبقة وطبقة ، ولون ولون ، وكنيسة وكنيسة . وفى كل مجتمع بدون المسيح لا يمكن أن نجد سوى الحواجز والحوائط التى تفصل بين جماعة وجماعة .

الوحدة فى المسيح (أفسس ٢ : ١٣ — ١٨ تتمة)

ويقول بولس الرسول إنه فى المسيح زالت كل هذه الحواجز . وكيف نقض يسوع هذه الحواجز ؟ .

١ — يقول بولس الرسول عن المسيح ، « إنه هو سلامنا » . ماذا عنى بذلك يا ترى ؟ .

فلنستخدم تشبيها بشريا . لنفرض أن شخصين اختلفا وتشاجرا . ولنفترض أنهما ذهبا الى القضاء ، ولنفترض أن بعض المتخصصين فى القانون أعدوا مستندا بشأن الموضوع أوضحوا فيه كل جوانب القضية ، ولنفترض أنهم طلبوا من المتخاصمين أن يصلا الى الوفاق على أساس هذا المستند القانونى . أغلب الظن أن الخصومة ستستمر والخصام سيبقى ، لأن السلام قلما يتم على أساس مستندات قانونية . ولكن لنفترض أن صديقا للطرفين جاء اليهما وتحدث معهما ووضع يد الواحد منهما فى يد أخيه بل أكثر من ذلك قارب بين قلبيهما ، هنا تكون الفرصة سانحة لأن يسود السلام . عندما يختلف فريقان ، فان الوسيلة المضمونة للتقريب بينهما انما هى عن طريق شخص يحبانه . وهذا ما فعله المسيح . إنه سلامنا . لأنه فى اطار الحب المشترك لهم ، يتعلم البشر أن يحب بعضهم بعضا . وقد دفع دماءه ثمنا لهذا السلام ، فالصليب هو أعظم ما يوقظ الحب . فانه على الصليب يجذب المسيح الجميع لنفسه (يو ١٢ : ٣٢) . فمنظر هذا الصليب يوقظ فى جميع قلوب البشر ، من كل الشعوب ، حبا للمسيح ، ولا يحبون بعضهم بعضا الا بعد أن يحبوا المسيح . فالسلام لا يأتى عن طريق المعاهدات والمناقشات والاتفاقيات والجمعيات ، ولكنها يأتى فقط فى المسيح

يسوع .

٢ ــ ويقول بولس الرسول إن المسيح قد محا ناموس الوصايا بكل متطلباته . وماذا يعنى هذا ؟ .

لقد اعتقد اليهود أن الانسان لا يمكن أن يكون صالحا الا بحفظ الناموس اليهودى وكان هذا فى نظرهم هو السبيل الوحيد لبلوغ الشركة مع الله والعلاقة الطيبة معه . وقد فسروا هذا الناموس فى آلاف كثيرة من القواعد والوصايا والتعليمات . فالأيدى يجب أن تغسل بطريقة معينة ، والأطباق يجب أن تغسل أيضا بطريقة معينة ، ويقرأ المرء صفحات كثيرة عما يمكن فعله وما لا يمكن عمله يوم السبت ، وهذه الذبيحة وتلك وغيرها كان يجب أن تقدم بهذه المناسبة أو تلك أو غيرها من مناسبات الحياة . ومن الواضح أنك لا تستطيع أن تجعل من مثل هذه الديانة ديانة تشمل جميع البشر . والجماعة الوحيدة التى حافظت على الناموس اليهودى حقا وتماما هى جماعة الفريسيين . الا أن عددهم لم يتجاوز ستة آلاف شخص . وأن ديانة تؤسس على كافة أنواع القواعد والقوانين المتعلقة ببعض الممارسات وبعض العادات والفرائض والذبائح والأيام ، لا يمكن أن تصبح ديانة عامة للجميع . كما قال بولس الرسول ، « لأن غاية الناموس هى المسيح » (رو ١٠ : ٤) وكما يقول هنا : « أبطل المسيح ناموس الوصايا بكل فرائضه » . لقد أنهى المسيح الفكرة الناموسية كمبدأ دينى .

ولكن ماذا وضع فى مكانها ياترى ؟ لقد أحل الحب لله والحب للبشر محل الأفكار الناموسية . لقد جاء المسيح ليقول للبشر إنهم لا يستطيعون أن يحصلوا على رضى الله عن طريق حفظ فرائض الناموس ، ولكنها يجب عليهم أن يقبلوا حب الله وغفرانه وشركته التى يقدمها لهم مجانا فى رحمته . وأن ديانة تتأسس على المحبة لتصلح فى الحال لأن تكون ديانة للجميع . وتروى ريتا سنودن قصة من أيام الحرب ، فتقول إنه حدث فى فرنسا أن أتى بعض الجنود مع قائدهم بجثة زميل لهم الى مدفن فرنسى ليدفنوه هناك ، فقال لهم الكاهن إن ذلك المدفن يتبع الكنيسة الكاثوليكية وعليه أن يسألهم إن كان زميلهم الميت قد تعمد فى الكنيسة الكاثوليكية . فقالوا له إنهم ليسوا على يقين فاعتذر لهم قائلا إنه لا يستطيع ، والحال كذلك ، أن يسمح بدفن زميلهم فى المدفن الذى هو فناء الكنيسة . فأخذ الجنود فى حزن وأسى جثة زميلهم ودفنوها خارج سور الكنيسة مباشرة . وجاءوا فى اليوم الثانى ليطمئنوا الى أن أحدا لم يعبث بقبر زميلهم . ولشدة دهشتهم انهم لم يستطيعوا العثور عليه . لقد كانوا يعلمون انه على مسافة ستة أقدام فقط من سور مدافن الكنيسة وعبثا حاولوا أن يعثروا على مكان التربة التى نبشوها حديثا . وبينما كانوا على أهبة الانصراف ، وهم فى حيرة وارتباك ، جاءهم الكاهن ، وقال لهم إن فكره كان مضطربا لأنه رفض أن يسمح لهم أن يدفنوا زميلا فى فناء الكنيسة ، ولذلك فانه قام من فراشه فى الصباح الباكر ونقل بيده سور المدافن ليصبح جسد الجندى الذى مات لأجل فرنسا من الداخل وليس من الخارج . هذا ما يفعله الرب . إن القواعد والفرائض تضع الحواجز ، الا أن المحبة تزيلها . لقد أزال المسيح الحواجز بين الانسان وأخيه الانسان لأنه أبطل كل ديانة تبنى على الفرائض والقواعد البشرية بديانة تتأسس على المحبة .

عطايا الوحدة فى المسيح (أفسس ٢ : ١٣ — ١٨ تتمة)

ثم يتحدث بولس عن العطايا التى لا تقدر والتى جاء بها المسيح للبشرية ، تلك العطايا التى تتبع الاتحاد الجديد فى المسيح .

١ — لقد جعل من اليهودى والأممى انسانا واحدا جديدا . وكلمة جديد يعبر عنها فى اليونانية بكلمتين . هنالك neos وهى التى تعبر عن شيء جديد من الناحية الزمنية ، فالشيء الذى يطلق عليه neos هو ببساطة ذلك الشيء الذى ظهر فى الوجود حديثا ، الا أنه من الممكن أن يكون هنالك مئات بل آلاف الأشياء المماثلة بالضبط والتى كانت موجودة من قبل . فالقلم الرصاص الذى أنتجه المصنع هذا الأسبوع يعتبر قلما جديدا بالمعنى الذى تقدمه كلمة neos الا أن هنالك آلاف أقلام الرصاص المماثلة والتى كانت موجودة من قبل ، وهنالك كلمة kainos والتى تعنى الجدة لا من ناحية الزمن ولكن من ناحية النوع . والشيء الذى يطلق عليه kainos هو الشيء الجديد بمعنى أن يأتى الى عالمنا بشيء من نوع جديد ، بشيء لم يكن موجودا من قبل . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول هنا هى كلمة kainos فهو يقول إن المسيح يجمع بين اليهودى والأممى ويصنع منهما معا شخصا من نوع جديد . وهذه صورة طريفة وذات معنى عميق ، فإن المسيح لا يجعل من كل اليهود أمميين ، ولا من كل الأمميين يهودا ، ولكنه ينتج منهما معا شخصا من نوع جديد ، مع أنهم يستمرون فى كونهم أمما ويهودا . ويقول يوحنا فم الذهب واعظ كنيسة العصور الأولى العظيم ، إن ما فعله المسيح يشبه كوننا نأخذ تمثالا من فضة وتمثالا من رصاص ونذيبهما معا واذا بهما ينتجان ذهبا . إن الوحدة التى يحققها المسيح لا تتأتى بأن يمحو الخصائص العنصرية والقومية ، ولكنها تتحقق بأن تجعل كل البشر من كل الأمم مسيحيين . ولعلنا نجد هنا شيئا نحتاج أن نتعلمه . لقد كان الميل السائد كلما أرسل الانجليز مرسلين الى الخارج ، هو أن يخلقوا جماعة من الناس يلبسون الملابس الانجليزية ويتكلمون اللغة الانجليزية ويتثقفون بالثقافة البريطانية . بل إن هنالك بعض الإرساليات التى تفرض على الكنائس المحلية التى تنشئوها أن تتعبد بنفس أجزاء العبادة التى يتعبدون هم بها فى بلادهم . الا أن المسيح لن يرغب فى أن يجعل كل البشر أمة واحدة ، ولكنه يرغب فى أن يكون هنالك مسيحيون هنود ، ومسيحيون أفريقيون ممن تكمن وحدتهم فى مسيحيتهم . إن الوحدة فى المسيح هى فعلا فى المسيح وليست فى أى تغيير خارجى .

٢ — لقد صالح الاثنين مع الله . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول هى كلمة apokatallassein وهى الكلمة التى تدل على مصالحة صديقين افترقا وتباعدا . إن عمل المسيح هو أن يعلن للبشر أن الله صديقهم ، ولكونه صديقهم فانه يجب عليهم أن يكونوا أصدقاء . والمصالحة مع الله تحمل بين ثناياها المصالحة مع البشر .

٣ — وعن طريق المسيح يصبح لليهودى وللأممى الحق فى التقدم الى الله . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول للتعبير عن « **القدوم** » الى الله هى كلمة prosagoge وهى كلمة لها معان كثيرة . فهى الكلمة التى تعبر عن التقدم بذبيحة الى الله ، وهى الكلمة التى تعبر عن التقدم

بالناس الى حضرة الله لكى يكرسوا لخدمته ، وهى الكلمة التى تستخدم عن تقديم متكلم أو سفير الى مجلس الشعب ، وأهم من كل هذا هى الكلمة التى تستخدم عن تقديم انسان الى حضرة الملك . ولقد كان فى البلاط الملكى الفارسى أحد الموظفين الذى كانوا يسمونه prosagoge والذى كان يقوم بتقديم الراغبين فى مقابلة الملك . إنه امتياز كبير أن يكون للمرء الحق فى أن يحظى فى أى وقت بلقاء شخص محبوب حكيم تقى ، وأن يكون له الحق فى أن يذهب اليه ويدخل الى حضرته ، أن يزعجه وأن يحمل اليه متاعبه ومشاكله ووحدته وآلامه . وهذا بالضبط هو الحق الذى يخوله لنا المسيح فى علاقتنا بالله ، فالمسيح إنما بمثابة الباب المفتوح دائما ليأتى بنا الى حضرة الله ، ويستوى فى ذلك اليهود والأمم .

فالوحدة فى المسيح تنتج مسيحيين تسمو مسيحيتهم فوق كل الاختلافات المحلية والعنصرية ، وتنتج أناسا يصادقون بعضهم بعضا لأنهم أصدقاء الله ، كما تنتج أناسا متحدين لأنهم يتقابلون فى حضرة الله الذى لجميعهم الحق فى الاقتراب اليه .

الأسرة الالهية وسكن الله

(أفسس ٢ : ١٩ ــ ٢٢)

يستخدم بولس الرسول فى هذه الفقرة الأخيرة من هذا الأصحاح صورتين ساطعتين . فيقول إن الأمم ليسوا بعد غرباء ونزلا ولكنهم مواطنون فى وسط شعب الله ولهم العضوية الكاملة فى الأسرة الالهية .

ويستخددم بولس الرسول كلمة kenos للتعبير عن كلمة غرباء . ففى كل مدينة يونانية كان هنالك الغرباء ، ولم تكن حياتهم حياة سهلة . فقد كتب أحدهم وقد كان غريبا فى مدينة غريبة الى أسرته يقول : « خير لك أن تكون فى بيتك مهما كان فى ذلك البيت ، من أن تكون فى بلاد غريبة » . فالأجنبى كان ينظر اليه دائما بشىء من الريبة وعدم المحبة . ويستخدم بولس الرسول كلمة paroiks للتعبير عن كلمة « نزلا » والنزيل كان يعانيان شخصا حاله أسوأ من الغريب . فلقد كان أجنبيا مقيما ، فهو انسان قد جاء ليقيم فى مكان ، ولكنه لم يمنح جنسية ذلك المكان . لقد كان يدفع الضرائب ليتمتع بالوجود فى تلك البلاد التى لم تكن بلاده . كان يقيم ويعمل هنالك ، ولكنه غريب وأجنبى وبيته فى مكان آخر . فالغريب والنزيل كانا يعانيان وكانا يعيشان على هامش الحياة بعيدا عن وطنهما .

ولذلك يقول بولس الرسول للأمم : « لستم فيما بعد فى الكنيسة وبين شعب الله ، جماعة يحتملها المجتمع مضطرا ، ولكنكم مواطنون حقيقيون فى المجتمع الالهى ، وأعضاء فى الأسرة الالهية بكل ما تعنيه العضوية » . أى أننا نستطيع أن نقول ببساطة إننا نصبح فى ألفة مع الله عن طريق يسوع المسيح .

ويحدثنا أ . ب . ديفدسون عن اختياره عندما عاش فى مدينة غريبة . لقد كان يحس بالوحدة واعتاد أن يتمشى فى الشوارع عند الغروب ، وكان يرى أحيانا من خلال بعض النوافذ التى لم تكن ستائرها مسدلة ، بعض العائلات التى تجلس حول المائدة أو بقرب المدفأة فى شركة سعيدة ، الا أنه عندما كانت الستارة تسدل كان يحس وكأنه قد ترك وحيدا فى ظلام الشارع . إن هذا ما لا يمكن أن يحدث فى الأسرة الالهية . وهذا ما لا يجب أن يحدث أبدا فى الكنيسة . ففى المسيح يسوع هنالك مقعد وهنالك مكان لكل واحد منا ، ولكل البشر فى الأسرة الالهية . فقد يضع البشر الحواجز وقد تجعل بعض الكنائس مائدة العشاء الربانى قاصرة على أعضائها فقط ، الا أن الله لا يفعل هذا أبدا ، وإن مأساة الكنيسة أحيانا تكمن فى أن تصرفاتها كثيرا ما تكون أضيق بكثير مما يفعله الله .

والصورة الثانية التى يستخدمها بولس الرسول هى صورة البناء . فهو يعتبر كل كنيسة جزءا من بناء عظيم ، كما أنه يعتبر كل مسيحى حجرا مبنيا فى الكنيسة . وحجر الزاوية للكنيسة كلها هو المسيح ، واذا تزحزح حجر الزاوية فان كل البناء ينهار ، لأن حجر الزاوية هو الذى يربط كل شيء معاً .

ويعتبر بولس هذا البناء مستمرا ، كل جزء من المبنى يرتبط بالمسيح . فلنفكر فى الصورة التى كثيرا ما تكون عليها الكاتدرائيات الكبيرة : فقد يكون أساسها مبنيا بطراز خاص ، بينما الأبواب تكون عليها كاتدرائية عظيمة فالأسسات تقام على طراز معين والنوافذ تكون بطراز آخر ، جزء من الكاتدرائية بطراز قديم ، وجزء آخر بطراز أحدث ، جزء منها تم بناؤه منذ سنين وجزء آخر يتم فى هذه الأيام . فهنالك أنواع كثيرة من هندسة العمارة وكثيرون قد اشتركوا فى البناء ، الا أن البناء يكون وحدة واحدة لأن هذا البناء فى كل مراحله وأجزائه قد استخدم لعبادة الله وليتقابل الانسان مع الرب يسوع المسيح .

هذا ما يجب أن تكون عليه الكنيسة . فوحدتها لا تتأسس على أنظمة ولا طقوس ولا فرائض ولا عبادة . إن وحدتها تأتى من المسيح . فحيثما كان المسيح ، كانت الكنيسة . وتتحقق وحدة الكنيسة عندما تدرك الكنيسة أنها قائمة لا لكى تدعو لوجهة نظر يؤمن بها جماعة من الناس ، ولكن لتقدم مكانا بل مسكنا يستقر فيه روح المسيح ويجتمع فيه كل من يحبون المسيح بنفس هذا الروح .

الأصحاح الثالث

السجن والامتيازات

(أفسس ٣ : ١ — ١٣)

لكى ندرك اتصال الفكرة فى هذه الفقرة يجب أن نلاحظ أن الآيات ٢ — ١٣ انما هى فقرة طويلة بين قوسين . فالكلمات « لسبب هذا » فى الآية ١٤ تعود بنا الى الكلمات « لسبب هذا » فى الآية الأولى . تحدث أحدهم عن كيف أن بولس الرسول اعتاد أن يسرح فى الفكر لمجرد كلمة واحدة . فكلمة أو فكرة واحدة كانت تجعل أفكار بولس الرسول تنطلق الى آفاق بعيدة . فعندما يتحدث بولس الرسول عن نفسه « كأسير يسوع المسيح » فان هذا يدفعه الى التفكير فى مقدار محبة الله للجميع ، والدور الذى كان يقوم به ليوصل ذلك الحب للأمم . فينطلق تفكير بولس فى هذا الاتجاه بالآيات ٢ — ١٣ ثم يعود فى الآية ١٤ الى الفكرة التى طفق يتحدث عنها فى البداية .

الاكتشاف العظيم (أفسس ٣ : ١ — ٢)

عندما كتب بولس الرسول هذه الرسالة كان فى السجن فى روما ينتظر المحاكمة أمام نيرون . وكان ينتظر وصول ممثلى الاتهام من اليهود بوجودهم الشاحبة وكراهيتهم وحقدهم واتهاماتهم الخبيثة . ولقد كان لبولس الرسول بعض الامتيازات وهو فى السجن ، فلقد سمح له بأن يقيم فى منزل استأجره لنفسه ، كما سمح لأصدقائه بأن يزوروه فيه ، الا أنه برغم هذا كان يحس صباح مساء أنه سجين ، وطول الليل وطوال النهار كان مقيدا بسلسلة تتصل بمعصم جندى رومانى يحرسه كان واجبه أن لا يتمكن بولس أبدا من الفرار . فى مثل هذه الظروف يطلق بولس الرسول على نفسه « أسير المسيح » . وهنا نجد مثالا آخر يوضح كيف أن للمسيحى هذه الحياة المزدوجة والعنوان المزدوج . فأى شخص عادى ينظر الى بولس الرسول فى السجن ، يقول إن بولس سجين الدولة الرومانية ، وقد كان بولس الرسول كذلك من زاوية معينة ، الا أن بولس لم يفكر فى نفسه أبدا كأسير الدولة الرومانية ، لقد فكر فى نفسه دائما كأسير المسيح . لم يفكر فى نفسه وقد ألقت السلطات الرومانية القبض عليه ، لكنه فكر فى نفسه وهو يعانى الآلام لأجل المسيح . إن الزاوية التى ننظر منها للأشياء تجعل الفارق كبيرا . هنالك قصة مشهورة تعود بنا الى الأيام التى كان السير كروستوفر ورن يبنى فيها كاتدرائية القديس بولس ، ويقولون إنه ذهب يوما ليتفقد سير العمل فجاء الى أحد العمال وسأله « ماذا تفعل » ؟ فأجابه الرجل : « إننى أقطع الحجر بأبعاد محددة » . ثم جاء الى رجل ثان وسأله نفس السؤال فأجاب : « إننى أتقاضى مبلغ كذا من المال أجرا لعملى » . وجاء لرجل ثالث وسأله نفس السؤال وصمت الرجل لحظة ثم انتصب وقال : « إننى أساعد السير كروستوفر ورن لبينى كاتدرائية القديس بولس » . وما أعظم الفارق بين وجهات النظر الثلاث . فمتى مضى انسان الى السجن من أجل عمل عظيم فانه اما أن ينظر الى بؤسه وشقائه فى مرارة وألم وإما أن تسطع حياته بالضياء وهو يرى نفسه حامل الراية ومؤسس عمل عظيم . فيرى أحدهما

السجن عقابا ، بينما يراه الآخر امتيازا . فعندما نمر فى صعوبات أو نفقد شعبية أو مكاسب مادية لأجل المبادىء المسيحية فاننا إما أن نعتبر أنفسنا فريسة ينهشها البشر ، وإما أن نرى أنفسنا أبطال المسيح . والزاوية التى ننظر منها للأشياء تجعل الفارق عظيما . وبولس الرسول هو مثالنا ، لقد اعتبر نفسه ، لا كأسير فى روما ، ولكن كأسير المسيح .

ويعود بولس الرسول فى هذا الفصل الى الفكرة الجوهرية فى هذه الرسالة . فلقد دخل الى حياته اعلان سر الله العظيم . وذلك السر هو أن محبة الله ورحمته ونعمته لم تكن قاصرة على اليهود فقط ، ولكنها للعالم أجمع . فعندما تقابل بولس الرسول مع يسوع فى الطريق الى دمشق أشرق عليه ذلك الاعلان المفاجىء . لقد أرسله الله للأمم « لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات الى نور ومن سلطان الشيطان الى الله حتى ينالوا بالايمان بى غفران الخطايا ونصيبا مع المقديسين » . (أع ٢٦ : ١٨) كان هذا اكتشافا جديدا تماما . إن خطية العالم القديمة الأساسية كانت خطية الاحتقار . فاليهود احتقروا الأمم واعتبروهم بلا نفع وبلا قيمة فى نظر الله . وعلى أسوأ الفروض فان الأمم وجدوا لكى يفنوا . « لأن الأمة والمملكة التى لا تخدمك تبيد وخرابا تخرب الأمم » . (إش ٦٠ : ١٢) وعلى أحسن الفروض فان الأمم وجدوا لكى يكونوا عبيدا لاسرائيل . « تعب مصر وتجارة كوش والسبئيون ذو القامة اليك يعبرون ولك يكونون خلفك يمشون ، بالقيود يمرون ولك يسجدون » . (إش ٤٥ : ١٤) . إن عقليات هذا تفكيرها لا يمكنها أن تصدق أن نعمة ومجد الله كانت للأمم . واليونانيون احتقروا البرابرة من الأمم الأخرى . فاعتبر اليونانيون غيرهم من الأمم برابرة جميعا . فقد قال سيلسوس فى هجومه ضد المسيحيين ، « ربما كانت للبرابرة موهبة اكتشاف الحق الا أن اليونانيين فقط هم الذين يفهمون » . وهذا الاحتقار العنصرى والقومى لم ينته بانتهاء العالم القديم . ففى القرن السادس عشر كتب أحد الاسكتلنديين لشعبه يقول : « إن أمتكم تعتبر غيرها من الشعوب برابرة » .. وحتى يومنا هذا يشير الصينيون الى الأجانب باحتقار كبرابرة . وفى إحدى المجلات الانجليزية الصادرة فى عام ١٨٥٨ اقتراح بأن لا يستخدم الصينيون فى مستنداتهم الرسمية كلمة برابرة عند الاشارة الى البريطانيين . (نجد هذين الايضاحين فى كتاب « الغريب عند الباب » لمؤلفه ت . ج . هارهوف) الا أن الحواجز كانت تامة وكانت فى العالم القديم . فلم يحلم أحد بأن نعمة الله وامتيازاته كانت لجميع البشر . ولقد اكتشف بولس الرسول هذه الحقيقة وهذا هو سر أهميته الكبيرة . فاننا نستطيع أن نقول إنه لولا بولس الرسول لما كانت هنالك مسيحية تشمل العالم بأسره ، وما كنا نحن اليوم مسيحيين .

بولس الرسول وإدراكه لدوره (أفسس ٣ : ١ — ٧ تتمة)

عندما تأمل بولس الرسول سر الله الذى أعلنه له . رأى نفسه يقوم بالأدوار الآتية :

١ — اعتبر نفسه الشخص الذى وصل اليه اعلان جديد . ويجب أن نلاحظ أن بولس لم ينظر أبدا الى نفسه وكأنه اكتشف عمومية محبة الله ، ولكنه اعتبر أن الله قد أعلن هذه الحقيقة له . فمن زاوية خاصة يمكننا أن نقول : إن الحق والجمال هما دائما عطية من الله . فالحق والجمال ليسا

من اكتشافات بشرية بقدر كونهما من العطايا الالهية . يقولون إن سير آرثر سوليفن عندما استمع الى جزء رائع من أوبرا ألفها هو بنفسه التفت الى صديقه الذى كان يجلس الى جواره وقال : « أحقا ألفت أنا هذا ؟ » ومن أروع أمثلة « موسيقى » الشعر ما كتبه كوليردج بعنوان كوبلافان . فقد استسلمت أجفان كوليردج للنوم وهو يقرأ كتابا فيه هذه الكلمات : « هنا أمر كوبلافان بأن يبنى بيت تلحق به حديقة فاخرة » . وفى نومه حلم بالقصيدة وعندما استيقظ لم يفعل شيئا سوى أن دونها . وعندما يكتشف عالم اكتشافا عظيما فان ما يحدث مرارا وتكرارا هو أن ذلك العالم يفكر ويفكر ويجرى كثيرا من التجاريب ، ويصل الى طريق مسدود لأن الذهن البشرى والعبقرية البشرية لا تقوده الى أكثر من ذلك . واذا بحل المشكلة يسطع أمامه فجأة . إنه ليس نتيجة ذهنية ولكنه عطية يتلقاها من الله . وما كان بولس الرسول يدعى أبدا أنه أول انسان يكتشف عمومية محبة الله ، ولكنه انما يقول إن الله قد اخبره بالسر الذى لم يكن قد أعلن من قبل لأى انسان .

٢ ــ لقد اعتبر نفسه وسيلة توصيل نعمة الله . عندما تقابل بولس الرسول مع قادة الكنيسة كان يتحدث اليهم عن ارساليته للأمم ، يقول إنه أؤتمن على انجيل الغرلة ، ويتحدث عن « النعمة المعطاة لى » (غلا ٢ : ٧ و ٩) « وعندما كتب بولس الرسول للمؤمنين فى روما حدثهم عن « النعمة التى وهبت لى من الله » (رومية ١٥ : ١٥) لقد رأى بولس الرسول دوره فى هذه الحياة كقناة تنساب منها نعمة الله للبشر . فهو « الأنبوبة » التى تتدفق منها هذه النعمة للشعوب . إن من أعظم حقائق الحياة المسيحية اننا إنما وهبنا ميزات المسيحية الثمينة لكى نشرك الآخرين فيها . ومن التحذيرات العظيمة فى الحياة المسيحية اننا متى احتفظنا بهذه الميزات لأنفسنا فاننا نفقدها . فاننا نحتفظ ببركات المسيحية بمقدار ما نوصلها للآخرين .

٣ ــ اعتبر نفسه انه يتمتع بكرامة الخدمة . فهو يقول إن عطية نعمة الله المجانية هى التى جعلت منه خادما . وأعظم ما يفتخر به بولس الرسول هو الواجب الذى وضعه الله عليه . فلم يفكر فى خدمته كواجب متعب ممل ، ولكنه اعتبره امتيازا عظيما . كثيرا ما يصعب علينا أن نستحث الناس على خدمة الكنيسة . فأن نعلم لأجل الله وأن نشترك فى تدبير شئون شعب الله ، وأن نتحدث بالنيابة عن الله ، وأن نزور الفقراء والبؤساء لأجل الله وأن نعطى من وقتنا وقوانا وأموالنا لله ، كل هذه يجب أن ننظر اليها لا كواجب يفرض علينا ولكنها كامتياز نعتبره عطية نعمة الله .

٤ ــ اعتبر بولس الرسول نفسه انسانا يتحمل الآلام لأجل المسيح . فلم يتوقع أن يكون طريق الخدمة طريقا سهلا ، ولم يتوقع أن يكون طريق الولاء طريقا خاليا من المصاعب . اعتاد أو نامونو المتصوف الأسبانى الكبير ، أن يقول : « ليحرمك الله من السلام ولكن ليعط لك المجد . واعتاد ف . ز مالتبى أن يقول : « وعد المسيح تلاميذه بثلاثة أشياء ، أن يكونوا فرحين لدرجة غير معقولة ، شجعانا الى أقصى حدود الشجاعة ، وفى متاعب مستمرة » . عندما كان الفرسان يأتون فى أيام الفروسية العظيمة الى قصر الملك آرثر والى جماعة المائدة المستديرة كانوا يأتون ليسألوا عن المخاطر أو عن التنانين التى كانت تحتاج الى مواجهة . والألم لأجل المسيح ليس عقابا لنا ولكنه مجدنا ، لأننا بذلك نشارك فى آلام المسيح نفسه ، وتواتينا الفرصة لنظهر حقيقة ولائنا له .

الإمتيازات التى تجعل الانسان متواضعاً (أفسس ٣ : ٨ ــ ١٣)

رأى بولس الرسول نفسه انسانا قد منحه الله امتيازا مضاعفا ، لقد نال امتياز اكتشاف السر بأن ارادة الله قد قصدت أن تجمع كل البشر فى سر نعمة الله ومحبته . وقد كان له امتياز اعلان هذا السر للكنيسة وأن يكون الأداة التى بها وصلت نعمة الله للأمم . الا أن هذا الاحساس بالامتياز لم يجعل بولس متكبرا ، بل على العكس متواضعا جدا . لقد أدهشه أن هذا الامتياز العظيم أعطى له ، بينما رأى نفسه أنه أقل من أقل فرد من شعب الله . فان كان لنا امتياز الوعظ أو التعليم برسالة محبة الله ، أو ان كنا نقوم بشىء آخر لأجل المسيح فى كنيسته ، فيجب أن تتذكر دائما أن عظمتنا ليست فى أنفسنا بل فى المسئولية الملقاة علينا والرسالة التى نحملها . كان توسكانينى من أعظم قادة الأوركسترا وتوضيح الموسيقى فى العالم ، وبينما كان يتحدث مرة لفريق الأوركسترا وهم يستعدون لعزف إحدى سيموفونيات بيتهوفن قال : « أيها السادة ، اننى لا شىء ، وأنتم لا شىء ، بيتهوفن هو كل شىء » . لقد عرف جيدا واجبه يقتضى أن لا يسلط الأضواء على نفسه أو على الأوركسترا ، فواجبه أن يختفى هو والأوركسترا تماما لكى يفيض بيتهوفن من خلالهم . ويحدثنا ليزلى ويذرهيد فى أحد كتاباته عن حديث جرى بينه وبين طالب رغب فى أن يدخل خدمة الكنيسة . وسأله ويذرهيد متى وصل الى هذا القرار ، وقال الطالب انه قرر ذلك بعد الاستماع الى خدمة فى كنيسة المدرسة . وسأله ويذرهيد بالطبع عن اسم الواعظ وأجابه الشاب انه لا يوجد لديه أية فكرة عنه ، الا أنه عرف فقط أن يسوع المسيح قد تحدث اليه فى ذلك الصباح . هذا هو الوعظ الصحيح ، فان من يخدم المسيح لا يمكن أن يفكر فى أن يوجه نظر الآخرين الى نفسه والى مدح نفسه ، انه يجب أن يوجه أفكارهم الى يسوع . إن الحقيقة المفجعة فى الكنائس هى أن هنالك عددا كبيرا ممن يهتمون بمجدهم وبمركزهم أكثر من مجد ومركز يسوع المسيح ، ويهمهم أن يلحظهم الناس أكثر من أن يروا يسوع .

خطة وحكمة الله (أفسس ٣ : ٨ ــ ١٣ تتمة)

هنالك أشياء أخرى فى هذه الفقرة ينبغى أن نلاحظها :

١ ــ يذكرنا بولس الرسول هنا بأن تجميع جميع البشر من كل الأمم انما كان جزءا من قصد الله وخطته الأزلية . ويجدر بنا أن نتذكر هذا . فيقدم البعض تاريخ المسيحية وكأن الانجيل قد وصل الى الأمم لأن اليهود رفضوه . الا أن بولس الرسول يذكرنا بأن خلاص الأمم ، خلاصنا نحن ، لم يكن فكرة جاءت متأخرة . ان الله لم يقبل أمر خلاص الأمم كأفضلية ثانية ، لأن اليهود رفضوا رسالته ودعوته . بل ان الاتيان بكل البشر الى محبته كان جزءا من خطته الأزلية .

٢ ــ يستخدم بولس الرسول هنا كلمة عظيمة يصف بها نعمة الله . فهو يدعوها polupoikilos التى تعنى ذات ألوان كثيرة . والفكرة فى هذه الكلمة هى أن نعمة الله تتناسب مع كل موقف تأتى الحياة به الينا . فلا نور ولا ظلام ، لا ضياء شمس ولا ظلال ، لا تتناسب معه هذه النعمة الظافرة .

٣ ـــ ويعود بولس الرسول مرة أخرى الى أحد الأفكار المحببة الى نفسه . فعن طريق المسيح نجد حرية الاقتراب إلى الله . فقد يحدث أحيانا أن أحد أصدقائنا يعرف احدى الشخصيات البارزة ، ونحن أنفسنا لا حق لنا أن نمثل فى حضرة ذلك الانسان ، الا أن ذلك الصديق يأخذنا ، وعن طريق صديقنا يحق لنا الدخول . هذا ما يفعله المسيح بالنسبة لنا مع الله . ففى حضرته وفى شخصه هناك باب مفتوح الى حضرة الله لا يستطيع انسان أن يغلقه .

٤ ـــ ويختتم بولس الرسول بصلاة لأجل أصدقائه حتى لا يؤدى سجنه لتثبيط همتهم . فلعلهم اعتقدوا أن الكرازة بالانجيل للأمم ستتعطل كثيرا لأن بطل الأمم قد وضع فى السجن . ولعلهم أيضا خافوا أن يصيبهم نفس ما أصابه ، فيذكرهم بولس الرسول بأن الصعاب التى يجتازها انما هى لمجدهم ولنفعهم . فيجب أن لا يخافوا أبدا من أن يتعطل عمل الله لأن بولس الرسول وضع فى السجن . ان عمل الله أعظم من أى انسان .

صلاة بولس الحارة

(أفسس ٣ : ١٤ ـــ ٢١)

الله الذى هو الآب (أفسس ٣ : ١٤ ـــ ١٧)

هنا يستأنف الرسول بولس تلك الجملة التى بدأها فى الآية الأولى والتى شرد فكره بعيدا عنها فلم يكملها . ويبدأ بولس الرسول قائلا : **بسبب هذا** . ما هو السبب الذى يشير اليه ، وماذا يدفعه للصلاة ؟ هنا نعود مرة ثانية للفكرة الرئيسية فى كل الرسالة . لقد رسم بولس الرسول صورته العظيمة للكنيسة . فالعالم كله فى انقسام وخراب ، فهنالك انقسام وتباعد فى كل مكان بين أمة وأمة ، وبين انسان وانسان ، وفى داخل الانسان نفسه . وخطة الله هى أن كل هذه الأجزاء المتناحرة والمتنافرة تجد وحدتها الكاملة فى المسيح يسوع . ويسوع هو الأداة التى يستخدمها الله لتحقيق هذه الوحدة . الا أن هذا لا يمكن أن يتحقق إن لم تحمل الكنيسة رسالة المسيح ورسالة محبة الله لكل انسان . فالكنيسة هى امتداد للمسيح ، هى الجسد الذى يعمل من خلاله روح المسيح . ولأجل هذا السبب يصلى بولس الرسول . ولكى تصبح الكنيسة على هذه الصورة ، يجب أن يكون شعبها من نوع معين . ولهذا يصلى بولس الرسول ، إنه يصلى لأن يكون شعب الكنيسة من ذلك النوع الذى يجعل الكنيسة بجملتها حقا وفعلا جسد المسيح وامتدادا له .

ويجب أن نلاحظ الكلمة المعبرة عن موقف الرسول فى هذه الصلاة . « أحنى ركبتى لدى ربنا يسوع المسيح » . وهذا يعنى أكثر من أن يركع بولس الرسول فى الصلاة ، ان الكلمة أحنى تعنى أن ينبطح تماما أمام الله فى الصلاة . كان اليهود عادة يصلون واقفين ، وأيديهم مبسوطة وأكفهم الى أعلى . الا أن صلاة بولس الرسول لأجل الكنيسة كانت فى حرارة شديدة دفعته لأن ينبطح أمام الله فى صراع ومعاناة .

وصلاة بولس الرسول الى الله الآب . ومن اللطيف أن نلاحظ الأشياء المختلفة التى يتحدث بها بولس الرسول فى هذه الرسالة عن الله باعتباره الآب ، فمنها يتضح لنا ما كان فى فكر بولس عندما تحدث عن أبوة الله .

١ ــ الله هو أبو يسوع (١ : ٢ و ٣ ، ١ : ١٧ ، ٦ : ٢٣) . ليس صحيحا أن نقول ان يسوع هو أول من دعى الله أبا . فقد قال اليونانيون ان زيوس هو أبو الآلهة والبشر ودعا الرومانيون رئيس آلهتهم جوبيتر التى هى اختصار الكلمات اللاتينية التى معناها الله الآب . الا أن هنالك كلمتين متصلتين ومتشابهتين كثيرا ، ولكن دلالتهما مختلفة تماما . فهنالك كلمة **الوالد** ، والتى يتجه فيها تفكيرنا الى الأبوة بمعنى مادى بحت وفى هذا الاطار قد يمكننا أن نتحدث عن والد لم ير ابنه قط إذ قد يولد طفل ــ ربما ولادة غير شرعية ــ ثم يتبناه شخص آخر وقد لا يرى الوالد هذا الطفل أبدا ، الا أنه مسئول عنه لأنه مسئول عن وجوده المادى . غير أن هنالك من الناحية الأخرى فكرة الأبوة . وكلمة الأبوة تصور أوثق علاقات المحبة والشركة والرعاية . وعندما استخدم البشر كلمة آب عن الله ، قبل أن يأتى المسيح ، كانوا يستخدمونها بالأكثر بمعنى والد . فكانوا يقصدون أن الآلهة مسئولة عن خلق البشر . وكانوا يعنون ما نقصده نحن عندما نتكلم عن السبب الأول ، أو عن سر الحياة . فلم تحمل هذه الكلمة بين طياتها شيئا من المحبة والالفة التى ملأ بها يسوع هذه الكلمة . ومركز الفكرة المسيحية عن الله هو أن الله مماثل ليسوع ، فهو فى مثل لطفه وحبه ، ورحمته . فالله بالنسبة لبولس الرسول لم يكن مجرد أنه الله ، فقد يعنى هذا كل شيء ، أو لا شيء على الاطلاق ، فالله بالنسبة له هو أبو يسوع المسيح ، فعن طريق المسيح كان بولس يفكر فى الله .

٢ ــ الله هو الآب الذى يمكننا أن نقترب منه (٢ : ١٨ ، ٣ : ١٢) . ان جوهر العهد القديم هو أن الله هو ذلك الشخص الذى لا يسمح للمرء بأن يقترب منه . فعندما أدرك منوح ، والد شمشون ، من الذى زاره قال : « نموت موتا لأننا قد رأينا الله » . (قض ١٣ : ٢٢) . وفى العبادة اليهودية فى الهيكل كانوا يعتبرون قدس الأقداس مسكن الله ، ولا يدخل اليه الا رئيس الكهنة ، ولا يدخل الا فى يوم واحد هو يوم الكفارة . فكان الطريق الى الله مغلقا . والفكرة المركزية فى الايمان المسيحى هى امكانة الاقتراب من الله . يحدثنا هـ . ل . جى عن طفل صغير سمع أن والده قد رقى الى رتبة فريق فى الجيش واذ به بعد صمت قصير يتساءل قائلا : « هل يغضب والدى اذا ناديته يا بابا ؟ » ان جوهر الايمان المسيحى هو الاقتراب الى حضرة الله دون أية موانع .

٣ ــ الله هو أبو المجد ، انه الآب المجيد (٣ : ١٤) . هنا نجد الجانب الآخر اللازم للموضوع . فلو تحدثنا ببساطة عن امكانة الاقتراب من الله ، وان أكدنا ببساطة أن الله يشبه يسوع المسيح فى حبه ولطفه ورحمته ، يصبح من السهل أن نتحدث عن محبة الله حديثا عاطفيا مجردا ، وهذا بالضبط ما يفعله البعض . ان موقفهم ، سواء عن وعى أو عن غير وعى هو كما يلى : « ان الله هو الآب ، ولذلك فلا داعى للانزعاج ، فكل شيء سيسير حسنا ، الا أن الايمان المسيحى وان كان يفرح بذلك الأمر العجيب وهو امكانة الاقتراب من الله ، الا أنه لن ينسى أبدا قداسة الله

ومجده . فليس لنا حق الاقتراب الى اله لين رقيق عاطفى ، ولكننا نقترب الى اله المجد نفسه . ان الله يرحب بالخاطىء ، ولكنه لا يرحب بالخاطىء الذى يتاجر بمحبة الله ليبقى فى خطيته . ان الله قدوس وينبغى على كل من يرغب فى العلاقة به أن يحيا فى القداسة . ان حقنا فى الاقتراب من الله لا يعطى لنا الحق لأن نفعل ما نريد ، ولكنها يضع علينا الالتزام لأن نسعى لأن نستحق هذا الامتياز .

٤ ــ إن الله أبو الجميع (٦ : ٤) إن الله ليس حكرا لانسان أو كنيسة أو أمة وهذا بالضبط هو الخطأ الذى وقع فيه اليهود . إن أبوة الله تمتد الى كل البشر ، ولذلك فاحتقار البشر لاخوتهم والكبرياء البشرية والتفكير الدينى الضيق المحدود كلها خطأ بالضرورة . لأن مجد حقيقة أبوة الله تعنى أننا يجب أن يحب ويحترم أحدنا الآخر .

٥ ــ الله هو الآب الذى ينبغى أن يقدم له الشكر (٦ : ٣٠) . إن أبوة الله تعنى مديونية الانسان . من الخطأ الكبير أن نتصور أن الله لا يعنينا سوى فى اللحظات الكبيرة والفاصلة فى حياتنا . إنه من دواعى الخجل أننا كثيرا ما ننسى عطايا الله لمجرد أن هذه العطايا تأتى الينا بانتظام ودون توقف . والمسيحى انسان لا ينسى أبدا أنه مدين لله . فهو لا ينسى أبدا أنه مدين ، لا بخلاص نفسه فقط ، ولكنها بحياته ونسماته وكل شىء لله .

٦ ــ الله هو نموذج كل أبوة حقيقية . فيقول بولس إن الله هو الآب وأن كل أبوة فى السماء وعلى الأرض انما هى على نمط تلك الأبوة . وهذا يضع مسئولية كبيرة على كل أب بشرى . لم يتذكر ج . ك . شسترتون أباه بوضوح ، الا أن كل ذكرياته كانت ذكريات غالية . فيقول لنا إنه فى طفولته كانت عنده لعبة هى مسرح ، كل الشخصيات التى تقوم بالأدوار فيه ، قطع من الكارتون وكان أحدهم شخص معه مفتاح ذهبى . ولم يستطع أن يتذكر الدور الذى كان يقوم به ذلك الشخص ذو المفتاح الذهبى بين شخصيات المسرح ، الا أنه ربط فى ذهنه دائما بين تلك الشخصية وبين شخصية والده . فقد كان أبوه ، فى نظره ، ذلك الرجل الذى يحمل مفتاحاً ذهبيا يفتح له به كل أنواع الأشياء العظيمة والمثيرة . ونحن لا يمكننا أن ننسى أن نعلم أولادنا أن يدعوا الله أبا ، الا أن الصورة الوحيدة التى يمكن أن يكونوها عن الأبوة انما هى الصورة التى نقدمها نحن لهم . والأبوة البشرية يجب أن تتشكل على صورة أبوة الله . إن المسئولية الكبيرة الى تقع على عاتق كل أب بشرى هى أن يكون أبا فى مثل صلاح الله .

القوة التى يمنحها المسيح (أفسس ٣ : ١٤ ــ ١٧ تتمة)

إن بولس الرسول يصلى لكى يتقوى شعبه فى **الانسان الباطن** . فماذا كان يعنى بولس الرسول بذلك ؟ إن التعبير **الانسان الباطن** كان تعبيرا يعرفه اليونانيون ويستخدمونه . وكان تعبير « الانسان الباطن » يعنى بالنسبة لليونانيين ثلاثة أشياء .

(أ) كان هنالك **العقل البشرى** . فكان بولس يصلى لكى يقوى يسوع المسيح عقل أصدقائه .

لقد كان يريد أن يكون لديهم مزيد من المقدرة على التمييز بين الخطأ وبين الصواب . لقد أراد أن يكونوا على أقل قدر ممكن تحت رحمة عواطفهم وغرائزهم ورغباتهم . فقد أراد أن يعطيهم المسيح الحكمة التى تحفظ حياتهم نقية سالمة .

(ب) وكان هنالك أيضا الضمير . لقد كانت صلاة بولس أن يكون ضمير شعبه فى حساسية متزايدة . إنه من الممكن أن يتغافل الانسان عن ضميره تغافلا مستمرا ومتكررا حتى يفقد ضميره فى النهاية حدته وحساسيته . لقد كانت صلاة بولس أن يحفظ المسيح ضميرنا حساسا يقظا .

(ج) كانت هنالك **الارادة** . إن الضعف الجوهرى فى الحياة هو أننا أحيانا كثيرة نعرف الصواب ، ونرغب فى أن نفعله ، الا أن ارادتنا ليست لها القوة الكافية لتؤيد معرفتنا ولتنفذ مقاصدنا . كما قال جون ذرنك ووتر :

هبنا الارادة لنعمل ما نحس به

وهبنا القوة لنفعل ما نعرفه

وهبنا الهدف وكأنه فى إطار من فولاذ

لنضرب بقوة .

إننا لا نطلب المعرفة فقد أعطيتنا اياها .

ولكن حاجتنا الماسة هى الارادة

فهبنا القوة لنبنى فوق تلك المقاصد والأهداف السامية

هبنا أن نعمل ، هبنا أن نعمل .

فالانسان الباطن هو العقل ، الضمير ، الارادة .

وكيف يصلى بولس الرسول لكى يتقوى هذا الانسان الباطن ؟ إن الانسان الباطن يتقوى عندما يسكن المسيح بصفة دائمة فى الانسان . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول ليعبر بها عن **سكنى** المسيح فى قلوبنا هى الكلمة اليونانية Katoikein وهى التى تستخدم عن السكن المستمر بعكس المؤقت . كتب هنرى لايت فى الترنيمة « أمكث معى » هذه الكلمات :

لست ألتمس لفتة قصيرة أو كلمة عابرة

ولكن كما أقمت مع تلاميذك ياسيدى

فى الفة وتنازل ، وصبر وحرية

تعال ، لا لتبقى لفرصة قصيرة بل أمكث معى

إن سر القوة هو حضور المسيح معنا فى داخل حياتنا . والمسيح يمكن أن يأتى الى حياة الانسان ،

لكنه لا يفرض نفسه على الانسان . فهو يأتى عندما نطلب منه أن يأتى والمسيح ينتظر دعوتنا ليأتى لنا بقوته .

محبة المسيح غير المحدودة (أفسس ٣ : ١٨ — ٢١)

إن صلاة بولس الرسول هى أن يدرك المسيحى معنى عرض وعمق وطول وارتفاع محبة المسيح وكأن بولس الرسول يدعونا لننظر الى الكون : الى السماء غير المحدودة من فوقنا ، الى الأفق غير المحدود من حولنا من كل ناحية ، الى أعماق الأرض والبحار من تحتنا ويقول : « إن محبة المسيح بمثل هذا الارتفاع » .

ليس من المحتمل أن فكر بولس الرسول انشغل بأى موضوع بمقدار انشغاله بالاتساع العظيم لمحبة المسيح . الا أن الكثيرين رأوا فى هذه الصورة معانى ينطوى بعضها على قدر كبير من الجمال . فيرى بعض المفسرين القدامى أن الصليب هو رمز هذه المحبة . فالجزء الأعلى من الصليب يشير الى أعلى ، والجزء الأسفل يشير الى أسفل ، وجانبا الصليب يشيران الى الأفق ، الى أبعد ما يمكن أن ترى العين . وقال جيروم ان محبة المسيح تمتد الى أعلى لتشمل الملائكة الأبرار ، وتمتد الى أسفل لتشمل حتى الأرواح الشريرة والشياطين فى جهنم . وفى طولها تمتد لتشمل البشر الذين يصارعون فى طريقهم الى أعلى ، وفى عرضها تمتد لتشمل البشر الذين يجرفهم التيار فيبتعدون عن المسيح ، بعيدا عن جادة الصواب . وان كنا نريد أن نعبر عن هذه الفكرة فيكمننا أن نقول إن **العرض** فى محبة المسيح يشمل كل انسان من كل عصر وفى كل مكان ، والطول ، يعبر عن المدى الذى وصلت فيه الى الموت وقبلت حتى الصليب ، وفى **عمقها** نزلت حتى تختبر الموت ، وفى **ارتفاعها** ، أنه لازال يحبنا فى السماء ، حيث يحيا ليشفع فينا (عب ٧ : ٢٥) . فلا يوجد انسان خارج دائرة محبة المسيح ، وليس من مكان لا يصل اليه عمل المسيح ، وحب المسيح لن يرفض أن يفعل أى شيء فى سبيل أن يربح انسانا واحدا . إنه حب يفوق المعرفة ، ومتى قبله الانسان ، فانه يمتلىء بحياة الله نفسه ولا أقل من ذلك .

ثم يعود بولس الرسول الى الفكرة السائدة فى هذه الرسالة والتى تتكرر فيها كلها : أين يمكن أن نختبر هذه المحبة ؟ كيف يمكن لنا أن ندرسها وأن نجدها وأن نختبرها ؟ إننا نجدها ونختبرها مع **جميع شعب الله القديسين** . وهذا يعنى أننا نجد محبة الله فى شركة الكنيسة . لقد أصاب جون وسلى عندما قال : « ان الله لا يعرف الديانة الانفرادية » . كما قال أيضا : « لم يذهب انسان قط إلى السماء منفرداً » . قد تكون للكنيسة أخطاؤها وقد يكون أعضاء الكنيسة أبعد ما يمكن من أن يكونوا الأشخاص الذين يجب أن يكونوا الا أننا نجد فى شركة الكنيسة محبة الله .

ولذلك يختتم بولس الرسول حديثه بتسبيحة تمجيد مقدما شكره لله . إن الله يستطيع أن يفعل لنا أكثر مما نحلم به ، هو يفعل ذلك فى الكنيسة وفى المسيح .

فلنفكر اذاً قبل أن ننتهى من هذا الفصل الكتابى فى الصورة المجيدة للكنيسة التى يقدمها بولس الرسول . إن العالم ليس على الحال التى قصدها الله له ، انه عالم تمزقه القوات المتصارعة والكراهية

والمرارة والمشاحنات . أمة ضد أمة ، وانسان ضد انسان ، وطبقة ضد طبقة بل إن الشر والخير يتصارعان داخل الانسان نفسه . وخطة الله هى أن كل البشر وكل الأمم يصبحون وحدة واحدة فى المسيح . ولكى يتحقق هذا الأمل فان المسيح فى حاجة لأن تخرج الكنيسة لتحدث الناس عن حبه وعن رحمته . فالكنيسة امتداد للمسيح ، انها جسد المسيح ، انها اليد والرجل والصوت الذى يقوم بعمل المسيح . ولا يمكن للكنيسة أن تقوم بذلك إن لم يعرف ويختبر أعضاؤها — وهم فى شركة واتحاد — محبة المسيح التى تتخطى حدود الزمن . فلا يمكن لانسان أن يعلم آخر شيئا لم يتعلمه هو أو أن يعطى لآخر شيئا لا يمتلكه هو . وقبل أن نوصل حب المسيح للآخرين يجب أن نكتشف حب المسيح داخل كنيسة المسيح .

الأصحاح الرابع

جديرون بالدعوة

(أفسس ٤ : ١ ــ ١٠)

بهذا الفصل يبدأ الجزء الثانى من هذه الرسالة . وقد عالج بولس الرسول فى الفصول الثلاثة الأولى حقائق الايمان المسيحى الأزلية وتحدث عن وظيفة الكنيسة فى خطة الله وقصده . ثم يبدأ الآن فى أن يقدم صورة مصغرة لما يجب أن يكون عليه كل عضو من أعضاء الكنيسة ، إن كان للكنيسة أن تقوم بدورها فى خطة وقصد الله . وقبل أن نبدأ بقراءة هذا الفصل لنذكر أنفسنا مرة أخرى بالفكر الرئيسى فى هذه الرسالة كلها . ففى هذا العالم لا يوجد سوى الانقسام وعدم التوافق والخصام . فالأمة منقسمة ضد الأمة، والانسان ضد الانسان ، والطبقة ضد الطبقة ، بل إنه فى داخل الانسان نفسه معركة دائمة بين الجزء الأسمى والجزء الأدنى من طبيعتة البشرية . وان خطة الله وقصده أن كل هذا التنافر وعدم التوافق يجب أن يجد حله فى المسيح ، فيصبح كل البشر ويصبح كل الأمم وحدة واحدة فى المسيح ، فكل الاختلافات يجب أن تنتهى فى المسيح وبذلك تسقط كل الحواجز . فخطة الله هى أن يدخل الى العالم فى المسيح ما يسميه هـ . س . ج . موول « وحدة مقدسة » . أو ما يمكن أن نسميه « اتحاد جديد » . فيسوع المسيح يقدم المركز الوحيد الذى من حوله وبواسطته يمكن أن يتجمع جميع البشر فى وحدة وتوافق . الا أنه ان كان لهذه الوحدة أن تتحقق وأن تتم ، فان رسالة المسيح ، حقيقة المسيح ، محبة ورحمة الله الذى يبحث عن الانسان فى المسيح ، يجب أن تصل الى كل العالم . وان وظيفة الكنيسة هى أن تأخذ هذه الرسالة وذلك الحب لتوصله الى البشر . فالكنيسة يجب أن تكون ذلك الجسد الذى يعمل المسيح من خلاله ، والصوت الذى يتحدث به .

فيجب أن تكون الكنيسة أداة المسيح التى تحقق هذه الوحدة الالهية فى العالم . الا أنه لو كان للكنيسة أن تنجح فى هذا العمل العظيم ، فيجب أن يكون شعب الكنيسة من نوع معين . وهنا يتحول بولس الى الحديث عن شخصية المسيحى اللازمة ، ان كان للكنيسة أن تتم عملها العظيم لأن تكون أداة المسيح لتحقق المصالحة فى هذا الكون بين الانسان ، والانسان وبين الانسان والله فى هذا العالم .

الفضائل المسيحية (أفسس ٤ : ١ ــ ٣)

عندما ينضم انسان الى أية جماعة أو يرتبط بأى مجموعة من البشر ، فإنه يلتزم بلون معين من الحياة ، واذا لم يستطع أن يلتزم بتلك الحياة ، فانه يعوق أهداف جماعته ، ويسىء الى اسمها . فهنا يرسم بولس الرسول صورة الحياة التى يلتزم بها المرء عندما يرتبط بشركة الكنيسة المسيحية .

والآيات الثلاث الأولى من هذه الفقرة تسطع بكلمات كالجواهر . فاننا نجد هنا خمسا منا الكلمات العظيمة والأساسية فى الايمان المسيحى فلننظر الى هذه الكلمات .

١ ــ هنالك أولا الكلمة « التواضع » والكلمة اليونانية المترجمة « تواضع » هى Tapeinophrosune وهذه الكلمة هى فعلا كلمة صاغها الايمان المسيحى . فاننا نستطيع بحق أن نقول إن اللغة اليونانية لا توجد فيها كلمة تعبر عن التواضع ، الا وكانت تلك الكلمة تحمل بين ثناياها شيئا وضيعا . ولقد وصف باسليوس التواضع بأنه « ذلك الصندوق الذهبى الذى يحوى كل الفضائل » . ولم يعتبر التواضع على الاطلاق فضيلة فى العالم القديم قبل المسيحية . فالفضيلة الوثنية هى megalopsuchiaالتى تعنى **القلب الكبير** . فالعالم القديم كان ينظر الى التواضع باحتقار ولم يعتبر التواضع شيئا مرغوبا فيه . وفى اليونانية هنالك كلمة تصف التواضع ، وهى كلمة تتصل بالكلمة التى يستخدمها بولس الرسول هنا . والصفة هى Tapeinos . ومعنى هذه الكلمة يظهر من الكلمات التى ترافقها ، وكلها كلمات حقيرة . فهذه الصفة فى اللغة اليونانية كانت تستخدم مع الكلمات المعبرة عن العبودية Andrapododes oulikos ,douloprepès حقير (agennes) وضيع (adoxs) خانع (chamaizelos) (وهى كلمة تصف النبات الذى ينمو زاحفا على الأرض) . فقبل المسيح كان التواضع دائما جبناً وخنوعاً وحقارة . إلا أن المسيحية جاءت ووضعت التواضع فى مقدمة الفضائل المسيحية ، فهى الفضيلة التى تعتمد عليها سائر الفضائل ومنها تنبع . فمن أين يأتى هذا التواضع المسيحى وماذا ينطوى عليه ؟ .

(أ) إن التواضع المسيحى يأتى من **معرفة النفس** . قال برنارد عن التواضع ، « إنه الفضيلة التى يدرك بها الانسان عدم استحقاقه كنتيجة لمعرفة نفسه معرفة صادقة . أن يواجه الانسان نفسه هو أعظم ما يدفع الى التواضع فى هذا العالم . إن أغلبنا يقدم صورة مكبرة عن نفسه ، وان أغلبنا يرى نفسه مركز الأحداث فى الحياة . هنالك قصة عن انسان كان يسبح فى أحلام اليقظة قبل أن ينام بالليل ، فكان يرى نفسه بطلا يقوم بعمل انقاذ عظيم من البحر أو من اللهب ، وكان يرى نفسه خطيبا قد سحر المستمعين ، كما أنه كان يرى نفسه لاعبا ممتازا متفوقا ، يبهر المشاهدين فى مباراة كرة القدم الدورية . لقد كان هو دائما فى مركز الدائرة ، وأغلبنا يشبه هذا الانسان . والتواضع الحقيقى يأتى عندما نواجه أنفسنا ، عندما نرى ضعفاتنا ، وأنانيتنا ، وفشلنا فى العمل وفى العلاقات الشخصية وفى تحقيق أهدافنا . والتواضع يعتمد على الأمانة ، إنه يتوقف على الشجاعة التى بها ننظر لأنفسنا ، دون نظارات وردية نرى بها نفوسنا فى غير حجمها الطبيعى فنعجب بنفوسنا ، ونحب ذواتنا .

(ب) والتواضع المسيحى يأتى عندما **نضع حياتنا الى جوار حياة المسيح وفى ضوء ما يطلبه الله منا** . إن الله هو الكمال ، وإرضاء الكمال ليس أمرا صعبا فحسب ، ولكنه عين المستحيل . وحقيقة كوننا بشرا تعنى اننا مشغولون دائما بواجب لا أمل فى تحقيقه . وان كنا نقارن أنفسنا بأقل من المستويات الأعلى فاننا قد نرضى عن أنفسنا ، ولكننا عندما نقارن أنفسنا بالكمال ، فعندئذ نرى ضعفاتنا . فقد تظن فتاة انها عازفة ممتازة للبيانو الى أن تستمع الى أحد المتفوقين فى عزف البيانو . وقد يظن شاب انه عالم كبير الى أن يقرأ عن أولئك العلماء الكبار الذين شملت معرفتهم

دائرة كبيرة من العلوم . وقد يظن انسان أنه واعظ ممتاز الى أن يستمع الى أحد أمراء المنبر . وان الرضى عن النفس يعتمد على المستوى الذى نقارن به أنفسنا فان كنا نقارن ذواتنا بجارنا أو بالرجل أو بالسيدة أو غيرها ممن نراهم من حولنا ، فقد ننتهى الى درجة كبيرة من الرضى عن أنفسنا . الا أن المستوى المسيحى هو يسوع المسيح ، ومتطلبات كمال الله . وعندما نقارن ذواتنا بهذا المستوى فلا يكون هنالك مجال للكبرياء .

(ج) هنالك وسيلة أخرى للتعبير عن ذلك . يقول ر . س . رنش « إن التواضع يأتى من احساسنا المستمر بأننا لا نعدو وكوننا **خلائق** . فنحن خليقة الله والله قد خلقنا » .

فنحن نعتمد عليه اعتمادا كليا . هذا ما تعبر عنه الترنيمة الانجليزية :

انت الذى تحفظنى من الموت

ومن مخاطر كل ساعة

لا أستطيع ان اتنفس

بدون قوتك

فصحتى ، وأصدقائى ، ووالدى الأعزاء

جميعهم عطيتك

فما من نعمة هنا

سوى ما قد منحت

فمن أنفسنا لسنا شيئا

فلن نستطيع ان نعطى

فنحن دائما نأخذ

فنحن مخلوقون

وليس من حق الخلائق سوى التواضع فى حضرة الخالق .

فالتواضع المسيحى يبنى على رؤية النفس ومعرفة المسيح ومعرفة الله .

الجنتلمان المسيحى (أفسس ٤ : ١ ــ ٣ تتمة)

والفضيلة الثانية من المسيحية العظيمة هى فضيلة **الوداعة** . وهذه الكلمة هى ترجمة الاسم اليونانى praotes والصفة praus وهاتان الكلمتان يصعب ترجمتهما فى كلمة واحدة . فلنحاول أن نرى ماذا تعنى هذه الفضيلة وماذا تنطوى عليه . وهنالك معنيان لهذه الكلمة فى اللغة اليونانية :

(أ) لقد تحدث أرسطو المفكر ، والمعلم اليونانى العظيم ، كثيرا عن هذه الكلمة وكان من عادته أن يعرف الفضيلة بأنها الوسط بين **شيئين متطرفين** . فعلى جانب من الجوانب كان هنالك فائض من إحدى الصفات ، وفى الناحية الأخرى كان هنالك نقص . وفيما بينهما كانت هذه الصفة موجودة فى الحياة بنسبة مضبوطة تماما . ويعرف أرسطو الوداعة بأنها الوسط بين الغضب الزائد وانعدام الغضب بكيفية زائدة ، فهى الوسط بين الغضب الشديد وبين أن لا يغضب الانسان على الاطلاق . فالانسان الوديع هو ذلك الانسان الذى يغضب دائما فى الوقت المناسب بالضبط ولا يغضب أبدا فى وقت لا يناسب الغضب . وهذا يعنى أن الشخص الوديع هو الشخص الذى يستشيط غضبا إزاء الأخطاء والآلام التى تصيب الآخرين ، ولكنه لا يغضب بتاتا بسبب الأخطاء والاهانات التى تلحق به هو شخصيا . وعلى ذلك فالوديع هو ذلك الانسان الذى يغضب دائما فى الوقت المناسب ولا يغضب أبدا فى الوقت الذى لا يناسب الغضب .

(ب) هنالك حقيقة أخرى تلقى ضوءا على هذه الكلمة ، فكلمة praus اليونانية تطلق على الحيوان الذى تدرب على اطاعة من يمسك بزمامه أو بأمره ، الحيوان الذى تدرب واستؤنس حتى أصبح خاضعا تماما . وعلى ذلك فالانسان الوديع هو الذى يمسك بزمام كل غريزة وكل عاطفة وكذلك كل تفكير عقله وقلبه وكلمات لسانه ورغباته . وليس من الصواب أن نقول إن مثل هذا الانسان قد استطاع أن يتحكم فى نفسه تماما . فهذا التحكم الذاتى يفوق قوة البشر . ولكننا نصيب عندما نقول إن الله يمسك بزمام مثل هذا الانسان . فهو انسان يسوس الله حياته .

هنا نجد الفضيلة الثانية من الفضائل المسيحية العظيمة ، الصفة الثانية العظيمة لكل عضو فى الكنيسة . فهو الانسان الذى يمسك بزمام حياته فيغضب فى الوقت المناسب ولكنه لا يغضب أبدا فى غير الوقت المناسب ، وهو الانسان الذى قد ماتت الذات فيه والذى يوجه الله حياته بجملتها ويتحكم فيها . فهو « الجنتلمان » الذى صنعه الله .

الصبر الذى لا يهزم (أفسس ٤ : ١ ــ ٣ تتمة)

٣ ــ وصفة المسيحى الثالثة هى **طول الأناة** . وهذه الكلمة هى ترجمة الكلمة اليونانية makrothumia ومعنى هذه الكلمة يسير فى اتجاهين :

(أ) فهى تصف الروح التى لا يمكن أن تنهزم ، والتى بسبب مثابرتها تحصد الوعد والجزاء . ويمكننا أن نتصور معناها عندما نلاحظ أن أحد الكتاب اليهود استخدمها ليصف بها ما أطلق عليه ، « المثابرة الرومانية التى لا تقبل السلام نتيجة للهزيمة » . ففى أيام الرومانيين العظيمة لم يستطع أحد أن ينتصر عليهم ، فقد ينهزمون فى معركة ، أو ربما قد ينهزمون فى حملة من الحملات ، ولكنهم لم يتصوروا أبدا أنهم يخسرون الحرب . ففى أعظم ساعات الخطر والكوارث لم يخطر لهم ببال بأن يعترفوا بالهزيمة . والصبر المسيحى هو ذلك الروح الذى لن يعترف بالهزيمة والذى لا يتخاذل أمام أية مسئولية ، ولا يضعف ازاء أية كارثة أو ألم ولا يثبط همته أى مثبط ، ولكنه يثابر ويتحمل حتى النهاية .

(ب) الا أن هذه الكلمة تحمل فى اللغة اليونانية معنى أكثر تميزا . فهذه الكلمة هى الكلمة اليونانية المتميزة للتعبير عن الصبر فى التعامل مع البشر . ويعرف يوحنا فم الذهب هذه الكلمة بأنها تعبر عن الروح التى تستطيع أن تنتقم ولكنها لا تفعل ذلك . ويعرف لايتفوت هذه الكلمة بأنها تعبر عن الروح التى ترفض أن تنتقم . فهى الروح التى تتحمل كل ما يفعله البشر معها . فلو استخدمنا تمثيلا قاصرا جدا نقول : إننا كثيرا مانرى كلبا صغيرا يسير جنبا الى جنب مع كلب كبير . وقد ينبح الكلب الصغير وقد يزعج الكلب الكبير ويعضه ويهجم عليه ، وأثناء كل هذا يستطيع الكلب الكبير أن يهجم على الصغير ويقضى عليه تماما ، الا أنه يحتمله فى صبر واتزان **وطول أناة** . فطول الأناة هى الروح التى تحتمل الاهانة والاساءة دون مرارة ودون شكوى . إنها الروح التى تتحمل جهالات البشر دون أن تستفزها تلك الجهالات ، وهى الروح التى تحتمل كل ثقيل ظل فى لطف وكل غبى دون تذمر .

وأن أفضل ما يقدم لنا فكرة عن معنى هذه الكلمة هو أن العهد الجديد يستخدمها مرارا وتكرارا عن الله . فيسأل بولس الرسول الخاطىء غير التائب قائلا : « أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ؟ » (رو ٢ : ٤) . وتحدث بولس الرسول عن **طول أناة** يسوع المسيح (١ تى ١ : ١٦) . لقد احتمل المسيح بولس الذى اضطهد الكنيسة . ويتحدث بطرس الرسول عن طول **أناة الله** فى أيام نوح (١ بط ٣ : ٢٠) . ويقول لنا أن نحسب **أناة الله** خلاصا (٢ بط ٣ : ١٥) . فلو كان الله بشرا لهوى بيده منذ أمد بعيد ، وفى سخطه الشديد ، محا العالم لأجل عدم طاعته . فالله ينتظر ويحب . ويجب على الانسان أن يعامل البشر بنفس طول الأناة التى عامله الله بها .

المحبة المسيحية (أفسس ٤ : ١ ـــ ٣ تتمة)

٤ ـــ والصفة المسيحية الرابعة العظيمة هى صفة **المحبة** . كانت المحبة المسيحية شيئا جديدا لدرجة أن الكتّاب المسيحيين اضطروا أن يخترعوا كلمة جديدة للتعبير عنها ، أو يمكننا أن نقول على الأقل ، انهم اضطروا لاستخدام كلمة يونانية لم تكن شائعة على الاطلاق . وهى الكلمة agape فهنالك أربع كلمات فى اليونانية للتعبير عن المحبة : كلمة eros وهى تعبر عن المحبة بين رجل وفتاة ، وتتضمن بشكل قاطع الرغبة الجنسية . وهنالك كلمة philia وهى تعبر عن المودة القوية التى تربط شخصين متقاربين وعزيزين أحدهما على الآخر . وهنالك كلمة storge وهى تعبر بصفة خاصة عن المودة داخل الأسرة . وهنالك كلمة agape وهى التى نترجمها عادة بكلمة محبة . والمعنى الحقيقى لهذه الكلمة هو الاحسان الذى لا يمكن أن يهزم . فان عاملنا شخصا بمعاملة agape فان هذا يعنى أنه مهما فعل هذا الشخص فلن يثنينا شىء عن أن نسعى لتحقيق أسمى الخير له . فقد يؤذينا ، وقد يسىء الينا وقد يشتمنا ، الا أننا لن نشعر من نحوه الا باللطف والاحسان . وهذا بوضوح يعنى شيئا واحدا ، وهو أن هذه المحبة المسيحية ليست شيئا عاطفيا . إننا نتحدث أحيانا عن شخص يقع فى حب انسان ، وحبنا للمقربين الينا وللأعزاء علينا شىء طبيعى . الا أن هذه المحبة المسيحية ليست شيئا يتعلق بالعواطف فحسب ، ولكنها تتعلق بالارادة أيضا . إنها معركة ، فهى المقدرة على الحفاظ على الشعور الطيب من نحو شخص كريه يصعب أن نحبه ، ونحو أولئك

الذين لا يحبوننا . فالمحبة المسيحية هى كما عبر عنها أحدهم فقال : إنها القوة التى بها نحب حتى أولئك الناس الذين لا نرغب فيهم . فالمحبة المسيحية هى صفة العقل والقلب التى تدفع المسيحى لأن لا يشعر أبدا بشىء من المرارة ولا بأن يحس برغبة فى الانتقام ، بل أن يسعى دائماً نحو أفضل ما هو لخير كل انسان مهما فعل ذلك الانسان معه .

٥ ــ فالحياة المسيحية لها هذه الفضائل الأربع : التواضع ، الوداعة ، طول الأناة ، المحبة . وهذه تعود الى فضيلة هى السلام . إن نصيحة بولس الرسول وطلبه الملح هو أن أولئك الذين يكتب اليهم يجب أن يجتهدوا لأن يحفظوا « الوحدة المقدسة » التى يجب أن تتميز بها الكنيسة الحقيقية . ويمكننا أن نعرف السلام بأنه **العلاقة الصحيحة بين الانسان والانسان** . هذه الوحدة ، هذا السلام ، هذه العلاقة الصحيحة يمكن أن نحافظ عليها بطريق واحد . وكل فضيلة من الفضائل المسيحية الأربع تعتمد على شىء واحد ، وهو أن تمحى الذات . فما دامت الذات فى مركز الدائرة ، ومادامت مشاعرنا هى مركز حياتنا وهى ما يهمنا ، فهذه الوحدانية لا يمكن أن تتحقق . فهى تتم عندما نكف عن وضع الذات فى مركز الدائرة ، وعندما نفكر فى الآخرين أكثر مما نفكر فى نفوسنا . إن الذات تقتل السلام . وفى المجتمع الذى تسود فيه الذات لا يستطيع البشر الا أن يكونوا جماعة ممزقة تتكون من وحدات تحارب بعضها بعضا . لكن عندما تموت الذات وعندما يحيا المسيح داخل قلوبنا ، عندئذ يحل السلام ، والوحدة ، والاتحاد ، التى هى جميعا الصفة المميزة للكنيسة الحقيقية .

أساس الاتحاد (أفسس ٤ : ٤ ــ ٦)

يتقدم بولس الرسول هنا ليقدم لنا الأساس الذى تبنى عليه الوحدة المسيحية .

١ ــ هنالك جسد واحد . المسيح هو الرأس والكنيسة هى الجسد ولا يمكن للعقل أن يعمل من خلال جسد ممزق لا توافق فيه ولكنه منقسم الى أجزاء . فلو لم يكن هنالك توافق ووحدة فى الجسد ، فالأفكار والخطط التى يرسمها الرأس والعقل تتعطل وتتعثر . فوحدة الكنيسة شىء أساسى لعمل المسيح . ولا يتطلب هذا بالضرورة وحدة ميكانيكية ادارية أو منظمة بشرية ، ولكنها يجب أن تكون وحدة مؤسسة على المحبة المشتركة فى المسيح ومحبة كل عضو للعضو الآخر .

٢ ــ هنالك روح واحد . ان كلمة pneuma فى اللغة اليونانية تعنى **روح وتعنى أيضا** نفس (بفتح الفاء) . وهذه الكلمة فى الواقع هى الكلمة المعروفة والمعتادة للتعبير عن أنفاس الانسان . فان لم يدخل النفس ويخرج من الجسد يموت ، والنفس الذى يحيى جسد الكنيسة هو روح المسيح . وان عمل الروح فى الجسد هو الذى يعطى الجسد حياة وهو الذى يحفظ الجسد حيا . فلا يمكن أن تكون هنالك كنيسة بدون الروح ولا يمكن أن يقبل المرء الروح القدس دون انتظار له فى صمت وصلاة .

٣ ــ هنالك رجاء واحد فى دعوتنا . فنحن جميعا نتقدم نحو الهدف الواحد . وهنا نجد سر الوحدة العظيم . فوسائلنا قد تختلف ، وأنظمتنا قد تختلف ، بل ربما تختلف عقائدنا الا أننا نسعى

جميعا نحو هدف عالم قد افتداه المسيح .

٤ ـــ هنالك رب واحد . إن أقرب ما وصلت اليه الكنيسة الأولى فى التعبير عن ايمانها فى صيغة قانون ايمان هو هذه العبارة المقتضبة : « يسوع المسيح هو رب » (فى ٢ : ١١) . فقد رأى بولس الرسول ان الله كان ينتظر ذلك اليوم الذى يعترف فيه كل البشر بأن « يسوع هو رب » . والكلمة اليونانية التى نترجمها بكلمة رب هى kurios ولهذه الكلمة معنيان فى اللغة اليونانية الدارجة ، ونستطيع أن نرى من خلال هذين المعنيين ما قصده بولس الرسول . فهى الكلمة التى تستخدم للتعبير عن السيد لنفرق بينه وبين الخادم أو العبد ، كما أنها كانت اللقب المألوف للإمبراطور الرومانى . والمسيحيون يرتبطون معا لأنهم جميعا يمتلكهم سيد واحد وملك واحد وهو الذى يخدمونه .

٥ ـــ هنالك ايمان واحد . لم يقصد بولس الرسول أن هنالك قانون ايمان واحد . وفى الواقع أنه من النادر جدا أن تعنى كلمة ايمان فى العهد الجديد قانون ايمان . فكلمة ايمان فى العهد الجديد تكاد أن تعنى دائما ثقة المسيحى الكاملة فى المسيح يسوع وتسليمه التام له . وبولس الرسول يقصد أن يقول إن جميع المسيحيين يرتبطون معا فى اتحاد لأن جميعهم قد اشتركوا فى تسليم أنفسهم تماما لمحبة المسيح يسوع . وقد يصفون تسليمهم بتعبيرات مختلفة وبقوانين ايمان مختلفة ، ولكن مهما وصفوا تسليمهم هذا ، فانه لازال هو عينه ذلك الشىء الواحد الذى يشتركون فيه جميعا .

٦ ـــ وهنالك معمودية واحدة : هنالك باب واحد لدخول الكنيسة المسيحية ، وفى الكنيسة الأولى كانت المعمودية عادة معمودية كبار لأن الرجال والنساء كانوا يقبلون مباشرة من الوثنية الى الكنيسة المسيحية . وعدا ذلك فكانت المعمودية قبل كل اعتبار اعترافا علنياً بالايمان . وقد كان هنالك طريق واحد للجندى الرومانى لينتظم فى صفوف الجيش ، فقد كان يجب عليه أن يقسم بأن يكون مخلصا الى الأبد لإمبراطوره وملكه . وكان هنالك طريق واحد لدخول الكنيسة المسيحية ـــ طريق الاعتراف العلنى بالمسيح يسوع .

٧ ـــ هنالك اله واحد . دعونا نرى الآن ماذا يقول بولس الرسول عن الاله الذى نؤمن به . انه يقول عنه إنه أبو الجميع ، وبهذه العبارة يكون حب الله واضحا ومكرما الى الأبد .

إن أعظم شيء والشيء الذى يتميز به الله فى المسيحية ليس هو أنه ملك ، ولا أنه قاض وإنما كونه أب . إن فكرة المسيحية عن الله تبدأ بالمحبة . ثم يقول على (فوق) الكل ، وهذه الكلمة توضح ان الله يمسك بزمام الأمور . فمهما بدت الأمور فان الله لازال يمسك الزمام . فقد تكون هنالك فيضانات ، ولكن كما يقول المرنم « الرب بالطوفان جلس » (مز ٢٩ : ١٠) فلن يفلت شيء من سلطان الله . ويقول أيضا وبالكل ، وهنا نجد عناية الله . إن الله لم يخلق العالم ، ثم ترك الأمور تسير فى سبيلها كما يملأ انسان الساعة ويدعها تعمل . إن الله يتخلل عالمه ، فيقود ويوجه ويسند ، ويعضد ، ويحب . فعناية الله تعمل بنشاط وقوة فى كل الأشياء ومن خلال كل شيء . ويقول بولس الرسول « وفى كلكم » . وهذه الكلمة تقدم لنا صورة مباركة لحضور الله فى كل

الحياة . ولعل بولس الرسول أخذ بذرة هذه الفكرة من الرواقيين . لقد أعتقد الرواقيون أن الله نار ، أنقى من كل النيران الأرضية فهو روح نارية فى أوضح وأنقى صورها . وكانوا يعتقدون أن ما يعطى الانسان حياة هو أن جذوة من هذه النار ، التى هى الله ، جاءت وحلت فى جسده . لقد اعتقد بولس الرسول أن الله فى كل شيء . فهو فى الانسان وفى عقل الانسان . فى العالم وفى كل الأشياء التى تنمو ، فى التاريخ وفى الحوادث . فالله موجود فى كل شيء . والمسيحيون يؤمنون أننا نعيش فى عالم خلقه الله وهو يدير شئونه ، ويحفظه ، ويملأه .

عطايا النعمة (أفسس ٤ : ٧ — ١٠)

يتحول بولس الرسول هنا الى جانب آخر من موضوعه . لقد تحدث عن صفات أعضاء كنيسة المسيح ، ويتكلم هنا عن وظيفتهم فى الكنيسة والعمل الذى يقومون به ، فيتحدث عن كيف يمكن لهم أن يستخدموا قدراتهم ومواهبهم وعطاياهم أفضل استخدام فى خدمة الكنيسة . ويبدأ بأن يقدم ما كان يعتبره حقيقة جوهرية — وهو أن كل موهبة عند أى انسان ، انما هى عطية نعمة المسيح . فهو يعتبر أن المسيح هو معطى كل المواهب التى يمتلكها المسيحى .

كل فضيلة لنا

وكل نصرنا

وكل فكر طاهر

ملكه وحده

ويقتبس بولس الرسول آية من سفر المزامير ليؤكد فكرته بأن المسيح معطى الهبات . ولكنه يقتبسها مع اختلاف جوهرى . ونجد هذه الآية فى المزمور الثامن والستين . وهذا المزمور يصف عودة الملك المنتصر . فالملك المنتصر يصعد عاليا ، أى أنه يصعد طريق جبل الزيتون شديد الانحدار ليصل الى شوارع المدينة المقدسة ويحضر معه جماعة الأسرى . أى انه يسير فى انتصار فى الشوارع ، والأسرى مربوطون بالسلاسل من خلفه ، ليقدموا صورة لقوته الظافرة . وهنا يأتى الاختلاف فالآية فى المزمور هى ، « صعدت الى العلاء . سبيت سبيا . قبلت عطايا بين الناس ، وأيضا المتمردين للسكن أيها الرب الاله » (مزمور ٦٨ : ١٨) . فالظافر المنتصر قد عاد الى بيته ومعه الغنائم ، وهو يطلب الفدية التى يجب أن تدفعها له الشعوب التى انتصر عليها . ولنلاحظ التغيير الذى يجريه بولس الرسول : « صعد الى العلاء ، سبى سبيا ، **وأعطى** الناس عطايا » . ففى العهد القديم ، كان الملك الظافر المنتصر يطالب الناس بعطايا وهبات ويأخذها منهم ، أما فى العهد الجديد فان المسيح المنتصر **يمنح ويعطى** عطايا للبشر . هذا هو الاختلاف الجوهرى بين العهدين . فالله هو الاله الذى يعطى . وفى العهد القديم يطلب الاله الغيور ويصر على أن يقدم له البشر عطايا ، أما فى العهد الجديد فالاله المحب يسكب حبه للبشر ويعطى لهم كل ما عنده .

إن هذه هى رسالة الأخبار السارة . ثم اذا بفكر بولس الرسول يسبح بعيدا ، كعادته ، بسبب

كلمة من الكلمات . لقد استخدم كلمة **صعد** وهذا يدفعه للتفكير فى يسوع . ويقوده هذا لأن يقول شيئا رائعا . لقد **نزل** يسوع من هذا العالم عندما تركه ليعود الى مجده . والفكرة العظيمة التى يقدمها بولس الرسول هى أن المسيح الذى صعد هو نفسه المسيح الذى نزل . فماذا يعنى هذا ؟ إنه يعنى ان المسيح الممجد هو عينه يسوع الذى سارت قدماه على أرضنا . إنه لازال يحب جميع البشر ، لازال يبحث عن الخاطىء لازال يشفى المتألمين ، لازال يعزى الحزانى ، لازال صديق المنبوذين من الرجال والنساء ، وفكرة بولس الرسول الرائعة هى أن المسيح فى مجده لم ينس أبدا حبه . أو كما يقولون فى اسكتلندا :

وان كان قد صعد الآن الى العلاء
فانه يحنو على الأرض بعين الإخاء
شارك الناس بشريتهم
لذلك يعرف ضعفهم
شاركنا أتعابنا
لذا يحس بآلامنا
لازال يذكر فى السماء
آلامه ، صراخه ، وكذا البكاء
فكل ما يحزن قلبا
كان له فيه نصيب
أحزاننا رثى لها
آلامنا خففها
فالمسيح الذى صعد لازال هو محب نفوس البشر .

ثم اذا بفكر آخر يخطر ببال بولس الرسول . لقد صعد المسيح الى العلاء لكنه لم يصعد ليهجر العالم . لقد صعد ليملأ العالم كله بحضوره . فعندما كان يسوع فى عالمنا بالجسد ، كان يمكن له أن يكون فى مكان واحد فى الوقت الواحد ، لقد كان محدودا بحدود الجسد ، ولكن عندما وضع جسده جانبا وعندما عاد الى المجد تحرر من حدود الجسد ، وأصبح من الممكن له أن يكون فى كل مكان فى العالم عن طريق روحه . فصعود يسوع فى نظر بولس الرسول لم يعن أن المسيح قد هجر العالم بل إنه قد ملأ العالم .

موظفو الكنيسة

(أفسس ٤ : ١١ — ١٣)

تلقى هذه الفقرة اهتماما خاصا لأنها تقدم لنا صورة لنظام الكنيسة الأولى وادارتها . فهى تقدم لنا قائمة بموظفى الكنيسة فى وقت بولس الرسول . ففى الكنيسة الأولى كان هنالك ثلاثة أنواع من الموظفين . فكانت هنالك مجموعة صغيرة امتد سلطانها فى كل انحاء الكنيسة .

وكان هنالك كثيرون ممن لم تكن خدمتهم محدودة بمكان واحد ، ولكنهم قاموا بخدمة متجولة ، يذهبون حيثما يقودهم الروح وحيثما يرسلهم الله . وكان هنالك البعض ممن كانت خدمتهم خدمة محلية محدودة بجماعة واحدة وبمكان واحد .

١ — **الرسل** ، وكانت سلطتهم تمتد فى كل أنحاء الكنيسة . وكان الرسل يشملون أكثر من الاثنى عشر . فبرنابا كان رسولا (أع ١٤ : ٤ و ١٧) . ويعقوب أخو الرب ، كان رسولا (١ كو ١٥ : ١٧ ، غلا ١ : ١٩) . وسلوانس كان رسولا (١ تس ٢ : ٦) واندرونكسوس ويونياس كانا بين الرسل (رو ١٦ : ٧) . وكانت هنالك صفتان مميزتان للرسول . فأولا . يجب أن يكون الرسول قد شاهد الرب . وعندما كان بولس الرسول يثبت حقه فى وجه المعارضة التى كانت فى كورنثوس ، نراه يقول : « ألست أنا رسولا ؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا ؟ » (١ كو ٩ : ١) . وثانيا كان يجب أن يكون الرسول شاهدا للقيامة وللرب المقام . فعندما اجتمع الاحد عشر لينتخبوا بديلا ليهوذا ، الخائن ، كانت مؤهلات من يحل محله هى أن يكون واحدا قد اجتمع معهم طوال مدة خدمة المسيح على الأرض ، ويجب أن ينصب ليكون شاهدا للقيامة (أع ١ : ٢١ و ٢٢) . ومن زاوية خاصة يمكننا أن نقول إن الرسل كانوا فى طريقهم للانقراض ، لأنه بعد مدة من الزمن ليست بطويلة نجد أن أولئك الذين رأوا يسوع فعلا والذين عاينوا قيامته فعلا يرحلون من هذا العالم . الا أنه من زاوية أخرى ، وبمعنى أعظم ، تظل المؤهلات كما هى . فإن من يعلم عن المسيح يجب أن يعرف المسيح ، والذى يوصل قوة المسيح للآخرين يجب أن يكون قد اختبر قوة المسيح المقام .

٢ — وكان هنالك **الأنبياء** ، وكلمة نبى لا تعنى شخصا ينبىء بالمستقبل بمقدار ما تعنى شخصا يتحدث برسالة خاصة . فالأنبياء لم ينبئوا بالمستقبل بمقدار ما حدثوا الناس عن ارادة الله . وفى سبيل الحديث عن ارادة الله ، فانهم بالضرورة قد ينبئون بشىء عن المستقبل لأنهم يحدثون البشر عن النتائج التى تترتب على عصيان ارادة الله . وكان الأنبياء يتجولون فى جميع أنحاء الكنائس . وكان الناس يعتبرون أن رسالتهم لا تتأسس على التفكير والدراسة ، ولكنها تنبع من الروح القدس مباشرة . ولم تكن لهم بيوت ولا عائلات ولا مصادر مالية يعيشون منها ، فكانوا يذهبون من كنيسة الى كنيسة ، يعلنون ارادة الله حسبما أمرهم أن يفعلوا . وقد اختفى الأنبياء من الكنيسة بعد مدة ليست بطويلة . وكانت هنالك ثلاثة أسباب لأجلها اختفى الأنبياء .

(أ) كان الأنبياء هم أول من عذبوا فى وقت الاضطهاد ، فوظيفتهم كانت محفوفة بالمخاطر ولم

تكن لهم وسيلة للتخفى ، فكانوا أول من يموتون لأجل الايمان .

(ب) أصبح الأنبياء مشكلة ، فبنمو الكنيسة تطور نظامها المحلى . فتطورت جماعات المؤمنين المحلية وأصبحت هيئة منظمة لها خدامها الدائمون واداراتها المحلية . و لم يمض وقت طويل حتى ضاق الخدام المحليون ذرعا بتدخل أولئك الأنبياء المتجولين ، والذين سببوا القلاقل فى كثير من الأحيان للكنائس المحلية . والخدام الثابتون يميلون دائما لرفض المبشرين المتجولين وكانت النتيجة التى لابد منها أن الأنبياء اختلفوا شيئا فشيئا ، وأصبح للخدام الثابتين والمستقرين المكان الأسمى .

(ج) كانت وظيفة النبى بصفة خاصة معرضة لسوء الاستخدام فكانت للأنبياء المتجولين مكانة خاصة عظيمة . وأساء البعض منهم استخدام الوظيفة وجعلوا منها عذرا لحياة مترفة على حساب شعب الكنائس التى زاروها . وأقدم الكتب التى تحدثنا عن الشئون الادارية فى الكنيسة هو كتاب ال Dodache أى « **تعليم الرسل الاثنى عشر** » ، الذى كتب بعد سنة ١٠٠ م بقليل وفى هذا الكتاب نجد بوضوح مكانة الأنبياء ، وكذلك الشبهات التى كانت تحوم حولهم . ويقدم الكتاب نظام تأدية الفرائض ، والصلوات التى تستخدم ، وبعد ذلك يعلم الكتاب بأن النبى له الحق فى أن يمارس الفريضة بالكيفية التى يراها . فهو غير ملتزم بالشكل العادى إن رغب فى أن يختار صورة أخرى . الا أن هنالك بعض القواعد الأخرى فى هذا الكتاب . فهو يقول إن النبى المتجول يمكن أن يقضى يوما أو يومين مع شعب احدى الكنائس . أما إن رغب فى أن يبقى لمدة ثلاثة أيام فهو نبى كاذب . ويقول أيضا إنه اذا طلب نبى متجول فى لحظة تجل مزعوم مالا أو طعاما ، فهو نبى كاذب . وكان هنالك وقت عندما كان الأنبياء هم رسل الله حقا فى الكنيسة ، ولقد كان الأمر كذلك فى أيام بولس الرسول .

وجاء وقت عندما أصبح أولئك الأنبياء المتجولون ينتمون الى عصر مضى وانقضى ، كما جاء وقت أضر فيه بعضهم بسمعة هذه الوظيفة . وفى النهاية اختفت هذه الوظيفة تماما .

٣ ـــ وكان هنالك **المبشرون** . وكان المبشرون أيضا متجولين . وهم يشبهون من نسميهم اليوم بالمرسلين . ويقول بولس الرسول لتيموثاوس ، « اعمل عمل المبشر » (٢ تى ٤ : ٥) . كان أولئك هم الذين يحملون الأخبار السارة . فلم تكن لهم مكانة الرسل الذين عاينوا الرب ولا سلطانهم ، و لم يكن لهم تأثير الأنبياء الذين كانوا يعملون بوحى الروح القدس ، ولكنهم كانوا جماعة مرسلى الكنيسة العاديين الذين حملوا قصة الأخبار السارة لعالم لم يكن قد استمع اليها من قبل . ولا يقدم لنا العهد الجديد عن هؤلاء المبشرين المجهولين سوى مجرد اشارة بسيطة . الا أنه لابد أنهم كانوا الخدام الذين حملوا اسم المسيح لكل العالم وإن كنا لا نعرف عن اسمائهم شيئا .

٤ ـــ وكان هنالك **الرعاة والمعلمون** . ويلوح أن هذه العبارة المزدوجة تشير الى جماعة واحدة من الناس . لقد كانوا **معلمين** ومن زاوية خاصة يمكننا أن نقول إنهم كانوا يشغلون أهم وظيفة فى كل الكنيسة ، فلم يكونوا متجولين ، بل مستقرين ومستمرين فى خدمة شعب معين . وقد كانت وظيفتهم مثلثة :

(أ) يجب أن نتذكر أنه كانت هنالك كتب قليلة جدا فى الكنيسة الأولى . ولم تخترع الطباعة الا بعد ذلك بألف واربعمائة سنة . فكل كتاب كان يجب أن ينسخ باليد وكان الكتاب الذى فى مثل حجم العهد الجديد يكلف حوالى خمسين جنيها . وكان هذا يعنى ان قصة المسيح يجب تداولها شفاها . ولقد تداولوا قصة المسيح شفاها قبل أن تكتب بمدة طويلة وكانت المسئولية الجسيمة التى وقعت على عاتق أولئك المعلمين هى ان يحفظوا قصة الانجيل ، فكانت وظيفتهم أن يعرفوا قصة حياة المسيح وأن يبلغوها للآخرين . ونحن مدينون لهم بقصة حياة المسيح التى تتداولها الكنيسة .

(ب) كان كل من جاءوا للكنيسة قد دخلوا اليها من الوثنية مباشرة . فلم يعرفوا شيئا على الاطلاق عن المسيحية ، سوى أن المسيح قد استحوذ على قلوبهم . ولذلك كان واجب المعلمين أن يوضحوا وأن يعلموا الايمان المسيحى لأولئك المتجددين الذين جاءوا الى الكنيسة من العالم الوثنى . فكان يجب عليهم أن يعلموا وأن يوضحوا عقائد الايمان المسيحى العظيمة . وكان نقاء العقيدة على عاتقهم . ونحن مدينون لهم بالحفاظ على نقاء الايمان المسيحى وعدم تحريفه وهو فى طريقه الينا .

(ج) وكان المعلمون أيضا رعاة ، وفى ذلك الوقت كانت الكنيسة المسيحية مجرد جزيرة صغيرة فى وسط بحر زاخر من الوثنية . وكان الذين دخلوا الى المسيحية قريبين جدا من الحياة الوثنية ، وكانوا معرضين دائما لعدوى العالم الوثنى ، بل انهم كانوا معرضين دائما للعودة الوثنية . وكان واجب الرعاة أن يهتموا بالقطيع وأن يحفظوه فى سلام . وكلمة راعى كلمة قديمة ولها احترامها . فمنذ أيام هوميروس نجد أن أجاممنون الملك يدعى راعى الشعب وقد أطلق يسوع على نفسه اسم الراعى الصالح (يو ١٠ : ١١ و ١٤) ويقول كاتب الرسالة الى العبرانيين عن يسوع إنه راعى الخراف العظيم (عب ١٣ : ٢٠) . ويقول بطرس عن يسوع إنه راعى النفوس (١ بط ٢ : ٢٥) . كما أطلق عليه رئيس الرعاة (١بط ٥ : ٤) . وقد أمر يسوع بطرس بأن يرعى خرافه (يو ٢١ : ١٦) . وقد حذر بولس قسوس أفسس من أنه يجب عليهم أن يحترزوا للرعية التى أقامهم الروح القدس فيها (أع ٢٠ : ٢٨) . ويحث بطرس الشيوخ بأن يكرموا رعية الله (١ بط ٥ : ٢) . وصورة الراعى ثابتة تماما فى العهد الجديد . والراعى هو ذلك الرجل الذى يهتم بالقطيع ويقود الخراف الى الأماكن الأمينة ، وهو الرجل الذى يبحث عن الخراف عندما تضل فيعود بها ثانية ، وهو الذى يدافع عن الخراف ضد أعدائها ويموت لأجلها إن لزم الأمر . وراعى خراف الله هو ذلك الرجل الذى يحمل شعب الله على قلبه ، الذى يطعمهم الحق ، ويبحث عنهم عندما يضلون ويدافع عنهم عندما ضد كل ما قد يؤذى أو يحطم أو يشوه ايمانهم . وهذه ليست وظيفة رسمية ، فان كل مسيحى عليه بأن يرعى كل إخوته .

هدف الموظفين (أفسس ٤ : ١١ — ١٣ تتمة)

بعد أن ذكر بولس الرسول أنواع الوظائف فى الكنيسة ، يتحدث عن هدف الموظفين وما يجب أن يحاولوا أن يقوموا به .

إن هدفهم هو أن أعضاء الكنيسة يصبحون مؤهلين تماما . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول عن فكرة **التأهيل** هى كلمة طريفة للغاية . انها الكلمة اليونانية katartismon التى تشتق من الفعل اليونانى katartizein والكلمة تستخدم فى الجراحة للتعبير عن جبر أحد الأطراف المكسورة ، أو اعادة مفصل الى وضعه الصحيح . وفى عالم السياسة تستخدم الكلمة عن تجميع العناصر المتنافرة لتتمكن الحكومة من ممارسة أعمالها . وفى العهد الجديد تستخدم هذه الكلمة للتعبير عن اصلاح الشباك (مرقس ١ : ١٩) ، وعن تأديب المسيء حتى يصبح صالحا لأن يأخذ مكانه مرة أخرى فى شركة الكنيسة (غلا ٦ : ١) . والفكرة الرئيسية من وراء هذه الكلمة هى فكرة وضع الشيء أو الشخص فى الحال الذى يجب أن يكون عليه . ان عمل موظفى الكنيسة هو أن يعلموا أعضاء الكنيسة ويعاونهم ويقودهم ويهتموا بهم ، ويبحثوا عنهم عندما يضلون ، لكى يصبحوا بالصورة التى يجب أن يكونوا عليها . وموظف الكنيسة يشغل وظيفته ، لا لمجده الشخصى ولكن لبناء زملائه الأعضاء داخل الكنيسة .

وهدف موظفى الكنيسة هو أن يستمر عمل الخدمة والكلمة اليونانية التى تعبر عن الخدمة هى diakonis والفكرة الرئيسية من وراء هذه الكلمة هى فكرة **الخدمة العملية** . إن عمل الكنيسة ليس هو الوعظ والتعليم فقط ، ولكن الخدمة العملية . أن عمل موظف الكنيسة ليس هو أن يقوم بمجرد الحديث والمجادلة فى الأمور اللاهوتية ودستور الكنيسة . ولكنه يشغل وظيفته الكنسية لكى تستمر الخدمة العملية للفقراء وللذين يحسون بالوحدة من شعب الله .

إن هدف موظفى الكنيسة هو أن يعملوا على بناء جسد المسيح . إن نشاط موظف الكنيسة دائما نشاط بناء ، فلا يهدم ، وهدفه الدائم هو أن تبنى الكنيسة فلا تنقسم أبدا . ولن يكون هدفه أبدا اثارة المشاكل ، بل يسعى دائما لكى تنتفى المشاكل تماما . فهدفه دائما هو تقوية نسيج الكنيسة ولذلك فلن يعمل على اضعافها أبدا .

الا أن لموظف الكنيسة أهدافا أعظم من هذه . فالأعمال التى أشرنا اليها هى ما يمكن أن نسميه الأعمال المباشرة التى يمارسها يوما بيوم . الا أن له أيضا أهدافا أعظم من هذه . فهدفه هو أن يصل أعضاء الكنيسة الى الاتحاد الكامل . فيجب أن لا يسمح بتاتا بأن تتكون الأحزاب والجماعات داخل الكنيسة . ويجب أن لا يفعل بتاتا أى شيء يؤدى إلى الاختلافات داخل الكنيسة . فهدفه هو أن يقود بتعاليمه وبمثاله أعضاء الكنيسة الى مزيد من الاتحاد فى كل يوم . وهدفه هو أن يبلغ أعضاء الكنيسة الرجولة الكاملة . وهدف الكنيسة لأعضائها ليس أقل من الكمال . فلا يمكن أن تقنع الكنيسة بأن يحيا أعضاؤها مجرد حياة محترمة وقورة ، بل يجب أن تسعى الكنيسة لأن تكون حياة أعضائها مثالا للكمال المسيحى .

وهكذا يصل بولس الرسول فى النهاية الى هدف لا يمكن أن يكون هنالك أعظم منه . فهدف الكنيسة هو أن يصل أعضاؤها الى مستوى من القامة نقيسه بالمقارنة بملء المسيح . وقد اعتاد أ . ج . جوسيب أن يقول فى عبارة جريئة : إن هدف المسيح كان أن ينتج فى هذا العالم جنسا من « المسحاء » (أناس على غرار المسيح) . وهدف الكنيسة لا يقل عن كونها تنتج رجالا ونساء

تنعكس من حياتهم صورة يسوع المسيح نفسه . يقولون إنه أثناء حرب القرم كانت فلورنس نايتنجيل تمر ذات مساء فى أحد عنابر المرضى فى مستشفى . وتوقفت لتنحن على سرير كان فيه جندى ، نظر اليها وقال : « أنت هو المسيح بالنسبة لى » . وقد عرفوا القديس بأنه « شخص يعيش فيه المسيح ثانية » . وهذا ما يجب أن يكون عليه أعضاء الكنيسة الحقيقيون .

النمو فى المسيح

(أفسس ٤ : ١٤ ـــ ١٦)

فى كل كنيسة هنالك أعضاء يحتاجون الى حماية . فهنالك من يشبهون الأطفال ، تسيطر عليهم الرغبة فى أى شيء جديد ، فهم تحت رحمة الأشياء المستحدثة فى الدين ، وهم دائما تحت تأثير آخر شخص تحدثوا اليه ، كما أن عندهم ضعفا صبيانيا يعوقهم عن التركيز فى أمور الايمان الأساسية . ويعلمنا التاريخ أبيانيا يعوقهم عن التركيز فى أمور الايمان الأساسية . ويعلمنا التاريخ أن المستحدثات الشعبية فى أمور الدين تأتى وتمضى الا أن الكنيسة تدوم الى الأبد . ويعلمنا التاريخ أن المعلمين والمبشرين المتنقلين قد تلمع أسماؤهم ثم يسقطون ، إلا أن الكنيسة تدوم ، والطعام القوى الجاد هو دائما داخل الكنيسة .

وفى كل كنيسة هنالك جماعة من الناس يجب الاحتراس منهم . ويتحدث بولس الرسول عن « حيلة الناس . والكلمة اليونانية التى يستخدمها هى kubeia كانت تعنى البراعة فى التلاعب بزهر الطاولة . وهنالك دائما أشخاص يقودون الناس بعيدا عن الايمان ببراعة وذكاء محاولاتهم . ومن مميزات العصر الذى نعيش فيه أن الناس يتحدثون عن الدين أكثر مما اعتادوا أن يتحدثوا عنه منذ سنين طويلة . والمسيحى وخاصة الشاب المسيحى ، عليه أن يواجه فى أحيان كثيرة الحجج البارعة التى يقدمها أعداء الكنيسة وأعداء الله .

وهنالك سبيل واحد به نتجنب أن تحملنا رياح التعاليم الدينية الجديدة وأن نتجنبب أن تخدعنا مجالات البشر الأذكياء ، وذلك بالنمو المستمر فى المسيح ، وبأن نحيا حياة الاقتراب المتزايد اليه فى كل يوم .

ويستخدم بولس الرسول صورة أخرى أيضا . فيقول إن الجسد يكون فى صحة جيدة ويستطيع أن يقوم بعمله بكفاءة عندما يقوم كل جزء بعمله الخاص فى تنسيق مع بقية الأجزاء ، وعندما يقوم كل مفصل بالربط بين الأعضاء المفروض أن يربط بينها ، وعندما يقوم كل جزء فى الجسد بالدور المطلوب منه والذى من نصيبه أن يقوم به . ويقول بولس الرسول إن الكنيسة تشبه ذلك ، ولكنها لا تستطيع أن تحقق هذا الأمر ما لم يكن المسيح حقا هو الرأس ، وعندما يتحرك كل عضو من الأعضاء تحت سلطان المسيح ، كما يتحرك كل عضو فى الجسم السليم بتوجيه من العقل .

والشيء الوحيد الذى يمكن أن يحفظ الشخص المسيحى قويا فى الايمان وثابتا ضد كل غواية ،

الشيء الواحد الذى يمكن أن يحفظ الكنيسة بأسرها قوية وعلى مستوى من الكفاءة ، هو علاقة لمودة التى لا تنفصم مع المسيح يسوع الذى هو الرأس والعقل الموجه لكل الجسد .

الأشياء التى يجب أن ننبذها

(أفسس ٤ : ١٧ ــ ٢٤)

هنا يستحث بولس الرسول الذين تجددوا ليقلعوا عن أسلوب حياتهم القديم وأن يتحولوا الى أسلوب المسيح للحياة . وينتقى بولس الرسول فى هذه الفقرة ما يعتبره الخصائص الجوهرية لحياة الأمم . فالأمم تهتم بأمور تافهة لا طائل تحتها ، فعقولهم مظلمة بسبب جهلهم . وهنا تأتى الكلمة الهامة بسبب **غلاظة** قلوبهم . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول ونترجمها بكلمة غلاظة هى كلمة يونانية كئيبة وفظيعة . إنها الكلمة porosis وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة poros والتى كانت تعنى أصلا نوعا من الأحجار أشد صلابة من الرخام . ثم أصبحت تستخدم فى الأوساط الطبية . فكانت تستخدم عن المواد الجيرية التى تتكون فى المفاصل فتشل حركتها تماما . وهى تستخدم عن التراكم الجيرى الذى يتكون حيث كان العظم مكسورا ثم التأم ، التراكم الذى يعتبر أشد صلابة من العظام نفسها . وتعنى الكلمة أخيرا الفقدان التام للمقدرة على الاحساس . فهى تصف شيئا قد تجمد تماما ، وق تحجر لدرجة فقد معها كل قوة على الاحساس . ويقول بولس الرسول إن حياة الأمم تشبه ذلك . فهى حياة قد تحجرت لدرجة فقدت معها القدرة على الاحساس . فقد كتب روبرت برنز عن الخطية فى الأبيات التى عنوانها « رسالة الى صديق شاب » :

أغفلت قدر خطية صغيرة

ومخاطر الاخفاء

ولكن يا للهول

فكم يجمد الداخل

ويجمد الشعور

ان ما يدفع الى الفزع من الخطية هو التحجر الذى يقود اليه . فاننا نستطيع أن نميز سلسلة خطوات الخطية . فلا يمكن لانسان أن يصبح خاطئا كبيرا دفعة واحدة . إنه فى البداية يخشى الخطية ويفزع منها . وعندما يخطىء يحس فى قلبه بالتأديب والأسف . ولكنه اذا استمر فى الخطية ، يأتى وقت فيه يفقد كل احساس وشعور ، فيفعل الأشياء التى يندى لها الجبين دون ذرة من الاحساس . لقد تحجرضميره . وان أعظم اتهام وجهه بولس الرسول لأسلوب الحياة الوثنية هو أن تلك الحياة انما تحجر الضمير حتى تصبح الحياة خلوا من الاحساس .

الا أن بولس الرسول يستخدم أيضا كلمتين يونانيتين شنيعتين يصف بهما أسلوب حياة الوثنيين .

فيقول إنهم أسلموا أنفسهم لكل أنواع السلوك غير النظيف **ليعملوا كل نجاسة فى الطمع** . ويقول إنهم فعلوا ذلك **اذ هم قد فقدوا الحس** . والكلمة التى يعبر بها عن « اذ هم فقدوا الحس » هى الكلمة اليونانية aselgeia وعرف أفلاطون هذه الكلمة بأنها تعنى « وقاحة أو صفاقة » ، ويعرفها كاتب آخر بأنها « الاستعداد لكل لذة » . ويعرف القديس بساليوس هذه الكلمة بأنها « الحال الذى يصبح المرء فيه غير قادر على تحمل ألم التأديب والتهذيب » . الا أن أعظم صفة مميزة لهذه الكلمة هى انها توضح أن الرجل الشرير يحاول عادة أن يخفى خطيته ، إلا أن المرء الذى يوصف بهذه الكلمة هو ذلك الذى لا يبالى بما يقوله الرأى العام . فهو لا يبالى بالأخلاق العادية ، ويخدش الحياء فى سبيل استمتاعه برغباته الشخصية . وأغلب الناس لديهم بقية باقية من الحياء تدفعهم لأن يخفوا خطاياهم ، الا أن من يوصف بهذه الكلمة لا يبالى بمن يرى أفعاله المشينة مادام يحصل على ما يريد . فيمكن للخطية أن تتسلط على الانسان لدرجة يفقد معها كل حياء وكل احساس بالكرامة . إنه يشبه من يتعاطى المخدرات . فهو يستخدمها سرا فى البداية ، إلا أنه قد يصل الى درجة يرجو فيها علنا ، بل ويلح فى طلب المخدر الذى أصبح يعتمد عليه . وقد يصبح الانسان مستعبدا للمسكر لدرجة لا يبالى فيها بمن يراه مخمورا . وقد يسمح انسان لرغباته الجنسية بأن تتسلط عليه لدرجة لا يبالى فيها بمن يراه يشبع تلك الرغبات . وأسلوب الحياة الوثنى يمكن أن يصبح خاضعا ومستعبدا للخطية لدرجة يفقد المرء فيها الشعور الطبيعى بالخجل ، وبذلك لا يستمر الانسان فى كونه انسانا ، فيصبح كالبهائم .

وغير المسيحى يفعل كل هذا **عاملا كل نجاسة فى الطمع** . والكلمة اليونانية التى يستخدمها هنا هى الكلمة pleonexia وهى كلمة أخرى بشعة . ويعرف اليونانيون هذه الكلمة بأنها « الطمع المتصلف » . وقد عرفوها بأنها « حب التملك الذى أصابته اللعنة » . كما أنهم عرفوها بأنها « الرغبة غير المشروعة فى تملك ما للآخرين » ، كما قالوا عنها « إنها تلك الروح التى تجعل الانسان مستعدا دائما لأن يضحى بجاره فى سبيل رغباته الشخصية » . فهذه الكلمة pleonexia تعبر عن تلك الرغبة الجامحة فى تملك ما لا حق لنا فيه . أو الرغبة التى تقود الى سرقة الأشياء المادية ، أو التى تدفع المرء لأن يدوس على الآخرين فى سبيل بلوغ هدفه ، أو تقود الى الخطايا الجنسية . إنها روح ذلك الانسان الذى لا يبالى بجرح شعور الآخرين أو الأسلوب الذى يستخدمه المرء مادام يبلغ أهدافه .

وقد رأى بولس الرسول ثلاثة أشياء مريعة فى العالم الأممى ، العالم البعيد عن المسيح . لقد رأى قلوب الناس وقد تحجرت تماما حتى لم يدركوا أنهم يفعلون الخطية ، كما أنه رأى البشر وقد تسلطت عليهم الخطية حتى فقدوا الاحساس بالخجل ونسوا مبادىء الحياة الراقية ، بل إنه رأى الناس وقد سادت عليهم ميولهم ونوازعهم حتى لم يبالوا بالحياة التى قد يجرحونها أو البراءة التى يحطمونها مادامو يبلغون رغباتهم . وعندما نتأمل هذه الصورة ، نجد أن هذه هى نفس خطايا العالم بدون المسيح اليوم ، فهى الخطايا التى تهاجم الحياة من كل جانب والتى تمتلىء بها شوارع كل مدينة كبيرة .

ويستحث بولس الرسول المؤمنين لأن يكونوا قد تخلصوا من مثل هذه الحياة . ويعبر عن ذلك

بصورة حية فيقول : « اخلعوا اسلوب حياتكم القديم كما تخلعون الملابس القديمة ، والبسوا ملابس جديدة . اخلعوا خطاياكم عنكم ، والبسوا البر والقداسة التى يمكن لله أن يعطيكم إياها . هنالك عبارات قليلة تصف الخطية بمثل هذه الصورة القبيحة وتستحث الانسان لأن يهجر أسلوب العالم ، ويسير فى طريق الله .

أشياء يجب أن تختفى من الحياة

(أفسس ٤ : ٢٥ — ٣٢)

لقد قال بولس الرسول إنه عندما يصبح انسان مسيحيا ، فانه يجب أن يخلع الحياة القديمة كما يخلع رجل معطفا قد استغنى عنه . ويتحدث بولس الرسول هنا عن الأشياء التى يجب أن تختفى من الحياة المسيحية .

١ — يجب أن لا يكون هنالك كذب ، أى كذب . والكذب فى هذا العالم ليس نوعا واحدا . فهنالك كذب الكلام والأقوال . وهذا الكذب يكون أحيانا متعمدا بينما يكون فى أحيان أخرى غير مقصود . ويقدم الدكتور جونسون نصيحة طريفة فيما يتعلق بتنشئة الأطفال فيقول : « عوّد أطفالك دائما على هذا (قول الصدق) ، فاذا حدث شيء بجوار إحدى النوافذ ، واذا بهم وهم يروون القصة ، يقولون إنه حدث بجوار نافذة أخرى لا تدع هذا الأمر يمر ولكن صحح الخطأ فورا ، فأنت لا تعلم ما قد يقود اليه الانحراف عن الحق .. فالعالم مليء بالكذب وذلك ليس بسبب الكذب المتعمد بقدر ما هو سبب اهمال الحق » . ويرى د . جوفسون اننا يجب أن نعود أنفسنا على أن نتعمد أن نعتزم ، وأن نحاول أن نقول الصدق . إنه من السهل أن نضيف بعض الرتوش لاحدى القصص . ومن السهل ان نختلق قصة عندما نقدم اعتذارنا عن عدم قيامنا بأمر من الأمور ، أو عمل شيء من الأشياء . وانه لمن المؤكد أن العالم مليء بالكثير من الباطل غير المتعمد ، وان الحق يتطلب مجهودا خاصا يبذله الفرد . إن أن هنالك بالاضافة الى كذب الكلام ، كذب الصمت ، وقد يكون هذا أكثر انتشارا . ويتحدث أندريه موروا فى احدى عباراته المشهورة عن « خطورة الأشياء التى صمت الناس عن ذكرها » . فقد يصمت انسان فى احدى المناقشات بينما كان يجب عليه أن يتكلم ، وبصمته يوافق على تصرف يعلم هو أنه خطأ . وقد يمتنع عن التحذير والتوبيخ بينما يعلم جيدا أنه كان يجب عليه أن يحذر ويوبخ . وقد يصبح الحق جامدا بسبب صمت انسان . بمقدار ما يمكن لانسان أن يحرق الحق بكلامه .

ثم يقدم بولس سبب قول الصدق ، وهو اننا كلنا أعضاء فى نفس الجسد . ونحن انما نحيا فى سلامة لأن حواسنا وأعصابنا ترسل رسائل صادقة الى مخنا . وفى الواقع انه لو تعودت حواسنا وأعصابنا على أن ترسل رسائل كاذبة الى مخنا ، فلو قالت مثلا للعقل ، إن شيئا كان باردا ويمكن لمسه بينما هو فى الحقيقة ساخن ويحرق . لانتهت الحياة سريعا . ويمكن للجسد أن يعمل بدقة وبكيفية مرضية عندما يرسل كل عضو رسائل صادقة الى المخ والى الأجزاء من الجسم . فان كنا جميعا

نرتبط معا فى جسد واحد ، فلا يمكن لهذا الجسد أن يقوم بعمله الا عندما نقول الصدق . وكل خداع يعوق عمل جسد المسيح .

٢ ـــ يجب أن يكون هنالك غضب فى الحياة المسيحية ، إلا أنه يجب أن يكون هو النوع الصحيح من الغضب . فالانسان الذى فقد القدرة على الغضب ، انسان فقد شيئا أساسيا فى حياته . فالغضب الأنانى ، الغضب بسبب الأشياء التى تحدث لنا ، دائما خاطىء . فالخصام والطبع الحاد وسرعة الهياج أشياء لا يمكن الدفاع عنها . الا أن هنالك غضبا يصبح العالم بدونه مكانا تعيسا . فالعالم لاشك كان يفقد الكثير لو لم يكن هنالك غضب ولبرفورس المتقد ضد تجارة الرقيق ، وغضب شافتسبرى اذاء الظروف والأحوال التى كان العمال من الرجال ونساء وأولاد يرزحون تحتها فى القرن التاسع عشر . ولقد تميز الدكتور جونسون بالصراحة الحادة ، فمتى اعتقد أن شيئا قد جانب الصواب قال ذلك بقوة ودون دوران . وعندما كان على وشك نشر أحد كتبه ، طلبت منه السيدة « هنامور » أن يخفف بعض عباراته ، ورُوت انه قال لها عندئذ « إنه لا يستطيع أن يبتر مخالبه ، أو أن يجعل من النمر الذى فيه قطا ، لكى يرضى انسانا » . فهنالك مكان للنمر فى الحياة ، وعندما يصبح النمر قطا مستأنسا نفقد شيئا . فقد غضب المسيح فى بعض الأحيان غضبا شديدا . لقد غضب عندما رأى الكتبة والفريسيين يراقبونه ليروا إن كان يشفى رجلا يده يابسة فى يوم السبت (مرقس ٣ : ٥) . وهو لم يغضب لأنهم انتقدوه ، ولكنه غضب لأن تمسكهم المستميت بالعقيدة السليمة دفعهم الى الرغبة فى أن يستمر أخ لهم فى الانسانية فى الألم دون داع . وغضب يوم أن صنع سوطا وطرد الصيارفة وباعة الذبائح من فناء الهيكل (يوحنا ٢ : ٣ ـــ ١٧) ويحدثنا ف . و . بوريهام كيف أن ث . و . روبرتسون ، الواعظ والقديس المشهور، يحدثنا فى أحد عظاته بأنه عض شفتيه حتى سالت منهما الدماء عندما رأى رجلا يعرفه فى الطريق ، يداعب فتاة صغيرة نقية ليقودها الى التهلكة . لقد غضب روبرتسون غضبا شديدا . ولقد قال جون وسلى : « اعطنى مئة رجل لا يخافون سوى الله ، ولا يكرهون شيئا سوى الخطية ، ولا يعرفون شيئا سوى يسوع المسيح مصلوبا ، وسوف أهز العالم » . إن الغضب الأنانى ، العاطفى ، الذى لم يتهذب ، والذى لا يمكن ضبطه خطية . وهو غير نافع بل يقود الى الضرر ، ويجب أن ينتفى من الحياة المسيحية . ولكن الغضب المدرب فى خدمة المسيح . وخدمة إخوتنا فى البشرية والذى يحيط به النقاء فيخلوا من الأنانية ، هو واحد من أعظم القوى فى هذا العالم .

٣ ـــ ويتابع بولس الرسول حديثه فيقول إن المسيحى يجب أن لا يسمح أبدا للشمس بأن تغرب على غضبه . يقول بلوتارك إن تلاميذ فيثاغورس ، الفيلسوف ، كانوا يطبقون قاعدة فى حياتهم اليومية بأنه إن دفعهم الغضب أثناء النهار فوجه واحد منهم إهانة لأخيه فانهم قبل أن تغرب الشمس يصافحون ويقبلون بعضهم بعضا ، ويتصالحون . وكان أحد الربيين يصلى طالبا أن لا يذهب أبدا لينام وفى فكره ضغينة من نحو أى أخ فى الانسانية . ولا يأمل انسان فى ختام أفضل ليومه من أن يكون فى سلام مع البشر أجمعين . والنصيحة التى يقدمها بولس الرسول نصيحة صائبة ، لأننا كلما أجّلنا اصلاح مشكلة أو مشاجرة وسمحنا لمزيد من الوقت بأن يمر عليها ، كلما ازدادت صعوبة حل المشكلة . فان كانت هنالك مشكلة بيننا وبين أى شخص آخر ، أى إن كانت هنالك مشكلة

فى الكنيسة أو فى وسط أى جماعة ننتمى اليها ، فان الطريق الأوحد لعلاج المشكلة هو أن نهتم بها فورا . فكلما تركناها تنمو كلما ازداد الاحساس بالمرارة وكلما ازدادت تعقيدا . فمتى أخطأنا ، فانه يجب علينا أن نصلى الى الله ليعطى لنا نعمة خاصة بها نذهب ونعترف بخطايانا وحتى لو كانت على صواب ، فانه يجب أن نصلى الى الله ليعطى لنا نعمة خاصة لنستطيع أن نأخذ الخطوة الأولى لتصحيح الأوضاع .

ويضيف بولس الرسول أمرا ثانيا . والتعبير اليونانى الذى يستخدمه قد يعنى شيئا من اثنين . فقد يعنى : « لا تعطوا ابليس فرصة » . فالانقسام الذى يبقى دون علاج ، والمشاجرة التى تدوم دون مصالحة ، انما تقدم فرصة ممتازة للشيطان ليبذر بذار الانقسام والخصام . وكم من مرة تمزقت الكنيسة الى أحزاب وجماعات لأن فردين منها تشاجرا وسمحا للشمس بأن تغرب على غضبهما . وكم يجدر أن نتذكر أنه عندما تتدهور العلاقات الشخصية يجد ابليس فرصة ، وهو لا يتباطأ فى اغتنامها . إلا أن هنالك معنى آخر لهذه العبارة يتساوى احتمال أن يكون بولس الرسول قد قصده مع المعنى الأول . فالكلمة اليونانية التى تعنى إبليس هى كلمة diabolos الا إن كلمة diabolos هى الكلمة اليونانية المألوفة للتعبير عن **المفترى** فلوثر مثلا ، اعتبر ان هذه العبارة تعنى : « لا تعطوا المفترى مكانا فى حياتكم » . « ولعل هذا هو المعنى الحقيقى الذى قصده بولس الرسول . فلا يمكن لأحد فى هذا العالم أن يحدث مزيدا من المشاكل ومزيدا من الضرر بمثل ما يحدثه المفترى وهو ينقل مختلف الروايات . هذا ما عبر عنه كوليريدج فى أحد إشعاره عندما قال :

وأسفاه لقد كانا فى الصبا

إلا ان الألسنة الهامسة تستطيع ان تشوه كل الحقائق .

فكم من سمعة تهدر بينما الناس يحتسون أكواب الشاى كل يوم . وكم يجدر بالمرء ان يغلق الباب فى وجه كل من يحملون القصص والروايات من مكان الى مكان .

٤ ــ ويجب على من كان لصا أن يصبح عاملا شريفا . وقد كانت هذه نصيحة ضرورية ، فقد كانت السرقة سائدة فى العالم القديم . وقد كانت مألوفة فى مكانين بصفة خاصة . فقد كانت مألوفه عند مرسى السفن وفى الحمامات العامة . وكانت الحمامات العامة بمثابة النوادى فى ذلك العصر ، وكانت سرقة ملابس ومتعلقات من يذهبون للحمامات من الأمور المألوفة جدا فى أى مدينة يونانية .

الا أن الأمر الطريف فى ما يقوله بولس الرسول إنما هو السبب الذى لأجله يريد أن يصبح المرء شريفا . فانه لا يقول : « يجب أن تصبح عاملا شريفا لكى لا تكون عالة على غيرك ولكى تعول نفسك بأمانة وشرف » ولكنه يقول : « يجب أن تكون عاملا أمينا لكى يكون لك ما يمكن أن تقدمه لمن تقل مواردهم المالية عنك » . وهنا نجد فكرة جديدة ، نموذجا جديدا ، نموذج العمل لكى نستطيع أن نعطى للآخرين . ويحدثنا جيمس اجيت من خطاب كتبه الروائى أرنولد بينيت لكاتب كان أقل حظاً منه . ولقد كان بينيت طموحا ودنيويا الى حد كبير ، الا أنه فى الخطاب

لكاتب كان أقل خطأ منه . ولقد كان بينيت طموحا ودنيويا الى حد كبير ، الا أنه فى الخطاب الذى كتبه لزميله الكاتب ، والذى لم يكن يعرف عنه شيئا سوى اسمه ، يقول : « لقد كنت أطلع الآن على حسابى بالبنك ، ووجدت أن هنالك مائة جنيه لست فى حاجة اليها ، وها أنا أرسل اليك شيكا بهذه القيمة » .

وهنالك متطلبات تفرض نفسها علينا ، وفى المجتمع الحديث لا يحس انسان بأن لديه فائضا يمكن أن يعطيه للآخرين ، إلا أنه يجدر بنا أن نذكر النموذج المسيحى فى العمل ، وهذا النموذج هو اننا نعمل ، لا لنكدس الأشياء ، ولكن لنستطيع ، متى لزم الأمر ، أن نعطى الآخرين

٥ — ويتقدم بولس الرسول ليمنع كل الكلام القبيح ، ويقدم ذلك بصيغة ايجابية . فيقول للمسيحى ان تكون كل كلمة من كلماته نافعة للآخرين . فيجب أن يتميز المسيحى بالكلمات التى تساعد الآخرين . ولقد امتدح أليفاز التيمانى أيوب كثيرا عندما قال : « قد أقام كلامك العاثر » (أى ٤ : ٤) . هذه هى الكلمات التى ينبغى أن يتحدث بها المسيحى .

٦ — ويستحثنا بولس الرسول أن لا نحزن الروح القدس . والروح القدس هو الذى يرشد ويوجه الحياة . وعندما نتصرف تصرفا مخالفا لارشاد وتحذير ونصح والدينا ونحن فى الصغر ، فنحن نجرح شعورهم ونحزن قلوبهم . وكذلك ، عندما نتصرف ضد ارشاد وتوجيه الروح القدس ، فنحن نحزن الروح ونجرح مشاعر قلب الله ، الأب ، الذى أرسل الينا كلمته بالروح .

الأشياء التى يجب أن تختفى من الحياة (أفسس ٤ : ٢٥ — ٣٢ تتمة)

وختم بولس الرسول هذا الفصل الكتابى بقائمة من الأشياء ، واحدة بعد الأخرى ، يجب أن تختفى من الحياة .

١ — هنالك المرارة pikria . وقد عرف اليونانيون هذه الكلمة بأنها تعنى **الكراهية التى تستمر طويلا** ، فهى الروح التى ترفض المصالحة . فالكثيرون منا يعملون على أن يستمر غضبهم ، فهم يفكرون كثيرا فى الشتائم والاساءات والاهانات التى لحقت بهم . وكلما طال تفكيرنا فى هذه الأشياء كلما تأصلت فينا تأثيراتها . ولعله يجدر بكل مسيحى أن يصلى طالبا من الله أن يعلمه أن ينسى .

(ب) وهنالك **السخط** thumos **والغضب** orge وقد عرف اليونانيون الكلمة التى نترجمها بكلمة سخط بأنها ذلك النوع من الغضب الذى يشبه اللهيب الذى ينتج عن القش . فهو مشتعل سريعا ويخمد سريعا أيضا . الا أنهم من الناحية الأخرى ، كانوا يصفون كلمة orge بأنها تعنى ذلك الغضب الذى أصبح عادة متأصلة فى الانسان . فالانفعال السريع والغضب الذى يستمر طويلا كلاهما ممنوعان على المسيحى .

(ج) وهنالك **الصياح والتجديف** : كانت زوجة أحد الوعاظ تنصح زوجها بأن يخفض صوته فى المنبر . فعندما نلاحظ عند أى مناقشة أو أى جدل أن صوتنا قد ارتفع ، فان هذا يعنى أن الأوان قد حان لنتوقف . وكان اليهود يتحدثون عن « خطية اهانة الآخرين » وكانوا يعتبرون ان

الله لا يبرىء من يهين الآخرين . لقد امتدح الشاعر لين كورديليا قائلا :

كان صوتها هادئا دائما ، وديعا منخفضا ،

وكم هى صفة ممتازة فى النساء .

إنه لمما يوفر الكثير من الاحزان فى هذا العالم ، أن نتعلم ببساطة أن نخفض أصواتنا وإن لم يكن لدينا شيء طيب نقوله عن انسان ، فلا نقول شيئا على الاطلاق . فوجهة النظر التى يجب أن يؤيدها الصوت المرتفع ليست وجهة نظر على الاطلاق . والخلافات يجب أن تصحبها الشتائم ليست مناقشة وإنما شجار .

وهكذا يصل بولس الرسول الى خلاصة نصيحته فيقول إننا يجب أن نكون لطفاء chrestos وقد عرف اليونانيون هذه الصفة بأنها ذلك الاستعداد العقلى الذى يدفعنا لنهتم بشئون جارنا كما نهتم بشئون أنفسنا . فاللطف هو أننا نهتم بمشاعر الآخرين كما نهتم بمشاعرنا . وهو أن نهتم بأحزان وصراعات ، ومشاكل الآخرين كما لو كانت تخصنا شخصيا . فاللطف قد يعلم سر النظر للخارج دائما ، وليس للداخل . وهو يعلمنا أن نغفر للآخرين كما غفر لنا الله . وهكذا يقدم بولس الرسول ـــ وفى عبارة واحدة ـــ قانون العلاقات الشخصية ، وذلك أن نعامل الآخرين كما عاملنا المسيح يسوع .

الأصحاح الخامس

محاكاة الله

(أفسس ٥ : ١ ــ ٨)

هنا يضع بولس الرسول أمام شعبه المسيحى أعلى مثال فى كل العالم . فيقول إنه يجب عليهم أن يتمثلوا بالله . وقد تجرأ اكليمندس الاسكندرى فيما بعد فقال إن المسيحى الحقيقى الحكيم يمارس أن يكون هو إلله . وعندما تحدث بولس الرسول عن المحاكاة كان يستخدم لغة يتفهمها حكماء اليونان . فالتمثيل أو المحاكاة mimesis كان جزءاً أساسيا فى تدريب الخطباء . فقد قال معلم الفصاحة إن تعلم الخطابة يعتمد على أشياء ثلاثة : النظرية ، والمحاكاة ، والممارسة . والجزء الأساسى فى التدريب كان هو دراسة ومحاكاة الخطباء البارعين الذين عاشوا من قبل . فكأن بولس الرسول يقول : « إن كنت تتدرب لأن تكون خطيبا ، فانهم سيقولون لك أن تتمثل بمن برعوا فى الخطابة . الا أنكم لا تتدربون على الخطابة ولكنكم تتدربون على الحياة . ولذلك فيجب أن تتمثلوا برب كل حياة صالحة .

وهذا الاقتداء كان يجب أن يكون فوق كل شيء فى اتجاه واحد . فيجب على المسيحى أن يحاكى حب الله وغفرانه ويستخدم بولس الرسول عبارة من عبارات العهد القديم النموذجية فيتحدث عن « الرائحة الطيبة » . وهذه العبارة تعود بنا الى فكرة قديمة جدا، قديمة قدم الذبائح نفسها . فعندما كانت الذبيحة تقدم على المذبح ، كانت رائحة اللحم المحترق تصعد الى السماء ، وكانوا يعتبرون أن الاله الذى تقدم له هذه الذبيحة كان يستمتع كثيرا بتلك الرائحة . والذبيحة التى كانت رائحتها طيبة ذبيحة تسر الاله الذى تقدم له كثيرا وتحوز بصفة خاصة قبوله . ويأخذ بولس الرسول التعبير القديم الذى أضفى عليه الزمن قدسية خاصة ــ فهو يرد حوالى خمسين مرة فى العهد القديم ــ ويستخدمه فى التعبير عن الذبيحة التى قدمها المسيح لله . فذبيحة المسيح حازت سرور الله ، فهى ذبيحة ابتهج الله بها .

وما هى تلك الذبيحة ؟ إن ذبيحة المسيح كانت حياة الطاعة الكاملة لله ، والحب الكامل للبشر ، إنها طاعة بلغت الكمال وحب لا يحد ، حتى أنه قبل الصليب . إن ما يقوله بولس الرسول هو هذا : « تمثلوا بالله ، وإن كنتم تبتغون ان تتمثلوا بالله ، وان تحاكوا الذبيحة التى قدمها المسيح ، فانكم لا تستطيعون أن تفعلوا ذلك الا بأن تحبوا البشر بنفس ذلك الحب المضحى الذى أحبهم المسيح به ، وان تغفروا لهم فى حب كما فعل الله . » فيطلب بولس الرسول من كل مسيحى أن يكرر فى حياته نفس موقف الله بما ينطوى عليه من حب ولطف وغفران ورحمة .

ثم يتحدث بولس الرسول عن أمر آخر . قيل إن الطهارة كانت هى الفضيلة الوحيدة الجديدة التى أدخلتها المسيحية الى العالم . وفى الواقع أن العالم القديم كان ينظر الى الفساد الخلقى فى النواحى الجنسية بمنتهى الاستخفاف حتى أنه لم يعتبره خطية على الاطلاق . فلقد كان من المتوقع أن تكون

للرجل خليلة . وفى بعض الأماكن مثل كورنثوس كانت بالمعابد الكبيرة مئات الكاهنات اللآتى كن يعتبرن بغايا مقدسات ، وكان ما يتكسبنه ينفق على العناية بالهيكل . لقد طالب شيشرون فى أحد خطبة قائلا : « إن كان هنالك من يظن أن الشباب يجب أن يحرم تماما من حب المحظيات ، فانه لاشك متطرف فى القسوة . إننى لا أستطيع أن أنكر المبدأ الذى ينادى به مثل هذا الشخص ، الا أن هذا المبدأ لا يناقض فقط ما يسمح به العصر الذى نعيش فيه ، ولكنه يعارض أيضا عادات آبائنا وما وافقوا عليه . فمتى لم يحدث ذلك ؟ ومتى أعتبر هذا ضربا من الخطأ ؟ ومتى لم يسمح بمثل ذلك ؟ ومتى كان المسموح به اليوم غير مسموح به ؟ » فيقول شيشرون إن الرومانى العاقل لا يمنع الشاب من أن يعاشر البغايا . والشىء الذى يلقى أكبر ضوء على وجهة نظر العالم القديم هو هذا : قال الاغريق أنفسهم إن سولون كان هو أول شخص سمح بدخول البغاء الى أثينا ، وبعد ذلك سمح ببناء بيوت البغايا ومن حصيلة هذه التجارة الجديدة بنوا معبدا جديدا لأفروديت ، الهة الحب . ولا يوجد ما يوضح وجهة النظر اليونانية أفضل من أن اليونانيين لم يروا غضاضة فى أن يبنوا معبدا للالهة من حصيلة ومكاسب البغاء . فعندما نبر بولس الرسول على الطهارة الأخلاقية ، فانما كان يقيم مستوى أخلاقيا ماكان العالم الوثنى القديم يحلم به ، وهذا ما دفعه لأن يستحثهم بشدة . ويضع قواعد الحياة النقية فى كل هذا التنبير . فيجب أن نتذكر نوع المجتمع الذى جاء منه هؤلاء المسيحيون ، كما وأن نتذكر نوع المجتمع الذى يحيط بهم . لا يوجد فى التاريخ كله ما يضارع المعجزة الأخلاقية التى أتت بها المسيحية .

المزاح فيما يتعلق بالخطية (أفسس ٥ : ١ ــ ٨ تتمة)

ويجب أن نلاحظ تحذيرين آخرين يقدمهما بولس الرسول

١ ــ يقول إننا يجب أن نتجنب حتى مجرد الحديث عن هذه الخطايا المشينة . فيقول إن هذه يجب الا تكون موضوع حديث أحمق أو مزاح سخيف . ويقول هيرودوتس إن الفرس كانوا ينادون بقاعدة للسلوك تقول : « من غير المسموح للمرء حتى مجرد الحديث عن الأشياء التى لم تكن ممارستها مسموحا بها » فأن يتحدث المرء عن شىء ، وأن يمزح بشأنه ، وأن يجعله موضوع مناقشاته ، فانه يدخله بذلك الى دائرة عقله ، ويجعله وشيك الحدوث فى حياته العملية ، وكان اعتقاد بولس وتحذيره هو أن هنالك بعض الأشياء التى يقود مجرد الحديث عنها أو المزاح بشأنها الى المخاطر . ولذلك فيجب أن تنتفى هذه تماما من الحياة المسيحية . ولازال من الأشياء المؤسفة التى تزيح الستار عن الطبيعة البشرية أن هنالك الكثير من الكتب والتمثيليات والأفلام التى لاقت نجاحا كبيرا لأنها بكل بساطة تناولت تلك الموضوعات التى تتصل بالأمور الممنوعة والقبيحة .

٢ ــ ويقول إن المتجددين يجب أن لا يسمحوا لأنفسهم بأن يخدعهم الكلام الفارغ وماذا يعنى ذلك ؟ لقد كان البعض فى العالم القديم ، وحتى فى الكنيسة المسيحية يعلمون الناس أن ينظروا الى الخطايا الجسدية نظرة استخفاف . ففى العالم القديم كانت هناك مدرسة من مدارس الفكر تسمى الغنوسطية . وتبدأ الغنوسطية بفكرة أساسية ، فهى تبدأ بالاعتقاد بأن الروح وحده صالح وأن المادة

دائما تشوبها الشوائب وهى شر ، فالمادة أساسا ، ومن طبيعتها شىء شرير ، فالروح فقط هو الذى يجب أن نهتم به ، وأما المادة فيجب أن نحتقرها احتقارا كاملا تاما . والانسان يتكون من جزئين ، فهو جسد وروح . ويرى هؤلاء أن روحه فقط هى التى تهم ، أما جسده فلا أهمية له على الاطلاق . ولذلك فقد قال البعض ، أو على الأقل الغنوسطيون إن ما يفعله الفرد بجسده لا يهم ، فلن يحدث شىء ان انغمس المرء فى شهوات الجسد وأشبعها . فالجسد لا يهم على الاطلاق . فالانسان سيتخلص من الجسد بعد فترة وجيزة ، وروحه فقط هى التى تهم . ولذلك فقد قال أولئك الغنوسطيون إن خطايا الجسد والجنس لم تكن ذات شأن لأنها تتعلق بالجسد وليس بالروح . وحاربت المسيحية مثل هذا التعليم بأن نادت بأن الجسد والنفس كلاهما مهم ، وأن الله خلقهما ، وأن يسوع المسيح قد قدس جسدنا الى الأبد بأن أخذ لنفسه جسدا ، وأن الجسد أيضا هو هيكل الروح القدس ، وأن المسيحية تهتم بخلاص الانسان كله ، الجسد ، والنفس ، والروح .

٣ ــ كان هذا الهجوم من خارج الكنيسة ، الا أن هجوما أخطر جاء من داخل الكنيسة . فهنالك من حرفوا عقيدة النعمة . ونحن نسمع أصداء مناقشات بولس الرسول معهم فى الفصل السادس من رسالة رومية . وكانت المناقشة تجرى على النحو الآتى . « أتقول إن نعمة الله هى أعظم شىء فى العالم ؟ » . « نعم » « أتقول إن نعمة الله واسعة جدا لدرجة تغطى كل الأخطاء والشرور والأوساخ ؟ « نعم » . « اذاً ، إن كان الأمر كذلك فلنستمر فى الخطية ، لأن نعمة الله يمكن أن تمحو كل اثم ، بل أكثر من ذلك ، كلما ازددنا فى الخطية كلما أعطينا نعمة الله فرصة لتقوم بعملها . فخطيتنا شىء جميل لأنها تنتج النعمة التى تقول إنها أعظم شىء فى العالم » . وواجهت المسيحية هذه المناقشة بأن أصرت على أن النعمة ليست مجرد امتياز وعطية فقط ، ولكنها أيضا مسئولية والتزام . فصحيح أن حب الله يستطيع أن يغفر ، بل إنه يغفر فعلا ، الا أن حقيقة حب الله لنا تضع على عاتقنا مسئولية أن نسعى لأن نستحق ذلك الحب .

إن أعظم ضرر يمكن أن يؤذى به الانسان انسانا ، هو أن يدفعه الى الاستخفاف بالخطية . وكل تعليم يقلل من رعب الخطية ومخاطرها تعليم ملىء بالسموم . وقد طلب بولس الرسول من المتجددين أن لا ينقادوا وأن لا ينخدعوا بتلك الكلمات الفارغة التى أبعدت عن الخطية هولها ولدغتها السامة .

أبناء النور

(أفسس ٥ : ٩ ــ ١٤)

نظر بولس الرسول الى حياة الأمم فرآها حياة فى الظلام ، ولكنه رأى المسيحية حياة فى النور . وأراد أن يقدم هذه الحقيقة بصورة واضحة . وبذلك لا يقول إن الأمم أبناء الظلام ، وان المسيحيين أبناء النور ، ولكنه يقول إن الأمم **ظلمة** ، وان المسيحيين **نور** . وهنالك بعض الأشياء التى أراد بولس الرسول أن يذكرها عن النور الذى يأتى به يسوع المسيح الى البشر .

١ ــ فالنور ينتج الثمر الطيب . فهو ينتج الصلاح والبر والحق . والصلاح **agathasune** هو

نوع من كرم الروح . وقد عرف اليونانيون أنفسهم البر dikaiosune بأنه « إعطاء الناس والله ما يحق لهم » . والحق aletheia ليس فى فكر العهد الجديد مجرد شيء عقلى ندركه بأذهاننا . ولكن الحق حق أخلاقى ، فهو ليس شيئا **ندركه** ، ولكنه شيء **نفعله** فالنور الذى يأتى به المسيح الينا يجعل منا مواطنين صالحين ونافعين فى هذا العالم ، فهو يجعل منا الرجال والنساء الذين لا يتخاذلون عن تأدية واجبهم ، سواء أكان من نحو البشر أو من نحو الله ، ويقوينا لنفعل ما نعلم انه حق . والشجرة لا تثمر ان لم يصل نور الشمس اليها ، والحياة لا تثمر ان لم يلمسها نور المسيح .

٢ ــ والنور يساعدنا لنميز بين ما يرضى الله وما لا يرضيه . ويجب أن نختبر كل الدوافع وكل الأفعال فى نور المسيح . وهنالك دكاكين كثيرة فى شوارع بلاد الشرق القديمة بلا نوافذ . وكثيرا ما يرغب انسان فى أن يشترى قطعة قماش حريرية أو قطعة من النحاس المشغول ، واذا به قبل أن يشتريها يأخذها خارج الدكان الى الشارع ليفحصها فى ضوء الشمس ، ليكشف له النور أية عيوب قد تكون فيها . وهو لا يشتريها الا بعد أن يفحصها فى النور . وواجب كل مسيحى أن يكتشف كل تصرف ، وكل قرار ، وكل دافع لنور المسيح . فيجب أن نمتحن كل شيء فى هذه الحياة فى ذلك النور .

٣ ــ والنور يكشف الشر . وكم من مرة كانت أفضل وسيلة لتخلص المجتمع أو العالم من شر من الشرور أن نأتى به الى النور . فطالما كان الأمر يحدث سرا ، كان يستمر ، ولكن عندما ندفع به الى نور النهار فانه يختفى تلقائيا . إن أضمن وسيلة لتنقية أعماق قلوبنا ولتنقية تصرفات أى مجتمع نتصل به ، هى أن نجعل كل شيء يتعرض لنور المسيح .

٤ ــ وأخيرا ، يقدم بولس الرسول فكرة جميلة عن النور ، « كل ما أظهر فهو نور » . وهذه عبارة صعبة . الا أنه يلوح أن بولس قصد أن يقول إن النور له فى ذاته صلة مطهرة وفى عصرنا نعلم كيف أننا قد تغلبنا على الكثير من الأمراض عندما سمحنا ببساطة لأشعة الشمس بالدخول . ونعلم اليوم عن الشفاء الذى تحمله أشعة الشمس . وهكذا أيضا نور المسيح . فيجب أن لا نفكر أبدا فى نور المسيح كذلك الشيء القاسى الذى يدين الانسان ، فانه يأتى أيضا بالشفاء . فما نأتى به الى نور المسيح لا يستنير فقط ، ولكنه أيضا يتطهر . ويختتم بولس الرسول هذه الفقرة مقتبسا الكلمات : « استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح » . ويستخدم بولس الرسول هذه العبارة وكأن كل شخص يعرفها . ولا يوجد اليوم من يعرف من أين أتى بولس الرسول بهذا الاقتباس : الا أن هنالك بعض الأفكار الطريفة بهذا الشأن . لعله من المؤكد ، حيث أن هذا الاقتباس فى صيغة شعرية ، ان هذه الكلمات جزء من ترنيمة مسيحية قديمة . ولعلها جزء من احدى ترنيمات المعمودية . ويجب أن نتذكر أن أغلب المعموديات فى الكنيسة الأولى كانت معموديات كبار ، فكانت معموديات أشخاص اعترفوا بايمانهم ، بعد أن نبذوا عبادة الأوثان واقبلوا الى المسيحية . ولعل هذه هى الكلمات التى كانوا ينشدونها بينما كانوا يخرجون من الماء ، لترمز الى خروج المسيحية من ظلام العبادة الوثنية الى يقظة واشراق الحياة المسيحية . ويرى آخرون ان هذا الاقتباس جزء أيضا من ترنيمة ، تعبر عن دعوة رئيس الملائكة عندما يبوق أخيرا على الأرض . وعندئذ تتم اليقظة العظمى عندما يقوم كل البشر من نوم الموت لينالوا الحياة الأبدية فى المسيح . هذه مجرد أفكار ،

الا أنه يلوح لنا وكأنه من المؤكد أننا ونحن نقرأ هذه السطور ، انما نقرأ جزءا من احدى الترانيم التى رنمتها الكنيسة الأولى .

الشركة المسيحية

(أفسس ٥ : ١٥ — ٢١)

يختتم بولس الرسول دعوته العامة للمتجددين يحثهم بأن يعيشوا عيشة الحكماء . فالعصر الذى يعيشون فيه عصر شرير ، ويجب أن ينفذوا أكبر قدر من الوقت من استخدام العالم له استخداما شريرا .

ويقارن بولس الرسول بين نوعين من التجمعات : تجمعات الوثنيين واجتماعات المسيحيين . كانت اجتماعات الوثنيين اجتماعات ماجنة ، وفيها انغماس فى الملذات . كان أ . س . ويلش يعظ مرة عن الآية : « امتلئوا بالروح » . فبدأ حديثه بعبارة مفاجئة قائلا : « يجب أن تملأ المرء بشىء من الأشياء » . وقد وجد الأممى سعادته بأن يملأ نفسه بالخمر وبكل الملذات العالمية ، أما المسيحى فقد وجد سعادته فى أن يمتلىء بالروح .

ومن هذه الفقرة يمكننا أن نستجمع بعض الحقائق عن اجتماعات المسيحيين الأوائل .

١ — كانت الكنيسة الأولى **كنيسة مرنمة** . فكانت تتميز بالمزامير والترانيم والتسابيح الروحية . فكانت للكنيسة الأولى سعادة جعلت أعضاءها يرنمون .

٢ — وكانت الكنيسة الأولى **كنيسة شاكرة** . فكانوا تلقائيا يقدمون الشكر لأجل كل الأشياء وفى كل الأماكن وفى كل الأوقات .

ولقد قال يوحنا ذهبى الفم ، ذلك الواعظ العظيم الذى جاء فيما بعد ، بأنه يمكن للمسيحى أن يقدم الشكر حتى لأجل الجحيم لأن الجحيم كان تحذيرا وانذارا له يحفظه فى جادة الصواب . وقد كانت الكنيسة المسيحية شاكرة لأن أعضاءها كانوا لا يزالون مبهورين بأعجوبة أن محبة الله قد تدانت لتخلصهم ، وقد كانت كنيسة شاكرة لأن أعضاءها أحسوا كما لم يشعر أحد مطلقا بأنهم فى يد الله . فقد استطاعوا أن يقدموا الشكر على كل الأشياء لأنهم كانوا مقتنعين بأن كل الأشياء انما تأتى اليهم من الله .

٣ — كانت الكنيسة الأولى كنيسة فيها يكرم كل واحد الآخر ويحترمه . ويقول بولس الرسول إن هذا الاحترام والاكرام المتبادل هو اكرامهم واحترامهم للمسيح . فلم ينظروا بعضهم الى بعض فى ضوء حرفهم أو وظائفهم أو مكانتهم فى المجتمع ، ولكنهم رأوا أحدهم الآخر فى ضوء المسيح ، وبذلك أكرموا كل انسان ، وأصبح الاحترام والتوقير المتبادل بشيئا سهلا .

الرابطة الثمينة

(أفسس ٥ : ٢٢ ـــ ٢٣)

لا يمكن لانسان يقرأ هذه الفقرة فى القرن العشرين ان يدرك كل عظمتها . لقد أصبحت النظرة المسيحية للزواج مقبولة بمرور السنين . وان كان الواقع اليوم أقل كثيرا من النموذج المسيحى ، الا أن النموذج ماثل دائما فى عقل وقلب كل من يعيش فى وسط مسيحى . فالزواج يعتبر الرابطة التامة مدى الحياة للجسد . والعقل ، والروح ، بين رجل وامرأة . الا أن الحال كان مختلفا تماما عندما كتب بولس رسالته . فانه يضع أمام الرجال والنساء نموذجا سطع بالطهر والنقاء فى عالم انحطت فيه الأخلاق . لقد قال أ. و. نيرال ، استاذ الدراسات الكلاسيكية الكبير إن أحد الأمراض الرئيسية التى ماتت بسببها الحضارة القديمة كان نظرتهم الوضيعة للمرأة .

فلنلق نظرة سريعة على الحالة التى كتب بولس الرسول ازاءها هذه الفقرة وقدم هذه الفكرة . وكان اليهود ينظرون نظرة وضيعة . ففى الصلاة الصباحية اليهودية كانت هنالك عبارة يقدم فيها الرجل اليهودى شكره كل صباح لله لأنه لم يخلقه « أمميا أو عبدأ ، أو امرأة » . والأمر الذى نلاحظه فى كل الناموس اليهودى بشأن المرأة هو أنه لم ينظر اليها كشخص ، ولكن كشىء . فلم تكن لها حقوق قانونية على الاطلاق ، لأنها كانت ملكا لزوجها تماما يفعل بها كل ما شاء . فمن الناحية النظرية كان اليهود يقدمون أعلى مثل للزواج . فلقد قال الربيون « يجب على اليهودى أن يضحى بحياته اذا لزم حتى لا يتعبد للأوثان ، أو يقتل ، أو يزنى » « ان المذبح نفسه يسكب الدموع عندما يطلق رجل امرأة شبابه » . الا أنه فى واقع الأمر كان الطلاق سهلا بطريقة مؤسفة فى أيام الكنيسة الأولى . ونجد خلاصة شريعة الطلاق فى سفر التثنية ٢٤ : ١ « اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته » . وواضح أن الأمر كله يتعلق بتفسير الكلمة عيب شىء . فكان الربيون المتزمتون وعلى رأسهم شماى الشهير ، يقولون إن هذه العبارة تعنى الزنا فقط ، وقالوا إنه حتى ان كانت المرأة شريرة كايزابل ، فان الزوج ينبغى أن لا يطلقها الا لعلة الزنا . أما الربيون المتحررون وعلى رأسهم هليل ، الذى تضارع شهرته شماى ، فقد فسروا هذه العبارة على أوسع نطاق . فقالوا إنه من حق الرجل أن يطلق زوجته إن أفسدت عشاءه بأن وضعت فى طعامه ملحا أكثر من اللازم ، أو اذا سارت فى مكان عام دون أن تغطى رأسها ، أو اذا تحدثت الى بعض الرجال فى الشارع أو لم تتحدث باحترام عن والدى زوجها على مسمع منهم ، أو إن كانت كثيرة الشجار أو تسبب المشاكل والمتاعب . ولقد فسر أحد الربيين واسمه عقيبة الكلمات « فان لم تجد نعمة فى عينيه » لتعنى انه من حق الزوج أن يطلق زوجته إن راقت له امرأة أخرى أكثر من زوجته وإنه لمن السهل أن نرى أية مدرسة كانت أفكارها غالبة .

ولقد ازداد الأمر تفاقما بسبب حقيقتين فى الشرع اليهودى . فأولا لم تكن للزوجة أية حقوق فى الطلاق على الاطلاق ، الا إن أصيب زوجها بالبرص أو أنكر الايمان أو اشتغل بمهنة تدعو للتقذذ .

وبوجه عام يمكننا أن نقول إنه بحسب الشرع اليهودى كان الزوج يستطيع أن يطلق امرأته لأى سبب من الأسباب ، أما الزوجة فلم يكن فى استطاعتها أن تطلق زوجها لأى سبب . فالمرأة بحسب شرع الزواج اليهودى كانت مستضعفة ولا حول لها ولا طول . وثانيا ، كانت خطوات الطلاق سهلة بطريقة رهيبة . فلقد قالت الشريعة الموسوية إنه إن أراد رجل أن يطلق زوجته فليعطها وثيقة طلاق . وكانت الوثيقة تقول : « ليكن هذا منى اليك وثيقة طلاق ، وخطابا به تتصرفين من منزل الزوجية ، ومستندا به تتحررين لتتزوجى من أى رجل تشاءين » وكل ما كان مطلوباً من الرجل أن يقوم به هو أن يسلم وثيقة الطلاق هذه وقد كتبها أحد الربيين كتابة صحيحة الى زوجته فى محضر اثنين من الشهود ، وبذلك يصبح الطلاق تاما . والشرط الوحيد الآخر هو أن يرد الصداق للزوجة .

ففى وقت مجىء المسيحية كانت رابطة الزواج فى خطر ، حتى فى الديانة اليهودية . ولقد كان ذلك الخطر عظيما لدرجة هددت فكرة الزواج نفسها ، لأن البنات اليهوديات أحجمن عن الزواج لأن مكانة الزوجة كانت مزعزعة .

كان وضع الزواج فى العالم اليونانى أسوأ . فلقد كان البغاء جزءا أساسيا من حياة اليونانيين ، حتى أعتبر ديموستين ان قاعدة الحياة العامة والمقبولة هى : « عندنا المحظيات للمتعة ، وعندنا السريات للمعاشرة اليومية ، وعندنا الزوجات ليكون لنا أبناء شرعيون ، وليكون لنا مشرف أمين على كل شئون بيوتنا » . وكانت المرأة التى تنتمى الى الطبقات المحترمة فى الأوساط اليونانية تعيش حياة لها طابع العزلة التامة . فهى لم تشارك فى الحياة العامة ، ولم تظهر فى الشوارع منفردة مطلقا ، بل إنها لم تظهر على المائدة أو فى المناسبات الاجتماعية . لقد كان لها سكنها الخاص الذى لم يدخله سوى زوجها . وكان الهدف كما عبر عنه زينوفون « أن ترى أقل ما يمكن وأن تسمع أقل ما يمكن وأن تسأل أقل ما يمكن » . ولقد كانت تنشئة المرأة اليونانية تجعل الصداقة والمشاركة فى الزواج شيئا مستحيلا ، فكان الرجل يجد متعته وصداقته خارج الزواج . قال سقراط : « أهنالك من تأتمنه على الأمور الهامة أكثر من زوجتك — ولكن أهنالك من تتحدث اليه أقل منها ؟ » كان فيروس رفيق الامبراطور العظيم ماركس أوريليوس ، واذ عتبت عليه زوجته مخالطته لنساء أخريات ، كانت اجابته هى أنها يجب أن تتذكر ان كلمة زوجة انما تعنى لقبا للشرف وليس للمتعة . وكل أسلوب الحياة اليونانية كان يجعل الشركة بين الرجل والزوجة شيئا يكاد أن يكون مستحيلا . فكان الرجل اليونانى يتوقع من زوجته أن تدبر شئون منزله ، أن تهتم بأبنائه الشرعيين ، الا أنه كان يجد متعته وشركته فى مكان آخر .

ومما زاد من تفاقم الأمور أنه لم يكن هنالك بين اليونانيين اجراء قانونى للطلاق . فكما قال أحدهم ، إن الطلاق لم يكن لسبب سوى النزوات . والضمان الوحيد الذى كان للزوجة انما هو حصولها على الصداق . ففى اليونان ، كان البيت وكانت الحياة العائلية أمرين لا وجود لهما تقريبا ، والوفاء الزوجى لم يكن له وجود على الاطلاق .

وفى روما فى أيام بولس الرسول كان الأمر أشد سوءا . فانحلال روما كان يدعو فعلا للأسى .

فلمدة الخمسمائة سنة الأولى من تاريخ الجمهورية الرومانية لم تكن هنالك حالة طلاق واحدة . وأول حالة سجلها التاريخ هى تلك المتعلقة بسبيريوس كارفيليوس روجا سنة ٢٣٤ ق . م . الا أنه فى عصر بولس الرسول كانت الحياة العائلية فى الدولة الرومانية حطاما . فقد قال سنكا إن النساء يتزوجن ليطلقن وكن يطلقن ليتزوجن . ولم يكن من المألوف فى روما أن يحسب الرومانيون السنوات بالأرقام ، ولكنهم كانوا يطلقوا عليها أسماء المستشارين . ويقول سنكا إن النساء يحسبن سنيهم بأسماء أزواجهن . ويحدثنا مارشيال الشاعر الرومانى عن سيدة كان لها عشرة أزواج على التوالى . ويحدثنا جوفينال عن واحدة كان لها ثمانية أزواج فى خمس سنوات ، ويقول القديس ايرونيموس عن حقيقة واقعة حدثت فى روما وهى أنه كانت هنالك سيدة تزوجت لزوجها الثالث والعشرين وكانت هى بالنسبة له الزوجة الحادية والعشرين . بل اننا لنجد سيدة تطالب الامبراطور الرومانى أوغسطس بأن يطلق رجل زوجته المدعوة السيدة ليفيا ليتزوج منها اذ قد حملت منه . بل إننا نجد أنه حتى شيشرون ، فى سنه المتقدمة يطلق زوجته تيرانتيا ليتزوج من فتاة آل لها ميراث ، وكان هو وصياً لها ، ليأخذ ميراثها ، ويتمكن من دفع ديونه .

وهذا لا يعنى أن الاخلاص لم يكن موجودا . فيحدثنا سوتونيوس عن سيدة رومانية تدعى مالونيا التى فضلت الانتحار على أن تخضع لرغبات الامبراطور طيبيريوس . الا أننا لا نبالغ عندما نقول إن كل جو العالم القديم كان جوا يفوح بالزنا . وكانت الطهارة ضحية تقدم المدينة . وكانت العلاقة الزوجية فى طريقها الى الاضمحلال التام .

هذه هى خلفية كلمات بولس الرسول . فعندما كتب بولس الرسول هذه الفقرة الرائعة لم يكن يذكر أو يكرر وجهة النظر التى كان يقرها كل انسان . لقد كان يدعو الرجال والنساء الى أمانة جديدة ونقاء جديد وشركة جديدة فى الحياة الزوجية . وانها لحقيقة تاريخية بسيطة ، انه لم ينتفع أحد بمجىء المسيح بمثلما انتفعت المرأة فيما عدا الأطفال ، كما سنرى . فمهما تحدثنا عن التأثير النقى الذى أتت به المسيحية الى الحياة البيتية فى العالم القديم ، فلن يكون كلامنا مبالغا فيه .

نمو تفكير بولس الرسول (أفسس ٥ : ٢٢ — ٢٣ تتمة)

فى هذه الفقرة نجد فكر بولس الرسول الحقيقى بشأن الزواج . لقد كتب أمورا عن الزواج تربك تفكيرنا وتحيرنا ، وهى أمور ، نقول بأمانة ، إننا كنا نتمنى لو لم يكتبها أبدا . وأنه لمن المؤسف أن هذه هى العبارات التى كثيرا ما يقتبسونها للتعبير عن رأى بولس الرسول بشأن الزواج . والأصحاح السابع من رسالة كورنثوس الأولى من أغرب الفصول فى كل كتابات بولس الرسول . ويتحدث فى هذا الأصحاح عن الزواج وعن العلاقة بين الرجل والمرأة . والحقيقة التى تجابهنا ونحن نقرأ هذا الأصحاح هى أن بولس الرسول يقول إن الزواج مسموح به لتجنب ما هو أسوأ منه ، وليس لأى سبب غير ذلك . فهو يقول : « ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضا الرجل » (١ كو ٧ : ٢) . وهو يسمح للمرأة التى مات زوجها بأن تتزوج ثانية ، الا أنه يفضل أن تبقى دون زواج (١ كو ٧ : ٣٩ — ٤٠) . فهو يفضل لغير المتزوجين وللأرامل أن لا يتزوجوا . « ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من التحرق » (١ كو

٧ : ٩) . فتعليم هذا الأصحاح الغريب الجارح ، دون رتوش ، هو أن الزواج أفضل من الزنا وهذا هو كل ما يمكن أن يقال عنه .

وهنالك سبب دفع بولس الرسول لأن يكتب هذه الكلمات . فلقد عبر عن نفسه بهذه الصورة عندما كتب رسالة كورنثوس الأولى لأنه كان يتوقع يوميا ، وفى أية ساعة ، مجىء المسيح ثانية . ولذلك فكان اعتقاده الراسخ أن الرجال والنساء ينبغى عليهم ألا يرتبطوا بأية ارتباطات أرضية ، بل أن يركزوا على استخدام الوقت القصير المتبقى فى الاستعداد لمجىء سيدهم . « فأريد ان تكونوا بلا هم . غير المتزوج يهتم فى ما للرب ، كيف يرضى الرب . وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم ، كيف يرضى امرأته » . (١ كو ٧ : ٣٢ و ٣٣) . فعندما كتب بولس الرسول رسالة كورنثوس الأولى الأصحاح السابع فانما كان ينبر فى الواقع على أن المرء يجب أن يحب يسوع المسيح أكثر من حبه لأبيه أو أمه أو زوجته أو ابنه ، وأن يكون ولاؤه للمسيح له المكانة الأولى فوق أعز ولاء أرضى . وكان يفعل ذلك لأنه يؤمن أن المسيح سيأتى ثانية فى أية لحظة .

الا أنه فيما بين كورنثوس الأولى وأفسس هنالك فترة من الزمن ربما حوالى تسع سنوات . وخلال هذه السنوات التسع تحقق بولس الرسول أن المجىء الثانى سوف لا يكون قريبا كما كان يعتقد ، وأنه هو وشعبه لم يكونوا يعيشون فى الواقع فى حالة مؤقتة ، قرب انتهاء العالم ، ولكنما فى حال قد يستمر . واننا لنجد تعليم بولس الرسول الحقيقى بشأن الزواج فى رسالة أفسس ، حيث نجد الزواج المسيحى أغلى علاقة فى الحياة ، والتى لا يوازيها الا العلاقة بين المسيح والكنيسة . فإن شئنا أن نكون منصفين لبولس الرسول ، فلنستق تعليمه عن الرواج من هذا الفصل الكتابى ، وليس من ذلك الفصل الذى كتبه قبل ذلك فى الرسالة الى [illegible]ثوس . إن الأصحاح السابع من رسالة كورنثوس الأولى يقدم التعليمات التى تصلح لحالة الطوارىء والأزمات ، عندما كان بولس الرسول يعتقد انه لم يتبق للعالم سوى أيام معدودات . وتقدم لنا رسالة أفسس رأى بولس الرسول بشأن الزواج كجزء من الموقف الدائم للحياة المسيحية .

وانه لمن المحتمل أن تكون فقرة رسالة كورنثوس متأثرة باختبار بولس الرسول الشخصى ، فلعل بولس الرسول كواحد من اليهود الغيورين فى عصره ، كان عضوا فى السنهدريم . فهو عندما يتحدث عن موقفه من المسيحيين يقول : « ولما كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك » (أع ٢٦ : ١٠) . ويلوح أيضا أن أحد مؤهلات العضوية فى السنهدريم كان الزواج ، ولذلك فلابد أن بولس الرسول كان متزوجا . وهو لا يشير الى زوجته أبدا . فلماذا ؟ ربما كان ذلك لأنها هجرته عندما أصبح مسيحيا وتقولت ضده . ولعله عندما كتب رسالة كونثوس الأولى كان يتحدث ، لا من منطلق توقع مجىء المسيح ثانية فورا فقط ، ولكنما أيضا من منطلق الموقف الذى فيه وجد علاقته الزوجية مشكلة من أعظم مشاكله وقد كسرت قلبه بكيفية مؤلمة . ولعل ظروف العالم كما رآها فى ذلك الوقت ، وظروف الزواج كما اختبرها عندئذ ، دفعته أن يقتنع بأن الزواج يعوق المسيحى . ولكنه من المؤكد أنه بمرور السنين أدرك فى الزواج علاقة لا يمكن أن نشبهها الا بالعلاقة بين المسيح والكنيسة .

يكون التنبير أحيانا فى هذه الفقرة بعيدا تماما عن موضعه . فهنالك من يقرأون هذه الفقرة وكأن جوهر رسالتها هو خضوع الزوجة للزوج . والعبارة الواحدة « لأن الرجل رأس المرأة » تقتبس أحيانا فى معزل عن بقية الفقرة ، الا أن هذه الفقرة تحوى ما هو أكثر من هذه الفكرة بكثير . وأساس هذه الفقرة ليس هو السيطرة ، ولكنه المحبة . ففى هذه الفقرة يقدم بولس الرسول بعض الصفات التى تتصف بها محبة الزوج لزوجته .

١ ـــ ينبغى ان تكون هذه المحبة مضحية . فيجب أن يحب زوجته كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها . فهذه المحبة يجب أن تخلو تماما من الأنانية . لقد أحب المسيح الكنيسة ، لا لتقدم له الكنيسة بعض الأشياء ، ولكن ليقدم هو بعض العطايا للكنيسة . ويقدم يوحنا ذهبى الفم هذه الفقرة فى صورة مطولة فيقول : « أرأيت الى مقدار الطاعة ؟ فاسمع إذن عن مقدار المحبة . أتود أن تطيعك زوجتك كما تطيع الكنيسة المسيح ؟ إذن فاهتم بها كما يهتم المسيح بالكنيسة . وان لزم الأمر أن تقدم حياتك لأجلها ، أو أن يتقطع جسدك إربا إربا ، أو أن تتحمل ما لزم أن تتحمل ، فلا ترفض أن تفعل ذلك .. لقد أخضع الكنيسة عند قدميه من فرط عنايته ورعايته ، لا بالتهديد ولا بالارهاب أو ما يشبه ذلك . فلتعامل زوجتك هكذا . « فالرجل رأس المرأة ـــ هذا حق ، وهذا ما قاله بولس الرسول ، الا أنه قال أيضا أن الزوج يجب أن يحب زوجته كما أحب المسيح الكنيسة ، بحب لا يمارس الضغط والارهاب ، ولكنا يضحى دائما بأى شىء فى سبيل خيرها .

٢ ـــ ويجب ان تكون محبة **مطهرة** . لقد طهر المسيح الكنيسة وقدسها بغسل الماء ، فى اليوم الذى فيه اعترف كل عضو من أعضاء الكنيسة بايمانه . ولعل بولس الرسول كان يفكر فى احدى العادات اليونانية . فمن عادات اليونان أن العروس كانت تستحم قبل الزواج فى مجرى أحد الأنهار المكرس لأحد الآلهة . ففى أثينا مثلا كانت العروس تستحم فى مياه المجرى المسمى كاليرهو الذى كان مكرسا للالهة أثين . فكانت تتطهر من أى نجاسة بالماء المقدس . وبفكر بولس الرسول فى المعمودية . فبغسل المعمودية وبالاعتراف بالايمان ، أقام المسيح لنفسه كنيسة ، مغسولة ومطهرة ومقدسة ، حتى لم يصبح فيها أى عيب ولم تتبق أية شائبة . إن أى حب يجذب المرأة الى أسفل هو حب مغشوش . وأن أى حب يقود الى الخشونة بدلا من الرقة فى الشخصية ، وأى حب يستلزم الخداع ، وأى حب يضعف الأخلاق ، ويجعل من المرء شخصا أسوأ إنه ليس حبا على الاطلاق . إن الحب الحقيقى هو أعظم ما يمكن أن يطهر وينقى الحياة بجملتها .

٣ ـــ إنه يجب أن يكون حبا **حانياً** . فيجب على الرجل أن يحب زوجته كما يحب جسده . فانه يغذى جسده ويعتنى به ، كما يقول بولس الرسول . والحب الحقيقى يهتم دائما بمن يحب فهو لا يحب لكى ينتزع الخدمات من الطرف الآخر ، ولا يحب ليضمن راحته الجسدية ، ولا يحب لراحته الشخصية ، ولكنا يهتم بمن يحب . لابد أن الأمور لا تكون فى نصابها عندما يعتبر رجل زوجته ، سواء أكان يعنى ذلك أو لا يدريه ، كمجرد الشخص الذى يجهز له طعامه ويغسل ملابسه وينظف بيته ويربى أولاده . فهو يجب أن لا يعتبرها وكأنها خادمة ، ولكن كأنها ذلك الشخص

الذى يجب عليه أن يحنو عليه ويعتنى به .

٤ ـــ إنه حب لا ينفصم . فلأجل هذا الحب يترك الرجل أباه وأمه ويقترن بزوجته ويصبح الاثنان جسدا واحدا . واتحاد الرجل بزوجته يماثل اتحاد أعضاء الجسد بعضا ببعض . والرجل لا يفكر فى الانفصال عنها بمثل ما لا يخطر بباله أن يمزق جسده . هنا نجد مثالا أعلى فى الزواج ، فى عصر كان الرجال والنساء يغيرون فيه شركاء حياتهم بقليل من التفكير والروية وكأنما المرء يغير ملابسه .

٥ ـــ والعلاقة كلها كما يعبر عنها بولس الرسول انما هى فى الرب . فهى علاقة نحياها فى محضر الرب ، نحياها فى جو الرب ، فالرب يتحكم فى كل حركة فينا ، وكل قرار من قراراتها يتخذ فى الرب . ففى البيت المسيحى ، يسوع هو الضيف الذى لا يغيب ذكره عن البال ، وإن كان لا يرى . فالزواج المسيحى ليس بين طرفين ، ولكن بين ثلاثة ، والثالث هو المسيح .

الأصحاح السادس

الأبناء والآباء

(أفسس ٦ : ١ — ٤)

إن كان الايمان المسيحى قد أنجز الكثير للمرأة ، فقد أنجز ما هو أكثر بالنسبة للأطفال . ومن الثابت أن الأطفال محبوبون فى أى مدنية من المدنيات ، الا أنه من الثابت أيضا أنه فى العصور السابقة للمسيحية وفى المدنيات الوثنية كان هنالك جمود وقسوة على الأطفال من المستحيل أن توجد حيث سادت المسيحية . ففى المدنية الرومانية المعاصرة لبولس الرسول كانت هنالك سمات معينة جعلت حياة الأطفال فى خطر .

١ — كان هنالك المبدأ الرومانى patria potestas — الذى يعنى سلطان الأب . وبحسب هذا المبدأ الرومانى كان للأب سلطانه المطلق على أسرته . فكان يمكنه أن يبيعهم كعبيد ، وكان يمكنه أن يدفعهم للعمل فى زراعته مكبلين بالأغلال ، وكان يمكنه أن يطبق القانون كما يشاء لأن القانون كان فعلا طوع أمره ، فيعاقب كما يشاء بل كان من حقه أن ينفذ حكم الاعدام فى ابنه . وبالاضافة الى ذلك فان سلطان الأب الرومانى كان يمتد الى حياة الابن بجملتها ، مادام على قيد الحياة . فالابن الرومانى لا يبلغ أبدا سن الرشد ، حتى ولو صار رجلا كبيرا ، أو لو أصبح حاكما للمدينة ، أو لو توجته الدولة بما يستحق من شرف . فبرغم كل هذا يبقى تحت سلطان والده المطلق . ويقول بيكر : « إن الخطأ الكبير ينطوى على أن الأب الرومانى كان يعتبر القوة التى تفرضها الطبيعة كواجب من واجبات الأكبر سنا أن يقوم بارشاد وحماية الولد فى طفولته ، واذا به يتعدى ذلك الى حرمانه من حريته ، فيشمل حياته وموته ، ويشمل كل كيانه » . واقرارا للواقع نقول إنه نادرا ما طبق والد سلطانه هذا الى أقصى حدوده ، لأن الرأى العام ما كان يسمح بذلك . الا أنه من الثابت ، أن هنالك حوادث تاريخية محدودة فيها حكم آباء رومانيون على أبنائهم بالموت ونفذوه . والحقيقة الباقية هى أن الأطفال فى عصر بولس الرسول كانوا تحت تصرف وسلطان أبيهم المطلق .

٢ — كانت هنالك عادة « عرض الأطفال » . فعندما كان طفل يولد ، كانوا يضعونه عند أقدام والده فان حنا الوالد عليه ورفعه ، فان هذا يعنى اعترافه به ورغبته فى أن يبقى الطفل على قيد الحياة . أما اذا استدار وسار فى سبيله ، فان هذا يعنى أنه يرفض الاعتراف بالصبى ، وأن الطفل يمكن أن يلقى به خارجا . فهنالك خطاب يعود بنا الى السنة الأولى قبل الميلاد من رجل يدعى اليرابون الى زوجته أليس ، وكان قد ذهب الى الاسكندرية وسطر هذا الخطاب الذى يتعلق بالشئون المنزلية : « من ايلاريون الى أليس زوجته ، تحياتى القلبية لك ، ولعزيزى بيروس وأبولوناريون . أرجو أن تعلموا أننا لا زلنا حتى الآن فى الاسكندرية . لا تنزعجوا اذا عاد الجميع وبقيت أنا بالاسكندرية . التمس وأرجو أن تعتنوا بالطفل الصغير وعندما نتسلم أتعابنا سأرسل اليكم . فان رزقت بطفل — وأنا أتمنى لك حظا حسنا — فان كان ذلك الطفل ولدا ، فليحيا ، أما ان كانت

بنتا ، فألقوا بها الى الخارج . لقد طلبت من أفروديسياس أن يقول لى « لا تنسنى » كيف يمكننى أن أنساكم ؟ لذلك ألتمس منكم أن لا تقلقوا » .

إنه خطاب غريب ، فهو يفيض بالعواطف والمحبة ، ولكنه جامد تماما من نحو الطفل الذى قد يولد . فالطفل الرومانى كان دائما فى خطر الرفض والالقاء خارجا . وكان هذا الخطر على أشده فى أيام بولس الرسول . لقد رأينا كيف انهارت الرابطة الزوجية وكيف غير الرجال والنساء شركاء حياتهم بسرعة مزعجة ، وفى مثل هذه الأحوال كانوا يعتبرون ميلاد طفل من الأطفال نوعا من سوء الطالع . وقلت المواليد جدا لدرجة أن الحكومة الرومانية أصدرت فعلا قانونا يحد كثيرا من القيمة التى يمكن أن يرثها زوجان ليس لهما أطفال . والأطفال غير المرغوب فيهم كانوا يتركونهم فى الساحة الرومانية العامة حيث يصبحون ملكا لأى من يهتم بأن يلتقطهم . وكان هنالك من يجمعونهم فى المساء ويطعمونهم ليبيعوهم عبيدا ، أو يزودون بهم ماخورات روما . ولا يمكننا أن نتصور مثل هذه الأمور اليوم ، لا لأننا نعيش مدنية مسيحية تماما ، ولكن لأن المبادىء المسيحية قد أثرت على المدنية الحديثة لدرجة لا يمكن فيها تصور مثل هذه الأشياء .

٣ ـــ والمدنية القديمة لم ترحم الطفل العليل أو المصاب بعيب خلقى . فقد كتب سينكا معبرا عما اعتبره شيئا مألوفا عاديا ، وقد كان فعلا كذلك : « نحن نذبح الثور الهائج ، ونقصف رقبة الكلب المسعور ، ونقتل الخروف المريض لئلا يعدى القطيع ، ونغرق الطفل العليل وذا العيب الخلقى » . فلم يكن هنالك أمل فى الحياة لطفل كان يولد ضعيفا أو كان يولد بعيب خلقى .

هذا هو الحال الذى كان عليه العالم عندما كتب بولس نصيحته للأبناء والآباء . فلو سئلنا ماذا استفاد العالم من المسيحية ، فانه يمكننا أن نبرز التغير فى مكانة المرأة ومكانة الأطفال ، وهذه اجابة تامة لا يمكن انكارها .

إن وصية بولس الرسول للأبناء هى أن يطيعوا الوصية وأن يكرموا والديهم . ويقول إن هذه أول وصية . وقد يعنى أن هذه هى أول وصية يتعلم الطفل المسيحى أن يستظهرها وأن يحفظها عن ظهر قلب . والاكرام الذى يطلبه بولس ليس هو مجرد اكرام الكلام . فالطريق الوحيدة لاكرام الوالدين هو طاعتهم واحترامهم ، وعدم ايلامهم على الاطلاق .

الا أن بولس يرى أن هنالك جانبا آخر للموضوع . فهو يقول للآباء إنهم يجب أن لا يدفعوا أبناءهم الى الغضب . ويقول بنجل إن الوصية موجهة بصفة خاصة الى الآباء ، لأن الامهات لديهن نوع من الصبر الالهى ، أما « الآباء فانهم أكثر تعرضا للتأثر بالغضب » . ومن الغريب أن بولس يكرر هذه الفكرة وربما بصيغة أكمل فى رسالة كولوسى ٣ : ٢١ فيقول « أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم ، لئلا يفشلوا » . فيقول بنجل إن الداء المتفشى بين الشباب هو « الروح المنكسرة » أى الفشل الذى يتسبب من استمرار النقد والتوبيخ والتأديب الصارم ، ويرى ديفيد سميث أن بولس الرسول قد كتب ذلك من عمق اختباره الشخصى المرير . فيقول : « هنا نجد نبضات عاطفة شخصية ، ويلوح أن قلب ذلك الأسير المتقدم فى الأيام قد عاد الى الماضى ليتذكر أيام الطفولة الخالية من المحبة . فاذ قد تربى فى جو المحافظة على التقاليد بصرامة وشدة اختبر القليل جدا من

الرقة ، وكان نصيبه من الصرامه كبيرا فعرف داء الشباب ، الروح المنكسرة » .

ويمكننا أن نسيء الى أطفالنا بطرق ثلاث :

١ ـــ فيمكننا أن ننسى أن الأمور تتغير ، وأن عادات جيل من الأجيال ليست هى عادات الجيل الآخر . وتحدثنا الينور موردونت عن كيف أنها منعت ابنتها الصغيرة من أن تفعل شيئا قائلة ، « لم يسمح لى أبدا أفعل هذا عندما كنت فى سنك » . فأجابتها الطفلة الصغيرة قائلة ، « ولكن يجب أن تتذكرى ، أماه ، انك كنت عندئذ ، ولكننى أنا أعيش اليوم » . وقد يتسبب الوالدون فى كثير من الضرر بأن ينسوا أن الأيام تتغير والعادت تتبدل .

٢ ـــ ويمكننا أن نتسلط بدرجة يصبح فيها نفس هذا التسلط اساءة لتربية أبنائنا وتنشئتهم فاذ نمسك بزمام أولادنا لمدة طويلة فان هذا يعنى ببساطة أننا لا نثق فيهم ، وإذ لا نثق فيهم فان هذا يعنى ببساطة أننا لا نثق فى الكيفية التى بها دربنا نحن أبناءنا . إنه من الأفضل أن نخطىء بأن نعطى لهم مزيدا من الثقة ، بدلا من أن نخطىء بأن نفرض عليهم مزيدا من السلطة .

٣ ـــ وقد ننسى واجب التشجيع . وكان والد لوثر صارما جدا ، بلغت صرامته درجة القسوة . وكان لوثر يقول : « صحيح أنك اذا استغنيت عن العصا فانك تفسد الطفل ، ولكن ضع تفاحة الى جوار العصا لتعطيها له عندما يحسن » . ويحدثنا بنيامين وست عن الكيفية التى أصبح بها رساما ، فيقول إنه فى يوم من الأيام تركته أمه فى المنزل وحملته مسئولية أخته الصغيرة سالى . وفى غيبة أمه اكتشف بعض زجاجات الحبر ذات الألوان المختلفة وابتدأ يرسم صورة سالى . وبينما هو يفعل ذلك أفسد الكثير من الأشياء وتساقطت بقع الحبر فى أماكن كثيرة . وعادت أمه ورأت ما أفسده ابنها ، ولكنها لم تقل شيئا . والتقطت الورقة ونظرت للرسم وقالت ، « غريب ، إنها سالى ؟ » وحنت على ابنها وقبلته . ومن وقتها أصبح بنيامين وست يقول : « إن قبلة أمى جعلت منى رساما » . لقد أنجز التشجيع أكثر بكثير مما يمكن للتقريع أن ينجزه .

وتقول أنابوكان إن جدتها كانت تكرر عبارة محببة الى نفسها حتى وهى عجوز « لا تدفعوا الشباب للفشل أبدا » .

فكان بولس يرى أن الأبناء يجب أن يحترموا والديهم ، الا أن الوالدين يجب أن لا يدفعوا أبناءهم الى الفشل أبدا .

السادة والعبيد

(أفسس ٦ : ٥ ـــ ٩.)

وعندما خاطب بولس الرسول العبيد ، فلابد أنه وجه حديثه لجمهور ضخم من الكنيسة المسيحية . لقد حسب البعض فوجدوا أنه كان فى الامبراطورية الرومانية ٠٠٠ ر٠٠٠ ر ٦٠ من

العبيد . ففى أيام بولس الرسول ، أصاب المواطنين الرومانيين نوع من البطالة المخيف والقاتل . لقد كانت روما سيدة العالم ، ولذلك فقد أحس المواطن الرومانى بأنه لا يليق به أن يشتغل . فكان العبيد يقومون فى الواقع بكل الأعمال . حتى الأطباء والمدرسون كانوا من العبيد ، بل إن أعز أصدقاء الأباطرة ، وسكرتيريهم الذين كانوا يباشرون مراسلاتهم وخطاباتهم والالتماسات المقدمة اليهم وماليتهم ، كانوا من العبيد . وكثيرا ما كنا نجد سادة طيبين ، بل وكثيرا ما كنا نجد أعمق روابط الولاء والمودة بين أحد السادة وعبده . فقد كتب بلينى الى أحد أصدقائه يقول إنه يحس بألم شديد لأن أحد عبيده المحبوبين جدا قد مات . ويقول إنه يجد عزاءه فى شيئين وإن كانا لا يكفيان من حزنه : « لقد كنت دائما على استعداد لأن أطلق سراح عبيدى (لأن موتهم لم يكن بعيد الحدوث ، ان كانوا قد عاشوا مدة طويلة تكفى بأن يطلق سراحهم من بعدها) ، والأمر الثانى ، إننى كنت أسمح لهم بأن يجهزوا ما يشبه الوصية ، وكنت أحقق لهم رغبتهم بكل دقة كما لو كانت وصيتهم تصلح مستندا قانونيا » . هنا نرى سيدا طيبا يتحدث .

الا أن حياة العبيد فى أساسها وجوهرها كانت حياة حزينة مخيفة فبحكم القانون لم يكن العبد شخصا بل شيئا . فيقول أرستطاليس إنه لا يمكن أن تكون هنالك صداقة بين سيد وعبد ، لأن السيد والعبد لا يربطهما شيء من التشابه ؟ « فالعبد انما هو آلة حية كما أن الآلة انما هى عبد لا حياة فيها » فلم يكن العبد أفضل من الآلة ، بل لم يكن يفوقها فى الحقوق . وعندما كتب فارو عن الزراعة ، قسم أدوات الزراعة الى ثلاث مجموعات : الناطقة والغير ناطقة والبكماء . والناطقة هى العبيد ، والغير ناطقة هى الغنم ، والبكماء هى العربات . فالعبد لا يفوق الحيوان الا فى كونه يستطيع الكلام . ويقدم كاتو نصيحة لرجل اشترى مزرعة فيقول له إنه يجب أن يمر فيها وأن يلقى خارجا كل شيء تجاوز مرحلة الاستخدام ، ويقول إن العبد العجوز أيضا يجب أن يلقى به خارجا مع الزبالة ليموت جوعا . ويعتبر تبذيرا أن يعطى العبد المريض نفس كميات الطعام المعتادة ، فالعبد العجوز أو المريض انما هو أداة مكسورة أو قليلة الفائدة . ولذلك فالقانون كان صريحا واضحا .

ويقول غايس ، رجل القانون الرومانى ، فى كتابه الأسس : « نلاحظ أنه مبدأ مقبول ومعمول به فى كل مكان أن للسيد سلطان الحياة والموت على عبده » واذا هرب عبد من سيده فان أهون ما كان يحدث له ، هو أن يكوى على جبهته الحرف الأول من الكلمة الدالة على الهرب ، ليعرف الجميع أنه سبق له أن هرب . الا أنه كان يمكن أن يحدث له ما هو أسوأ من ذلك بكثير اذ كان يمكن أن يقتل . والشيء المفزع للعبد ، هو أنه كان دائما تحت تصرف نزوات سيده . فقد صلب أوغسطس عبدا لأنه قتل طائرا صغيرا مستأنسا ، وطوح فيدايوس بولبو بعبد حى لبراثن السمك المفترس فى بحيرته الخاصة لأن اناء من الكريستال سقط منه وانكسر .

ويحدثنا جوفنال عن سيدة رومانية أمرت بأن يقتل عبد ، لا لأى سبب سوى لأنه أثار غضبها . وعندما احتج زوجها قالت : « أتقول إن العبد رجل ؟ أتقول إنه لم يخطىء ؟ وليكن كذلك . الا أن ارادتى وأمرى هما أن يقتل . ولتكن ارادتى هى الأساس » . أما الشابات من الاماء اللاتى كن فى خدمة سيداتهن ، فكثيرا ما كان شعرهن ينتزع ، وخدودهن تتمزق بأظافر سيداتهن . ويحدثنا جوفينال عن ذلك السيد الذى كان « يستمتع بصوت الجلدات القاسية ، ويعتبرها أحلى من الأغانى

الموسيقية » ، أو ذاك الذى « يجد متعة بالغة فى الاستماع لصوت سلاسل العبيد » ، أو السيد الذى استدعى أحد المعذبين وكوى عبدا لأنه أضاع منشفتين » . ويصف أحد الكتاب الرومانيين أوضاع عصره فيقول : إن أى ما يفعل السيد بعبده ، سواء بغير استحقاق ، أو فى ثورة الغضب ، بقصد أو بغير قصد ، سهوا أو بعد تفكير وروية ، عن معرفة أو عن غير معرفة . انما هو حكم عادل وشرعى .

هذه هى الخلفية المريعة التى يجب أن تكون نصب أعيننا ونحن نقرأ نصيحة بولس الرسول للعبيد .

السادة والعبيد

(أفسس ٦ : ٥ ــ ٩ تتمة)

يجب أن نلاحظ النصيحة التى قدمها بولس الرسول لمثل هؤلاء العبيد ، لأننا هنا نجد رسالة الانجيل للعامل والموظف المسيحى .

١ ــ إنه لا يقول لهم أن يثوروا ، ولكنا أن يكونوا مسيحيين حيث هم . هذه هى الرسالة العظيمة التى تقدمها المسيحية لكل انسان ، وهى انه ينبغى أن نحيا الحياة المسيحية حيثما وضعنا الله ، فقد تكون الظروف كلها ضدنا الا أن هذا انما يضعنا فى مواجهة تحد أعظم . فالمسيحية لا تقدم لنا مهربا من الظروف ، ولكنها تقدم لنا انتصارا عليها .

٢ ــ وهو يقول للعبيد إنه يجب عليهم أن يؤدوا عملهم على أكمل وجه دائما ، وليس عندما ترقبهم عيون سادتهم فقط . فيجب أن نعمل لا لمجرد أن نرضى الناس ، بل لنعمل متذكرين أن عين الله تلاحظنا ، ويجب أن نؤدى أعمالنا لنرضى الله . إن العامل المسيحى مقتنع بأن كل عمل يقوم به يجب أن يكون من الجودة بحيث لا يخجل من أن يضعه بين يدى الله ، والمشكلة التى طالما واجهها العالم ، وهى التى يواجهها العالم بشدة اليوم ، ليست أساسا مشكلة اقتصادية على الاطلاق ، ولكنها مشكلة دينية . فاننا لن يمكن أن نجعل من الناس عمالا أفضل بأن نزيد من مرتباتهم ، أو أن نحسن أحوالهم ، أو أن نرفع من مكافآتهم . من الواضح أن المسيحى يجب أن يهتم بهذه الأشياء ، الا أن هذه الأشياء فى نفسها لن تنتج العمل الجيد . وأقل من ذلك فاننا لن نصل الى مستوى أفضل من الانتاج بمزيد من التهديد ، ومزيد من الرقابة ، ومضاعفة العقوبات والجزاءات . إن السر الأوحد الذى يدفع للعمل الطيب هو أن يقوم به المرء لأجل الله . فلن يكون الانتاج فى العمل انتاجا طيبا الا متى أخذ الانسان كل عمله ووضعه بين يدى الله ليفحصه .

الا أن بولس يوجه حديثه للسادة أيضا . وكلمته اليهم بسيطة للغاية . فالذى يسود على بشر ، ينبغى أن يذكر أنه وإن كان سيدا ، الا أنه خادم لله . فينبغى أن يذكر هو أيضا ان الله يرى كل ما يفعله ، وأن كل اعماله انما هى فى حضرة الله . بل ينبغى عليه أن يذكر أكثر من ذلك أنه سيأتى يوم يقف هو فيه أمام الله جنبا الى جنب مع أولئك الذين كان يسود عليهم وعندئذ سوف لا تكون هنالك أية قيمة للمراكز والمستويات العالمية ، فسيكون الجميع ببساطة مجرد بشر

فى حضرة الله .

ومشكلة العمل يمكن أن تحل إن كان جميع البشر سواء بسواء يتلقون أوامرهم من الله .

سلاح الله

(أفسس ٦ : ١٠ ــ ٢٠)

واذ يودع بولس شعبه يفكر فى الصراع العظيم الذى يتعرضون له . ولاشك أن الحياة كانت شيئا مخيفا مرعبا فى نظر الناس قديما ، لا كما ننظر نحن اليوم اليها ، فقد كانوا يؤمنون بالأشباح والشياطين والأرواح الشريرة التى كانو يعتقدون أن الهواء ملىء بها ، والتى تعمل دائبة على ايذاء البشر . والكلمات التى يستخدمها بولس الرسول وهى « الرؤساء والسلاطين وولاة العالم » ، كلها أسماء لطبقات مختلفة من هذه الأرواح الشريرة والشياطين . فالكون كله فى نظر بولس الرسول ميدان معارك . فالمسيحى لا يواجه هجمات البشر فقط ولكنه يواجه أيضا هجمات القوات الروحية التى كانت تحارب ضد الله . ونحن لسنا بحاجة بأن نأخذ كلمات بولس الرسول حرفيا ، ولكننا نعرف من اختبارنا ، أن قوة الشر تقوم بدور نشيط فى العالم . قال روبرت لويس ستيفنسون مرة : « أتعرفون محطة السكة الحديدية الفلانية فى أدنبرا ؟ لقد قابلت الشيطان هنالك ، فى ذات صباح بارد لفحته الرياح الشرقية » . ونحن لا نعلم ماذا كان اختبار ستيفنسون بالضبط ، ولكننا ندرك ما يعنيه ذلك الاختبار ، فلقد اختبرنا جميعا قوة تأثير الشر التى تدفعنا نحو الخطية . وهذا هو رجل ما قصده بولس عندما تحدث عن الشياطين .

ولهذا يحشد بولس الرسول قوة دفاعه ، واذا به يرى فجأة صورة متكاملة أمامه . لقد كان معصمه طوال ذاك الوقت مقيدا بسلسلة الى جندى رومانى . وكان أحد الجنود موجودا ليلا ونهارا ليضمن أن بولس لا يهرب . ولقد كان بولس فعلا وحرفيا ، رسولا فى سلاسل . ونعلم عن شخصية بولس الرسول أنه ذاك الرجل الذى كان يستطيع أن يخالط أى انسان . وما من شك فى أنه تحدث كثيرا الى الجنود الذين كانوا مضطرين لأن يكونوا قريبين جدا منه . وبينما هو يكتب ، اذا به يتطلع ، فيوحى له سلاح الجندى بصورة معينة . فالمسيحى أيضا له سلاحه ، ويتحدث بولس عن الجزء بعد الآخر من سلاح الجندى الرومانى ويترجم هذه الاجزاء فى تعبيرات مسيحية .

فهنالك منطقة الحق . والمنطقة (أى الزنار أو الحزام) هى التى كانت تشد ملابس الجندى الرومانى ومنها يتدلى سيفه ، فأنت تعطيه حرية الحركة . فقد يعيش البعض حياة التخمين والحدس . أما المسيحى فيتحرك بحرية وبسرعة لأنه فى كل المواقف يعرف الحق .

وهنالك الدرع . وعندما يكسو البر انسانا يصبح فى أمان . فالكلام لا يحمينا من الاتهامات أما الحياة الصالحة ففيها حماية من كل اتهام . اتهم أحدهم أفلاطون ببعض الجرائم والأخطاء فقال أفلاطون : « حسنا فانه ينبغى علينا أن نحيا حياة تثبت كذب اتهامه » . إن الوسيلة الوحيدة التى بها نقابل الاتهامات الموجهة ضد المسيحية ، هى أن نظهر مدى الحياة الطيبة التى يمكن أن يحياها

المسيحى .

وهنالك الحذاء . والحذاء يشير الى انسان مستعد للحركة . والعلامة المميزة للمسيحى هى أنه يرغب فى أن ينطلق فى طريقه ليكرز بالانجيل ويقدم البشارة للآخرين ، فهو مستعد دائما لأن يحمل أخبار المسيح لأولئك الذين لم يسمعوا عنه .

وهنالك الترس . والكلمة التى يستخدمها بولس الرسول ليست هى الكلمة المعبرة عن الترس المستدير ، ولكنه يستخدم الكلمة المعبرة عن الترس المستطيل الضخم الذى كان يلبسه المحارب المدجج بالسلاح . وكانت السهام النارية من أخطر أسلحة العالم القديم . فكان السهم يحمل ذيلا يغمس فى القار . وكانوا يشعلون النار فى الذيل المغموس فى القار ثم يقذفون بالسهم . الا أن الترس المستطيل الضخم كان السلاح المناسب ليطفىء هذه السهام . فقد كان هذا الترس مصنوعا من جزئين من الخشب ملتصقين معا ، فعندما كان الترس يتصدى لمثل هذا السهم كان السهم يسقط داخل الخشب بين الجزئين وبذلك كان ينطفىء طبعا . ويمكن للايمان أن يواجه سهام التجارب . والايمان دائما بالنسبة لبولس الرسول هو الثقة الكاملة والتامة فى المسيح . وهذا يعنى أن الايمان دائما هو علاقة شخصية بالمسيح . وعندما نسير بقرب المسيح فنحن فى مأمن من التجارب .

وهنالك أيضا الخلاص الذى هو بمثابة الخوذة . ويجب أن نتذكر دائما أن الخلاص لا يتعلق بالماضى فقط فهو لا يعنى مجرد غفران الخطايا الماضية ، ولكنه يعنى أيضا القوة التى بها نواجه كل هجمات الخطية فى المستقبل . فالخلاص الذى فى المسيح يمنحنا غفران خطايا الماضى ، ويعطى قوة بها نهزم الخطية فى الأيام القادمة .

وهنالك السيف ، والسيف هو كلمة الله . وكلمة الله بالنسبة لنا هى فى نفس الوقت سلاح الدفاع وسلاح الهجوم . فاننا نجد فى كلمة الله سلاحا به ندافع عن أنفسنا ضد الخطية ، كما نجد فيها سلاحا نحارب به خطايا العالم . لقد كان رجال كرومول يحاربون والسيف فى اليد الواحدة بينما الكتاب المقدس فى اليد الأخرى . إننا لن نستطيع أن ننتصر على أعداء الله ولا أن نغلب فى معارك الله بدون كتاب الله .

ويأتى بولس أخيرا الى أعظم سلاح — وهو سلاح الصلاة ، وينبغى أن نلاحظ ثلاثة أشياء يقولها بولس عن الصلاة .

(أ) ينبغى أن تكون مستمرة ، فيجب أن تكون فى كل أوقات الحياة . لعل أعظم نقص فى الحياة المسيحية هو أننا نميل لأن لا نصلى الا فى أزمات الحياة الشديدة فقط . إن قوة المسيحى تنبع من الصلاة اليومية .

(ب) يجب أن تكون مركزة : فيجب أن تكون صلاة السهر والمثابرة . والصلاة تتطلب التركيز ، فان صلاة عرجاء لا يمكن أن تصل بالمرء الى أى مكان . والصلاة تتطلب منا تركيز كل حواسنا فى الله .

(ج) ويجب أن تكون بعيدة عن الأنانية . فتكون لأجل كل شعب الله المكرسين له . كان

اليهود يقولون ، « ليربط الانسان بين نفسه وبين مجتمعه فى صلاته » . وأعتقد أن صلاتنا تحوى الكثير مما يتعلق بأنفسنا والقليل مما يتعلق بالآخرين . ولذلك فيجب أن نتعلم أن نصلى لأجل الآخرين ومعهم بنفس التركيز الذى نصلى به لأجل أنفسنا .

وأخيرا يطلب بولس الرسول صلوات أصدقائه لأجله . وهو لا يطلب منهم أن يصلوا لكى يجد الراحة والسلام ، ولكنه يلتمس أن تتاح له الفرصة لأن يتحدث بسر الله ، إن حب الله انما هو لكل البشر ، ولكل العالم . ويجدر بنا أن نتذكر أنه ما من قائد أو واعظ مسيحى يستطيع أن يقوم بعمله مالم يدعم شعبه يديه بصلواتهم .

البركة الختامية

(أفسس ٦ : ٢١ ــ ٢٤)

سبق أن رأينا ، أن الرسالة الى أفسس كانت خطابا دوريا حمله تيخيكوس من كنيسة إلى كنيسة . وبخلاف كل رسائل بولس الرسول لا تقدم لنا الرسالة الى أفسس أية معلومات شخصية عنه سوى أنه كان فى السجن ، وكان تيخيكوس كلما ذهب من كنيسة الى كنيسة يحدث المسيحيين عن أحوال بولس الرسول ، ويقدم لهم رسالة تشجيع شخصية .

وهكذا يختم بولس الرسول ببركة تعود فيها جميع الكلمات العظيمة مرة أخرى . والسلام الذى كان هو أعظم خير يتمناه الانسان . والايمان وهو الراحة الكاملة والواثقة فى المسيح ، والنعمة وهى عطية الله الرائعة والمجانية ، كل هذه يطلبها بولس الرسول من الله لأصدقائه . وأكثر من كل هذا يصلى لأجل المحبة ، ليعرفوا محبة الله ، ليحبوا البشر كما يحبهم الله ، وليحبوا المسيح بمحبة لا تنتهى .

